

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة - باتنة 1 -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار



الحركات الإصلاحية المغاربية وأثرها في الفكر الثوري التحرري

دراسة مقارنة - بين الطلبة والعلماء المسلمين الجزائريين وطلبة وعلماء الزيتونة التونسيين

1956-1920

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د) في تخصص التاريخ المعاصر

إشراف الاستاذ الدكتور:

جمعة بن زروال

إعداد الطالب:

شمس الدين ززاري

اعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
لمياء بوقريوة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
جمعة بن زروال	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقررا
عبد الوهاب شلالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تبسة	عضوا مناقشا
صالح حيمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تبسة	عضوا مناقشا
مختار هواري	أستاذ محاضر - أ -	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2020-2021

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## شكر خاص

أتقدم بالشكر الخالص الى الأستاذة الدكتورة المشرفة "جمعة بن زروال"

التي كانت لي خير سند

تابعني منذ تسجيلي للتكوين في مرحلة الدكتوراه

وعكفت على تأطيري ودعمتي بمختلف المؤلفات الصادرة حول تاريخ الحركة الاصلاحية في الجزائر

وتونس، وزودتني بالوثائق الأرشيفية ذات الصلة بالموضوع

وظلت دوما تتابعني بنصائحها الثمينة وتصحيحاتها القيمة

وشجعتني باستمرار على المثابرة والتفاني واطمأن موضوع البحث

فلها مني أسمى تقدير

## شكر وعرافان

أتقدم بجزيل الشكر والعرافان الى الأستاذة الدكتورة لمياء بوقريوة التي شجعتني على اختيار البحث في

دراسة مقارنة بين الحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وأشرفت على تكويني في مرحلة الدكتوراه ودعمتني كثيرا في الجانب العلمي،

حتتني على المتابعة دون كلل لاتمام موضوع الدراسة

ولطالما وقفت الى جانب طلبة الدكتوراه في حل وتسوية مشاكلهم الإدارية،

كما أتقدم بالشكر الى أساتذة فريق التكوين في مشروع الدكتوراه

والذين لم ييخلوا علي بنصائحهم الثمينة الأستاذة الدكتورة ليلي تيتة،

الدكتور مختار هواري، الأستاذ الدكتور السبتي غيلاني، الأستاذة الدكتورة هناء خليدة سيدهم،

الى الاستاذ الدكتور يوسف مناصرية،

وكذاك أساتذة جامعة العربي التبسي - تبسة الأستاذ الدكتور عبدالوهاب شالي، الدكتور صالح

حيمر الذين طالما تناقشت معهم في موضوع البحث،

وأشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد حتى ولو بكلمة تشجيع

فلهم مني دعائي وجزيل الشكر

وشكر خاص الى الأخ الوفي كاتب هذه الاطروحة نور الدين شاوش،

كما اشكر لجنة المناقشة التي تكرمت وقبلت مناقشة الأطروحة هذه اللجنة التي ضمت نخبة من

أساتذة التاريخ الحديث والمعاصر من بينهم من أشرف على تكويني في أطوار سابقة بالجامعة وكذا من

أشرف على تكويني في مرحلة الدكتوراه فلهم خالص الثناء،

كما أتقدم بخالص الشكر الى الشيخين الفاضلين العالمين الشيخ أحمد باشا،

والشيخ محمد الصالح الصديق أمد الله في أعمارهم وجعلهم ذخرا للجزائر العربية المسلمة



## الإهداء

إلى أرواح الشهداء  
إلى روح أبي الفاضل الذي رباني وعلمني عليه رحمة الله،  
إلى أمي وإخوتي حفظهم الله،  
إلى زوجتي الفاضلة التي صبرت معي على انجاز هذا البحث،  
وأبنائي إعتقاد، أحمد أثير الدين وفاطمة

شمس الدين

## قائمة المختصرات

أولاً: باللغة العربية

- ج: الجزء.

- تر: ترجمة

- تح: تحقيق

- تع: تعريب

- تق: تقديم

- د.ن: دون ناشر.

- د.ت: دون تاريخ.

- دو: دورية

- ص: صفحة.

- ط: طبعة.

- مج: المجلد.

ثانيا: باللغة الأجنبية

- N: Numéro.
- Op.cit: opus citatum (précité).
- P: page.
- CAOM : Centre d'Archives OuterMer
- SLNA : Service de liason Nord-African
- CGA : Cabinet Gouvernement Algerie
- ANT : Archive nationale Tunisie
- MN : Mouvement national
- F.P.C : Fond Période Coloniale
- S.D : Sans date

# المقدمة

## المقدمة

بعد احتلال فرنسا للجزائر وتوجيه سياساتها المختلفة في اتجاه يخدم ضمان استمرارية برنامجها التوسعي والهادف إلى استغلال المقدرات والإمكانات المادية للبلاد والتفكير في زيادة النفوذ من خلال احتلال تونس الذي كان ظاهريا على شكل حماية وفي حقيقة الأمر ما هو إلا استكمال لعملية احتلال الأوطان العربية الإسلامية في إطار التوسع والتنافس الأوربي الذي غذته العصبية الدينية المسيحية، مما دفع فرنسا لسن قوانين لطمس هوية هذه المجتمعات وقطع علاقتها بماضيها واتمائها، وإدماجها فيما سمته المشروع الحضاري، على إثر ذلك التوجه قام علماء الجزائر وتونس الذين تبنا الفكر الإصلاحى بالتصدي لهذه الأفكار بمختلف الطرق والوسائل متأثرين بعدة عوامل ساهمت في صياغة وتشكيل وعيهم بقضيتهم، بالإضافة إلى رسم منحى وتوجه في طريقة العمل تحكم فيه حسب كل منطقة ظروف خاصة ومميزات تاريخية وخصوصية اجتماعية.

وعليه فموضوع الحركات الإصلاحية المغاربية وأثرها في الفكر الثوري التحرري كدراسة مقارنة بين الطلبة والعلماء المسلمين الجزائريين وعلماء وطلبة الزيتونة التونسيون خلال الفترة التاريخية 1920-1956 هو عبارة عن دراسة للحركات الإصلاحية المغاربية، خاصة في الجزائر وتونس، بشكل مغاير من حيث نوع الدراسة التي حاولنا فيها التركيز وتبسيط الضوء على جانب مهم في عمل ونشاط الحركات الإصلاحية المغاربية في الجزائر وتونس، والمتمثل في تطور النشاط الإصلاحى التقليدى الذي يركز على جانب التجديد الدينى والعملية التربوية التعليمية والاهتمام بالناحية الثقافية إلى تطوره إلى نشاط سياسي متفاعل مع الأحداث السياسية في إطار الصراع مع الاستعمار، هذا الصراع المحتدم حول مسائل الهوية ومبادئ الشخصية الذاتية التي طالما دافع عنها التيار الإصلاحى إلى تحوله من خلال هذا المخاض وتفاعله مع تيارات الحركة الوطنية، إلى تبلور الفكر الإصلاحى إلى فكر ثورى تحررى، وتأثيره على الثورات التحريرية والعمل المسلح الذي كافح الاستعمار الفرنسى في كلا البلدين، وذلك من خلال عملية المقارنة بين النخبتين الإصلاحيتين طلبه وعلماء الجزائر الذين مثلتهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال أغلب هذه الفترة المدروسة، وطلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين التونسيين.

وفي اعتقادي - وبعد هذه الدراسة لهاته الحركة الإصلاحية في البلدين - أنها تشكل اللبنة الأولى في النهضة الثقافية والسياسية بعد محاولة القضاء على الهوية الوطنية في الجزائر على وجه الخصوص وبدرجة أقل في البلاد التونسية.

### أسباب الدراسة

#### أ- الأسباب الشخصية

- التقرب أكثر من شخصيات التيار الإصلاحى بكل من الجزائر وتونس لفهم نظرتهم للواقع آنذاك.
- اهتمامي بنضال علماء وطلبة الجزائر وتونس الإصلاحيين في سبيل الحرية والاستقلال.
- وهناك أسباب أخرى دفعتني إلى الاهتمام الجاد بهذا الموضوع، وهو أي كنت منذ سنوات الدراسة الجامعية في مرحلة التدرج ميالا لمثل هذه الموضوعات التي كانت تستهويني إلى حد الإعجاب.
- بالإضافة إلى توجيه بعض الأساتذة الذين أشرفوا على تكويني في مرحلة الدكتوراه ولهذه الأسباب وغيرها وجدت نفسي مشدودا فكريا وعاطفيا إلى هذا الموضوع.

## المقدمة

### ب- الأسباب العلمية والموضوعية

- تباين الدراسات والكتابات التي تناولت التيارات الإصلاحية في بلاد المغرب العربي خاصة الجزائر وتونس.
- إن دراسة المقارنة في هذا الموضوع من تاريخ الجزائر وتونس ما تزال شبه غائبة مما لا يساعد على الفهم العام للحركة الإصلاحية المغاربية ومعرفة القواسم المشتركة بينها في الوسائل والمبادئ والأهداف.
- لاحظت أن هناك عدة نقاط اختلاف بين الحركتين الإصلاحيتين، وفي نفس الوقت توجد عدة نقاط تقارب وتطابق بينهما، خاصة وأن نشاط الحركتين الإصلاحيتين برز في نفس الفترة الزمنية تقريبا، وبناضلان ضد نفس القوة الاستعمارية - الاستعمار الفرنسي -

### أهداف الدراسة

- معرفة الروابط بين الفكر الإصلاحي في الجزائر وتونس من خلال تتبع آثار ومآثر جهود قادتها وعلمائها ونضالات طلبتها.
- البحث في دور طلبة وعلماء الجزائر من خلال نشاطهم بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ناحية، ودور طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين من ناحية أخرى في الإطار الثوري التحرري.
- البحث في مختلف القضايا السياسية للجزائر وتونس ومقارنتها من حيث موقع كل من التيار الإصلاحي في الجزائر والتيار الإصلاحي في تونس.
- البحث عن حقيقة الفكر التحرري الثوري للحركة الإصلاحية في الجزائر والحركة الإصلاحية في تونس.
- كشف اللثام عن عدة حقائق مغيبة في مجال الفكر الإصلاحي ونشاطات رجاله في الجزائر وتونس من حيث مساهمتهم في الحركة الوطنية للوصول لتحقيق الاستقلال والتحرر، خاصة أن بعض الكتابات التي لم يكن بعضها مؤسسا تأسيسا علميا، وخضع في كثير من الأحيان إلى توجهات أيديولوجية واعتبارات سياسية تضاربت في الآراء والمواقف بخصوص الحركة الإصلاحية.
- إبراز الأثر البالغ الذي خلفه أصحاب التوجه الإصلاحي على الثورة التحريرية في الجزائر والمقاومة المسلحة في تونس.

### حدود الدراسة

#### أ- الزمانية

وقد وقع اختياري على الفترة الممتدة بين 1920-1956 كون سنة 1920 - تمثل في نظري - بداية قوية للحركة الإصلاحية في الجزائر بعودة العلماء من المشرق العربي وتونس وشروعهم في العمل الميداني وتهيئة الأرضية الشعبية لانطلاق عمل وطني كبير، وأيضا تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي على يد الشيخ عبد العزيز الثعالبي ونخبة من طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين، أما توقفنا عند سنة 1956 - فكان في نظري - نهاية لمرحلة من النضال الثوري والكفاح باستقلال تونس سنة 1956 وكذلك التحاق طلبة وعلماء الإصلاح الجزائريين باسم جمعية العلماء المسلمين

## المقدمة

الجزائريين بالثورة التحريرية، واندماجهم داخل أطر جيش وجبهة التحرير الوطني كتنويع لمسيرة نضالية وطنية حافلة كان نتيجتها الحتمية هو الثورة التحريرية.

### **ب-المكانية**

تشمل كل من القطرين المغاربيين الجزائر وتونس.

### **إشكالية البحث**

تأسيسا على ذلك فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة على إشكالية محورية تتعلق بالبحث، وهي:

**كيف كان نشاط الحركات الإصلاحية المغاربية في الجزائر وتونس؟ وإلى أي مدى أثرت على الفكر الثوري**

**التحرري في البلدين؟**

وهذا فضلا عن تساؤلات فرعية تفرض نفسها بإلحاح وترتبط ارتباطا عضويا بمختلف مراحل الموضوع المدروس

تتمثل في:

- كيف كانت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس؟ وما هي النواحي التي ركزت عليها هذه

السياسة؟ وإلى أي مدى أثرت في إحداث رد فعل وطني إسلامي في البلدين؟

- كيف كان ظهور الحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس؟ وما هي العوامل التي ساعدت على ظهورها؟ وإلى

أي مدى ساعدت روابط التواصل في نشوء وتطور العمل الإصلاحي في البلدين؟

- ما هي مجالات عمل النشاط الإصلاحي في الجزائر وتونس؟ وإلى أي مدى تفاوت التركيز في كل مجال من

مجالات النشاط الإصلاحي حسب الظرف الاستعماري والواقع الاجتماعي لكلا البلدين؟

- كيف تدرج وتطور النشاط الإصلاحي إلى ممارسة النشاط السياسي في الجزائر من خلال جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين؟ وكيف انخرط طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين في النضال السياسي والوطني منذ بداية الحماية على

تونس؟ وما هي أوجه التشابه والاختلاف بينهما في مجال الممارسة السياسية؟

- ما هي الإرهاصات الأولى لتبلور الفكر الإصلاحي في الجزائر إلى فكر ثوري تحرري من خلال الاضطهاد

والتمييز العنصري والديني الذي استعمله الاستعمار الفرنسي ضدها؟ وكيف كانت تجلياته على واقع الثورة الجزائرية؟ وإلى

أي مدى ساهم الفكر الثوري التحرري لدى الحركة الإصلاحية في نجاح وانتصار الثورة التحريرية؟

- كيف كان الفكر الثوري التحرري لدى طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين؟ وكيف كانت مواقفهم وتحركاتهم

السياسية وفق تبني هذا الطرح الفكري؟ وكيف كانت تحالفاتهم إلى غاية الاستقلال الوطني؟ وما مدى التوافق والاختلاف

في تأثيرات الفكر الإصلاحي الإسلامي على واقع الثورة التحريرية في الجزائر وتونس؟

### **مناهج البحث**

وقد اعتمدنا في معالجة هذا الموضوع على المنهج التاريخي التحليلي النقدي، وذلك بغية التعمق في تحليل مختلف

النصوص والمواقف لاكتشاف مدى تبلور الفكر الإصلاحي الإسلامي إلى فكر ثوري تحرري لدى النخبتين الإصلاحيين

من طلبة وعلماء الجزائر وتونس، وتقديم تفسير أقرب إلى الواقع عن المواقف الحقيقية من الثورة التحريرية في الجزائر

## المقدمة

والمقاومة المسلحة في تونس، وتبني الطرح أو الفكر الاستقلالي كمطلب سياسي، وهذا لا يعفينا من نقد هذه النصوص والأقوال والمواقف التي تتعارض مع المعطيات التاريخية أو التي تحاول التضييل والتمويه على الحقائق دون أن ننحاز في ذلك إلى الذاتية أو نتحيز للميولات الفكرية أو نتشيع لفريق على آخر.

كما اعتمدنا المنهج المقارن لمقارنة مختلف المواقف والنشاط الإصلاحي وكذا السياسي والتأثير على الفكر الثوري التحرري بين التيارين الإصلاحيين في الجزائر وتونس.

### خطة البحث

ولإنجاز هذا البحث والإجابة على الإشكالية السابقة وضعت خطة تتكون من مقدمة وفصل تمهيدي وخمس فصول أخرى وخاتمة، حيث خصصت الفصل التمهيدي لدراسة السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس منذ 1830 إلى غاية 1920، تناولت فيه المجالات التي مستها هذه السياسة ابتداء من اغتصاب الأرض، وفرض الاستيطان، وسلب الخيرات والثروات، إلى عملية المسخ الحضاري ومحاربة الدين واللغة في الجزائر، وكذلك في تونس رغم حفاظ هذه الأخيرة على نوع من الحماية في مجال جانب الهوية والمؤسسات الثقافية التي مثلها جامع الزيتونة؛ وفي الفصل الأول تناولت الجذور التاريخية لهذه الحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس، وعوامل ظهورها الداخلية والخارجية وكذلك روابط التواصل بين الحركتين الإصلاحيين في الجزائر وتونس؛

أما الفصل الثاني فخصصته لدراسة نشاط الحركة الإصلاحية في الجزائر وتطورها السياسي 1920-1945 من خلال دراسة النشاط في الجانب الديني ومحاربة الطرق الصوفية، والنشاط التربوي والتعليمي، وكذا النشاط الصحفي، وكذلك تطور النشاط السياسي في إطار الحركة الوطنية ورد فعل الاستعمار الفرنسي تجاه هذا النشاط الإصلاحي السياسي؛

وتناولت في الفصل الثالث النشاط الإصلاحي وتطوره السياسي في تونس 1920-1945 حيث درست فيه النشاط الديني والتعامل مع الطرق الصوفية ونظرة التيار الإصلاحي الزيتوني لهذه الناحية، وكذلك النشاط التربوي والتعليمي الذي تركز في إصلاح التعليم الزيتوني، وبرز نخبة طلبة علماء الزيتونة في المجال الصحفي، ومساهماتهم الفعالة في النشاط السياسي من تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920 إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية 1945، مع عقد مقارنة بين نشاط طلبة وعلماء الحركة الإصلاحية الجزائرية والطلبة والعلماء الزيتونيين التونسيين الإصلاحيين خلال هذه الفترة؛

وقد خصصت الفصل الرابع للتطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري في الجزائر 1945-1956 حيث درست فيه النشاطات السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من سنة 1945 إلى غاية نهاية الأربعينات وهي فترة اتسمت بتحويلات سياسية سواء على مستوى الحركة الوطنية أو على مستوى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كذلك نشاطات الجمعية السياسية في فترة الخمسينات إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، وأيضا نشاطهم وإسهامهم في الثورة التحريرية ومواقفها الداخلية والخارجية من سنة 1954-1956، وأيضا درست نشاط ومساهمة طلبة وعلماء معهد ابن باديس في الثورة التحريرية 1954-1956، ثم تبلور الفكر الثوري التحرري عند



## المقدمة

العلماء الإصلاحيين الجزائريين وأخيرا تأثير العامل الديني للعلماء الإصلاحيين في الفكر الثوري التحرري وتحليلاته في الثورة التحريرية؛

وقد خصصت الفصل الخامس عن النشاط السياسي وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة المسلحة التونسية 1945-1956 من خلال النشاط والتطور السياسي لطلبة وعلماء الزيتونة بعد الحرب العالمية الثانية إلى غاية سنة 1951 من حيث نشاطهم وتأثيرهم في مؤتمر ليلة القدر (مؤتمر الاستقلال) 1946 ومساهماتهم في تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل ونشاطات الفاضل بن عاشور السياسية المميزة، ونشاطاتهم السياسية الوطنية والعربية من خلال القضية المنصفية والقضية الفلسطينية، وبداية صراع الزيتونيين مع الدستوريين الجدد، وتأسيس لجنة صوت الطالب الزيتوني، ورد فعل الاحتلال الفرنسي ضد نشاط طلبة وعلماء الزيتونة، ثم تناولت المقاومة التونسية المسلحة 1952-1954 والتأثير الفكري الزيتوني الإسلامي على هاته المقاومة المسلحة، وتطرق إلى تبلور الفكر الثوري التحرري عند القادة السياسيين الزيتونيين، وتطرق أيضا لمرحلة المفاوضات الأخيرة مع السلطة الاستعمارية والصراع الزيتوني الدستوري 1954-1956 وعقدت دراسة مقارنة بين طلبة وعلماء الجزائر وطلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين من خلال التطور السياسي والتأثير الفكري التحرري 1954-1956؛ وجاءت الخاتمة تتويجا للفصول السابقة عبارة عن استنتاجات وقد حرصت أن تكون هاته النتائج جوابا مقنعا لكل التساؤلات التي طرحناها حول الموضوع.

### الدراسات السابقة والأبحاث الأكاديمية

حسب مجهودي البحثي لم أتوصل إلى دراسة أكاديمية تعنى بموضوع التطور الفكري الإصلاحي إلى التحرري الثوري كدراسة مقارنة بين تيارات ذات توجه إصلاحي في الجزائر وتونس. لكن هناك دراسات وأبحاث وكتابات أكاديمية تناولت تفاعل التيار الإصلاحي في الجزائر والتيار الإصلاحي في تونس من حيث إسهاماتها في النضال السياسي والتحرري الثوري عبر التطورات التاريخية للأحداث المعاشة آنذاك في ظل الهيمنة الاستعمارية. بالنسبة للجزائر:

دراسة الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945؛ وهي دراسة مركزة عن نشاط الإصلاحيين الجزائريين في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولكنها توقفت عند نهاية الحرب العالمية الثانية أي بعد مجازر 8 ماي 1945 الذي أحدث انقلابا فكريا وتحولا جذريا في تطور العمل السياسي للحركة الإصلاحية الذي تحول إلى فكر ثوري تحرري ينادي بالجهاد أثناء فترة الثورة التحريرية. دراسة الأستاذ على مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940؛ والذي تتبع النشاط الإصلاحي خلال الفترة 1925-1940 ومدى الجهد الفكري الذي أحدث اليقظة الوطنية إلا أنها أيضا تنتهي عند بداية الحرب العالمية الثانية، حيث درست الجانب الديني والاجتماعي بشكل مركز وهي من الدراسات المبكرة بعد استقلال الجزائر حول الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر.

## المقدمة

كما وجدنا دراسة أجنبية مهمة هي باللغة الفرنسية عبارة عن أطروحة دكتوراه حول النشاط الإصلاحي والسياسي لجمعية العلماء المسلمين مؤلفتها:

Charlotte Courreye, l'association des oulémas musulmans algériens et la construction de l'état algérien indépendant 1931-1991

بالرغم من أنها دراسة شاملة وطويلة لمسار نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلا أنها دراسة لا تخلو من عاطفة فرنسية بحيث تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أحد أهم عوامل خروج فرنسا من الجزائر، وأنها حركة دينية أصولية اختلفت مع النظام الجزائري بعد الاستقلال في أسلوب حكم البلاد.

أما أطروحة دكتوراه لمازن المطبقاني بعنوان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، فهي دراسة شاملة لمختلف أوجه نشاط الحركة الإصلاحية في الجزائر إبان الفترة المدروسة دون التطرق إلى تجليات هذا النشاط على العمل المسلح للثورة التحريرية بسبب التوقف عن بداية الحرب العالمية الثانية. وكذلك دراسة مهمة عبارة عن أطروحة دكتوراه للدكتور اسعد الهلالي بعنوان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954-1962 فقد أبرزت مدى مساهمة ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة التحريرية. بالنسبة لتونس:

فالدراسات السابقة تمثلت في كتابات علي الزيدي، الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904-1945، وهي دراسة شاملة للزيتونيين بصفة عامة سواء كانوا من أنصار الحركة الإصلاحية أو الزيتونيون المحافظون. الدكتور يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934، فقد قدم لنا دراسة مهمة حول الحزب الحر الدستوري التونسي منذ 1919 إلى غاية الانشقاق الذي حصل سنة 1934 وانقسام الحزب. وأيضا أطروحة الدكتور محمد السعيد عقيب، الحزب الدستوري القديم 1934-1956، الذي درس الحزب الدستوري بعد الانشقاق وهو الحزب الدستوري القديم إلى غاية 1956.

ودراسة مختار العياشي، البيئة الزيتونية 1910-1945 مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية، الذي ركز على البيئة الزيتونية ونشاط الطلبة الزيتونيين في مجال إصلاح التعليم الزيتوني. حيث أن أغلب هذه الدراسات لم تدرس التيار الزيتوني الإصلاحي بشكل منفصل إلا أنها تطرقت إلى جوانب من نشاطات الطلبة والعلماء الزيتونيين من خلال تفاعلهم مع الحركة الوطنية التونسية سواء كانت مساهمات سياسية أو نشاطهم الأصلي في مجال إصلاح التعليم الزيتوني.

### **أهم مصادر البحث ومراجعته**

لقد اعتمدت في هذه الأطروحة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة،

### **أولا المصادر:**

بالنسبة للمصادر المعتمدة في هذه الأطروحة فهي متنوعة من مصادر وتقارير رسمية وصحافة خاصة صحافة الحركة الإصلاحية، وفي الأخير كتب معاصرة لهاته الحركات الإصلاحية ألفها قادتها وأعضائها.

## المقدمة

### أ- الوثائق الأرشيفية

الأرشيف الوطني التونسي ويحتوي على:

- تقارير لمراقبة النشاطات الزيتونية الدينية والسياسية
- أيضا ملفات إدارية لنشطاء طلبة وعلماء الزيتونة في المجال السياسي الوطني خلال فترة الأربعينات والخمسينات
- كتابات لبعض علماء الزيتونة في المجلة الزيتونية
- أرشيف (Aix-en-province) بفرنسا ويحتوي على:
- تقارير مهمة خاصة تقرير النقيب كاريت (Carret) حول نشاطات الطرق الصوفية وأيضا صراعهم مع الحركة

### الإصلاحية

أرشيف ولاية قسنطينة ويحتوي على:

- وثائق تتكلم عن مراقبة النشاط التعليمي والإصلاحي لعلماء الجمعية بمدينة تبسة
- واعتمدت على الصحافة التي كانت تصدر آنذاك للعلماء الإصلاحيين بالجزائر كجريدة المنتقد، ومجلة الشهاب، وجريدة البصائر، وأيضا جريدة السنة. وأيضا مقالات في المجلة الزيتونية التونسية

### المقابلات الشخصية

وذلك من خلال اجرائي مقابلتين شخصيتين مع شخصيات إصلاحية

- مقابلة شخصية مع الشيخ احمد باشا بيته بمدينة تبسة في مارس 2019، حيث أفادني بمعلومات مهمة ووثائق
- أرشيفية شخصية حول نشاط طلبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومساهماتهم في الثورة؛
- مقابلة شخصية مع الشيخ محمد الصالح الصديق بيته بمدينة الجزائر (القبة) في سبتمبر 2019 حيث أفادني بمعلومات قيمة وشهادة حية عن شخصيات ثورية تأثرت بالفكر الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمثال الشهيد عميروش

أما الكتب المصدرية فكان أهمها:

- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي
- عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس
- محمد خير الدين، مذكرات خير الدين
- احمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات

تكلمت هذه المصادر عموما عن النشاط الإصلاحي والسياسي إلى غاية الاستقلال تقريبا

أما تونس فكانت أهم الكتب المصدرية متمثلة في:

- عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر التي ترجمت فكر وتوجه النخبة

التونسية

## المقدمة

- محمد الفاضل بن عاشور، الحياة الأدبية والفكرية بتونس التي ترجمت نشاطات الإصلاحيين الزيتونيين في مختلف المجالات

- الحبيب نويرة، ذكريات عصفت بي (مذكرات) التي أرخت لمسيرة الحركة الطلابية الزيتونية ونضالها السياسي.

### الكتب

لقد وظفت كما معتبرا من الكتب العربية والأجنبية التي كتبت حول نشاط الحركة الإصلاحية السياسي في البلدين، من بينها:

- أطروحة الأستاذ أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية خاصة الجزء الثاني والجزء الثالث، وهي تعد من أهم الدراسات عن الحركة الوطنية، حيث تضمنت هذه الرسالة دراسة جادة عن الحركة الإصلاحية منذ نشأتها وتطورها إلى سنة 1945

- كتاب خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939 حيث تناول فيه النشاطات الفكرية والسياسية للحركة الإصلاحية الجزائرية لطلبة وعلماء في البلاد التونسية وأيضا في الجزائر

- كتاب الدكتور حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1920-1954 والذي تناول فيه قضايا سياسية واجتماعية وثقافية كانت محل اهتمام الحركة الإصلاحية الجزائرية

- كتاب عبد اللطيف الهرماسي، المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر وهو دراسة مقارنة من منظور علم الاجتماع التاريخي

- كتاب الدكتور سليمان الشواشي الفكر الإصلاحي عند جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأثره في الفكر الإصلاحي التونسي

- كتاب الدكتور علي المحجوبي جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934

- كتاب الدكتور يوسف مناصرية الصراع الأيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937 الذي كان عبارة عن بحوث معمقة من خلال وثائق أرشيفية هامة لتلك الفترة

### صعوبات البحث

من البديهي أن كل باحث تعثره صعوبات شتى إما في البحث والتنقيب عن المادة العلمية وتشتتها في مختلف المكتبات ودور الأرشيف الوطني والأجنبية، أو لأسباب أخرى تتصل بظروف العمل، أو بظروف المجتمع بصورة عامة، أو لأسباب منهجية مرتبطة بطبيعة الموضوع وتموقعه التاريخي ضمن الموضوعات الأخرى.

والحق أن الصعوبات التي اعترضتني بشكل خاص كيفية تصنيف هاته الحركة الإصلاحية ضمن الحركات الوطنية الأخرى في مجال تأثيرها على الفكر الثوري التحرري وأيضا لدراسة المقارنة لاتساع نطاق المدة الزمنية، وتعدد أوجه النشاط الإصلاحي وأيضا توزع وتشتت الوثائق الأرشيفية في البلدين، مما عسر علينا التنقل إليها، إلا بصعوبة، حيث تنقلت إلى الأرشيف الوطني التونسي وما تحصلت عليه بالنسبة لي كان غير كاف،

## المقدمة

فضلا عن الصعوبات الإدارية والعراقيل على مستوى أرشيف ولاية قسنطينة، فقد صبرت وحاولت قدر الإمكان جمع تلك المادة العلمية ودراستها وتبويبها وتحليلها ونقدها ومقارنتها، فإن وفقت فذلك مبتغاي وهدفي، وإن أخفقت، لا قدر الله، فحسبي أنني عملت بجد وإخلاص حتى وصلت إلى هذه الثمرة العلمية التي اعتبرها لبنة جديدة تضاف إلى المكتبة العربية داخل الوطن وخارجه.

# الفصل التمهيدي

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

المبحث الأول: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر

المطلب الأول: الاحتلال والاستيلاء على الأراضي والاستيطان

المطلب الثاني: السياسة الإدارية والقضائية

المطلب الثالث: السياسة الاقتصادية والاجتماعية

المطلب الرابع: السياسة التعليمية والثقافية والدينية

المبحث الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس

المطلب الأول: فرض الحماية وسن القوانين السياسية والإدارية

المطلب الثاني: السياسة الاقتصادية والحالة الاجتماعية

المطلب الثالث: السياسة القضائية والدينية

المطلب الرابع: السياسة التعليمية والثقافية في ظل الحماية الفرنسية

إن سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس، كانت سياسة جائرة إذ تعرضت لأسوأ أنواع الاستغلال والظلم والعنصرية، والتي لم يكن لها مبرر، إلا لكونها صادرة عن الاستعمار، وما سياسته إلا نتاج للاستعمار ومحصلة منطقية لوجوده، وهو ما سنتعرض إليه في هذا الفصل التمهيدي وهو يغطي الفترة الممتدة من سنة 1830 إلى غاية بداية القرن العشرين.

### المبحث الأول: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر

قد قامت إستراتيجية الاستعمار في الجزائر أساسا على حرب إبادة وتصفية للوجود الجزائري والإجهاز على قيمه ومؤسساته الروحية والمعنوية، وذلك حتى يتسنى للدولة الاستعمارية احتواء الكيان الجزائري وإذابته في بوتقة الحضارة الفرنسية وتحقيق السيطرة الأبديّة على البلاد، وقد قام في أول الأمر على فكرة الاحتلال بالبندقية والمحراث واستمد منطلقاته وخططه البعيدة من تقاليد الاستعمار الروماني القديم.<sup>1</sup>

### المطلب الأول: الاحتلال والاستيلاء على الأراضي والاستيطان

#### 1- احتلال الجزائر

يوم 16 جوان 1827 أعلنت فرنسا الحرب على الجزائر ونصبت الحصار على السواحل الجزائرية ثم أخذت في تهيئة الحملة العسكرية، بعد مشادات كلامية بين حسين باشا<sup>2</sup> داي الجزائر وقنصل فرنسا "دوفال" جعلت منها فرنسا ذريعة لإعلان الحرب.<sup>3</sup>

وقد شجع الفرنسيين على هذه المغامرة أن الأسطول الجزائري القوي قد اشترك مع الأسطولين العثماني، والمصري سنة 1827 في معركة "نافارين"<sup>4</sup> الشهيرة ضد أساطيل بريطانيا وفرنسا وروسيا وهلك في تلك المعركة فلم يبق للجزائريين ألوية بحرية تدافع عن سواحلهم.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - نصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ط1، ص36.

<sup>2</sup> - الداوي حسين باشا: ولد سنة 1764 في مكان يدعى ندرلة وتذكر مصادر أخرى أنه ولد سنة 1773 بأزمير ونشأ في اسطنبول وخدم في المدفعية وعند تعرضه لعقوبة قاسية فر إلى الجزائر وانضم إلى اوجاقها وتولى عدة وظائف حتى أصبح داي الجزائر سنة 1818 وبعد أن بقي في الحكم 12 سنة وفي المنفى ثمانية سنوات توفي بالإسكندرية سنة 1838، أنظر: أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2009، ص19.

<sup>3</sup> - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص45.

<sup>4</sup> - معركة نافارين: وقعت معركة نافارين في 20 أكتوبر 1827 بين أساطيل الدولة العثمانية بما فيها الأسطول الجزائري ضد أساطيل إنجلترا وفرنسا وروسيا وتحطمت أغلب قطع الأسطول الإسلامي ونالت اليونان استقلالها من الدولة العثمانية عقب تلك المعركة. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2015، ص135.

<sup>5</sup> - الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ط4، ص51.



## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

وفي يوم 02 مارس 1830 قال الملك شارل العاشر<sup>1</sup> في خطاب العرش "إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي، سيكون بإعانة العلي القدير، لفائدة المسيحية كلها".<sup>2</sup> وهذا ما يعطينا انطباع بأن سبب إقدام فرنسا على غزو الجزائر والقضاء على الدولة الجزائرية وتعويضها بسلطة استعمارية جديدة، لا يرجع إلى حادثة المروحة بين الداوي وقنصل فرنسا بالجزائر في أبريل عام 1827 والحقيقة أن لهذا الغزو عدة أسباب مخفية ومعلن عنها.<sup>3</sup>

فالأسباب المعلن عنها هي: الانتقام من الجزائر التي أهان الداوي حاكمها شرف فرنسا في حادثة المروحة، ووقف القرصنة وتخليص أوروبا من مصدر القلق والاضطراب،<sup>4</sup> ولم تكن هاته هي الأسباب الوحيدة، ذلك أن من أهداف الحملة التي لم يذكرها الفرنسيون عندئذ مايلي:

- 1- زيادة شعبية نظام الملك شارل العاشر الغير محبوب.
  - 2- الفرار من دفع دين كانت الجزائر قد أعطته إلى فرنسا بدون فائدة عام 1797م.
  - 3- مزاحمة الدول الأوروبية الأخرى وخصوصا بريطانيا على خلق إمبراطورية جديدة.<sup>5</sup>
- وعليه عبأت فرنسا جيوشها وأرسلتها في حملة مؤلفة من 37000 جندي على أسطول قوي فنزلت على ساحل "سيدي فرج" قرب مدينة الجزائر في 14 جوان 1830.<sup>6</sup>

وبعد قتال مرير وخسائر كبيرة دخل الفرنسيون مدينة الجزائر في 5 جويلية 1830 ولكن القتال في الضواحي والشوارع استمر ومن تلك اللحظة بدأ تاريخ المقاومة الجزائرية،<sup>7</sup> هذا وقد أبيضت مدينة الجزائر إلى الجنود خلال أكثر من أربعة أيام، وقد سجل المؤرخون الفرنسيون أنفسهم بنجل انتهاك الحرمات والفظائع التي أصبحت هي قانون المدينة.<sup>8</sup>

وقد أمضى الداوي حسين باشا رئيس الدولة الجزائرية والكونت دي بورمونت<sup>9</sup> القائد الأعلى للجيش الفرنسي معاهدة تعرف باستسلام الجزائر، وقد نصت المادة 5 من هذا الاتفاق على ما يلي: حرية العمل بالدين الإسلامي،

---

1- شارل العاشر: أحد ملوك أسرة آل بوربون تولى حكم فرنسا بعد وفاة لويس الثامن عشر سنة 1824 كان رجعيا متطرفا حل مجلس النواب بأمر ملكي في 17 ماي 1830 أطاحت به ثورة 1830، أنظر: محمد عيساوي ونبيل شريخي: الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص 07.

2- احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 46.

3- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص 81.

4- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 2، ص 17.

5- المصدر نفسه، ص 17.

6- الفضيل الوترلاني، المرجع السابق، ص 52.

7- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2007، ص 262.

8- المرجع نفسه، ص 262.

9- الكونت دي بورمونت: ولد في 02 سبتمبر 1773 بمقاطعة فريني (Freigne)، وفي 09 أكتوبر 1823 منح له وسام الفرقة الشرفية وفي 23 ماي 1825 عين وزيرا للحربية، وتم تعيينه قائدا عاما للحملة على إفريقيا فيما بين 11 أبريل 1830 إلى غاية 12 أوت 1830، رقي إلى مرتبة مارشال في 14 جويلية 1830 مات في 27 ديسمبر 1846. أنظر: محمد عيساوي ونبيل شريخي، المرجع السابق، ص 165.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

ضمان حرية جميع الطبقات والأديان والممتلكات والتجارة والصناعة واحترام كامل للمرأة الجزائرية أما المادة 2 فقد نصت على احترام التقاليد الجزائرية وعلى أنه لن يؤذن للجنود الفرنسيين بدخول المساجد الجزائرية.<sup>1</sup> ولكنهم بمجرد دخولهم العاصمة ضربوا بينود الاتفاق عرض الحائط وتأكدت جشاعة الفرنسيين وتحافتهم على الثروة وخيرات الجزائر، حيث هرع رجال الجيش الفرنسي إلى ذخائر قصر الداوي والاستيلاء عليها ثم تهريبها إلى فرنسا، ويستفاد من بعض المصادر التاريخية أن الفرنسيين قد استولوا على:

- 7 أطنان و312 كغ من الذهب (قصر الداوي)

- 108 طن و704 كغ من الفضة (قصر الداوي)

- 24700000 فرنك وهي قيمة الذهب الموجود بالخزينة الجزائرية.

- 52723984 فرنك وهي قيمة النقود الفضة الموجودة بالخزينة الجزائرية.

- 80.000.000 فرنك فرنسي من العملات الأجنبية الموجودة بالخزينة.<sup>2</sup>

ونستخلص من بعض الوثائق أن ضباط الحملة الفرنسية قد اختلسوا لأنفسهم ما قيمته 50 مليون فرنك فرنسي، وقد أرسلت هذه الأموال والثروات الجزائرية في صناديق خاصة إلى فرنسا على ظهر خمسة (5) بواخر فرنسية وتبلغ قيمة المبلغ الإجمالي لهذه المسروقات: 4.868.794.452 فرنك فرنسي.<sup>3</sup>

ومنذ البداية تردد الفرنسيون بين إتباع سياسة الاحتلال الكامل والإدارة المباشرة، ولكنهم مالوا في النهاية إلى الأسلوب الأول وأخذوا يشجعون هجرة الأوروبيين إلى الجزائر والاستيلاء على الأراضي الزراعية والأملاك العقارية الواسعة لتلبية حاجاتهم.<sup>4</sup>

ويسمي الفرنسيون الفترة الواقعة بين 1830 و1834 عهد التردد وقد كان للجيش الفرنسي فيها كامل الحرية للتحكم في الوضع، وخلال هاته الفترة قدمت لجنة تحقيق تعرف باللجنة الإفريقية تقريرا واستنكرت فيه تصرفات الجيش الفرنسي في الجزائر بهذه العبارات: "لقد حططنا... ممتلكات المؤسسات الدينية... وجدنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام، وأخذنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض، وذبحنا أناسا كانوا يحملون عهد الأمان..."<sup>5</sup> ورغم ذلك أوصت بإبقاء الجزائر ملكا لفرنسا وإيرادتها بواسطة حاكم عام عسكري، وقد أصدرت الحكومة 22 جويلية 1834 قرارها المشهور بإنشاء منصب حاكم عام عسكري ليدير الممتلكات الفرنسية في إفريقيا الشمالية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص18.

<sup>2</sup> - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص102.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان بن محمد الجليلي: تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ط2، ص420.

<sup>4</sup> - يحيى بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، طبعة خاصة، ص07.

<sup>5</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص20.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص20.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

ولهذا السبب عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على تبني الاستعمار الرسمي والتوسع فيه ودعمه بالإمكانات اللازمة فأخذت تهجر على نفقتها الأوروبيين من فرنسا وأوروبا إلى الجزائر وتقدم لهم الأراضي والمعونات المادية والفنية حتى يستطيعوا أن يقوموا بأعمالهم الفلاحية ويتأقلموا مع طبيعة البلاد ويثبتوا ويستقروا في أملاكهم ومزارعهم التي ملكت لهم<sup>1</sup>.

### 2- سياسة الاستيلاء على الأراضي

بمجرد استقرار الاحتلال الفرنسي بالجزائر حتى صادر مساحات واسعة من أراضي الجزائريين وادعى لنفسه حقوقا ليست له على أرض الجزائر، لذا تورطت الإدارة الاستعمارية فيما يسمى "لعبة التشريع" وتطويع القوانين لاستخدامها كأسلحة لنهب الأراضي<sup>2</sup>.

### 2-1- أنواع الملكية الجزائرية قبل الاحتلال

هناك أنواع من ملكية الأراضي كانت في الجزائر قبل وإبان الاحتلال في 1830 وهي كما يلي:  
(أ) أراضي العرش<sup>3</sup>: وهي ملكية جماعية للقبيلة<sup>4</sup>، إذ هي أراضي بور تقوم القبيلة باستغلالها على نحو مشاع بين الأفراد، إذ يقوم كل فرد باستصلاح أو زراعة قطعة من هذه الأرض ويصبح له حق خاص عليها، وهو حق ينتقل إلى ورثته من الذكور<sup>5</sup>.

(ب) أراضي الملك<sup>6</sup>: وهي عبارة عن ملكيات خاصة للأفراد.

(ج) أراضي البايلك<sup>7</sup>: عبارة عن ملكيات زراعية تابعة للدولة.

(د) أراضي الأحباس (الأوقاف): وهي ممتلكات دينية ذات منفعة جماعية وغير مملوكة فرديا<sup>8</sup>.

وكانت مختلف أنواع هاته الأراضي يجمعها هدف واحد وهو إنتاج المواد الغذائية من أجل ضمان الاكتفاء الذاتي<sup>9</sup>. وتنفيذا لسياستها أعلنت سلطة الاحتلال الفرنسي رغم تعهدتها باحترام ممتلكات الجزائريين على تكوين "قطاع أملاك الدولة" تحت اسم "الدومين" (Les domaines).

1- يحيى بوعزيز، سياسة التسلسل، المصدر السابق، ص 08.

2- إبراهيم مياسي: الاستيطان الفرنسي في الجزائر، مجلة المصادر، ع 05، الجزائر، 2001، ص 114.

3- المقصود بالعرش في الجزائر: القبيلة أو الأراضي التابعة لها وربما كانت الكلمة مشتقة من عرش في المكان أي أقام فيه، أنظر كتاب: مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة المجتمع، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص 17.

4- الطاهر بن خرف الله: التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للريف الجزائري، مجلة الذاكرة، ع 02، ربيع 1995، ص 149.

5- حسين بملول: القطاع التقليدي والتناقضات الهيكلية في الزراعة بالجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 120.

6- كانت توجد على الأخص في التل والمناطق الجبلية بالقبائل الصغرى ووحدات الصحراء وقرب المدن، أنظر: عميراي حميدة: السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)، دار القصب، الجزائر، 2007، ص 25.

7- تعد أجدود الأراضي لأنها مشكلة من البساتين والمروج والأراضي الخصب، أنظر: عميراي حميدة، السياسة الاستعمارية، المرجع السابق، ص 28.

8- عميراي حميدة، السياسة الاستعمارية، المرجع السابق، ص 121.

9- حسين بملول، المرجع السابق، ص 121.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

وقد ضمت إليه بموجب مرسوم 08 سبتمبر 1830 أراضي الحكام العثمانية من الدايات والباشوات والبايات وبعض الكراغلة<sup>1</sup> الذين قد أعادتهم طردا إلى تركيا<sup>2</sup>.

ولم تكتف الإدارة الفرنسية بالاستيلاء على هذه الأراضي بل سرعان ما مدت يدها إلى أراضي الحبوس أو الأوقاف الدينية وتحلى ذلك في قرار كلوزيل<sup>3</sup> الصادر في 7 ديسمبر 1830 المكمل لقرار 8 سبتمبر 1830 ونص على ضم كامل الأوقاف الإسلامية إلى قطاع أملاك الدولة وكذلك القرار الشهير لعام 1839 الأمر بمصادرة أراضي الجزائريين الذين ساندوا الأمير عبد القادر<sup>4</sup> عند استنفاه الجهاد في ذلك العام.<sup>5</sup>

وفي 01 جانفي 1844 أصدرت السلطات الفرنسية أمرية خاصة بالأوقاف والممتلكات العقارية والتي فحوها أن الأرض الغير مسجلة بعقد ملكية بعد 1830/07/05 وغير مستغلة تصبح تابعة لأملاك الدولة.<sup>6</sup> ولقد نجحت الإدارة الاستعمارية بفضل هذا القانون وغيره في إرساء اللبنة الأولى لمشروعها الاستيطاني والتوسعي، إذ أنها استولت على مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة لأن معظم الأراضي الجزائرية كانت ملكية مشاعة فالأعراس التي تقوم باستغلالها لا تملك أوراقا تثبت ملكيتها لهذه الأراضي،<sup>7</sup> وهذا ما أدى إلى فقد الجزائريين 200.000 هكتار دفعة واحدة.<sup>8</sup>

وعليه فمراسيم 1844 التي ابتكرت أسلوب نزع الملكية لعدم زراعة الأرض حاولت أيضا إدخال شيء من التنظيم على النظام العقاري وقد اعتبر الكثير من أراضي المرور ومن الحقول المستريحة أرض غير مزروعة.<sup>9</sup>

---

1- الكراغلة: هم الذين ينحدرون من أم جزائرية وأب تركي، أنظر: صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عصر الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (1814ق.م-1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 126.

2- إبراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 122.

3- كلوزيل: كان قائدا في الغزو على الجزائر من أوت 1830 حتى فيفري 1831، وحاكم عام من جويلية 1835 إلى فيفري 1837 وهو أب النظام المطلق أنظر:

Benjamin Stora : L'histoire de l'Algérie coloniale 1830-1954, ENALRahma, Alger, 1996, P120.

4- الأمير عبد القادر الجزائري: 1807-1882 هو عبد القادر بن محي الدين ولد ببلدة قيطنة من أعمال معسكر حفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه وكان مولعا بالفروسية والسلاح فصار عالما فاضلا، حج سنة 1241هـ/1825م هو ووالده وزار عدة عواصم عربية، وفي 1832 بايعه الجزائريون بالإمارة وقاد معارك كثيرة ضد فرنسا وفي 1834 أمضى معاهدة دي ميشيل مع فرنسا وفي 1837 أمضى معاهدة التافنة ومن أشهر معاركه معركة المقطع سنة 1835 واستأنف الجهاد سنة 1839 وبعد محاصرته وانتهزاه استسلم سنة 1847 وسجن في فرنسا حتى سنة 1852 ثم نفي إلى دمشق وتوفي بها للتوسع أكثر أنظر: نزار أباظة: الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994.

5- بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1962، دار المعرفة، الجزائر، 2000، ص158.

6- إبراهيم لونيبي: بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، 2013، ص08.

7- المرجع نفسه، ص08.

8- بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص158.

9- Charles Robert Ageron : Histoire de l'Algérie contemporaine 1830-1879, Que-sais-je ?, 7<sup>e</sup>edition, 1980, Paris, P21.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

كذلك نجد في 31 أكتوبر 1845 استعمال الماريشال "بيجو" (Bugeaut)<sup>1</sup> وسيلة أخرى لقهر المقاومة وهي إصدار قانون يجرد كل من يشارك في المقاومة أو رفع السلاح أو اتخذ موقفا عدائيا ضد الفرنسيين من أراضيهم وهناك قانون آخر أصدره بيجو في 21 جوان 1846 وقد نص على مصادرة الأراضي البور وكذا الأراضي العرشية التي جلا عنها أهلها.<sup>2</sup>

وقد أدى قانون جوان 1846 إلى إعطاء عناوين الملكية إلى الفرنسيين والأوروبيين بما قدره: 54.894 هكتار بينما استولت الدولة على 114.721 هكتار.<sup>3</sup>

كما نجد في 10 جوان 1851 تمت المصادقة على القانون المتعلق بالملكية في الجزائر وهذا القانون يؤكد "أن الملكية حق مصون للجميع بدون تمييز بين الملاك من الجزائريين والملاك الفرنسيين وغيرهم".<sup>4</sup> وقرار 30 أكتوبر 1858 الذي أخضع الأوقاف لأحكام المعاملات العقارية المطبقة على المسلمين واليهود وبذلك أدخل الوقف نهائيا في مجال التبادل العقاري حسب أحكام القانون الفرنسي.<sup>5</sup>

### **2-2- القانون المشيخي الشهير (Senatus-Consult) 1863**

الصادر في 22 أبريل 1863 ويهدف إلى "تدعيم الملكية في يد من يحوزها". أما الهدف المنشود فهو إحلال الملكية الفردية على مراحل حيث تنص المادة الأولى والثانية على مايلي: "الإعلان على أن قبائل الجزائر هي مالكة الأراضي التي تحوزها بشكل مستمر وتقليدي وبأي صفة كانت، كل عمل تقسيم أو استبعاد للأراضي يحصل بين الدولة والسكان الأصليين ويتعلق بملكية الأرض يعتبر مثبتا قانونيا...". ويعتمد إداريا وفي أسرع وقت ممكن إلى ما يلي:

- تعيين حدود أراضي القبائل

- إحلال الملكية الفردية بين أعضاء الدوار في كل مكان يعتبر فيه هذا الإجراء ممكنا ومناسبا،<sup>6</sup> وبذلك انتقلت

مساحات هائلة من الأراضي إلى السلطات الاستعمارية والكولون.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - بيجو: جنرال فرنسي عين والبا عاما على الجزائر خلفا للجنرال فالي سنة 1841 وظل في منصبه إلى غاية خريف 1847، طبق سياسة الأرض المحروقة ضد المقاومة الشعبية ويعتبر من أقوى جنرالات الحكم العسكري، أنظر: يحيى بوعزيز، سياسة التسلط المصدر السابق، ص7.

<sup>2</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص29.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص30.

<sup>4</sup> - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة، المرجع السابق، ص14.

<sup>5</sup> - بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص159.

<sup>6</sup> - عبد اللطيف بن أشنهو: تكون التخلف في الجزائر محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830-1962، تر: نجية من الأستاذة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص58.

<sup>7</sup> - الكولون: وهو في نظر العامة العمر المهاجر من أوروبا إلى الجزائر، الذي يعيش من خدمة الأرض ويستوطن الريف إلا أن لتعبير الكولون معنى أوسع فهو يشمل في آن واحد المزارع والفلاح المشتغل أيضا بتربية الحيوان، والبعض أطلق التسمية على الفلاحين الكبار من أصل أوروبي، أنظر: بن داهة عدة: الخلفيات الحقيقية للتشريعات العقارية في الجزائر إبان الاحتلال 1830-1870، أعمال الملتقى الوطني الأول للعقار في الجزائر، المنعقد بولاية معسكر يومي 20-21 نوفمبر 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص153.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

بلغت قرابة (6) ستة ملايين هكتار سنة 1866 منها 508000 هكتار من الأراضي الزراعية للكلون، وتحول كثير من الجزائريين من ملاكين إلى خماسين<sup>1</sup> في حقوقهم،<sup>2</sup> وعليه فإن نزع الملكية العقارية من أيدي الجزائريين وتفويتها للمعمرين، لم يتوقف أبداً على القوانين والقرارات التي اتخذت في هذا الشأن من 1844 إلى 1863 بل اعتمدت على القانون الروماني المناقض لمبادئ ومقاصد الفقه الإسلامي والهادف إلى تحرير الأرض من كل الحقوق والتبعات العرفية، تمهيدا للاستثمار الرأسمالي الزراعي فاعتبرت أن المراعي أرض موات وأن كل ملك مشترك هو بالضرورة مشاع وأن كل أرض تحمل أي قدر من الشجيرات هي غابة عمومية وبهذه الطريقة ترامت الإدارة على مساحة واسعة فتحتها لنشاط المعمرين بعد أن طردت منها أصحابها أو المتصرفين فيها منذ عقود.<sup>3</sup>

إن سقوط نظام الإمبراطورية الثانية واستسلام نابليون الثالث<sup>4</sup> وقيام نظام الجمهورية الفرنسية الثالثة والذي أطلق اليد الطولى للمعمرين في الجزائر لمواصلة سياسة نهب الأراضي.

### 2-3- التشريعات الاستعمارية الفرنسية لانتزاع الأراضي من 1870-1914

لقد تعرضت الجزائر على عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة لهجمة استعمارية شرسة سعت إلى إلحاق الجزائر كلية بفرنسا تمثلت وسائلها الكبرى في طرد الشعب الجزائري من أرضه وتوسيع مساحة المحاصيل النقدية<sup>5</sup> على حساب مساحات الحبوب.<sup>6</sup>

حيث تعتبر سنة 1870 سنة الاستيلاء الرسمي على الأراضي وذلك بظهور الجمهورية الثالثة وكان النظام الجديد صريح العداء للجزائريين وكان يعلن دائما أنه ضد سياسة الاعتدال التي كان نابليون الثالث يدعي فيها بأنه صديق الجزائريين،<sup>7</sup> حيث كانت سنتي 1870 و1871 حاسمتين في هذا المجال، إذ نجد أهم أسباب هذا السطو متمثلة فيما يلي:

- سقوط النظام الإمبراطوري الذي حد نسبيا من أطماع المستوطنين.<sup>8</sup>

1- الخماسين: الخماسة هم عمال الأرض بالحصول على الخمس من الإنتاج وهي فئة حاول الفرنسيون استعمارها في البداية ضد أصحاب الأرض الجزائريين ثم استغلهم الكلون، أنظر: ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص17.

2- بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص159.

3- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، (د.ت)، ص542.

4- نابليون الثالث: (شارل لويس نابليون بونابرت) ولد في باريس 1808 وتولى الإمبراطورية سنة 1858 إلى غاية 1870 وهو من طبق فكرة الحكم المطلق وفكرة المملكة العربية، توفي سنة 1873. أنظر:

Le petit Larousse illustré : Maury, Imprimeur.s.a.mahsheb, Paris, 2007, P1589

5- المحاصيل النقدية: ويقصد بها المحاصيل ذات القيمة الاقتصادية العالية التي تنتج من أجل تسويقها واستغلالها اقتصاديا وتدخل في الصناعة مثل القطن، المطاط، وحتى الصوف، والحرير. من الموقع الإلكتروني: <http://ar.wikipedia.org/wiki>: تاريخ الإطلاع: (2019/06/18)

6- بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص247.

7- حيث يقول نابليون الثالث في رسالته الشهيرة المؤرخة في 06 فيفري 1863: "إن الجزائر ليست مستعمرة خاصة ولكنها مملكة عربية". أنظر:

Ageron, histoire, Op Cit, P30-31.

8- بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص247.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

- تدفق هجرات جديدة من سكان فرنسا من منطقتي الألزاس واللورين.<sup>1</sup>  
وذلك في أواخر جوان 1871 بعد هزيمة فرنسا أمام بروسيا (ألمانيا) حيث مكنتهم الحكومة الاستعمارية من 100.000 هكتار من أراضي الجزائريين.<sup>2</sup>
- تطبيق قانون انتزاع الأراضي من المتعاونين مع الثوار عقابا لهم وطبعاً أغلب هاته الملكيات زراعية وكانت الثورات التي صودرت أراضي المشتركين فيها هي:
- ثورة المقراني في 14 مارس 1871 المتبوعة بعد ثلاثة أسابيع يوم 8 أبريل بثورة الشيخ الحداد في القبائل الصغرى والكبرى ثم ثورة واحة العمري سنة 1876 وثورة الأوراس سنة 1879 وثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى.<sup>3</sup>  
وقد تم ذلك بواسطة جملة من القرارات والمراسيم والقوانين أهمها:
- أ- **مرسوم 31 مارس 1871**: صدر بعد ثورة المقراني ونص على مصادرة ممتلكات القبائل النائرة ومنح بعضها للنازحين من الألزاس واللورين<sup>4</sup>، وتدعيماً لسياسة الإغتصاب نجد في نفس السنة أي سنة 1871 صرح "بريفوست برادول" (Prevost Paradol)<sup>5</sup> الناظر باسم الكولون أنه على الحكومة العمل على توسيع وتشجيع ملكية الأراضي لصالح الكولون وتشجيع الملكيات الصغيرة، وقد كانت هذه الآراء تتفق مع أقوال الجنرال "بيجو"<sup>6</sup> حيث صرح برادول قائلاً: "لا يجب أن نضع من الجزائر حقل نشاط لجيشنا ولكن أرض فرنسية مأهولة ويستحوذ عليها الفرنسيون ويزرعونها".<sup>7</sup>
- ب- **قانون 21 يونيو 1871**: تضمن منح 100.000 هكتار من الأراضي للنازحين من الألزاس واللورين الذين فضلوا الجنسية الفرنسية على الألمانية وقرروا الاستقرار بالجزائر،<sup>8</sup> فضلاً عن دعمهم بـ 400.000 فرنك بموجب قانون 15 سبتمبر الموالي، وكان ذلك تحت طائلة المصادرات التي كانت تخدم هدفين:

---

<sup>1</sup>- الألزاس واللورين: مقاطعات فرنسية استولت عليها ألمانيا من 1871 إلى 1919 ثم من 1940 إلى 1945 وتضم الولايات الحالية: Bas. Rhine Haut-Rhine. La maselle ; Le petite la rousse, op.cit, P1156.

<sup>2</sup>- Djamel Kharchi : Colonisation et politiques d'assimilation en Algérie 1830-1962, Imprimerie Casbah, Alger, 2004, P254.

<sup>3</sup>- حسين بملول، المرجع السابق، ص131.

<sup>4</sup>- بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص248.

<sup>5</sup>- بريفوست برادول: صحفي ورجل سياسة فرنسي، كان من المعارضين للإمبراطورية الثانية وصار سفيرا لبلاده في الولايات المتحدة الأمريكية، أنظر: بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الإحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج1، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر، 2008، ص360.

<sup>6</sup>- Djamel Kharchi, op.cit, p254

<sup>7</sup>- بن داهة عدة، الاستيطان والصراع، المرجع السابق، ج1، ص360.

<sup>8</sup>- بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص248.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

- قمع الانتفاضات المعادية للتواجد الاستعماري الفرنسي والحصول على الأراضي وأراضي العرش التي كانت بطبيعتها غير قابلة للبيع بصفة خاصة،<sup>1</sup> وفي هذا الصدد تخلت القبائل المنتفضة عن 444.406 هكتار لتعويض الأعمال الحربية أو كمصادرة.<sup>2</sup>

**ج- قانون فارنيي (Le loi Warnier) 1873 المعروف بقانون المستوطنين:** لقد حقق المستوطنون في عهد الجمهورية مطلباً من مطالبهم الكبيرة وهو فتح المجال لهم للدخول إلى أراضي العرش بواسطة قانون 26 جويلية 1873، هذا القانون أقام الملكية الفردية داخل الأراضي الجماعية التي بحوزة القبائل. وهذه الأراضي بقيت محافظة على صفتها كملكية جماعية حتى ذلك الحين، رغم ما تعرضت له من مساس بفعل إجراءات مرسومي 1844-1846 والمصادرات الجماعية وسياسة الحصر التي طبقها "راندون"<sup>3</sup> وإجراءات سيناتوس-كونسيلت 1863، رغم هذا بقيت أراضي العرش محافظة على صفتها الجماعية.<sup>4</sup> ونص خاصة على إخضاع قانون الملكية العقارية في الجزائر للقانون الفرنسي وإلغاء جميع القوانين العقارية القائمة على الشريعة الإسلامية أو العرف المحلي نهائياً، وإعادة التأكيد على حيافة الجزائريين عقود ملكية للإعتراف لهم بملكيتها وقد استهدف المشرعون الفرنسيون بذلك إزالة ما تبقى من العقبات التي تحول دون انتقال الأراضي إلى المستوطنين وتسهيلها بالشراء وبمختلف المساومات.<sup>5</sup>

ومن أهداف هذا القانون الهامة نذكر:

- الضغط على الفلاحين الجزائريين حتى يتنازلوا على أراضيهم.

- إمكانية تفضيل حصول الأوروبيين على الأراضي الصالحة للزراعة.<sup>6</sup>

- وكذلك من نتائجه تمكين المعمرين من الحصول على الأراضي بأثمان بخسة.<sup>7</sup>

ونلاحظ أن القوانين الصادرة من 26 جويلية 1873 (قانون فارنييه) إلى غاية 22 أبريل 1887 سمحت

للمعمرين بالاستيلاء على 400.000 هكتار.<sup>8</sup>

ولقد اصطدم هذا القانون بجدار الرفض حيث لم يتقدم العديد من الفلاحين لاستلام عقودهم، بينما دفنها البعض الآخر أو ضيعوها وكان الجزائريون ينظرون بسخرية إلى أعوان المسح (مسح الأراضي).<sup>9</sup>

1- صالح عباد: الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص111.

2- عبد اللطيف بن أشنهو، المرجع السابق، ص86.

3- راندون: جاك لويس (1795-1871) عسكري سياسي فرنسي حاكم عام للجزائر عام 1857 وفي عهده توسع الاحتلال الفرنسي جنوب الجزائر، أنظر: بن داهاة عدة، الاستيطان والصراع، المرجع السابق، ج1، ص495.

4- صالح عباد، المرجع السابق، ص113.

5- بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص248.

6- الطاهر بن خرف الله، المرجع السابق، ص151.

7- أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست: الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطمبولي رابح، منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت)، ص347.

8- Benjamin Stora, Op.cit, p 27.

9- شارل روبير أجيريون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، تر: م، حاج مسعود وع، بلعربي، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص186.



## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

**د- قانون 1887 المكمل لقانون فارنبي** اشتمل خاصة على بيع الأراضي الجزائرية المشاعة (الجماعية) في المزد العلي للأوروبيين دون اشتراط الإقامة فيها،<sup>1</sup> ونجد أن السبب لصدور هذا القانون هو أن قانون فارنبي لسنة 1873 والذي هو أيضا يعتبر معدل لقرار مجلس الأعيان (السيناتوس كونسيلت) لسنة 1863 الذي يتضمن ثلاثة عمليات. إذ لم يحتفظ قانون فارنبي إلا بالعملية الأخيرة وهي تشكيل الملكية الفردية أما العمليتان الباقيتان فقد رفضتا لأنهما استغرقتا وقتا طويلا، بيد أن قانون 1873، على الرغم من جذريته لم يوفر كثيرا من الأراضي للمستعمرين لقد نظم قانون 1887 تطبيق قرار مجلس الأعيان لسنة 1863 على القبائل التي لم يطبق عليها قبل 1870، لقد استأنف إذا العملية الأولى والثانية، تحديد أراضي القبائل، وتوزيع القبائل على دواوير،<sup>2</sup> وهما عمليتان ضروريتان لتطبيق قانون فارنبي. أما نتائجه على الفلاح الجزائري، فيمكن استخلاصها من نص رسالة أرسلها أحد موظفي مصالح التسجيل العقاري إلى الحاكم العام حيث قال: "... أن هذا القانون قد أثر على القبائل حيث أن أفرادها قد أصبحوا تحت وطأة الحرمان وجردوا من أراضيهم من قبل مضاربين تعاملوا معهم بقروض ربوية باهظة"<sup>3</sup>.

**ه- قانون 16 فبراير 1897:** وهو القانون الذي أزال آخر العقبات التي كانت تعترض تفتيت الملكية الجماعية الجزائرية،<sup>4</sup> وبالفعل تضمن القانون صنفين من المواد المتباينة في توجهها إن لم نقل متناقضة، حيث يمكن تصنيف بعضها في خانة المواد المؤيدة للاستيطان وهي التي كانت تهدف إلى تأسيس إجراء "التصفية الجزئية"<sup>5</sup> الذي يمكن للجزائريين والأوروبيين أن يلتمسوه كإجراء اختياري، حدد له ثمن معلوم وبهذا يكون تسليم عقد الملكية الجديد بمثابة تصفية مطلقة لجميع الحقوق السابقة، والحصول على رفع اليد من كل تظلم محتمل يلغي جميع الأوضاع السابقة ومن شأن هذا الإجراء أنه يضع العقارات المعنية بالأمر تحت طائلة القانون الفرنسي.<sup>6</sup>

**و- قانون 13 سبتمبر 1904:** انصبت مجهودات الاحتلال الفرنسي للجزائر فيما بين 1890-1904 على العمل بكل قوة وعزم على فرنسة الأراضي الجزائرية، وتحقيقا لهذا الغرض جاء قانون 13 سبتمبر 1904 ليتمكن الكولون من الاستئثار بالأرض وامتلاكها.

<sup>1</sup> - بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 249.

<sup>2</sup> - هوارى عدي: الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1832-1920، تر: جوزيف عبد الله، ط1، دار الحدائق، بيروت، 1983، ص 66.

<sup>3</sup> - بشير بلمهدي علي: السياسة العقارية الاستيطانية الفرنسية اتجاه الوقف أو الحبوس في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني الأول، المرجع السابق، ص 228.

<sup>4</sup> - بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 249.

<sup>5</sup> - التصفية الجزئية: لقد سمحت هذه التصفيات الجزئية المنصوص عليها في العنوان 03 من قانون 1873 للمشتريين الأوروبيين بالحصول على 103.746 هكتار. أنظر: شارل روبير آجرون، الجزائريون المسلمون، المرجع السابق، ص 219.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 219.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

نجد مثلا في المادة الرابعة منه أن الفرنسيين ذوي الأصل الأوروبي وكذا الأوروبيين المتجنسين الذين يتمتعون بحقوقهم المدنية ولم يسبق لهم أن استفادوا من قطعة أرض سابقا، لهم الحق وحدهم في الحصول على مساحات أرضية تمنح لهم مجانا أو بما يعادلها من القيمة.<sup>1</sup>

كل هذه القوانين أدت إلى ارتفاع مساحة الأراضي الزراعية التي يملكها المستوطنون دون حساب أملاك الدولة وأملاك البلديات وحسب الجدول أدناه نلاحظ تطور المساحات المزروعة بتطور تعديل القوانين.<sup>2</sup>

السنة	أراضي المستوطنين بالهكتار
1870	565.000
1880	1.245.000
1900	1.682.000
1914	2.123.000

### جدول 01 يوضح تطور المساحات المزروعة بتطور تعديل القوانين.

وجاء قانون الغابات الصادر في أعوام 1874 و1885 و1903 وحرّم على الجزائريين استغلال الغابات وفرض عليهم عقوبات غاية في التعسف والصرامة في حالات الحرائق.<sup>3</sup>

إذن استخدم الفرنسيون القانون الذي يفترض فيه أن يحمي الحقوق ليعتدوا على حقوق الجزائريين في سلسلة من التشريعات الجائرة التي لم يكن الهدف منها تنظيم الملكية العقارية كما يقول الفرنسيون، بل الاستيلاء على أخصب الأراضي لتوزيعها على المستوطنين الفرنسيين الذين يتزايدون.<sup>4</sup>

وأن الأراضي الخصبة تتركز في التل حيث نجد 98 بالمائة من الأراضي التلية قد سلبت، فتطبيق القوانين الفرنسية للملكيات الفردية للأراضي رافقها برنامج تفكيك القبائل الجزائرية.<sup>5</sup>

### 3- الاستيطان

لقد شكل التوسع العسكري مع التوسع المدني في الجزائر سياسة استيطانية متميزة في الجزائر، حيث تزامنت هجرات فرنسية وأوروبية مع توسعات العسكريين، وقد كان وراء عملية الاستيطان أكثر من طرف رسمي فرنسي وعقائدي

<sup>1</sup> - بن داهة عدة، الاستيطان والصرع، المرجع السابق، ص 249.

<sup>2</sup> - بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 249.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 248.

<sup>4</sup> - ابراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ، المرجع السابق، ص 117.

<sup>5</sup> - Benjamin Stora, op.cit, p 27.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

أوروبي،<sup>1</sup> ولذلك تعرض القطر الجزائري إلى موجة كثيفة من المستوطنين الأوروبيين، كان من نتائجها أن بليت الجزائر بما يعرف " بالاستعمار الاستيطاني".<sup>2</sup>

يقول بريغوست بارادول في كتابه "فرنسا الجديدة" "... لقد آن أوان سن سياسة ترمي إلى إعطاء الأسبقية إلى المصلحة العليا لبلادنا وسن قوانين يكون هدفها الوحيد توسع الاستعمار الفرنسي... ولكن يجب أن تكون هذه البلاد أرضا فرنسوية يعمرها الفرنسيون في أقرب وقت ممكن ويملكونها ويحراثونها حتى تصبح بجانبنا قصد تسوية المشاكل العالمية..."<sup>3</sup>

### **1-3- حركة الاستيطان الأوروبي بالجزائر:**

حيث مرت بمرحلتين رئيسيتين:

أ- مرحلة الاستيطان الحر 1830-1840م.

ب- مرحلة الاستيطان الرسمي 1840-1947م.

ففي المرحلة الأولى عمل كل من العسكريين والمستثمرين الأثرياء على شراء الأراضي الواسعة الخاصة بالجزائريين، أما المرحلة الثانية، فتميزت بالمساعدات المادية والمعنوية من قبل الدولة للمهاجرين الأوروبيين إلى الجزائر.<sup>4</sup> ففي سنة 1832 كان عدد الأوروبيين يبلغ 5000 نسمة تقريبا وفي سنة 1839 أصبح هذا العدد 25 ألف نسمة، حيث كانوا لا يتعدون حدود المدن، ولكن ما بين سنتي 1840 و1845 تأسست مراكز الاستعمار في الساحل والنتيجة وسهول وهران وعنابة وسكيكدة.<sup>5</sup>

حيث ازداد عدد المعمرين إلى 28 ألف سنة 1840 إلى أكثر من 110 ألف سنة 1848 من بينهم 52 ألف

فرنسي.<sup>6</sup>

فهاته الحركة الاستيطانية لم تتم بسلاسة بل كانت عملية اغتصاب تمت بمنتهى القسوة والعنف لإحلال العنصر الأجنبي الأوروبي في الجزائر، ففي خطاب ألقاه الجنرال "بيجو" في مجلس النواب بتاريخ 16 يناير 1840 قال "إننا في حاجة إلى جحافل الدهماء من المعمرين الفرنسيين والأوروبيين ولكي تجلبوهم فمن اللازم عليكم أن تعطوهم أراضي

---

<sup>1</sup> عميراوي حميدة وآخرون: آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص45.

<sup>2</sup> الاستعمار الاستيطاني: وهو أخطر أنواع الاستعمار حيث يقوم على النمط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وهذا نظرا لتوافره على تكامل بنوي من خلال ثلاثة عوامل هي: 1- امتداد النفوذ من قوة الدولة الأم 2- الاحتلال العسكري 3- الهجرة الاستيطانية، أنظر: عميراوي وآخرون، آثار السياسة، المرجع السابق، ص32-33.

<sup>3</sup> فرحات عباس: ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، منشورات الجزائر للكتب، الجزائر، 2011، ص51-52.

<sup>4</sup> الجمعي خمري: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2002/2003، ص27-28.

<sup>5</sup> فرحات عباس، المصدر السابق، ص66.

<sup>6</sup> صلاح العقاد: المغرب العربي، مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة، 1969، ط3، ص146.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

خصبة لا يطير غبارها أينما وجدتم مياه متدفقة وأراضي خصبة ومراعي ترعى أنزلوا بها المعمرين ولا يهتمكم أمر أربابها، يجب توزيع هذه الأراضي للأوروبيين حتى يصبحوا أربابها وأصحابها... ويصير أربابها الأولون نسيا منسيا..."<sup>1</sup>

فبعد إعلان النظام الإمبراطوري في فرنسا في نوفمبر 1852 تقرر تهجير 100 ألف أوروبي من المجرمين والمعارضين لسياسة النظام الإمبراطوري لتتخلص من مشاكلهم، واعتمد المجلس الوطني الفرنسي 50 مليون فرنك لإنشاء مراكز ومستعمرات استيطانية، وتم تخصيص أراضي للمهاجرين من 2 إلى 20 هكتار ومنازل وحيوانات وآلات وبلغ عدد القرى الاستعمارية التي أنشئت بين أعوام 1851-1857 (68) قرية.<sup>2</sup>

وبهذا دخلت علاقة الجزائريين برجال الاستيطان مرحلة جديدة تمثلت في المصادرة الأوروبية والمقاومة الجزائرية لها إذ صار العدد الإجمالي للمهاجرين الأوروبيين في الجزائر كلها كما في الجدول التالي:<sup>3</sup>

السنة	المهاجرين	% نسبة الزيادة
1851	132708	/
1853	142379	7.28
1854	151712	6.55
1855	155607	2.56
1856	158282	1.72
1857	180471	14.02
الزيادة لمدة 06 سنوات	47764	35.99

### جدول رقم 2: تطور عدد المهاجرين

وكان لهذه الهجرة الأثر الفاعل في توجيه سياسة الاستعمار الاستيطاني في الجزائر، حيث أسهمت في تراكم رأس المال الناتج عن زراعة الحبوب.<sup>4</sup>

وكان لتوسع حركة الاستيطان الفرنسي في الجزائر عوامل ساهمت في ذلك من بينها:

- هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في حرب 1870 وما نتج عنها من تهجير سكان الألزاس واللورين.

- قانون كريميو<sup>5</sup> الذي أعطى الجنسية الفرنسية لليهود سنة 1870.

<sup>1</sup> - فرحات عباس، المصدر السابق، ص 54.

<sup>2</sup> - يحيى بوعزيز: كفاح الجزائر من خلال الوثائق، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، الجزائر، طبعة خاصة، ص 120-121.

<sup>3</sup> - عميرايو حميدة وآخرون، آثار السياسة، المرجع السابق، ص 46.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 47.

<sup>5</sup> - كريميو: أدولف كريميو (1796-1880) هو شخصية سياسية فرنسية من أصول يهودية ماسونية، كان من أكبر المناصرين للوجود اليهودي في الجزائر، مارس الحمامة 1828 استقر في باريس 1830 عضو في الحكومة المؤقتة 1848 وزير العدل 1848 ثم وزيرا للعدل (1870-1871) نائب بمجلس الشيوخ (1880/1875) زار الجزائر سبع عشرة مرة. أنظر: عبد الوهاب بن خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار طلبة، الجزائر، 2009، ط1، ص 60.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

- قوانين وإجراءات مصادرة الممتلكات والأراضي.
  - دور الصحافة والكنيسة في تشجيع الهجرة نحو الجزائر بالدعاية لها.<sup>1</sup>
- وتضاعف عددهم بعد ظهور الجمهورية الثالثة سنة 1870 مثلما هو مبين في الجدول الآتي خلال سنوات معينة.<sup>2</sup>

العدد	السنوات
245500	1870
376800	1880
500900	1890
610000	1900
792000	1911
946000	1921

### جدول رقم 3: تطور عدد المستوطنين

ونتج عن هذه الهجرات بناء قرى استعمارية استيطانية حيث تم بناء قريتين فقط على المستوى الوطني سنة 1835 واحدة بعمالة قسنطينة والثانية بالجزائر الوسطى، لكنه بداية من سنة 1850 تم بناء 126 قرية استعمارية ثم ارتفعت إلى 558 لتصل إلى 736 سنة 1890 و 794 سنة 1920 و 928 سنة 1929.<sup>3</sup>

### 3-2- علاقة المستوطنين بالجزائريين:

إذا كان الجيل الأول للمستعمرين أقل وطأة على الجزائريين المسلمين فإن جيل نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد سيطرت على مواقفه تجاه الجزائريين الدوافع الاقتصادية والسياسية، ومن ثم أصبح أفرادهم يعارضون كل بادرة إصلاحية تظهر في ساحة الجزائريين المسلمين ويعلمون هذه الاعتراضات بأن الجزائريين قاصرون بالفطرة فلا يمكن أن يساسوا إلا بطريقة الشدة.<sup>4</sup>

ويمكن للمرء أن يقف على النزعة العنصرية للمستوطنين الأوروبيين تجاه المسلمين بالإطلاع على مختلف الكتابات الفرنسية، حيث قال شارل أندري جوليان في كتاب "إفريقيا الشمالية في سيرها"، "ليس للمعمر أي وعي سياسي، تراه يثور من جهة على الدولة كلما بدا له أنها تهدد إمتيازاته، ولا يتورع من جهة أخرى عن طلب مساعدتها بعنف وصخب

<sup>1</sup> - عمراوي حميدة وآخرون، آثار السياسة، المرجع السابق، ص47.

<sup>2</sup> - René Arrus : L'eau en Algérie, O.P.U, P.U.G, 1985, p32.

<sup>3</sup> - Ibid, p33.

<sup>4</sup> - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص30.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

كلما حلت به أزمة تلك الأزمة التي يرمي مسؤوليتها على الدولة نفسها أما في سياسته إزاء الجزائريين فإنه معارض كل المعارضة لكل إصلاح وذلك بإصرار جنوبي".<sup>1</sup>

### **3-3- نتائج سياسة الاستيطان على الجزائريين:**

كان لسياسة الاستيطان الأوروبي بالجزائر آثار سيئة وخيمة العواقب في ميادين مختلفة على الجزائريين،<sup>2</sup> فقد تم تحطيم العائلات الجزائرية الكبرى التي كانت تمثل قيادات المجتمع الجزائري، روحيا وماديا بل وحتى إداريا واجتماعيا وسياسيا ومزق المجتمع الجزائري شر ممزق وشرذ وأفقر.

- تحطيم البرجوازية الجزائرية داخل المدن المؤلفة من التجار والحرفيين والقضاة والمتقنين ومزاحمتهم من قبل الجالية الأوروبية التي كانت تتصف بالشراسة في ميدان الاقتصاد.

- تحطيم الفلاحين الجزائريين وانتزاع ملكياتهم الزراعية، حيث أصبح مردودهم الزراعي ضعيف وإتلاف كبير لثرواتهم الحيوانية بسبب حصر أراضي الرعي والغابات.<sup>3</sup>

- اختلال اجتماعي واقتصادي وتراجع الدخل الفردي السنوي للجزائري.

- صار أكثر من 82 بالمائة من الجزائريين يقطنون الأكواخ القصدية أو البنايات القديمة المجاورة لبنايات المعمرين العصرية التي تحيط بها مساحات خضراء.<sup>4</sup>

وقد نتج عن هذه السياسة تطبيق سياسة إدارية متميزة في الجزائر بأن أحدثت السلطة الفرنسية ثلاثة أجهزة إدارية هي الأول عسكري والثاني مدني والثالث مزدوج.<sup>5</sup>

### **المطلب الثاني: السياسة الإدارية والقضائية**

لقد اتبع الفرنسيون سياسة الإحتلال الكامل والإدارة المباشرة في الجزائر منذ الوهلة الأولى وشرعوا في إحداث تغييرات شاملة على تنظيم وسير الإدارة في الجزائر وعلى الجانب القضائي، الذي كان أيضا يعتبر أهم سلطة تسيير وتحكم المجتمع الجزائري آنذاك.

### **1- السلطة السياسية والتقسيمات الإدارية**

ولعل أبرز ما أبقى عليه الفرنسيون من النظم السابقة في الجزائر تقسيم البلاد إلى ثلاث عمالات حتى سنة 1956م وهو نفس التقسيم الذي كان سابقا قبل 1830م مع فروق متميزة بالطبع بين المؤسسات التقليدية والمؤسسات الجديدة من حيث التطور والتنظيم،<sup>6</sup> ومن جهة أخرى ففرنسا قد مرت بعدة أنواع من نظم الحكم إلا أن الجزائر قد عاشت تحت نوعين فقط من نظم الحكم هما:

<sup>1</sup> - فرحات عباس، المصدر السابق، ص 87.

<sup>2</sup> - يحي بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص 45.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص ص 47-48.

<sup>4</sup> - عمراوي حميدة وآخرون، آثار السياسة، المرجع السابق، ص 49.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 46.

<sup>6</sup> - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 03.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

النظام العسكري من 1830 إلى 1870، والنظام المدني منذئذ إلى غاية استقلال الجزائر،<sup>1</sup> ويأتي الحاكم العام على رأس هرم السلطة في الجزائر فهو يمثل الحكومة الفرنسية في الإقليم الجزائري ويستمد سلطاته من وزير الداخلية، وله صلاحيات واسعة حيث يجمع بين يديه كل السلطات السياسية والإدارية والعسكرية ويساعده في ذلك كاتب عام ومجلسان.<sup>2</sup>

أما في المرتبة الثانية فيأتي عامل العمالة (Préfet) الذي يعين من قبل الحاكم العام نفسه ويساعده موظفان برتبة "كاتب العمالة" أحدهما مختص بالإدارة العامة وثنائهما "بالشؤون الأهلية" وكلاهما فرنسي الجنسية، وللعامة مجلس عمومي منتخب وأقسام إدارية وميزانية خاصة.<sup>3</sup>

حيث قسمت الجزائر إلى ثلاث ولايات تمت المراقبة المباشرة للحاكم العام وكل ولاية قسمت إلى دوائر والدوائر إلى بلديات.<sup>4</sup>

أما أنواع البلديات الثلاث فهي:

بلديات ذات صلاحيات كاملة، أغلب سكانها من المستوطنين ويتم انتخاب مجلسها ورئيسها، وتشمل المدن والقرى الساحلية،<sup>5</sup> وبلغ عددها سنة 1954 حوالي 183 بلدية.<sup>6</sup>

وبلديات مختلطة حيث عدد المعمرين قليل ولا تخضع لقانون الانتخابات البلدية ورئيسها يكون متصرف إداري يعين من قبل الحاكم العام، وكان عددها حوالي 78 بلدية،<sup>7</sup>

والنوع الأخير وهي البلديات الأهلية والتي تقع بالمناطق العسكرية بالجنوب الجزائري وكان يرأسها ضابط عسكري ويساعده القايد،<sup>8</sup> وبلغ عددها سنة 1954 حوالي 63 بلدية مع قلة أو انعدام وجود العنصر الأوروبي فيها.<sup>9</sup>

### **1-1- المجالس التمثيلية**

عرفت البلاد الجزائرية في عهد الاحتلال الفرنسي أنواعا مختلفة من التنظيمات الإدارية وشهدت تسجيل مجالس مختلفة منها ما يختص بمصالح الناحية كلها كمجالس العمالات، ومنها ما يختص بالحالة الجزائرية أو يدير الميزانية كالمجالس المالية، ومنها ما يهتم بنشاطات معينة كالغرف الفلاحية والتجارية.<sup>10</sup>

<sup>1</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص19.

<sup>2</sup> - الجمعي خيري، المرجع السابق، ص04.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص04.

<sup>4</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص20.

<sup>5</sup> - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص14.

<sup>6</sup> - الجمعي خيري، المرجع السابق، ص05.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص7.

<sup>8</sup> - القايد: وظيفة عتيقة استعملها الأتراك لسيط نفوذهم على المناطق البعيدة على مراكز العمران وحافظ الفرنسيون على استمرارها لاستعمالها لنفس الغرض.

أنظر: Cherif Benhbilis : Algérie française vue par un indigène, FANTANA, Alger, 1914, pp64-70.

<sup>9</sup> - الجمعي خيري، المرجع السابق، ص16.

<sup>10</sup> - المرجع نفسه، ص10.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

أما الأرياف فقد كانت تحكم بواسطة المكاتب العربية (Bureaux Arabes) منذ 1848 التي يرأسها ضابط عسكري ويساعده في ذلك بعض الأهالي حيث تمارس مسؤوليات: الحراسة، المراقبة، والتوجيه السياسي والديني والمالي والعسكري والإداري<sup>1</sup>.

### 1-2- السياسة الفرنسية بالجزائر في عهد الجمهورية الثالثة من 1870 إلى 1930:

على إثر سقوط نظام نابليون الثالث والإمبراطورية الثانية ونظامها في صيف 1870، أصبح للمستوطنين الأوروبيين اليد الطولى إثر تخلصهم من نظام الحكم العسكري، وكان إعلان الجمهورية في 04 سبتمبر 1870، انتصارا لهم وقد صادق البرلمان الفرنسي يوم 09 مارس 1871 على مرسوم أهم ما جاء فيه:<sup>2</sup>

تقسيم الجزائر إلى إقليمين: شمالي مدني وجنوبي عسكري، ويحكم الإقليمين حاكم عام مدني واسع السلطات، ويحق للمستوطنين الأوروبيين انتخاب (09) نواب في البرلمان و(03) في مجلس الشيوخ وإنشاء مجالس استشارية تنظر في شؤون المستوطنين الخاصة.<sup>3</sup>

وبهذه الكيفية حقق المستوطنون أهدافهم السياسية وأحكموا سيطرتهم الكاملة على البلاد والأهالي وحولوا الجزائر إلى جمهورية فرنسية صغيرة لهم وحدهم.<sup>4</sup>

وقد أحس الجزائريون بالأخطار المحدقة وأحسوا بما ينتظرهم من المعاناة والإذلال من طرف هذه الجالية الأوروبية الحاكمة واليهود المتجنسين الماكريين، ولم يجدوا مخرجا لأزماتهم سوى الارتقاء في الثورات التي قامت في عام 1871 بزعامة المقراني<sup>5</sup> والحداد<sup>6</sup> والصباحية<sup>7</sup> الحدود الشرقية ومحى الدين<sup>8</sup> وأولاد خليفة<sup>9</sup> بتبسة وأولاد عيدون في الميليلة وبني مناصر<sup>10</sup>

1- يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المصدر السابق، ص163.

2- المصدر نفسه، ص33.

3- المصدر نفسه، ص34.

4- المصدر نفسه، ص35.

5- المقراني: وهو محمد بعد وفاة أبيه أحمد المقراني في 1853/07/04 عينه الفرنسيون باشاغا أعلن الثورة ضد الاستعمار في مارس 1871، بن داهة عدة، الاستيطان والصراع، المرجع السابق، ج2، ص ص 501-502.

6- الشيخ الحداد: بعد وفاة المقراني واصل الجهاد وهو في سن 80 سنة وهو من شيوخ الطريقة الرحمانية حيث استسلم هو وأبناءه في جويلية 1871، أنظر: العربي منور: تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص315.

7- الصباحية: هم فرسان كانوا في العهد التركي يتبعون الباي وبعد الاحتلال أصبحوا يتبعون جيش الاحتلال وقاموا بثورتهم في جانفي 1871 حيث اغتالوا ضباطهم الفرنسيين، أنظر: سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص52.

8- الأمير محي الدين: وهو ابن الأمير عبد القادر قدم إلى الجزائر سنة 1870-1871 لإعلان الجهاد ضد فرنسا وشارك في معركة عين الهماجة في مارس 1871 قرب تبسة ولكنه فشل وانسحب. أنظر: عبد الوهاب شلالي: نظرات فاحصة في تاريخ تبسة وجهاد أهلها في القرن 19م، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2006، ص59.

9- أولاد خليفة: فرع من فروع قبائل النمامشة في نواحي تبسة قامت بعدة انتفاضات ضد المستعمر الفرنسي في سنة 1871 منها بقيادة الأمير محي الدين بن عبد القادر وابن ناصر بن شهرة. للمزيد من الإطلاع أنظر: عبد الوهاب شلالي، المرجع السابق.

10- بني مناصر: من 14 جويلية إلى 21 أوت ثار أهل بني مناصر بمنطقة شرشال ومليانة ضد المحتل، حيث وقعت معركة أولاد البلاع بجبال شناوة في 25 جويلية 1871 أنظر: محمد الشريف ولد الحسين: من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال 1830-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2010، ص6.



في حجوط ومليانة وشرشال.<sup>1</sup>

وطبقت السياسة الفرنسية بصفة جائزة وحاقدة مما جعل النائب الفرنسي بوردو (Burdeau) يقول في تقرير له عام 1891 إلى البرلمان الفرنسي: "أن السياسة الفرنسية هذه سيئة وجائرة وخاطئة".  
وفعل مثله "جونار"<sup>2</sup> المدير السابق لدائرة الجزائر، فتصدى عام 1892 لفضح السياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر.<sup>3</sup>

### - قانون الأنديجينا (الأهالي) الزجرية (Les codes de l'indeginat)

وهو القانون الذي كانت تحاكم به فرنسا الجزائريين دون غيرهم وهو قانون سياسة الزجر والإرهاب ضد الجزائريين وتجاوزت كل حدود المنطق والمعقول فأصدرت يوم 28 جوان 1881 ما عرف بقانون الأهالي أو الأنديجينا<sup>4</sup> حيث يحاكم به الجزائريون المسلمون في المحاكم الزجرية التي تنكل بهم وتجردهم من أموالهم وتزج بمثقتفيهم وزعمائهم في السجون لأقل سبب ودون سبب.<sup>5</sup>

ومن الأمثلة على هاته القوانين الجائرة نذكر منها:

(1) تخويل للحاكم العام سلطة توقيع العقوبات الصارمة على الجزائريين دون محاكمة بدعوى حفظ الأمن وذلك بالسجن والتغريم.

(2) شرع مبدأ المسؤولية الجماعية عند حصول أي حادث في أي مكان وتطبيق العقوبات الجماعية.

(3) منع الجزائريين من التنقل بين الأقاليم والمناطق دون رخصة أو إذن من الشرطة<sup>6</sup> وهي عبارة عن سلسلة من العقوبات الزجرية لا صلة لها بالقانون العام حدد هذا القانون منها (41) مخالفة بالجزائريين وخفضت إلى 21 مخالفة عام 1891 واستمرت الإدارة الاستعمارية في تطويرها وتجديدها حسب الظروف والأحوال حتى تم إلغائها نظريا عام 1930 ولكن العمل استمر بها حتى قيام ثورة أول نوفمبر 1954.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص 34-35.

<sup>2</sup> - جونار: شارل جونار (Jounart) (1927/1857) سياسي ودبلوماسي فرنسي وعضو في الأكاديمية الفرنسية، شغل منصب حاكم عام في الجزائر عدة مرات المرة الأولى من 1900 إلى 1901 ثم من 1903 إلى 1911 وأخيرا سنة 1918، حاول إدخال مجموعة من الإصلاحات لإستمالة الجزائريين وفي هذا الإطار جاء قانون 15 ديسمبر 1900 المؤسس للوفود المالية، وقانون 04 فيفري 1919 المتضمن حصول الجزائريين على حقوق سياسة، أنشأ العديد من المنشآت ذات الطابع العمراني إسلامي مثل: بريد الجزائر العاصمة وثلاث مدارس إسلامية في الجزائر وتلمسان وقسنطينة. أنظر: Hassan Remaoun et autres : Dictionnaire du passé de l'Algérie de la préhistoire à 1962, DGRSDT/CRASC, Oran, PP264-266.

<sup>3</sup> - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص 37.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 48.

<sup>5</sup> - محمد علي دبوب: نخضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 1، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1965، ط 1، ص 26.

<sup>6</sup> - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص 48-49.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 48.

## 2- السياسة القضائية الفرنسية في الجزائر

وفي الميدان القضائي انتزع الفرنسيون شيئاً فشيئاً اختصاصات المحاكم الشرعية الإسلامية وحولوها إلى محاكم مدنية ابتداءً من 1841، وهكذا تحطمت أركان المجتمع الجزائري وتمزقت الروابط الاجتماعية سواء على نطاق القبيلة أو على مستوى الهيئات القيادية في المجتمع التي كانت تعتمد على الأصل أو المال أو الزعامة الدينية.<sup>1</sup> وقد نظر إلى الموضوع على أنه مسألة دين ودولة أو مسألة قضائية فقط ولكن الحقيقة أن الموضوع خرج عن ذلك في القرن الماضي، فقد تعلق بالهوية الجزائرية نفسها ممثلة في المحاكم الإسلامية واللغة العربية والأحكام الصادرة عن القضاة الذين كانوا يمثلون الاستمرارية والتراث، ومن الجانب الفرنسي كان الموضوع يتعلق بالسيادة، فالاحتلال يعني في نظر الفرنسيين احتلال الشريعة الإسلامية أيضاً وإدماج القضاء الإسلامي في القضاء الفرنسي وجعل القاضي الفرنسي هو السيد والقاضي المسلم هو التابع.<sup>2</sup>

وشهدت سنة 1841 انتزاع حق الحكم في الجنايات من يد القضاة المسلمين وبذلك فقد القضاة المسلمون حق إصدار الأحكام الردعية.<sup>3</sup>

وفي سنة 1854 تاريخ تأسيس أول محكمة صلح وأوجدت بالجزائر غرفة الاستئناف ومقرها الجزائر العاصمة ومحاكم الجنايات (Cours d'assis) خاصة بالأوروبيين ومجلس العقوبات (Cours criminel) ويتقاضى أمامه الجزائريون، وهناك المحاكم الابتدائية التي يتقاضى أمامها الأوروبيون والمحاكم الجزرية يتقاضى أمامها الجزائريون كما يخضع الجزائريون لقانون خاص بهم وهو قانون الأهالي.<sup>4</sup>

والحملة ضد القضاة قد استأنفت سنة 1854 ولكن الحاكم العام ديقيدون<sup>5</sup> وهو الذي أعطى لها سنة 1871 الإشارة الخضراء فهو صاحب المقولة الشهيرة: "إن القضاء هو أحد اختصاصات السيادة وعلى القاضي المسلم أن يختفي أمام القاضي الفرنسي فنحن المنتصرون وليكن ذلك معلوماً للجميع".<sup>6</sup>

لقد استمرت موجة الحرب ضد القضاء الإسلامي إلى التسعينات وكان المشرعون ينزعون من القضاة المسلمين باستمرار صلاحيتهم ففي 1883 صدر مشروع قانون يجعل هؤلاء القضاة مجرد أعوان للقضاة الفرنسيين وانتزعت منهم

<sup>1</sup> - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1981، ط1، ص44.

<sup>2</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج1، ص360.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص363.

<sup>4</sup> - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص16.

<sup>5</sup> - ديقيدون: وهو حاكم عام الجزائر من مارس 1871 إلى غاية جوان 1873 عينه رئيس الجمهورية الفرنسية السيد بيير وسبق له أن حكم المارتنيك وكان منحاز للكولون ومتحمس لتنفيذ برامجهم أنظر: ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ج1، ص432-433.

<sup>6</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج1، ص372.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

حقوق النظر في المسائل التجارية والمدنية بين المسلمين أيضا، ولم يبق للقضاة المسلمين سوى النظر في الأحوال الشخصية والميراث<sup>1</sup>.

ولعل المضحك المبكي في هذه المراسيم هي التي تمنح القضاة الفرنسيين حق حل الخلافات بين المسلمين وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية التي يجهلونها جهلا تاما، فقد وقعوا في مأزق كبيرة، مما دفع بمجموعة من نواب البلديات الجزائريين في منطقة قسنطينة إلى تقديم عريضة بتاريخ 10 أبريل 1891 إلى لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي برئاسة "جول فيري"<sup>2</sup> التي كانت تتحرى الأوضاع في الجزائر<sup>3</sup>.

ونلاحظ من خلال العرض السابق أن سكان الجزائر في العهد الاستعماري لا يتقاضون أمام محكمة واحدة، وليس لهم قانون واحد، وهكذا قد تم إحلال القضاء الفرنسي في الجزائر ضمن سياسة الإلحاق والدمج ومسح كل قديم مخالف في ذلك لكل الأعراف والقوانين الدولية.

### المطلب الثالث: السياسة الاقتصادية والاجتماعية

انتهج الاستعمار الفرنسي سياسة اقتصادية كانت موجهة لخدمة مصالحه وخدمة المستوطنين، سياسة رأسمالية ليبرالية، كان لها تأثير بالغ على الحالة الاجتماعية للجزائريين بشكل واضح وجلي.

#### 1- السياسة الاقتصادية:

وبمجيء الاستعمار الاستيطاني ظهرت في الجزائر سياسة اقتصادية متميزة ذات طابع رأسمالي ليبرالي، بعد أن كان النشاط الاقتصادي المحلي قائما على الفلاحة والرعي والصناعة الحرفية وتجارة القوافل وطبقت هذه السياسة الليبرالية في ظروف استثنائية، اتسمت بأزمات متعددة مثل الحروب بين سلطة الاحتلال والجزائريين، ومع ذلك كانت السياسة الاقتصادية الفرنسية من الأسس التي اعتمد عليها الاستعمار في عملية الاستيطان الواسع بالجزائر<sup>4</sup> وقد تمثلت هاته السياسة في عدة مجالات حيوية.

#### أ- من الناحية الفلاحية:

لقد كان للهجرة الأوروبية والفرنسية تأثير مباشر على فلاحه الأرض، وحسب غيسلان فإن الفلاح الأوروبي كان ينتج ثلاثة أصناف ما ينتجه الفلاح الجزائري.

ولم تنطلق الفلاحة الأوروبية في الجزائر بصفة قوية إلا في سنة 1840 وذلك بفضل سياسة "بيجو" (1847-1840) وبفعل ما أصدرته السلطة الفرنسية من قوانين<sup>5</sup> ويصنف بعض الباحثين والمؤرخين أمثال أجيرون الإنتاج الزراعي في عهد الاستعمار الفرنسي إلى صنفين: الأول هو إنتاج القطاع التقليدي والذي يمثله الجزائريون، ويركز على

1- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج1، ص 374.

2- جول فيري: 1831-1893 سياسي ووزير أول فرنسي من أشد أنصار الحركة التوسعية الفرنسية في إفريقيا، أنظر: الجمعي خمري، المرجع السابق، ص30.

3- محمد عبد الرحمان بسكر: فتح ذي القوة المتين ببيان بعض جهود العلماء المسلمين الجزائريين في المحافظة على اللغة العربية والوطن والدين، منشورات نالة، الجزائر، 2015، ص35.

4- عميرايو حميدة وآخرون، آثار السياسة، المرجع السابق، ص34.

5- المرجع نفسه، ص40.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

المنتجات المعاشية، كالحبوب والزيتون والمواشي، والصنف الثاني هو إنتاج القطاع الرأسمالي الأوروبي الذي يمثله الكولون ويركز على الكروم والحوامض والبواكر وغيرها.<sup>1</sup>

ولكن بعد 1870 ركزت السياسة الاستعمارية على زراعة مزدوجة القطاعات<sup>2</sup> يهدف نشاطها الاقتصادي إلى تصدير المنتجات الزراعية كالحبوب والحمضيات والكروم وكذلك زراعات لم تكن متطورة في الجزائر مثل التبغ والقطن لأن هذه المزروعات ستحقق للإدارة الاستعمارية أرباحا طائلة، ويذكر سعد الله<sup>3</sup> أنها سخرت وسائل إعلامها ووسائل قمعها أيضا لتوجيه الإنتاج الزراعي وجهة تخدم مصالحها العليا.

### ب- الناحية التجارية:

لقد كانت التجارة خاصة تجارة الاستيراد والتصدير يحتكرها يهود وفرنسيون والمحاولات الضعيفة التي قام بها بعض المسلمين الجزائريين في هذا الميدان قد اصطدمت بعداوة هذه الأوساط وعداوة الإدارة، فهذه الأخيرة قد امتنعت من بذل العملات التي طلبها المسلمون لاستيراد البضائع الأجنبية.<sup>4</sup>

وكان الساسة الفرنسيون يرون في استعمار الجزائر مسألة سياسية ومستقبلا تجاريا، لأن الجزائر في حوض البحر الأبيض المتوسط تعد بالنسبة لفرنسا عامل قوة وموازة يمثل قوة إنجلترا في مضيق جبل طارق ومالطا، وبفضل استعمار الجزائر تسهل السيطرة على بلاد كثيرة، وستكون فرنسا المستفيد الأكبر من التجارة العالمية وبهذا تكون الجزائر بالنسبة لفرنسا القوة التي تضمن بها مستقبلها أمام المنافسة الدولية.<sup>5</sup>

### ج- السياسة المالية:

لقد كانت مصادر التمويل في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي منحصرة في موردين اثنين الأول خارجي فيما عرف بجهاد البحر أو القرصنة، والثاني داخلي من الضرائب المتنوعة.<sup>6</sup>

وبمجيء الاحتلال دعا الكثير من الساسة الفرنسيين إلى فرض سياسة ضريبية ربوية نذكر منهم مترجم الجنرال "سانت آرنو".<sup>7</sup> "فارون" (Pharoun) الذي جاء في كتابه حلقة من الغزو (Episode de la conquête) قوله: "يجب أن نثقل كاهلهم بالضرائب المهقمة حتى تتعذر عليهم الحياة فلا يجدون ما يسدون به رمقهم..."<sup>8</sup> وقد كانت هناك نوعين من الضرائب هي:

<sup>1</sup> - شارل روبر أجيرون، الجزائريون المسلمون، المرجع السابق، ص304.

<sup>2</sup> - مزدوجة القطاعات: وتقصد بها القطاع التقليدي الذي يمثله الجزائريون والقطاع الفرنسي.

<sup>3</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج1، ص66.

<sup>4</sup> - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص80.

<sup>5</sup> - عميرواي حميدة وآخرون، آثار السياسة، المرجع السابق، ص38.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص44.

<sup>7</sup> - سانت آرنو: ولد سنة 1798 وشغل منصب وزير الحرب في فرنسا ونظم انقلاب الحكم في 1851، توفي سنة 1854، أنظر: Le petit Larousse

illustré, Op Cit,p1700.

<sup>8</sup> - بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص160.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

- **الضرائب العربية:** أهمها العشور والزكاة<sup>1</sup>، اللزمة<sup>2</sup>، ضريبة السخرة<sup>3</sup>، ضريبة الأكوخ والمسكن.

- **الضرائب العامة (الفرنسية):** ونجدها نوعين أيضا الضرائب المباشرة والضرائب الغير مباشرة ولذلك كانت نسبة مساهمة الجزائريين من مجموع قيمة الجباية عالية<sup>4</sup>.

كما نجد أن هناك إجحاف في الضرائب فبدل أن تكون الضريبة عقارية فقد أصبحت بالنسبة للعرب تشمل الماشية والأشجار المثمرة والأرض.

كما فرضت ضرائب بلدية ثقيلة على العرب الساكنين في الخيام وهي ضرائب لا ينتفعون منها بأي شيء، كما أن أملاك العرب قد أصبحت مثقلة بالرهن لأنهم يستلفون بالربا الفاحش، وإذا ما تحولت ملكية الأرض إلى ملكية خاصة [فردية] فإنها سريعا ما تؤخذ منهم لعدم قدرتهم على تسديد الديون مما سيؤدي إلى إفلاسهم<sup>5</sup>.

وقد دفع الجزائريون عام 1870 مبلغ 14 مليون فرنك ضريبة عربية و22 مليون فرنك ضرائب أخرى وفي أعوام 1885-1890 كانوا يدفعون سنويا مبلغ 4 مليون و8 آلاف فرنك وفي عام 1912 دفعوا مبلغ 45 مليون فرنك ضرائب<sup>6</sup>، واتضح في مطلع القرن العشرين أن الجزائريين كانوا يدفعون (46 بالمائة) من الضرائب المباشرة وذلك رغم أنهم لا يملكون سوى (37 بالمائة) من ثروات البلاد مع التحفظ على هذه النسبة التي تبدو عالية جدا<sup>7</sup>.

وبعد إصلاحات عام 1919م ألغيت الضريبة العربية على الجزائريين وانخفضت مساهمتهم في الضرائب إلى (16 بالمائة) من مجموع الضرائب مع التحفظ في هذه النسبة التي تبدو منخفضة كثيرا<sup>8</sup>.

### **د- السياسة الصناعية:**

كانت الصناعة الأوروبية تقوم على رأس المال وعلى الصناعة التحويلية والمنافسة الحرة وفائض الإنتاج والمنافاكتيريا<sup>9</sup> ولهذا حاولت سلطة الاحتلال استثمار مواردها في الجزائر برأس مال حر وبفلاحة شبه تحويلية صناعية كالقطن،<sup>10</sup> وقد

---

1- العشور والزكاة: تفرض على الحبوب والماشية وغيرها من الأموال العينية والنقدية، أنظر: بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص258.

2- اللزمة: وهي في الأصل ضريبة عثمانية استندت في الأساس للحفاظ على قوة الجماعة الإسلامية لتمويل الجيش في المناطق الريفية، وأبقى عليها المحتلون وتتكون من كميات محددة من المنتجات والمبالغ النقدية التي تدفع عن بعض الممتلكات كحيوانات الجر والحراث وغيرها، أنظر: المرجع نفسه، ص258.

3- ضريبة السخرة: كالحراسة الليلية دون أجر والحراسة ضد الحرائق والعمل في مزارع المستوطنين والمشاريع الاستعمارية دون مقابل، أنظر: المرجع نفسه، ص258.

4- بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص161.

5- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص24.

6- يحيى بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص54.

7- المصدر نفسه، ص55.

8- المصدر نفسه، ص55.

9- المنافاكتيريا: وهي ورشات صناعية أسرية منزلية وحررة يديرها مالك ومن دون مصنع.

10- عميرواي حميدة، آثار السياسة، المرجع السابق، ص39.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

أدت المصنوعات الأوروبية بكثرة متزايدة إلى إيقاف المصنوعات الجزائرية اليدوية وتخفيض الأسعار وحكم على الصناعات بالتخلي عن أماكنهم وإغلاق معاملهم.<sup>1</sup>

كما ركزت السياسة الصناعية على الصناعات المعدنية كالحديد والفوسفات والجبس والفحم واستخراج النفط، وبفضل حديد وفوسفات الجزائر لا تزال فرنسا إلى اليوم من الدول الصناعية الكبرى.<sup>2</sup>

كما رافقت هاته السياسة الاقتصادية إقامة مشاريع بداية من عام 1850م حيث انطلقت عملية بناء الطرقات بشكل موسع وكذلك السدود عام 1854م والسكك الحديدية سنة 1857.<sup>3</sup>

### 2- الحالة الاجتماعية

#### أ- الحالة المعيشية للجزائريين

بدا المستوى المعيشي متدنيا جدا، بسبب هيمنة وسيطرة الأقلية الأوروبية على أكبر الأراضي وأخصبها وعلى خيرات بلادهم ومصادر رزقهم من دون حق، حيث كان الأوروبيين يعيشون حياة مترفة، أما الفرد الجزائري فكان يعاني الأمرين ويعيش حياة الكفاف، وانتشر بين الجزائريين الفقر والعوز وظهرت بوادر المجاعات ابتداء من سبتمبر 1920 بسبب فقدان الجزائر خلال سنة أكثر من 50 مليون فرنك، لأن القمح كان يخرج بكميات كبيرة حيث صدرت الجزائر في سنة 1920 نحو 38603000 قنطار خلال الأشهر التسعة الأولى وبعد ذلك تم استيراده بسعر 240 فرنك للقنطار لقد وصلت الأزمة إلى أوجها فيما يخص إنتاج الحبوب وتجارتها وانعكاس هذا سلبا على الوضعية المعيشية<sup>4</sup>، وقبل هذا فقد ظهرت نكبات ومجاعات عديدة خلال القرن التاسع عشر منها نكبة 1847-1850 وتمثلت في الجفاف والقحط والجراد<sup>5</sup>، أيضا نجد مجاعة 1866-1868، حيث أجمعت جل المصادر التاريخية بما فيها جريدة المبشر<sup>6</sup> على أن السبب الأساسي في حدوث مجاعة 1866-1868 يتمثل في اجتياح الجراد لجل المناطق الجزائرية<sup>7</sup>.

ويعود السبب الرئيسي لهاته المجاعة إلى تحطيم الإنتاج الفلاحي والزراعي الجزائري من طرف قوات التوسع الفرنسية، وخاصة بعد صدور القانون المشيخي لسنة 1863 الخاص بالملكية الأرضية والذي كانت له آثار وخيمة على المجتمع الجزائري يضاف إلى ذلك الضرائب والغرامات الباهضة التي فرضت على الجزائريين.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830-1954، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص78.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص79.

<sup>3</sup> عبد اللطيف بن أشنهو، المرجع السابق، ص ص 104-107.

<sup>4</sup> Mahfoud Kadache : Histoire de nationalisme Algérien 1919-1939, EDIF Alger, 2<sup>e</sup> edition, 2003, PP19-25.

<sup>5</sup> ابراهيم لونيبي، بحوث في التاريخ، المرجع السابق، ص30.

<sup>6</sup> جريدة المبشر: صدرت سنة 1847 بأمر الملك فليب الفرنسي وتكتب بالعربية والفرنسية وهي صحيفة رسمية لمقاصد سياسية استعمارية وتصدر فيها التعاليم والقوانين الصادرة عن الولاية العامة. أنظر: محمد بن صالح ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847-1954، ألفا ديزاين للنشر، الجزائر، 2006، ط2، ص11.

<sup>7</sup> ابراهيم لونيبي، بحوث في التاريخ، المرجع السابق، ص42.

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص ص 42-43.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

كما كتبت جريدة (Le temps) الصادرة بتاريخ: 05 سبتمبر 1920 ما يلي "إن وضعية الأهالي مؤلمة ويمكن القول فعلا أن هناك من يموتون جوعاً"<sup>1</sup>، ووصف أحد أعضاء المنظمات الدولية ويدعى مارسيل أجريتو وضعية الجزائريين المزرية قائلاً: "إن مستوى المعيشة في الجزائر بالنسبة للجزائريين يعتبر أدنى مستوى في العالم".<sup>2</sup>

### ب- الأمراض والأوبئة وتأثيرها على المجتمع الجزائري:

عرف المجتمع الجزائري تذبذبا في نموه الديموغرافي بسبب الانتشار الكبير للأمراض الخطيرة والأوبئة الفتاكة كنتيجة حتمية للبؤس والجوع والفقر وانخفاض مستوى المعيشة، إضافة إلى انعدام الرعاية الصحية، فتحوّلت بذلك أحياء الجزائريين إلى حقول خصبة لظهور ونمو الأمراض المعدية كما أصبحت مناطق ممتوعة على الأوروبيين خوفا على أنفسهم من العدوى، هاته الأمراض كانت تحصد يوميا مئات الجزائريين وخاصة منها الأطفال الرضع، ومن بين هاته الأمراض التي انتشرت في أوساط المجتمع الجزائري وظهرت مع الاحتلال ومجيء المستوطنين نذكر: الحمى، الجدري، الكوليرا، أو التيفوس، الزهري، أمراض العيون والجرب، وقد تسببت معظمها في وفاة وهلاك الكثير من الجزائريين.<sup>3</sup>

### ج- الهجرة الجزائرية نحو الخارج:

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر تردت أوضاع المجتمع الجزائري وأدت به إلى الهجرة نحو المشرق وأوروبا ويمكن حصر أسباب هذه الهجرة فيما يلي:<sup>4</sup>

- الاستيلاء على أجود الأراضي إذ أنه خلال قرن من الاحتلال (1830-1929) كان الاستعمار الفرنسي قد بنى 928 قرية استيطانية ووزع ما يقارب 1.5 مليون هكتار على الأوروبيين، مما زاد في تفاقم الهجرة أن الأراضي المسلوقة قد حولت إلى إنتاج محاصيل تجارية استهلاكية تخدم حاجات الأوروبيين وبخاصة كروم الخمر.

- كانت الملاحقة العسكرية للثوار من أبرز أسباب الهجرة وبخاصة بعد ثورة المقراني التي أدت إلى مصادرة أراضي الذين أيدوا وتعاونوا مع قادة الثورة.

- موقف الدولة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية من الهجرة الجزائرية، إذ أنها منحت حق المواطنة الطبيعية فوق أراضيها لكل الجزائريين وفي كل الولايات العربية التي كانت تحت نفوذها وبخاصة بلاد الشام.

- أيضا فرار الشباب الجزائري من الخدمة العسكرية الإجبارية بموجب قانون 1912.<sup>5</sup>

- أيضا رفض الجزائريين لمحاولات التنصير التي قام بها لافيغري<sup>6</sup> لتحويل عقيدة الجزائريين إلى المسيحية... إلخ.

<sup>1</sup> - مباركة زيبيدي: الأوضاع الاجتماعية في الجزائر بين (1919-1954) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 2014/2013، ص 104.

<sup>2</sup> - رايح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط2، ص 91.

<sup>3</sup> - مباركة زيبيدي، المرجع السابق، ص 112.

<sup>4</sup> - عميرايو حميدة وآخرون، آثار السياسة، المرجع السابق، ص 50.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 51.

<sup>6</sup> - الكاردينال لافيغري: ولد في بايون [فرنسا] 1825 وانتقل إلى الجزائر وتولى أرشيدوق الجزائر سنة 1867 وكردينال الجزائر سنة 1889، أسس في 1868 مؤسسة الآباء البيض توفي سنة 1892. أنظر: Le petit Larousse illustré, Op. cit, p1503.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

- إن اتجاهات الهجرة كانت في اتجاهين هما: البلاد العربية الإسلامية إلى غاية 1914 وفرنسا منذ الحرب العالمية الأولى.<sup>1</sup>

حيث يذكر ناصر الدين سعيدوني أن عدد المهاجرين الجزائريين نحو المغرب الأقصى بلغ: 20000 مهاجر سنة 1907م، نحو تونس بلغ: 20000 مهاجر سنة 1907م، ونحو سوريا بلغ: 5342 مهاجر سنة 1911م. - كما غادرت نحو المغرب وسوريا سنة 1911م حوالي 1200 عائلة من تلمسان وتدفق المهاجرون الجزائريون نحو فرنسا منذ 1907 حيث بلغ عددهم 7000 مهاجر سنة 1912م،<sup>2</sup> وقد هاجر الجزائريون كذلك إلى كل من فلسطين وشبه الجزيرة العربية وتركيا وإيران وحتى إلى الهند.<sup>3</sup>

### **المطلب الرابع: السياسة التعليمية والثقافية والدينية**

بعد القرار التعسفي لسنة 1834 وهو إلحاق الجزائر بفرنسا واحتلالها احتلالا كاملا نتج عن هذا القرار المحو التام للكيان الجزائري مع كل ما تستلزمه هذه السياسة من نتائج: محو اللغة، والتاريخ والحكومة والرموز الوطنية الأخرى.<sup>4</sup>

### **1- السياسة التعليمية والثقافية**

اعتمدت فرنسا في سياستها التعليمية على إنشاء مدارس فرنسية، ولكن عند تطبيقها فعليا لم تفتح أبواب التعليم في وجه الجزائريين إلا في نطاق محدود جدا، وقد عرف التعليم الحكومي الفرنسي انطلاقته الحقيقية بصور مرسوم 13 فيفري 1883 الذي أقر إجبارية التعليم في الجزائر وجعله فرنسيا خالصا في اللغة والمناهج والتوجيه العام ونظام التعليم الابتدائي بتقسيمه إلى نوعين من المدارس أحدهما خاص بأبناء المستوطنين الأوروبيين، والآخر خاص بأبناء الجزائريين،<sup>5</sup> وقبل ذلك كان التعليم في الجزائر مزدهرا باعتراف الفرنسيين أنفسهم فلقد كتب الجنرال فاليري سنة 1834 قائلا: "بأن كل العرب الجزائريين تقريبا يعرفون القراءة والكتابة حيث هناك مدرستان في كل قرية".<sup>6</sup>

ولما استولى الفرنسيون على الأوقاف جردوا التعليم الجزائري من أهم موارده واختفاء المؤسسات التعليمية كان يعني اضطهاد اللغة الوطنية وهي العربية فقد اعتبرها الفرنسيون لغة أجنبية وميتة.<sup>7</sup>

كما قامت فرنسا باضطهاد العلماء وتشريدتهم وعزلهم عن العامة وقد هاجر المثات من علماء الجزائر والمثات من الأسر الشريفة التي كانت العمود الفقري في المجتمع الجزائري، فأفقرت الجزائر من العلماء فعم الجهل وساد الضلال.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - بشير بلاح، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 319.

<sup>2</sup> - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات، المرجع السابق، ص 40.

<sup>3</sup> - عميراي حميدة وآخرون، آثار السياسة، المرجع السابق، ص 52.

<sup>4</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 2، ص 57.

<sup>5</sup> - عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص ص 144-145.

<sup>6</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 2، ص 60.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 61.

<sup>8</sup> - محمد علي دبوب، المصدر السابق، ص 22.



## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

كما عملت الإدارة الاستعمارية على تجهيل الجزائريين فهدمت معظم المدارس وأغلقت الكثير وراقبت الباقي وفي عام 1870 كان هناك في كامل القطر الجزائري 36 مدرسة ابتدائية عربية وفرنسية و1300 تلميذ ومعهدان عربيان فرنسيان وثلاثة مدارس دينية.<sup>1</sup>

وكانت فرنسا تهدف من هذه السياسة إلى فرنسة وتنصير وإدماج الجزائريين من خلال استغلالهم في خدمتها، وهذا على حد تعبير مدير مدرسة المعلمين ويدعى "برنارد" حيث قال: "إن المدرسة الأهلية في شكلها الراهن وبعملها الخيري المزدوج ليست أداة تجديد خلقي فحسب، بل هي على وجه الخصوص أداة سلطة وسلطان ووسيلة نفوذ وسطوة وستخلق من رعايانا عضوا مفيدا جدا وساعدا مخلصا لفرنسا".<sup>2</sup>

وكما ذكرنا سابقا فإن فرنسا قامت بفصل تعليم الجزائريين عن تعليم الأوروبيين منذ عام 1883 حتى عام 1947، حيث تقرر إلغاءه ودمج المعلمين في تعليم واحد وهذا بسبب صدور قانون 20 سبتمبر 1947 الذي قرر المساواة بينهما وتصف جريدة البصائر<sup>3</sup> وضعية التعليم الفرنسي المخصص للجزائريين فتقول: "كان التعليم الفرنسي في الجزائر يسير على نظام استعماري قائم على أساس التفوق العنصري فكان يسمى التعليم الأوروبي والتعليم الأهلي، إذ سار الأول سيرا حثيثا وسار الثاني سيرا بطيئا، وإذا ما ظهرت إصلاحاته في برامج التعليم وطرق التربية... قهرها دعاة العنصرية والمصلحة الاستعمارية على القسم الأول [التعليم الأوروبي] وبقي القسم الثاني التعليم الأهلي أعرجا نحيفا لا يكاد يفارقه العرج الذي أصبح من صفاته ومميزاته".<sup>4</sup>

وعلى هذا الأساس نرى أن التعليم الفرنسي أساسا كان يهدف إلى خدمة الجالية الأوروبية وهمش الجزائريين في تعليمهم، حيث نجد من بين كل 100 جزائري يتعلم اثنان، أما الأغلبية الساحقة فلا مدارس لها إلا الشوارع ويضطر أغليتهم إلى العمل في الحقول والمناجم ومسح الأحذية وحتى المدارس التي خصصتها فرنسا لهم كانت محرومة من تعليم اللغة العربية وهي قليلة وفي حالة يرثى لها وهذا ما يشهد عليه التقرير السنوي للتفتيش الأكاديمي بمدينة الجزائر خلال العام الدراسي 1946/1945 حيث جاء فيه ما يلي "كانت الحالة المادية للمدارس صعبة والأدوات الصحية والرياضية نادرة، ولا توجد مياه في أغلب الأحيان الأقسام عارية بدون مقاعد ويجلس التلاميذ على الأرض والأقسام مزدحمة والأعمار متباينة، إضافة إلى نقص في أماكن الدراسة والدراسة نصف الوقت والنتائج هزيلة".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - يحي بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص55.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص163.

<sup>3</sup> - جريدة البصائر: وهي جريدة أسبوعية عربية صدرت قبل الحرب العالمية الثانية، وعادت للظهور بعد توقف لمدة ثمانية سنوات بسبب الحرب، وهي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وصدر أول عدد من السلسلة الثانية سنة 1947 وكان رئيس تحريرها أحمد توفيق المدني ومعه مجموعة من المشايخ والعلماء، وصدر منها حوالي 366 عدد وتوقفت في 1956/04/06 بسبب ظروف حرب التحرير أنظر: محمد بن صالح ناصر، المرجع السابق، ص11.

<sup>4</sup> - تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط2، ص162.

<sup>5</sup> - مباركة زيدي، المرجع السابق، ص146.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

ولعل هذا ما يفسر ارتفاع نسبة الأمية بين الجزائريين حيث تبلغ لدى الذكور 86 بالمائة ولدى الإناث 95 بالمائة وتنخفض هذه النسب في المدن إلى 60 بالمائة و70 بالمائة.<sup>1</sup>

ومهما كان عدد سكان الجزائر فإنه احتوى على طبقة بوجوازية وطنية مكونة من الرسميين والعلماء والمالكين والتجار والزعماء الدينيين إن هذه الطبقة من النخبة التقليدية قد حكم عليها بالاختفاء نتيجة الاحتلال.<sup>2</sup> ونجد أيضا الثقافة الجزائرية عانت أيضا نتيجة الاحتلال فالمواسم الوطنية والتاريخ واللغة إما اختفت وإما اضطهدت، وحولت المساجد إلى كنائس ومستشفيات ومتاحف، وفقد المثقفون الجزائريون تدريجيا الاتصال بماضيهم نتيجة فقدان الكتب والمدارس بلغتهم.<sup>3</sup>

إن المؤرخ للجزائر في القرن التاسع عشر لا يكاد يعثر على عالم جزائري حقيقي واحد لا بالعربية ولا بالفرنسية.<sup>4</sup>

### 2- السياسة الدينية

وقد كانت هاته الأخيرة أخطر سياسة اتبعتها فرنسا الاستعمارية في الجزائر حيث حاولت ضرب العقيدة الإسلامية عند الجزائريين، واتبعت في ذلك أسلوبين أولهما تدجين واحتواء الطرق الصوفية وثانيها حملة التنصير التي ما فتئت السلطة الاستعمارية تشجعها وتدعمها:

#### أ- احتواء وتدجين الطريقة الصوفية

يقول الدكتور أحمد الخطيب "... عندما بدأ الاحتلال الفرنسي كانت السلطة الفعلية داخل البلاد للطرقين..."<sup>5</sup> وقد اكتشف الفرنسيون أهمية الجمعيات الدينية في الحياة الجزائرية، فبعد سقوط الحكومة الجزائرية وطرد البرجوازية الوطنية لم يبق إلا الجمعيات الدينية كسلطة جزائرية ذات نفوذ.

وهنا يذكر أن اكتشاف الفرنسيين لها كان له علاقة بثورة 1845 التي لعبت فيها تلك الجمعيات دورا حاسما.<sup>6</sup> وأهم الطرق الصوفية في الجزائر: الرحمانية،<sup>7</sup>

1- شارل روبر آجرون، الجزائريون المسلمون، المرجع السابق، ج2، ص869.

2- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص58.

3- المصدر نفسه، ج2، ص60.

4- المصدر نفسه، ج2، ص63.

5- محمد عبد الرحمان بسكر، المرجع السابق، ص39.

6- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص63.

7- الرحمانية: هذه الأخوية أو الطريقة هي أكثر أهمية في الجزائر ولديها أكثر من 200.000 مريد أو تابع وأكثر أنصارها في المناطق البربرية وهي لديها نفوذ وسيطرة وخاصة في منطقة القبائل، وظهرت سنة 1750م في منطقة القبائل على يد الشيخ سي محمد بن عبد الرحمان المدعو "بوقبرين"، وقامت بعدة ثورات ضد فرنسا منها ثورة 1871م بقيادة المقراني والشيخ الحداد بصدوق ولديها عدة زوايا أشهر زاوية الهامل قرب بوسعادة. أنظر:

Archives d'outre-mer. (Aix-en-Provence) France. Boite n° 93/4491 expose fait le 23 janvier 1956 par le capitaine CarretJacques. Du service de la liaison nord-africaine. Cabinet gouvernement général de l'Algérie. Introduction. L'étude du maraboutisme et des confréries religieuses en l'Algérie. P 12. (Voir l'annexe n° 1).

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

التيجانية،<sup>1</sup> القادرية،<sup>2</sup> أولاد سيدي الشيخ،<sup>3</sup> السنوسية<sup>4</sup> ...

وقد استعمل الفرنسيون طريقين الأولى وهي سياسة "فرق تسد" لكسر أي تحالفات مستقبلية بينهم والثاني مفاوضات انتهت باتفاقات وتحالفات مشتركة والذي بمقتضاه تعترف تلك الجمعيات بالسيادة الفرنسية وتمنع أتباعها من الثورة ضد فرنسا وتعترف فرنسا من جهتها بالسلطة المالية والمعنوية لهاته الجمعيات.<sup>5</sup>

وقد وضع الاستعمار خطة محكمة للإبادة النهائية لكل جمعية أو مؤسسة تقوم بدور ثقافي، وتمكنت سلطات الاحتلال من إخضاع جميع الزوايا لنفوذها ولم يبق رجل دين يتردد على المساجد أو المدارس معلما أو مرشدا إلا إذا كان خاضع لأوامر الإدارة الفرنسية فإنه يمارس وظيفته مقتصرًا على تعليم الطقوس، وبعد هذه العملية التفكيكية أخضع الاحتلال بعض الذين شربوا التعاليم الاستعمارية إن صح هذا التعبير من رجال الدين وكون منهم أعوانا له.<sup>6</sup>

ويقول الأستاذ رابح تركي رحمه الله "... ووصل الأمر ببعض الطرق الصوفية ابتداء من القرن الحالي (القرن العشرين) أن أصبحت ألعوبة في يد الاستعمار يسخرها لخدمة مآربه في الجزائر وهي تحذير الجزائريين الساذجين عن الكفاح عن حرية بلادهم ونشر التواكل والكسل بينهم وتثبيط همتهم في الاستعداد للكفاح من أجل استقلال الجزائر وطرده المحتل الغاضب منها بدعوى أن وجود الاحتلال في الجزائر هو من باب القضاء والقدر الذي ينبغي التسليم به والصبر عليه".<sup>7</sup>

وزيادة على هذا راقبت الإدارة الاستعمارية التعليم الديني والزوايا وحددت المدارس القرآنية وأغلقت الكثير منها مما أدى إلى قلة القضاة والأئمة والمعلمين، كما راقبت رجال الدين والفقهاء الأحرار وفرضت رقابة على أداء فريضة الحج

- 
- 1- التيجانية: هذه الأخوية أو الطريقة متواجدة في "عين ماضي" قرب الأغواط تأسست من قبل الشريف "سي أحمد التيجاني" (1737-1815) ولها تأثير في المغرب وإفريقيا السوداء وتدر عليها مهرجانا ثراء كبير، ولديها أيضا فرع رئيسي في "تيماسين" قرب تقرت وتأثيرها يمتد إلى طوارق إيفوغاس، وهي التي سهلت التوغل للفرنسيين في الهقار، أنظر: .C.A.O.M,S.L.N.A,C.G.A, .op.cit, P13 (Voir l'annexe n° 2).
  - 2- القادرية: الأخوية القادرية الأولى تاريخيا في الجزائر ويعود تأسيسها إلى "سيدي عبد القادر الجليلي" الذي عاش في القرن الثاني عشر ميلادي (12م) في قرية جيلان قرب بغداد وهو مدفون أيضا بها، والذي توفي سنة 561 هجري وأول من أسس فرع القادرية في الجزائر هو الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي سنة 1200هـ/1785م، وأهم الزوايا القادرية هي زاوية الوادي المتصلة بنقطة التونسية وزاوية الرويسات بمنطقة الواحات وزاوية أولاد الخير بمستغانم وبها أعداد كبيرة من المريدين والأتباع. أنظر: .C.A.O.M,S.L.N.A,C.G.A, Op.Cit, P 11 (Voir l'annexe n° 3).
  - 3- أولاد سيدي الشيخ: وهؤلاء ينحدرون من سلالة الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وشهرتهم "سيدي الشيخ" المتوفى سنة 1630م، وله تأثير ونفوذ كبير في الجنوب الوهراني وأهم زاوية مهمة حاليا بالبيض وتضم حوالي 5000 مريد ويذكر أبو القاسم سعد الله أن اسم "سيدي الشيخ" هو عبد القادر بوسماحة دفين البيض وكانت وفاته سنة 1023هـ/1625م، أنظر: .C.A.O.M, S.L.N.A, C.G.A, Op.Cit.P14 (Voir l'annexe n° 4).
  - 4- السنوسية: وهي تنتسب إلى الشيخ محمد بن علي السنوسي المولود قرب مدينة مستغانم سنة 1206هـ الموافق لـ 1791م، وأسس بها بعد ذلك زاوية "بوقرة" وتوفي سنة 1855 ونفوذها يصل حتى وهران ويذكر سعد الله أن وفاته كانت سنة 1859 بالجنوب الليبي، أنظر: .C.A.O.M, S.L.N.A, C.G.A, Op.Cit, P.14. (Voir l'annexe n°4).
  - 5- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص64.
  - 6- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص42.
  - 7- محمد عبد الرحمان بسكر، المرجع السابق، ص49.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

وحددته برخصة فلا يتم الحصول عليها إلا بتدخل شخص أو البرلمان نفسه، كما حصل عام 1913م وذلك من أجل إحكام عزلة الجزائريين عن العالم الإسلامي.<sup>1</sup>

وفي إطار السياسة الفرنسية غيرت الإدارة الاستعمارية كل أسماء المدن والقرى الجزائرية وعوضتها بأسماء أوروبية مسيحية.<sup>2</sup>

### ب- حملة التنصير

رغم أن فرنسا دولة لائكية أي علمانية كما ينص دستورها إلا أنها في الجزائر احتضنت سياسة تبشيرية واسعة النطاق لتنصير الجزائريين وتعاونت تعاوناً كبيراً مع الهيئات التبشيرية المسيحية من أجل القضاء على الإسلام الذي وقف حجر عثرة في طريق محاولاتها لتحطيم مقومات الشخصية الجزائرية، كما أن فرنسا بادرت منذ الأيام الأولى للاحتلال إلى الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية وإلى تحويل عدد كبير من مساجد وجوامع الجزائر إلى كنائس للنصارى رغم معارضة الجزائريين ومقاومتهم الشديدة لهذا الاعتداء على الإسلام ومقدساته،<sup>3</sup> يقول الدكتور صالح فركوس "... كان توافد المبشرين البروتستانت على الجزائر يثير الدهشة والاستغراب، فهناك من غادر مكان إقامته حتى بأمريكا ليأتي إلى هذه البلاد المسلمة لأنهم يدركون أن المجتمع الإسلامي ليس كالمجتمع الوثني، فهو يتطلب جهوداً كبيرة لتمسيحه باستخدام كل الوسائل والمغريات.<sup>4</sup>

فمنذ تقرير العقيد كليرمونتونير الذي قدمه إلى شارل العاشر لإقناعه بالموافقة على الحملة ضد الجزائر، كان الدافع الديني قويا في أذهان الفرنسيين فقد وعده بأن الحملة ستتحقق انتصاراً للكنيسة الكاثوليكية على الإسلام واستعادة المسيحية إلى إفريقيا (الجزائر) كما كانت قبل الإسلام.<sup>5</sup>

وكانت الحكومة الفرنسية تفاوض الفاتيكان على فتح أسقفية لها في الجزائر وبالفعل تم تعيين السيد أنطوان دوبوش<sup>6</sup> أسقفاً في الجزائر سنة 1838م حيث وجد قبله سبعة قساوسة أربعة في العاصمة واثان في عنابة وواحد في وهران،<sup>7</sup> وقام هذا الأخير بإنجازات كبيرة ما بين 1839 و1846 منها بناء 60 كنيسة ومعبد 16 مؤسسة دينية (كان أغلبها مساجد).<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص 53.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 53.

<sup>3</sup> - محمد عبد الرحمان بسكر، المرجع السابق، ص 36-37.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 37.

<sup>5</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 6، ص 106.

<sup>6</sup> - أنطوان دوبوش: جاء إلى الجزائر سنة 1838 وأصله من مدينة بوردو وأقام بالعاصمة بقصر الأميرة عزيزة الذي صادته الحكومة الفرنسية من أملاك البابلك القديم، وقد أقام مشاريع كنسية ضخمة وملاجئ للأيتام وغادر الجزائر سنة 1846 بعد أن أفلس هاربا إلى إيطاليا ثم أسبانيا. أنظر: سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 6، ص 108-114.

<sup>7</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 6، ص 108.

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص 108.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

وباشر الكاردينال لافيغري (1863-1870) وغيره من القساوسة عملية التنصير والتمسيح بمختلف الوسائل خاصة بالنسبة للعناصر الفقيرة وضحايا المجاعات العربية والقبائلية (أهل زاوية) بدعوى أن أصلهم من الغال الأوروبيين، ولكن مآل هذه السياسة هو الفشل الذريع بإعتراف الإدارة الاستعمارية نفسها،<sup>1</sup> حيث رفض أهل زاوية التخلي عن دينهم ووقعت أحداث ضد التنصير منها الهيجان الذي وقع سنة 1868 في بني منقلات،<sup>2</sup> وموت لافيغري بالجزائر في 26 نوفمبر 1892، خلفه "شارل دي فوكو"<sup>3</sup> وكان كما وصفه أحد الجنرالات بأنه رجل فرنسا ورجل الكنيسة، وقد توغل في الصحراء تمهيدا لاحتلالها فاكشف الناس حقيقته في المنطقة وفي ظروف غامضة قتل دي فوكو برصاصة من حارسه سنة 1916، وكان من الممهدين للسياسة البربرية الفرنسية وتمزيق السكان، وظهر ذلك في السياسة الفرنسية أثناء الإحتفال المتوي باحتلال الجزائر سنة 1930 وفي المؤتمر الأفخارستي في تونس 1930.<sup>4</sup>

وبمرور قرن على احتلال قسنطينة سنة 1937 انعقد بالجزائر احتفال آخر بمناسبة مرور قرن على إنشاء الأسقفية الكاثوليكية في الجزائر سنة 1938م وقد اختيرت المناسبة لعقد المؤتمر الأفخارستي سنة 1939م الذي حضره أسقف باريس (فيردييه) ممثلا للبابا وأسقف الجزائر ومسيحيين ومسلمين ويهود وقد جرت احتفالات واستقبالات رافقت عقد المؤتمر،<sup>5</sup> وعلى مدار القرن وصلت الكنائس في الجزائر إلى ثلاث كاتدرائيات و200 كنيسة ومعبد وحلقتي درس (سيمينار) بالإضافة إلى عدد من الملاجئ للأيتام ونحوها بينما كانت المساجد تهدم والزوايا والمدارس الإسلامية تندثر.<sup>6</sup> يتبين لنا أن السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر كانت سياسة استيطان واحتلال شامل من خلال كل المجالات، ابتداء من احتلال الأرض والاستغلال الاقتصادي، إلى محاربة الشخصية الوطنية الإسلامية من خلال التعليم والدين والثقافة مما أنجر عنه تراجع رهيب في كيان الأمة الجزائرية التي كادت تندثر.

### المبحث الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس

بمجرد استيلاء فرنسا على تونس أصبحت المشكلة التونسية تحتل مكانا ممتازا في السياسة الفرنسية التي لم تكن واضحة في أول أمرها لأن معاهدة "باردو" لم تحتوي على لفظة الحماية بل أبقّت السيادة التونسية كاملة غير منقوصة وكان المستعمرون ينادون بوجود القضاء على الدولة التونسية وإلحاق البلاد التونسية بفرنسا كما في الجزائر.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - يحي بوعزيز، سياسة المصدر السابق، ص 54.

<sup>2</sup> - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج6، ص 122-123.

<sup>3</sup> - شارل دي فوكو: ولد في ستراسبورغ 15 سبتمبر 1858 ودخل بعدها إلى الجيش الفرنسي (الإفريقي) واشتهر أنه رجل فضائح، درس العربية وتعرف على مسالك الصحراء، تولى أسقفية الجزائر بعد لافيغري في 1892 وتوغل في الصحراء ممهدا لاحتلالها وعمل كجاسوس وتم اغتياله سنة 1916 برصاصة من طرف حارسه. أنظر: سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج6، ص 133-135.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 135-136.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 137.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 138.

<sup>7</sup> - علي البهلوان: تونس الثائرة، لجنة تحرير المغرب العربي، المطبعة العالمية، القاهرة، 1954، ص 03.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

وقد اتخذ إذ ذاك رئيس الحكومة الفرنسية (جول فيري) موقفا وسطا وقال إن فرنسا لا تريد استعمار تونس ولا ترمي إلى إدماج ترابها في التراب الفرنسي، وإنما احتلالها لها هو ضمان لبقائنا بالجزائر، فسياسة فرنسا في تونس تتلخص حسب عبارته في كلمتين "لا إلحاق ولا انسحاب"<sup>1</sup>.

أما في داخل البلاد التونسية فسياستها تناقض مع ما قرره الحكومة الفرنسية فالمقيم العام "بول كامبون" فرض على تونس اتفاقية جديدة وهي اتفاقية "المرسى"، واتخذها أداة للاستيلاء على السيادة الداخلية التونسية وإنشاء إدارة حديثة تكون آلة في قبضته ليتمكن من حكم البلاد حكما فرنسيا مباشرا، فيتصرف في الميزانية لتنفيذ أغراضه ويشرع في سياسة تنمية الجالية الفرنسية بتشجيع الهجرة ومنحهم الوظائف العامة والأراضي الخصبة، ويشرع في تقسيم الثروة المعدنية على الشركات الفرنسية<sup>2</sup>.

وهذا ما سنكتشفه من خلال تناولنا للسياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس وهل هناك اختلاف وفروق مع نظيرتها الجزائر؟ أم أنها متوافقة؟

### المطلب الأول: فرض الحماية وسن القوانين السياسية والإدارية

لقد كان لموقع تونس الجغرافي وقربها من المركز الإمبريالي بالإضافة إلى أهميتها الإستراتيجية في زيادة تدخل القوى الأوروبية في شؤونها الداخلية منذ مؤتمر فيينا 1815<sup>3</sup> مع الإشارة إلى أن الوضع تفاقم منذ احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م واستفحل أكثر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (19م) فأصبحت الرأسمالية في حاجة إلى أسواق لترويج بضائعها ومجالات لاستثمار أموالها واستغلت القوى الأوروبية في ذلك حالة الضعف والوهن التي كانت عليها تونس واكتسى هذا التدخل في بداية الأمر طابعا تجاريا ولكنه ما انفك يتطور تدريجيا ليأخذ طابعا ماليا ثم عسكريا وسياسيا<sup>4</sup>. وفي هذا السياق دفعت الأطماع الإيطالية في تونس بفرنسا للتدخل بصفة جدية إذ أصبح قنصلها "تيودور روسطان" يبذل قصارى جهده لضمان التفوق الفرنسي فسعى إلى الحصول على أكثر ما يمكن من الامتيازات لفرنسا<sup>5</sup> وما يجب ملاحظته أن التدخل الفرنسي أصبح ممكنا بعد مؤتمر برلين سنة 1878<sup>6</sup> بالإضافة إلى وجود عاملين قبل انطلاق الحملة هما خطورة التضييق التي قام بها التونسيون والإيطاليون على المصالح الفرنسية<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - علي البهلوان: تونس الثائرة، المصدر السابق، ص 03.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 04.

<sup>3</sup> - مؤتمر فيينا 1815: وهو مؤتمر عام اجتمع فيه الساسة الأوروبيون وكانت قراراته المعلنة بتاريخ 09 يونيو 1815 تحريم "القرصنة" والاسترقاق في الجزائر أصلا وفي تونس وطرابلس بالتبعية وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين ولو بالقوة من الجزائر، أنظر: صالح فركوس، المرجع السابق، ص 133.

<sup>4</sup> - حبيب حسن اللولب: أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات سيدي نابل، الجزائر، 2013، ص 56-57.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 58.

<sup>6</sup> - مؤتمر برلين 1878: وهي اتفاقية دولية بشأن تقسيم جزئي للإمبراطورية العثمانية وعقد هذا المؤتمر في جوان 1878 واشتركت فيه ألمانيا وروسيا والمجترات والنمسا والمجر وتركيا وفرنسا وإيطاليا، أنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 520.

<sup>7</sup> - حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 59.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

لذلك نفذت فرنسا رغبتها في احتلال تونس مستغلة حادثة قبائل خمير التونسية،<sup>1</sup> حيث ادعت بأنها تقوم بغارات على الحدود الشرقية الجزائرية التونسية فاتخذت من ذلك ذريعة للتدخل العسكري، فقامت بحملة قوامها 30 ألف جندي من القوات البرية و8000 جندي من القوات البحرية وتم الإنزال الفرنسي بسهولة وحوصر القصر الملكي "قصر السعيد" وفرض على الباي توقيع معاهدة باردو في 12 ماي 1881.<sup>2</sup>

### **1- نظام الحماية:**

يستند نظام الحماية الفرنسية إلى معاهدة باردو التي ينص عليها الفصل الرابع على أن فرنسا يمثلها في تونس مقيم عام يكون الواسطة بينهما وبين الحكومة التونسية، كما ينص الفصل الخامس على أن علائق تونس الخارجية تكون لسفراء فرنسا في الخارج.<sup>3</sup>

ويقوم هذا النظام الجديد الذي استحدثته فرنسا كبديل عن سياسة الإلحاق والدمج التي انتهجتها في الجزائر، على مبدأ السيادة المزدوجة حيث أبقّت على البناء السياسي للدولة وهي سلطة الباي، بأن يكون له الإشراف على الشؤون الداخلية، تحت مراقبة سلطة الاحتلال، بينما تكون سلطة الشؤون الخارجية والعسكرية من اختصاص سلطة الاحتلال، إذ ورد في أحد بنودها: "أن لا يبرم أي اتفاقية لها صيغة دولية دون أن يحيط حكومة الجمهورية الفرنسية علماً بها"<sup>4</sup>. وفي الجانب العسكري فقد جاء في أحد بنودها: "يسمح للسلطة العسكرية الفرنسية باحتلال النقاط التي تراها ضرورية لإرجاع الأمن إلى نصابه".<sup>5</sup>

ثم أبرمت بين البلدين إتفاقية المرسى في 25 جمادى الأولى سنة 1300هـ الموافق لـ 08 جوان 1883، وبمقتضاها التزمت الحكومة التونسية بإجراء الإصلاحات الداخلية من إدارية وعدلية ومالية التي تراها فرنسا صالحة<sup>6</sup>. وبذلك أصبحت سلطة الباي صورية وأصبحت السلطة الكاملة في يد المقيم العام، الذي يرأس مجلس الحكومة الذي يتكون من مدراء فرنسيين برتبة وزراء، ومفهوم الحماية وان بدا ظاهرياً كنفى للإلحاق المباشر والإدماج فإن مضمونه كفلسفة وقيم قد يتعذر أن تتمثله خارج سياق الظاهرة الاستعمارية وأبعادها.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - قبائل خمير: (Khoumirie) قبائل تونسية تقطن المنطقة الجبلية خميرية الغابية في الشمال الغربي التونسي، أنظر: الطاهر فرحات: العامل الديني ودوره في حركة التحرر المغاربية، الجزائر، تونس، المغرب، 1945-1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، السنة الجامعية 2013/2014، ص20.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص20.

<sup>3</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ، المرجع السابق، ص 152.

<sup>4</sup> - الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص20.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص21.

<sup>6</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص152.

<sup>7</sup> - الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص21.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

والواقع أن سلطة الحماية قد جردت الباي من جميع صلاحياته التشريعية والتنفيذية وذلك بتأويلها نصوص المعاهدات طبقاً لأوامر لاحقة يتخذها المقيم العام الفرنسي بتونس، فصار الباي يوقع على الأوامر دون أن يستشار حتى في صياغتها.<sup>1</sup>

### 2- القوانين السياسية والإدارية

إن سلطة الحماية في تونس أخذت منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ميلادي تسيطر على مقاليد الحكم على المستويين الداخلي والخارجي، ففي المجال الدولي نجد فرنسا سنة 1896 أبرمت اتفاقيتين مع كل من بريطانيا وإيطاليا لتطلق هاتين الدولتين يد فرنسا على تونس والقضاء التام على سيادة الدولة التونسية في الخارج.<sup>2</sup>

كما أن وزارة الباي والوزير الأول ووزير القلم قد تم إبعادهم منذ سنة 1883 بعد أن عين الحاكم العام للحماية الذي كانت له اليد الطولى ولم تبقى الحماية على أي سلطة تونسية إلا تلك التي تعتمد عليها أو تسخرها لخدمة مصالحها في البلاد مثل القياد الذين كانت مهمتهم تتمثل في جمع الضرائب والأتاوات المختلفة من المناطق التابعة لهم.<sup>3</sup>

أ- **المراقبة المدنية** قرر "بول كامبون" في شهر أكتوبر 1884 تنظيم مراقبات مدنية في كامل الأيالة، إلا أن قلة الإمكانيات المادية وموظفين أكفاء حالت دون ذلك فافتى في بداية الأمر بتطبيق هذا الإجراء في بعض المناطق،<sup>4</sup> ثم انتشر بعد ذلك نظام المراقبة المدنية شيئاً فشيئاً، وهذه المراقبات المدنية عوضت الدوائر والفروع العسكرية وكذلك مكاتب الاستعلامات التي كانت تغطي حوالي 80 قيادة،<sup>5</sup> وكان لهؤلاء المراقبين المدنيين الحق في النظر في جميع الجوانب الإدارية والتقنية وتقديم تقارير دورية إلى الإدارة العامة عن الوضعية في البلاد وتحركات الأهالي وهذه التقارير التي يقوم بتلخيصها تصله من طرف أعوانه المتمثلين في القياد والخلفاء.<sup>6</sup>

ب- **المراقبة العسكرية** أما المناطق الأخرى كأقصى جنوب البلاد والتي لا يوجد فيها مراقبين إداريين وضعت تحت الإدارة العسكرية وعليه كانت مراقبة أشد وأقوى من طرف ضابط عسكري برتبة رائد (commandant).<sup>7</sup>

ج- **الجانب التشريعي** نجد أن السلطة التشريعية للباي صورية في ظل تعدد وتنوع القوانين التي شرعتها حكومة الحماية، حيث كانت تمارس عن طريق جمعية منتخبة، والتي تأسست في سنة 1896 والتي أصبح للسكان الأصليين (التونسيين) حق التمثيل فيها إلا في سنة 1907م.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - يوسف مناصرة: دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 23.

<sup>2</sup> - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 18.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 19-20.

<sup>4</sup> - علي المحجوبي: إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس، نع: عمر بن ضو، دار سراس للنشر، تونس، 1986، ص 110.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 111.

<sup>6</sup> - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 20-21.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 22.

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص 22.



## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

حيث أن قانون سنة 1907 جعل من المجلس الاستشاري قسمين الأول فرنسي يتكون 39 عضوا منتخبتين من ثلاث هيئات إنتاجية وفلاحية وتجارية، والثاني تونسي يتكون من 16 عضوا يختارهم المقيم العام، فانقذت "جريدة التونسي"<sup>1</sup> هذا القانون بشدة وطالبت بالزيادة في عدد التونسيين على أن يكونوا منتخبتين مثل الفرنسيين<sup>2</sup>. إن أصغر تمثيل نيابي هو التمثيل البلدي وتونس ليست مقسمة إلى دوائر ومقاطعات كما هو الحال في الجزائر، وإنما حسب المدن ومراكز التعمير نجد لها صبغة بلدية تختلف من حيث الأهمية باختلاف التجمعات السكنية فمثلا مدينة تونس تتمتع بشخصية معنوية تختلف عن أي مدينة داخلية<sup>3</sup>.

حيث أن المجلس البلدي بعد الحماية أصبح يعين بأمر ولا تأخذ قرارات المجلس صيغة التنفيذ إلا بعد موافقة الحكومة عليها ويعين رئيس البلدية ونوابه بمقتضى أمر، ويشترط أن يكونوا من جنسية فرنسية والميزانية تقرها الحكومة ولها الحق في تخفيض النفقات المقترحة بالنسبة للميزانية، ويتمتع العنصر الفرنسي بالأغلبية في هاته المجالس<sup>4</sup> وكانت الميزانية تخصص إلا للأحياء الأوروبية أما الأحياء التونسية، فكانوا يتبعون بالحفاظ على الطابع الأصلي واللون المحلي للمدينة العتيقة لجلب السياح فكانت النتيجة أن أصبحت هاته الأحياء مركزا للتعبث والأمراض<sup>5</sup>. هذه هي الحالة السياسية التي كانت سائدة في تونس في مطلع القرن العشرين في عهد الباي محمد الناصر،<sup>6</sup> والمقيم العام لبيتي (Gabriel Le Petit)<sup>7</sup>.

**د- الإدارة المالية الجديدة** أصبح النظر في كل مداخيل الأيالة من مشمولات إدارة المالية التي تأسست بمقتضى قرار 04 نوفمبر 1882، إذ وقع تعويض المجلس الإداري المكلف بجمع المداخيل المخصصة لتسديد الديون بإدارة الأداءات المختلفة التي كلفت بجباية الضرائب المباشرة وغير المباشرة وقد أسندت مهام هذه الإدارة إلى روسو (Rousseau) الرئيس السابق للمجلس الإداري<sup>8</sup>. أما إدارة الجمارك فقد عهد بها إلى فرنسي آخر هو "لروا" (Leroy) الذي كان متفقدًا لإحدى المصالح المالية الجزائرية، وبالإضافة إلى هذه المصالح فقد أنشئت بمقتضى قرار 02 أكتوبر 1882 مصلحة الخزينة وعين على رأسها قابض مالية عام وهو فرنسي أيضا<sup>9</sup>.

---

1- جريدة التونسي: تأسست سنة 1907 وكانت من الجرائد الوطنية الحرة المناهضة للاستعمار وقد تولى رئاسة تحريرها ابتداء من 1909 الشيخ عبد العزيز الثعالبي. أنظر: يوسف مناصرة، دور النخبة، المرجع السابق، ص 41.

2- المرجع نفسه، ص 41.

3- الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 24.

4- المرجع نفسه، ص 24.

5- المرجع نفسه، ص 25.

6- الباي محمد الناصر: هو محمد الناصر بن المشير الثاني محمد باي تولى الولاية سنة 1906 وأحدثت في عهده الحالة المدنية في تونس (تسجيل الولادات والوفيات) توفي سنة 1922. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 153-155.

7- الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 25.

8- علي المحجوبي، انتصاب الحماية، المرجع السابق، ص 113.

9- المرجع نفسه، ص 113.

## المطلب الثاني: السياسة الاقتصادية والحالة الاجتماعية

إن السياسة الاستعمارية الاقتصادية التي انتهجتها سلطات الحماية الفرنسية في تونس، لم تكن لتنجح إلا بعاملين مهمين قامت بهما كما فعلت في الجزائر حيث اعتمدت على الاستيطان وهو جلب العنصر الأوروبي وبالخصوص الفرنسي، والعامل الثاني وهو الاستيلاء على الأراضي ليستغلها هؤلاء المستوطنون وكذلك عقارات وأملاك للإقامة وإدارة العجلة الاقتصادية لصالح فرنسا والقوى الرأسمالية.

### 1- الاستيطان والاستيلاء على الأراضي

أ- **الاستيطان** أما استجلاب الفرنسيين فقد كان صعبا نوعا ما نظرا للوضع الديموغرافي الذي كان قليل الازدهار في فرنسا طول عهد الحماية، ولذلك عمدت إلى تجنيس العناصر الغير فرنسية،<sup>1</sup> حيث كانت الأكثرية عبارة عن خليط من جميع الأجناس والبلدان أتت بهم فرنسا من كل صوب وحذب، فقبلت المشردين واللاجئين غير المرغوب فيهم في أوطانهم من روس ويوغسلافيين ويونانيين وألمان وإسبان ومالطيين، فكانت فرنسا تمنحهم الجنسية الفرنسية وتفتح لهم أبواب الرزق وتدخل أبناءهم المدارس الفرنسية ليصبحوا أسيادا متحكمين ينظرون إلى التونسي من عليائهم ويحتقرونه ويرون أنفسهم أصحاب البلاد.<sup>2</sup>

ورغم ذلك فإن عدد المهاجرين تطور، ففي سنة 1881 كان يوجد بتونس 12 ألف أوروبي منهم 700 فرنسي، وفي سنة 1931 كان بها 184 ألف أوروبي، وأما في آخر عهد الحماية 1956 كان من ضمن 250 ألف أوروبي 180 ألف يحملون الجنسية الفرنسية.<sup>3</sup>

وعليه فإن أول ما عمدت إليه سلطة الحماية في الميدان الاقتصادي هو فتح أبواب القطر التونسي على مصراعيه للهجرة الفرنسية والأوروبية وسنت لها قانون التجنيس ليسهل عليها التوظيف في الإدارة والسلك الحكومي.<sup>4</sup>

ب- **الاستيلاء على الأراضي** وقد عقد الدكتور ثامر فصلا في كتابه "هذه تونس" أعطى فيه الموضوع حقه من البحث جاء فيه: "لأجل أن تسيطر فرنسا تمام السيطرة على الناحية الاقتصادية في البلاد وجهت همها إلى الاستيلاء على الأراضي الزراعية فاتخذت كافة الوسائل الممكنة وفي مقدمتها إصدار التشريعات المختلفة لإنزاع الأراضي من يد التونسيين وإقرار الفرنسيين بها، فأصبح هؤلاء الفرنسيون هم المتحكمون في حياة البلاد الاقتصادية..."<sup>5</sup>

تبلغ مساحة الأراضي التونسية الصالحة للزراعة تسعة ملايين من الهكتارات من مساحة المملكة التونسية التي تقدر بـ 12.5 مليون هكتار.<sup>6</sup>

1- محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ط3، ص 101.

2- علي البهلوان، المصدر السابق، ص 16-17.

3- محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 101.

4- يوسف مناصرية، دور النخبة، المرجع السابق، ص 51.

5- علي البهلوان، المصدر السابق، ص 17.

6- المصدر نفسه، ص 17.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

فبالنسبة لأراضي أملاك الدولة التونسية الخاصة قبل عهد الحماية كانت لا تقل عن 01 مليون هكتار كان للتونسيين حق استغلالها، وقد وضع المصلح الكبير الوزير خير الدين باشا<sup>1</sup> برنامجه الواسع لتوزيعها على الفلاحين مانحا كل منهم قطعة أرض مساحتها 20 هكتار ونفذ البرنامج بصفة خاصة بمنطقة زغوان<sup>2</sup>، وقد بادرت الحكومة الفرنسية بإنتزاع ملكية هذه الأراضي من يد الفلاحين التونسيين وطردتهم منها وأقرت فيها المعمرين الفرنسيين، الكولون(Colon).<sup>3</sup>

وتدخل سياسة استعمار الأراضي هذه في إطار المنافسة الفرنسية الإيطالية وهي ترمي بالفعل إلى تركيز جالية فرنسية هامة بالبلاد التونسية، لمناهضة أطماع إيطاليا في تونس التي لم تتوقف بعد انتصاب الحماية وهي تعتمد في الواقع على تواجد جالية إيطالية بالأيةالة لم تنزل منذ 1881 في تزايد مطرد<sup>4</sup>.

وبمباشرة الاستعمار الرسمي، أخذت مصلحة الأملاك الدولية في توسيعها على حساب قطاعات واسعة من السكان التونسيين، ففي الأمر المؤرخ في 13 يناير 1896 الذي يقضي بإلحاق "الأراضي البور" بأملاك الدولة أخذت سلطة الحماية على عاتقها تحديد الأراضي البور وراحت تدخل ما تشاء من الأراضي في هذا النوع معتدية على أملاك التونسيين وأراضيهم تحت هذا الستار،<sup>5</sup> واعتبرت آلاف الهكتارات "أراضي موات" وتم تسجيلها لفائدة الدولة وقد استولت على مناطق "قيادات" الأعراس قفصة والهمامة والفراشيش وماجر وقدرت بـ 1.290.000 هكتار.<sup>6</sup> أيضا أصدرت أمر بتاريخ 04 أبريل 1890 يقضي بإدخال الغابات ضمن أملاك الدولة الخاصة،<sup>7</sup> حيث كثرت النزاعات بين التونسيين والحكومة حول التحديد الجائر فصدر أمر في 06 يونيو 1928 بتأسيس لجنة للفصل في هذه المنازعات.<sup>8</sup>

### - الاستيلاء على أراضي القبائل:

وتعتبر أراضي القبائل ملك مشاع بينها وتسمى "بالأراضي الكلية" وقد عمدت سلطة الاحتلال إلى إلحاقها بأملاك الدولة بدعوى أن القبائل لاحق لها في هذه الأراضي وأصدرت في هذا الشأن أمرها المؤرخ في 14 يناير 1901 وقد أيدت المحكمة المختلطة هذا الأمر بتاريخ 22 فبراير 1904.<sup>9</sup>

<sup>1</sup> - الوزير خير الدين باشا: (1889-1822) من كبار رواد النهضة الإسلامية عين وزيرا للبحر في عهد محمد باي الثاني، أجرى إصلاحات عديدة داخل الدولة ولي الوزارة الكبرى سنة 1873-1877 ذهب سنة 1878 إلى الأستانة وأصبح رئيس وزراء الدولة العثمانية، أنظر: يوسف مناصرية: الحزب الحر الدستوري التونسي 1914-1934، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ط1، ص 15.

<sup>2</sup> - علي البهلوان، المصدر السابق، ص 18.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 19.

<sup>4</sup> - علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، تع: عبد الحميد الشابي، دار بيت الحكمة للنشر، تونس، 1999، ط1، ص 30.

<sup>5</sup> - علي البهلوان، المصدر السابق، ص 19.

<sup>6</sup> - علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 33.

<sup>7</sup> - علي البهلوان، المصدر السابق، ص 19.

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص ص 19-20.

<sup>9</sup> - المصدر نفسه، ص 21.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

وهكذا وضعت السلطة الفرنسية يدها على مساحات شاسعة من مديريات الأعراس وقفصة والهمامة والفراشيش وماجر والسوامي ومناطق الجنوب، وقسمتها بين المستعمرين بعد أن طردت منها القبائل وأقصتها إلى أراضي قاحلة ووعرة وجبال،<sup>1</sup> ومتى علمنا أن أراضي القبائل بالقطر التونسي تبلغ مساحتها أربعة ملايين هكتار أي ثلث مساحة القطر تتجلى لنا في أشنع صورة خطورة هذه السياسة الفرنسية التي ترمي إلى إفقار العنصر العربي.<sup>2</sup>

### - الاستيلاء على أراضي الأوقاف:

تعتبر الأوقاف من مآثر خير الدين باشا، تأسست سنة 1874 ومهمتها النظر في الشؤون العامة للأحباس وضبط مداخيلها ومصاريفها وتوزيع أرباحها على المستحقين وفقا لنص الوقف،<sup>3</sup> وقد تولى محمد بيرم<sup>4</sup> رئاسة جمعية الأوقاف عند تأسيسها وهي مؤسسة اجتماعية تساعد الفقراء من حيث الإيواء والعلاج وتقديم المساعدات التي يحتاج إليها المعوزون واليتامى،<sup>5</sup> وابتداء من 1885 استحوذت الحماية الفرنسية على أراضي الأوقاف وقد استندت الحماية الفرنسية في ذلك على قانون الإنزال،<sup>6</sup> والمعاوضة، واستولت على أحسن الأراضي، ولم تكنفي بذلك بل أصدرت في 13 نوفمبر 1898 قانونا يلزم جمعية الأوقاف بتسليم 2000 هكتار من أراضي الأحباس إلى الإدارة سنويا.<sup>7</sup> وهكذا لم تحترم فرنسا الشريعة الإسلامية التي قضت بأن الوقف ملك لا ينقطع وأنه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يعوض.<sup>8</sup>

وقد ورد في الإحصاءات الرسمية أن مجموع الأراضي التي استولى عليها الفرنسيون حتى سنة 1914 بلغ 757 ألف هكتار من أخصب الأراضي التونسية.<sup>9</sup>

وبعد الحرب العالمية الأولى فمن سنة 1919 إلى سنة 1928 وزعت 1191 قطعة أرض إلى المعمرين بمنطقة الشمال مساحتها 143560 هكتار و75 قطعة بالمناطق الوسطى والجنوبية بلغت مساحتها 53605 هكتار،<sup>10</sup> وهكذا مكن انتصاب الحماية الفرنسية بالبلاد التونسية بعض مئات من المعمرين الأوروبيين من الهيمنة على أكثر الأراضي

1 - علي البهلوان، المصدر السابق، ص 22.

2- المصدر نفسه، ص 22.

3- حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 103.

4- محمد بيرم الخامس: ولد بتونس في مارس 1840 من أصل تركي، ودرس بالزيتونية وتولى رئاسة جمعية الأوقاف وبعد عزل خير الدين استقال وهاجر إلى مصر حيث أسس جريدة "الإعلام"، وهو يعتبر من المصلحين الذين ساهموا المساهمة الفعالة في صحوة العالم الإسلامي، توفي في المهجر في 18 ديسمبر 1889، أنظر: حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 104.

5- المرجع نفسه، ص 104.

6- قانون الإنزال: ولم يكن الإنزال من حيث المبدأ سوى إيراد ثابت يدفعه المتسوغ لصاحب الحبس الأصلي ما دام يباشر خدمة الأرض والتمتع الفعلي بما وبما أن الأحباس غير قابلة للتصرف فلا يمكن لهذا المتسوغ أن يصير مالكها بل حكم عليه أن يبقى في وضعية المكتري، وقد مكنته قانون 01 جويلية 1885 العقاري من أن ينتقل من وضعية المكتري إلى وضعية المالك. أنظر: على المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 36.

7- حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 107.

8- علي البهلوان، المصدر السابق، ص 23.

9- المصدر نفسه، ص 25.

10- المصدر نفسه، ص 25.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

مردودا على حساب السواد الأعظم من التونسيين، كما ضمن لهم في الآن نفسه الاستيلاء على الفلاحة وهي إذ ذاك أهم قطاع اقتصادي، وسينجم عن تلك الهيمنة على الفلاحة تدهورا القطاعات الاقتصادية التونسية المتصلة بها اتصالا مباشرا أو غير مباشر كتربية الماشية والصناعات المحلية والتجارة.<sup>1</sup>

### 2- السياسة الزراعية

لقد كان القطاع الفلاحي يشكل الأساس في الاستعمار الاستيطاني بتونس حيث عرف تطورا خاصة في المناطق الشمالية للبلاد والجدول التالي يبين تطور الميدان الزراعي بشكل واضح.<sup>2</sup>

الأراضي المزروعة بالهكتار	السنوات
110.000	1882
402.000	1892
577.000	1902
658.000	1906

#### جدول رقم 4: تطور مساحة الأراضي المزروعة لدى المستوطنين الفرنسيين

وقد كان لهذا التطور خلق احتياطي معتبر لإدارة الزراعة ويرجع هذا التطور إلى النجاح في تنظيم المدن وشق الطرق وتعبيدها ومن السكك الحديدية وتسهيل بيع الأراضي للمهاجرين الفرنسيين.<sup>3</sup>

وقد شكل هذا بروز بوجوازية فرنسية وضعت يدها مع مرور الوقت على كل مصادر الثروة في البلاد التونسية، فعلى سبيل المثال نجد في سنة 1892 حوالي 16 معمر يملكون 416.000 هكتار وقد ظل هذا التمرکز في الملكية ثابتا في أيدي قليلة من المستوطنين كما أكد ذلك إحصاء سنة 1911،<sup>4</sup> وإلى جانب امتلاك المعمرين أخصب الأراضي فإنهم استغلوها بأحدث الآلات الفلاحية وأصبح الفلاحون التونسيون أجراء في أراضيهم المغتصبة.<sup>5</sup>

وفعلا فلقد سدد استعمار الأراضي ضربة شديدة لتربية الماشية التي تمثل أهم ثروات البلاد وأهم موارد القبائل التونسية داخل البلاد، وقد رأينا أن فكرة الأراضي الميتة قد حرمت قبائل مثل المتاليت ونفات والفراشيش وماجر وغيرهم من قسم هام من أراضيهم ومن هنا تدهورت تربية الماشية في الأيالة، فبينما كان عدد الغنم يقدر في عامة البلاد ما بين سنة 1885-1890 بمعدل 1.136.400 رأس غنم انحدر قبيل الحرب العالمية الأولى إلى 700.000 رأس.<sup>6</sup>

1- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص38.

2- الجمعي خمري، المرجع السابق، ص40.

3- المرجع نفسه، ص40.

4- المرجع نفسه، ص41.

5- يوسف مناصرية، دور النخبة، المرجع السابق، ص52.

6- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص39.

### 3- السياسة التجارية والصناعية

انتهجت فرنسا سياسة توسع استعماري في الثمانينات من القرن التاسع عشر ونصبت حمايتها على تونس لضمان الأسواق لمنتجاتها المصنوعة وحل مشكلة التشغيل، وقد عبر "جول فيري" أحد أهم الداعين إلى سياسة التوسع الاستعماري أمام مجلس النواب عن هذه الشواغل الاقتصادية والاجتماعية قائلاً: "إن تأسيس مستعمرة يعني خلق سوق"<sup>1</sup>، وانطلاقاً من هذا التفوق الاقتصادي في البلاد فقد كان للمستوطنين نفوذاً وسلطة واسعة على المسيرين المحليين في المحمية<sup>2</sup>.

وإلى جانب الكولون أصحاب الأراضي الزراعية كان هناك فئة التجار الذين كانوا يعدون بدورهم من المتفوقين اقتصادياً واجتماعياً، وكان عددهم سنة 1911 يقدر بـ 1354 نسمة وقد أسسوا غرف تجارية تمثلهم أيضاً في سنة 1892م وتدافع عن مصالحهم<sup>3</sup>.

وقد تفاقم كساد التجارة التونسية، حيث كانت البضائع الأوروبية تتمتع عند دخولها إلى البلاد التونسية، كما كان الأمر قبل 1881 بإمتيازات جمركية كبيرة وكذلك بالإعفاء من الرسوم المحلية التي كانت تفرض على البضائع التونسية<sup>4</sup>. وبصفة عامة فقد هيمنت الشركات والتجار الفرنسيين على التجارة التونسية وعلى حساب الدول الأوروبية، وخاصة على حساب البلاد التونسية، فمنذ الحماية لم يزل تراجع التجارة التونسية وهيمنة الأجانب عليها في تفاقم مطرد، فعلاوة على انحسار مجالها تبعاً للمزاحمة الأجنبية لسوقها الخارجية وخاصة بالنسبة لصناعة "الشاشية" وقد انحارت التجارة الداخلية للأيالة وهذا ناجم عن إغراق البلاد بالبضائع الأوروبية<sup>5</sup>.

وأيضاً نجد الشركات المالية التي كانت تنشط عن طريق الوسطاء في مجال التجارة والزراعة والمناجم وأجهزة قطاع النقل وكانت هاته المجموعات الثلاث الفلاحون، التجار، الشركات المالية هدفهم واحد وهو استغلال المحمية إلى أقصى حد ممكن<sup>6</sup>.

وخلفت هاته السياسة انعكاسات على الصناعات المحلية التقليدية التي كانت مورد عيش لقسم كبير من التونسيين كتونس والقيروان<sup>7</sup>.

وقد نجحت الصناعة الفرنسية في تقليد المواد التونسية وإنتاجها وأرخص الأثمان في صناعة الشاشية، حيث فاقت المبيعات الفرنسية بين سنتي 1903-1904 مبيعات الشاشية التونسية، ونفس الشيء بالنسبة لقطاع النسيج واللباس

1- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 19.

2- الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 41.

3- المرجع نفسه، ص 42.

4- المرجع نفسه، ص 45.

5- المرجع نفسه، ص 47.

6- المرجع نفسه، ص 43.

7- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 40.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

وخصوصاً أقمشة "كبون" الحريرية وأقمشة "مانشستر" القطنية، وتمكنت من صنع البرنوس التونسي وترويجه بأثمان مناسبة مما أدى إلى إفلاس الحائكين التونسيين<sup>1</sup>.

وتحولت تونس إلى ورشة كبيرة لتوسيع وشق الطرق 2000 كلم سنة 1900م مقابل 4 كلم سنة 1881م أما السكك الحديدية 900 كلم سنة 1900م ليرتفع الرقم إلى 1820 كلم سنة 1913م وأيضا الموانئ كميناء تونس سنة 1893م وميناء صفاقس سنة 1897م واكتشاف واستغلال مناجم قفصة للفوسفات الذي بدأ يشتغل نهاية القرن التاسع عشر<sup>2</sup>.

### **4- نظام الضرائب**

لقد ازدادت الضرائب في عهد الحماية ثقلا على ما كانت عليه في السابق، فالحماية أعادت تنظيم الضرائب ولكن هذا التنظيم لا يعدو إلا أن يكون إجراء ظاهري لأن الواقع يثبت أنها غيرت طرق فرض الضرائب فمثلا "المجبة" وهي ضريبة على المال كانت موجودة في النصف الأول من القرن التاسع عشر واستمر العمل بها وهي تعود إلى عهد "محمد باي" (1686-1696) أما بعد سنة 1881، أصبحت تستعمل من أجل توازن الميزانية وكان المعنيون بدفعها هم سكان الريف هذه الضريبة الثقيلة قدرت بـ 25 فرنك كمتوسط في العام بالنسبة للبالغ من جنس ذكر<sup>3</sup>.

بالإضافة إلى ذلك فإن الفلاح التونسي كان يدفع ضريبة "الكانون" وهي ضريبة على الزيتون والتمور، أما العشور فهي ضريبة على الحبوب، وأيضا كان التونسيون يدفعون الضرائب الغير مباشرة ونظرا لثقل هذه الضرائب فقد وصل مجموع ان كانت تساهم 5/4 من ميزانية المحمية وهي في الحقيقة يستفاد منها ومن ريعها الكولون دون سواهم من التونسيين المسلمين<sup>4</sup>.

### **5- الحالة الاجتماعية**

ونتيجة لتلك السياسة الاقتصادية المحجفة في حق التونسيين فقد عم البؤس وانتشر الفقر، وقد وصف الإداري الفرنسي شارلبيتي سنة 1907م حالة التونسيين فقال "إن الحضور الفرنسي قد أطاح بالهياكل التقليدية للحياة الاقتصادية وإن ظروف عمل الأهالي كانت تقودهم حتى إلى الموت السريع"<sup>5</sup>.

وكان المقيم العام "بيشون" قد أكد للتونسيين رغبته في الإصلاح ونشر العدالة ورفع المظالم إلا أنه واجه موقف المعمرين الراضين فتراجع عن رأيه واستمرت سياسة المحق الجماعي<sup>6</sup>.

وقد شهدت البلاد التونسية كغيرها من البلدان الغير أوربية انفجارا ديموغرافيا حقيقيا وخاصة منذ الثلاثينات من القرن العشرين (20) إذ اعتبرنا أن نسبة الزيادات السنوية كانت 100 بين 1925 و1929 فإنها ارتفعت إلى 122

<sup>1</sup> - حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 109.

<sup>2</sup> - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 26.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 49.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 49.

<sup>5</sup> - يوسف مناصرية، دور النخبة، المرجع السابق، ص 52.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 53.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

بين سنوات 1935-1939<sup>1</sup>، حيث ارتفع عدد السكان المسلمين التونسيين خلال ربع قرن ما بين سنة 1930 و1955 من 2100000 نسمة إلى 3500000 وكانت لهاته الزيادة مضاعفات من الناحية الاقتصادية (اختلالات شتى خاصة بين المتساكنين والإنتاج)<sup>2</sup>.

وقد أحدث الاقتصاد الرأسمالي والنظام الإداري الاستعماري بداية من الثلاثينات تفككا خطيرا في الهياكل القبلية التقليدية وفي أنماط العيش القديمة، فتوفرت لأقلية من المشايخ ومستخدمي الدولة والتجار وغيرهم فرصة إثراء بينما كانت الأغلبية تنغمس أكثر فأكثر في مهانة اقتصادية واجتماعية مدقعة.<sup>3</sup>

وقد أدت هذه الحالة في الأرياف إلى النزوح الريفي نحو أطراف المدن بمئات الآلاف وسكنوا بالأحياء القصديرية (Bidonvilles) حيث ارتفع عدد سكان مدينة تونس ما بين 1930 و 1956 من 300 ألف إلى 550 ألف<sup>4</sup>.

وقد تأثرت الطبقة الأرستقراطية أيضا في تونس بتغيرات الوضع الجديد فنجد أن "المماليك"<sup>5</sup> قد فقدوا سيطرتهم على دواليب السلطة التي كانت تمثل بالنسبة إليهم مصدر الثروة، ومع ازدياد حاجاتهم والإقبال العريض على المواد الأوروبية للمحافظة على الأبهة واقتناء الأثاث الرفيع وبناء الدور الحديثة اضطر الكثير منهم إلى بيع ما يملكون من أراضي بل منهم من وصلت حالته إلى الفقر.<sup>6</sup>

**أ- الجانب الصحي:** لم تقم السلطة الفرنسية بواجبها في هذا الميدان بل أهملته كل الإهمال ولم تخصص في الميزانية التونسية من الاعتمادات ما يكفي للقيام بشؤون الصحة،<sup>7</sup> ويتضح إهمال السلطة الفرنسية للحالة الصحية بضالة عدد المستشفيات وعدد الأسرة بها وانعدام الأجهزة الطبية اللازمة، ففي ثلاثة ملايين نسمة وهم سكان تونس لا يوجد غير 4285 سرير للعرب والأوروبيين في مختلف المستشفيات والمصحات، ويخص العاصمة في هذا العدد 2000 سرير معنى ذلك أن بقية السكان سواء في المدن أو البوادي لا يوجد لمرضاهم سوى 2285 سرير<sup>8</sup>.

وتكاد تكون المجاعة في تونس مزممة منذ 1930 من جراء سياسة فرنسا الاقتصادية وفي العشر سنوات الأخيرة انتشرت المجاعة بصورة جليلة خمسة مرات في البوادي، وكانت آخر مجاعة شهدتها تونس سنة 1947 وقد بلغ عدد العائلات المنكوبة بحسب إحصاء لجنة الإغاثة الوطنية 22160 عائلة،<sup>9</sup> وسبب كثرة الوفيات في تونس راجع لإهمال

<sup>1</sup> - محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 104.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 104.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 105-106.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 106.

<sup>5</sup> - المماليك: وهم قادة الجيش والأمراء والوزراء الذين كانوا مملوكين لأسرة الباي والذين أعتقهم الباي المشير أحمد سنة 1846.

<sup>6</sup> - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 67.

<sup>7</sup> - الحبيب ثامر: هذه تونس، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948، ص 62.

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص 62.

<sup>9</sup> - المصدر نفسه، ص 62.



## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

السلطة الفرنسية لشؤون الصحة وخاصة مقاومة الأمراض البوائية والأمراض المعدية كالسل والزهرى ورعاية الطفولة، وهو راجع كذلك إلى الفقر وقلة التغذية التي يعاني الشعب منها من جراء سياسة فرنسا الاستعمارية.<sup>1</sup> وقد انتشرت الأمراض المعدية وأهلكت الشعب وعم الفقر والجوع وكثر عدد المتسولين.<sup>2</sup> ورخصت الإدارة الفرنسية في فتح الحانات والملاهي فأصيب التونسيون بأمراض أخطر من السل والوباء وهي الآفات الاجتماعية وعلى رأسها الإدمان على الخمر.<sup>3</sup>

### المطلب الثالث: السياسة القضائية والدينية

#### 1- القضاء

يقول الشيخ عبد العزيز الثعالبي في كتابه "تونس الشهيدة" أن النظر للقضاء التونسي بعد أن وضع تحت سلطة الكاتب العام يعطينا صورة حزينة عن الإنحلال وعن الأذى الذي تصنعه حكومة هدفها خراب الوطن".<sup>4</sup> وفي السنوات الأولى من عهد الحماية كانت العدلية العسكرية من مشمولات المجلس الحربي التابع لجيش الاحتلال، وفي سنة 1928 أنشئت المحاكم العسكرية التي تتركب من قضاة عسكريين، وكلفت تلك المحاكم بالخصوص بالنظر في أنشطة الوطنيين التونسيين خلال الكفاح التحريري وكانت أحكامها صارمة ولا تقبل الاستئناف.<sup>5</sup> وكان القضاء قبل الحماية ينقسم إلى محاكم شرعية تنظر في الأحوال الشخصية، ومحاكم دار الباي بالنسبة للقضايا المدنية وبعد انتصاب الحماية فإن المحاكم الشرعية لم تشهد تغير ملحوظ عكس المحاكم المدنية التي أعيد تنظيمها بصورة جذرية.<sup>6</sup> ولكنها من ناحية أخرى فقد عملت الحماية على تهميش نفوذ القوانين الشرعية التونسية وتقزيم نفوذ الأحكام الدينية بتخطيط مقصود من المصالح القضائية، ولهذا الغرض أسست الحماية محاكم فرنسية تتولى القضاء إلى جانب المحاكم التونسية والتي ارتكبت عدة تجاوزات في حق التونسيين،<sup>7</sup> وقد قامت سلطات الحماية بإلحاق المحاكم المدنية بمصالح الكتابة العامة، وقد اشتملت على قسمين قسم الشؤون المدنية وقسم الشؤون الجزائية، وفي سنة 1896 جمع القسمين (المدني والجزائي) وإحداث إدارة للمصالح العدلية وضعت تحت سلطة قاضي فرنسي.<sup>8</sup> ومن ناحية أخرى فقد تم تدوين القوانين التي تطبقها المحاكم المدنية في مجلات قانونية، كالمجلة المدنية للإلتزامات (1906) ومجلة الإجراءات المدنية (1910) والمجلة الجنائية (1913) ومجلة الإجراءات الجزائية (1921).<sup>9</sup>

<sup>1</sup> - الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 65.

<sup>2</sup> - يوسف مناصرية، دور النخبة، المرجع السابق، ص 54.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 54.

<sup>4</sup> - عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة، تر وتو: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975، ط 1، ص 69.

<sup>5</sup> - أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956) تع: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ط 1، ص 476.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 477.

<sup>7</sup> - حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 131-137.

<sup>8</sup> - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 477.

<sup>9</sup> - المرجع نفسه، ص 478.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

أما المجلس العقاري المختلط الذي أحدث بمقتضى الأمر المؤرخ في أول جويلية 1885 فهو ينظر في القضايا المتعلقة بالتسجيل العقاري، وهو وحده الذي "يأذن بتسجيل الممتلكات العقارية أو يقرر المنع أو الرفض".<sup>1</sup> ومن ناحية أخرى فإن القضاء الفرنسي هو وحده المؤهل للنظر في المخالفات السياسية (الأمر المؤرخ في 29 جويلية 1926).<sup>2</sup>

### 2- الناحية الدينية

لقد شملت السياسة الدينية الفرنسية في تونس عدة نواحي حيث تحركت في مجال التضييق على الدين الإسلامي وفي نفس الوقت عملت على نشر المسيحية بدعمها للقساوسة ودعاة الكنيسة، إلا أن بصيص الأمل كان يتمثل بجامع الزيتونة<sup>3</sup> الذي اقتصر التعليم فيه على العلوم الدينية واللغوية ونشر الثقافة الإسلامية لكل بلاد المغرب العربي والذي لم يستطع الفرنسيون من السيطرة عليه.<sup>4</sup>

والحقيقة أنه من الزيتونة بدأت أولى بوادر الإصلاح الديني والاجتماعي كما أنها تصدت للحماية في بعض المواقف التي كانت تعارض الدين ولا تتماشى وتقاليد الأمة الإسلامية.<sup>5</sup>

أ- التضييق على الدين الإسلامي وقد شملت الممارسات الفرنسية الجانب الروحي في شخصية الإنسان في تونس فأقدمت سلطات الاحتلال على إزالة القباب والمساجد لتحل محلها الكنائس، وحرصت على أن تجعل المستوطنين الفرنسيين من القوة بحيث ينعون المواطنين الأصليين من القيام بشعائرهم الدينية في بيوت الله، فإذا فكرت مجموعة من التونسيين القاطنين قرب مركز من المراكز الاستعمارية في بناء بيت للصلاة فإن كافة المتساكنين يرفضون تلك الفكرة بشدة.<sup>6</sup>

وقد أصدرت جماعة من البروتستانت كتابا اسمه "البرهان الجليل في إبطال القرآن وصحة الإنجيل" كما نشط أحد قساوسة البروتستانت في تونس نفسها وكتب عن الدين الإسلامي "فدم شهر الصوم المعظم وشنع على العقيدة وطعن في الدين".<sup>7</sup>

<sup>1</sup>- احمد القصاب، المرجع السابق، ص 478.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 483.

<sup>3</sup>جامع الزيتونة: يعتبر جامع الزيتونة من أقدم الجوامع التي بنيت في شمال إفريقيا، ويعتقد أن عبد الله بن الحبحاب هو الذي خط الجامع لما كان واليا على إفريقية سنة 735م، يقع الجامع في قلب مدينة تونس العتيقة، وعرف ترميمات في عهد الأغالية سنة 863م ومن هذا الجامع تخرج جموع العلماء كآل النيفر، وآل عاشور، وآل بيزم، وتخرج متخصصون في الفقه والإفتاء والتفسير والآداب، أنظر: ابن الأثير أبو الحسن علي ابن أبي أكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، مج 5، دار الكتاب، بيروت، 1963، ص 185، وأيضا: محمد لخضر، حسين، تونس، وجامع الزيتونة، جمع وتح: علي الرضا، تونس، 1971، ص 26.

<sup>4</sup>- جميل بيزوي وآخرون: تاريخ العرب الحديث، الأردن، مطبعة دار الأمل، 1992، ط 1، ص 111.

<sup>5</sup>- رابع فلاحي: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1954)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية: 2008/2007، ص 34.

<sup>6</sup>- مسعودة مسعود بالخرصة: الشيخ عبد العزيز الثعالبي، ودوره في الإصلاح الإسلامي، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ط 1، ص 77.

<sup>7</sup>- المرجع نفسه، ص 88.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

ب- نشر المسيحية وتشجيع الكنيسة وقد انعقد المؤتمر الأفخارستي<sup>1</sup> بقرطاج في شهر ماي 1930 وهو تظاهرة مسيحية صرفة، نظمت في بلاد إسلامية بمساعدة معنوية ومادية من حكومة الحماية،<sup>2</sup> وكان انعقاده بتونس بمثابة استفزاز لمشاعر التونسيين وبشخصيتهم وفي هذه الظروف برز للتونسيين تشابك الدين والسياسة وتبينوا أن الكنيسة المسيحية ترمي مثل الدولة الفرنسية إلى تثبيت دعائم الفرنسي في بلدان المغرب العربي.<sup>3</sup>

وكان الأب "بونس" مساعد مطران قرطاج "الأب لوماتر" لم يفته أن يتعرض خلال جولاته وفي تصريحاته وكتاباتاته إلى تنصير سكان شمال إفريقيا، وهو أمر كان يراه ممكنا شريطة أن تسانده الدولة ماديا ومعنويا،<sup>4</sup> وذهب المطران "لوماتر" حتى إلى الكشف في حديثه عن الفتيات المسلمات اللاتي عهد بتربيتهن إلى الأخوات البيض عن النوايا الخفية للكنيسة قائلا "إن المرأة هي التي سيدخل الدين يوما بفضلها إلى البيت المسلم... وهو الهدف البعيد الذي يرمي إليه لافيغري".<sup>5</sup> ومن أجل العمل على فرنسة البلاد التونسية وتسهيل عمل الكنيسة التبشيري أقدمت فرنسا على سن قانون جديد للجنسية يجيز سحب الجنسية التونسية وإعطاء الجنسية الفرنسية مكانها لمن يطلبها، وبالتالي يصبح حاملها من الرعايا الفرنسيين ويستحق حمايتها ودعمها.<sup>6</sup>

وبالإعتماد على القرآن الكريم أقر الوطنيون التونسيون آنذاك أن كل من تخلى عن جنسيته تخلى عن دينه وأن المتجنس يعتبر مرتدا ويجب عزله تماما عن حياة المجتمع الإسلامي، فلا يجب الاقتراب منه أو إقامة علاقات معه ولا يدخل في الميراث ولا يصلى عليه صلاة الجنازة ولا يدفن في مقابر المسلمين.<sup>7</sup>

ولكن هذه السياسة أخفقت كل الإخفاق وطويت صفحاتها نهائيا سنة 1933 إذ شعر الشعب بخطرها ووقف صفا واحدا في معارضتها مما أدى إلى اضطرابات وحوادث دامية أصبحت مشهورة في تاريخ الجهاد التونسي.<sup>8</sup>

ج- احتواء السلط الاستعمارية لبعض مشائخ الطرق تهدف السياسة الاستعمارية تجاه الطرق الصوفية في البلاد التونسية إلى استغلالها وتوظيفها لخدمة مصالحها وتحقيق أهدافها وذلك لمكانة مشائخها بين الأتباع لنفوذهم الروحي عليهم وتحقيقا منها لذلك فقد خصتهم بعدة امتيازات،<sup>9</sup> كالإعفاء من الخدمة العسكرية وأيضا من بعض الأداءات الدولية كإعفاء سيدي قدور شيخ الزاوية القادرية بالكاف من السخرة ابتداء من سنة 1901م (وهذا الأخير ساهم

1- المؤتمر الأفخارستي: انعقد من 3 إلى 7 ماي 1930 بقرطاج لكونها مركز قديم للمسيحية بإفريقيا وتزامن مع الذكرى المئوية لإحتلال الجزائر وإصدار الظهير البربري المغربي، والأفخارستيا هي الكأس الذي يشرب منه المسيح وهي تظاهرة مسيحية استعمارية هدفها هدم الشخصية العربية في تونس. أنظر: خيرية عبد الصاحب وادي: الفكر القومي العربي في المغرب العربي، دار الرشيد، بغداد، 1982، ص 78.

2- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 505.

3- المرجع نفسه، ص 506.

4- المرجع نفسه، ص 508.

5- المرجع نفسه، ص 508.

6- راغب السرجاني: قصة تونس من البداية الى ثورة 2011، دار اقلام للنشر، القاهرة، 2011، ط 1، ص 23.

7- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 527.

8- الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 82.

9- التليلي العجيلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939) منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1992، ص 77.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

بشكل كبير في تسهيل مهمة استيلاء الجيوش الفرنسية على مدينة الكاف)، أيضا التكتّم على مخالفات مشائخ الطرق وعدم فضح محاكماتهم عدليا من ذلك مثلا التدخل لدى محكمة سوسة لإيقاف تتبع الحفناوي بن عبد الحفيظ شيخ رحمانية تمغزة، المتهم بقضية تهريب ومسك أسلحة<sup>1</sup>.

أيضا منحهم مبالغ مالية ومقابل هذه الامتيازات قدم مشائخ الطرق الصوفية في تونس خدمات جليلة للسلطة الاستعمارية منها:

أن الشيخ الأزهاري بن مصطفى بن عزوز شيخ الطريقة الرحمانية عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى أمد الحكومة الفرنسية بما تحتاجه من خيل وحث التونسيين على الإنخراط في الجندية وتقديرا لخدماته "وقع تقليده وسام الشرف الفرنسي ونيشان الإفتخار"<sup>2</sup>.

كما لعب مقدم التيجانية سعد بن الحاج ناصر دورا هاما أثناء حوادث الجنوب فيما بين 1915 و1916، حيث اجتمع أكثر من مرة باتباع الطريقة وحثهم على الوقوف إلى جانب فرنسا كما قرأ عليهم تعليمات في هذا المعنى واصله إليهم من شيخ الطريقة بالجزائر<sup>3</sup>.

لقد تمكنت السلط الاستعمارية، بفضل توظيفها لبعض مشائخ الطرق الصوفية من تحقيق أهداف بأقل التكاليف وفي مدة وجيزة، كما وفرت لها الأمن والاستقرار في أشد الفترات حرجا وفي أماكن حدودية نائية من الصعب السيطرة عليها<sup>4</sup>.

وإذا أدت الطريقة في تونس دور تعليمي وثقفي وروحي كالذي في الجزائر، فإن الأمر يختلف قليلا في مقاومة الاحتلال إذ لاحظ الدكتور سعد الله أن سياسة المشير أحمد باي<sup>5</sup> في تونس قد تولدت عنها فئة اجتماعية متعلمة ومسيسة تولت بدورها مواجهة الاحتلال في 1881 وكذلك خريجي الزيتونة الذين تولوا قيادة العمل السياسي وغياب الدور الكبير للطريقة في مواجهة الاحتلال<sup>6</sup>.

### المطلب الرابع: السياسة التعليمية والثقافية في ظل الحماية الفرنسية

#### 1- الجانب التعليمي

ومنذ أول عهد الحماية قامت السلط الفرنسية بتنظيم التعليم العصري المقام على نشر اللغة الفرنسية، فأحدثت في سنة 1883 إدارة التعليم العمومي التي يطلق عليها التونسيون اسم "إدارة العلوم والمعارف"، وقد تم تنظيمها بالأمر العلي

<sup>1</sup> - التليلي العجيلي: الطرق الصوفية، المرجع السابق، ص94.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص97.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص97.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص98.

<sup>5</sup> - المشير أحمد باي: (1837-1855) أصلح الجيش واهتم بالبحرية وبنى مدينة المحمدية، وأمر بغلاق سوق العبيد سنة 1846 وأعتق جميع المماليك بالبلاد واهتم بجامع الزيتونة رحمه الله. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص138-141.

<sup>6</sup> - حميدي أبو بكر الصديق: قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1920-1954 دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2015، ص215.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

المؤرخ في 06 أفريل 1886 وأوكلت إليها في الحين مهمة تربية أبناء المزارعين الفرنسيين الذين قدموا للاستقرار بالبلاد التونسية، ولكن الهدف أشمل من ذلك فهو يرمي إلى نشر اللغة والثقافة الفرنسية في الأوساط الإسلامية والمالطية والإيطالية بالأية<sup>1</sup>.

لقد كان أبناء التونسيون محرومين من التعليم الحديث وليس أمامهم إلا فرصة التعليم الكتائبي وهي محدودة وتقليدية أو المدارس التبشيرية أو مدارس المنظمات الوطنية التي كانت تتعرض للمحاربة المستمرة، إن الاستعمار بمحاربه اللغة العربية كان يدرك أنها العامل الموحد والحرر ولأنها السلاح الفكري الفعال في ميدان الصراع بين الشعب والاحتلال بين الأصالة وعملية المسخ الإستعماري<sup>2</sup>.

حيث كانت اللغة العربية هي لغة التعليم قبل الحماية وكانت جامعة الزيتونة وغيرها من الكتاتيب والزوايا تشتمل على كثير من التلاميذ الذين يتلقون الثقافة العربية على الطريقة القديمة إلى جانب مدرسة حديثة كبرى يتلقى فيها الطلاب العلوم العصرية واللغات الأجنبية وهي المدرسة الصادقية<sup>3</sup>.

وحسب الإحصاءات الرسمية لسنة 1944 يتضح لنا بصورة جلية محاربة فرنسا للتعليم بتونس، يبلغ عدد الأطفال التونسيين الذين بلغوا سن التعليم 700.000 لا يتلقى منهم التعليم سوى 74557 (منهم 60296 بالمدارس الحكومية و14261 بالمدارس الحرة)، في حين أن عدد الأطفال من الفرنسيين وغيرهم من الأجانب الذين يبلغون سن التعليم في تونس لا يتجاوز 78750 يتلقى منهم 55474 التعليم، فتكون نسبة الأطفال الملحقين بالتعليم على النحو الآتي: 10 بالمائة من التونسيين و90 بالمائة من الفرنسيين، ومن هذه الإحصاءات الرسمية تتضح سياسة فرنسا التعليمية في تونس، وليس الأمر راجعا لقلّة إقبال العرب على التعليم ولا لوجود عدد كبير من السكان في البوادي كما يدعي الفرنسيون، وإنما السبب الحقيقي يرجع إلى السياسة التي تنتهجها فرنسا من حرمان العرب من التعليم وحرصها على بقاء الأمية ليسهل الاحتفاظ بنفوذها<sup>5</sup> ورغم كل هذا فإن الكولون عارضوا معارضة شديدة تعليم التونسيين فنجد المدارس الفرنسية تغلق الواحدة تلو الأخرى منذ سنة 1897 وخاصة تلك المتواجدة في الوسط والجنوب حيث لا يوجد أبناء المعمرين إلا قليلا، والإحصاءات الآتية تبين بوضوح تناقص عدد التلاميذ التونسيين في المدارس الفرنسية ففي سنة 1879 كان العدد الإجمالي لهؤلاء التلاميذ 4656 تلميذ هذا الرقم نجده سنة 1903 ينزل إلى 2979 تلميذ<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - احمد القصاب، المرجع السابق، ص294.

<sup>2</sup> - راغب السرحاني، المرجع السابق، ص28.

<sup>3</sup> - المدرسة الصادقية: أنشأها خير الدين باشا سنة 1876 على عهد الصادق باشا باي بأمر مؤرخ في 25 ذي الحجة 1292هـ وقد كانت تدرس بها لغات عديدة وتباشر التعليم الابتدائي ثم العالي، ومن خصائصها أن تعول التلاميذ وتؤويهم ليلا بفضل ما أوقف عليها. أنظر: التعبوري محمد وآخرون: التقويم الذهبي التونسي، المطبعة التونسية، (1938-1939)، تونس، ص298.

<sup>4</sup> - الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص56.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص60.

<sup>6</sup> - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص87.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

والنتيجة طبعاً أصبحت اللغة العربية لغة أجنبية بالبلاد التونسية،<sup>1</sup> وفعلاً فلقد أصبحت اللغة الفرنسية أداة ترقية بالنسبة لجميع التونسيين الراغبين في الإلتحاق بسلك الوظيفة العمومية.<sup>2</sup>

### 2- الجانب الثقافي

أما حرية الصحافة فليست أحسن حالاً، حيث تقضي المادة الأولى من مرسوم 14 تشرين الأول 1884 بأن "المطبعة والمكتبة هما حرتان" وتتم المادة الرابعة عشر فكرة المشروع إذ تنص على أن "نشر وتوزيع" الصحف في تونس وكل ما يكتب باللغتين العربية والعبرية يمكن منعه بقرار خاص موقع من المقيم العام، وهكذا كان وجود الصحافة التونسية تحت رحمة قرار من الإدارة، بينما تتمتع الصحافة الفرنسية بالحرية، وأوجب المرسوم دفع الكفالة ثم حذفها مرسوم سنة 1887 وأعادها مرسوم 1897 ثم حذفها مرسوم 1904 من جديد.<sup>3</sup>

وفي 8 نوفمبر سنة 1911 إثر حوادث "الزلاخ"<sup>4</sup> المشهورة أعلنت السلطة الفرنسية الأحكام العرفية في تونس وعطلت جميع الصحف ما عدا جريدة "الزهرة"، وبقيت البلاد تعيش تحت كابوس خنق الحريات حتى سنة 1920 حيث اندفع الشعب التونسي يتحدى القوة الغاشمة فانتشرت الحركة الوطنية في البلاد وظهرت عشرات الصحف ولم تدم هذه الحالة طويلاً فسرعان ما أصدرت السلطة الفرنسية سلسلة من التشريعات في 29 يناير 1929 عرفت بالقوانين الاستثنائية قضت بما على جميع الحريات العامة من بينها الصحف.<sup>5</sup> أيضاً منع على التونسيين قراءة ما فكر به الآخرون فهو يمنع الجرائد والمطبوعات الفرنسية والأجنبية من دخول تونس.<sup>6</sup> وإنه مما لا شك فيه أن "الأدباء التونسيين" أعني أولئك الذين برزوا في ميادين الأدب والصحافة والتاريخ... الخ، هم من المتخرجين من جامع الزيتونة، ذلك أن الكثير من الصادقين الذين واصلوا تعليمهم العالي بفرنسا وتشبعوا بالثقافة الفرنسية قد ظهر عليهم شيء من الفتور.<sup>7</sup>

وأخيراً نقول لقد مكنت الهيمنة السياسية الفرنسية من تنظيم عمل استعماري متنوع الأوجه، فمن تنصيب أسر فرنسية على الأراضي المنتزعة من التونسيين إلى استغلال موارد البلاد لصالح الشركات الرأسمالية إلى استيلاء المؤسسات التجارية الفرنسية على السوق التونسية. وقد كانت عملية الاغتصاب الاقتصادي تستند إلى مجهود يرمي إلى تحقيق الاستلاب الثقافي وإضعاف الشخصية التونسية.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - الجمعي خري، المرجع السابق، ص 85.

<sup>2</sup> - احمد القصاب، المرجع السابق، ص 294.

<sup>3</sup> - عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 41.

<sup>4</sup> - حوادث الزلاخ: نسبة إلى مقبرة الزلاخ، وهي مقبرة إسلامية تقع جنوب مدينة تونس وتضم قبور العلماء والمرابطين المشهورين بها زاوية سيدي بلحسن الشاذلي، وقد حاولت سلطات الحماية لبلدية تونس سنة 1911 تسجيلها ضمن ممتلكات البلدية بالرغم من أنها أرض حيوس واثارت أحداث بسبب ذلك بين التونسيين وقوات الشرطة الفرنسية أسفرت عن ضحايا وجرحى من الجانبين. أنظر: الجمعي خري، المرجع السابق، ج 2، ص 353-354.

<sup>5</sup> - الحبيب ثامر، المصدر السابق، ص 76.

<sup>6</sup> - عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 42.

<sup>7</sup> - احمد القصاب، المرجع السابق، ص 322.

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص 7.

## الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس

من خلال الدراسة السابقة لسياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر وتونس نستخلص النتائج التالية:

- الطابع العدواني والاستغلالي لسياسة فرنسا في كل من الجزائر وتونس من خلال حرب الإبادة الجماعية وسياسة الاستيطان ومصادرة الأراضي من الأهالي لصالح فئة المعمرين الأوروبيين.
- إتباع سياسة عنصرية ظالمة بتقسيم مجتمعاتهم إلى مواطنين فرنسيين متساوين في الحقوق والواجبات وسكان أصليين هم مجرد رعايا عليهم نفس الواجبات أو أكثر وليس لهم نفس الحقوق التي للفرنسيين ومن أشهر هذه المظالم حرمانهم من حق الانتخاب كناخبين ومنتخبين وأيضا مضاعفة الضرائب وعدم تقلد الوظائف السامية... إلخ.
- سياسة لا تحترم حقوق الإنسان ولا كرامته من خلال مصادرة حريات الجزائريين والتونسيين السياسية والفكرية والثقافية بمنعهم من حرية الصحافة وحق الاجتماع والتجمع ومحاصرة التعليم العربي ومحاربهه وتدريس المقدسات بتحويل المساجد إلى كنائس ومستشفيات وثكنات.
- القضاء على البنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات المغاربية بغية تكوين طبقة بورجوازية من الكولون.
- لا نجد فرق كبير في سياسة فرنسا الاستعمارية إزاء تونس بينها وبين الجزائر بحكم أن تونس محمية ولا تدخل ضمن إطار سياسة الإدماج، ولكن الحقيقة عكس ذلك فقد انتهجت فرنسا سياسة استعمارية استيطانية وإنما جعلت شعار الحماية كذريعة لاحتلال تونس في إطار المنافسة الأوروبية الجشعة في الاستيلاء على المستعمرات الإفريقية.
- ما نستخلصه في الجانب التعليمي والديني والثقافي هو أن تونس حافظت على مؤسساتها الدينية مع الزيتونة والذي أعطها نوعا من الحماية في الدفاع عن هويتها ومقوماتها الحضارية عكس الجزائر التي تعرضت لعملية مسح ومحق لمكونات الهوية والشخصية الوطنية.

# الفصل الأول



## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

المبحث الأول: تعريف ومفهوم الحركة الإصلاحية

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح

المطلب الثاني: تعريف الحركة الإصلاحية

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للحركة الإصلاحية في الجزائر

المطلب الأول: تعريف الحركة الإصلاحية في الجزائر

المطلب الثاني: العوامل الداخلية والخارجية لظهور الوعي الإصلاحي في الجزائر

المبحث الثالث: الجذور التاريخية للحركة الإصلاحية في تونس

المطلب الأول: تعريف الحركة الإصلاحية في تونس

المطلب الثاني: العوامل الداخلية والخارجية لظهور الوعي الإصلاحي في تونس

المبحث الرابع: مظاهر روابط التواصل الإصلاحي بين الجزائر وتونس

المطلب الأول: التواصل الثقافي

المطلب الثاني: المساهمة السياسية

المطلب الثالث: الزيارات وتبادل الرسائل

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

قبل الخوض في الموضوع لابد أن نحدد الإطار الذي نبحث فيه طبيعة الإصلاح الذي نعينه من حيث المفهوم والأشخاص والفترة المدروسة، لأن الإصلاح مفهوم واسع فهناك من يعطيه البعد الديني فقط وقليل من يربطه بالإصلاح السياسي، فضلا على تحوّل هذا الإصلاح السياسي وتأثيره على الفكر الثوري التحرري، كما نجد أن مفهوم الإصلاح يتغيّر من بلد إلى آخر، ومن فترة إلى أخرى<sup>1</sup>.

### المبحث الأول: تعريف ومفهوم الحركة الإصلاحية

#### المطلب الأول: مفهوم الإصلاح

##### 1- لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور؛ أن الإصلاح نقيض الإفساد والمصلحة؛ الصلاح والمصلحة واحد، والمصالح والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه، وأصلح الدابة أحسن إليها فصلحت، والصُّلح: تصالح القوم بينهم، والصلح السلم، وقد اصطلحوا وصلحوا وأصلحوا، وتصلحوا واصلحوا مشددة بالصاد، قلبوا التاء صاداً وأدغموها في الصاد بمعنى واحد وقوم صلوح: متصالحون كأنهم وصفوا بالمصدر<sup>2</sup>.

وقد ورد لفظ الإصلاح أو مشتقاته في القرآن الكريم مائة وثلاثة وسبعون مرة موزعا على ستة وثلاثين سورة<sup>3</sup>، ويختلف معنى الإصلاح حسب مقام الآية، ومن معانيه نذكر مثلا:

- جاء مقترنا بالفساد ونقيضا له، كقول الله تعالى: "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"<sup>4</sup>.
- وجاء مرتبطا بسنن التغيير الحضارية، كقول الله تعالى: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت"<sup>5</sup>.

وهناك تعريفات لغوية أخرى، حيث نجد، لغة: أن مادة الإصلاح مشتقة من الفعل "أصلح" وصلح وكلها تدل على تغيير حالة الفساد، أي إزالة الفساد على الشيء<sup>6</sup>، عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه في إصلاح البدن بمعالجته بالحمية والدواء، وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة<sup>7</sup>، ويقال أيضا: "هذا يصلح لك أي يوافقك ويُحسن بك" ويقال كذلك صالح لك أي فيه أهلية للقيام به وبصفة عامة "الصلاح ضد الفساد"، ومنه كذلك، إصلاح الأراضي الذي

<sup>1</sup> - حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص22.

<sup>2</sup> - ابن منظور: لسان العرب، ج5، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997، ط7، صص 263-264.

<sup>3</sup> - أحمد عيساوي: الشيخ العربي بن بلقاسم مصلحا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، 1423هـ/2002م، ص416.

<sup>4</sup> - سورة الأعراف، الآية: 65.

<sup>5</sup> - سورة هود، الآية: 88.

<sup>6</sup> - محمد طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ط2، ص11.

<sup>7</sup> - كمال عجالي: الفكر الإصلاحية في الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، الطباعة الشعبية، الجزائر، 2007، ص31.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

يعني تحويل الأرض الجذباء إلى منتجة، ومنه أيضا الإصلاح الزراعي، الذي يعني توزيع المواد الزراعية في دولة ما، أو إعادة توزيع الأراضي، كما شمل التغييرات المتعلقة بما في ذلك القروض والضرائب والإيجار والتعاونيات<sup>1</sup>.

### 2- إصطلاحا

عرّفه الشيخ مبارك المليي<sup>2</sup>، بقوله: "نبذ الفاسد من العقائد والعوائد وإرشاد إلى ما هو صالح منهما ليؤخذ وغيابته ترقية المجتمع في سلم السعادتين الدنيوية والأخروية"<sup>3</sup>.

ومفهوم الإصلاح متعلق بالظاهرة الدينية أو الثورة الدينية التي قامت في أوروبا الغربية في القرن السادس عشر ميلادي، وبدأت في شكل حركة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية ولكنها تحوّلت إلى حركة عقائدية عُرفت بالبروتستانتية<sup>4</sup>، أما فيما يتعلق بالفكر الإسلامي فإن هذا المفهوم منتشر جدا في الثقافة الإسلامية الحديثة، ويجد مكانة جيدة في النص القرآني، حيث الحقل الدلالي واسع جدا، ومن الاستعمالات القرآنية المختلفة التي يُمكن إحصاءها للفظ "أصلح" ما يُفيد الصلح وما يفيد القيام بعمل صالح وإصلاح أحوال الناس، ومن هذه النصوص، قول الله تعالى: "قال يا قومي أرايتم إن كنت على بئنة من ربي ورزقي منه رزقا حسنا، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت"<sup>5</sup>. فالقرآن الكريم ساهم في المقام الأول في تعميم فكرة الإصلاح داخل الجماعة المسلمة من خلال مجموعة الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، ساهمت في ذلك التعميم الحديث الشهير الذي يرويّه أبو هريرة رضي الله عنه: "عن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد دينها"<sup>6</sup>.

فالعلمية الإصلاحية هي عملية من الوجهة النظرية عبارة عن "تذكير" المؤمنين بالإسلام وتعاليمه، والتذكير هو إحياء الممارسات الدينية الصحيحة وإعادة تشكيل العقيدة الإسلامية عبر تجديد الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة

<sup>1</sup> - أحمد بلعجال: الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006، ص14.

<sup>2</sup> - مبارك المليي: من قبيلة أولاد مبارك الهلالية، ولد بالميلية وبها حفظ القرآن الكريم وزاول دروسه الابتدائية، ثم التحق بدروس الشيخ ابن باديس بقسنطينة ليلتحق بجامع الزيتونة وأخذ عن علمائها، وبعد تحضه على شهادة التطوع رجع إلى الجزائر سنة 1924م لينخرط في العمل الإصلاحي وينشئ مع ابن باديس جريدة المنتقد والمطبعة الجزائرية، ثم واصل رسالته التعليمية بالأغواط حيث مكث بها سبع سنوات، ثم توجه إلى الميلية فأنشأ بها مسجدا ومدرسة ونادي، وبعد وفاة ابن باديس اضطلع بتحرير البصائر ومن أبرز أعماله؛ "تاريخ الجزائر القديم" ورسالته عن "الشرك ومظاهره". أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1931، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط2، ص340.

<sup>3</sup> - هارون الرشيد بن موسى: المنهج الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين وعلاقته بالمناهج الإصلاحية الأخرى تأثيرا وتأثيرا، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص35.

<sup>4</sup> - البروتستانتية هي حركة إصلاحية ضد الكنيسة الكاثوليكية تزعمها مارتن لوثر (1483-1556م) وبمعاها اللفظي احتجاج ورفض للدعاءات البابوية وتسمى أيضا بالحركة اللوثرية. أنظر: سليمان الشواشي، الفكر الإصلاحي عند جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأثره في الفكر الإصلاحي التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2017، ط1، ص119.

<sup>5</sup> - سورة هود، الآية88.

<sup>6</sup> - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، ج4، باب ما يذكر في القرن المائة، رقم:4291، دار الجليل، بيروت 1408هـ/1988، ص168.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

النبوية بعدما أصابهما الجهل والابتعاد عن الإسلام، فقد قال تعالى للمؤمنين وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم، "فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"<sup>1</sup>.

فنحن هنا بصدد حركة دينية بشرية خالصة تتعلق بنصوص دينية وروحية الشخصية ولدين الإسلام، بما هو منظمة شاملة من القضايا والأحكام المتعلقة بجميع وجوه الحياة الأخلاقية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية والسياسية وبتعيين الالتزام بها وتجسيدها في الواقع العملي المباشر.<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: تعريف الحركة الإصلاحية

فالإصلاحية تيار يشخص ممثلوه بما هم مجددون أو تحديثيون يطلبون التغيير التقدمي أو بعبارة أخرى التدرجي،<sup>3</sup> أي بمعنى هو أن التيار الإصلاحي التدرجي يتمثل رؤية إسلامية نهضوية أي رؤية متفتحة تأبى الانحصار في الموقف الشمولي الوثوقي، فالإسلام لدى الحركة الإصلاحية لا يشخص بما هو نظام جامد مغلق لا يقبل أي تغيير أو تطور، وإنما هو نظام حي يستجيب بمرونة لتعاقب الأزمنة وتحولها ويتقبل أحكام الخبرات والتجارب والأحداث الزمنية أي أنه قابل لتطورات تدريجية.<sup>4</sup>

فالحركة الإصلاحية باعتبارها نهوضا تدعو إلى الرجوع إلى الأصول حتى تنهض من ركودها المعرفي وتنفض عنها غبار التخلف الفكري والتدهور السياسي والاجتماعي والتسلط الاستعماري، ولتحقيق ذلك يجب إحياء التراث الديني والثقافي والوجداني حيث يتخذ هذا النهوض الأوصاف التالية:<sup>5</sup>

- العمل على استرجاع الصورة الأصلية للدين الإسلامي وذلك بتنقيته وتنقية ممارسته من جميع ما علق بهما من تلوينات محلية وتكيفات ظرفية خضع لها على مر القرون منذ ذهاب الرعيل الأول من الصحابة.
- الإشادة والتمسك بالقيم الأخلاقية الماثورة في التراث الإسلامي.
- الاستمداد من التراث الإسلامي باتباع مناهج تبني بين خصائص المنهجية الإسلامية وبعض مزايا المنهجية الغربية.
- إصلاح المؤسسات السياسية بالعودة إلى التمسك بمبادئ العدل والحق والخير والحرية والشورى بالاستفادة من طرائق الغرب في ممارساتهم السياسية.
- إصلاح الواقع الاجتماعي المتردي تربويا وعلميا ومعيشيا مع المحافظة على الهوية الإسلامية.

<sup>1</sup> - سورة الذاريات، الآية 55.

<sup>2</sup> - لطيفة عميرة: خطاب النهضة عند زعماء الإصلاح في الفكرة الجزائرية الحديث من 1930 إلى 1954، رسالة دكتوراه في الدعوة والإعلام، جامعة باتنة 1، 2018/2017، ص 68.

<sup>3</sup> - فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010، ط 4، ص 14.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 15.

<sup>5</sup> - لطيفة عميرة، المرجع السابق، ص 66.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

### المبحث الثاني: الجذور التاريخية للحركة الإصلاحية في الجزائر

#### المطلب الأول: تعريف الحركة الإصلاحية في الجزائر

الحركة الإصلاحية الجزائرية هي حالة الوعي والنهضة التي حاولت شخصيات جزائرية بعثها في المجتمع وهي ذات تكوين ديني وثقافة عربية إسلامية، وذات بعد وطني متفاعل مع محيطه المغاربي، وكان دافعها الأول هو حالة الجهل والأمية وواقع الاستعمار، فأرادت إخراج المجتمع من هذه الدائرة ولذلك اتخذت التعليم والخطابة والصحافة والمحاضرات وسائل للوصول إلى أهدافها، وهي تنطلق من الإحساس بواجب الإصلاح من منظور شرعي على غرار معظم الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي، وإذا كانت السياسة الاستعمارية المبنية على التجهيل والتخلف عنصرا مهما في تحريك النخبة الجزائرية للقيام بهذا الإصلاح إلا أن وتيرة العمل كانت بطيئة وصعبة لعوامل موضوعية واستعمارية، ولكن ذلك لم يوقف مسيرتها محليا وإقليميا<sup>1</sup>.

فقد كانت بواردها الأولى منذ نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، ولكنها أخذت تتبلور بشكل واضح في مطلع القرن العشرين ميلادي، ففي البداية كانت محاولات فردية على أيدي شخصيات لها تكوين ديني، ولكنه ممزوج بروح الوعي السياسي ومتأثرة بصدى النهضة الإصلاحية في المشرق العربي، وترغب في التميز عن التدين التقليدي الذي مثله في الغالب الطرق الدينية والزوايا وحركات التصوف<sup>2</sup>.

ومن جهة أخرى أرادت أن تبرز أن الإسلام الحقيقي لا تمثله المدارس الثلاث التي أنشأتها فرنسا في الجزائر وتلمسان وقسنطينة لتخريج القضاة والمفتين والموظفين الرسميين، والتي كانت تفتقد إلى أي طموح يسعى لتغيير الأوضاع الثقافية أو السياسية للبلاد، ولم تكن تلبي حاجات المجتمع المطلوبة، فهذه الظروف حتمت القيام بدورهم والمتمثل في تصحيح المفاهيم الخاطئة والعمل على الخروج من التقليد الجامد ومحاولة إعطاء القراءة الصحيحة للنص الشرعي والتكيف مع العالم الجديد وخاصة العالم الإسلامي<sup>3</sup>.

فنحن نعرف أن معظم الحركات القومية للشعوب المضطهدة سواء في أوروبا أو في غيرها قد وجدت أولا في أشكال أخرى غير الأحزاب المنظمة، فقد ظهرت أولا كجمعية سرية وتمردات وصحافة وانتعاش أدبي ونشاطات اجتماعية كالنوادي ثم بدأت تتحدى مضطهدها بما في ذلك الأحزاب السياسية، وقد كانت حركة الجزائر نموذجا لذلك، وقد كان للإصلاح دورا كبيرا في تطور الحركة الفكرية والثقافية فهو يدل على يقظة ووعي الشرق بالنسبة لأغلبية زعماء الإصلاح، ويبدو أن كل مصلح ينظر إلى إصلاحه من زاويته وحسب مفهومه، فكان من ذلك مصلحون مختلفون دعوا إلى الإصلاح في أقطارهم على حسب بيئتهم وثقافتهم<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 22.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 22.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 23.

<sup>4</sup> - محمد طهاري، المرجع السابق، ص 14.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وعليه تنطلق النهضة مما يجب أن ينطلق منه عمل يهدف إلى التغيير الجذري للحياة الاجتماعية مفاهيمها وأوضاعها، إذ كل ذلك يتطلب أولاً وقبل كل شيء عدداً من الشروط الموضوعية في طبيعتها إعادة تكوين الإنسان نفسياً وفكرياً تتجاوزاً لرواسب عصر الانحطاط والظلم وإعداداً لمرحلة التصدي والمواجهة مع الاستعمار<sup>1</sup>.

وحسب الكاتب محمد الطاهر فضلاء فإنه يقول: "إن ما حققه العلماء في الجزائر من التحول والتطور من حيث الوعي والإدراك والفهم لمجريات الأمور وفي أقل من عقد من السنين عجزت عنه فرنسا في أكثر من مائة عام"<sup>2</sup>. والواقع أنه في الوقت الذي كان فيه علماء الجزائر مضطهدين ومهملين من طرف دولة الاحتلال بزغ فجر الحركة الإصلاحية في الشرق الأدنى وأخذ المثقفون من العالم الإسلامي يتطلعون إلى مبادئها وأهدافها، وبالتالي فقد أخذ بعض علماء الجزائر هذا الاتجاه الجديد وحاولوا تطبيقه من أجل إصلاح المجتمع الذي كان يشكو من الانحطاط الخلقي والجفاف الثقافي<sup>3</sup>.

ويمكن أن تعتبر أن ما يجمع بين هذه الشخصيات الإصلاحية في الجزائر هو القراءة السليمة لفهم النص الشرعي للتحرر من الجمود والتقليد والخرافة التي دجنت العقل المسلم والتفاعل مع قضايا الجزائر والأمة الإسلامية حتى وإن أعلنت في كثير من موثيقها أنها غير معنية بالسياسة، لكنها تمارسها على أرض الواقع كما أنها كانت جد متأثرة بالأحداث الجارية في العالم كالنهضة في المشرق ومجريات الحرب العالمية والحركة الصهيونية<sup>4</sup>.

وأهم ما يميزها من الحركات الدينية الأخرى هو موقفها المناوئ للاستعمار وعدم التسليم بالواقع والقهر المسلط فعملت على خوض معارك فكرية وسياسية حول التجنيس والاندماج وفصل الدين عن الدولة الفرنسية والهوية الحضارية وحاولت صنع رأي عام جزائري إسلامي مواكب للأحداث<sup>5</sup>.

ورغم قلة الوسائل المتاحة والمضايقة الاستعمارية تبنت مسؤولية الإصلاح من منظور وطني وتكليف ديني، قال الله تعالى: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله"<sup>6</sup>، وأيضاً قوله تعالى: "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون"<sup>7</sup>.

### المطلب الثاني: العوامل الداخلية والخارجية لظهور الوعي الإصلاحي في الجزائر

يعود الفضل في ظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية إلى عدة عوامل داخلية وخارجية.

<sup>1</sup> - أحمد شرفي الرفاعي: الإمام الشيخ العربي التبسي مقالاته في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، دار البعث، الجزائر، 1981، ط1، ص21.

<sup>2</sup> - محمد الطاهر فضلاء: الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، دن، الجزائر، 2007، ص31.

<sup>3</sup> - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء، المرجع السابق، ص51.

<sup>4</sup> - حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص24.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص24.

<sup>6</sup> - سورة هود، الآية: 88.

<sup>7</sup> - سورة هود، الآية: 177.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

### 1- العوامل الداخلية:

■ حيث نجد في مقدمة هاته العوامل الداخلية السياسية الفرنسية الاستعمارية،<sup>1</sup> فيما يتعلق بالناحية التربوية التعليمية كانت ترمي إلى تكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الإسلامية العربية وإلى تحويل الشعب الجزائري كله وإدماجه في الحضارة الأوروبية والثقافة الفرنسية عن طريق نشر اللغة الفرنسية ومقاومة الشريعة الإسلامية التي ترى أنها هي العقبة الوحيدة التي تحول دون الاندماج، ولذلك تشترط فيمن يتمتع بالحقوق الفرنسية أن يتجنس، ويتضمن التجنيس عدم الارتباط بالقانون الإسلامي، بل أكثر من ذلك فإن كثيرا من الحقوق لا ينالها إلا المسيحي، فأصبح التنصّر بذلك طريقا للتمتع ببعض الحقوق.<sup>2</sup>

ورسّمت السياسة الفرنسية وسيلة أخرى تعتقد أنها ستريح بها اللغة وهي بث الخلاف بين عناصر المجتمع الجزائري بين العرب والبربر وحاولوا أن يقنعوا البربر بأنهم من سلالة أوروبية خاصة سكان منطقة القبائل، وأن لهم لغة خاصة لا ينبغي التفريط فيها وأن يمنعوا تعليم العربية للبربر.<sup>3</sup>

■ أيضا نجد من بين العوامل الداخلية التي ساهمت في ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر هو ظهور جماعة صغيرة لائكية (علمانية) مفرنسة بصحافتها وجمعياتها ومطالبها التي تعتبرها "تقدمية" واعتمد هؤلاء الشبان الجزائريون على بعض الأحرار الفرنسيين أمثال بول بورديو Paul Bourdieu وألبان روزي Albin Rozet<sup>4</sup>، وكانت هذه الفئة لا تطالب بمجرد المساواة مع الفرنسيين بل وبالاندماج التام، ويقود هذه الحركة ويمثل هذه النزعات معلمون في المدارس الابتدائية وطلبة في المدارس الفرنسي وموظفون لدى الحكومة الفرنسية ومن النواب وغيرهم ممن يجيدون اللغة الفرنسية، ويستعملونها وسيلة لصحافتهم وأشهر الصحف التي تعبر عن أفكارهم هي:

1. الصوت الأهلي تصدر في قسنطينة ويديرها ربيع الزناتي: La voix indigène

2. صوت المتواضعين تصدر في الجزائر العاصمة ويديرها عمر قندوز La voix des humbles<sup>5</sup>

■ ظهور حركة فكرية وأدبية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ميلادي على أيدي بعض العلماء على سبيل الذكر لا الحصر وهم؛ عبد الحليم ابن سماية، ولونيسي وابن الموهوب والمجاوي والزريبي والحفناوي... وقد كانت سابقة لحركة ابن باديس وإن كانت لا ترق إلى أهمية ابن باديس لكنها -لا شك- هيأت الشعب الجزائري لقبول الإصلاح وتأييده.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - تكلمنا عن السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر في الفصل التمهيدي بالتفصيل.

<sup>2</sup> - عمار الطالبي: آثار ابن باديس، ج1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ط1، ص49.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص49.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص51.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص52.

<sup>6</sup> - محمد يحي الدين سالم: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، دار الشروق، القاهرة، 1999، ط1، ص65.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

حيث نجد إنشاء السيد قدور بن مراد التركي الرودوسي المكتبة الثعالبية سنة 1314هـ/1896م ثم مطبعته التي طبعت كثيرا من الكتب التاريخية والدينية<sup>1</sup>.

ومن العلماء الذين حاربوا البدع وحاولوا تحريك المجتمع وبذروا بذور الحركة الإصلاحية نجد الشيخ محمد صالح بن مهنا،<sup>2</sup> فإن مناجاته للضمير كادت توقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة 1898، فعملت الحكومة الفرنسية على إبعاده وصادرت مكتبته التي لا تقدر بثمن وله مؤلفات كثيرة أشهرها "الفتوحات الأزهرية"<sup>3</sup>.

وهناك الشيخ عبد الحليم بن سماية<sup>4</sup> وعند عودته إلى الجزائر دعي إلى التعليم في المدرسة الثعالبية، أحد الفروع الثلاثة التي أنشأتها فرنسا لتكوين سلك إدارات الشعائر والقضاة والترجمة، درّس هناك التفسير والتوحيد والأدب وروج للفكرة الإصلاحية على منهج محمد عبده، وبصورة موازية كان يلقي مواعظه في الجامع الجديد مهاجما البدع ومتصديا أيضا لنشاط المبشرين كما كان من القلائل الذين رفضوا إصدار فتوى بجواز محاربة الجزائريين للأتراك في خلال الحرب العالمية الأولى<sup>5</sup>.

إلى جانب بن سماية كان ثمة عالم إصلاحى ثانٍ درّس في الثعالبية ووفد بدوره على الجزائر، إنه عبد القادر المجاوي<sup>6</sup>، الذي تولى أبوه القضاء في تلمسان ثم هاجر إلى المغرب عند الاحتلال فولي القضاء ودّرس في القرويين، هناك تعلم ابنه وأجيز، ثم أخذ طريق العودة إلى الجزائر، كان الشيخ الشاب يعزو الاستعمار إلى الجهل وضعف الأخلاق بضعف الدين، كما ساءه ما يعتبره خرافات وعقائد باطلة، فتصدى لمهمة التربية الصحيحة التي تكوّن الأجيال الصالحة، ابتداء نشاطه في ولاية قسنطينة باعتبارها أكثر استعدادا من الغرب لتقبّل دعوته.

ويبدو أن الإدارة الاستعمارية فضّلت مراقبته وتقييده بتكليفه بالوعظ في الجامع الكبير مع التدريس في الكتانية، فكان في وعظه "اجتماعيا وطنيا يهاجم البدع والفساد والإلحاد ورقة الدين"، كما ساهم في جعل المدرسة المذكورة "مصنعا للدين والوطنية" ثم عند نقله إلى العاصمة واصل كفاحه بالحماسة نفسها "في محيط كان فيه أمر الاستعمار أشد"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص19.

<sup>2</sup> - صالح بن مهنا: توفي في ربيع الأول 1325هـ/1907م، وقبره معروف بمقبرة قسنطينة. أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج8، ص117-121.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج8، ص120.

<sup>4</sup> - عبد الحليم بن علي بن سماية ولد بالجزائر سنة 1242هـ/1866 هاجر أبوه مع جده لأمه الشيخ الكباطي إلى مصر في عهد محمد علي وهناك تكوّن

وأصبح ذا ثقافة واسعة، ثم عاد إلى الجزائر مدرسا في الجامع الجديد بالعاصمة، أنظر: محمد علي دبو، المصدر السابق، ص118.

<sup>5</sup> - محمد علي دبو، المصدر السابق، ص109-123.

<sup>6</sup> - عبد القادر المجاوي؛ ولد سنة 1266هـ/1848م بتلمسان من أب يدعى محمد بن عبد الكريم، وهو من الفقهاء والقضاة، قرأ المجاوي في كتاب تلمسان، فحفظ القرآن الكريم وأتمه بعد أن ارتحل أبوه إلى طنجة وتطاوين، ثم فاس وأكمل دراسته بالقرويين، توفي بقسنطينة في ذي القعدة 1332هـ/1913م. أنظر: محمد علي دبو، المصدر السابق، ص82-100، وأيضا: مالك بن نبي: شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، طرابلس، لبنان، د.ت، ص23.

<sup>7</sup> - محمد علي دبو، المصدر السابق، ص83-105.



## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

إضافة إلى هذين العالمين وجدت الفكرة الإصلاحية مؤازرة عند عناصر أخرى مثل: محمد السعيد الزواوي المعروف بابن زكري، صاحب كتيب "أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا في بلاد القبائل" وقد ترك المجاوي في قسنطينة أيضا طالبين أصحابا من رموز الإصلاح بها هما؛ حمدان لونيبي<sup>1</sup> أستاذ عبد الحميد بن باديس والشيخ المولود بن الموهوب<sup>2</sup>، الذي مارس قناعاته الإصلاحية باعتدال دون التعرض للمستعمرين أو كما تقول سيرته بعيدا عن زوابع المتهورين التي يمكن أن تقود إلى السجن أو المنفى فيحرم قومه من جهاده<sup>3</sup>.

أيضا نذكر الشيخ المولود الزريبي<sup>4</sup> العالم الأزهرى كان من رواد الإصلاح في منطقة الأوراس، وقد دون آرائه الإصلاحية في شرحه على عقائد "المرشد المعين" المشهور عند العامة والخاصة، لما له من تأثير ودراسة الناس له لتتسرب أفكاره إليهم عن طريقه<sup>5</sup>.

وأما محمد بن مصطفى بن الخوجة<sup>6</sup>، فهو أكثر الأساتذة حرصا على مطالعة كل ما يرد من المشرق من كتب وجرائد ومجلات، وخاصة كتب محمد عبده<sup>7</sup> ورسائله، وقد أخذ على محمد عبده مذهبه في الإصلاح وكان يطالع العروة الوثقى<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - حمدان لونيبي: هو الشيخ محمد بن احمد بن محمد حمدان لونيبي، ولد سنة 1856 وكان منتبيا للطريق التيجانية سالكا منهجها، وكان من شيوخ عبد الحميد بن باديس الذي علمه مبادئ اللغة العربية والمعارف الاسلامية ويوجهه وجهة علمية أخلاقية، وكان ابن باديس يعترف له بالفضل، ثم هاجر حمدان لونيبي الى المدينة المنورة متبرما من الاستعمار الفرنسي مجاورا بما مدرسا للحديث الى أن توفاه الله سنة 1920م. أنظر: احمد الطالبي، المصدر السابق، ص74.

<sup>2</sup> - المولود بن الموهوب، محمد المولود بن الموهوب 1866-1935 من رواد النهضة الفكرية والثقافية ومن ألمع الشخصيات الجزائرية التي لعبت دورا متميزا خلال الربع الأول من القرن العشرين، درس بالمدرسة الكتانية 1895 وتولى وظيفة الفتوى في قسنطينة 1908 وأيضا الإفتاء بمسجد باريس 1926، وكان له نشاط واسع في إلقاء المحاضرات في نادي صالح باي، وقد ظهرت توجهاته الإصلاحية في كتابه "أدب الطرق". أنظر: أحمد صاري: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص ص7-25.

<sup>3</sup> - محمد علي دبو، المصدر السابق، ص ص 138-140.

<sup>4</sup> - المولود الزريبي هو المولود بن محمد بن عمر الزريبي نسبة إلى زريبة الوادي، وهي قرية تبعد عن بسكرة بحوالي 82 كلم، بعد حفظه للقرآن ودراسته على يد الشيخ حامد لعبيدي سافر إلى مصر ودرس على يد الشيخ محمد بخت، ثم رجع إلى الجزائر وعلم في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى الأوراس ثم العاصمة، حيث تولى تحرير "جريدة الصديق" التي يديرها محمد بن بكير الميزابي، تولى التدريس وله مؤلفات "كتاب الاخلاق" وشرح على "المرشد المعين" وشرح على "قدسية الأخضري"، توفي ببوفاريك البليدة سنة 1925. أنظر: عمار الطالبي، المصدر السابق، ص27.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص27.

<sup>6</sup> - مصطفى بن الخوجة: ولد بالعاصمة سنة 1865 م وتوفي في سبتمبر 1917 كتب في جريدة المبشر من سنة 1886 الى سنة 1901، درس في مسجد سفير ابتداء من سنة 1875، واشتغل وكيلا لمقام سيدي عبد العزيز الثعالبي. أنظر: عمار الطالبي، المصدر السابق، ص34.

<sup>7</sup> - الشيخ محمد عبده 1849-1905 ولد في دلتا مصر من علماء المسلمين المعاصرين ودعاة الإصلاح اتصل بجمال الدين الأفغاني، حرر جريدة "الوقائع المصرية" له رسالة التوحيد، اشترك مع جمال الدين الأفغاني في إصدار وتحرير مجلة "العروة الوثقى"، أنظر: بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص58.

<sup>8</sup> - مجلة العروة الوثقى: صدر العدد الأول منها في 5 جمادى الأولى سنة 1301هـ/13 مارس 1884م، وصدر منها 18 عددا، آخر ما صدر منها في 16 أكتوبر 1884.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

والمنار<sup>1</sup> وغيرهما كما يقرأ للشيخ رشيد رضا<sup>2</sup> مقالاته في المجالس ويشرحها، ولما وصله تفسير سورة العصر، درّسه عشرة مرات وشرحه لمن يتبعون حركات الإصلاح في الجزائر من العلماء والطلبة والأعيان فاستحسنها هؤلاء وأنشأوا عليها وكتب بهذا إلى الشيخ محمد عبده يُخبره بذلك<sup>3</sup>.

قال عنه المرحوم عمر راسم<sup>4</sup> "الشيخ محمد بن مصطفى شاعر الجزائر في وقته وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر كثير الاطلاع ولوع بالكتب العصرية شغوف بمحبة الشيخ محمد عبده وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر وعزّف الناس به وبجمال الدين الأفغاني<sup>5</sup>6".

ومن آثاره ديوانه الذي فُقد مع مقدمة له، كما أن له رسالة علماء الجزائر، اهتم بالحياة الاجتماعية والأخلاقية وبوضع المرأة المسلمة الجزائرية، فكتب كتاب "الاكتراث في حقوق الإناث" وكتاب "اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب" وكتاب "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام".

كما حقق ونشر تفسير عبد الرحمن الثعالبي من أهل القرن التاسع الهجري المسمى بالجواهر الحسان مقابلا له على سبعة نسخ<sup>7</sup>.

وقد عمل على نشر مخطوط نادر يدعو فيه صاحبه إلى الاجتهاد وهو كتاب "الرد على من اخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض" للشيخ السيوطي وهذا ينمُّ على نزعة الاجتهادية ومعارضته للتقليد الأعمى<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - المنار: صدر العدد الأول من المنار كصحيفة أسبوعية ذات ثمان صفحات في 22 شوال سنة 1315هـ/ 17 مارس 1898 وآخر ما طبع منها الجزء 2 من مجلد 35 في 29 ربيع الثاني 1354هـ/1935م وغرضها نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتناقى مع العصر الحالي، وتعتبر المنار خلفا للعروة الوثقى، أنظر: عمار الطالبي، المصدر السابق، ص33.

<sup>2</sup> - رشيد رضا؛ ولد في قرية القلمون بطرابلس الشام في 27 جمادى الاولى 1282هـ/1865م، وتوفي في 22 أغسطس 1935 من أكبر دعاة الإصلاح والتجديد الديني على المنهج السلفي في العالم الإسلامي. أنظر: عمار الطالبي، المصدر السابق، ص34.

<sup>3</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص 34، وأيضا: عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، الفترة الأولى 1920-1936، منشورات السائحي، الجزائر، 2010، ط3، ص178.

<sup>4</sup> - عمر راسم 1884-1959: وهو عمر بن علي بن سعيد بن محمد البجائي من مواليد العاصمة، تعلم بكتاتيبها، عُرف بأفكاره الإصلاحية والوطنية معتقنا للعبودية ومنتصرا لها، أنشأ مجلة الجزائر 1908م ثم ذو الفقار 1913م واشتهر بإتقانه للخط العربي ورسم المنمنمات، ولاقى الحن الشديدة في سجنه إبان الحرب الكبرى الأولى، ومن آثاره تراجم أعلام الجزائر مخطوط ومقالات عديدة، أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج5، ص282-289.

<sup>5</sup> - جمال الدين الأفغاني: ولد بقرية أسعد آباد من أعمال كابل ببلاد الأفغان سنة 1839م، زار أغلب البلدان الإسلامية داعيا إلى الجامعة الإسلامية وجمع شتات المسلمين تحت ظل الخلافة العظمى، أسس مجلة العروة الوثقى بمساعدة تلميذه محمد عبده، توفي سنة 1897م. أنظر: مسعود مسعود بواخضرة، المرجع السابق، ص29.

<sup>6</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص35. وأيضا: عبد الرحمن بن العقون، المصدر السابق، ص178.

<sup>7</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص35، وأيضا: عبد الرحمن بن العقون، المصدر السابق، ص178.

<sup>8</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص37.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وهناك أيضا من العوامل الداخلية من خدمة المجتمع يعتبر من عوامل الإصلاح الثقافي ونشر الوعي بماضي الأمة وهو يتمثل في عمل أبي القاسم الحفناوي<sup>1</sup> الذي قام بتأليف كتاب يحي تراجم العلماء الجزائريين. ورغم أن هذا الكتاب ليست له صبغة علمية فإنه مفيد لأنه جمع مادة غزيرة ويمكن للباحث أن يدرسها دراسة علمية<sup>2</sup>.

وأهم شخصية خدمت اللغة العربية والثقافة الإسلامية وتاريخ الحضارة الإسلامية في المغرب الأوسط إنما هو العلامة محمد بن أبي شنب<sup>3</sup> وعمله يتسم بطابع علمي مما جعله ينتخب للتدريس بكلية الآداب بجامعة الجزائر، وعضوية المجتمع العلمي العربي بدمشق، ويمتاز بمعرفة عدة لغات حية وميتة من لاتينية وألمانية وإيطالية وإسبانية وفارسية وتركية<sup>4</sup>. ومن الكتب التاريخية التي حققها نشرها كتاب الدراية للغبريني ورحلة ابن عمار، ورحلة الورتلاني والبستان لابن مريم. وأهم جهد قام به هو وضع الفهارس، فهارس الأعلام والأماكن والكتب والموضوعات والشعر وغير ذلك<sup>5</sup>. وقد كتب في مجلة الشهاب لابن باديس بحثا، ولما توفي قال عنه: "لما عرفناه فقدناه"<sup>6</sup>.

■ عودة مجموعة من الجزائريين الذين كانوا يتلقون العلم في الحجاز ومصر وتونس وغيرها بعد الحرب العالمية الأولى<sup>7</sup>، أمثال: عبد الحميد بن باديس<sup>8</sup> الشيخ البشير الإبراهيمي<sup>9</sup>

<sup>1</sup> - الحفناوي محمد بن أبي القاسم الديسي 1852-1941: كاتب وشاعر له اشتغال بالتاريخ، تعلم بزواوية طولقة ببسكرة ثم في زاوية الهامل ببوسعادة وشارك في تحرير جريدة المبتدئ من 1884-1926م، درّس بالجامع الكبير بالعاصمة ابتداء من 1897، وتولى الإفتاء المالكي سنة 1936، ومن آثاره تعريف الخلف برجال السلف، أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ط2، ص121.

<sup>2</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص ص 45-46.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي شنب: ولد سنة 1286هـ/1869م بمدينة المدية كان مدرسا بالمدرسة الثانوية بقسنطينة، وبالمدرسة الثعالبية، توفي سنة 1929م، أنظر: عمار الطالبي، المصدر السابق، ص46.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص46.

<sup>5</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج8، ص172.

<sup>6</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص47.

<sup>7</sup> - مازن صلاح حامد مطبقاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، دار بني مرغنة، الجزائر، 2015، ص61.

<sup>8</sup> - عبد الحميد بن باديس 1308هـ/1359هـ-1889م-1940م: هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس ولد بقسنطينة من أسرة مشهورة بالعلم، وفي الثالثة عشر من عمره أتم حفظ القرآن الكريم، وسافرت إلى تونس سنة 1908م، وتخرّج من جامع الزيتونة بشهادة التطويع بداية من سنة 1913م، بدأ حياته الإصلاحية كواعظ بقسنطينة ليؤسس بدأ من سنة 1925 عدة جرائد كالمعتقد والشهاب ثم ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ ماي 1931م وترأسها إلى وفاته في 16 أفريل 1940م. أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، مرجع سابق، ص ص 314-315.

<sup>9</sup> - الإبراهيمي محمد البشير 1889م-1966م: ولد برأس الوادي قرب سطيف بما تعلم القرآن الكريم وأخذ المبادئ العلمية من دين ولغة عن عمه. هاجر إلى الحجاز مع اهله قبيل الحرب العالمية الأولى. وفي المدينة درّس العلوم وفنونها وتفرّق في جميعها، وفي سنة 1913 اجتمع بالشيخ عبد الحميد بن باديس واستعرضا حال الجزائر وفي عام 1918 سافر إلى الشام ومكث في دمشق مدة، وفي أوائل عام 1920 رجع إلى الجزائر، ساهم في تأسيس جمعية العلماء عام 1931م حيث دُعي إلى العمل بمدينة تلمسان سنة 1932 فأنشأ فيها مؤسسة دار الحديث سنة 1937 واستمر كذلك إلى أن نفى إلى أفلو بسبب رفضه لتأييد فرنساضد ألمانيا وأطلق سراحه سنة 1943، حيث تقلّد رئاسة الجمعية وكانت له مشاركات سياسية من خلال مساهماته في النضال مع جبهة التحرير الوطني ووافته المنية بعد الاستقلال سنة 1966. أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص311.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

والشيخ العربي التبسي<sup>1</sup> والشيخ الطيب العقبي<sup>2</sup> والشيخ مبارك المليبي وغيرهم كثير، حيث نجد مبارك المليبي ألف كتابه "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" في سنة 1347هـ/1929م وقزظه الشيخ عبد الحميد بن باديس برسالة مؤرخة في 15 محرم 1347هـ، والشيخ أحمد توفيق المدني<sup>3</sup> الذي ألف كتاب "الجزائر" في سنة 1350هـ/1931م، وكتاب "محمد عثمان باشا" الذي أهدها إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس وكتب الأخير تقريرا له في مجلة الشهاب أيضا<sup>4</sup>.

■ بعد تفكيك المؤسسات الإسلامية في الجزائر وإلحاقها بالإدارة الاستعمارية وهجرة العلماء أو نفيهم أدى إلى اندثار النخبة المكوّنة من علماء الشريعة باستثناء أفراد قلائل متواجدين في قسنطينة والعاصمة، وفي المقابل بقيت نخبة من شيوخ الطرق والزوايا قائمة، كما انتهت أغلبية الطرق التي قاومت الاحتلال إلى الاستكانة والرضوخ لاستعمار، شارك من حيث يريد أولا يريد في الحد من قدرتها على تجديد الحياة الدينية والثقافية<sup>5</sup>.

لقد سيطرت الطرق الصوفية على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر سيطرة مذهلة، فانتشرت الزوايا ومريديها بشكل كبير في الجزائر، والفقهاء الذين عرفوا بمعارضتهم الصوفية أصبحوا بدورهم طرقيينفساد الظلام وخيم الجمود وكثرت البدع واستسلم الناس للقدر وأصبحوا إذا سُئل أحدهم عن حاله أجابه: "نأكل القوت ونستقي في الموت" وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وشلّ جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى<sup>6</sup>.

وبعض التحليلات ترى أن ظهور الحركات الإصلاحية في الجزائر لمحاربة الطرق الصوفية من طرف رجال الإصلاح، فالنخبة الإصلاحية كانت تهتم بالقضايا الدينية والنهضة السياسية والفكرية، فقبل ظهور الحركة الإصلاحية سادت

<sup>1</sup> - التبسي العربي بن بلقاسم 1896م-1957م 1312هـ-1376هـ هولد في تبسة وبها تعلم القرآن الكريم ثم انتقل إلى نفطة بالجريد التونسي لحفظ القرآن الكريم وتعلمه ثم رحل إلى تونس للدراسة بجامعة الزيتونة، فدرس فيها إلى السنة النهائية ثم لم يشارك في الامتحان بل قصد مصر للدراسة بالجامع الأزهر، وبقي فيها ما يقرب الأربعة سنوات ثم عاد إلى وطنه ليستقر في تبسة حيث أسس فيها مسجدا ومدرسة سنة 1934م، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وعُيّن كاتباً عاما لها وفي سنة 1940 عُيّن نائبا لرئيس الجمعية، دخل السجن عدة مرات وتحمل مسؤولية الجمعية في غياب الإبراهيمي في المشرق، اغتالته السلطات الاستعمارية في 1957 لتأييده الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى، أنظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 61.

<sup>2</sup> - الطيب العقبي هو الطيب بن محمد بن إبراهيم 1880-1960: ولد ببلدية سيدي عقبة ببسكرة ثم هاجر مع عائلته إلى الحجاز، وبالمدينة المنورة تعلم وتكون وشارك في الحياة السياسية هناك قبل الحرب وبعدها. أدار جريدة "القبلة" بإيعاز من الشريف حسين ثم عاد إلى الجزائر سنة 1920 بعد أن طُرد من الحجاز قبان قيام الثورة العربية الكبرى، وفي الجزائر أظهر نشاطا منقطع النظير في محاربة البدع والضلالات، رابط بعد 1927 بنادي الترتي بالعاصمة واعطا ومرشدا، ومع تأسيس جمعية العلماء عُيّن نائبا للكاتب العام، أصدر جريدة الإصلاح 1927-1948 كما ساهم في كل الصحف الإصلاحية. توفي بداء السكري، أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 330-331.

<sup>3</sup> - المدني أحمد توفيق 1899-1983 مولد بتونس من أصول جزائرية، تخرج من جامع الزيتونة ذو ثقافة واسعة عرف منذ حياته بنضاله الوطني وبنشاطه السياسي كان من مؤسسي الحزب الحر الدستوري وجمعية العلماء المسلمين ونادي الترتي بالعاصمة، كما كان الناطق الرسمي لجبهة التحرير الجزائرية وعضوا في الحكومة المؤقتة وبعد الاستقلال تقلّد عدة وظائف دبلوماسية، له عدة مؤلفات كثيرة، أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 337. وأيضا: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج 1، ج 2، ج 3، الجزائر، ط 1988، ص 2.

<sup>4</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص 47.

<sup>5</sup> - عبد اللطيف الهرماسي: المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر، دراسة مقارنة من منظور علم الاجتماع التاريخي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة، بيروت، 2018، ط 1، ص 164.

<sup>6</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص 18.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

الخرافات والخضوع لشيوخ الطرق، لهذا ركزت الحركة الإصلاحية على الحفاظ على الإسلام وذلك لكسب الشعب الجزائري وإبعاده عن الفكر الغربي<sup>1</sup>.

وعليه فكان الإسلام في الجزائر يحتاج إلى دفع تاريخي للخروج من السبات والجمود وتمثل ذلك في ظهور الحركة الإصلاحية<sup>2</sup>.

■ إن صنفاً آخر من المثقفين عاصر مجهود هؤلاء العلماء الإصلاحيين جاعلاً من الصحافة منبره الإصلاحية، إذ كانت الصحافة الإصلاحية عرضة للتعتسّف والمصادرة المتكررة، وفي عام 1913 أصدر عمر راسم وعمر بن قدور<sup>3</sup> صحيفتين "ذو الفقار" و"الفاروق" الأولى أعلنت عقيدتها صحيفة الإصلاح وفق اتجاه محمد عبده وأوضحت أن هدفها هو الدفاع عن السنّة المحمّدية ومحاربة البدع التي قادت المسلمين إلى الخسارات، كما كانت مناهضة للطرق الصوفية والفرنسية، أمّا الثانية فأعلنت عن توجهها صحيفة إسلامية وطنية تربوية وخلقية، مناهضة للبدع مكافحة للآفات الاجتماعية كالخمر والقمار. كانا هذان المثقفان اللذان دفعا غالباً ضريبة الإصرار على تبليغ الكلمة الحرة<sup>4</sup>. واستهلاً نشاطهما بمراسلة الصحف التونسية للتعريف بالأوضاع في الجزائر والحوادث التي شهدتها، كما اتجها إلى الرأي العام الجزائري بنقد ظاهرة التفرنج وما خرّجته من أجيال "مسختها الثقافة الفرنسية والتعليم الفرنسي" وباللدعوة إلى الإصلاح وتمجيد الوطنية<sup>5</sup>. ونجد من بين هاته الجرائد التي ظهرت في آخر القرن الماضي جريدة "الحق" الأسبوعية التي ظهرت في عنابة في 10 يوليو سنة 1893 على يد سليمان بن ينقي وعمر السمار وخليل قايد العيون، وصدرت بالفرنسية ثم مزدوجة وكانت تهاجم من يهاجم العرب وتدافع عن مصالحهم وهاجمت الجريدة المتجنّسين ودافعت عن حقوق الجزائريين في وقت كانت فيه حرية التعبير مقيدة، أي أثناء حكم جول كامبون، وقد استمرت الحق حوالي سنة ولا ندري هل توقفت بنفسها أم أوقفتها الإدارة الفرنسية<sup>6</sup>.

كما نجد مجلة "الإحياء" لصاحبها المستشرق جمانة رياض<sup>7</sup> والتي أصدرتها بالعاصمة الجزائرية في أول محرم 1325هـ الموافق لـ 15 فيفري 1906م والإحياء تصدر مرتين في الشهر وكانت مقالاتها مختلفة وأدبية، وتبنت الإحياء رفض

<sup>1</sup> الطاهر عمري: النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بدايات القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص 197-199.

<sup>2</sup> علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940م، تر: محمد بيجاتن، دار الخلدونية، الجزائر، 2007، طبعة خاصة، ص36.

<sup>3</sup> عمر بن قدور الجزائري 1886-1932 ولد بمدينة الجزائر، تعلم بالكتاب ثم بمدرسة الثعلبية، عرف باتجاهه الإصلاحية ونشاطه الصحفي أنشأ جريدة الفاروق وفتته السلطات الاستعمارية إلى الأغواط، أطلق سراحه سنة 1918، بعدها عاد إلى نشاطه الصحفي من خلال جريدة الصديق. لكنه لم يلبث أن اعتزل ودخل في عزلة صوفية، من مؤلفاته "الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة". أنظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج5، ص 276-282.

<sup>4</sup> عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص208.

<sup>5</sup> محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص 256-264.

<sup>6</sup> ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج5، ص 243-244.

<sup>7</sup> جمانة رياض وهي امرأة فرنسية تسمى جوان ديريو Desrayaux وجمانة رياض اسم اقتبسته من المشرق العربي، وقد اهتمت بالحياة الاجتماعية والمرأة واللغة العربية والتعليم، والدها أستاذ فرنسي في الثانوية بالجزائر وقد أسست مجلتها بتكليف من الحاكم جونا، توفيت سنة 1914م، أنظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج5، ص 238-239.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

الاندماج بين الجزائريين والفرنسيين، ودعت إلى تعليم العرب الجزائريين عن طريق استلهاهم حضارتهم الخاصة وتعليمهم لغتهم، كما دعت إلى ضرورة إصلاح مناهج التعليم التي أصبحت غير نافعة في نظرها وإحياء معنويات الجزائريين وأخلاقهم بمساعدة الدين الإسلامي، وذلك بالرجوع إلى أصول هذا الدين وصفائه الأول، ويقول الأستاذ سعد الله: "و نحن نفهم من ذلك أن صاحبة المجلة متأثرة بمدرسة الشيخ محمد عبده التي كانت لا ترفضها السلطات الفرنسية أيضا.."<sup>1</sup>، ويذهب البعض إلى أن عبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية قد ساهما فيها أيضا، وقد صدر منها 34 عددا قبل أن تتوقف، ومهما كان الأمر فإن المجلة لم تدم أكثر من سنة<sup>2</sup>، وابتداء من 1919 ظهرت عدة صحف منها جريدة "الإقدام" التي كانت تعبر عن حركة الأمير خالد<sup>3</sup>، السياسية الوطنية، وظهرت الإقدام باللغتين العربية والفرنسية، وظلت تصدر إلى غاية 1923 حين حكمت السلطات الاستعمارية بنفي الأمير خالد من الجزائر، ويذهب المدني إلى أنها أول جريدة عربية حادة اللهجة مع الفرنسيين معبرة عن مطالب المسلمين الجزائريين<sup>4</sup>.

وهكذا كان من حظ الجزائر أن لمعت فيها نخبة من الصحفيين والعلماء المتنورين في مطلع القرن العشرين، ثاروا على الأوضاع الاجتماعية وحاربوا البدع والخرافات التي استخدمت لاستعباد الجماهير الشعبية واستغلالها من طرف الاحتلال وجماعات محلية ذات مصالح مرتبطة به، جعلت عامة الجزائريين يعيشون في عزلة عن التأثيرات الحضارية والتيارات الفكرية الحديثة، فكان بعض هؤلاء العلماء في عهد النهضة الجزائرية مؤلفا وبعضهم صحافيا بينما كان آخرون مدرسين ومعلمين على الطرق التربوية الحديثة، فكانت بمثابة الضوء الأخضر نحو حركة الإصلاح الديني والاجتماعي<sup>5</sup>.

وهكذا كان للصحافة الوطنية، وإحياء التراث العربي ونشر الأعمال التاريخية وإنشاء النوادي الثقافية أثر بالغ الأهمية في إيقاظ الجماهير من رقدتها الطويلة، رغم أن الصحافة العربية في الجزائر إبان ذلك العهد كانت تتميز بالاعتدال والفتور في الحماس الثوري، وذلك نظرا للإجراءات الإدارية الخاصة بالجزائريين والرقابة الصارمة على كل المطبوعات الوطنية، ولذل تعرضت إلى انتقادات شديدة من طرف الصحف العربية الشرقية التي اتهمتها بالاعتدال والبرودة، وذلك أن هذه في اعتقادنا تجهل سياسة الإرهاب وعمليات الاضطهاد التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد الجزائريين<sup>6</sup>.

والحق أن المتتبع لآثار النظام الاستعماري في الجزائر خلال ذلك العهد لا يستطيع أن يلوم الصحافة الجزائرية على أسلوبها ولهجتها المعتدلتين إزاء إدارة الاحتلال، بل ربما ليشجعها على الاستمرار في التحفظ والاحترا، ولاسيما أن

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج5، ص 238-239.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 239.

<sup>3</sup> - الأمير خالد الهاشمي، ولد بدمشق ليرحل مع والده إلى الجزائر في 1892م، حيث التحق في ثانوية لويس لوغران بباريس ثم بكلية سانسير الحربية في عام 1893م ليعود إلى الجزائر في عام 1895م، وبعد فرض الإقامة الجبرية عليه بمدينة بوسعادة عاد ليؤدي واجباته العسكرية في المغرب عام 1907م، وبين سنتي 1913-1921 برز كأعظم شخصية في الحركة الوطنية، وبعد الحرب العالمية الأولى أصيب بمرض ونال التقاعد، ليرجع بعد 1919 إلى الحياة السياسية وشارك في الانتخابات البلدية في العاصمة مرتين وفاز بها سنة 1919 و1921، لكن الإدارة الفرنسية قامت بنفيه إلى مصر، وقد ترأس نجم شمال إفريقيا شرفيا وتوفي سنة 1936م بدمشق. أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 314.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج5، ص 251.

<sup>5</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 67.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 67.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

المثقفين الجزائريين كانوا مُصّرّين على بقاء الصحافة العربية واستمرارها في البلاد، ومما يؤكد هذا الرأي فإن محمد عبده لما زار الجزائر سنة 1903م، طلب منه الجزائريون أن لا يذكر نظام فرنسا الاستعماري في الجزائر في مجلة المنار<sup>1</sup>، حتى لا تتعرض الصحافة الوطنية للوقف والمصادرة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تمسك الجزائريين بالصحافة العربية يقينا بأهميتها ستخلق الشعور والحماس الوطنيين في نفوس الجماهير الشعبية<sup>2</sup>.

■ الثورة التعليمية التي أحدثتها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية والتربية الصحيحة التي كان يأخذ بها تلاميذه، والحقيقة أن حركة التعليم في الجزائر والتي تعد نواة لحركة الإصلاح الديني ترتبط بدروس الشيخ عبد الحميد بن باديس في مساجد قسنطينة، فقد بدأ عام 1331هـ/1913م يدرّس بالجامع الكبير، ولكن منعه ابن الموهوب من ذلك فتوسط له أبوه الذي كان موظفا رسميا لدى الحكومة الاستعمارية، فانتقل إلى الجامع الأخضر في بداية شهر جمادى الأولى 1332، الموافق لأفريل 1914م<sup>3</sup>، ثم انقطع عن التدريس فترة ليحج إلى بيت الله ويزور مصر وغيرها من بلاد المشرق ويتعرّف على علمائها ويتلقى عليهم العلم ويقول الشيخ محمد الصالح الصديق<sup>4</sup>: "أن الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما ذهب لأداء فريضة الحج التقى هناك بشيخه بلونيس فسأله بن باديس أيهما خير أبقى في الحرم أو أعود إلى الجزائر، فقال له لا تعود إلى الجزائر وفرنسا مستعمرة للجزائر، فلن يكون لك مفعول هناك، ولكن هناك عالم هندي قال لعبد الحميد بن باديس لا تبقى هنا اذهب إلى وطنك فأنت درست وتغرّبت فلا بد أن تنفع وطنك، وأثناء عودة عبد الحميد بن باديس من الحج مرّ بالقاهرة وزار الشيخ بخيت، شيخ الأزهر فطلب منه عبد الحميد إجازة فكان له ذلك، وقال له الشيخ بخيت: لقد فعلت فعلا جميلا عندما عدت إلى وطنك..."<sup>5</sup> وكانت عودته إلى الجزائر قبيل الحرب العالمية الأولى ثم عودة الإبراهيمي والعقبي، إذانا بالانطلاقة الكبرى لحركة الإصلاح وفي ذلك يقول مالك بن نبي<sup>6</sup>: "ولقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس فكانت تلك ساعة اليقظة"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص347.

<sup>2</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص67.

<sup>3</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص59.

<sup>4</sup> - محمد الصالح الصديق، من مواليد 19 ديسمبر 1925م، حفظ القرآن الكريم في تسع سنوات في منطقة القبائل بتيزي وزو، أرفون، درس في جامع الزيتونة وتحصل على شهادة التطوع سنة 1951، عمل في الصحافة والتأليف والإذاعة والتلفزة بلغت كتبه 137 كتابا، وقد خدم الثورة من أول نوفمبر 1954 إلى الاستقلال، عُيّن سنة 1958 مكلفا بالإعلام للثورة في ليبيا، درّس في قطاع التعليم بعد الاستقلال وهو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حاليا، وله عمود قار في جريدة البصائر إلى يومنا هذا؛ مقابلة شخصية مع الشيخ محمد الصالح الصديق بيته في القبّة، الجزائر العاصمة، يوم 29 سبتمبر 2019. على الساعة العاشرة صباحا.

<sup>5</sup> - مقابلة شخصية مع الشيخ محمد الصالح الصديق، 2019/09/29، الجزائر العاصمة.

<sup>6</sup> - مالك بن نبي: 1905 - 1973 ولد بتبسة ثم انتقل إلى قسنطينة ومدرس بمدريستها الابتدائية ثم رحل إلى فرنسا لإكمال دراسته، ثم تزوج فتاة فرنسية وأسلمت على يديه وعدا معا إلى الجزائر وبعد الحرب العالمية الثانية يعود مالك بن نبي إلى فرنسا ثانية ويضع جهوده وفكره في خدمة القضايا الطلابية بجمعية طلبة شمال إفريقيا، وهناك توثقت علاقته ببعض زعماء تونس وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدرت فيها معظم آثاره، بعد الاستقلال تولى إدارة التعليم العالي 1964 وكان عضوا في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، توفي سنة 1973. أنظر: عادل نويهض، أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص282، وأيضا خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص341.

<sup>7</sup> - مالك بن نبي: شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص30.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

كانت دروس الشيخ عبد الحميد بن باديس تستغرق معظم النهار فمن بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، لا ينقطع عن التدريس إلا لراحة قصيرة أو عمل في مكتبه بجريدة أو مجلة الشهاب، يعلّم الصغار الذين لم يجدوا مكانا في المدارس الفرنسية صباحا، ويعلم طلبة المدارس الفرنسية عصرا، بعد خروجهم من المدرسة ليربطهم بعقيدتهم وتراثهم الحضاري، ولم يكن ابن باديس يهدف إلى تكوين معلّمين محترفين ليمارسوا مهنة التعليم، بل لتكوين دعاة على أساس العلم والعمل<sup>1</sup>.

يقول الشيخ محمد الصالح الصديق: "لقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يدرّس ثلاثة عشر درسا في اليوم، لقد كان شيئا عظيما هذا كله لأن ابن باديس كانت لديه الرغبة القوية ليُخرج الجزائر من الجهل إلى نور العلم..."<sup>2</sup>. ولم يكتف الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه في مسجدي سيد قموش والجامع الأخضر بل كان يقوم بجولات في أنحاء القطر الجزائري خلال العطلة الصيفية، وكذلك عطلة نهاية الأسبوع وكانت هذه الجولات تهدف إلى التعرّف على وطنه الجزائر، لأن المشاهدة خير من السماع، وقد كان يزور الزوايا ليناقدشهم في العقيدة والفكر الإسلامي، ومن ذلك زيارته لزواية أحمد بن عليوة<sup>3</sup>، وعندما وجد المصلحون أن الطُرُقِيّة لن تتراجع عن موقفها بسهولة، أخذ ابن باديس يخاطب الشعب عبر الصحافة<sup>4</sup>. "وأحذر كل مُتَرَبِّط يريد أن يقف بينك وبين ربك وسيطر على عقلك وقلبك وجسمك ومالك بقوة ويزعم التصرّف في الكون"<sup>4</sup>، ويقول الشيخ علي المغربي<sup>5</sup>: "وفي هذه الفترة من الزمن.. يؤسس هذا الأستاذ مدرسته العظيمة بقسنطينة والتي هي أول مدرسة عربية تعمل لما يُرقي المسلم الجزائر ويرفع من شأنه ويحمل حملة شعواء على الجهل والحمول"<sup>6</sup>.

وقد زُرِق عبد الحميد هذا القلق الثائر الذي لا يستقر حتى يستقيم الأمر إلى أهله وتنجاب حنادس الشكوك، فأخذ على عاتقه القيام بالدعوة إلى الإسلام في وطن مستضعف يتكالب عليه الباطل بخيله ورجله ورأى أن الدعوة إلى الإسلام لا تفترق عن الدعوة إلى العربية، فهما قطبا الدائرة في مناوأة الاستعمار<sup>7</sup>، وكان ابن باديس خطيبا فصيحاً، إذا ارتقى المنبر يوم الجمعة نفخ من روحه العاتية في سامعيه فأنعش الذابل وأحضر اليابس وأفسح الطريق للأمل العريض، وأما قدرته العلمية فقد كانت تمهد له انتصار الفكرة الصادقة إذا اصطدمت بالفكرة المغرضة، فيعبئ شتى جهوده كي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق. لذلك كان تلاميذه يُلهبون عواطفهم بأحاديثه المنبرية ومجالسه الدراسية كما

<sup>1</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص60.

<sup>2</sup> - مقابلة شخصية مع الشيخ محمد الصالح الصديق، 2019/09/29، الجزائر العاصمة

<sup>3</sup> - أحمد بن عليوة: ولد بمستغانم وكان ينتمي للطريقة الدرقاوية، والتي تسلم رئاستها بعد وفاه استاذة الشيخ بوزيد سنة 1909م، هاجر الى الشرق منتقلا بين مصر وسوريا وايران والهند، عاد بعد عشر سنوات بعد الحرب العالمية الأولى، حارب الاصلاح دون هوادة وأسس لذلك جريدة البلاغ الجزائري. انظر: مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص61.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص61.

<sup>5</sup> - علي المغربي: ولد في بلاد فرفارة 1333هـ/1915مدرس في الجامع الأخضر ثم التحق بجامع الزيتونة وعاد غلى الجزائر ليشترك في أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين معلّما، أنظر: محمد يحيى الدين سالم، المرجع السابق، ص68.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص68.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص65.



## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

يصقلون تفكيرهم بآثاره العلمية، وقد تعدد مجال الإصلاح أمامه فسلك طرقا مختلفة تلتقي جميعا في الدعوة إلى الله على بصيرة<sup>1</sup>. وركز الشيخ عبد الحميد بن باديس من أجل بناء نهضة الجزائر العربية الإسلامية على:

- إصلاح عقلية الجزائريين: وذلك من خلال اهتمامه بالتربية والتعليم لإخراج الجزائريين من الجمود ومن أجل تكوين أجيال تعمل على بعث النهضة في الجزائر ولذلك يجب على الجزائريين أن يحرروا عقولهم حتى يستطيعوا تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي.

- إصلاح عقيدة الجزائريين: كانت مدرسة التجديد الإسلامي التي يحمل ابن باديس لوائها في الجزائر تركز عملها على المحافظة على عقيدة الجزائريين ومحاربة الخرافات والبدع وكل مظاهر الشرك بالله سبحانه وتعالى<sup>2</sup>.

هذا علاوة على تأثير الحرب العالمية الأولى التي ساهمت في ظهور وتبلور الحركة الوطنية عموما والحركة الإصلاحية بوجه خاص، وهذا طبعا من خلال تجنيد الجزائريين فيها واحتكاكهم بأفكار جديدة، الحرية والمساواة خاصة بالإضافة إلى التنظيمات السياسية الأوروبية ومدى تأثيرها على العلماء المصلحين<sup>3</sup>، وقد كان للحرب العالمية الأولى وقع في نفوس الجماهير الجزائرية "واخطاط قيمة المقدسات الوهمية في نظر كثير من الناس"<sup>4</sup>، وظهر حقيقة الطُّرُقِيَّة<sup>5</sup>.

### 2- العوامل الخارجية:

لقد كانت الجزائر تعيش منذ نهاية القرن التاسع عشر ميلادي حالة أقرب ما تكون إلى الفراغ، زادا حدة عزلتها عن المشرق العربي، حيث ذكر علي مراد في هذا الصدد أن: "الانفصال الفعلي بين الجزائر وباقي العالم العربي أدى إلى نضوب مصادر الإيحاء، فالإسلام الجزائري المنطوي على قواه الذاتية كانت موارده من الرجال والزاد الفكري متواضعة، ولم تكن إمكاناته الثقافية تمكّنه من مواصلة التطور ولا عن التجدد بمواكبة تقدم الفكر والحضارة في العالم، لذلك فهو بحاجة إلى دفع تاريخي للخروج من غفوته"<sup>6</sup>، هذا الدفع وقره الفكر الإصلاحي الإسلامي الذي تسرّب إلى الجزائر عبر قنوات عدة:

أ- تمثلت أساسا في تأثير شخصيات قومية وفكرية من المشرق العربي تحديدا ونخص بالذكر السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وشخصيات فكرية أخرى<sup>7</sup>، بحيث تمثلت الحركة الإصلاحية التحريرية التي قادها السيد جمال الدين الأفغاني، من خلال أن كلمة الإصلاح لم تأخذ مدلولها الحقيقي إلا مع جمال الدين ومحمد عبده، رغم أنها

<sup>1</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص 65.

<sup>2</sup> - الطاهر عمري، المرجع السابق، ص 197-199.

<sup>3</sup> - Ali MERAD : le Réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, essai d'histoire religieuse et social, les édition El Hikma, Alger, 1999, 2ème édition, P 220.

<sup>4</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 42.

<sup>5</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 61.

<sup>6</sup> - Ali MERAD, op.cit, P 33.

<sup>7</sup> - أسعد لهلالي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، بيت الحكمة، الجزائر، 2015، ط 1، ص 46.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

استعملت منذ زمن بعيد في الخطاب النهضوي الإسلامي إلا أنها ظلت سطحية، فقد قامت بإثراء المرجعية القديمة بأخرى جديدة فكانت حركة الأفغاني استمراراً للحركة التي ظهرت على يد الغزالي<sup>1</sup> في كتابه "إحياء علوم الدين". وعلى يد ابن تومرت<sup>2</sup> وابن تيمية<sup>3</sup> ومحمد بن عبد الوهاب<sup>4</sup>، فكان يسعى جمال الدين الأفغاني إلى نهضة الشرق وإيقاظه من سباته وإصلاح العقول والنفوس، وكذا إصلاح الحكومة، إلا أن الوسائل المأخوذة اختلفت بينهما، إذ كان جمال الدين الأفغاني يرى أنه "بدلاً من أن ينصرف إلى العوامل الداخلية التي أدت إلى الفساد الاجتماعي في العالم الإسلامي يستطيع أن يقضي عليها بالقضاء على ما يُحيط به من نُظم وقوانين"<sup>5</sup>، وبذلك لقد رأى رجل سياسي عظيم كالأفغاني أن المشكلة السياسية تُحل بوسائل سياسية، بينما رأى رجل الدين كالشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تُحل إلا بإصلاح العقيدة والتربية والوعظ والإرشاد<sup>6</sup>. هذا من خلال تأكيده على ضرورة الإصلاح الدين الإسلامي أولاً، إذ كان يرى أن الوصول بالعالم الإسلامي إلى التمدن والتحضُّر لا يكون إلا بالحركة الدينية فيقول في هذا: "إنه لا بد من حركة دينية، لأننا إذا نظرنا في سبب انقلاب حالة عالم أوروبا من الخشونة إلى المدنية تراه الحركة الدينية، إن حركتنا الدينية هي اهتمامنا بقلع ما رسخ من عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية في غير وجهها المناسب"<sup>7</sup>.

بمجرد بروز أفكار المصلحين من بينهم جمال الدين الأفغاني وتبعه محمد عبده في الإصلاح العلمي والديني حين دعا المسلمين في مشارق المعمورة ومغاربها للرجوع إلى منابع الإسلام الصافية الصحيحة<sup>8</sup>.

فقد نادى بقلعه ولسانه بأن كل إصلاح إلى زوال ما لم ينبعث من أعماق الجماهير، وكان يقول: "ولن ينبعث شرارة الإصلاح في وسط هذا الظلام الحالك إلا إذا تعلّم الشعب وعرف حقوقه ودافع عنها ومتى عرف الشعب هذه الحقوق وجد نفسه مضطراً إلى المطالبة بها والمحافظة عليها إذا نالها"<sup>9</sup>، كما كانت مجلته العروة الوثقى التي أصدرها في سنة

<sup>1</sup> - الغزالي أبو حامد: محمد 1058م - 1111م ممتكلم ومتصوف وفيلسوف ولد بالقرب من طوس خراسان، اهتم بدراسة الفقه وعلم الكلام، حاول التوفيق بين الدين والفلسفة، أنظر: عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 53.

<sup>2</sup> - ابن تومرت، محمد بن عبد الله، 1077-1130م مؤسس الدولة الموحدية 1121م، وهو من قبيلة مسمودة، نشأ في بلاد السوس الأقصى جنوب غربي مراكش، درس في قرطبة وتأثر بابن حزم وطلب العلم أيضاً في بغداد، ورجع إلى المغرب الأقصى وعمل على تأسيس دولة قوية ونشر دعوته، وألقب نفسه بـ المهدي المنتظر. أنظر: يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1956، ط 1، ص 113.

<sup>3</sup> - تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني 1263-1328م، فقيه ومحدث ومتكلم ولد بجران وتعلم بدمشق، سجن بمصر والشام أكثر من مرة، لكنه عكف على التأليف والدراسة وظل بسجنه حتى توفي بدمشق، له مصنفات وفتاوى قيمة، وهو من ألد خصوم الصوفيين. أنظر: مسعودة مسعود بوالخضرة، المرجع السابق، ص 160.

<sup>4</sup> - محمد بن عبد الوهاب: 1115هـ/1703م - 1206هـ/1791م من بني تميم ولد في قرية العيينة في نجد، تعلم بها دروسه الأولى ثم انتقل إلى المدينة المنورة، طاف في بلدان العالم الإسلامي، أعلن عن دعوته الجديدة وهي العودة بالإسلام إلى صفائه وتنقية العقيدة من الشوائب، تحالف مع محمد بن سعود على نشر الدعوة بالحجة والسيوف، أنظر: سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 122.

<sup>5</sup> - مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 52.

<sup>6</sup> - محمد طهاري، المرجع السابق، ص 103.

<sup>7</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 268.

<sup>8</sup> - سليم موهود: مفهوم الخطاب الإصلاحية عند الشيخ مبارك الميلي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، ص 53.

<sup>9</sup> - صلاح الدين البستاني: العروة الوثقى والثورة التحريرية، دار العرب، القاهرة، 1993، ط 3، ص 30.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

1884 منبره للتعبير عن أفكاره والمجاهرة بعدائه للإنجليز وفضح مخططاتهم كما كانت أفكاره لها تأثير عبر مجلته في القراء مشرقا ومغربا<sup>1</sup>.

على هذا الأساس صنف محمد عمارة الأفغاني ثوريا يعتبر الثورة هي الوسيلة الأجدى لبلوغ الغاية التي حددها لشعوب الشرق، أما محمد عبده فاعتبر كإصلاحي يرى في التدرج في الإصلاح الطريق الأقوم والأضمن وفي التربية المستندة إلى الدين بعد تجديده، الوسيلة الوحيدة لبلوغ غاية الشرق، هذا الاختلاف في الوسيلة لم يكن غريبا عن اختلاف الموقف من الجماهير أو العامة، فالأفغاني كان يثق بما ويرى الاعتماد عليها باعتبارها صاحبة مصلحة أكيدة في الثورة، بينما كان محمد عبده قليل الثقة بما ويعتبرها بمثابة "الآلات الصماء الموقوفة على الأعمال اليدوية ليس إلا"<sup>2</sup>.

إلا أن محمد عبده لم ينشغل بتوظيف التراث في الصراع مع الغرب، بل قرر الانخراط في معركة مكافحة البدع التي دخلت على الدين فحرفته عن أصوله وبعبارة أخرى اعتبر عبده أن إصلاح حال الأمة يتبدئ بإصلاح دينها، والسبيل إلى ذلك "تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى"<sup>3</sup>، هذا التصور الذي قدمه محمد عبده للإصلاح يتضمن ثلاثة أبعاد تشمل علاقة الدين بالديوي وعلاقة العقلي بالروحي وسبيل التحرر من التقليد<sup>4</sup>.

إن محاولات الإصلاح عبر التاريخ الإسلامي كلها كانت لها أسباب ودوافع ونتائج اجتماعية، وبالنسبة إلى الإصلاحية الإسلامية الحديثة كان شاغلها الأساس يتعلق بموقع الأمة في صراع القوى والتنافس بين الحضارات وسبل إخراجها من حالة الانحطاط والضعف التي تردت فيها بعد عزة وقوة، فالمصلحون لم يخطئوا عندما اعتبروا الدين ركيزة لمقاومة الغزو الآتي من أوروبا وسلاحا في الدفاع عن الشخصية الثقافية، إلا أن نوعية الوعي السائد وبالتحديد الوعي الإسلامي الذي لا يُميّز أولا بيميز كفاية بين أمور الدين وأمور الدنيا ويعطي للأول سلطة توجيه وتنظيم الثانية أفرزت تلك الصيغ التي أدرجت أبعاد الجهد الإصلاحي كلها تحت عنوان الإصلاح الديني<sup>5</sup>.

غير أن محمد عبده كانت له زيارة إلى الجزائر بحيث أن أفكاره في الجزائر قام بنشرها الشيخ محمد بن مصطفى بن خوجة، فهو الذي أدخل مذهب محمد بعبده إلى الجزائر وعرف الناس به<sup>6</sup>.

ولقد أكد رجال الجمعية في أكثر من مناسبة تأثرهم بدعوة الشيخ محمد عبده، حيث يقول أحدهم: "لا نزاع في أن أول صيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني والعلمي في الجيل السابق لجيلنا هي صيحة إمام المصلحين الأستاذ الشيخ محمد عبده رضي الله عنه"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - عبد المالك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، ج1، دار هومة للنشر، الجزائر، 2009، ص40.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص168.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص169-170.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص170.

<sup>5</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص170.

<sup>6</sup> - عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، المصدر السابق، ج1، ص177.

<sup>7</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص57.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وقد فسحت وفاة الشيخ محمد عبده سنة 1904م الطرق أمام الشيخ محمد رشيد رضا للبروز كزعيم إصلاحي وحيد للتيار السلفي<sup>1</sup> ويقول الشيخ محمد خير الدين<sup>2</sup>، وهو من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مذكراته: "والحركات التحررية في بعض بلدان المشرق العربي مدينة لحركة الإصلاح الفكري والديني التي قادها موقظ الشرق جمال الدين الأفغاني ومن بعده الإمام محمد عبده ثم تلميذه رشيد رضا.

ولم تكن هذه الحركة بعيدة عن الجزائر، بل كان مددها متصلا، فمجريدة العروة الوثقى، التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده و"المنار" التي كان يصدرها رشيد رضا، ومجلة "الفتح" لمحب الدين الخطيب، من الصحف التي كانت تغذي نفوس المصلحين"<sup>3</sup>.

ويعترف الشيخ عبد الحميد بن باديس بفضل الشيخ محمد رشيد رضا ومجلة "المنار" عليه بقوله: "نشرنا ما يلي في تفسير حجة الإسلام محمد رشيد رضا من آخر جزء أصدره من مجلة المنار اعترافا له بفضل السبق إلى نشر هداية القرآن الكريم على المسلمين بمجلة شهرية كانت قدوتنا فيما ننشر من مجالس التذكير"<sup>4</sup>.

ومن المعروف أنه كان هناك اتصال شخصي بين الإمام محمد رشيد رضا وبعض رجال جمعية العلماء كالشهير الإبراهيمي الذي قابله في سوريا عندما ترك الحجاز ليقوم في سوريا وكذلك أبو يعلى الزواوي<sup>5</sup>، أما عبد الحميد بن باديس فقد اتصل بالشيخ رشيد رضا بالمراسلة وبطريقة غاية في السرية والكتمان خوفا من السلطات الاستعمارية التي كانت تحاول إثبات مثل هذا الاتصال إثباتا ماديا لضرب حركة العلماء في الجزائر<sup>6</sup>.

وهؤلاء المصلحين الذين ذكرناهم وكان لهم تأثير على الحركة الإصلاحية في الجزائر، وإنما ذكرهم ليس على سبيل الحصر وإنما على سبيل التمثيل فقط، كون العالم الإسلامي عرف مصلحين كثير لا يمكننا أن نحيط بهم أجمعين.

ب- وشهد الجزائريون مع مطلع القرن العشرين الميلادي حركة فكرية، ونهضة عامة شملت كل ميادين الحياة تقريبا كان أهمها الصحافة والتأليف والجمعيات والنوادي<sup>7</sup>.

ففي مجال الصحافة انفتح طريق الاتصال بين الجزائر والعالم العربي والإسلامي، فكانت الجرائد والمجلات العربية تتسرب إلى الجزائر من مصر وغيرها من البلاد العربية الأخرى خفية أو بصورة علنية، عن طريق تونس التي كانت تتمتع

<sup>1</sup> - مولود عويمر: مالك بن نبي رجل الحضارة، دار الأمل، الجزائر، 2007، ص37.

<sup>2</sup> - الشيخ محمد خير الدين 1902-1994 ولد ببلدية ففارا بمنطقة الزيان ودرس بها، وفي سنة 1916 انتقل إلى قسنطينة، وبعد سنتين انتقل إلى الزيتونة وحصل على شهادة التطوع سنة 1925م، وكان له دورا بارزا في الحركة الإصلاحية الجزائرية، التحق بجمعية التحرير الوطني سنة 1956 وغداة الاستقلال انتخب نائبا بالمجلس الوطني إلى غاية 1964 حيث قرر اعتزال السياسة، أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص323.

<sup>3</sup> - محمد يحيى الدين سالم، المرجع السابق، ص66.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص67.

<sup>5</sup> - أبو يعلى الزواوي 1279هـ-1371هـ / 1862م-1952م، ولد ودرس في زواوة على يد شيوخها، حفظ القرآن الكريم وهو ابن اثني عشر سنة، تولى عددا من المناصب الرسمية منها الخطابة والتدريس في مسجد سيدي رمضان بالجزائر العاصمة، كان من رجال الإصلاح وقد تولى الرئاسة المؤقتة للاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورئاسة لجنة العمل الدائمة بالعاصمة، وكان من رجال الإصلاح وله نشاط كبير في الصحافة الإصلاحية. انظر: أبو القاسم سعد الله، المجلة التاريخية المغربية، السنة التاسعة، عدد ديسمبر 1992.

<sup>6</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص59.

<sup>7</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص63.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

نسبياً بحرية أفضل من الجزائر، وكذا عن طريق المغرب الأقصى الذي لم يكن قد أصبح إذ ذاك مستعمرة فرنسية أو عن طريق أوروبا، كما كانت هذه الجرائد تصل إلى الجزائر بواسطة الحجاج الذين يعودون من البقاع المقدسة بعد أداء فريضة الحج<sup>1</sup>.

ومن أهم الجرائد والمجلات التي ساهمت بنصيب وافر في بعث اليقظة الجزائرية وأثرت على قرائها:

● مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وكانت دعوتها تستهدف يقظة العرب والمسلمين بصفة خاصة ورغم قصر عمرها فقد لعبت دوراً مهماً في حركة البعث العربي الإسلامي العام في العصر الحديث<sup>2</sup>، وأيقظت الضمير الوطني في النفوس وعملت على توطيد الصلة بين المسلمين وفتحت عيون العرب على الخطر المشترك، وكانت المجلة تتسرب إلى الجزائر عن طريق فرنسا وكان المثقفون من الجزائريين يتهافتون عليها ومازالت أعداد من هذه المجلة توجد في المكتبات الجزائرية، وبعد توقف مجلة العروة الوثقى خلفتها مجلة "المنار" الشهيرة التي كان هدفها نشر الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية<sup>3</sup>، وكان لها قراء دائمون في الجزائر وهي التي نشرت أفكار محمد عبده في الإصلاح الديني بين جماعة المثقفين الجزائريين وأنعشت الإسلام في المغرب العربي وتأثرت بها جمعية العلماء الإصلاحيين الجزائريين مما كان لها نجاح مطرد<sup>4</sup>، وكان الجزائريون من شدة حرصهم على مطالعتها أنهم أوصوا بالشيخ محمد عبده عند زيارته للجزائر أن يبلغ الشيخ رشيد رضا وأن يوصيه بأن لا يذكر في المجلة دولة فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع المنار من الدخول إلى الجزائر فيُحرموا من قراءتها، وكان يعد ذلك بالنسبة لهم "مدد الحياة"<sup>5</sup>، وقد مهدت المنار لزيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر في صيف 1321هـ/1903م<sup>6</sup>، فكان الطلبة والشيوخ يطالعون هذه الصحف ويتداولونها، ففي الجنوب الجزائري عرف الشيخ إبراهيم مكي بقيمة كتب ابن تيمية وكانت أعداد العروة الوثقى تصل الشيخ علي بن ناجي الزاهري والسيد علي بن العابد السنوسي الزاهري يتداولها الطلبة في عهد صدورهما في باريس من منطقة بسكرة على الزاب الغربي طولقة إلى الزاب الشرقي الخنقة وليانة<sup>7</sup>.

● وبجانب مجلة المنار كانت هناك جريدة "المؤيد"<sup>8</sup> التي كان يصدرها الشيخ علي يوسف في القاهرة، وكانت دعوتها مركزة أساساً حول اليقظة العامة وتصحيح الأوضاع الداخلية في البلاد العربية ومقاومة الاستعمار والاستبداد

<sup>1</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 63.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 63.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 67.

<sup>4</sup> - Charles-André Julien : l'Afrique du nord en marche Nationalisme musulmans et souveraineté française, l'imprimerie devers, Paris, 1972, p 21.

<sup>5</sup> - عبد الرحمن بن العقون، المصدر السابق، ج 1، ص 177.

<sup>6</sup> - عمار الطالبي، المصدر السابق، ص 25.

<sup>7</sup> - عمار طالبي، المصدر السابق، ص ص 26-27.

<sup>8</sup> - جريدة المؤيد: صدر العدد الأول منها في أول ديسمبر كصحيفة يومية سنة 1889، وتوقفت عن الصدور سنة 1913، أنظر: عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 64.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

السياسي والانحطاط الاجتماعي، وكانت تعمل على تشويق النفوس إلى الحرية والاستقلال، كما كانت تدعو إلى تحضة العرب والمسلمين ووحدهم وكانت منتشرة في ربوع المغرب العربي حتى سنة 1913<sup>1</sup>

● وهكذا ساهمت الصحافة العربية الشرقية في زعزعة الجمود الفكري وساعدت على إيقاظ الضمير العربي الإسلامي في الجزائر، فاستجاب لها الجزائريون بخلق صحافة عربية وفرنسية وطنية كانت تصدر عن اتجاهات متعددة كان بعضها ليبراليا ينتمي زعماءها إلى النخبة وبعضهم تقليديين مرتبطين بالطبقة القديمة المحافظين ولكن الهدف كان واحدا هو التعبير عن مطالبهم الوطنية<sup>2</sup>.

نشير أيضا إلى التأثيرات الأوروبية المباشرة باعتبارها الفكر الإصلاحي ذاته كان نتيجة الاحتكاك بين الثقافتين الإسلامية والأوروبية تلك التأثيرات المباشرة كما أسلفنا كانت آتية من الحضور الإداري والثقافي الفرنسي ومن دور المدرسة الفرانكو-عربية أو الفرنسية ودور الصحافة وكذلك من الاحتكاك بالعنصر الأوروبي والتعريف إلى نمط حياة ونماذج سلوكية مختلفة، سواء ما تعلق منها بتنظيم العمل وأخلاقياته أم بمكانة المرأة والعلاقة بين الجنسين والحياة البيئية الغربية أم بالحياة الجمعياتية والثقافية والنشاط ضمن الأحزاب أو بالانخراط في الخدمة العسكرية... إلخ<sup>3</sup>.

إذ فتحت هذه القنوات المتعددة للتأثير الغربي أعين السكان المغاربة وأذهانهم على عالم مغاير لما ألفوه، وفرضت المقارنة مع الحضارة المادية المتفوقة والأنماط الثقافية والتربوية التي تزعم لنفسها التفوق وتقدم نفسها كنتيجة لبلوغ أعلى مراحل التطور للجنس البشري: مرحلة القومية والصناعة والرأسمالية والحرية وحقوق المواطنة والمساواة وصولا إلى التبشير بإنسانية واحدة لا تعترف بتمييز عرق أو جنس أو دين<sup>4</sup>.

ت- شهدت الساحة العربية الإسلامية في نهاية القرن الثامن عشر ظهور الدعوة السلفية الوهابية، حركة تطهيرية متشددة إزاء تعبيرات الإسلام الشعبي على اختلافها على من زيارة القبور والتوسل للأولياء ما اعتبرته بدعا ضالة ومظاهر شركية لم يأت بها الشرع الحنيف<sup>5</sup>.

إن الكُتّاب الفرنسيين يكادون يتفقون على إرجاع الفكرة الإصلاحية لدى العلماء إلى الحركة الوهابية والجامعة الإسلامية في الشرق الأدنى<sup>6</sup>، وهنا نتوقف عند مسألة بالغة الأهمية وهي مدى تأثر مرجعية مدرسة المنار وتأثير السلفية عموما في التشكل الفكري للمدرسة الباديسية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لاحظ علي مراد أن ابن باديس باعتباره نتاجا للتعليم الزيتوني، لم يكن إلا ليكون عالما متشعبا بالعقيدة السنية وبوصفه جزائريا كان له ألفة مع المذهب المالكي وفي هذا ما يفسر حضور مالك وفقهاء المالكية في مقدمة مراجعه ومراجع رفاقه إلا أن ما يثير الاندهاش مثلما

<sup>1</sup> - رايح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900-1940، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ط1، ص 100-101.

<sup>2</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص156.

<sup>3</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص164.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص165.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص165.

<sup>6</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص386.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

لاحظ الباحث هو جمعه بين المالكية والحنبلية الوهابية الجديدة، ففي نظره يكمن مصدر هذا التأثير في عقيدة الإصلاحية السلفية المصرية السورية ولاسيما كتابات رشيد رضا الذي أخذ من ابن تيمية أكثر مما فعل محمد عبده، إذ برّر الوهابية ودافع عنها، وذلك يكمن في الإعجاب بالتجربة السعودية التي طبقت الوهابية بدقة وفرضت "عقيدة التوحيد"<sup>1</sup>.

إلا أننا قد نختلف في الرأي مع الأستاذ مراد في التأثير الوهابي على الفكر الإصلاحي الجزائري وخاصة الفكر الباديسي، كون أن البيئة الجزائرية ليست كالبيئة السعودية، ولكل واحدة خصائصها وظروفها، ولذلك وجهت فرنسا أصابع الاتهام لرجال الإصلاح في الجزائر على أنهم على اتصال بهذه الحركة ومنهجها وكانت قد علقت "الشهاب" بأنه لم يكن لجمعية العلماء والحركة الوهابية أي اتصال في نجد في رد على كتابات تصلها بالوهابية<sup>2</sup>، كما أقسم ابن باديس بنفي علاقته بالوهابية وأنه لم يقرأ كتاب واحدا لها "لا والله ما كنت أملك يومئذ كتابا واحدا لابن عبد الوهاب ولا أعرف عن ترجمة حياته إلا القليل، والله ما اشتريت كتابا من كتبه إلى اليوم 1351/هـ 1932م، وهذا لا يدل على الجهل الكامل للحركة وإنما عدم التأثير بها"<sup>3</sup>.

وتأتي الزيتونة في المقدمة بحكم قربها الجغرافي والتاريخي والاجتماعي من الجزائر ولا يشك أي باحث في جعل الزيتونة صاحبة الفضل في العصر الحديث، ويفضل النشاط الجموعي تكوّن الجزائريون في جو إيجابي أكثر وعيا من خلال دور الجمعيات فتأثروا وانخرطوا في الخلدونية<sup>4</sup>، التي ظهرت كنتيجة لزيارة محمد عبده لتونس ودعت لتجديد التعليم في الزيتونة، كما أسست النوادي ومكاتبها الشهيرة، وستكلم بمزيد من التفصيل عن دور الزيتونة وتأثيرها في المبحث الخاص بمظاهر روابط التواصل الإصلاحي ما بين الجزائر وتونس.

ومن خلال استقراءنا للعوامل الداخلية والخارجية التي أثرت في الفكر الإصلاحي الجزائري تبين أن الفكر الإصلاحي الجزائري، كان منهج معتدل أخذ بعين الاعتبار الخصوصية الجزائرية التي تميزها عن المشرق العربي، ففي مقال نشره الشيخ عبد الحميد بن باديس كافتتاحية في جريدة "السنة النبوية المحمدية" العدد 3 بتاريخ الإثنين 29 ذي الحجة 1350هـ الموافق 24 أبريل 1933م بقسنطينة، بعنوان: "عبدالويون ثم وهايون ثم ماذا؟ لا ندرى.. والله": "لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة سنة 1922م وعزمنا على القيام بالتدريس وأدخلنا في برامج دروسنا تعليم اللغة وآدابها والتفسير والحديث والأصول ومبادئ التاريخ ومبادئ الجغرافية ومبادئ الحساب وغيرها ورأينا لزوم تقسيم المعلمين إلى طبقات واختارنا للطبقة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية التي وضعتها وزارة المعارف المصرية وأحدثنا تغييرا في أساليب التعليم وأخذنا نحث على تعلم جميع العلوم باللسان العربي والفرنسي، ونحب الناس في فهم القرآن الكريم وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر.. لما قمنا بهذا وأعلنناه قامت علينا وعلى من وافقنا قيامة أهل الجمود والركود وصاروا يدعوننا للتنفير والخط

<sup>1</sup> - Ali MERAD, le Réformisme, op.cit. pp 214-218.

<sup>2</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 26.

<sup>3</sup> - عبد الحميد بن باديس، عبدالويون ثم وهايون ثم ماذا لا ندرى والله؟، جريدة السنة، العدد: 03، 1933، ص 01.

<sup>4</sup> - الخلدونية: المدرسة الخلدونية تأسست في عهد المقيم الفرنسي رينيه ميلي 1894-1900مأسسها البشير صفر برفقة الشيوخ سالم بوحاجب، عمر اشبح، أحمد كرم، وبمقتضى قرار وزاري مؤرخ في 18 رجب 1314هـ/1896م، وأقيم حفل التأسيس في 14 ذي الحجة /15 مارس 1897م، وينقسم التعليم بهذه المدرسة إلى ثلاثة أقسام: ابتدائي، ثانوي، عالي. أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 27.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

من "عبدووين" دون أن أكون -والله- يوم جئت إلى قسنطينة قرأت كتب الشيخ محمد عبده إلا القليل، فلم نلتفت إلى قولهم ولم نكثرث إلى إنكارهم على كثرة سوادهم وشدة مكرهم وعظيم كيدهم، ومضينا على ما رسمنا من خطة وصمدنا إلى ما قصدنا من غاية وقضيناها عشرة سنوات في الدرس والتكوين لشيء علمي لم نخلط به غيره من عمل آخر، فلما كملت العشر سنوات وظهرت -بحمد الله- نتيجتها رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخاص والعلم الصحيح إلى الكتاب والسنة وهدى السلف لهاته الأمة وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات فكان لزاما أن نؤسس لدعوتنا صحافة تبلغها للناس فكان "المنتقد" وكان "الشهاب" ونحضر كتاب القطر ومفكره في تلك الصحف بالدعوة خير قيام وفتحوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أعينا غميا وآذانا صمًا وقلوبا غلغفا.. ومرة أخرى أصبحت الجماعة الداعية إلى الله يدعون من الداعين لأنفسهم "الوهايين" ولا والله ما كنت أملك يومئذ كتابا واحدا لابن عبد الوهاب ولا أعرف عن ترجمة حياته إلا القليل ووالله ما اشتريت كتابا من كتبه إلى اليوم، وإنما هي أيكات قوم يهرفون بما لا يعرفون ويحاولون من إطفاء نور الله ما لا يستطيعون، وسنعرض عنهم اليوم وهم يدعوننا "وهايين" كما عرضنا عنهم بالأمس وهم يدعوننا "عبدووين"<sup>1</sup>.

والمقصود من قول ابن باديس "يهرفون بما لا يعرفون" أن المهاجمين للعلماء لا يفرقون بين الوهابية ومحاربة البدع والضلالات الطرقية فاعتقدوا أن الحركة الإصلاحية الجزائرية تنتمي للوهابية.

كما أن الإبراهيمي نفى علاقة الجمعية بالوهابية، فكتب: "وأن هذه الفئة التي رجعت من الحجاز بالهدى المحمدي الكامل قد تأثرت بالإصلاح تأثرا خاصا مستمدا قوته وحرارته من كلام الله وسنة رسوله مباشرة، ولم تكن قط متأثرة بالحال الغالبة في الحجاز الحال الغالبة هي الوهابية، إذ ذاك لم يكن للإصلاح في ذلك الوقت شأن يُذكر في الحجاز إلا في مجالس محدودة وعند علماء محدودين"<sup>2</sup>.

ونعتقد أن هذه النصوص صريحة في نفي العلاقة بالوهابية أو في الارتباط بها في عملية الإصلاح ولكن هذا لا ينفي وجود قواسم مشتركة بينهما ووسائل ومناهج متشابهة وخاصة أن كليهما يأخذان من معين واحد - النصوص الشرعية - ويكرزان على الإصلاح العقائدي والأخلاقي ويحلمان هموم النهضة والإصلاح العام.<sup>3</sup>

أيضا نجد توافق بين تبني العمل المرحلي والتدرج في التغيير الذي نادى به الشيخ محمد عبده وكلام ابن باديس، فيقول ابن باديس عن المرحلية في العمل الإصلاحي ".. من المستحيل أن تكون الظروف دائما ملائمة لنا ومساعدة على القيام بمقاصدنا فمن الوهم أن نعتمد دائما عليها... ومن المستحيل أيضا أن لا نستطيع أن نوفق بوجه ما بيننا وبينها... فمن الوهن أن نقف أو أن نسقط عندما تعاكسنا.. فاغتنامها إذا ساعدت والتكئيف بها إلى حد ما إذا عاكست شرط العمل والفوز في هاته الحياة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحميد بن باديس، عبدووين ثم وهاييون ثم ماذا لا ندري والله؟، جريدة السنة، العدد: 03، 1933، ص01.

<sup>2</sup> - عبد المالك مرناض، المرجع السابق، ص277.

<sup>3</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص27.

<sup>4</sup> - جريدة المنتقد، العدد 1، الخميس 11 ذي الحجة 1343هـ 2 جويلية 1925، دار الهدى، عين مليلة، 2012، ص20.



## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

### المبحث الثالث: الجذور التاريخية للحركة الإصلاحية في تونس

لقد كان ظهور الفكر الإصلاحي في تونس سابقا ومختلفا عن نظيرتها الجزائر وهذا راجع لعدة أسباب منها احتلال الجزائر قبل تونس بجوالي بنصف قرن تقريبا، أيضا حتى بعد الاحتلال حافظت تونس على مؤسساتها الدينية والسياسية وذلك في إطار الحماية.

### المطلب الأول: تعريف الحركة الإصلاحية في تونس

يُلفظ "الإصلاح" على اتجاهات فكرية وحركات سياسية واجتماعية ظهرت في العالم الإسلامي في القرون الأخيرة ويختلف بعضها عن بعض بمدى التحولات التي تدعو إليها في أحوال الناس وإلى أساليبها في تلك الدعوة وإلى درجة اعتمادها على الدين من ناحية، وعلى اعتبارات سياسية بعضها أصيل وبعضها دخيل من ناحية أخرى، ثم إن للعصر وللظروف المتباينة أثرا في اختلاف تلك الحركات أيضا<sup>1</sup>.

فالإصلاح في تونس في الربع الثالث من القرن التاسع عشر ميلادي كان يرمي إلى تغيير الأحوال السياسية تغييرا لا يبلغ درجة الانقلاب وكان حريصا على الدعوة إلى تحوّل سياسي متّزن موافق للشرع والسنن الدينية وموافق للعقل أيضا<sup>2</sup>، فالدعوة إلى الإصلاح في تونس في الربع الثالث من القرن التاسع عشر ميلادي كانت في بدايتها دعوة إلى إصلاح نظم الحكم وكانت دعوة سياسية ظرفية تزعمتها ثلّة من كبار أعوان البايات من الضباط، وكانوا قد تكوّنوا في مدرسة باردو الحربية<sup>3</sup> التي أنشأها أحمد باي في عام 1840 أو اتصلوا بصورة من الصور بتلك المدرسة ثم عاشوا مدّة من الزمن بأوروبا<sup>4</sup>.

أيضا إنّ احتفاظ المؤسسة العلمية والشرعية في تونس وهي المنظومة الزيتونية بوجودها وبتقاليدها وبمصالح الأطراف المتنافسة على تسييرها وبعلاقة التعايش أيضا مع الإسلام الطُرقي، لئن وقرّ بعض الشروط للحفاظ على المقوّمات العربية الإسلامية للشخصية الوطنية، إلا أنه كان يُمثّل أيضا عقبة أمام تقبل كتلة رجال الشرع للفكرة الإصلاحية، وجعل معركة الإصلاح تتجه بشكل رئيس ضد هذا القطب المتحكم بالساحة الدينية<sup>5</sup>.

إنّ هذا الوضع وإن كان يُنذر بتنامي التناقضات داخل المؤسسة بين المتشبّثين بالقديم ودعاة التجديد إلا أنه:

- ضيق الهامش الذي يتحرك ضمنه الإصلاحيون، كما عيّن حدودا للنزاع مع الإسلام الطُرقي.
- فتح المجال أمام المثقفين ذوي التكوين المزدوج والمتخرجين في الزيتونة والثائرين على جمودها للاضطلاع بالدور الرئيس في ترويج أفكار الإصلاح والتحديث.

<sup>1</sup> - أحمد عبد السلام: مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987، ط1، ص120.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص120.

<sup>3</sup> - مدرسة باردو الحربية: أسسها المشير أحمد باشا باي سنة 1840 على غرار المدرسة الحربية التركية إسكي سراي Esky - Saray واستجلب لها أساتذة أجانب وكان يشرف على تسييرها الضابط الإيطالي كاليقاريس (Calligarus) وكلف خير الدين بشؤونها الادارية، وكانت تدرس فيها الفنون العسكرية والفنون العلمية من هندسة وحساب وعلوم خرائط ولغات أجنبية، وتعتبر هذه المدرسة أول مدرسة رسمية. أنظر: ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: محمد شمام، ج4، الدار التونسية للنشر، 1989 ص41.

<sup>4</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص122.

<sup>5</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص175.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

- كان عاملا غير مباشر في تنوع تعبيرات الإصلاحية وتشتته<sup>1</sup>.

وعليه فالحركة الإصلاحية التونسية كانت لها عدة اتجاهات أولها إصلاحات نظم الحكم والتجديد السياسي وثانيها التجديد الديني وذلك بإصلاح أهم مراكز إشعاع فكري وديني وهو الزيتونة وتطوير مناهجه التعليمية وعصرنته لمواكبة الأحداث وخاصة بعد الاحتلال الفرنسي لتونس، حيث نجد أن الحركة الإصلاحية التونسية قد أخذت أبعادا أخرى، وذلك بدخولها في عملية الصراع من أجل الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية ضد سلطات الحماية الفرنسية وأيضا الإصلاح السياسي، والمساهمة في تطور الحركة الوطنية التونسية.

### المطلب الثاني: العوامل الداخلية والخارجية لظهور الوعي الإصلاحي في تونس

وعليه أيضا نجد أن لظهور الوعي الإصلاحي في تونس عدّة عوامل داخلية وخارجية.

#### 1- العوامل الداخلية لظهور الوعي الإصلاحي في تونس

لعل أبرز العوامل الداخلية لظهور الوعي الإصلاحي في تونس هو الفكر الإصلاحي لدى خير الدين باشا وجهوده في نشره.

#### أ- خير الدين التونسي ودوره الإصلاحي:

بعد تأسيس المدرسة الحربية بباردو وهي في إحدى ضواحي تونس تولى إدارة هذه المدرسة خير الدين التونسي الذي أصبح فيما بعد هو زعيم الحركة الإصلاحية بتونس، والذي كان لعمله الإصلاحي التأثير الكبير والجوهري على تاريخ الحركة الوطنية الإصلاحية في تونس قبل الاحتلال الفرنسي وبعده بما قدمه هذا المصلح الكبير من جليل الأعمال التي أحبها وتفانى في خدمتها<sup>2</sup>.

لقد كان تصور خير الدين لقضية التقدم والمواجهة مع أوروبا أكثر نضجا وأعمق وعيا، نظرا لفهمه العميق للنهضة الأوروبية والأسس التي بُنيت عليها لاسيما الناحية الاقتصادية التي تطورت تطورا كبيرا بسبب الثورة الصناعية وأخذ الامتيازات التجارية حتى صار الاقتصاد التونسي في قبضة الأوروبيين وانزلاق الحكام إلى الاقتراض (التداين) مما فتح الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي<sup>3</sup>.

وإلى جانب ذلك فقد كان خير الدين على معرفة تامة بالأسباب التي أدت بالعالم الإسلامي إلى التخلف والانحطاط بحكم تكوينه الثقافي وارتباطه بعصبة الإصلاح التونسية، ولعل الذي ساعده هو اتصاله بالغرب مباشرة وزياراته إلى فرنسا مرتين الأولى سنة 1846م مع المشير أحمد باشا باي والثانية سنة 1853م للعلاج وبقي هناك إلى غاية 1857م، وهذا ما مكّنه من الاطلاع عن كثب على سير دواليب الدولة الفرنسية ومعرفة الأسباب الحقيقية لتقدمها واتصاله أيضا بشخصيات فرنسية مرموقة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص176.

<sup>2</sup> - الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956، منشورات دار المعارف، للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1990، ص18.

<sup>3</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص373.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص374-375.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وتقوم نظرية خير الدين في حل إشكالية النهضة على أنه لا بد من الربط بين التمدن وبين الحرية والعدل إلى جانب العلوم الحديثة، وهو ما عبّر عنه بالتنظيمات الدنيوية<sup>1</sup>: أي الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي. فتجربته الإصلاحية وفكره قاما على رفض نظام الحكم المطلق ليس أسوة بالغرب الذي قام تقدمه على الحرية والعدل إلى جانب العلم فحسب، إنما أيضا عملا بأصول الشريعة الإسلامية في وجوب المشورة أو تشريك أهل الحل والعقد وقناعة بعواقب الاستبداد بالرأي والقرار، هذا من ناحية من ناحية أخرى في تباين مع التجربة المصرية التي شهدت تصادم محمد علي باشا<sup>2</sup> مع مؤسسة الأزهر على خلفية إتباعه استراتيجية تعليم وتكوين مواز رأى فيها المشايخ تقليصا لدورهم، إذ كان بعث الصادقية جزء من مشروع يشمل إصلاح التعليم الزيتوني، كما سعى خير الدين إلى كسب علماء الدين ودعاهم إلى المشاركة في الشأن العام والاحتساب على الحكام وبالتالي إحياء وظيفتهم في التوسط بين المجتمع والدولة<sup>3</sup>.

ومن ثمّ فإن خير الدين كان مطّلعاً على ما يجري في المشرق الإسلامي من نهضة ثقافية في بيروت وسعى إلى إصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مركز الخلافة العثمانية والقاهرة ولكن دون اتصال بحركة مشرقية مُعيّنة دينية كانت أو سياسية على الرغم من الصلة المتينة التي كانت تربط حركة الإصلاح التونسية بزعامة خير الدين، بحركة الإصلاح الإسلامية والتقاءها معها في صعيد واحد في كثير من النقاط<sup>4</sup>، وإنما كان منطلق التفكير الإصلاحي عند خير الدين تونسياً بحتاً إلا أنه يتنزل في محيط عثماني باعتبار أن تونس جزء لا يتجزأ من الخلافة العثمانية مع التأثير الواضح بالنهضة الأوروبية التي طُفح بها كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"<sup>5</sup> وجاء هذا الكتاب على غرار مقدمة ابن خلدون وقد بث في هذا الكتاب الروح الإصلاحية وعالج القضايا بفكر ثاقب ونفسٍ إصلاحي، وبرز كتاب خير الدين أقوم المسالك في سنة 1867م<sup>6</sup>، وفي سنة 1869 دُعِيَ لتولي رئاسة الحكومة وبعد توليه رئاسة الحكومة بدأ في الإسراع في تطبيق البرامج الإصلاحية، التي كان لها الأثر العظيم في تكوين النهضة التونسية قبل الاحتلال واستمرت بعد الاحتلال، وهي:

- إنشاء المدرسة الصادقية.
- تنظيم التعليم بجامع الزيتونة.
- إنشاء المكتبة العمومية المكتبة العبدلية.

<sup>1</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص375.

<sup>2</sup> - محمد علي باشا: 1769-1849م والي مصر 1805-1849م ولد باليونان وجاء إلى مصر في حملة لجلاء نابليون عنها، تخلص من المماليك، نظم الجيش والبحرية والتعليم، وضع أسس حكمه، تغلب على الوهابيين، لى نداء السلطان العثماني محمود الثاني لإخماد ثورة اليونانيين في المورة 1824-1826، غضب عليه السلطان لعدم مساعدته في الحرب الروسية العثمانية 1828-1829 وحاربه فانتصر عليه محمد علي في معركة نازيب الفاصلة 1839 بقيادة ابنه ابراهيم، استولى على حكم مصر له ولأولاده. أنظر: مسعودة مسعود بواخضرة، المرجع السابق، ص113.

<sup>3</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص167.

<sup>4</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص380.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص381.

<sup>6</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص22.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

### ● تشجيع الطباعة والصحافة.

وقد نجح خير الدين في تحقيق المبادئ الإصلاحية في إنشاء المدرسة الصادقية وإصلاح التعليم بجامع الزيتونة، بحيث أصبح الشباب العربي في تونس على اختلاف منهجه الثقافي متأثراً بالمبادئ الإصلاحية التي جاهدت الحركة الإصلاحية في سبيل تحقيقها أربعين عاماً<sup>1</sup>.

وحصيلة الرأي إن الفكر الإصلاحي لخير الدين لم يكن فكراً نظرياً ولا فلسفة مثالية وإنما هو فكر عملي لامس الواقع وجرب فنجح فقد عمل بكل ما في وسعه على إصدار الدستور المنبثق عن "عهد الأمان"<sup>2</sup> والتعريف به على الرغم من تكريسه للامتيازات الأجنبية ولكنه يُفترق بين السلطات ويضمن الحقوق والحريات ثم شرع في تنظيم الوزارات والإدارات والقضاء والفلاحة والتجارة والضرائب والأوقاف والتعليم وغيرها من الإنجازات<sup>3</sup>.

وقد أدرك الخاصة والعامة نتائج الباهرة ولكن النفوس المريضة التي ألفت الخيانة والغدر أو الأيدي القذرة كما يقول سارتر في الداخل والأطماع الاستعمارية في الخارج أجهضت هذا المشروع فكانت الكارثة وهي فقدان الشعب التونسي لحريته واستقلاله ودخوله تحت الحماية الفرنسية وهذا ما دفع الحركات الوطنية ولاسيما حركة الشيخ عبد العزيز الثعالبي<sup>4</sup> التي جاءت من بعده إلى تبني مشروع الإصلاح والمنافحة عنه باعتباره أب المصلحين في تونس وأيضاً المؤسس الأول لنظرية الجمع بين الإسلام والحداثة<sup>5</sup>.

### ب- الفكر الإصلاحي عند الشيخ محمود قبادو

يُعدُّ الشيخ محمود قبادو<sup>6</sup> في تونس هو الذي كوّن المذهب الفكري الإصلاحي الجديد في أوائل القرن التاسع عشر ميلادي، لقد جمعت شخصية الشيخ محمود قبادو المؤهلات الضرورية لمن يُكوّن مذهباً عقلياً ومنهجاً للتفكير له دعواته وأتباعه وآثاره<sup>7</sup>، وقد جمع الشيخ في فكره بين عناصر متباينة متعارضة بين العلوم الطبيعية والعلوم الروحانية والإلهية، وقد مزج بين ذلك دون تصادم بين الفكر الحديث والفكر القديم...

<sup>1</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 23.

<sup>2</sup> - عهد الأمان: وهو قانون أساسي لسائر سكان البلاد التونسية على اختلاف مذاهبهم في حرية التدين ومساواتهم في الحقوق العامة، سمي بعهد الأمان وهو مبني على 11 قاعدة أصولية كانت أساساً للمحاكم الجنائية تم العمل بهذا القانون في 10 سبتمبر 1857 وهو من إنجازات الباي محمد باي 1855-1859. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 141-142.

<sup>3</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 381.

<sup>4</sup> - عبد العزيز الثعالبي: 1874-1944م وهو من أصل جزائري ولد بتونس العاصمة زيتوني الثقافة، شارك في تأسيس وتحرير العديد من الصحف ذات الاتجاه الديني والسياسي، منها سبيل الرشاد 1895، ترأس الحزب الدستوري التونسي سنة 1920 ليتم نفيه إلى المشرق عام 1923، ولا يعود إلى تونس إلا سنة 1937، من مؤلفاته تونس الشهيدة. أنظر: خير الدين شترة، اسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 318.

<sup>5</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 381.

<sup>6</sup> - محمود قبادو: 1815-1871م الأديب الشاعر والعالم حفظ القرآن الكريم، ودرس الصوفية وتأثر بها، زار ليبيا واسطنبول واستفاد من علمائها، درس بمدرسة بارود الحربية، ثم بالزيتونة، من دعاة الإصلاح ومجراة الغرب ودراسة العلوم الحديثة، له ديوان شعر. أنظر: محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 40-41.

<sup>7</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 19.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

فكان شيخنا مجددا ينزع نحو التجديد والإصلاح وكان شيخنا زيتونيا خالصا يتمسك بالثقافة الإسلامية العربية وتمثيلها تمثيلا كاملا في نفس الوقت وكان إصلاحيا يؤرّقه تخلف الممالك الإسلامية وعدم رعاية الحقوق العامة للمواطنين وتكبتها عن جادة الشورى والديمقراطية وافتقارها إلى التدبير السياسي الحكيم<sup>1</sup>.

وما إن توجه إلى العمل بالمدرسة الحربية يباردو واتصل بالمهندسين والضباط الأجانب حتى انقذت شرارة الفكر الإصلاحي عنده وأخذ يبحث عن أسباب تقدم أوروبا وتأخر البلدان الإسلامية<sup>2</sup>، وقد توصل الشيخ محمود قبادو إلى أن العلوم العقلية كالعلوم الرياضية والطبيعية والهندسية والفيزيائية وتطبيقاتها العلمية هي سبب تقدم الأوروبيين وتمكّنهم في مجال القوة العسكرية التي أصبحوا بواسطتها يتحكمون في العالم<sup>3</sup>، بينما كان علماء المسلمين بمعزل عن هذه العلوم بل كانوا يحاربونها لارتباطها بالفلسفة ويصدرون الفتاوى لتحريم الاشتغال بها<sup>4</sup>.

ومعنى هذا أن سبب تأخر العالم الإسلامي - في نظر قبادو - لا يُعزى إلى الإسلام بذاته لأن هذا الدين قد سبق وأنشأ حضارة مزدهرة يوم تفتحت حضارته على الحضارات الأخرى باقتباس العلوم والفنون والآداب لكن إهمال المسلمين للعلوم الحكيمة وهجرهم لها هو السبب الرئيسي في تراجع حضارتهم وانحدارهم إلى الدرك الأسفل من الانحطاط ولذلك لا بد من اقتباس هذه العلوم بالنقل والتعليم عن أوروبا التي اقتبستها بدورها عن المسلمين يوم أن أسست نهضتها وتقدمها عندئذ نستطيع أن نبي مجتمعنا صناعيا "يُطيل باع الدين ويُخرجه من غربته"<sup>5</sup>.

وقد جاهد قبادو في نشر دعوته إلى أن وجدت هذه الدعوة نفوذها في وسطين الوسط الأول، وسط المدرسة الحربية والثاني وسط جامع الزيتونة، وهذان الوسطان وجد الفكر الإصلاحي فيهما الدعم والعمل وقد برز من المدرسة الحربية شخصان هما حسين وُزّتم، وفي جامع الزيتونة الشيخ سالم بوحاجب<sup>6</sup> والشيخ محمد بيرم والشيخ محمد السنوسي<sup>7</sup>.

فكان لقاء المجموعتين الحربية والزيتونية ووجدتهما مما كوّن حزبا قائما على أساس نظري في الإصلاح العلمي والاجتماعي والسياسي والإداري بدأت بوادر تأثيره تبرز في صميم الحياة على صعيد الدولة وتولي خير الدين التونسي قيادة هذا التيار الإصلاحي الذي رأى واجب اللحاق بركب الحضارة والتقدم<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 19.

<sup>2</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 367.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 368.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 368.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 369.

<sup>6</sup> - سالم بوحاجب: 1827-1924م من رجال الفكر والإصلاح الديني، درس بالزيتونة وكان من المساعدين لخير الدين باشا في تأليفه لكتاب أقوم المسالك في معرفة الممالك، أنظر: محمد فلاح العلوي: التعليم في الزيتونة والقرويين بين التقليد والتجديد أواخر القرن 19 وبداية القرن 20، أعمال الندوة الدولية الحادية عشر حول الزيتونة الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي، تونس، 5-6 ماي 2002، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2006، ط 2، ص 30-31.

<sup>7</sup> - الشيخ محمد السنوسي: 1850-1900م الفقيه الأديب درس بالزيتونة علم الأمير محمد الناصر، حرر بجريدتي الرائد التونسي، والحاضرة، من المعجبين بالأفغان والشيخ محمد عبده، من أعضاء جمعية العروة الوثقى بتونس. أنظر: مسعودة مسعود بوالخضرة، المرجع السابق، ص 7.

<sup>8</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 20.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

كما اجتذبت هذه الدعوة الإصلاحية إليها عددا من كبار موظفي الدولة سواء من أهل ديوان الإنشاء أمثال الوزير أحمد بن أبي الضياف<sup>1</sup>.

### ج- آراء ابن أبي الضياف الإصلاحية:

أمّا أحمد بن أبي الضياف فأراؤه تطورت بتأثير مطالعته لكتب مختلفة منها "تخليص الإبريز" لرفاعة الطهطاوي<sup>2</sup>، وتأثير مخالطته لأمثال خير الدين ومن أكبر أسباب تطور آرائه وتحبيذه للإصلاحات في العقود الأخيرة من حياته ما كلف به من مهمات سياسية خارج تونس وداخلها، وقيامه بتحرير لوائح القوانين التي صدرت تطبيقا لعهد الأمان وبحثه عن الحجج الفقهية والعقلية لتأييد تلك القوانين، ثم إشرافه على المجلس الوقفي الذي حاول الباي محمد الصادق<sup>3</sup> أن ينيط بعهدته فصل القضايا المتعلقة بالأجانب من الأوروبيين، فتطور آراء ابن أبي الضياف شاهد على أن دواعي التفكير في إصلاح نظم الحكم في تونس كانت سياسية ودينية<sup>4</sup>.

ففي مقدمة كتابه "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" يُصرّح بأن الملك المطلق مخالف للشرع والعقل خاصة وأن المتأخرين من ملوك هذا الصنف صاروا يحكمون بالهوى وافق ذلك المصلحة أم لم يوافق والناس يطيعونهم خوفا من حاميتهم ولأنهم تعوّدوا ذل المغرم والقهر، وأيضا في الخروج عن طاعة أولي الأمر من المحذور الشرعي عند متأخري أهل الملة الإسلامية، وهنا يذكر ابن أبي الضياف الآية القرآنية التي تمسك هؤلاء المتأخرون من الفقهاء بظاهرها على حد قوله وهي قول الله تعالى: "يأيتها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"<sup>5</sup>.

وخلاصة أقوال العلماء التي يرويها ابن أبي الضياف في هذا النص لا تدع شكّا في أنّ أهل الستّة نحوها شديدا عن مخالفة ذوي الأمر وأوصوا بطاعتهم والصبر على آذاهم، خوفا من الفتن التي هي شر الشرور<sup>6</sup>. ويُلوح من كلام ابن أبي الضياف أنه وجد بعض الحرج في قبول هذا الأمر على أنه واجب فتساءل: "وانظر هل الأمر بالصبر أمر ندب أو وجوب؟" ويبحث عن القرائن التي تدل على أنه ليس أمر وجوب<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ابن أبي الضياف 1219هـ/1804م - 1291هـ/1874م أحمد بن أبي الضياف التونسي أصله من أولاد عون، أخذ العلم عن أشهر علماء ذلك العصر أحمد بن الحوجة وإسماعيل التميمي ومحمد بيرم الثالث وإبراهيم الرياحي، أولاده حسين بأي خطة العدالة، وفي عهد المشير أحمد باي عتبه قلم دولته في رتبة وزير وكلفه بمهمات في الأستانة كان من رجال الإصلاح، أسندت إليه مهمة تحرير عهد الأمان، وشرح قواعده. ومن آثاره "إتحاف أهل الزمان باختيار ملوك تونس وعهد الأمان" أنظر: سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص372.

<sup>2</sup> رفاعة رافع الطهطاوي: 1801-1873م، أبرز رواد النهضة الفكرية العربية في مصر، درس في الأزهر وأوفد إلى باريس 1826 ليدرس مدة خمس سنوات، اطلع خلالها على مختلف المؤلفات في الفنون والعلوم، وبعد عودته درس الأدب مدة 17 سنة، وترجم الكتب، ترأس جريدة الوقائع المصرية، كان من المدافعين عن تحرير المرأة في كتابه تلخيص الإبريز في تخليص باريس، وصف لرحلته إلى باريس ولما شاهده فيها. أنظر: مسعودة مسعود بالخرصة، المرجع السابق، ص24.

<sup>3</sup> الباي محمد الصادق: 1859-1882 عمل على تطبيق عهد الأمان وأعلن دستور 1861، تقلد في عهده الوزير خير الدين باشا الوزارة، وقام بعدة إصلاحات. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص142-146.

<sup>4</sup> أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص123.

<sup>5</sup> سورة النساء، الآية 59.

<sup>6</sup> أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص124.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، ص124.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

نستنتج من تحصيلنا لنص ابن أبي الضياف هذا اهتمام رجال الإصلاح التونسيين بالتوفيق بين النصوص الفقهية وبين النزعات التي ظهرت حديثا في أوروبا من رفض طاعة الملوك الظالمين ومن الثورة عليهم ولم يكن ذلك التوفيق دائما ميسورا لدعاة الإصلاح وإن حاولوا دون هوادة في جميع ماكتبوا<sup>1</sup>.

### د- الصحافة الوطنية وجيل الحركة الإصلاحية الثانية في تونس:

تشكلت الحركة الإصلاحية الثانية في تونس على مستوى الفكرة من التقاء رافدين: مدرسة خير الدين واتجاه الجامعة الإسلامية ممثلا في الأفغاني وعبد، أما على مستوى التركيبة الاجتماعية الثقافية فتشكلت هذه الحركة من نواة العلماء المشاركين في التنظيمات بقيادة خير الدين<sup>2</sup>. والخريجين الأوائل من المدرسة الصادقية هم من عناصر الشباب الذي تلقى تكوينه بالزيتونة وتمرد على العقلية المحافظة التي تحكمها<sup>3</sup>، تدقيقا إنَّ النواة التي شاركت في تجربة خير الدين سواء بتحرير كتاب "أقوم المسالك" كما هو الأمر بالنسبة للشيخ سالم بوحاجب أو بالتحرير في صحيفة الرائد كما هو حال الأخير، الشيخ محمد السنوسي الذي ارتبط بمحمد عبده وكوّن فرعا سريريا لجمعية العروة الوثقى مارست هذه النواة تأثيرها في اتجاهين؛ فمن ناحية أدت دورا مهما في جلب عدد من طلاب الزيتونة إلى الفكرة الإصلاحية ومن أبرزهم محمد الطاهر بن عاشور<sup>4</sup>، الذي سيكون له دور محوري في التيار الإصلاحي الديني طوال القرن العشرين<sup>5</sup>.

ثم من ناحية أخرى ارتبطت هذه الجماعة بخريجي الصادقية الأولى الذين أخذوا بنصيب لا بأس به من الفكر الليبرالي الغربي إلى جانب مواكبتهم فكر الإصلاح القادم من المشرق، كما عاضدتهم في تحقيق إنجازين إصلاحيين إصدار صحيفة الحاضرة وتأسيس الجمعية الخلدونية<sup>6</sup>. حيث تأسست جريدة الحاضرة في 03 أغسطس من عام 1888م، وهي جريدة صادرة بالعربية وتولى إدارتها المرحوم علي بوشوشة<sup>7</sup> وهو من خريجي المدرسة الصادقية وقد دعم البشير صفر<sup>8</sup> الذي أصبح زعيم الحركة الإصلاحية الثانية وأبو النهضة الوطنية بعد الرائد خير الدين التونسي<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 124.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 176.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 177.

<sup>4</sup> - محمد الطاهر بن عاشور: 1879-1973م شغل مناصب مرموقة في كل من الجامعة الزيتونة والمعهد الصادقي، وأيضا عين قاضيا مالكيًا وعضو مستشار في المحكمة العقارية المختلطة، قاد حملة الإصلاح الزيتوني وكلف بمهام الجامع الأعظم وفروعه. أنظر: الصادق زمري: أعلام تونسيين، تع: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ط 1، ص 361-367.

<sup>5</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 177.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 177.

<sup>7</sup> - علي بوشوشة: 1859-1917م وهو ينحدر من عائلة جزائرية هاجرت إلى بنزرت، درس بجامع الزيتونة والمعهد الصادقي، درس بانكلترا وعاد إلى تونس سنة 1881، حيث أسس سنة 1888 جريدة الحاضرة، كما ساهم في تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1896. أنظر: الصادق زمري، المرجع السابق، ص 134-140.

<sup>8</sup> - البشير بن مصطفى صفر: 1864-1919م جغرافي مؤرخ صحفي يعتبر أب النهضة الثاني بتونس بعد خير الدين باشا، تخرج من الصادقية، وذهب إلى فرنسا في بعثة، عمل مترجما بالكتابة العامة سنة 1882، ومارس التعليم والإدارة بالصادقية والخلدونية، تعرف بالشيخ محمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد بك عندما زار مصر. أنظر: مسعودة مسعود بوالخضرة، المرجع السابق، ص 8.

<sup>9</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 33.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

حيث مثلت صحيفة الحاضرة القريبة من الجمعية الخلدونية نخب التوسط في الدعوة إلى الإصلاح من خلال القبول بالحدثة الغربية كأفق حضاري واشتراط تحسين الذات لخوض هذا الرهان، وهو ما جسّدته بدعوتهما إلى الحفاظ على التكوين الديني واللغة العربية وإصلاح التعليم الزيتوني مع الإقبال على المدرسة الحديثة ثم تعليم المرأة لتكون قادرة على القيام بوظيفتها التربوية في نطاق الحفاظ على قيم المجتمع وعاداته<sup>1</sup>.

وفي سنة 1889 برزت إلى الوجود جريدة عربية اسمها "الزهرة" أصدرها عبد الرحمن الصنادلي الذي درس بمصر وتخرّج عن الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي الذي استقر بالقاهرة بعد هروبه من اضطهاد الفرنسيين وأصبح قدوة لرجال المغرب العربي الفارين من قبضة الاستعمار، وقد ساهمت هذه الجريدة في فضح سلطات الاستعمار<sup>2</sup>.

وفي سنة 1901م أصدر عبد العزيز الثعالبي جريدة "سبيل الرشاد" وكان عبد العزيز الثعالبي من طلبة جامع الزيتونة ومعهد الخلدونية ومن الملازمين للشيخ سالم بوحاجب والأستاذ بشير صفر، ثم عطّلها وسافر إلى الأستانة ومصر<sup>3</sup>، وكانت صحيفة "سبيل الرشاد" محمّلة بخطاب تحريضي يدافع عن الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية وينتقد استقالة العلماء من مهامهم كما يُطالب بإحياء "الفروض المتروكة" وهو الاجتهاد، ثم في اتجاه أكثر اعتدالا في الأخذ بالقيم الغربية الحديثة وتوجيه الخطاب لعلماء الزيتونة،<sup>4</sup> فتقدم الشيوخ الرجعيون بدعوى إلى المحاكم ضد الثعالبي الذي اعتبره خطرا عليهم وعلى مصالحهم الخاصة وبالفعل حوكم الثعالبي وسجن فكان سجنه انتصارا للحركة الجديدة<sup>5</sup>.

وفي سنة 1904م، أصدر محمد الخضر بن حسين<sup>6</sup>، صحيفة "السعادة العظمى" فكانت على الرغم من قصر عمرها منبرا للعلماء خصوصا نواتهم الإصلاحية المتكوّنة من محمد النخلي<sup>7</sup>، والطاهر بن عاشور إذ بادرت إلى التجديد في تناول القضايا الأصولية العقائدية وتفسير القرآن والإفتاء بطريقة عقلانية وواقعية تراعي تغيّر الأحوال إضافة إلى ذلك كان محمد الجعايي<sup>8</sup>، صاحب مجلة خير الدين وجريدة "الصواب" من أبرز منشطي التيار الإصلاحي بدعوته إلى اعتبار الواقع معطى أساسيا في التعاطي مع الغرب وذلك بالتمييز بين جانب التطور والتحرر الذي يجب أن نستفيد منه والمطامع

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص181.

<sup>2</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص33.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص34.

<sup>4</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص181.

<sup>5</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص34.

<sup>6</sup> - محمد الخضر بن حسين: 1874-1958م من أصل جزائري من طولقة، ولد بنفطة، ثم انتقل إلى تونس العاصمة، ودخل الزيتونة وحصل على شهادة التطويغ، وفي سنة 1904 أصدر مجلة السعادة العظمى، درس بالجامع الزيتوني، والصادقية، هاجر إلى دمشق ثم مصر عام 1922، اختير سنة 1953 إماما لمشيخة الأزهر، له آثار عديدة. أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص321.

<sup>7</sup> - محمد النخلي: القبرواني 1285-1342هـ 1867-1924م من أعلام جامع الزيتونة في عصره، يشار إليه بالرسوخ في العلم وسعة الاطلاع مع الميل إلى آراء الشيخ محمد عبده، دخل جامع الزيتونة سنة 1886 وبعد تخرجه انتصب للتدريس بجامع الزيتونة، كانت له شجاعة أدبية في الجهر بأرائه المخالفة للمتعرف في وسطه، منها آراء الشيخ عبده، تتلمذ على يديه الشيخ ابن باديس. أنظر: محمد محفوظ، المرجع السابق، ج5، ص26.

<sup>8</sup> - محمد الجعايي: ولد بتونس 1876م درس بالزيتونة واشتغل بالتجارة، أسس عدة جرائد ويعتبر من مؤسسي الحزب الحر الدستوري ومن أبرز الوطنيين، توفي في ماي 1938. أنظر: حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص76.



## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

الاستعمارية التي يتعيّن الوقوف في وجهها وهي رؤية متعارضة مع تلك الراسخة لدى رجال الدين الذين لم يكونوا يرون في الغرب سوى "الكافر والمسيحي"<sup>1</sup>.

كما ساهمت صحيفة "المشير" التي أصدرها الطبيب بن عيسى<sup>2</sup> بمساعدة كتاب إصلاحيين مثل سالم بن حميدة ومحمد مناشو<sup>3</sup> في تناول محاور الإصلاح المختلفة من منظور سلفي جديد يرفض التمييز بين المرأة والرجل في حق التعلّم مع التمسك بمثال السلف الصالح ورفض النموذج الأوروبي لتحرير المرأة. أخيرا كانت صحيفة "مرشد الأمة" لسليمان الجادوي<sup>4</sup> مدافعة عن وجهة نظر سلفية تطهيرية ووطنية تعمل على تنقية الإسلام من البدع والأخذ بمعارف الغرب، لكنها شديدة الحذر في ما يتعلق بطرائق إصلاح التعليم والقضاء وترقية وضع المرأة حيث كانت ميّالة إلى التمترس بالموروث لمواجهة الخطر الأوروبي<sup>5</sup>.

هذه التجربة الصحفية وإن لم تخل من بعض العناوين المعبّرة عن اتجاه العلماء المحافظين، كصحيفة "إظهار الحق" أو عن التيار التحديثي المتغرب مثل صحيفة "التونسي" في مرحلتها الأولى شكّلت عبر تعبيراتها الطاغية عملية اكتساح من قبل الفكر الإصلاحي لمجال اتصالي كان يحتكره رجال الدين وهو الخطاب المتعلق بالإسلام وبالدين<sup>6</sup>. وهكذا بقدر ما كان الخطاب التقليدي وعظما و"مشدودا إلى المثال التاريخي فإن كثيرا من الصحف تسلّحت بوعي آني ومستقبلي مكّنها من الوقوف على العديد من ثغرات المجتمع"<sup>7</sup>.

### هـ - النوادي والجمعيات الثقافية:

● **الجمعية الخلدونية:** وفي سنة 1896 دعا زعيم الحركة الإصلاحية الثانية البشير صفر إلى تكوين جمعية سُمّيت بالجمعية الخلدونية وكان الهدف من تكوينها هو إدخال الإصلاح على جامع الزيتونة ومساعدة طلبة جامع الزيتونة على تحسين مستواهم التعليمي، وقد لعبت هذه المؤسسة الوطنية بقيادة مؤسسها الأول البشير صفر دورا وطنيا عظيما في نشر العلم والثقافة الحديثة وإذكاء الروح الوطنية في الشباب التونسي وذلك عن طريق الدروس والمحاضرات وتلقين اللغات العصرية حتى أصبحت محط أنظار رجال عموم إفريقيا الإسلامية وطلبة شمال إفريقيا بجمع بلدانه وأمصاره،<sup>8</sup> وقد كانت الخلدونية أبرز حامل للدعوة الإصلاحية قبل الحرب العالمية الأولى وقد جسّد نشاط الخلدونية التقارب بين الطلائع الأولى

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 181.

<sup>2</sup> - الطبيب بن عيسى: 1885-1965م صحافي تونس الموطن جزائري الأصل زيتوني الثقافة أصدر جريدة المشير 1911م ثم الوزير 1920. أنظر: حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 47.

<sup>3</sup> - محمد مناشو: 1882-1933م أحد مدرسي الزيتونة بتونس. انظر: محمد الفاضل بن عاشور: الحركة الأدبية والفكرية في تونس، مطبعة دار الهناء، تونس، 1956، ص ص 71-79.

<sup>4</sup> - سليمان الجادوي: 1876-1951م تخرج من جامع الزيتونة والمدرسة البارونية بالجيل الغربي من القطر الليبي احتترف تجارة الصوف بأسواق مدينة تونس، إلى جانب الصحافة. أنظر: عمر بن قفصية: أضواء على تاريخ الصحافة التونسية 1860-1970، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1972، ص ص 77-78.

<sup>5</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 181.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 181.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 182.

<sup>8</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 33.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

للسادقية أي المخضرمين والمشايخ الإصلاحيين أمثال سالم بوحاجب ومحمد النخلي والطاهر بن عاشور وهو تحالف كان له أثر بالغ في إحداث شرح بين طلاب الزيتونة والشيوخ المحافظين، وبالتالي بروز جيل جديد من الزيتونيين الساخطين على الأوضاع والحاملين أفكارا إصلاحية وتحديثية أكثر جذرية وجرأة<sup>1</sup>.

وانتخب أول رئيس للجمعية الخلدونية الأميرالاي محمد القروي تساعده نخبة من خريجي الزيتونة والصادقية، وكان البشير صفر يدرس بها مادتي التاريخ والجغرافيا ويبيّن فيهما أهداف الاستعمار الفرنسي<sup>2</sup>، فأصبحت الخلدونية مركز إشعاع ثقافي وإصلاحي كان له أثر كبير في الحياة الفكرية بتونس، مما أدى بأحد المعرّين إلى القول: "إذا كان ما قدر أن تندلع ثورة بالبلاد التونسية فإن هيئة أركان ثورها تكون قد تحرّجت من الخلدونية"<sup>3</sup>.

● **جمعية قدماء تلاميذ المعهد الصادقي أو "الصادقية"** تهدف هذه الجمعية التي تأسست في 23 ديسمبر 1905 برئاسة خير الله بن مصطفى<sup>4</sup> إلى تخليد الأفكار ونشر المبادئ التجديدية التي كان المعهد الصادقي مصدرا لها<sup>5</sup>، ولتحقيق أهدافها ثم إحداث مكتبة وتنظيم محاضرات موجهة إلى قدماء الصادقية والقيام بمحاضرات عمومية موجهة إلى عامة الشعب في أكثر الأحياء اكتظاظا، وقد استطاعت جمعية الصادقية أن تنظم خلال سنة من أبريل 1906 إلى أبريل 1907 حوالي 84 محاضرة منها 27 في مقرّها و57 في أحياء المدينة<sup>6</sup>.

وقد لاحظ علي باش حامبة<sup>7</sup> المنشط الرئيسي لجمعية قدماء الصادقية قائلاً: "في اليوم الذي نصل فيه إلى تربية عامة الشعب بنشر الأفكار العصرية والتعريف بالعلوم وتقريبها إلى الأذهان تكون قد نجحنا في إيقاظ النشاط والإسراع بتطوير بلادنا نحو وضع أكثر تلاؤما مع متطلبات العصر"<sup>8</sup>، وهذا هو أساسا الهدف الذي كانت ترمي إليه الحركة الإصلاحية التي عرفتها البلاد التونسية قبيل الحماية فنشاط جمعية قدماء الصادقية يندرج مثل نشاط جريدة "الحاضرة" والجمعية "الخلدونية" ضمن هذه النظرة الإصلاحية التي هي تجديدية أصلا<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 179.

<sup>2</sup> - مناصرة يوسف: الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ط 1، ص 25.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 25.

<sup>4</sup> - خير الله بن مصطفى 1867-1965م من عائلة ممالك درس في المعهد العلوي ودُعي للتدريس بالفرنسية في المعهد الصادقي، وشغل بعدها وظيفة مترجم لدى المحكمة المختلفة بتونس، ثم إلى هيئة تحرير جريدة "التونسي" وشارك سنة 1908م في مؤتمر إفريقيا الشمالية وُسّمى بعد الحرب مدير التشريفات للناصر باي ثم مدير جمعية الأوقاف. أنظر: علي المحجوبي: جذور الحركة، المرجع السابق، ص 132.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 132.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 132.

<sup>7</sup> - علي باش حامبة: 1879-1918م درس بالزيتونة والمدرسة الصادقية كان له ضمير وطني، وقد اشترك في تأسيس جمعية قدماء تلاميذ الصادقية، وساهم في تنشيطها، وكان يحمل فكرة الإصلاح في نفسه، أسس جريدة "التونسي" سنة 1907، ودافع عن حقوق الشعب التونسي، ساهم في أحداث طرابلس 1911، نفتته فرنسا فذهب إلى الأستانة وقضى بقية حياته في الدفاع عن وحدة المغرب العربي. أنظر: يوسف مناصرة، الحزب الحر، المرجع السابق، ص 27.

<sup>8</sup> - علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 133.

<sup>9</sup> - المرجع نفسه، ص 133.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وإلى جانب صاحب فكرة تأسيسها علي باشا حامية نجد عبد الجليل الزواش وحسن قلاطي<sup>1</sup> وغيرهم وكانت محاضراتها تهدف إلى النهضة الفكرية والرقي الاجتماعي والتعريف بالنهضة الأوروبية الحديثة، وشارك في نشاطاتها علماء جامع الزيتونة مثل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بمحاضرات تناولت المدنية والحرية والعدالة في الإسلام وتاريخ الدول الإسلامية<sup>2</sup>.

● **الجمعيات الزيتونية** وقد ساهم الزيتونيون في النشاط الجمعوي من خلال جمعيات التي أحدثوها عدا ميدان الصنائع كما ركزوا أكثر على الجمعيات التي هي إطار للدفاع عن المشاكل التي تهم المحيط الزيتوني الدراسي والمهني وآفاق التعليم والتكوين الزيتوني<sup>3</sup> واتجهت مجهوداتهم كذلك إلى الوضع الدراسي الثقافي للطالب الزيتوني، ويُمكن تقسيم الجمعيات التي نشأت في الوسط الزيتوني حسب طبيعة أهدافها ونشاطها كما يلي:

جمعيات تهتم بالطلبة الزيتونيين، والنوع الثاني جمعيات أسسها الشيوخ المدرسون بالجامع الأعظم، والقسم الثالث الجمعيات التي أنشأها خريجو الجامعة الزيتونية<sup>4</sup>، ولعل أبرز هاته الجمعيات في هاته المرحلة هي "جمعية تلامذة جامع الزيتونة" التي أسسها الشيخ محمد الخضر الحسين سنة 1906 مع جماعة من أساتذته تحت رئاسة الشيخ الطاهر النيفر مؤقتا ثم الشيخ محمد رضوان الرئيس الرسمي لها<sup>5</sup>.

ولم تدم هذه الجمعية طويلا حتى تحوّلت سنة 1907م إلى الجمعية الزيتونية تولى رئاستها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وكان هدفها عمليا وثقافيا واجتماعيا وهو إصلاح التعليم على الطريقة الأزهرية الجديدة وكانت هذه الجمعية تؤدي رسالتها عن طريق المحاضرات التي يلقونها شيوخ الزيتونة أمثال الشيخ النجار والنيفر والنخلي وغيرهم<sup>6</sup>.

و- **جامع الزيتونة** ودوره الريادي في الحفاظ على مقومات الأمة وبرز الوعي الإصلاحي لأهل تونس في مسجدهم العتيق جامع الزيتونة إجلال عبّر عليه المؤرخون والأدباء بأفصح ما لديهم من العبارات والتراكيب، فهذا محمد بن محمد الأندلسي السراج المتوفي سنة 1149هـ/1736م يستهل حديثه عن جامع الزيتونة في تاريخه الحلل السندسية بالديباجة التالية: "جامع الزيتونة مسجد إذا بدا لك تبلج نوره اللامع أيقنت أنه الجامع المفرد والمفرد الجامع روض العبادة ومعبد الرياضة بستان علوم زهر دوحتهما الفتح وثمارها الإفاضة.. ما سرح ناظر المؤمن في أثنائه إلا امتلأ علما.. قائد حلق الدرس تحسب مدرسيها أسود غياض ودوائر تلامذتهم حياض في رياض.."<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - حسن قلاطي: من مواليد مدينة الجزائر التي هاجر منها والده سنة 1882م زاول تعليمه الثانوي والعالي بالجزائر، حتى إجازة الحقوق، وانتصب للمحاماة بتونس سنة 1908م، شارك في تأسيس الحزب الدستوري سنة 1920 ثم انفصل عنه وتزعم حركة المعارضة بتونس، وأسس جريدة البرهان، ثم النهضة، لسان حزبه الإصلاح. أنظر: مسعودة مسعود بوالخضرة، المرجع السابق، ص46.

<sup>2</sup> - يوسف مناصرية، الحزب الحر، المرجع السابق، ص27.

<sup>3</sup> - محمد مسعود إدريس: المساهمة الثقافية للزيتونيين من خلال نشاط الجمعيات خلال فترة الحماية، أعمال الندوة الدولية الحادية عشر حول الزيتونة، المرجع السابق، ص334.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص334.

<sup>5</sup> - يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص28.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص28.

<sup>7</sup> - محمد العزيز بن عاشور: جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس، 1991، ص05.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

ولا يعزب على أحد أن دور جامع الزيتونة في بث العقيدة الإسلامية وعلوم الشريعة المحمدية والآداب العربية كان دورا جليلا وأن للزيتونة إسهاما في إشعاع الحضارة الإسلامية تجاوز حدود البلاد التونسية.<sup>1</sup> ولقد ظلّت الزيتونة على مرّ العصور مؤسسة دينية ثقافية لها هيبته ترتبط بتاريخ تونس، ومن هذا الجامع تخرّج جموع من العلماء كآل النيفر وآل عاشور وآل بيزم، ومن الزيتونة تخرّج متخصصون في الإفتاء والفقه والتفسير والسير والأصول والآداب.<sup>2</sup>

والحقيقة أنه من الزيتونة بدأت أولى بوادر الإصلاح الديني والاجتماعي كما أنها تصدّت للحماية في بعض المواقف التي كانت تعارض الدين ولا تتماشى وتقاليد الأمة الإسلامية.<sup>3</sup>

غير أنه يتحتم علينا الإشارة إلى الإسهام التعليمي الزيتوني في الثقافة التونسية بالنسبة للفترة التي ظهرت فيها نماذج تعليمية أخرى وبصفة عامة ابتداء من إحداث إدارة المعارف من طرف السلطة الفرنسية سنة 1883، التي أخذت تبث في الإيالة التونسية تعليما عصريا فرنسيا.<sup>4</sup>

وقد يُدرك المتأمل في قائمة النخبة التونسية المثقفة في غضون القرن العشرين<sup>20</sup> بمساهمة الإسهام الزيتوني في حضارة البلاد، كما يلاحظ قدرة التعليم الزيتوني - رغم المشاكل التي كان يتخبط فيها - على تكوين نخبة متضلعة لا في العلوم الدينية فحسب بل وفي العلوم الأدبية واللغوية، ففي العلوم الدينية والشرعية برز نحارير من علماء المذهب المالكي والحنفي أمثال مشايخ المالكية: سالم بوحاجب ومحمد الطاهر النيفر ومحمد النجار ومحمد النخلي ومحمد العزيز جعيط<sup>5</sup>، والبشير النيفر وغيرهم والمشايخ الحنفية: أمثال أحمد حميدة بن الخوجة واحمد سالم ومحمد بن يوسف.

كما أعطى جامع الزيتونة للبلاد التونسية وللأمة الإسلامية عالما متبحرا ومجددا وهو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وهو بلا ريب أزخر الزيتونيين إنتاجا في علوم الدين وعلوم العربية، وألّف تفسيرا كاملا للقرآن الكريم في ثلاثين جزء سماه "التحرير والتنوير" كما ألّف كتابا "مقاصد الشريعة الإسلامية" وشرح ديوان بشار وديوان النابغة وغيرها.<sup>6</sup>

أمّا في ميدان اللغة والأدب فقد أحرزت الزيتونة قصب السبق حيث استمرت تقوم بدور لا مثيل له في إشعاع الحضارة العربية بالديار التونسية ناهيك بذكر مشاهير الشعراء والأدباء أمثال أبي القاسم الشابي والعربي الكبادي ومحمد مناشو وأبي الحسن بن شعبان ومحمد الهادي المدني والطاهر القصار ومصطفى خريف والخطباء أمثال عبد العزيز الثعالبي

<sup>1</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 129.

<sup>2</sup> - رايح فلاح، المرجع السابق، ص 34.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 34.

<sup>4</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 130.

<sup>5</sup> - محمد العزيز جعيط: 1886-1970م، ولد بتونس ودرس بجامعه الزيتونة والصادقية، وسمي مدرسا مالكيًا من الطبقة الأولى في 1911 درس بالمدرسة الصادقية عام 1914، سمي بعد مفتيا وشيخ اسلام مالكي، وشيخ الجامع بين 1940-1945، ثم وزير للعدل. أنظر: علي الزيدي: الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904-1945، دار نهي، صفاقس، تونس، 2007، ط 1، ص 614.

<sup>6</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 130.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

ومحمد الصالح المهدي ومحمد بوشريية في الميدان السياسي ومحمد الطاهر بن عاشور ومحمد الخضر حسين واحمد حميدة بيرم ومحمد الفاضل بن عاشور<sup>1</sup> بالنسبة للخطابة العلمية.

كما برز من الزيتونيين في ميدان المقال السياسي المنصف المنستيري<sup>2</sup> ومحي الدين القليبي<sup>3</sup> والهادي بن ناصر<sup>4</sup>. ونلفت الانتباه أن ذكر كل الذوات من الزيتونيين - وهو طبعا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر - كما تجدر الإشارة إلى ما كتبه الشواشي في كتابه الفكر الإصلاحي عند جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأثره في الفكرة الإصلاحي التونسي؛ عن جامع الزيتونة قائلا: "أما طرائق التدريس فقد كانت طرائق بالية تعتمد على تحفيظ المتون والحواشي من غير تحليل أو استنتاج فضلا عن النقد أو التأويل، واستمر هذا المنهج قائما إلى عهد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي تعرّض إلى هذه النقيصة بالنقد والاعتراض، فقال: "وكان معنى العلم عندهم هو سعة المحفوظات سواء من علوم الشريعة أو من علوم العربية، فلا يُعتبر العالم عالما ما لم يكن كثير الحفظ...".<sup>5</sup> ولكننا نقول أنا لا نرمي إلى تأييد النظام التعليمي الزيتوني الذي ظهرت مساويه جلية منذ زمن بعيد، كما قال محمد العزيز بن عاشور: "أن الزيتونيين أنفسهم كانوا في طليعة المكافحين من أجل إصلاحه وإخراجه من الانحطاط وبالتالي فلا يمكننا إنكار ما قام به الزيتونيون والزيتونة من دور كبير في إشعاع الدين الإسلامي وترسيخ الثقافة العربية في عصر اتصف بالتحديات والأخطار وتكوين نخبة إسلامية وعربية يجب علينا وعلى الأجيال المقبلة الاعتزاز بها...".<sup>6</sup>

### 2- العوامل الخارجية لظهور الوعي الإصلاحي في تونس:

#### أ- تأثير أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في الفكر الإصلاحي التونسي:

إن الحركة الإصلاحية التي قادها الأفغاني وعبده ملأت الدنيا وشغلت الناس خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بما دعت إليه من مبادئ إصلاحية في الدين والسياسة والفكر والأخلاق وبما اتبعته من أساليب حديثة في دعوتها وتحقيق أهدافها فضلا عن ما تميّز به رائدها الأفغاني وعبده من جرأة فكرية وصراحة في الدعوة وجهاد متواصل لإنقاذ العالم الإسلامي حتى أن أسلوبهما في التفكير صار طاغيا على معظم مفكري ذلك العصر.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور: 1909-1970م العالم الزيتوني درس بالمعهد الصادقي وبجامع الزيتونة، وكون أجيالا عديدة، وكان عضوا أيضا في الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد، وقاد التحركات السياسية الطلابية الزيتونية باقتدار، ودافع عن مبدأ الاستقلال التام. أنظر: الصادق زمري، المرجع السابق، ص 349-354.

<sup>2</sup> - المنصف المنستيري: 1901-1971م تلقى تكويننا زيتونيا كان أحد قياديين الحزب الحر الدستوري القديم، نشط في ميدان الصحافة وكتب في جريدة الإدارة في الثلاثينات، وجريدة الاستقلال. أنظر: محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 149.

<sup>3</sup> - محي الدين القليبي: 1899-1954م من رموز الحركة الوطنية والنضال السياسي والقلمي في المغرب العربي، خلف الثعالبي بعد رحيله إلى الشرق سنة 1923، في إدارة الحزب الدستوري، اتخذ مواقف صارمة اتجاه المؤتمر الافخاريستي، وإقامة تمثال لافيغري، سجن في أزمة 1934، توفي بدمشق. أنظر: خير الدين شترّة، اسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 34.

<sup>4</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 130.

<sup>5</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 99-100.

<sup>6</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 130.

<sup>7</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 361.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وعليه نحاول طرح سؤال هل كانت هناك علاقة بين الحركة الإصلاحية بالمغرب الأدنى وريبيتها بالمشرق؟ وإن ثبت ذلك فما هو نوع هذه العلاقة؟ هل هي علاقة تأثير وتأثر أم هي علاقة توجيه وتبعية؟ ثم من هم أشهر أعلام الإصلاح بتونس الذين تأثروا بالأفغاني وعنده؟

من العوامل التي أثرت بشكل مباشر في حركة الإصلاح الزيتوني هي حركة التجديد الإسلامي بزعامة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وقد برز ذلك التأثير بوضوح من خلال جمعية العروة الوثقى التي كانت تضم في عضويتها محمد بيرم الخامس والشيخ محمد السنوسي، وبفضل دعوة السنوسي لهذه الجمعية انخرط فيها عدد من المثقفين والعلماء.<sup>1</sup>

● **حركة العروة الوثقى:** في سنة 1882 برزت إلى الوجود وكانت ذات طابع سرّي، أسسها المرحوم المناضل الإصلاحي الكبير السيد جمال الدين الأفغاني، أطلق عليها اسم العروة الوثقى، وكان هدف هذه الحركة تحرير العالم الإسلامي وتوحيده، وقد انضم من المغرب العربي إلى هذه الحركة الشيخ محمد بيرم الخامس والبطل الجزائري الأمير عبد القادر، وفي سنة 1882 حكمت السلطات الاستعمارية الفرنسية في تونس على الشيخ محمد السنوسي بالنفي، فسافر إلى القاهرة وقد تعرّف على أهداف جمعية العروة الوثقى أثناء إقامته بالقاهرة عن طريق الشيخ محمد بيرم الخامس والأمير عبد القادر، وقد عاد إلى تونس بعد إقامته في المنفى قرابة السنة، وفي سنة 1883 بدأ يعمل ويُشّر وينشر مبادئ العروة الوثقى التي اعتنقها<sup>2</sup>، وبقيت الصلة النضالية الحميمة قائمة بين أعضاء العروة الوثقى بالمشرق وعلى رأسهم الإمام محمد عبده ورشيد رضا، كما ربط أعضاء العروة الوثقى بتونس صلة وثيقة بمجلة المنار التي كانت تصدر بالقاهرة ولم تنقطع الصلوات النضالية على مرّ الزمن ورغم تقلب الأحوال والنظم بين الحركة الوطنية في تونس والحركة الوطنية في المشرق وبقيت موجودة رغم محاولة كثير من الإقليميين ودعاة الانعزالية في المشرق والمغرب.<sup>3</sup>

وقد وجدت هذه الفكرة في أوساط التونسيين استجابة قوية وحماسا كبيرا وخاصة من علماء جامع الزيتونة الثائرين وأركان الحركة الإصلاحية، وبصفة خاصة الشيخ سالم بوحاجب وتلاميذه من طلبة جامع الزيتونة، وقد أصبح لحركة العروة الوثقى في تونس تأثيرا كبيرا وملحوظا، وقد انضم التونسيون إلى العروة الوثقى وكافحوا في سبيل نشر مبادئها بكل الإمكانيات، وكان من أبرز أعضائها المؤسسين من التونسيين الشيخ محمد بيرم الخامس والشيخ محمد السنوسي والشيخ سالم بوحاجب وهم الذين أوحوا إلى السيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بفكرة إصدار مجلة العروة الوثقى في باريس وعند صدورها في باريس كتب الشيخ محمد السنوسي رسالة مؤثرة إلى الشيخ محمد عبده يقول فيها واصفا حالة العالم الإسلامي "أمّة فؤادها عليل قد مُنيت أطوارها بالتبديل وتلاشت منها القوى وعظم بها الوجى فأصبحت رهينة آلام أوهت منها قوّة الاعتصام، تطرق حدقاتها إلى نيل العز القديم مستكشفة ما شخص من ذلك الأديم الذي لا تستطيع إليه نخوضا وقد رأت حبل اعتصامها به منقوصا فعز دواؤها وأحاط بها أعداؤها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - رايح فلاح، المرجع السابق، ص 24.

<sup>2</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 31.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 32.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 31.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

● تأثيرات الشيخ محمد عبده في الحركة الإصلاحية التونسية: أما تأثيرات الشيخ محمد عبده فقد كانت أكثر وضوحاً لما لقيته دعوته من قبول إنحائها كانت في بعث النهضة العربية الإسلامية بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة وإنكار البدع وضرورة الأخذ بالحياة العصرية دون تعارضها مع الدين<sup>1</sup>، وقد كان من أكثر الداعين إلى ضرورة إدخال العلوم التجريبية كالرياضيات والكيمياء وغيرها<sup>2</sup>.

في شهر نوفمبر سنة 1884 قام الشيخ محمد عبده بزيارة لتونس استمرت أربعين يوماً اتصل خلالها بإقامته فيها بأركان الحركة الإصلاحية وعلماء جامع الزيتونة وعقد اجتماعات تنظيمية بأعضاء جمعية العروة الوثقى الذين انخرطوا فيها بتأثير من الشيخ السنوسي الذي كانت تعقد هذه الاجتماعات التنظيمية في بيته واستطاع أعضاء جمعية العروة الوثقى أن يشرحوا للشيخ محمد عبده الآلام التي كانت تعانيها تونس من جراء السياسة الاستعمارية المتعقبة<sup>3</sup>.

وبمغادرة الشيخ عبده تونس شعرَ بارتياح كبير لما وجد عليه أعضاء العروة الوثقى من التونسيين من تحمُّس لرسالة الجمعية وإيمان لا يتزعزع بضرورة توحيد الأمة العربية والمسلمين في كافة أقطارهم<sup>4</sup>.

وقد كان لزيارة الشيخ عبده على تونس أكبر تأثير من أي إقليم آخر في شمال إفريقيا ولقد نتج عن هذه الزيارة بذر البذور الأولى بفكرة إنشاء المدرسة الخلدونية الحديثة في تونس، وهي المدرسة التي أنشأها البشير صفر من خريجي المدرسة الصادقية لكي يتم بها الرسالة التي بدأها في المدرسة الصادقية من قبل<sup>5</sup>، وكنتيجة لهذه الزيارات بدأت بوادر التغيير تتجلى حيث وُجّهت انتقادات شديدة للتعليم الزيتوني الذي ظل متقوقعا رافضا العلوم العصرية، وقد كانت هذه مقدمة المطالب الإصلاحية، كما أنّ هذه الرحلة جنت ثمارها الأولى إذ شهد الوسط الزيتوني حركات احتجاجية طالب فيها المحتجون بالحقوق الإدارية والسياسية في تونس<sup>6</sup>.

ونتيجة للحفاوة التي وجدها محمد عبده وإيمانه بفكرة التجديد والإصلاح فقد زار تونس للمرة الثانية في أوت 1903 وهناك التقى بعلماء ومشايخ الزيتونة أمثال سالم بوحاجب ومحمد الطاهر بن عاشور<sup>7</sup>، وفي المدرسة الخلدونية ألقى محاضرة بعنوان "العلم وطرق التعلّم" هذه المحاضرة التي أصبحت عنواناً جديداً للإصلاح الزيتوني في مطلع القرن العشرين، ونتيجة لهذا البعد الذي أحدثه محمد عبده من خلال نشر الفكر الإصلاحي التجديدي في كامل الوطن العربي الإسلامي تلقفته النخبة الوطنية التونسية بصدر رحب وراحت تنسج على منواله الفكر الجديد الذي يستجيب لمتطلبات العصر والتطور<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - رابح فلاح، المرجع السابق، ص 24.

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 59.

<sup>3</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 32.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 32.

<sup>5</sup> - رابح فلاح، المرجع السابق، ص 25.

<sup>6</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 60.

<sup>7</sup> - رابح فلاح، المرجع السابق، ص 25.

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص 25.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

في حين ظل بعض المحافظين في تونس ومن الزيتونة أنفسهم يرفضون هذا التوجه متمسكين بالتقاليد القديمة<sup>1</sup>، فقد شهدت السنوات الأولى من القرن العشرين في تونس تجمّع خريجي المدرسة الصادقية على أساس عربي إسلامي واضح وازدادوا عليه بجزء هام من الثقافة الأوروبية المتحرّرة<sup>2</sup>، وبعودة عبد العزيز الثعالبي من المشرق يحمل فكرة الجامعة الإسلامية بلغت حركة الإصلاح التجديدي ذروتها وكان بالتالي الإصرار على ضرورة التغيير التعليمي والديني والسياسي والاجتماعي في تونس<sup>3</sup>، والحق أن عبد العزيز الثعالبي لم يكن إلا تلميذا نجيبا لمدرسة محمد عبده والأفغاني، إذ سلك نفس اتجاه تلك المدرسة في بناء أسس النهضة والإصلاح التي كان لها الأثر الكبير على حركة الإصلاح في تونس والجزائر<sup>4</sup>.

### ب - الصحافة المشرقية وتأثيراتها الإصلاحية

من العوامل التي دفعت بحركة الإصلاح في تونس هي الصحافة ودورها في الإيقاظ الفكري ومسايرة الحداثة والتجديد، فقد عرفت تونس من 1860 سيلا من الصحف العربية التي كانت تصدر بها، حيث اشتغلت النخبة التونسية بالطباعة بصورة أكثر تقدم وتطور رغم أنّ السلطات الفرنسية سعت إلى مقاومة انتشار المطبوعات العربية التي لا تسير توجهاتها الاستعمارية<sup>5</sup>، وقد تأثرت الصحافة التونسية بما كان يجري في الشرق الأستانة ومصر والتي عبّرت عنها الصحف مثل: المؤيد واللواء والمنار، حيث هذه الصحف ذاتها التي كانت تصل إلى الجزائر عن طريق تونس، حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأة<sup>6</sup>.

وكنتيجة على التواصل بين حركة الجامعة والتجديد في تونس فقد صارت جريدة العروة الوثقى تصل إلى تونس، حيث يذكر أندري جوليان: "أنه صدر منها ثمانية عشرة عددا قبل تعطيلها"<sup>7</sup>، وبمناسبة صدور العدد الأول من مجلة العروة الوثقى سنة 1884 بباريس قال فيها الشيخ محمد سنوسي قصيدة شعرية نذكر منها البيتين:

ولئن درجت الأحلاك بالغيهب الأبقى \* \* \* وضلت حلوم بعد أن طرقت طرقا

فقد وضع الصبح الذي بان عندما \* \* \* أنيط جمال الدين بالعروة الوثقى<sup>8</sup>

ويبدو جليا تأثر الصحافة الإصلاحية التونسية بصحيفة المنار التي كان يصدرها محمد رشيد رضا منذ عام 1898م، فقد انتشرت هذه الصحيفة في تونس انتشارا كبيرا ذلك أنها كانت تعبّر تماما عن رأي المجددين فكانت تعالج في مقالاتها المسائل الفقهية ومسائل عقائدية مما علق بالدين من شوائب مثل الكرامات وزيارة الأولياء والتبرّك بهم، كما دعت الصحيفة بصراحة إلى ضرورة إصلاح مناهج التعليم لتكون متماشية مع العصر.

<sup>1</sup> - رايح فلاح، المرجع السابق، ص 25.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 25.

<sup>3</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 76.

<sup>4</sup> - رايح فلاح، المرجع السابق، ص 26.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 23.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 23.

<sup>7</sup> - شارل أندري جوليان: المعمّرون الفرنسيون وحركة الشبان التونسيون، تع: محمد مزالي، د.ن، تونس، د.ت، ص 47.

<sup>8</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 32.



## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

ولما كانت مناصرة حركة التجديد في التعليم والإصلاح الديني، فقد تبناها كثير من دعاة التجديد في الزيتونة وقد عمد رشيد رضا إلى أسلوب المجاملة مع فرنسا أحيانا حتى لا يُمنع دخولها إلى الجزائر وتونس.<sup>1</sup> وكانت قد انبثقت سنة 1898 أول لجنة في إصلاح جامع الزيتونة ترأسها الشيخ محمد العزيز بوعتور المتوفي سنة 1907م، وقد تزامن تأسيس هذه اللجنة في تونس مع صدور مجلة المنار في مصر على يدي الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد وهو مؤثر على "الهبة العلمية الرسمية" في مسار إحداث تعديل منهجي في منوال التثقيف الديني والفكري. كل هذا جعل المعطى الثقافي في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي خير تمهيد لديناميكية القرن الجديد قرن المدّ التحرري السائر في خط تصاعدي.<sup>2</sup>

### ج-التأثيرات الأوروبية والرحلات العلمية:

كانت تونس تضم جاليات أوروبية عديدة، ولعل ذلك يعود إلى الموقع الجغرافي حيث وجد الإيطاليون والفرنسيون بصفة خاصة، وقد أدى هذا التواجد إلى ضرورة الاحتكاك والتأثير والتأثر، وقد كان تأثير هؤلاء الأجانب في المجال الثقافي جليا، إذ يعتبرون أول من أدخل المطبعة الحجرية سنة 1857م من باريس، وتطور الأمر فيما بعد إلى إحداث مؤسسات مطبعية أدارها فرنسيون وإيطاليون ومالطيون أذنت لهم بطبع الكتب والصحف العربية.<sup>3</sup> لقد كان للثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ميلادي أثر كبير على انتشار الثقافة من خلال تطور وسائل الاتصالات وأدوات الطباعة التي ساهمت بشكل كبير في تسرب الثقافات بين المناطق المختلفة، وتعتبر الطباعة إحدى أهم وسائل النشر والإصدار في وقت كانت هذه الوسيلة التثقيفية قليلة الانتشار خاصة في العالم الإسلامي، وكانت محتكرة فيمن يملكون مقاليد التقدم والحضارة.<sup>4</sup> كما أنّ الرحلة من قبل التونسيين أنفسهم شكّلت رصيذا مُهما أمكنهم الاطلاع على ما يحصل في العالم من تغيير وتطور ونهضة، وقد اعتبرت الرحلة التي قام بها خير الدين باشا لمختلف الدول الأوروبية حيث تعرّف على نهضتها، وقد أثبت هذا في كتابه "المسالك في معرفة أحوال الممالك"<sup>5</sup>.

والرحلة ليست غريبة على العرب والمسلمين منذ العهود السالفة، حيث ظلّت دوما تشكّل منبعا للتعرف على ثقافة وحضارة وتقاليد الآخرين مثل رحلة ابن بطوطة الشهيرة، والنتيجة أن الربع الأخير من القرن التاسع قد عرف تحولا هاما في مسار النهضة والإصلاح<sup>6</sup>، وقد اشتملت عدد من الكتب ألّفت بتونس في القرن 19م، على وصف البلدان وسكانها وذكر الأسفار وما أفادت به القائمين بهذا والمتحشمين لأتباعها، فعناوين الكتب تدل على ذلك وهي "صفوة

<sup>1</sup> - رابح فلاح، المرجع السابق، ص 24.

<sup>2</sup> - فتحي بوعجيلة: ثورة النخبة الإصلاحية التونسية واقعها أفكارها راهنتها، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس 2014، ط 1، ص ص 23-24.

<sup>3</sup> - رابح فلاح، المرجع السابق، ص 26.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 26.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 26.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 26.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار" لمحمد بيرم الخامس و"الرحلة الحجازية" ثم "الاستطلاعات الباريزية" لمحمد السنوسي، وهذه العناوين وبصيغتها وألفاظها تذكر بفرن عريق من فنون الأدب العربي وهو فن الرحلات.<sup>1</sup>

ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر اقتفى مؤلفون تونسيون أثر أتراكهم في بلدان إسلامية أخرى وخاصة في تركيا ومصر وسوريا ولبنان واهتموا اهتماما كبيرا بأقطار لم تكن من قبل مجهولة تمام الجهل لدى المثقفين العرب لكنها كانت مهملة أو معتبرة أرض حرب وعداوة.<sup>2</sup>

وقد ألفت كتب ترمي في جملتها وبجميع فصولها وأبوابها إلى تعريف التونسيين بجغرافية الأقطار الأوربية وتاريخها ونظمها السياسية والاقتصادية وأخلاق أهلها وعوائلهم، وقد أصبح لتلك الأقطار في السياسة العالمية دور هام ووزن كبير واشتد ضغطها على الإيالة التونسية، وكذلك على السلطنة العثمانية التي كانت تونس تابعة لها.<sup>3</sup>

وعليه من خلال سردنا للعوامل الداخلية والخارجية المؤثرة في ظهور الوعي الإصلاحي التونسي يتبين لنا أن ظهور الوعي الإصلاحي التونسي عن طريق خير الدين التونسي والشيخ محمود قبادو كان قبل وصول أفكار الشيخين الأفغاني ومحمد عبده، حيث نجد أن خير الدين التونسي كانت نظريته تقوم على الربط بين التمدن وبين الحرية والعدل إلى جانب العلوم الحديثة وأيضا العمل بأصول الشريعة الإسلامية في وجوب المشورة، أيضا بعث المدرسة الصادقية كان جزء من مشروعه في إصلاح التعليم الزيتوني، وهذا ما دعا إليه الشيخ عبده في أفكاره الإصلاحية التي بثها في تونس من الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة وإنكار البدع وضرورة الأخذ بالحياة العصرية دون تعارضها مع الدين، وقد كان من أكثر الداعين إلى ضرورة إدخال العلوم التجريبية كالرياضيات والكيمياء وغيرها، وفي زيارته الأولى بذر بذور إنشاء المدرسة الخلدونية وألقى محاضرة "العلم وطرق التعلم" في المدرسة الخلدونية في زيارته الثانية في أوت 1903 وكانت عنوانا للإصلاح الزيتوني، وهذا أيضا ما توصل له قبل ذلك الشيخ محمود قبادو إلى أنّ العلوم العقلية كالعلوم الرياضية والطبيعية والهندسية والفيزيائية وتطبيقاتها العلمية هي سبب تقدم الأوروبيين، وعليه لا بد من اقتباس هاته العلوم عن الأوروبيين ولا يعني هذا أن الدين الإسلامي هو السبب لأن هذا الدين قد سبق وأنشأ حضارة مزدهرة يوم تفتحت حضارته على الحضارات الأخرى باقتباس العلوم والفنون والآداب.

كما نجد أن خير الدين التونسي كان مُطلعا على الأوضاع بالمشرق ولكن دون اتصال بحركة مشرقية معينة دينية كانت أو سياسية على الرغم من التقائهما معا في صعيد واحد في كثير من النقاط، فالعلاقة كانت علاقة تأثير وتأثر بحكم عدة عوامل ونقاط التقاء، إلا أن هذا لا يمنع فيما بعد التأثير المباشر لبعض الشخصيات الإصلاحية التونسية بأفكار الأفغاني والشيخ عبده كالثعالي ومن قبله الشيخ السنوسي الذي روج لأفكار حركة العروة الوثقى وعمل لها بحماس وروج لها في الأوساط الزيتونية خاصة والتونسية عامة.

<sup>1</sup> - أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص 154.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 154.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 155.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

### المبحث الرابع: مظاهر روابط التواصل الإصلاحي بين الجزائر وتونس

إنّ مظاهر روابط التواصل الإصلاحي بين الجزائر وتونس قد دعمتها في أن الجزائر وتونس تشكّلان جزءاً من فضاء جيوسياسي وثقافي واحد هو الفضاء المغاربي، وكذلك فالتطورات التي شهدتها الحقل الديني تنطوي على أوجه شبه قويّة، ولاسيما ما يتصل بسيطرة النسق العقدي والفقهي المكوّن من المالكية والأشعرية<sup>1</sup>.

وبحكم التواصل الطبيعي والثقافي بين الجزائر وتونس وارتباط النخبة الإصلاحية بالزيتونة منذ وقت مبكر وبالتحديد منذ مطلع القرن العشرين وما صاحب ذلك من علاقات شخصية وزيارات متبادلة ونشاط صحفي دؤوب فإن ذلك أفرز احتكاكاً معمّقا وتجاوياً كبيراً بين عناصر النخبة الإصلاحية الجزائرية والنخبة التونسية والاهتمام بقضايا تونس والجزائر في ظل الاشتراك تحت دائرة الاستعمار الواحد<sup>2</sup>، وقد تمثلت هاته الروابط في التواصل في المزج بين السياسة والثقافة والإصلاح العام<sup>3</sup>.

وقد تجلّت هاته المظاهر لروابط التواصل الإصلاحي بين الجزائر وتونس في ثلاثة مظاهر رئيسية وهي التواصل الثقافي والمساهمة السياسية وأخيراً الزيارات وتبادل الرسائل.

### المطلب الأول: التواصل الثقافي

وقد تمثل هذا التواصل الثقافي في الرحلات العلمية نحو جامع الزيتونة بتونس من طرف الطلبة والنخب الإصلاحية الجزائرية ومنه المساهمة الفكرية والعلمية في الحياة التونسية من خلال الكتابة في الصحف والتدريس.

#### 1- رحلات الطلبة الجزائريين إلى جامع الزيتونة للدراسة

لجامع الزيتونة سمعة تجاوزت البلاد التونسية حتى أنها بلغت إلى سائر الأقطار الإسلامية، ولئن كانت الزيتونة يقصدها منذ القدم علماء وطالبا العلم من المشرق والمغرب وغيرها من البلاد الإسلامية، فإن للقطر الجزائري مكانة خاصة تتمثل في الصلة العريقة والمتينة بين أبنائه والجامع الأعظم بالعاصمة التونسية، فكانت رحلاتهم قصد الكرع من مناهله متتالية وزادت كثافتها في عهد الاستعمار لأن فرنسا لما احتلت الجزائر أخذت تشقّ حرباً مقدسة ضد مقوّمات الشعب الجزائري في المجالين الإسلامي والعربي، وأمام هذا العدوان الثقافي سرعان ما شعر ذوو الآراء الحصيفة من أبناء الجزائر بضرورة الاحتماء بالمعاهد الإسلامية خارج بلادهم لصيانة ما تبقى من كيانهم الإسلامي العربي وحمايته من الأخطار المحدقة به داخل الوطن المحتل وكانت الزيتونة من أهم تلك الحصون الحامية<sup>4</sup>.

يقول الشيخ علي مغربي عضو المجلس الإسلامي الأعلى للجزائر: "كانت الزيتونة المباركة لأبناء الجزائر الأمّ الرؤوم يوم ابتلوا بعدو لا يرحم، هدّم المساجد وأغلق المدارس والمعاهد وحارب دين الأُمَّة ولغتها بعدما جرّدها من عزّها ودولتها ففتحت تونس صدرها الرحب لأبناء الجزائر كي ينهلوا من معينها العذب جامع الزيتونة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 19.

<sup>2</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 256.

<sup>3</sup> - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 5، ص 492.

<sup>4</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 132.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 132.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وقد كان تدفق الطلبة الجزائريين نحو تونس للدراسة في جامع الزيتونة على عدة فترات نذكر منها:

1. **الفترة الأولى 1876 - 1900**: تميّزت هذه الفترة بالهجرة الفردية وتراوحت من طالب إلى حوالي أربعة طلاب، حيث كان أول تلميذ سجّل بالدفتري التأسيسي يدعى "عمر بن مبارك النموشي" من عرش النمامشة من منطقة تبسة خلال السنة الدراسية 1876-1877.<sup>1</sup> وبلغ العدد الإجمالي للطلبة الجزائريين المسجلين ثلاثة وثلاثين طالبا وقد مثلت الكتاتيب والمدارس القرآنية في الجزائر الإرهاصات الأولى للبعثات الطلابية، أما أسباب قلة العدد فيعود أساسا إلى الصعوبات والعراقيل التي تضعها الإدارة الفرنسية في وجه التلاميذ الجزائريين وعدم منحهم التراخيص لمغادرة بلادهم إلى جانب عامل الفقر والأمية.<sup>2</sup> وكانت شهادة التطويغ لعدة سنوات خاتمة التكوين الزيتوني وتدوم الدراسة فيها سبعة سنوات.<sup>3</sup>

2. **الفترة الثانية 1901 - 1917م**: تواصلت هجرة الطلبة الجزائريين إلى جامع الزيتونة والمدعومة من قبل أهل الجزائر وقد تدعّمت بالبعثة الميزابية (غرداية) سنة 1912، مما ساهم في ارتفاع عدد الطلبة الجزائريين المنتسبين إلى جامع الزيتونة وما يميز هذه الفترة انتساب التلميذ "عبد الحميد بن محمد بن مصطفى بن باديس" في السنة الدراسية 1908-1909م وقد تخرّج في سنة 1911 بحصوله على شهادة التطويغ التحصيل مع الرتبة الأولى.<sup>4</sup> وقد أخذ العلم عن كبار علمائها كالشيخ محمد النخلي والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، يقول الشيخ ابن باديس: "وإن أنسى فلا أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور، فقد حبّني في الأدب والتفقه بكلام العرب وأحسست من الشعور بعز العروبة والاعتزاز بها، كما أعتزّ بالإسلام"<sup>5</sup>، وقد بلغ عدد الطلبة الجزائريين في هاته الفترة مائة وثلاثين طالبا دون احتساب عدد طلبة الجالية الجزائرية المقيمة بتونس والطلبة الميزابيين الذين كانوا يدرسون على المذهب الحنفي بدون دفاتر مدرسية، وكذلك الشأن لبعض الطلبة الجزائريين.<sup>6</sup>

ونلاحظ في هذه الفترة تدريس بعض الطلبة المتفوقين بجامع الزيتونة من حاملي شهادة التطويغ التحصيل مثل الشيخ المتطوع "سعيد بن محمد السطيفي الجزائري 1910-1913" لمدة ثلاثة سنوات، والشيخ المتطوع "عبد الحميد بن باديس 1911-1913" والشيخ المتطوع "أحمد الميلي 1916-1917"، وتعتبر هذه المرحلة هامة وهي فاتحة عهد جديد بين الطلبة الجزائريين وجامع الزيتونة ورغم الصعوبات والعراقيل استطاع مائة وثلاثة وسبعون<sup>7</sup> طالبا التسجيل وتحقيق نتائج حسنة والحصول على شهادات وجوائز وهذا في ظل غياب إحصاءات الطلبة الميزابيين المنتسبين لجامع الزيتونة.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - حبيب حسن اللولب: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة وفروعه 1876-1962 التحديات والرهانات، مجلة دراسات وأبحاث، عدد 26 مارس 2017، السنة التاسعة، جامعة الزيتونة، تونس، ص4.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص5.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص5.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص5.

<sup>5</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص133.

<sup>6</sup> - حبيب حسن اللولب، الطلبة الجزائريون، المرجع السابق، ص5.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص9.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وقد عرفت هذه المرحلة هجرة أبرز الشخصيات أمثال، مبارك الميلي والعربي التبسي وغيرهم من الذين تخرجوا من جامع الزيتونة<sup>1</sup>، وباندلاع الحرب العالمية الأولى عرفت تونس غلق لمعاهدها ومدارسها، وكان من نتيجة ذلك عدم استطاعة البعثات العلمية تحقيق الأهداف المرجوة، وبمجرد انتهائها توالى البعثات البادية من بينهم العربي التبسي والسعيد الزاهري<sup>2</sup> وعبد السلام القسنطيني ومحمد العيد وغيرهم وهم الذين تخرجوا سنتي 1924-1925 فهؤلاء مثلوا طليعة المتخرجين وساهموا أدبيا في مجال الكتابات الصحفية والتجمعات العلمية.<sup>3</sup>

### 2- النشاط العلمي والإسهام الفكري للنخبة الزيتونية الجزائرية في تونس

لم يكن هدف الطلبة الجزائريين في المعاهد لتونسية والزيتونية بالخصوص من أجل تلقي الدروس وتحصيل الشهادات ليعودوا مدرسين ومعلمين فحسب، وإنما كان لهم نشاط بارز في جميع مجالات الحياة الأخرى حتى عدت تونس الوطن الثاني بحق، وكان انخراط الجزائريين الزيتونيين في الأندية والأحزاب والجمعيات السياسية والأدبية دليل على التفاعل الحقيقي بين الشعبين الجزائري والتونسي، وقد كان لهذا التوجّه تأثيرا واضحا في إعدادهم العلمي والسياسي والوطني تمهيدا للقيام بالدور الذي ينتظرهم.<sup>4</sup>

حيث نجد من بين الصفوة الجزائرية الشيخ الخضر حسين الذي يمارس دوره الفكري كطالب بتونس حيث تقدم بأول محاضرة علنية قامت في تونس في نادي قدماء الصادقية عام 1906م، بعنوان "الحرية في الإسلام" والتي طبعت بعدها في كتاب مستقل<sup>5</sup>، ثم نجده يقدم استقالته فيما بعد ويصر على قبولها حتى يتحرر من أعباء الوظائف التي للاستعمار يد وسلطان عليها... ومن ثم عاد للعاصمة ليلقي دروسه العلمية تطوعا في جامع الزيتونة، ومساهمة منه في بذر البذور الأولى للنهضة الفكرية التونسية الناشئة، كما تطوّر في وضع فهارس لمكتبات جامع الزيتونة وطبع منها أربع مجلدات ثم عُيّن أستاذا عام 1908م بالمدرسة الصادقية، ونجده مرّة أخرى يرفض أن يكون قاضيا أو مستشارا في محاكم تعيش في ظل الاستعمار، وهو موقف مشرف آخر تعتز به النخبة الجزائرية وإلى جانب مهامه التدريسية في مدارس الزيتونة والصادقية والخلدونية كان يواصل إلقاء المحاضرات ونظم القصائد وكتابة المقالات في مختلف الشؤون التونسية.<sup>6</sup>

أيضا نجد أن الحركة الجمعوية الطلابية في تونس قد ساهم فيها الطلبة الجزائريون من داخل مختلف التنظيمات والهياكل الثقافية والعلمية التي شهدت تونس والتي أسسوها بشكل منفرد أو التي كانوا موجودين بها جنبا إلى جنب مع الطلبة التونسيين وكذلك حول مساهمتهم في تأسيس وتنشيط الأحزاب والنقابات والجمعيات الأخرى<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 200.

<sup>2</sup> - محمد سعيد الزاهري: 1899-1956م شاعر وكاتب وصحفي من أبناء بسكرة، درس في قسنطينة على يد الشيخ ابن باديس وانتقل الى الزيتونة وكانت له عدة صحف، منها الجزائر 1925، والبرق 1927، والوفاق 1938. أنظر: صالح خرفي: محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 163.

<sup>3</sup> - الجابري محمد الصالح: التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 48.

<sup>4</sup> - رابع فلاح، المرجع السابق، ص 63.

<sup>5</sup> - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1919-1939، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج 21، ع 1، 2006، ص 220.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 220.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 222.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

ولقد شكّلت الجمعيات كعامل للتنظيم ونشر الوعي في الحركة الاجتماعية والسياسية بتونس، وكانت تواصلًا للمرحلة الثقافية الأولى منذ الحماية حتى سنة 1904، وهي الفترة التي اعتمدت فيها النخبة التونسية على الكتابة وتأسيس الجرائد ونشر الأفكار والتوعية عن طريقها جاءت الجمعيات كمرحلة ثانية للتوعية المباشرة وعن طريق الثقافة والفنون تمهيدا للتنظيم السياسي عن طريق الأحزاب والنقابات بعد الحرب العالمية الأولى كمرحلة أخيرة.. وقد تشكلت الجمعيات في العشرية الأولى من القرن العشرين<sup>20</sup> لا بدافع الوعي التنظيمي والسياسي فحسب بل بدافع أخلاقي ثقافي أساسا، فقد نوّهت الجرائد بأهمية التضامن بين كل أفراد المجتمع التونسي في كل المشاريع التي يتم بعثها<sup>1</sup>، وساهم الطلبة الزيتونيون الجزائريون في كل الأنشطة من خلال الجمعيات التي أحدثوها عدا ميدان الصنائع.. كما ساهموا بمبادرة بعضهم خارج الجامع الأعظم بالنشاط في جمعيات أخرى منها الموسيقية والفنية وحتى الرياضية<sup>2</sup>، وخلال هذه الفترة أيضا نجد الشيخ الخضر حسين، كان يحث الطلبة على المطالبة بإصلاح التعليم الزيتوني وعلى تنظيم صفوفهم في جمعية طلابية في تونس عام 1907 وشرع الطلبة يطالبون بالإصلاح بإيعازه وتوجيهه الخفي لهم حتى تطوّر الأمر إلى إعلان إضراب 16 أبريل 1910م، حيث كان عددهم سبعمائة طالب<sup>3</sup>700

أيضا نجد ظهور جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين فيما بعد نتيجة للدور الفعال الذي قام به الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي كان يُلحّ على هيكلة العمل وتجنيد الفئة المثقفة لمواجهة الواقع المأساوي، وفي إحدى زيارته إلى تونس ويأحدي مساجدها دعا صراحة إلى تكتيل الصفوف والتلاحم والخروج بقضيتهم وقضية شعبه من الطور السلي إلى طور العمل المجدي وضرورة تبصير الشعب التونسي وغيره من شعوب العالم العربي والإسلامي بعمق المأساة التي يعيشها الشعب الجزائري المحكوم عليه بمبارحة الأوطان هربا من التعسّف<sup>4</sup>، كما دعا الإبراهيمي الطلبة بتونس إلى ضرورة التعريف بقضيتهم من خلال الصحافة والنوادي وفي هذا الإطار جاءت فكرة إنشاء الجمعية حيث تم اختيار البجائي رئيسا لها ثم أنتخب الشاذلي المكي<sup>5</sup> فيما بعد، أما الرئاسة الشرفية أوكلت إلى المختار بن محمد<sup>6</sup> وفي عهد الشاذلي المكي تمكنت هذه الجمعية من إرساء القواعد العامة للعمل في تونس ومد جسورها إلى الجزائر فقد اهتمت بـ :

- إعداد الطالب من الناحية الأدبية والخطابية.
- التعريف بالواقع الجزائري وسياسة الاستعمار.
- الدعوة إلى المعرفة والعلم كأحسن سبيل يمكن من التغلّب على صعوبات الدهر<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، المرجع السابق، ص 223.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 223.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 220.

<sup>4</sup> - محمد صالح الجاهري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص 102.

<sup>5</sup> - الشاذلي المكي: 1913 خنشلة، درس في تونس وكان من الذين حضروا المجلس الإداري لجمعية العلماء لسنة 1939، ثم درس بإحدى مدارسها بتبسة، وصار عضوا بارزا في حزب الشعب وممثلا له في القاهرة. أنظر: حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 158.

<sup>6</sup> - المختار بن محمد: عالم من علماء الزيتونة، أنظر: رابح فلاح، المرجع السابق، ص 64.

<sup>7</sup> - رابح فلاح، المرجع السابق، ص 65.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

ومن آثار الجمعية في تونس إصدارها نشرية خاصة عُرفت بالثمرة الأولى<sup>1</sup>، وقد تضمّنت النشيرية رصد الأحداث الهامة وإحياء للذكريات الخالدة لتاريخ الأمة شارك في هذا الإصدار مصلحون كبار وعلماء بارزون من تونس والجزائر، كما اهتمت بالمقال الأدبي والسياسي تشجيعاً للمواهب، والملفت أن الثمرة الأولى اهتمت بموضوع الهجرة النبوية لما يحمله هذا الموضوع من واقع حياة الثلة من هذا المنشأ<sup>2</sup>.

أ- دورهم في الآداب والشعر: إن أكثر المتخرجين من جامع الزيتونة كانوا أدباء وشعراء إلا أن بعضهم فاقت شهرتهم حدود تونس والجزائر، فالشاعر محمد العربي الذي أقام في تونس واحتك بكثير من شعرائها وأدبائها خصوصاً أبو القاسم الشابي، ونظراً لدوره أوكلت له مهمة إصدار جريدة "صبرة"<sup>3</sup>، التي انتهجت خطاً وطنياً متشدداً وتصدّت للسلطة بالانتقاد، كما نشرت عدداً من المقالات التي تعالج الأوضاع السياسية الجزائرية وورثه مفدي زكريا<sup>4</sup> باسمه المستعار ابن تومرت إلزاماً للصدقة التي كانت تربط بينهما، وقد تجاوز مع كل الأحداث والوقائع التي كانت تحصل فكان يُخلِّدها بقصائد شعرية<sup>5</sup> ونفس التوجه سلكه محمد الأخضر السائحي المساند للقضية التونسية.

لقد ساهمت الحركة الوطنية التونسية في إعداد هؤلاء الطلبة إعداداً سياسياً ثورياً وملأت نفوسهم بالحماس والنخوة منذ اندلاع ثورة تونس 1952 فتأهبوا لاستقبال غرة نوفمبر وهم على استعداد للالتحام بثورتهم. ومن الأمثلة التي تبين دور الطلبة الزيتونيين في هذا اللون من الفكر عبد الله شريط وهو من طلبة الزيتونة، كرّس قلمه من أجل الدفاع عن الثورة والتبشير بها ومناهضة آراء خصومها يقول في هذا الباب: "الثورة في مفاهيمها الحتمية هي النجاح الاجتماعي والأساس العام لا الانتصار العسكري وحده"<sup>6</sup>.

والمعروف أن الأستاذ شريط ساهم مساهمة كبيرة في كتابة مجموعة من المقالات السياسية والوطنية بجريدة "الصباح التونسية"، وكان له عنواناً قاراً باسم "ما رأيك؟" حيث اخصص بمعالجة الشؤون الجزائرية والتونسية والعربية وفي نفس الجريدة كان يكتب محمد مبارك الميلي إذ كان من المحررين البارزين فيها ومن القضايا التي كانت تشغله الصراع مع المحتل وتلميع القضية الجزائرية.

<sup>1</sup> - الثمرة الأولى: نشيرية صدرت سنة 1937 بتونس. أنظر: رابح فلاح، المرجع السابق، ص 65.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 65.

<sup>3</sup> - جريدة صبرة: صدرت في عام 1938 اهتمت بقضايا الأدب والشعر بتونس، مركز الدوريات تونس. أنظر: رابح فلاح، المرجع السابق، ص 60.

<sup>4</sup> - مفدي زكريا: بن سليمان بن يحيى 1912-1973م ولد بقرية بني يزقن، انتقل مع البعثات الميزابية للدراسة في تونس، حيث درس بالخلدونية، وبعدها دخل لجامع الزيتونة، كما نشط داخل حزب النجم، ثم حزب الشعب، وزج به في السجون أكثر من مرة، شارك في الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال أثر البقاء في تونس إلى وفاته، من آثاره دواوين شعرية. أنظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 309.

<sup>5</sup> - رابح فلاح، المرجع السابق، ص 61.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 61.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وإلى جانب هؤلاء نذكر يحيى بوعزيز، وعبد الرحمن شيبان<sup>1</sup>، وعبد الله الركيبي<sup>2</sup>، والجندي خليفة وغيرهم<sup>3</sup>. وقد عمد الأدباء الجزائريون إلى إظهار البطولات والملحمات التي قادها المقاومون أمثال الأمير عبد القادر والمقراني والأمير خالد وعبد الحميد بن باديس<sup>4</sup>.

يقول أحد أبناء الزيتونة وهو صالح خرفي: "لو أعطينا الأولوية للبيئة العلمية التي تخرّجت فيه الطليعة لجاءت تونس في الدرجة الأولى ففي جامع الزيتونة درس وتخرّج أغلب شعرائها الأوائل"<sup>5</sup>.

والحق أن الشاعر الجزائري في تونس لم يكتفي بدور الطالب وإنما ساهم مساهمة فعالة، ولذلك ظل جامع الزيتونة في كتابات الجزائريين وأشعارهم عرفانا بالجميل الذي أخذه الطلبة من هذا الصرح الراسخ في وقت كان التعلم بالحرف العربي في الجزائر ممنوعا وعسيرا، والظاهر أن هذه الطلائع في ميدان الفكر والأدب هي التي أرست قواعد الثقافة الجديدة في الجزائر كما وضعت اللبنة الأولى للمعاهد التعليمية التي انتشرت في كل القرى والمدن حيث ظل صوت هؤلاء الرواد عاليا في ربوع الوطن<sup>6</sup>.

**ب- دورهم في المجال الصحفي:** الواقع إنّ التبادل والتضامن اللذين تحققا في الحقل الصحافي لم يكونا سوى أحد المظاهر لسيرورة تفاعل واسعة بلغت حدّ التداخل بين مكونات الحركة الإصلاحية والوطنية في القطرين<sup>7</sup>، حيث كان للصحافة التونسية دورا مهما في الحفاظ على المقومات العربية في الأقطار المغاربية عامة والقطرين الجزائري والتونسي خاصة، بحيث اهتمت الصحافة التونسية بالكتابة الجزائرية وفتحت لهم المجال في نشر مقالاتهم ونشاطاتهم الصحفية<sup>8</sup>، بحيث تعود أصول صلة الجزائريين بالصحافة التونسية منذ إصدار أول جريدة تونسية "الرائد التونسي"<sup>9</sup>، التي كانت تهتم بنشر ما يخص الجزائر وتونس فمنذ بدايتها كان توجهها إصلاحيا<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن شيبان: ولد في 23 فيفري 1918 ببلدة الشرفة البويرة، التحق بجامع الزيتونة عام 1938 تحصل على شهادة التحصيل في العلم سنة 1947، تولى رئاسة جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، درس بمعهد عبد الحميد بن باديس سنة 1948، من المجاهدين في جبهة التحرير الوطني، عين وزير الشؤون الدينية 1980-1986، انتخب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1999. أنظر: عبد الرحمان شيبان: حقائق وأباطيل، منشورات تالة، الجزائر، 2009، ط2.

<sup>2</sup> - عبد الله الركيبي: ولد سنة 1932م، أستاذ وأديب ودبلوماسي جزائري من ولاية باتنة، التحق بجامع الزيتونة، وبعد أن أتمّ دراسته التحق بجامعة القاهرة كلية الآداب تولى بعد الاستقلال التدريس بجامعة الجزائر ثم عُيّن سفيرا بسوريا، له آثارا كبيرة في الأدب أبرزها وأهمها: أحاديث في الأدب والثقافة. أنظر: رابح فلاحي، المرجع السابق، ص62.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص61.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص61.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص62، نقلا عن: صالح خرفي: شعراء من الجزائر، ج1، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969، ص30.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص63.

<sup>7</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص209.

<sup>8</sup> - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص151-169.

<sup>9</sup> - الرائد التونسي: أسست عام 1860م كانت تعكس وجهة نظر الحكومة، عام 1911 أدارها الطيب بن عيسى، ونشرت عدة مقالات ودراسات حول إصلاح التعليم. أنظر: أحمد المالكي: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ط1، ص259.

<sup>10</sup> - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص172.



## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

ومن بين أبرز الشخصيات الجزائرية الزيتونية التي كان لها نشاط في الصحافة من بينهم عمر بن قدور وعمر راسم اللذين استمرا في نشاطهما الصحفي إلى حين تم تعطيلها بعد حوادث 1911، فقد نشر كل منهما مقالات في جريدة المشير التونسية<sup>1</sup>، إضافة إلى جريدة الحاضرة وذلك بهدف عكس الأحداث التي كانت تحدث في الجزائر، بحيث امتدت مساهمتها ما بين 1907-1911، كان من نتيجة هذه المساهمة، أن وُطِّدَت العلاقة والتبادل الفكري بين البلدين<sup>2</sup>. إلا أن قيام الحرب العالمية الأولى أدى إلى تعطيل الصحافة التونسية وركودها وخلال ذلك كان صدور جريدة الفاروق<sup>3</sup> الجزائرية، تعوّض الفراغ وقد وصف أحمد توفيق المدني هاته الفترة بقوله: "كانت الصحافة التونسية كلها معطلة وكانت الأفواه مكمنة وحالة الحصار المفروضة على العباد منذ سنة 1912 تقض المضاجع وتحطم النفوس... فكنا نترقب أسبوعيا بفارغ الصبر جريدة الفاروق التي كان يصدرها عمر بن قدور..."<sup>4</sup> إلى غاية 1929 عرفت الصحافة التونسية انفراجا بحيث كان هذا الانفراج لصالح الصحف الجزائرية التي كانت تطبع في تونس وتوزع في الجزائر على أنها صحف تونسية فقد نشط في هذه الفترة كل من السعيد الزاهري الذي كان إنتاجه مقتصرًا على جريدة النهضة في الفترة الممتدة ما بين 1923 - 1925<sup>5</sup>.

كما عرف المدني بنشاطه في مختلف المجالات والصحف الوطنية منها مجلتي تقويم المنصور والوزير، وبذلك فإن تميز تونس بنشاط الصحف أتاح للجزائريين مواكبة الإصلاح والمساهمة في التعريف بالجزائر وأوضاعها<sup>6</sup>. وقد كان من أكثر الجوانب التي برع فيها الجزائريون في تونس هي الصحافة، حيث صار لبعضهم أعمدة خاصة يشكون فيها همومهم ويطرحون قضاياهم، وبذلك عرف القراء الكثير منهم حتى صاروا مألوفين خصوصا في جرائدهم في طرح بعض القضايا الحساسة التي كانت تثير حفيظة المستعمر<sup>7</sup>.

فرسائل الطيب العقبي إلى جريدة "العصر الجديد" الصادرة بمدينة صفاقس جنوب تونس سنة 1922، وهي رسائل وإن لم تنطوي على موضوعات وقضايا سياسية إلا أنها كانت تقدم صورة يومية عن الوضع الاجتماعي والسياسي في الجزائر، وأيضا نجد رسائل أبي اليقظان<sup>8</sup> التي كانت تعنون "بالرسائل الجزائرية"، حيث أكدت هذه الرسائل على

<sup>1</sup> - المشير التونسية: صدرت سنة 1911 بتونس تولى إدارتها الطيب بن عيسى. أنظر: عبد الحميد ساحل: عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2016، ص83.

<sup>2</sup> - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص156.

<sup>3</sup> - جريدة الفاروق: صدرت سنة 1913 وهي صحيفة شهرية ترأس تحريرها عمر بن قدور. أنظر: عواطف عبد الرحمن: الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص31.

<sup>4</sup> - محمد صالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص182-183.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص186.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص180.

<sup>7</sup> - رايح فلاح، المرجع السابق، ص60.

<sup>8</sup> - أبي اليقظان: بن عيسى بن يحيى 1881-1973م حفظ القرآن الكريم وأخذ علوم الفقه والتفسير وهو صغير، ثم تلمذ على يد الشيخ أطفيش في سنة 1910 ارتحل إلى البقاع المقدسة وزار دمشق وإزمير، وتونس، وفي سنة 1912 قاد أول بعثة ميزابية إلى تونس عاد إلى الجزائر وساهم في الحركة الصحفية بإصداره ثمان جرائد متتالية، كما نشط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وله آثار ثرية وشعرية. أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج5، ص290-294.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

الشخصية الجزائرية وإعادة البعث ومحاطبة الضمير والنخبة المتعلمة من طلبة الزيتونة وتوجيه النص لهم، وتبصيرهم بما ينتظرهم من واجبات تجاه الجزائر، يقول أبو اليقظان في جريدة "المنير"<sup>1</sup>: إذا أردت أن تعرف مستقبل أمة من الأمم فانظر إلى حالة أبنائها فإن كانوا منشغلين بأن ينالوا العلم والمعارف، آخذين بأهداف التربية الفاضلة والتهذيب، فأجزم بأن مستقبل أمتهم يكون زاهرا وسعيدا فالأمة وأبنائها كالفلاح وأرضه"<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: المساهمة السياسية

ففي الجانب السياسي أو ما تعلق بالحركة الوطنية التونسية وصراعها مع الاستعمار، فعلال الفاسي ذكر أنه من الجزائريين من تولوا مناصب قيادية في الحركة الوطنية التونسية وأنخرطوا في الحركة الإسلامية السلفية مثل محمد السنوسي محرر الرائد التونسي والمكي بن عزوز<sup>3</sup> الذي تزعم الحركة السلفية وله فضل كبير في تكوين عبد العزيز الثعالبي وتلاميذ هؤلاء هم الذين أسسوا جريدة المستقبل التونسي بالفرنسية وحيب الأمة وسبيل الرشاد بالعربية، ومنهم أيضا علي بوشوشة<sup>4</sup>. وكان المكي بن عزوز يتردد على زيارة الجزائر بحكم مصاهرته مع أهل الديس ببوسعادة ويستغل ذلك لنشر أفكاره<sup>5</sup>.

كما تميّزت المرحلة الأولى بالدور الذي أداه محمد علي باش حامية والثعالبي في الأخذ بزمام المبادرة السياسية وبعث حركة مناوئة للاستعمار وربط نضالها بالدولة العثمانية والجامعة الإسلامية ودعم قضية ليبيا وهذا ما شدّ إليها أنظار وجهود كثير من رجال الحركة الإصلاحية الجزائرية وتعمّق هذا التوجّه نحو التطور بحكم المعاناة المشتركة من الاستعمار<sup>6</sup>.

فوجد أنّ علي باش حامية حين كان على رأس الهلال الأحمر العثماني السرية لدعم ليبيا وحين أسس جريدة التونسي سنة 1907 تلقّى عدة رسائل من الجزائريين للاشتراك أو الكتابة فيها معجبين بوطنيته منهم؛ علي درويش، قاسمي عبد القادر.

وكان من ثمرة هذه الاتصالات هو مشروع مؤتمر يجمع تونسيين وجزائريين للتباحث في المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكان من المقرر عقده في ربيع 1914 بجنوب تونس حسب ما نشرته جريدة الإسلام وكان من المفروض أن يحضره من تونس الثعالبي وحسن قلاطي ومحمد الجعايي<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - جريدة المنير: صحيفة عامة إسلامية صدرت سنة 1907. أنظر: رايح فلاح، المرجع السابق، ص 60.

<sup>2</sup> - رايح فلاح، المرجع السابق، ص 60.

<sup>3</sup> - المكي بن عزوز: هو المكي بن مصطفى بن عزوز البرجي 1854-1915 من أصول جزائرية وُلد بنفطة بعد هجرة والده إليها حيث أسس زاوية نفطة الشهيرة، ومستقر عائلته كان في طولقة بسكرة، وليّ الإفتاء بنفطة كان كثير التنقل بين الجزائر وتونس، رحل منغيا إلى الاستانة سنة 1884 بعد إفتائه بالمقاطعة الاقتصادية لفرنسا، عيّنه السلطان مدرسا بدار الفنون، لعب دورا كبيرا في النضال الفكري والصحفي بالمهجر، له مؤلفات عديدة ودواوين شعر، توفي بالاستانة. أنظر: عادل نويهض، المرجع السابق، وأيضا محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج 1، ص 145-147.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 5، ص 492.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 576.

<sup>6</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 257.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 257.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

ويتحدث المدني لمجمع من المثقفين الجزائريين قائلاً بعد نفيه الأخير إلى الجزائر: "إنني قدمت من بلد فيه كفاح سياسي مرير وقد نظمنا الشعب تنظيماً سياسياً مُحكماً وأنا أؤمن بوحدة المغرب العربي جنساً وديناً ولغة وأخلاقاً.. فهل من عمل سياسي ممكن في هذه الأرض الجزائرية.. يربط بين القطرين ويوحد بينه الجهاديين".<sup>1</sup>

وعن عمق الإحساس بالانتماء والتواصل يقول المدني: "كنت أعمل في تونس بروح جزائرية فإذا بي أعمل في الجزائر بروح تونسية... واكتشفت أن العمل واحد وإنّ الكفاح واحد وإن جهادنا المشترك إنما هو وعاء متصل الأجزاء ما صببت في جزء من أجزائه شيئاً إلا توزع بصفة متعادلة على سائر الأجزاء".<sup>2</sup>

ولما أنشأت الجامعة الإسلامية في استانبول جمعيات سرية في أنحاء العالم الإسلامي كان يرأس جمعية تونس الشيخ عبد العزيز الثعالبي وهو ممن سعى إلى تكوين فروع لها في أنحاء المغرب العربي.

وكان من فروع الجمعية السرية في وادي ميزاب والقرارة وأنشأها الشيخ صالح بن يحيى<sup>3</sup> في عام 1915 بالقرارة. وكان رئيسها الحاج بكير العنق<sup>4</sup> ومن أعضائها البارزين الحاج بن يحيى<sup>5</sup>.

وقد تجلّى النشاط السياسي للطلبة الزيتونيين الجزائريين والمتخرجين من الزيتونة سواء كانوا جزائريين مقيمين في تونس أو تونسيون من أصول جزائرية في مطلع القرن العشرين في نضالهم إلى جانب إخوانهم التونسيين ضد المستعمر الفرنسي ومساهماتهم الفعالة في نشاط الحزب الدستوري الحر التونسي.

### 1- نضال الزيتونيين الجزائريين في مطلع القرن العشرين إلى سنة 1920

على إثر الأحداث الدموية بمقبرة الزلاج بتونس جرت اتصالات مكثفة بين الشباب الجزائريين والتونسيين حول إمكانية عقد مؤتمر إسلامي كبير لكل إفريقيا الشمالية في شكل جمعية تأسيسية ستضع أسس "أمة شمال أفريقيا"<sup>6</sup>

وبعد أحداث "التزام" في 09 فيفري 1912 دخل الوطنيون الجزائريون والتونسيون في العمل السري تحت زعامة قلائي وعبد العزيز الثعالبي وانحصر عملهم في توزيع بعض المنشورات، وكانت السلطة تتابعهم متابعة فعالة، وقد اعتقلت السلطة سنة 1914 جمعا من أنصارهم من بينهم الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي لم يكن عمره آنذاك يتجاوز الـ 15 سنة، وهذا بتهمة توزيع المنشورات المناهضة لفرنسا وزجت به في السجن من دون محاكمة وبقي في السجن مدة أربعة

<sup>1</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج2، ص14.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج2، ص97.

<sup>3</sup> - صالح بن يحيى بن عيسى توفي سنة 1367هـ/1948م، عالم إياضي ولد ببني يزغن في ميزاب أخذ عن الشيخ محمد يوسف أطفيش وغيره، رحل إلى تونس ضمن البعثة الثانية سنة 1917 وأتم دراسته بالزيتونة ثم استقر بتونس للتجارة، ويعتبر من المؤسسين للحزب الدستوري التونسي، قال عنه توفيق المدني هو الذي أظهر حزب الدستوري في تونس بدعايته وحماسه ومساندته للثعالبي المادية والمعنوية.. " في 28 أكتوبر 1920 أُلقي عليه القبض بتهمة التأمر ضد الدولة التونسية وأودع في السجن عدة مرات. توفي بتونس. أنظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص194، وأيضا: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ج1، ص156.

<sup>4</sup> - بكير العنق: من مواليد 1868 بالقرارة تعلم بمسقط رأسه، كان على صلة بالأمرير خالد والثعالبي، وأرسل أول بعثة طلابية إلى تونس ترأسها أبو اليقظان، انتقل إلى تونس سنة تأسيس الثعالبي للحزب الدستوري 1920، وتأثر بأفكاره كما التقى بالأمرير شكيب أرسلان في الحج، توفي سنة 1934. أنظر: محمد علي دبوب، المصدر السابق، ج2، ص208-211.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج2، ص186.

<sup>6</sup> - خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص97.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

سنوات من فيفري 1915 إلى أول نوفمبر 1918<sup>1</sup>، ولما فُتس بيته عُثِر فيه على مراسلات بينه وبين السيد الحسين الجزائري<sup>2</sup> صاحب جريدة الندم وكذا الشيخ عمر بن قدور الجزائري صاحب جريدة الفاروق<sup>3</sup>.

معلوم أن توفيق المدني كان قد كتب عدة موضوعات انتقادية في جريدة الفاروق بواسطة الحسين الجزائري وقام بإصاق منشورات معادية للحلفاء على أبواب المسجد الكبير بتونس وأناشيد الشاذلي خزندار، فضلا عن مصاحبته للصحفي حسين الجزائري والمعروف بعذائه لفرنسا<sup>4</sup>، وقد تحدث المقيم العام بتونس بخصوص نشاط المدني هناك على أنه خطر جاد وذكر المدني أن سجنه "كان نتيجة محاولة قام بها لتفجير طاقات الأمة في المغرب العربي ضد فرنسا"<sup>5</sup>.

حيث كان يُحَصِّرُ لخطّة انتفاضة مغاربية منذ ديسمبر 1914 مع جماعة من التونسيين هم: الصادق الرزقي<sup>6</sup>، أحمد بنجاح، محمد النيفر، محمد السعيد الخلصي والهادي مزاح... واتفقوا على خطة ثم اتصلوا بأحد زعماء قبائل بني زيد في الجنوب التونسي كما أنشؤوا شفرة خاصة بهم، وكانت عملياتهم ستنتقل بعد الاتصال بالطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة على أن تكون العملية بالتنسيق مع قبائل الجنوب التونسي والقائد التركي نوري باشا المستقر بمنطقة "نالوت" بليبيا غير أن خطتهم هذه كشفها الاستعمار الفرنسي في شهر فيفري 1915م<sup>7</sup>

### 2- مساهمة الإصلاحيين الجزائريين في الحزب الدستوري الحر التونسي

فضلا عن المساهمات الجزائرية في النهضة الإصلاحية التونسية على أيدي مجموعة من الذين هاجروا في الفترة السابقة للقرن العشرين، أو الذين قدموا مساهمات بأقلامهم واتصالاتهم مع الحركة الوطنية التونسية في مطلع القرن العشرين فإن هذه الجهود قد أسست الطريق للمرحلة التالية حين أسس عبد العزيز الثعالبي الحزب الحر الدستوري التونسي، حيث انخرط فيه عدة شخصيات كإبراهيم أطفيش<sup>8</sup>، الذي صار عضوا إداريا فيه وأبو اليقظان عضوا في لجنة الدعاية<sup>9</sup>، حيث نجد أن أبو اليقظان كانت علاقته متينة بالثعالبي منذ سنة 1917م واستمرت هذه العلاقة إلى آخر لقاء

<sup>1</sup> - خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 98.

<sup>2</sup> - الحسين الجزائري: 1895-1974م زيتوني له جريدة الندم، ومن مؤلفاته تنبيه الغلام إلى شيم الكرام، وله ديوان شعر. أنظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج 1، ص 66.

<sup>3</sup> - علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، دار أبي قراقرز للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2010، ط 7، ص 65.

<sup>4</sup> - خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 98.

<sup>5</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج 1، ص 82-86.

<sup>6</sup> - الصادق الرزقي 1875-1939م تونسي من بنزرت درس بالزيتونة وأصدر مجلة "العمران" الاقتصادية سنة 1921، ثم جريدة إفريقيقا ومن مؤلفاته الساحرة التونسية والأمثال، والأغاني التونسية، ومسرحية عنتره. أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 99.

<sup>7</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج 1، ص 86-105.

<sup>8</sup> - إبراهيم أطفيش: ولد ببلدة بني يزقن بجنوب الجزائر، حفظ القرآن الكريم وهو صغير، تعلم على يد عبد القادر الجاوي، وفي سنة 1917 انتقل إلى الزيتونة وانخرط في العمل السياسي، وانضم إلى الحزب الدستوري التونسي، وتم نفيه إلى الجزائر واستمر في نشاطه السياسي، وتم نفيه مرة أخرى خارج الجزائر، إلى مصر سنة 1923، ونشط في الحركة الإصلاحية وأصدر مجلة المنهاج سنة 1925، وكان له نشاط إسلامي وسياسي عظيم في مصر إلى غاية وفاته سنة 1965. أنظر: عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3-14هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 92-93.

<sup>9</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 261.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

جمع الثعالي والطلبة الجزائريين في مقر سكنهم بئر الحجار لتوديعهم ولم تنقطع هاته العلاقة حتى وهو بالمشرق العربي، وكانت له قصائد حول الحزب الدستوري نشرت في جرائد عديدة المرشد، الأمة، المنير... بالإضافة إلى الذين ساندوه وأيدوه بأشكال مختلفة كالدعاية وجمع الأموال لصالحه ومنهم صالح بن يحيى الذي جمع باسم الحزب الأموال من بني ميزاب قاربت 130 ألف فرنك سنة 1920<sup>1</sup>، ودخل السجن مع الثعالي بتونس، وبدون شك أن عنصري أطفيش وأبي اليقظان قد ساهما في الترويج للحزب الدستوري في الأوساط الميزابية مما حمل ثلة كبيرة تعمل لصالحه أو تتعاطف معه وعزز هذا الموقف التوجه الإسلامي أو الثقافة الشرقية التي يتسم بها الحزب لذلك توسع نشاط الحركة الميزابية العاملة لصالح الحزب الدستوري وخاصة في المدن التي ينشطون فيها تجاريا قسنطينة، قلمة...<sup>2</sup>

كما أن العمل إلى جانب الدستوريين لم يقتصر على الفئة الميزابية وخاصة في المرحلة التالية حيث تعامل معهم جل طلبة الزيتونة والذين صاروا زعماء الإصلاح في الجزائر أمثال ابن باديس ومحمد العيد آل خليفة<sup>3</sup> وحمزة بوكوشة<sup>4</sup> ومحمد العيد الجباري وإسماعيل بن علاوة خريج الزيتونة هؤلاء كتبوا في صحف العصر الجديد والنهضة التونسية والصدى الجزائرية وأظهروا دعمهم لوجهة الثعالي السياسية والفكرية<sup>5</sup>.

وقد تبوأ أحمد توفيق المدني منصب رئيس التحرير العربي للجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري، إلا أن أعضاء هذا الحزب تعرّضوا للمضايقات خاصة لمن كان لهم نشاط بارز مثل أحمد توفيق المدني الذي صدر في حقه قرار بنفيه عن تونس وذلك يوم 06 جوان 1925، وذلك بتهمة كونه من أصول جزائرية شاركت في أعمال سياسية تونسية<sup>6</sup>. وذلك بالرغم من الحذر والاحتياط اللذين اتخذهم الجزائريون إلا أن السلطة الاستعمارية استطاعت من خلال خطة مرحلية تقوم فيها بقمع الفرد بعد الآخر، ففي سنة 1923م قامت بنفي إبراهيم أطفيش إلى مصر ومنعه دخول الجزائر<sup>7</sup>.

ومن بين المكافحين بالقلم نجد الطيب العقي من خلال رسائله التي نشرها في جريدة العصر الجديد وذلك في عام 1922 والتي كانت لا تخلو من السياسة إضافة إلى ما نشره المراسل الجزائري السعيد الزاهري عام 1925، والتي دعا فيها للعمل من أجل الوحدة المغاربية ولعل من أهم الرسائل السياسية هي ما كان ينشره أبو اليقظان في جريدة المنير كونه أحد أعضاء الحزب الدستوري<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 261.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 262.

<sup>3</sup> - محمد العيد آل خليفة: ولد سنة 1904 بعين البيضاء، انتقل إلى تونس حيث قضى هناك سنتين 1921-1922 عاد إلى بسكرة ليشترك في الحركة الفكرية عن طريق الكتابة في الصحافة الإصلاحية، في عام 1927 أصبح مدرسا في مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة، وكان شاعر الحركة الإصلاحية. أنظر: مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 63.

<sup>4</sup> - حمزة بوكوشة: (شونف) 1907-1970م، من مواليد وادي سوف درس بالزيتونة وتخرج منها سنة 1930، ساهم في الحركة الإصلاحية بمقالاته في الشهاب والبصائر، عمل بمدارس الجمعية بدلس وقسنطينة والجزائر، اعتقل سنة 1957. أنظر: خير الدين شترة، إسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 316.

<sup>5</sup> - حميدي ابي بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص ص 262-263.

<sup>6</sup> - محمد صالح الجابري، النشاط العملي، المرجع السابق، ص ص 266-274.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 283.

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص ص 294-306.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

ولعل في أن مشاركة الجزائريين في تأسيس أول حزب وطني تونسي قدّم لنا صورة عن الوحدة بين الأقطار المغاربية، فقد كان نشاط الجزائريين لا يقتصر فقط على الاهتمام بأوضاع الجزائر وإنما كانوا يهتمون بالقضايا الوطنية المغاربية عامة والحركة التونسية خاصة، بحيث بدأ النشاط السياسي بما قام به عمر راسم وعمر بن قدور من خلال مقالاتهم، ومن ثمّ انتقل النشاط إلى الالتحام في الحركة الوطنية التونسية وذلك من خلال الحزب الحر الدستوري التونسي.<sup>1</sup>

ويذكر الشيخ خير الدين أنه كان يشارك رفقة الطلبة الجزائريين بتونس في الحركات السياسية والفكرية التي عمّت أرجاء البلاد وكمثال على ذلك المظاهرات السلمية التي قادها الشيخين الصادق النيفر<sup>2</sup> وعثمان بن الخوجة احتجاجا على احتلال جيوش الحلفاء العاصمة الإسلامية اسطنبول ومضيق الدردنيل. أما المظاهرة الثانية كان سببها التدخل السافر من الاستعمار في شؤون الباي محمد الناصر، وتحدث الخطباء من الشعب أمام قصر الباي بالمرسى وأكدوا ولاءهم للعرش وكان من جملة الخطباء في ذلك اليوم الشيخ عبد الرحمن اليعلاوي<sup>3</sup> رحمه الله.<sup>4</sup>

ونفس ما تعرّض له توفيق المدني حصل مع اليعلاوي الذي سُجن ثلاث مرات بسبب آرائه ثمّ تمّ إبعاده عن تونس بعدما ثبت من كتاباته التي نشرت في المجلات التونسية خاصة مجلة العرب.<sup>5</sup>

يقول في مقال له في هذه المجلة: "لم أدخل المعركة ضد المستعمر إلا بعد أن تعلّمت لغته ودرست تاريخه كما درست تاريخ بلادتي، بعد ذلك نهضت للكفاح المسلح بالعزم والحق داعيا إلى التعلم وخدمة الأرض بطريقة عصرية وترك مراض الكسل والشحناء لأن القوة في الاتحاد".<sup>6</sup> وبهذه الكيفية انغمس اليعلاوي في العمل السياسي منضما للحزب الدستوري متحديا كل الصعاب المحتملة عارفا بما قد يؤول إليه الأمر، وهذا ما جعل تصريحاته تكون حادة وقاسية على المستعمر الذي لم يحتمله هنيهة وقد كلفه ذلك النفي إلى الجزائر حيث الرقابة مشددة عليه وعلى أمثاله.<sup>7</sup> والنتيجة أن للزيتونيين دورا سياسيا بارزا حتى وإن بعضهم لم ينخرط مباشرة في الحزب ولم يُعلن انتمائه السياسي.

### المطلب الثالث: الزيارات وتبادل الرسائل

لقد نسجت الحركة الإصلاحية الجزائرية شبكة من العلاقات الشخصية مع رجال الإصلاح والسياسة في تونس ورغم المراقبة الاستعمارية وعراقيلها.

<sup>1</sup> - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص 311-333.

<sup>2</sup> - الصادق النيفر: 1882-1937م بن الطاهر النيفر فقيه وأديب عارف بالمخطوطات ولد بتونس، حفظ القرآن الكريم، ودرس بالزيتونة، كان من أعضاء اللجنة التنفيذية بالحزب الدستوري، تولى القضاء. أنظر: عبد القادر خليفني: احمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في تونس والجزائر 1899-1983، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2007.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن اليعلاوي: كان من الناشطين الدستوريين الزيتونيين ومثله في سوق الاربعاء، كانت له مواقف مضادة للجنس وقاد مظاهرات لذلك، ووضع تحت الرقابة الأمنية، في سنة 1921 كلفته جمعية العلماء برئاسة شعبة باريس ومعتمدها في أوربا. أنظر: حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 131.

<sup>4</sup> - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، المرجع السابق، ص 218-219.

<sup>5</sup> - رايح فلاح، المرجع السابق، ص 71.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 72.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 73.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

ورغم ذلك فقد وُجِدَت زيارات متبادلة بين تونس والجزائر ورسائل متبادلة في المجال الصحفي والثقافي والسياسي والديني عبّرت عن هذه الروابط ولو بجهد المقل<sup>1</sup>.

### 1-رحلات الإصلاحيين الجزائريين وزياراتهم إلى تونس:

لقد كانت هناك عدة رحلات وزيارات لأعلام الإصلاح الجزائريين نحو تونس أمثال ابن باديس والإبراهيمي والشيخ العربي التبسي وغيرهم، وسنذكر بعضا منها على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر، منها:

### أ-رحلات وزيارات عبد الحميد ابن باديس:

لقد عاش ابن باديس مرحلة مطلع القرن العشرين ميلادي في تونس وهو طالب، ورأى الحركة الصحفية خاصة جريدة التونسي 1909 لصاحبها علي باش حامة، وعرف الثعالبي، كما عايش أحداث الزلاخ 1911/11/07 وأحداث الترامواي 1912/02/09، ونفي زعماء الحركة الوطنية من قبل الاستعمار، والأكد أن هذه الأحداث كلها ساهمت في صقل شخصية الشاب عبد الحميد بن باديس الذي ساهم في الحركة الطلابية واكتسب قيم النضال وأساليب التنظيم، وربما هذه المرحلة هي التي أُنعت لديه البعد الإصلاحي الديني والتربوي المرتبط بنشر الوعي السياسي<sup>2</sup>، وقد تلقى تعليمه على عدة مشايخ في الزيتونة والواضح أن ابن باديس تأثر كثيرا بالأستاذين البشير صفر ومحمد النخلي، حيث وصف هذا الأخير بأنه العلامة النظار المستقل وزعيم النهضة الفكرية لجامع الزيتونة<sup>3</sup>.

كما أن ابن باديس تأثر بشيخه البشير صفر بمدرسة الخلدونية على الرغم من قصر مدتها 5 أشهر خلال سنة 1908م، من خلال دروس التاريخ التي نمت فيه روح الوعي<sup>4</sup>.

لقد ذاع صيت ابن باديس كرائد للنهضة الجزائرية ومصلح اجتماعي وديني وسياسي، فلما زار الزيتونة سنة 1936 استقبل بحفاوة كبيرة وأقيم له حفل بالمدرسة الخلدونية، حيث ألقى خطابا علميا وسياسيا وفي الصباح أدرجت أغلب الصحف زيارته إلى تونس ومحاضراته التي ألقاها، ومن أبرز هذه الصحف صحيفة الأفكار، حيث أشادت بعلم الرجل ومناقبه وتأثيره. فقد كان ابن باديس صحافيا ماهرا وخطيبا بارعا ومؤرخا ضليعا وسياسيا محنكا، وقد شرف ابن باديس بتلك الزيارة بحفاوة طلبه الزيتونة وأساتذته، حيث أشاد هو في المجلة الزيتونية<sup>5</sup> قائلا: "يحق لي وأنا تلميذ من تلاميذ الزيتونة أن أغتبط بالمجلة الزيتونية غبطة خاصة ويحق لي وأنا جنديا من جنود الإصلاح الإسلامي العام أن أُسرّ سرورا خاصا"<sup>6</sup>.

لقد كان لابن باديس علاقة وطيدة بالنخبة في الزيتونة رغم أن زيارته كانت محدودة فقد كان مُطلعا على أحوال المعهد الذي ظل يُجرح الأفواج العلمية التي كان لها الدور الإصلاحي والفكري والعملي، وخلال زيارته عام 1937

<sup>1</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 265..

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 266-267.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 267.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 268.

<sup>5</sup> - المجلة الزيتونية صدرت سنة 1936م، عدد مجلداتها 10. سيرد ذكرها بالتفصيل في الفصل الثالث.

<sup>6</sup> - رايح فلاح، المرجع السابق، ص 57.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

بمناسبة ذكرى وفاة أستاذه البشير صفر دُعي من طرف جمعية الطلبة الجزائريين والجمعية الودادية للجزائريين بتونس<sup>1</sup>، وقد ألقى بهذه المناسبة محاضرة بعنوان "الحركة العلمية والسياسية في الجزائر" حيث كشف ابن باديس فيها عن نظريته الخاصة إذ يعتبر أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم يطلبون الاقتصار على العلم وترك مشاكل السياسة، مع أنه لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين إلا بنهضة السياسة".<sup>2</sup>

وقد كان لهذه الزيارة مغزى سياسي إذ سعى بان باديس من خلالها إلى توضيح الهم المغاربي المشترك كما أن هدف المسلمين هو هدف واحد، وكان ينظر للشيخ عبد العزيز الثعالبي على أنه وطني عربي إسلامي، وأن المشاركة في استقبال الثعالبي هي وجه من أوجه الدعم الإعلامي الذي أرادت جمعية العلماء أن تقدمه للثعالبي بعد أن أزيح عن الحزب الذي أنشأه، والحق أن ابن باديس ظل محترماً في الوسط الزيتوني ليس من قبيل حفاوة الاستقبال التي كان يُختص بها فحسب وإنما من خلال متابعة أفكاره ودعوته في الجزائر سواء من خلال الصحافة أو الرسائل رغم المشاحنات التي كانت تحدث بينه وبين مشايخ الزيتونة في بعض المسائل الفكرية كالذي حصل بينه وبين الطاهر بن عاشور فيما يتعلق بإصلاح التعليم الزيتوني.<sup>3</sup>

### ب- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي:

أما الإبراهيمي فلم يدرس بالزيتونة على غرار أغلب رجال الإصلاح في الجزائر، ويقال أن أول اتصال له بتونس والزيتونة يعود إلى أيام إقامة أسرته بالمدينة المنورة، حيث درس على يد أحد علماء الزيتونة الشيخ محمد العزيز الوزير، وترك فيه بصمة علمية، وعن طريقه توثقت العلاقات مع الزيتونة، وأقر الإبراهيمي بذلك "فأنا لم أخرج من الزيتونة ولم أقرأ فيه حرفاً ولكنني تخرجت بالمدينة المنورة على أضواء كواكب الزيتونة في وقته مثل محمد العزيز الوزير رحمه الله، فكانت لي بسببه صلة بالزيتونة".<sup>4</sup>

كما نجد الإبراهيمي في إحدى المراسلات خلال الحفل التكريمي الذي أقامته جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين سنة 1947 على شرف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور لتكريمه، يطلب من خلال رسالة قرأها رئيس الجمعية الشاب عبد الرحمن شيبان من شيخ الجامع الأعظم أن يعترف بمعهد ابن باديس العلمي بقسنطينة وأن يعتبره فرعاً من فروع الزيتونة يتبع نظامه العلمي ويجري على طلبته الامتحان مثلها وتكون شهادته العلمية معادلة لشهادة الفروع الزيتونية الأخرى، ففرح الشيخ ابن عاشور بهذا وأعلن في الحين قبول ما عُرض عليه.<sup>5</sup>

وكان لتأسيس هذا الفرع الزيتوني الجديد دور هام في تكوين الناشئة وتمهيد السبيل لمزاولة الدراسة بالمعاهد العليا كجامع الزيتونة وغيره من الجامعات الإسلامية، وقد تخرج بفضل هذا العمل الجليل جيل جديد من حاملي الشهادات

<sup>1</sup> - محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي، المرجع السابق، ص 85.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 85.

<sup>3</sup> - رايح فلاح، المرجع السابق، ص 58.

<sup>4</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 278.

<sup>5</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 133.



## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

العلمية العالية كانوا كما قال الشيخ علي مغربي "مددا وذخرا عظيما وجدته الجزائر يوم أن تحررت وطرقت الدخيل من ترابها، أعانوا على إحياء العربية والثقافة الإسلامية بوطنهم".<sup>1</sup>

### 2- رحلات الإصلاحيين التونسيين وزيارتهم للجزائر

هناك شخصيات إصلاحية عديدة تونسية زارت الجزائر ولكن نقتصر على أهمها والتي ساهمت في إرساء التواصل بين القطرين وكان لها قسط معتبر في ربط وتمتين العلاقات بين الحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس، ونذكر منهم:

#### أ- زيارة عبد العزيز الثعالبي:

وقد زار الجزائر في سنة 1895 وفي أواخر سنة 1903م، وقد عزم على زيارة الجزائر مرة أخرى، وذلك للاطلاع على الأوضاع، وأراد أن يُصدر جريدة بالجزائر لنشر أفكاره الإصلاحية ولا ندرى ما الذي أوقف مشروعه، وكان يُحرّر القسم العربي من جريدة التونسي التي كانت تهتم بشؤون المغرب العربي ومنبرا لبعض الكتابات الجزائرية.<sup>2</sup> وقد توثقت الصلة بين عبد العزيز الثعالبي وأرض أجداده الجزائر واشتدت عراها بينه وبين رجالها الإصلاحيين، أذكر منهم على سبيل المثال<sup>3</sup> أحمد توفيق المدني، عبد الحميد بن باديس، أبو اليقظان ومفدي زكريا وإبراهيم أطفيش، الذي كان همزة وصل بينه وبين الأمير خالد في الجزائر<sup>4</sup>، وهذا الشيخ عبد الحميد بن باديس يصفه بصفات تفيض بعبارات التقدير والعرفان، فقال: "عبد العزيز الثعالبي هكذا أذكره دون لقب أوصفة فإن الاسم لم يبقى علما على مشخصة، تحتاج إلى صفاتها وألقابها بل صار في أذهان الناس علما على الرجولة والبطولة والزعامة وعلى التفكير والعمل والتضحية على الإسلام والشرق والعروبة، وعلى وحدة إفريقيا، فإن قلت عبد العزيز الثعالبي فقد قلت هذا كله"<sup>5</sup>.

ومثله الشيخ أبو اليقظان يعترف بفضل الشيخ الثعالبي عليه ويُقرُّ بتلمذته عليه في مجال السياسة، فقال: "أنا لم أتلمذ على صحافي فأخذ عنه أسلوبه وإنما أخذت دروسا في السياسة عن الأستاذ عبد العزيز الثعالبي بتونس"، كما نظم الشيخ أبو اليقظان قصائد في مدح الثعالبي والتنويه بحزب الدستور التونسي.<sup>6</sup>

#### ب- حضور الشيخ عبد العزيز الثعالبي في الصحافة الجزائرية:

لقد حظي الشيخ عبد العزيز الثعالبي باهتمام الصحافة الجزائرية فتابعت أخباره وناصرته مواقفه وتضامنت معه في محنه وأعادت نشر مقالاته الصادرة في تونس والمشرق العربي، "ففي تونس نشر في المنتظر والمبشر وسبيل الرشاد والتونسي والإرادة، أما في الهجرة والمنفى فقد ساهم بشكل عام في أهم الجرائد والمجلات المصرية مثل البلاغ وكوكب الشرق والسياسة اليومية والوادي والضياء، كما كتب في الرابطة العربية والشورى والجامعة العربية ومجلة الجامعة ومجلة الحديث"<sup>7</sup>، كما نشرت

<sup>1</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 133.

<sup>2</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 288-289.

<sup>3</sup> - مولود عومر: التواصل الفكري بين النخبة الإصلاحية في المغرب الكبير، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2016، ص 75.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 76.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 76.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 76.

<sup>7</sup> - زهير الذواوي: الوطنية وهاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي، دار سراس للنشر، تونس، 1995، ص 15-16.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

الصحف الجزائرية خطاباته إلى الشعب التونسي، وتحاليله لأوضاع العالم العربي والإسلامي المختلفة وتصوراته من أجل تحقيق الوحدة العربية ونقده للمدينة الغربية في صورتها الاستعمارية<sup>1</sup>.

وشاركت كذلك الجرائد الجزائرية في الحملة المناهضة لتعطيل جريدة الإرادة لسان حال حزب الدستور، وتضامنت مع زعمائه الذين كانوا يتعرّضون باستمرار للمضايقات والاعتقالات الاستعمارية<sup>2</sup>.

### ج-زيارة الشاذلي خزندار<sup>3</sup> إلى الجزائر:

وهو من الشخصيات الأدبية في تونس ويلقب بشاعر الخضراء والذي زار الجزائر سنة 1928، حيث مرّ عبر تبسة وعنابة ثم قسنطينة وسطيف فالعاصمة، وفي قسنطينة توقف عند إدارة الشهاب التي أعجب بها ورأى فيها بعدا وطنيا وما يربطه بأوطان لها روابط الدين واللغة والحوار وهي محل وهدف الرحلة لربط أواصر التعارف والتعاون مع هذه الأقطار<sup>4</sup>. وقد انتهت به هذه الرحلة إلى نادي الترقّي لحضور حفل أدبي ومعه الأديبين مصطفى بن شعبان والناصر الصدام، حيث ألقوا فيه محاضرات وشاركوا في ندوات شعرية مع الجزائريين<sup>5</sup>، فكانت مساهمة في التواصل الأدبي والثقافي بين القطرين بما وظّفوه من خيال شعري وفضاء رمزي وتحريك المشاعر والعواطف للحضور.

### 3-تبادل الرسائل بين إصلاحيي الجزائر وتونس:

لقد كانت الرسائل في ذلك الوقت أهم وسيلة للتواصل وتبادل الأفكار والأخبار ووجهات النظر بين أقطاب الحركة الإصلاحية في كل من الجزائر وتونس.

حيث نجد أنّ العلاقات بين المدني والثعالبي لم تنقطع حتى أثناء منفى الثعالبي بالقاهرة من خلال المراسلات، ومن ذلك الرسالة الموجهة للمدني بتاريخ: 1933/01/02، ردا على رسالة بتاريخ 1932/11/17 وكان الثعالبي يتكلم في هاته الرسالة عن الوضع في تونس والوطن العربي.

وأیضا فیها كلام موجه لمنافسيه في الحزب الدستوري الحر الذين استغلوا منفاه ليحدثوا انشقاقا في الحزب ويصبح محل انتقاد<sup>6</sup>.

وأیضا تبادل العديد من الرسائل بين محي الدين القليبي والمدني وكانت فحواها حول حالة تونس والصراع بين الدستوريين. وأیضا هناك مراسلات بين محمد الفاضل بن عاشور وأیضا المدني<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - مولود عومر، التواصل الفكري، المرجع السابق، ص 77.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 77.

<sup>3</sup> - الشاذلي خزندار: 1881-1954م، ولد بتونس وتعلم بجامعة الزيتونة، كان من مؤسسي الحزب الدستوري التونسي سنة 1920، ولعب دورا مهما في حمل محمد الناصر باي للتنازل عن العرش عام 1922، وبقي وفيًا لصديقه محمد المنصف باي إلى آخر حياته، وهو شاعر ومعظم أشعاره إسلامية ووطنية وحماسية وتاريخية. أنظر: علي الزيدي، الزيتونيون دورهم، المرجع السابق، ص 271.

<sup>4</sup> - حميدي ابي بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 292.

<sup>5</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 5، ص 582.

<sup>6</sup> - حميدي ابو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 292-293.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 294.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

وعند عودة عبد العزيز الثعالبي إلى تونس بعد خمسة عشرة سنة 1923 - 1937 قضاها في عدة دول عربية وإسلامية وزار خلالها العديد من البلدان الأوروبية والآسيوية رأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من واجبها إرسال رسالة تُعبّر من خلالها على وقوفها الدائم إلى جنب الشعب التونسي والمحافظة على الصلات القائمة بينها وبين الشيخ الثعالبي وتهنئته على العودة إلى أرض الوطن لمواصلة رسالته،<sup>1</sup> وقد جاء في هذه البرقية: "نرفع من صميم الفؤاد إلى الشقيقة تونس، تهانينا المخلصة برجوع بطلها المغوار وزعيمها الأجل الشيخ الأستاذ عبد العزيز الثعالبي الذي أصبح من كبار زعماء الإسلام والعربية في العصر الحديث، كما نرفع أحرّ التهاني على الزعيم الصادق برجوعه إلى أرض الوطن وتبوّئه من جديد مقعد القيادة في ميدان العمل لتحرير الوطن".<sup>2</sup>

لقد كانت المساهمة الثقافية والسياسية وحركة الرحلات والزيارات وتبادل الرسائل بين رموز الحركة الإصلاحية في القطرين من أهم وأقوى مظاهر روابط التواصل الإصلاحي بين الجزائر وتونس ومتانة العلاقات بينهم للوصول عن طريق عمل متكامل وتضامني إلى نتيجة واحدة وهي تحقيق استقلال سياسي وطني عن طريق نهضة اسلامية شاملة.

<sup>1</sup> - مولود عويمر، التواصل الفكري، المرجع السابق، ص78.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص78.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

كما سبق نستنتج أنه:

- ظهور حركة الإصلاح في الجزائر كانت بسبب عدة عوامل داخلية وخارجية أهمها رد الفعل إزاء السياسة الاستعمارية وظهور نخبة من العلماء في بداية القرن العشرين الميلادي كانوا سابقين للحركة الإصلاحية التي قادها ابن باديس مُمَهِّدين لتقبُّل الأفكار الإصلاحية في ذلك الوقت؛ وبعودة ثلَّة من الطلبة والعلماء الذين درسوا في خارج الوطن وأغلبهم من خريجي الزيتونة والأزهر، والذين شرعوا في محاربة الطُّرُقِيَّة والخرافات والبدع كونها أكبر أسباب التخلف والانحطاط والجمود.
- تواكب هذا مع ظهور الصحف الوطنية التي سارت في نفس التوجه الفكري والإصلاحي، فكانوا بمثابة الضوء الأخضر نحو حركة الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي، إضافة إلى الثورة التعليمية التي أحدثتها العلامة المصلح عبد الحميد بن باديس ببذله جهودا جبارة لإخراج شعبه من وضع مزري ومتري إلى وضع التحدي والمقاومة الفكرية والسياسية وعمله الدؤوب والمتواصل لتدارك ما فات على الأمة الجزائرية من علم وحضارة.
- وأيضا ظهور أفكار الأفغاني والشيخ محمد عبده الإصلاحية، حيث كان الأول يميل إلى السياسة وفكرة التغيير الثوري الشعبي والثاني إلى الإصلاح الديني والعقدي وبناء الفرد والمجتمع أولا، فكان هذا التمازج بينهما أدى إلى تكامل الفكر الإصلاحي الجزائري رغم أنه كان ظاهريا يعتبر خلافا فكريا وتباينا بينهما.
- وقد ساهمت الصحافة الخارجية، والمشرقية بالذات، في إيقاظ الحس الوطني والشعور بالانتماء للهوية العربية الإسلامية، وتعميق الفكر الإصلاحي لدى مثقفي وطلبة الجزائر، ولا ننس التأثيرات الأوروبية في ذلك الوقت التي نشرت أفكار الحرية والعدالة الاجتماعية، بالإضافة إلى التقدم الصناعي والأخذ بأسباب الحضارة المدنية.
- الأفكار الوهابية كان لها تأثير في عدد من رجال الإصلاح في الجزائر خاصة في مجال محاربة الطُّرُقِيَّة والبدع وكل مظاهر التخلف والجهل.
- إلا أن الفكر الإصلاحي الجزائري كان ذا منهج يتميز بالاعتدال أخذ بعين الاعتبار الخصوصية الجزائرية التي تميَّزها عن المشرق العربي رغم وجود توافق في تبني العمل المرحلي والتدرج في التغيير الذي نادى به الشيخ محمد عبده ورجال الإصلاح الجزائريين.
- أما الحركة الإصلاحية في تونس والتي قادها طلبة وعلماء الزيتونة كانت سابقة عن نظيرتها في الجزائر ومرد ذلك كله إلى الاحتلال الفرنسي الذي احتل الجزائر بنصف قرن قبل تونس سنة 1830 وحاول القضاء على كل مكوناتها الاجتماعية والسياسية والثقافية قضاء مبرما. وأيضا فاحتلال تونس سنة 1881 كان في إطار حماية حافظت تونس من خلالها على أغلب مكوناتها الحضارية والتي بالرغم من أن المستعمر الفرنسي حاول القضاء عليها مثلما فعل في الجزائر إلا أنه لم يتمكن من ذلك.
- إذا فبداية الإصلاح في تونس كانت عبارة عن إصلاح سياسي وهي دعوة لإصلاح نظام الحكم، ورغم حفاظ الزيتونة، كمعلم حضاري وديني عريق على مقوِّمات الشخصية التونسية إلا أن معركة الإصلاح كانت تتجه بشكل رئيس ضد هذا القطب المتحكم بالساحة الدينية، وبعد الاحتلال الفرنسي أخذت حركة الإصلاح أبعادا أخرى، وذلك بدخولها في عملية الصراع من أجل الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية ضد سلطات الحماية الفرنسية، وأيضا الإصلاح السياسي.

## الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس

- أما بالنسبة لتونس فتعتبر أفكار الأفغاني والشيخ محمد عبده النَّفس الجديد الثاني الذي بث روح النهضة والإصلاح بعد النفس الأول الذي بثّه الوزير خير الدين التونسي والشيخ محمود قبادو، وعليه فإننا في دراستنا هذه نعتبر أن الحركة الإصلاحية الزيتونية التونسية هم الطلبة والعلماء الذين تبوّأوا الفكر الإصلاحي الذي أتى به الوزير خير الدين التونسي والشيخ محمود قبادو وكذلك فكر أنصار العروة الوثقى للسيد الأفغاني وعبده وكذلك أفكار جريدة المنار لرشيد رضا.
- وقد واكب هذا التطور الإصلاحي في تونس ظهور عدد معتبر من الصحف التونسية وأيضاً النوادي والجمعيات الثقافية والطلابية الزيتونية التي ساهمت مساهمة فعالة في نشر الأفكار الإصلاحية والتجديدية في المجالات التي كانت تهم النخبة التونسية الإصلاحية آنذاك.
- وعليه فمظاهر روابط التواصل الإصلاحي بين الجزائر وتونس تجلّت في عدة جوانب كالتواصل الثقافي والمساهمة السياسية لكلا النخبتين الإصلاحيتين في البلدين وتبادل الزيارات والرسائل، مما خلق لحمة تواصل بين البلدين ساهم في دفع حركة الإصلاح وتطوّرها الفكري والسياسي والديني لتأخذ مسارها إلى النشاط الميداني والذي تجلّى في عدة ميادين كالتربية والتعليم والعمل الصحفي وكذلك السياسي والاجتماعي وبرز شخصيات فذة أثّرت بشكل قوي في العمل الإصلاحي في الجزائر وتونس، وهذا ما سندرسه في الفصل الموالي.

# الفصل الثاني

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

المبحث الأول: الجانب الديني ومحاربة الطرقية

المطلب الأول: النشاطات الدينية ومواقف الاصلاحيين

المطلب الثاني: محاربة الطرقية

المبحث الثاني: النشاط التربوي والتعليمي

المطلب الأول: مجهودات ونشاط عبد الحميد بن باديس التعليمية

المطلب الثاني: أهم الجمعيات والمدارس التي أنشأتها الحركة الإصلاحية في الجزائر

المطلب الثالث: مجهودات بعض مشايخ الاصلاح في الجانب التربوي

المطلب الرابع: النشاط التربوي والتعليمي عند اصلاحيي بني ميزاب

المطلب الخامس: تعليم المرأة ونظرة الاصلاحيين للحركة السنوية

المطلب السادس: النوادي الثقافية

المطلب السابع: الكشافة الاسلامية

المطلب الثامن: تقديرات النشاط التعليمي

المبحث الثالث: النشاط الصحفي

المطلب الأول: نبذة عن أهم الصحف الإصلاحية التي أنشأها ابن باديس وجمعية العلماء

المطلب الثاني: مجهودات بعض مشاريع الاصلاح في الجانب الصحفي

المطلب الثالث: نشاط الميزابيين الاصلاحيين في الجانب الصحفي

المطلب الرابع: نماذج من المواضيع التي تناولتها الصحافة الإصلاحية

المبحث الرابع: ممارسة وتطوير العمل السياسي 1920-1935

المطلب الأول: الارهاصات الأولى لتبلور الفكر السياسي الاصلاحى 1920-1931

المطلب الثاني: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 م

المطلب الثالث: تطور النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1932-1935

المبحث الخامس: ممارسة وتطوير العمل السياسي 1936-1939

المطلب الأول: المؤتمر الاسلامي الجزائري 1936

المطلب الثاني: العراقيل الإدارية الفرنسية وقانون شوطان 1938

المطلب الثالث: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الحرب العالمية الثانية

المطلب الرابع: علاقة جمعية العلماء بالأحزاب الوطنية السياسية

المبحث السادس: ممارسة وتطوير العمل السياسي 1940-1945

المطلب الأول: موقف العلماء من نزول الحلفاء في 8 نوفمبر 1942 ومشاركتهم في بيان فيفري 1943

المطلب الثاني: مشاركة العلماء في جمعية أحباب البيان والحرية سنة 1944

المطلب الثالث: مجازر الثامن ماي 1945 وموقف جمعية العلماء منها

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

لقد تركز نشاط الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال هاته الفترة التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الأولى على عدة جوانب أساسية في عملية الإصلاح الشامل بدءا بالإصلاح الديني والمعتقدي ثم الجانب التربوي والتعليم والمساهمة الصحفية وأيضا ممارسة العمل السياسي ضمن إطار الحركة الوطنية الجزائرية، بحكم ظروف الاحتلال وتطور وتسارع الأحداث السياسية الى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية.

حيث تميزت فترة ما بين الحربين بتراجع جزئي للثقافة الجزائرية (العربية الإسلامية) وصعود نجم الثقافة الفرنسية المتغلبة التي رامت الاجهاز على ما تبقى من ثقافة البلاد الأصلية المتقهقرة والحلول محلها وترتب عن ذلك صراع ثقافي لا هوادة فيه وطرح تساؤلات كبيرة حول صياغة مشروع ثقافة جزائرية جديدة (أو متجددة) يوائم بين القدم الأصيل والجديد الوافد الذي أثبت نجاعته ويتيح للمجتمع الجزائري تحديد وجهته وصنع مصيره، باعتبار أن الثقافة هي جوهر هوية الأمة والمحرك الأساس الفاعل في حياتها - بما فيها السياسة - سوى فروع منها وخادمة لها.<sup>1</sup>

وبعودة طلبة وعلماء الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى والذين كانوا مفعمين بالمطامح والأفكار المعادية للفرنسيين والذين وجدوا زملائهم في الوطن في حالة سبات بائسين معزولين، والذين اكتسبوا تجارب غنية وطوروا وعيا سياسيا بجهودهم الإصلاحية في خلق الصحافة والمدارس والنوادي الثقافية.<sup>2</sup>

حيث برزت في هذه الفترة حركة احيائية اصلاحية اسلامية في الجزائر تجسدت بالأساس في فريق مجلة "الشهاب" الباديسية منذ العام 1345 هـ/1925 م ثم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ العام 1349 هـ/1931 م تصدت بكل طاقتها لصياغة وانجاز من ذلك المشروع في حدود ما بلغها اجتهادها ومدى اتساع أفقها وحدته لها ظروف أمتها ومجتمعها القاسية ومعطيات زمانها الحاسمة، كما تميزت بانخراطها العميق في نضال الشعب الجزائري وتضحياته في سبيل استعادة هويته واستخلاص حقوقه الأساسية<sup>3</sup>، وقبل الخوض في جوانب النشاط الاصلاحى في هاته الفترة، كان لزاما علينا أن نبين أن الفترة التي سبقت تأسيس الجمعية (جمعية علماء المسلمين الجزائريين) والتي نعتبرها التكتل الوحيد الذي ضم الاصلاحيين ومثلهم في الجزائر، كان الذي مثل الاصلاحيين بشكل بارز هو الشيخ عبد الحميد بن باديس وثلة من العلماء الذين رجعوا معه من المشرق العربي وجامع الزيتونة أمثال: الشيخ البشير الابراهيمي والطيب العقبي وغيرهم وأيضا مشايخ بني ميزاب الذين نشطوا في منطقتهم ونشروا مبادئ الفكر الاصلاحى بحكم تقاربهم من اصلاحي الزيتونة واصلاحي الجزائر.

<sup>1</sup> - بشير بلاح: مواقف الحركة الاصلاحية الجزائرية من المذاهب الفرنسية الغربية 1345 - 1359 هـ 1925 م - 1940 م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد السادس والعشرون، السداسي الثاني، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص191..

<sup>2</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص387.

<sup>3</sup> - بشير بلاح، مواقف الحركة، المرجع السابق، ص192.



## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

### المبحث الاول: الجانب الديني ومحاربة الطرقية

#### المطلب الاول: النشاطات الدينية ومواقف الاصلاحيين

إن المذهب الديني للعلماء الذين كانوا يدعون إليه منذ ظهورهم أوائل العشرينات لم يكن صعبا كثيرا على الفهم فابن باديس الذي كوّن ونشر هذا المذهب ضمنه دستور الجمعية عند انشائها فقد اعتقد العلماء وعلموا أن:

- الاسلام هو دين الله الذي بعث به بواسطة الرسل الذين كان آخرهم محمد (صلى الله عليه وسلم).
- الاسلام هو دين الانسانية قاطبة.
- القرآن هو كتاب الله.
- السنة الحقيقية هي تفسير للقرآن.
- البدعة هي كل شكل للعبادة التي ليس لها أصل في السنة.
- المصلحة هي ما يحتاجه الناس للتوفيق بين التعاليم الاسلامية والحياة الاجتماعية.
- محمد هو أفضل الخلق.
- التوحيد هو أساس الدين.
- الإخلاص هو بالعمل الصالح وحده.
- المرابطة بدعة وهي تعني استغلال وقتل العقل.
- في حالة الخطر كل المسلمين عليهم أن يتحدوا وأن ينسوا خلافاتهم.

وبالإضافة الى ذلك فان العلماء قد اعتقدوا أن الاسلام سيصبح عالميا وأنه ليس في حاجة الى دعاية فقد ادعت احدى الجرائد "النجاح" في 27 ماي 1923 أنه بعد مائة سنة سيصبح العالم كله مسلما لأن الاسلام "لا يعارض أي تقدم"<sup>1</sup>.

وقد أفرزت قراءة الواقع الجزائري من خلال شبكة مفاهيم السلفية بروافدها القديمة والجديدة مفهوما احتل المركز في الخطاب الاصلاحى الجزائري لحقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى وهو مفهوم "الجهل" بدلالاته المتعددة والمتسعة، لكن ليست إدانة الجهل اختراعا للاصلاحيين الجزائريين بل هي قاسم مشترك بين العلماء والاصلاحيين، فالجهل ليس مرادف للأمية فحسب وهو لا يكمن في عدم المعرفة أركان الدين وقواعده أو مختلف واجبات المسلم وحقوقه فحسب، بل يتجاوز ذلك ليشمل التصورات كلها التي يرفضها المصلح بوصفها "أوهاما وخرافات" والممارسات الدينية والاجتماعية كلها التي يرى فيها بدعا وضلالات وفي مقدمتها التصوف الطرقي.<sup>2</sup>

إن ما ينفع في معركة الاصلاح والنهضة هو الاسلام الذاتي أي اسلام من يفهم قواعد الاسلام ويتفقه في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فالمصلح الجزائري لا يقبل من الفرد أو المجتمع باسلام متحفي أو جغرافي أو حتى عاطفي، انما

<sup>1</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 2، ص 397-398.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 297.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

يريد أن تكون محبته للاسلام "بحكم العقل والبرهان كما هي بمقتضى الشعور والوجدان"<sup>1</sup>، هذه الطريقة في التعاطي مع الدين هي القدرة على تحليله مما أثقله من "التفاصيل الفقهية، والمشاحنات الكلامية والضلالات الطرقية التي صرفت الأمة عن المهمات وجعلت المسلمين ينشأون على غير روح الدين ومبادئه، إذ أن طموح مؤسسي جمعية العلماء هو استعادة طريقة السلف الأول في التعاطي مع نص الوحي واستلهامه لمجابهة التحديات الحاضرة ولا يكون ذلك إلا بالعودة الى القرآن وارشاده والتشبع بالسنة التي تشرحه هذا هو المبدأ الأساس لمشروع العلماء الاصلاحيين وأساس البيداغوجية الباديسية"<sup>2</sup>.

وقد فتحت قيادة ابن باديس عمل العلماء على نشر الاسلام بحرية وبطريقتهم الاصلاحية الخاصة وفصل الدين عن الدولة والقضاء على الطرقية ونظمها الغامضة (المرابطية).<sup>3</sup>

### 1- النشاط المسجدي

وكان المسجد يقوم بدور هام في أداء رسالة العلماء الاصلاحيين بالاضافة إلى كونه محلا للتعبد فقد كان مدرسة لمكافحة الأمية ومركزا لبعث فكرة الاصلاح وتوجيه المسلمين إلى ما يصلح بهم، وقد شرح ابن باديس أهمية المسجد في احدى مقالاته المنشورة في الشهاب فقال: "إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإن العامة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون منها طبقة محققة الفكر صحيحة العقيدة".<sup>4</sup>

- وقد اتبع العلماء في المساجد طريقة السلف في الوعظ والارشاد يذكرون بكتاب الله ويقومون بشرحه واجلاء العبر منه، وبالصحيح من السنة يوضحونه وينشرونه، وقد كان أسلوب العلماء في التعليم الديني هو الاهتمام بالمعنى والنفوذ الى صميمه من أقرب سبيل يؤدي اليه وبيان الطرق العملية والتطبيقية<sup>5</sup>، ويلاحظ المرء أن انتشار المساجد بسرعة مذهلة في البلاد أدهش الادارة الاستعمارية فسارعت باغلاق بعضها ومنع العلماء المصلحين من إلقاء الدروس والمحاضرات من أعلى المنابر الخاضعة لاشرفها فثارت ثائرة (الأمة) حسب قول الابراهيمي: "فأنشأت بما لها بضع وتسعين مسجدا في سنة واحدة في أمهات المدن والقرى".<sup>6</sup>

- ولم تكن مهمة النشاط المسجدي بالهينة والسهلة لأن التراث العقاري للمؤسسات الثقافية كان خارجا عن نطاق واردة رجال الاصلاح، ولم يكن لهؤلاء حق استخدام هذه المؤسسات بصفة مباشرة - إلا بمناسبة إلقاء المحاضرة التي كان يسمح بالقائها في بعض الاحتفالات الدينية - فضلا على ذلك فإن الموظفين الدينيين كانوا في معظمهم مناهضين

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 299، نقلا عن الشهاب، السنة 4، العدد (03)، شباط / فبراير، 1938.

<sup>2</sup> - Ali Merad, la réforme, Op cit, P245.

<sup>3</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 2، ص 396.

<sup>4</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 14، نقلا عن: مجلة الشهاب، مج 6، ج 11، ديسمبر 1930، ص ص 692-693.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 147.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 148.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

للحركة الإصلاحية عامة ورغم ذلك فإن الحركة الإصلاحية استطاعت بسهولة أن تجمع شمل الجماهير بواسطة المؤسسات الدينية والثقافية الأولى والتي شرعت في انشائها<sup>1</sup>.

- وهذا راجع الى نشاط رواد الحركة الإصلاحية الذين عرفوا كيف يستغنون عن البنابات الاستعمارية دل على ذلك مثال ابن باديس في مسجده الصغير المستقل (المسجد الأخضر) ومثال البشير الابراهيمي في بيت صغير بمقرية من المكتبة العربية لصاحبها السيد "باعلي" بتلمسان قبل أن يلتحق بدار الحديث في نفس المدينة.<sup>2</sup>

### 2- موقف الإصلاحيين من الإلحاد والتنصير (الحركات التبشيرية)

لقد تصدى الإصلاحيون الجزائريون لكل عمليات المسخ التي إنجرت عن السياسة الاستعمارية الفرنسية، حيث كانت لهم مواقف حاسمة ونشاط مكثف في هذا المجال:

أ- **الموقف من الإلحاد:** يقول الابراهيمي في ذلك "الإلحاد ضيف ثقيل حل بهذا القطر منذ أن انتشرت بين أبنائه الثقافة الأوروبية من طريق التعليم اللاديني أو من طريق التقليد الأعمى وغذته غفلة الأباء والأولياء عن هذه الناحية الضعيفة من أبنائهم ... وقد كان لجمعية العلماء الأثار المحمودة في مقاومة الإلحاد بما يبثه رجالها من الحقائق عن الدين وبما يشرحونه في دروسهم ومحاضراتهم من مطابقتة للعقل واتفاقه مع قضايا العلم ومسايرته للحياة المدنية، وبما أرشدوا اليه الأباء من رعاية الأبناء والظهور أمامهم بمظهر القدوة الصالحة في الدين والخير والفضيلة".<sup>3</sup>

ب- **الموقف من التنصير:** إن الإصلاحيين قد أولوا اهتماما واضحا بمسألة التنصير أو المنصرين فتارة يبينون خطر هؤلاء ببيان أعمالهم التي يقومون بها وأنها لا تمت للانسانية بشيء وإنما هي استغلال، وفي بعض الأحيان ينقلون أخبارا عن المنصرين ويذكرون جهودهم في التنصير، وتارة يتعرضون لمؤتمراتهم وكيفية انعقادها ويستنهضون همم الناس بالخطب والدروس والمقالات ويبيّنون فيها محاسن الاسلام وسيرة نبيه وأنها كانت أحسن سيرة، مستدلّين في ذلك بعدة دلائل وأدلة منها أقوال العلماء الغربيين عن نبي الاسلام وهذا انما يدل على شيء مهم وهو سعة الاطلاع عند هذه الفئة من العلماء فكما أنهم كانوا يعلمون الاسلام الصحيح للأمة كانوا على احاطة ظاهرة وواضحة بالملل الأخرى.<sup>4</sup>

وهذا أحد كتاب جريدة الشهاب يبين لنا حظر تلك المؤتمرات التي يسمونها مؤتمرات التبشير فيقول: "فأما أن يعقد مؤتمر تبشير مهمته - كما يدل عليه اسمه - دعوة الأديان الأخرى الى ترك دينهم واعتناق دين غيره ثم يكون هذا المؤتمر من جانب الأقلية موجهها دعوته الى الأكثرية فهذا ما يثير عندنا الدهشة ... اننا نعلم عن يقين أن مثل هذا المؤتمر لن يؤثر في عقائد المسلمين شيئا فالمسلمون في أقطار الأرض كافة أشد ايمانا بدينهم من أن تؤثر فيهم أية دعوة ..".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - الجليلي صاري ومحفوظ قداش: المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الاصلاحى والطريق الثوري، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 246.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 246.

<sup>3</sup> - محمد الميلي: المؤتمر الاسلامي الجزائري، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2013، ط1، ص 327-328.

<sup>4</sup> - عبد الرؤوف قرناوب: جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير ابان الاحتلال الفرنسي (1830-1962)، رسالة ماجستير في العلوم الاسلامية، تخصص مقارنة الأديان، جامعة الجزائر 01، السنة الجامعية 2014-2015، ص 155.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 156 نقلا عن: الشهاب، مؤتمر التبشير في فلسطين وشكوى الجمعيات الاسلامية، الشهاب، العدد 144، السنة الثالثة.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

وقد اعتمد الاصلاحيون على أسلوب المهاجمة أكثر من أسلوب الدفاع، وذلك بذكر محاسن الاسلام وكيفية تأثيرها على الغربيين، وفي نفس الوقت تذكر مخازي المنصرين والسبل التي يسرون فيها وفي هذا الصدد يقول كاتبهم: "ورغم دماثة أخلاق المبشرين وطلاقة وجوههم وحسن معاملتهم وكثرة مستشفياتهم ومعامل منسوجاتهم وقناطيرهم المقنطرة من الذهب والفضة وعقد مؤتمراتهم المرة بعد المرة فأنهم لم ينالوا من المسلمين الا خسارة"<sup>1</sup>.

فالاصلاحيون كان لهم جهد معتبر ان لم نقل كبير في رد تلك الحملات التنصيرية بوسائل عدة، والذي ينبغي التنبيه اليه هنا هو أنهم لم يكونوا يفوتون الفرصة على أي مقال صدر أو فكرة طرحت أو ملتقى عقد يطعن في الاسلام أو ينبر أهله بشيء الا تكلموا عنه أو ردوا عليه بطريقة أو بأخرى.<sup>2</sup>

### 3- الموقف من الاباضية

في هذا السياق حرص العلماء الاصلاحيون على تجاوز الانقسام الطائفي الموروث بين السنة والاباضية، ومعلوم أن الموقف السني التقليدي والموقف المالكي تحديدا يعتبر من يسميهم "الخوارج" من المفسدين وأهل الأهواء والفتن، وأن العلاقة التاريخية التي كانت بين المالكية والاباضية على الرغم من اعتدال هذه الأخيرة النسبي قامت على الكره والريبة وكانت قضية أذان غرداية في منعطف الثلاثينات مثالا على استمرار هذه النزعة الطائفية ودور الاستعمار في تغذيتها وعمل الاصلاحيين على محاصرتها وندائهم للتمسك بجبل الأخوة الاسلامية.<sup>3</sup>

فهؤلاء بحكم مرجعيتهم السلفية الحديثة أمكنهم من تجاوز التعصب المذهبي كما وجدوا في صرامة التوحيد والسلوك الأخلاقي والتمسك بالشرعية لدى الاباضية ما يدعوا الى التقارب معها، وهو توجه التقى بطموحات التيار الاصلاحى في منطقة ميزاب ودعمته وحدة الدوافع الوطنية لدى الفريقين وتجسد التقاء الطائفتين في مشاركة أبو اليقظان والشيخ بيوض<sup>4</sup> في ادارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.<sup>5</sup>

### 4- كتب ومؤلفات الاصلاحيين في المجال الديني

ولقد كان نشاط العلماء الاصلاحيين في مجال الكتابة والتأليف التي تعني بالجانب الديني والاصلاح، نشاطا مشهودا نذكر منه على سبيل المثال لا الحصر .

- كتاب "مجالس التذكير في تفسير كلام العليم الخبير" نشرت مجلة الشهاب دروس عبد الحميد بن باديس في تفسير القرآن الكريم التي اتخذ صاحبها لها عنوانا هو "مجالس التذكير في تفسير كلام العليم الخبير"، وقد استمرت هذه الدروس تلقي كمحاضرات أكثر من عشرين عاما، حيث أن تفسير ابن باديس لم يكن يغرق في تفاصيل الألفاظ

<sup>1</sup> - عبد الرؤوف قرنا ب، المرجع السابق، ص155، نقلا عن: الطرابلسي، الاسلام والجيش العاملة لتقوض أركانه، الشهاب، العدد 165، السنة الرابعة.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص163.

<sup>3</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج2، ص ص 213-221.

<sup>4</sup> - بيوض ابراهيم بن عمر: 1899-1981م ولد بالقرارة سنة 1899 تزعم الحركة الاصلاحية بالجنوب وهو في سن العشرين، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما ساهم في تأسيس معهد الحياة الثانوي بالقرارة سنة 1925، من أهم آثاره تفسير القرآن الكريم. أنظر: محمد علي دبو، المصدر السابق، ج3، ص27.

<sup>5</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص306.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

والحروف والمعاني الجزئية حتى تضيع الحكم والمقاصد والأصول العامة التي توحىها هداية القرآن بل كان التفسير يحقق أهدافه العلمية التربوية الاجتماعية متضافرة متساندة.<sup>1</sup>

- كتاب "الدعاية الى سبيل المؤمنين" تأليف ابراهيم أطفيش وهو ابن أخ محمد بن يوسف أطفيش الشهير، وفي سنة 1923م/1342 هـ نشر كتابه "الدعاية" في مصر حيث كان نزيلا وهو كتاب قضايا الوقت التي يتعرض لها العالم الاسلامي، وترجم فيه لعلماء أمثال الشميني وأطفيش وابن مسكويه، وعالج فيه موضوع التقليد والتجديد، وحمل ابراهيم على الأدعياء والمفسدين ومن يتذرعون بالدين ويخفون غايات شخصية، ويتلخص الكتاب في كونه دعوة الى الاصلاح والى الدين الصحيح في نظره والمحافظة على الثوابت واحياء ما اندرس من المبادئ ورفض الاستكانة والجمود والدعوة الى مجارة العاملين من الأمم.<sup>2</sup>

- كتاب "الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير" تأليف محمد السعيد الزاهري ومحور كتابه هو التصدي للتبشير الذي كان يمثله في الجزائر جمعية الآباء البيض والأخوات البيضاء، وقد كشف الزاهري عن وسائل المبشرين والمبشرات ودعا المسلمين الى القيام بدور فعال لنشر الاسلام وحماية الشباب ولاسيما الفتيات، والأمثلة التي ذكرها كانت من واقع الحياة ولذلك كانت تبدو وكأنها قصص اجتماعية.<sup>3</sup>

- كتاب "تمهيد لدراسة الاسلام" تأليف عبد الرحمان بن الحفاف، ظهر الكتاب خلال العشرينات ودرس فيه المؤلف حياة الرسول وتطور المدينة الاسلامية، ورد على بعض الشبهات التي كان بعض الغربيين يثيرونها ونوه به المعاصرون، فقال أحمد توفيق المدني "ان الكتاب ظهر في وقت انتشر فيه الزيف والاحاد بين الشباب" وتناول فيه المؤلف مختلف المواضيع الاسلامية التي طالما اتخذها أعداء الاسلام وسائل للطعن فيه، وقال المدني: "ان كتاب ابن الحفاف اذا قرأه المسلم المتشكك يزول شكه واذا قرأه الشاب الذي لم يطلع على الحقائق يتحصن به ويزداد ايمانا".<sup>4</sup>

- كتاب "بدور الأفهام" للمولود الزريبي وقد احتوى أيضا على آراء في الاصلاح الاسلامي وتجربة المؤلف في الجزائر في مسقط رأسه بزيرية الوادي وفي الأوراس وباتنة ثم في العاصمة، وكان قد تأثر غالبا بالحركة الإصلاحية في المشرق وبما كان يشاهده في الجزائر من تناقضات حيث الأوروبيين يعملون نشطين مسيطرين بينما المسلمون حاملون كسلاء مغلوبون على أمرهم.<sup>5</sup>

- كتاب "الاسلام الصحيح" لأبي يعلى الزواوي وهو كتيب طبعة في مطبعة المنار في مصر سنة 1335هـ/1916م بعد رجوعه الى الجزائر وجعله في شكل سؤال وجواب، وقال ان بعضهم سأله أن يضع مثل هذا الكتيب في "الاسلام الصحيح على قواعده الأصلية المتفق عليها لا المختلف فيها من غير التزام ما لا يلزم مما أحدثه

<sup>1</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص85.

<sup>2</sup> - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج7، صص 167-168.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص169.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص170.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص173.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

بعض القوم ومن غير اعتماد مذهب، وفيه مجموعة من آراء الزواوي في علم الكلام والنبوة وأخبار الرسول والقرآن والاجماع وأعلن الزواوي عن موقفه صراحة من الحجاب والتصوف والأخلاق".<sup>1</sup>

- كتاب "فصول في الإصلاح" للزواوي أيضا جاء في كتابه "الخطب" أن له عدة مؤلفات منها (فصول في الإصلاح) كما ذكره في "تاريخ الزواوة" المطبوع في دمشق سنة 1924 ومن ذلك ندرك أن فصوله قديمة وربما كتبها عندما كان في المشرق، وأورد آرائه في الإصلاح ومنه تقليد أوروبا في الأمور التي ليست من جوهر الدين، واستشهد في ذلك بأراء جاء بها زميله عبد القادر المغربي عن الإصلاح الإسلامي.<sup>2</sup>

- كتاب "رسالة الشرك ومظاهره" لمبارك الميلي وهو كتاب في أصول الإصلاح الاجتماعي والعقائدي، وتعتبر مصدرا أساسيا لمعرفة الاهتمام الذي بنت عليه جمعية العلماء حركتها الإصلاحية والذي قامت عليه الدعوة الإصلاحية في المشرق أيضا منذ ابن تيمية والشوكاني ثم محمد عبده، يقول الشيخ العربي التبسي الذي أجاز "رسالة الشرك" باسم المجلس الإداري لجمعية العلماء "أن ما اشتملت عليه رسالة الشرك ومظاهره... وهو عين السنة وان هذه الرسالة تعد من الكتب المؤلفة في ردع البدع ولذلك قرر المجلس الإداري بالاجماع حقيقة ما اشتملت عليه هذه الرسالة العلمية المفيدة، ويوافق المجلس مؤلفها على ما فيها ويدعو المسلمين الى دراستها والعمل بما فيها فانه العمل بالدين".<sup>3</sup>

- كتاب "شعب الايمان" وهو كتاب وضعه محمد البشير الابراهيمي وهو في موضوع الأخلاق والفضائل الإسلامية وهو غير مطبوع.<sup>4</sup>

### المطلب الثاني: محاربة الطرقية

خلال الفترة الاستعمارية في الجزائر تدهورت الأوضاع الاجتماعية والفكرية والدينية وهذا نتيجة أعمال الطرق الصوفية التي كانت تساعد الاحتلال الفرنسي وأصبح الاسلام في الجزائر غير الاسلام الحقيقي، وقد علل ابن باديس هذا التدهور للعوامل التالية :

- الطرقيين الذين أصبحوا يأتون بالبدع والخرافات والأفكار غير الإسلامية.  
- نفسي الجهل وانتشار الفقر وتفرق الأمة، فالطرق الصوفية كانت تعاني الجمود وتلاشي الثقافة العربية، والادارة الفرنسية كانت تستغل ثروات الجزائر عن طريق الطرق لهذه الأسباب جمعية العلماء المسلمين حاربت الطرق الصوفية.<sup>5</sup>  
- لم يكن الإصلاحيون بالادانة المبدئية لتلك التصورات والمعتقدات بل انبروا للمقاومة عمليا في اطار حملات لتقويم العقيدة والأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان، معترضين على رفع الاصوات وانشاد البردة في الجنائز أو اقامة الحضرة الصوفية وما يمكن أن يحصل فيها من قرع للطبول ونفخ في المزامير والتهم العقارب والزجاج، وكان من أبرز التدخلات القوية لأنصار الإصلاح من أجل مقاومة "الجهل" و"الخرافات" و"الموبقات" الانذار الذي وجهوه الى

<sup>1</sup> - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج7، ص174.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص177.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص177.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص181.

<sup>5</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص270-271.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

المصامدة بالأوراس في عام 1937 كي يضعوا حدا للاحتفالاتهم التي يختلط فيها الذكر بالتنجيم والكهانة ورقص "العزريات" وهو الانذار الذي أدى الى تراجع ذلك الطقس التقليدي ثم اندثاره مع بداية الخمسينات.<sup>1</sup>

- ويرى الهرماسي في كتابه "المجتمع والإسلام والنخب الإصلاحية في تونس والجزائر": بعد كلامه المطول حول الصراع بين اصلاحي جمعية العلماء والطرقية "على الرغم من ضخامة الجهد الذي بذلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعقلنة التدين ومكافحة التمثلات والممارسات المتعارضة مع تصورها للدين القويم واستثمارها في تصحيح مفهوم السنة والاعلاء من مكانتها يصعب القول ان مقاومتها لما سمته "بدعا" و"ضلالات" نجحت بالكامل وحتى ولو أدت الى انهيار مؤسسة الطرق بعد هيمنتها على الحياة الدينية الجزائرية لمدة تتجاوز ثلاثة قرون، لكن انهيار المؤسسة لم يعني نهاية الاعتقاد في بركة الأولياء وزيارتهم والتوسل اليهم كما أن استجابة الناس للسنة في تشييع الجنائز لم تتبع باستجابة مماثلة بالنسبة لطقوس الدفن ففي حالات كثيرة تعتبر قراءة القرآن لازمة من لوازم توديع الميت وهي ملاحظة تنطبق على الجزائر تونس.<sup>2</sup>

- وما يدعم هذا القول هو مساندة الاستعمار الفرنسي للطرق الصوفية وشيوخ الزوايا ضد العلماء الاصلاحيين في السر والعلن، حيث وجدنا في احدى التقارير السرية للنقيب كاريت (Jacques Carret) قوله ما يلي: "ان وجود الخطر يتكون من الاصلاحيين وخاصة النشاطات الدعائية التي يقومون بها ودسائسهم ضد شيوخ الأخويات الطرقية رغم أن هؤلاء جاولوا عدة مرات استرجاع الوحدة وضم الجهود في سنة 1932 عدة مرات بينهم وانخرطوا في جمعية العلماء بصفة خاصة الشيخ بن عليوة ممثل الطريقة الأخوية العليوية، حيث أهين في هجوم بسبب هذا الموضوع من طرف الاصلاحيين فانفصل عن الجمعية وأعلن وشكل جمعية علماء السنة".<sup>3</sup>

وما تبينه لنا هاته الوثيقة الأرشيفية هو تعاطف ومساندة السلطة الاستعمارية الفرنسية لشيوخ الزوايا في صراعهم مع الاصلاحيين واتهام العلماء الاصلاحيين بالعدائية وممارسة العنف ضد مشايخ الطرق مثل أحمد بن عليوة شيخ الزاوية العليوية بمستغانم.

- وقد جاءت دعوة الى الصلح من أحد علماء الأزهر ومن بعض طلبته يرجون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تضع حدا لهذه الفرقة، فبين لهم ابن باديس أن الصلح وإن كان خيرا إلا أنه لا سبيل إليه مع أصحاب الطرق، وقد علل ابن باديس سبب الرفض لسببين مهمين:

أولهما: الوشاية بنا الى الحكومة بأننا وطنيون ضد الاستعمار وأننا نعمل للجامعة الاسلامية وأننا ... وأننا .  
وثانيهما: الاختلاق علينا مع الأمة بأن ندعي الاجتهاد وأن نستخف بأمتنا في الدين وأن ننكر الولاية والكرامة ... الخ.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص320.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص325-326.

<sup>3</sup> - C.A.O.M, S.L.N.A, C.G.A, Op.Cit. (Tentative d'union), P09. (Voir l'annexe n° 5).

<sup>4</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص81.

- وقد أكد الابراهيمي بقوله: "ان هذه الطرق المبتدعة في الاسلام هي سبب تفرق المسلمين".<sup>1</sup>  
ويوضح الشيخ ابن باديس في هذا الصدد أيضا سبب الخلاف ومحاربة الطريقة قائلًا: "بعض الناس لا يرون الاسلام الا الطريقة وقد زاد ضلالهم الجاهل والمغرورين من المنتسبين للعلم ولقد صمد الشهاب للطريقة يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد وعلى العقول من باطل وأوهام ... حاربنا الطريقة لما عرفنا فيها - علم الله - من بلاء على الأمة من الداخل والخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب وقد بلغنا غايتنا والحمد لله وقد عزمنا على أن نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها ... فكل طريقي مستقل في نفسه عن التسخير فنحن نمد له يدنا للعمل في الصالح العام ..."<sup>2</sup>.

ولقد حارب المصلحون الطرق الصوفية بالشعر أيضا وتحلى ذلك في قصيدة الطيب العقي حيث يقول :

يا أيها السائل عن معتقدي      ينبغي مني ما يحوي الفؤاد

اني لست ببدعي ولا      خارجي دأبه طول العناد

ليس يرضى الله من ذي بدعة      عملا الا اذا تاب وهاد.<sup>3</sup>

وقد كتب الشيخ ابن باديس في شهر أوت 1938 أيضا تعليق حول الزوايا ومفاسدها قال "ان الذين يعرفون تاريخ النصرانية في القرون الوسطى وتاريخ النهضة الأوروبية يشهدون اليوم من أعمال الجمعية الدينية الإصلاحية وموقف الادارة الى جنب الزوايا الطريقة ضدها صفحة من ذلك التاريخ الماضي تعاد على أرض الجزائر اليوم فالزوايا الطريقة تمثل الكنيسة ورجال (الاكليروس) في ذلك العهد السحيق في افساد النفوس والعقول بالدجل والتحريف والادارة تمثل أمراء ذلك العهد في استعمال الكنيسة واستغلالها والجمعية الدينية الإصلاحية تمثل رجال الإصلاح على فارق في الوضع والأسلوب".<sup>4</sup>

وبما أن العلماء المصلحين يعتبرون الطرق الصوفية علة العلل في الافساد ومنبع الشرور فقد كانوا يعتبرون كل ما هو متفشي في أوساط العامة من ابتداء في الدين وتحريف في العقيدة وإلحاد في الناشئة ناتج عن الطرق ومردده اليها، لذلك فان الجمعية قد اعتبرت هذه الطرق المنحرفة من أولى واجباتها الإصلاحية.<sup>5</sup>

ومحاربة الطرق الصوفية جند العلماء المصلحون جنودا مسلحة بالايمان الراسخ والعقيدة الصلبة، تلقت تكويننا زيتونيا وأخذت في الدعوة الى الدين وأسس التوحيد الكامل وذلك بتعليم أصول الدين الاسلامي في المدارس، وقد طلب المصلحون من رؤساء الزوايا وأتباعها أن يحولوا بعض محلاتهم الدينية الى مراكز خيرية ومدارس أخلاقية تسعى لاىصال

<sup>1</sup> - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص186.

<sup>2</sup> - ابن باديس: الطريقة، الشهاب، مج 14، ج 1، 1938، ص ص06-07.

<sup>3</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص284.

<sup>4</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص202، نقلا عن جريدة البصائر، عدد 127، 19 أوت 1938، ص01.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص204.



## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

الخير، فالاستعمار الفرنسي كان يحارب الاسلام بالطرق الصوفية وشيوخ المرابطين لهذا فقد حذر العلماء المصلحون من أضرار الطرق الصوفية في صحف جمعية العلماء وذلك بأفكار اصلاحية.<sup>1</sup>

وقد صرح الطيب العقبي في جريدة الشهاب قائلاً: "نحن لا نحارب المرابطين لعداوة شخصية بنينا وبينهم أو حسدا لهم على ما أوتوا من مرتبة وجاه ولكننا نحارب الجهل والضلال الذين تلبسوا بهما فنشأ عن ذلك الاضرار المادي والأدبي بهذه الأمة حتى بلغت أقصى دركات الانحطاط الفكري والاجتماعي معا، كما هو مشاهد ومعلوم من رجال الأمة الاسلامية اليوم" ورد الطيب العقبي على سؤال لماذا تحاربون الطرق؟ قائلاً: "نحارب الطريقين لأنه لا طرق في الاسلام وانما هو دين واحد وطريقة جامعة".<sup>2</sup>

ولقد صرح البشير الابراهيمي أيضا بسبب الخلاف بين المصلحين والفرق الصوفية قائلاً: "ان الخلاف بيننا وبين هؤلاء ليس في مسائل علمية محصورة يعدونها في كل بلد بعدد ويكثرون حولها اللغظ ليوهموا الأمة أن الخلاف علمي ... وما لهم للعلم؟ انهم ليسوا علماء حتى يغارون للعلم أو يقولون فيه أو يكونوا طرفا من طرفي الخلاف في مسائله، وانما الخلاف بيننا وبينهم في طرقهم وزواياهم وما يرتكبونه باسمها من المنكرات التي فرقت كلمة المسلمين وجعلت الدين الواحد أديانا فقلنا لهم ولا نزال نقول: لا طريقية في الاسلام وأقمنا على ذلك الأدلة من الدين والتاريخ والعقل ومقتضياته، فلماذا يرجعون بنا بعد هذا كله الى العلم الذي هو بريء منهم وهم براءة منه؟".<sup>3</sup>

وما نخلص اليه بعد سردنا لأقوال العلماء المصلحين في محاربة الطريقة وأسباب الخلاف أن صراعهم ليس ضد أشخاص وانما ضد منهج وتوجه قد انحرف عن مساره الحقيقي الذي أبدته الطريقة والحركات الصوفية ابان الاحتلال من مقاومة وجهاد، حيث تعاملوا مع المستعمر الفرنسي ورضخوا للأمر الواقع وتمادوا في ادخال البدع والضلالات في الدين الاسلامي حتى أصبح دين خرافي، لهذا كان تحرك العلماء الاصلاحيين نحو تطهير الجانب الديني أولوية الأولويات لأن تحرير العقول من الجهل والخرافة هو بداية المسار الصحيح لنهضة حقيقية وعمل ثوري شمولي وعميق.

### المبحث الثاني: النشاط التربوي والتعليمي

يخيل أن لفظي التربية والاصلاح حين نثيرهما حول ابن باديس ومن معه من العلماء الاصلاحيين يتداخلان لنا ويتشابهان علينا حتى لا نستطيع أن نميز بينهما تمييزا دقيقا واضحا.

فقد كان ابن باديس كثيرا ما يكتب فصولا طويلة حول التربية التي نعني بها التعليم وكان ينادي بضرورة اصلاح التعليم العربي في الجزائر وكان يقول: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ... ولن يصلح العلماء الا إذا صلح تعليمهم فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 274 .

<sup>2</sup> - الطيب العقبي: أجوبة حكيمة، الشهاب، مج 11، ج 5، أوت 1935، ص 286.

<sup>3</sup> - محمد البشير الابراهيمي: آثار الامام البشير الابراهيمي 1929-1940، جمع: أحمد طالب الابراهيمي، ج 1، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ط 1، ص 303.

<sup>4</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص 47.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

وقد نادى ابن باديس باصلاح التعليم كما كان ينادي باصلاح الدين وضرورة تجديد مفاهيمه التي ينبغي أن لا تظل جامدة بالية بل يجب أن تساير العصر وتمتط مع مصالح المسلمين تبعاً لتغير الزمان والمكان لأن الاسلام دين علمي.<sup>1</sup>

لقد كان من بين أهداف الاصلاحيين الملحة، اصلاح عقلية الجزائريين وذلك لاهتمام ابن باديس ومن معه بالتربية والتعليم لاجراخ الجزائريين من الجمود ومن أجل تكوين أجيال تعمل على بعث النهضة في الجزائر، ولذلك يجب على الجزائريين أن يحرروا عقولهم حتى يستطيعوا تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي.<sup>2</sup>

وما يبرز جلياً لدينا هو أنه بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وعودة العلماء الاصلاحيين وقبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي نظمت وهيكلت العمل والنشاط التعليمي والتربوي، هو نشاط الشيخ عبد الحميد بن باديس وتصدره العمل الاصلاحى التربوي التعليمي بشكل لا يكاد يطغى عليه أي عمل آخر.

### المطلب الاول: مجهودات ونشاط عبد الحميد بن باديس التعليمية

رغم تعدد جوانب شخصية ابن باديس الا أن أبرز جوانبها هو الجانب التعليمي الذي ركز عليه ابن باديس معظم نشاطاته اذ بدأ حياته العلمية معلماً في تعليم النشاء وكان يبدأ دروسه بعد صلاة الفجر ويقضي طوال نهار اليوم في تعليم الأطفال علوم الدين الصحيحة وعلوم اللغة العربية في مسجد "سيدي قموش" وكان لا يستريح سوى ساعة بعد صلاة الظهر يصيب خلالها قليلاً من الطعام ثم يواصل عمله حتى صلاة العشاء، ثم ينتقل الى التدريس بالجامع الأخضر حيث يواصل دروسه التفسيرية للقرآن الكريم على شيوخ وكهول مدينة قسنطينة من التاسعة مساءً وحتى منتصف الليل داعياً اياهم الى أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم استناداً الى الآية الكريمة: "ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"<sup>3</sup>، وكانت أقوال ابن باديس دوماً تدعو الى تشجيع العلم ومن ذلك قوله "اللغة هي القوة"، ولعله يفصح هنا عن خطته الرامية الى اعداد الأجيال من الشباب المثقف ثقافة عربية حتى يواجه بهم سياسة فرنسا الرامية الى تذيب الشخصية العربية الاسلامية في الجزائر الفرنسية.<sup>4</sup>

بذل ابن باديس كل جهده في التعليم وقد كانت له طريقة خاصة في التدريس والتربية، وذلك أنه كان مقرباً جداً للتلاميذ وللصلة الروحية المتينة التي تنشأ بين الأستاذ وتلاميذه، وقد سئل الأستاذ عبد الحميد بن باديس ذات مرة لماذا لا تؤول كتباً علمية تبقى تراثاً للأجيال بعدك؟ فأجاب قائلاً: "انني مشغول بتأليف الرجال عن تأليف الكتب".<sup>5</sup>

وقد اتخذ ابن باديس من الجامع الأخضر مقراً لدعوته التعليمية وتمكن بعد عدة سنوات من انشاء مكتب كان بمثابة نواة للتعليم العربي الابتدائي فوق مسجد "سيدي بومعزة" الى أن نقله بعد ذلك الى بناية الجمعية الخيرية الاسلامية

<sup>1</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص 49.

<sup>2</sup> - رايح تركي عامرة: الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر، الجزائر، 2003، ط2، ص ص 88-91.

<sup>3</sup> - سورة الرعد، الآية 11.

<sup>4</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص 105.

<sup>5</sup> - رايح تركي عامرة: عبد الحميد، المرجع السابق، ص 170.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

التي تأسست سنة 1917 ثم انتقل هذا المكتب الى مدرسة عصرية كبيرة تتسع لأكثر عدد ممكن من الأطفال الراغبين في دراسة العربية وعلومها.<sup>1</sup>

ويقول الشيخ ابن باديس: "وفي سنة 1930 م/1349هـ رأيت أن أخطو بالمكتب خطوة جديدة وأخرجه من (مكتب جماعة) الى (مدرسة جمعية) فحررت القانون الأساسي لـ(جمعية التربية والتعليم الاسلامية) وقدمته باسم الجماعة المؤسسة الى الحكومة فوقع التصديق عليه".<sup>2</sup>

وقد كانت تضم في عام 1358هـ/1939م أكثر من (800 تلميذ) وتلميذة وكانت مدرسة الجمعية لصغار التلاميذ وأما الكبار من الشباب الذين عني الشيخ بهم ويقوم على تربيتهم وتعليمهم فان تعليمهم يكون في الجامع الأخضر وغيره بصورة منظمة، وفي عام (1355هـ/1936م) كان الشيخ يشرف على نحو 300 طالب بالجامع الأخضر تدرسا وقياما على شؤون المبيت والاطعام ونحوه ولأن أكثر الطلبة كانوا من غير أهل مدينة قسنطينة وهؤلاء غير الذين تخرجوا من عند الشيخ وأرسل كثيرا منهم الى تونس للدراسة في جامع الزيتونة.<sup>3</sup>

ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام (1349هـ/1931م) وكان الشيخ يرأس مجلس ادارتها توسع مشروع الإصلاح الى فتح المدارس حتى قدر عدد المدارس التي أسستها الجمعية الى عام (1354هـ/1935م) بسبعين (70) مدرسة تعليمية في أنحاء الجزائر وقدر عدد تلاميذها بنحو ثلاثين ألف (30.000) تلميذ ما بين فتى وفتاة.<sup>4</sup> ثم بلغ عدد المدارس التي افتتحها الاصلاحيون في شتى أنحاء الجزائر حتى عام 1945م حوالي (150) مدرسة ووصل عدد التلاميذ أكثر من أربعون ألف (40.000) تلميذ.<sup>5</sup>

### المطلب الثاني: أهم الجمعيات والمدارس التي أنشأتها الحركة الإصلاحية في الجزائر

تكوين جمعية التربية والتعليم الاسلامية: في عام 1930 قرر الشيخ عبد الحميد بن باديس وذلك لنشر الأخلاق وتعليم وترسيخ اللغة العربية، تكوين "جمعية التربية والتعليم الاسلامية"، وتهتم هذه الجمعية بتعليم البنات المسلمات وكذلك مختلف الحرف اليدوية.<sup>6</sup>

مدرسة التربية والتعليم الاسلامية (فرع باتنة): تأسست أوائل سنة 1937م وتشتمل المدرسة على ثلاثة أقسام وإدارة وقسم لتعليم القرآن الكريم، وقد زار ابن باديس المدرسة أثناء تخرج الكثير من أبناء التربية والتعليم من هذه المدرسة.

<sup>1</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص106.

<sup>2</sup> - عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، جمع: عمار الطالبي، ج3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ط3، صص268-269.

<sup>3</sup> - مركز الدراسات والبحوث، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة البيان، العدد 189، الرياض، 1435هـ/2013م، صص130-131.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص131.

<sup>5</sup> - هارون الرشيد بن موسى، المرجع السابق، ص21.

<sup>6</sup> - تزكي رابع عمارة، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2001م، ط5، صص387-

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

مدرسة تهذيب البنين بتبسة: مدرسة أشرفت عليها الجمعية بتأثيرها وتسييرها وتولى الشيخ العربي التبسي التدريس في هذه المدرسة والتي فتحت أبوابها سنة 1934م وهي مركز للحركة الإصلاحية ومنبت الأجيال الصالحة وتخرج منها رجال ونساء حملوا العلم والمعرفة.<sup>1</sup>

مدرسة التهذيب بالميلية: تأسست سنة 1934م بفضل بعض المصلحين سارت المدرسة في اتجاه سليم بالتوجيه والارشاد وهذه المدرسة عرقلتها بعض الظروف مثل الطريقة وتوقفت الدراسة بها.<sup>2</sup>

مدرسة الشبيبة بالأغواط: تأسست في 08 ماي 1945م وهي تابعة لجمعية العلماء في منهاجها كان اقبال الأغواطيين كبيرا على الدراسة وهي للبنات والبنين وقد بلغ عدد تلاميذها (600) تلميذ ومدة الدراسة فيها أربعة سنوات، تخرج منها أفواجا كثيرة يفهمون اللغة الفصحى، وقد أرسلت الجمعية بعض تلاميذها الى الجامعات العربية ودامت هذه المدرسة الى غاية الثورة وأغلقت سنة 1958.<sup>3</sup>

معهد ابن باديس بقسنطينة: فتح معهد عبد الحميد بن باديس أبوابه في أول ديسمبر 1947 بادارة الأستاذ العربي التبسي وبلغ عدد طلبته (500) طالب وبرنامج المعهد تابع لبرنامج الزيتونة، ويحتوي المعهد كذلك على لجان منها اللجنة العلمية واللجنة المالية والاقتصادية، لجنة المراقبة والضبط، وقد بلغ عدد تلاميذ المعهد سنة 1954م (913) طالبا.<sup>4</sup> وستكلم عنه بمزيد من التفصيل في الفصل الرابع.

وفي منطقة القبائل كذلك انتشرت مدارس اصلاحية لعبت دورا كبيرا وفعالا في بعث النهضة والروح الوطنية في الأمة ونذكر بعض المدارس:<sup>5</sup>

مدرسة بجاية - مدرسة دلس - مدرسة برج منايل الإصلاحية - مدرسة الشبيبة الاسلامية بتيزي وزو .

وأغلب المدارس الإصلاحية تشتمل على الدروس التالية :

1- تفسير القرآن وتجويده.

2- شرح الحديث النبوي الشريف.

3- الآداب والأخلاق الاسلامية.

4- اللغة العربية بفنونها.

5- الحساب والمنطق.

وفي سنة 1933م أضيفت مواد أخرى مثل: الفرائض والتاريخ والجغرافيا وأصول الفقه.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - محمد الحسن فضلاء: المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر القطاع القسنطيني، ج1، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999 م، ط1، ص ص78-79.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 83.

<sup>3</sup> - محمدعلي دبو، المصدر السابق، ج3، ص 269 .

<sup>4</sup> - محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة، المرجع السابق، ص ص50-55.

<sup>5</sup> - يسلي مقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945، دار الأمل للطباعة، الجزائر، 2012، ص 198.

<sup>6</sup> - محمد الصالح رمضان، عبد القادر فضيل: امام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمم، الجزائر، (د.ت)، ص 231.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

### المطلب الثالث: مجهودات بعض مشايخ الإصلاح في الجانب التربوي

لم يكن الشيخ عبد الحميد بن باديس وحده في هذا الميدان بل تكاتفت جهوده مع ثلة من اخوانه من الطلبة والعلماء المصلحين سواء في الشرق الجزائري أو في الصحراء ونواحي ميزاب أو في منطقة زاووة، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

#### 1-النشاط التربوي والتعليمي للشيخ البشير الابراهيمي

أما عن مجهودات البشير الابراهيمي التعليمية هي كذلك كثيرة فقد ألقى دروسا بالمسجد الكبير وألقى محاضرات بمعسكر بنادي الشباب الأدبي، وكذلك في مدينة بلعباس، وفي سنة 1936 تركز نشاطه في تثبيت حق المدرسة الحرة الجديدة، وانطلق في الدروس بها ووافق نائب الوالي في اعطاء رخصة للابراهيمي للتدريس في مدرسة قرآنية بتلمسان وكان هدف هذه المدرسة نشر التعليم القرآني والديني واحداث دروس ابتدائية لتعليم الصغار والكبار وذلك لفهم التعاليم الاسلامية.<sup>1</sup>

كما أنشأ دار الحديث: "إن أكبر دعامة تقوم عليه الجزائر الحديثة هي تأسيس المدارس الحرة بمال الأمة وقد قامت (تلمسان) بقسطها من هذا الواجب فشيدت مدرسة (دار الحديث) على طراز ليس له نظير في القطر الجزائري كله وستحتفل بفتحها في اليومين المذكورين 27-28 سبتمبر 1937"<sup>2</sup>، ويرجع الفضل في انشاء هذه الدار للشيخ البشير الابراهيمي.

وكان الامام الابراهيمي لا يكتفي بالحث على انشاء المدارس ودور العلم بل كان يحرص كل الحرص على أن تنجح هذه المدارس في أداء رسالتها، لذلك كان يعقد الاجتماعات والندوات بين آونة وأخرى تارة للمعلمين وتارة أخرى لتلاميذ هذه المدارس، وكان يلقي توجيهاته التربوية الثمينة على المجتمعين في هذه الندوات ومن اقواله الى المعلمين قوله: "ها أنتم قد تبوأتم في مدارسكم ميادين الجهاد، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان، وأوقفوا أنفسكم لاحدى خطتين: دفاع المجيد أو موت الشهيد، واعلموا أنكم عاملون فمسؤولون عن أعمالكم فمجزون عنها من الله سبحانه وتعالى ومن الأمة ومن التاريخ".<sup>3</sup>

فلا عجب اذا أن يكون الجيل الذي أسهم الشيخ الابراهيمي في اعداده هو الجيل الذي نجح في تفجير الثورة في أول نوفمبر 1954 تلك الثورة التي يفتخر بها كل فرد في وطننا العربي الكبير من الخليج الى المحيط.<sup>4</sup>

#### 2-النشاط التربوي والتعليمي للشيخ مبارك الميلي

انضم الشيخ مبارك الميلي الى الدعوة الإصلاحية وباشر المهمة التي أوكلت اليه في مجالس التعليم والارشاد ولازم شيخه ابن باديس فاقببس من هذه الشخصية المرموقة الوفاء للمبادئ والمثل وعزف - مثل شيخه ابن باديس - عن

<sup>1</sup> - خالد مزروق، المختار بن عامر: مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف 1907-1931-1956 وملحق، دار زمورة، الجزائر، 2013، طبعة خاصة، صص136-137.

<sup>2</sup> - البصائر، السنة الثانية، العدد 81، رجب 1356هـ/17 سبتمبر 1937.

<sup>3</sup> - عادل نويهض: البشير الابراهيمي عظيم من الجزائر، دار الأبحاث، الجزائر، (د.ت)، صص70-71.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص72.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

الوظيفة الرسمية، والتمس في الدعوة الإصلاحية الغاية التي تحضر للقيام بها ونذر لها حياته وفكره وغايته هي الاسهام في النهضة الجزائرية، وانتقل بين المدن والقرى شمالا وجنوبا شرقا وغربا في سبيل نشر اللغة والدين ومقاومة الطرقية والبدع وتربية النشء وتأسيس المدارس و بث الوعي في الأجيال وتحريضهم على الارتحال للدراسة بالزيتونة.<sup>1</sup>

واستقر الشيخ مبارك المليي بمدينة قسنطينة فعمل فيها معلما بمدرسة قرآنية عصرية تابعة لمسجد سيدي بومعزة القريبة من مطبعة وادارة جريدة الشهاب<sup>2</sup>، فكان له ممارسة التعليم بهذه المدرسة القرآنية سنة 1925م وقد عمل فيها مديرا ومدرسا نحو أربعة عشرة شهرا.<sup>3</sup> وبدأ الشيخ المليي بتشخيص الحالة التعليمية بالمكتب العربي بسيدي بومعزة انطلاقا من النظام الدراسي والحجم الساعي وعلاقتها بالأهداف التربوية التعليمية المنشودة وقد أعطى مبارك المليي للنظام الدراسي والحجم الساعي مكانتهما اللائقة.<sup>4</sup>

ولعل هذ النظام الدراسي الجديد قد جعل الدراسة أكثر تنظيما ووفر الوقت المناسب لتطبيق أساليب التعليم وتطويرها وبهذا النظام بدأ الشيخ مبارك باصلاح وسائل التعليم وتجديده فكان الشيخ مبارك (يكتب لتلامذته جريا من القرآن الكريم)، مقارنة بما كان سائدا حيث الحفظ ثم السرد دون تفهيم أو تفسير كما اجتهد الشيخ مبارك المليي في استعمال وسائل التعليم ومنها استعمال الكتاب المدرسي).<sup>5</sup>

وقد ظل الشيخ مبارك المليي في مدينة قسنطينة حتى بداية عام 1927م ثم غادر الى مدينة الأغواط جنوب الجزائر وقام فيها بطلب رخصة تأسيس مدرسة ولكنه لم يتحصل عليه ورغم ذلك استمر في تعليم الطلبة.<sup>6</sup> ووجد الشيخ مبارك في أبناء الاغواط الاقبال العظيم والتفت حوله ثلة من الشباب نفخ فيهم روح العلم الصحيح والتفكير الحر وقد عمل بمدرسة الشبيبة بالأغواط مدة سبع سنوات فأنشأ فيها نفوسا وعقولا وتخرج على يديه الأستاذ أبو بكر الأغواطي والأستاذ المشاطة والأستاذ أحمد قصبية وقد أتم الجميع معلوماتهم بجامع الزيتونة.<sup>7</sup>

وأسس الشيخ مبارك المليي (الجمعية الخيرية بالأغواط) لاسعاف ذوي الحاجة وعكف هناك بالمسجد على القاء الدروس في التفسير والحديث والفقه والسيرة والأخلاق، كما كان يخرج متجولا في أنحاء الوطن لبث مبادئ الاصلاح الديني والاجتماعي ونشر التعليم بين مختلف الأوساط، كل ذلك بطريق الارشاد والتوجيه الى العمل على هدي الكتاب والسنة ومحاربة البدعة في الدين والعقيدة والتجاني عن الجهل والكسل والخمول.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - سليم مزهود: مفهوم الخطاب الاصلاحى عند الشيخ مبارك المليي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2006/2005، ص96.

<sup>2</sup> - أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالامام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج 2، دار البعث للنشر، قسنطينة، 1984، ص14-15.

<sup>3</sup> - سليم مزهود، المرجع السابق، ص96.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص96.

<sup>5</sup> - عبد المالك مرتاض: نغمة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ط2، ص504.

<sup>6</sup> - أحمد حماني، الصراع بين، المصدر السابق، ج2، ص15.

<sup>7</sup> - محمد الصالح الجابري: مبارك المليي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، العدد102، سنة 1989.

<sup>8</sup> - عبد الرحمان الجيلالي: من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة والناطقة الشيخ مبارك المليي، مجلة الثقافة، عدد80، الجزائر، مارس 1984، ص188-189.

### 3- النشاط التربوي والتعليمي للشيخ العربي التبسي

تصدى الشيخ العربي التبسي بعد عودته من مصر عام 1927 لمهام تربوية مختلفة، وقد أوضح مالك بن نبي مسيرته التربوية والإصلاحية بعد عودته إلى تبسة قائلا: "سار الشيخ العربي التبسي على خطى سابقه من الشيوخ الذين بدأوا عملية الإصلاح بتبسة بعد عودتهم من زاوية نفطة بالجريد التونسي التي كانت توفر قدرا من العلم الشرعي والعربي لا بأس به للطالب المرید الذي يريد أن يعود إلى بلده للامامة والخطابة والإصلاح"<sup>1</sup>، وقد ارتبط الشيخ العربي التبسي المثقف ذو التكوين الزيتوني الأزهري بفريق الشهاب ابتداء من جانفي 1927، وابتداء من عام 1929 أقام في تبسة حيث شرع في تعليم ذو نزعة إصلاحية كان محل إعجاب الشيخ ابن باديس.<sup>2</sup>

ويرى أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي أن الوجه التعليمي الذي مارسه الشيخ بعد عودته يعود إلى تأثره بالتجربة الرائدة التي قام بها السيد عباس بن حمّانة<sup>3</sup> سنة 1913م بتبسة فهي على حد رأي الكاتب نفسه أول مدرسة قرآنية عصرية حرة<sup>4</sup>، وإذا كان هذا الكلام ينفي سبق الشيخ العربي التبسي إلى فكرة التعليم عن طريق تأسيس مدرسة فإنه لا ينفي نجاح ذات الفكرة معه إن كانت قد فشلت مع عباس بن حمّانة الذي توقفت مدرسته بعد بضعة أشهر من نشاطها، ولا يهم إن كان العربي التبسي قد تأثر بفكرة السيد بن حمّانة أو بالأسباب نفسها التي تأثر بها حمّانة نفسه بقدر ما يهمنا مدى الكفاءة التي أظهرها الشيخ في هذا النشاط الذي تميز فيه إضافة إلى النشاطات الأخرى<sup>5</sup>، فكان نشاط الشيخ العربي التبسي التربوي يستند على تقوية الطلبة على الأمور التالية:

1- نشر العلوم الدينية وخلق حالة التوازن بين الاعتقاد والسلوك.

2- تقوية الشعور الديني باعتقادا وعملا.

3- ترويضهم على الممارسات التربوية والتعليمية.

4- إعطاء اللغة العربية أهمية قصوى وتجيئها إلى التلاميذ وإطلاعهم على ما فيها من مواطن الجمال والبلاغة.

5- تعويدهم على الخطابة والتأليف.<sup>6</sup>

والحق أن الشيخ العربي التبسي لم يؤسس مدرسة تهذيب البنين والبنات مباشرة بعد رجوعه من مصر بل كان ذلك بعد رجوعه من مدينة سيق في الغرب الجزائري والتي حل بها بعد أن شعر بمضايقة المستعمر ومن ولاة من الطرفين، كما

<sup>1</sup> - صبري كامل التميمي: الشيخ العربي التبسي ودوره التربوي والإصلاحي في الجزائر (1891-1957)، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 55، العراق، ذي القعدة 1437هـ-أوت 2016، ص 343.

<sup>2</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص 134.

<sup>3</sup> - عباس بن حمّانة: توفي سنة 1914، من زعماء الجزائر قبل الحرب الكبرى الأولى، مع محمد العربي ومحمد بن رحال وغيرهم، وقد سافر مع الوفد الجزائري إلى باريس سنة 1912، قال عنه عضوه الأيمن الحاج بكير العنق "...إنه لدينه وإخلاصه ودهائه وحنكته السياسية وشجاعته الخارقة يليق أن يكون رئيس دولة عظمى..."، وكان صديق عبد العزيز الثعالبي، وهو من أسباب نخضة تبسة، حيث أنشأ سنة 1913 الجمعية الصديقية الخيرية للتربية الإسلامية، كما أنشأ مدرسة قرآنية... اغتالته السلطات الاستعمارية بضرية فأس. أنظر: محمد علي دبو، المصدر السابق، ج 2، ص 263-264.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ج 3، ص 242.

<sup>5</sup> - أقيس خالد: أثار العربي التبسي دراسة فنية، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة منتوري قسنطينة، 2007، ص 68.

<sup>6</sup> - صبري كامل التميمي، المرجع السابق، ص 345.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

أنه أيضا لم يقتصر في حياته التعليمية على هذه المدرسة وبعد أن تأسس المعهد البادسي انتقل الى العمل هناك مديرا ومدرسا، وبهذا شمل عمل الرجل التعليمي الجزائر من شرقها إلى غربها وكل محطاته تعكس جد الشيخ العربي التبسي واجتهاده مما جعله يؤدي واجبه على أحسن وجه.

وقد أثنى على هذا النجاح المجلس العلمي الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمكتب الرئاسة بقسنطينة، فبعد أن قرر استمرار التعليم المسجدي لتلاميذ الجامع الأخضر كالعادة الجارية في السنتين الماضيتين لدوافع ضرورية قاهرة.

يقول الابراهيمي في بيان المجلس الذي أنعقد يوم 19 أكتوبر 1943م: "وأسند كالمعتاد القيام بذلك التعليم الى كفاءة الأستاذ النفاع الشيخ العربي التبسي الكاتب العام لجمعية العلماء مع التنويه بذكره والافصاح عن شكره على ما قام به في السنتين الماضيتين من المواظبة على تلك الدروس النافعة لأبناء الأمة في دينهم ولغتهم وما بذله من جهد وأظهره من حزم وعزم على استمرارها على أكمل وجه".<sup>1</sup>

وكانت مدرسة التهذيب التي أسسها الشيخ (للبنين والبنات) عام 1934م والتي ضمت في صفوفها الابتدائية كل عام ما يقارب 500 تلميذ ومنها تخرج رجال الاصلاح والسياسة والثورة في تبسة.<sup>2</sup>

وقد لاحظ الاستعمار الفرنسي نشاط الشيخ التعليمي والتربوي في تبسة فكان يراقبه عن كثب وهاته احدى الوثائق الأرشيفية الفرنسية التي تدل على ذلك، وهاته الوثيقة مؤرخة في 15 جوان 1939 من رئيس بلدية تبسة تحت رقم 1388 موضوعها المدارس القرآنية مرسله الى الوالي المكلف بشؤون الأهالي بقسنطينة وهي عبارة عن رد لرسالة مؤرخة في 29 مارس 1939م تحت رقم 3879 تطلب قائمة مسيري مدرسة التهذيب (للبنين والبنات) والوثيقة الملحقة بها توضح موقع المدرسة بتبسة وأعضاء المكتب المسير وهم جدري العربي (المدعو العربي التبسي) ودرباسي صادق وعلاوة معمر وقرني الشافعي.<sup>3</sup>

أيضا فنشاط الشيخ التعليمي واخوانه الاصلاحيون في تبسة قد أدى الى تزايد وتطور المدارس القرآنية في تبسة بشكل ملحوظ وهذا ما تبينه وثيقة أرشيفية فرنسية من أرشيف قسنطينة مؤرخة في 8 ديسمبر 1943 من مقاطعة قسنطينة بلدية تبسة المختلطة رقم 6852 موجهة من الادارة الرئيسية للبلدية المختلطة تبسة الى السيد الوالي المكلف بشؤون الأهالي المسلمين موضوعها المدارس القرآنية حيث تعلمه أنه يوجد حاليا 56 مدرسة قرآنية على مستوى كامل تراب البلدية.<sup>4</sup>

وهذا ان دل على شيء فهو يدل على الجهود الجبار الذي بذله الشيخ العربي التبسي ومن معه من الاصلاحيين طلبه وعلماء.

<sup>1</sup> - محمد البشير الابراهيمي، آثار الابراهيمي، المصدر السابق، ج2، ص131.

<sup>2</sup> - صبري كامل التميمي، المرجع السابق، ص347.

<sup>3</sup> - Archive De Constantine, B n° 11, Servise De Reformes, Tebessa 15/06/1939. (Voir l'annexe n°6).

<sup>4</sup> - Archive De Constantine, B n° 11, Servise De Reformes, Commune Mixste, Tebessa 08/12/1943.

(Voir l'annexe n°7)



#### 4-النشاط التربوي والتعليمي للشيخ أبو يعلى الزواوي

هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي الشهير بأبي يعلى الزواوي، أصله من (أبو يعلى) قرية بالقرب من جمعة صهريج بنواحي عزازقة، وانتقل والده الشيخ محمد الشريف الى (اغيل زكري) بناحية أزفون للقيام بالامامة والتعليم حيث ولد الشيخ السعيد أو يعلى سنة 1866م.<sup>1</sup>

وعند رجوعه من دمشق سنة 1924 الى الجزائر ولم تمض على عودته أيام حتى عين اماما وخطيبا بجامع سيدي رمضان بالعاصمة، وفي هذا المسجد وقف الشيخ نفسه على تهذيب النفوس واناة القلوب ... وبعث الاعتزاز في نفوس الشباب بالخصوص حتى يتسموا خطى أسلافهم الصالحين ويسيروا على طريقهم .... ولذا كان لا يفتر عن المجاهدة بالكلمة يرسلها من الأعماق في حلقة الدرس أو من على المنبر أو فوق منصة بنادي الترقى، وأبرز ما كان يمتاز به أبويعلى في دروسه ومحاضراته وخطبه الجمعية شجاعته الأدبية ... وكان كثيرا ما يتحدث عن تربية البنت وتعليمها وتمكينها من حقوقها واحترام ارادتها.<sup>2</sup>

وقد اهتمت الحركة الاصلاحية بهذا الموضوع، فكتب أبو يعلى الزواوي كتابا سماه "مرآة المرأة المسلمة" وأصدر آخر سماه "الاسلام الصحيح"، وضح فيه رأيه في عمل المرأة وقضايا الزواج وتربية المرأة وتعليمها وأن لا تكون عضوا فاشلا في الهيئة الاجتماعية الاسلامية، وقد كتب الزواوي هذا الكتاب ونشره بدمشق سنة 1924 وواصل هذا الجهد في البلاغ والشهاب ونوه ببحثه في هذا الموضوع شكيب أرسلان.<sup>3</sup>

وواصل الشيخ تدريسه وتعليمه فكان حر التفكير والتعبير والتحرير والتجوير، ووقف صامدا أمام العوائق والمغريات ولم يقيد الوظيف الذي تقلده لسانه ولم يجد من نشاطه فكان صريحا في الحق يدافع عن الدين واللغة العربية والوطن، وقد هددته السلطات مرارا بالفصل من إمامة جامع سيدي رمضان ولكنها لم تجرؤ على ذلك، وقد ذكر أنه كان يقطع راتبه كما أنه حرم من الترقية، فكان المدرسون والمفتون في زمانه يتقاضون عشرة أضعاف ما يتقاضاه الشيخ، الا أنه كان من رجال الاصلاح مؤيدا لجمعية العلماء قال أحمد توفيق المدني عن خطبة "وأذكره باخراجه للخطب المنبرية من صبغتها التقليدية العتيقة الى صبغة قومية مفيدة فهو يخطب للعامه ارتجالا في مواضيع اسلامية محلية مفيدة ويعتبر خطابه درسا بحيث لا ينتهي منه وقد اعتقد أن كل مسجد سيدي رمضان من رجال ونسوة قد فهموا جيد الفهم خطابه وأشهد أنه كان لتلك الخطب الأثر الفعال في النفوس"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - محمد الصالح الصديق: شخصيات ومواقف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص309.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص309.

<sup>3</sup> - شكيب أرسلان : 1869-1946م مؤرخ عربي وعالم بالأدب والسياسة، سمي أمير البيان، ولد بلبنان وأقام بمصر وجنيف، زار أكثر بلدان اوربا وأمريكا، تحمس للسياسة الاسلامية وللغرب، ومن مؤلفاته "الحلل السندسية من الرحلة الاندلسية". أنظر: مسعودة مسعود بوالخضرة، المرجع السابق، ص112.

<sup>4</sup> - حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص103.

<sup>5</sup> - محمد حاج عيسى الجزائري: أضواء حياة الشيخ أبي يعلى الزواوي،. [www.islahyway.com/v2/index](http://www.islahyway.com/v2/index) تاريخ الاطلاع 20 جوان 2020، الساعة: 13:01 سا .

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

### المطلب الرابع: النشاط التربوي والتعليمي عند اصلاحيي بني ميزاب

تنبهت النخبة الاصلاحية في ميزاب باكرا مثلما كان الأمر بأقطار البلاد الأخرى لأهمية التعليم، لذلك لم يتوان مثقفو ميزاب عن الوقوف في وجه المشروع الثقافي الفرنسي الرامي الى ادماج الجزائريين في المنظومة الاستعمارية قلبا وقالباً، وانخرطت النخبة في ميزاب في المشروع الاصلاحى الوطني والذي كانت ركيزته الأساسية "الاصلاح التربوي" لانقاذ أبناء المسلمين من الوقوع في الاستلاب الثقافي أو الجهل.<sup>1</sup>

فبالنسبة للتعليم فقد استطاعت حركة الاصلاح أن تجلب إليها أغلب طبقات المجتمع ولعل الفضل الأكبر في ذلك يعود الى التعليم العصري الذي أصبحت تقدمه والذي كان يخاطب العقول أكثر من ذي قبل وأصول هذا التيار بداياته بعيدة في الواقع، وقد برزت خصوصا مع منهج القطب الشيخ أطفيش وشيخه عبد العزيز الثميني،<sup>2</sup> من قبله اللذان انكبا على انتقاد مظاهر البدع والخرافات في المجتمع لكن انتقادا خصوصا المناهج التقليدية في التعليم الديني من خلال معهد القطب الذي أسسه في حدود 1850م بمدينة "يزقن" وكان القطب على اتصال بحركة الجامعة الاسلامية في المشرق وعن طريقه وصل صدى هذه الحركة الى تلامذته الذين واصلوا مساره متأثرين بروح العصر، فأسسوا المدارس والمعاهد العصرية لاسيما "معهد الحياة" بالقرارة سنة 1925م.<sup>3</sup>

وعن أهمية وغايات التعليم الذي انطلق بالقرارة يقول الشيخ عدون في مقال في وادي ميزاب، عدد 08، الجمعة 01 جمادى الأولى 1345 هـ/ الموافق لـ 12 نوفمبر 1926: "ويكون التعليم العربي الاسلامي العصري الذي يتلقاه التلميذ بالموازية مع التعليم الذي يتلقاه التلاميذ في المدارس الفرنسية، ولكي يحقق الغرض المنشود منه على المعلم أن يكون في المستوى"، وأرجع أبو اليقظان ضعف الكتابات الى ضعف المعلم والى طريقته المشوشة في القاء الدروس والى منهجه التربوي الذي يضيق هامش الحرية والابداع لدى التلميذ.<sup>4</sup>

ولعل النشاط الذي أثار مخاوف ادارة الاحتلال أكثر هو البعثات الطلابية التي كان بنو ميزاب يرسلونها الى تونس، حيث تزعمت هذه النخبة هذه البعثات نظرا لوعيتها لأهمية ما يمكن أن يتلقاه الطلبة هنالك حيث كانت أول بعثة اجتازت تبسة الى تونس في ماي 1914 بقيادة الشيخ ابراهيم بن الحاج عيسى أبو اليقظان والحاج عمر العنق<sup>5</sup>، وأثناء

<sup>1</sup> - ناصر بلحاج: موقف النخب في وادي ميزاب من الاستعمار الفرنسي ثقافيا واعلاميا ودينيا وسياسيا، الملتقى الدولي "النخب الجزائرية والحركة الاصلاحية في النصف الأول من القرن العشرين"، أيام 20-22 أبريل 2015، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2015، ص163.

<sup>2</sup> - عبد العزيز الثميني: هو الشيخ ضياء الدين عبد العزيز بن عبد الله الثميني ولد ببني يزقن بميزاب 1130هـ 1717م كان من رجال الاصلاح وعلماء بني ميزاب، الف عدة كتب منها كتاب "النيل وشفاء العليل" في الفقه الاسلامي وكان غير متعصب للمذهب الاباضي، من بين تلاميذه ابراهيم بن يوسف أطفيش جد ابراهيم ابي اسحاق اطفيش. أنظر: محمد علي دبوبز، المصادر السابق، ج1، ص ص263-285.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج3، ص264.

<sup>4</sup> - ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص165.

<sup>5</sup> - العنق عمر ابراهيم 1882-1956م: ساهم مساهمة فعالة في تأسيس الجمعية الصديقية ومدريتها في مدينة تبسة سنة 1913م من أصول ميزابية وكانت له مواقف في الحركة الاصلاحية بتبسة وساند البعثات الميزابية إلى تونس ماديا ومعنويا. أنظر: محمد علي دبوبز، المصادر السابق، ج2، ص ص163-164.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

الحرب تعززت بفوج آخر من الطلبة سنة 1917 ضم أيضا أبو اليقظان و ابراهيم بن بكير وآخرون، فدخلوا جامع الزيتونة.<sup>1</sup>

وتوالى البعثات، وبمناسبة زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس تونس صيف 1921م استضافته البعثة الميزابية هناك بدار السيد باعلي بن الحاج محمد اليزجني الكائنة بنهج المدرسة السليمانية، وقد نشر الشيخ ابن باديس ما جرى في هذا الحفل في مقال بجريدة النجاح.

وزارها في أواسط الخمسينات بطل الثورة الجزائرية الشهيد زيغود يوسف،<sup>2</sup> وأثنى على نظامها وأوصى طلبتها بالتفرغ للعلم والاستعداد لبناء الجزائر الحرة المستقلة.<sup>3</sup>

وعلى مستوى وادي ميزاب أصبح لحركة الإصلاح سواعد قوية ومتكونة، كانوا أعضاء مؤسسين للمدارس والمعاهد والجمعيات من بينها جمعية الإصلاح التي تأسست بغرداية سنة 1928م والتي لم تحصل على رخصة التعليم سوى سنة 1932م، ثم جمعية الحياة بالقرارة سنة 1937م، ثم جمعية النهضة بالعطف سنة 1945م، وجمعية النور ببونورة سنة 1945م، فجمعية الاستقامة ببني يزقن سنة 1945م، فجمعية الفتح ببريان سنة 1947م، ثم جمعية النصر بمليكة سنة 1960 وكان قائدها الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض رحمه الله.<sup>4</sup>

وسبب التأخر في فسح المجال للتعليم حسب التقارير الفرنسية يعود الى أن جمعية الإصلاح التي كان يتزعمها الشيخ صالح بابكر وهو من خريجي البعثات العلمية المتأثرة بالحركة الدستورية التونسية "تحت غطاء تلقين العلوم وترقية الشعب في المجال العلمي والأدبي كانت تهتم بالمسائل السياسية ذات التوجه الوطني، ومن هنا يجب أن تكون محل مراقبة خاصة جدا".

وفي مطلع جانفي 1938 ألحق الشيخ بيوض الى جمعيته مدرسة بدون ترخيص مما أدى الى غلقها من قبل السلطات الفرنسية<sup>5</sup>، ولكن رغم ذلك فقد توالى المبادرات لفتح مدارس جديدة واعادة فتح المدارس التي يتم اغلاقها. لم تكتف نخبة ميزاب بالنشاط في وادي ميزاب فقط، حيث أسسوا بزعامة الشيخ بيوض مدارس في أهم مدن الجزائر منها الجزائر العاصمة البليدة و تيارت و غليزان و وهران وفي توقرت و بسكرة و باتنة و العلمة و قسنطينة، وكانت مفتوحة لكل أبناء الجزائر المسلمين وكانت على اتصال وثيق بمدارس جمعية العلماء مثل مدرستي غليزان و تلمسان وخاصة مدرسة بسكرة، وبعد تأسيس مدرسة الاخاء من قبل جمعية العلماء سنة 1931 انتقل اليها جميع تلاميذ تلك المدرسة مع

<sup>1</sup> - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، المرجع السابق، ص 209.

<sup>2</sup> - زيغود يوسف: 1921-1956م ولد بقرية سمندو شمال شرق قسنطينة والتحق في سن 17 سنة بجزب الشعب الجزائري وأصبح مسؤولا عنه في سنة 1938، أصبح عضوا في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1947، تم توقيفه خلال اكتشاف المنظمة السرية سنة 1950، التحق بالثورة التحريرية سنة 1954، وتم ترسيمه كقائد الولاية الثانية بعد وفاة ديدوش مراد، قام بمجموعات الشمال القسنطيني في 20 اوت 1955، استشهد في 25 سبتمبر 1956. أنظر: عبد الله مقلاتي: دور الشهيد زيغود يوسف في الثورة التحريرية، مجلة العلوم الانسانية، مج 2، العدد 6، المركز الجامعي علي كافي تندوف، سبتمبر 2018، ص ص 78-91.

<sup>3</sup> - خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، المرجع السابق، ص 23.

<sup>4</sup> - محمد علي دبو، المصدر السابق، ج 2، ص 229.

<sup>5</sup> - ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص 169.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

معلمهم الشيخ محمد الطرابلسي، كما ساهم في مجلس ادارة المدرسة الجديدة أعضاء من مجلس ادارة المدرسة القديمة، وكلهم من اعضاء الحركة الاصلاحية بميزاب ومنهم السيد: عيسى خبزي الرئيس الشرفي لجمعية الحياة بالقرارة الذي عين أمين مال مدرسة الاخاء.<sup>1</sup>

وقد أشاد الشيخ عبد الحميد بن باديس بهذه المدرسة أثناء زيارته اياها في سنة 1932 م وكتب: "ومن أعظم ما يدخل السرور في قلب المسلم أن يرى اخوانه المسلمين يمثلون معنى الأخوة تمثيلا عمليا، مثلما شاهدته بسكرة من مالكيته، واباضيتها، فجماعتهم واحدة ورأيهم واحد وشوراهم في المصالح العامة واحدة... واهتداء البسكريين مالكيتهم واباضيتهم أي تسمية مدرستهم بمدرسة الاخاء" هو أثر لما تنطوي عليه قلوبهم من معنى الأخوة الصحيح التي ربطها بها الاسلام<sup>2</sup>، وقد قدمت هذه المدارس العديد من الاطارات للجزائر المستقلة لا يتسع المجال لذكر أمثلة منهم ولعل النتيجة الأهم هي تحصين الشباب من الانحلال الأخلاقي والوقوع في شرك المشروع التغريبي وغياهب الجهل .

### المطلب الخامس: تعليم المرأة ونظرة الاصلاحيين للحركة النسوية

يقول علي مراد: "لم يكن ابن باديس وأصحابه بوصفهم دعاة اصلاح دين واجتماعي في اطار الاسلام ليقفوا موقف اللامبالاة من مسألة الحركة المطلبية النسوية، فمن جهة كان هذا الشكل ينطوي على أوجه عقدية وأخلاقية لم يكن بمقدورهم بوصفهم سنيين اغفالها، ومن جهة أخرى كانت الحركة النسوية هذه أحد أكبر المشاكل الاجتماعية التي كانت من حين لآخر تستهوي الرأي العام الاسلامي وكانت تفضي الى نقاش واسع بين دعاة التحديث والمحافظين"<sup>3</sup>.

وعليه فنظرة الشيخ عبد الحميد بن باديس وعلماء الحركة الاصلاحية لهذا الموضوع بصفة خاصة لكون المرأة المسلمة الجزائرية لها دور في الحياة ولهذا فهو من الدعاة المتحسمين الى تعليمها وجعلها في دائرة المثل الدينية والقومية والأخلاقية، ولا ينظر اليها من زاوية ربة البيت وراعيته بل هي مربية أجيال وفق المنهج الديني الاسلامي، فيقول عنها: "الجزائرية لديها ولغتها وقوميتها فعلينا أن نعرفها بحقائق تفيدها وتفيد الأجيال الصاعدة"، ويشرح الطريقة في ذلك فيورد: "الطريق الى هذا هو تعليم البنات بما يناسب خلقهن ودينهن على عكس الاستعمار الذي وجه حملة سرية على تعليمها التعليم المزيف والمشوه الى تحقيق هدفه البعيد المدى وهو ادماجها كلياً في الكيان الفرنسي"<sup>4</sup>.

ويقول الأمين العمودي<sup>5</sup> في قضية تعليم المرأة ما يلي: "التعليم مهم لبناتنا لأنه يساعدها في تعلم الشروط التي تتوفر عليها البنت العربية المسلمة مع الاحتياط والتحفظ الحقيقي بما يلائم عاداتنا واخلاقنا الخاصة بنا".

<sup>1</sup> - ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص169.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص170.

<sup>3</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص383-384.

<sup>4</sup> - رايح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة، المرجع السابق، ص175-176 .

<sup>5</sup> - الأمين العمودي: 1890-1957م محامي و كاتب صحفي من رجال الحركة الاصلاحية ولد في وادي سوف تعلم في قسنطينة، نال شهادة المحاماة والترجمة، اختير أمينا عاما لجمعية العلماء، أنشأ جريدة الدفاع، كان ممن اغتالتهم منظمة اليد الحمراء. أنظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج2، ص356.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

لقد كانت المرأة قبل ظهور الإصلاح في الجزائر تعاني الجمود والركود والجهل بسبب العادات والتقاليد القديمة والفهم الخاطئ للدين الاسلامي، لكن بظهور جمعية العلماء رأت أن الطريق الوحيد لخلاص المرأة من الجمود والتحرر هو التعليم الديني والوطني، كما ناقشت قضية حجاب المرأة، فنجد الشيخ عبد الحميد بن باديس يقول: "ارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا الحجاب الشرعي عن وجهها هذا هو الإصلاح الحقيقي"، وتشير الجمعية الى الدور المهم للمرأة فشبهها بجناح الطائرة التي لا تستطيع الطائرة الطيران الا به والجناح الآخر هو الرجل، والطائرة كلها هي الأمة، لذلك فتحت التعليم لهن بالجامع الأخضر تتلقى دروس الوعظ والارشاد ووصلت الجمعية الى تخرج عدد كبير من الطالبات اللواتي أصبحن معلمات في مدارس الجمعية.<sup>1</sup>

وعندما أنشأت جمعية التربية والتعليم الاسلامية مكتبا لتعليم البنين والبنات فإن الشيخ ابن باديس أجاز التعليم المجاني للبنات سواء القادرات أو العاجزات منهن عن دفع النفقات أما البنون فلا يعفى غير العاجزين عن دفع النفقات التعليمية.<sup>2</sup>

### المطلب السادس: النوادي الثقافية

يقول علي مراد: "كان الدور المنوط بالنوادي الثقافية الإصلاحية مابيننا لدور المدارس العربية من نفس النزعة، فهدفها لم يقيم تحديدا على اعطاء الشباب تكوينا اسلاميا بل تزويدهم باطار اجتماعي يجدون فيه جوا ثقافيا وأخلاقيا مفعما بالاسلام والعروبة".<sup>3</sup>

حيث كانت هاته النوادي الثقافية مراكز تأوي الشبان والا ستخطفهم أماكن اللهو والفجور، حيث قام المصلحون وخاصة من أبناء جمعية العلماء بانشاء عدد كبير من النوادي تربعت على كافة القطر الجزائري ومن أهمها "نادي الترقى" الذي أسس سنة 1927م حيث تكاثف جماعة من أعيان العاصمة وأغنيائها على تأسيسه وفتحوا له محلا ضخما ببطحاء الحكومة بالعاصمة.<sup>4</sup>

وقد أفلحت النوادي التي أسستها جمعية العلماء في تحصيل الشباب الجزائري والوقوف في وجه الحملات الفرنسية التي تهدف الى القضاء على ثقافته وروحه المعنوية، حيث وجد فيها ضالته لاشباع رغباته ثقافيا وروحيا في وقت كاد الاستعمار الفرنسي أن يقضي فيه على كل مظاهر الحياة في الجزائر بما في ذلك المظهرين الثقافي والروحي، بحيث لم يسمح الا بانتشار لغته وثقافته وذلك على حساب اللغة الوطنية والثقافة المحلية<sup>5</sup>، حيث كانت هاته النوادي من أهم الوسائل في

<sup>1</sup> - محمد البشير الابراهيمي، آثار الابراهيمي، المصدر السابق، ج4، ص266.

<sup>2</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص108.

<sup>3</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص378.

<sup>4</sup> - هارون الرشيد بن موسى، المرجع السابق، ص21.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص21.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

نشر ثقافة الوعي الوطني خلال العشرينات من القرن الماضي<sup>1</sup>، فبالإضافة الى نادي الترقى كانت هناك نوادي أخرى كنادي "السعادة" الذي تأسس سنة 1925م ونادي "الاتحاد" ونادي "الارشاد" وكلها مؤسسات تهادية.<sup>2</sup>

وقد كانت النوادي تحتوي على قاعة للاجتماعات وقاعة للصلاة وبشكل ثانوي محل لتقديم المشروبات (الحلال) وخارج النشاطات الرسمية (المحاضرات، الأحاديث، العروض المسرحية، التظاهرات الثقافية أو الدينية بمناسبة الاحتفالات الرسمية الدينية) كان النادي مكانا للقاءات حرا من كل قيد ديني وكان في مقدور الشبان (وكذا الكهول)، اذن الاختلاف على النوادي الإصلاحية دون أن يخشوا الخضوع لفرائض العبادات.<sup>3</sup>

إن تأثير النوادي الثقافية الإصلاحية بناء على ماهيتها لم يكن قابلا للمراقبة، حيث كانت هذه النوادي مجعولة لتشجيع الاحتكاك بين الأعوان الإصلاحيين والشبان فإنها كانت مشرعة لهم دون شرط المواظبة أو الممارسة الدينية، "هذه الصيغة التربوية اللينة جدا لم تكن دون ريب الأنجع من الوجهة الإصلاحية الصرفة ولكنها منذورة أكثر للاعلام منه للتكوين".<sup>4</sup>

ولئن كانت الحركة الإصلاحية لم تتوصل عن طريق مثل هذه المراكز إلى إحداث التحولات الأخلاقية والاجتماعية التي كانت تتطلع إليها نفوس الشبان المسلمين، فإنها مع ذلك استطاعت أن تقي جزء منهم مما كانت تعده مخاطر التسيب والفرنسة، علما بأن الفعالية التي كانت تفتقر إليها النوادي الثقافية عوضت الى حد ما بفعالية تنظيمات الكشافة الإسلامية التي أظهرت لها الحركة الإصلاحية منذ البداية العناية الكبرى.<sup>5</sup>

ولئن كان الدكتور علي مراد حول فعالية النوادي في احداث التحولات الثقافية والاجتماعية المطلوبة صحيحا هذا اذا اعتبرنا أن عمل الحركة الإصلاحية مقصورا على هاته النوادي، ولكن عمل الإصلاحيين في بناء المشروع الثقافي الاصلاحى هو عمل شامل ومتكامل وما النوادي الثقافية الا جزء ووسيلة في هذا المشروع الثقافي الضخم، وما هي الا لبنة من لبنات البناء وليست كل الجدار.

### المطلب السابع: الكشافة الإسلامية

كان الاصلاحيون من بين الأوائل الذين شجعوا تكوين الكشافة الإسلامية في الجزائر على شاكلة الكشافة التي في طور الانتشار في البلدان العربية الشرقية (مثلا مصر سنة 1929) والبلدان المغاربية (مثلا المغرب 1932)<sup>6</sup>، ولما كان جل الاصلاحيين من قدامى تلاميذ الزيتونة ولما كانوا حريصين على معرفة التطور الفكري والاجتماعي والسياسي بتونس

<sup>1</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 162-163.

<sup>2</sup> - أسعد هلالى: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، بيت الحكمة، الجزائر، 2015، ط1، ص 68.

<sup>3</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص 378.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 379.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 379.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 379.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

بفضل الصحافة العربية لهذا البلد فمن المحتمل جدا أن يكونوا استوحوا النموذج التونسي في مجال الكشافة ذلك أنه منذ تأسيسها في 1939م شهدت الكشافة التونسية نجاحا جما.<sup>1</sup>

وهكذا في جو سياسي وديني تأسست الكشافة الإسلامية الجزائرية بسعي من محمد بوراس،<sup>2</sup> وبعض الشبان الملتفين حوله وحسب شهادة أحد رفاق الشهيد محمد بوراس، عبد الرحمان سعدي، عندما منعت الإدارة الاستعمارية العلماء من التدريس في المساجد وقعت مظاهرات خاصة في العاصمة وشارك فيها بوراس وأصدقاؤه وتردد بوراس على نادي الترقى مقر جمعية العلماء فحضر دروس الشيخ الطيب العقبي واجتمع أيضا بالشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أشار عليه بتأسيس فوج كشفي وتنظيم نشاطات سلمية في أحضان الطبيعة، وبذلك تأسس فوج "الفلاح" بالعاصمة سنة 1935 وكانت بذلك انطلاقة الكشافة الإسلامية الجزائرية.<sup>3</sup>

وعليه يتبين لنا أن تأسيس الكشافة الإسلامية كان بايعاز من رجال جمعية العلماء الإصلاحيين وخاصة الشيخ عبد الحميد بن باديس، ان لم يكن بأوامر منهم، كون مؤسس الكشافة الشهيد محمد بوراس قد تلقى تكوينه العلمي والديني والسياسي على أيدي رجال الإصلاح ان لم نقل أنه صنيعه رجال الإصلاح وتم اعداده لهاته المهمة الجسيمة. ويقول علي مراد في ذلك: "ذلك أن الكشافة في بعض الوجوه كانت تتماشى والبيداغوجيا الإصلاحية التي كانت هي الأخرى تستخدم بشكل واسع الشعارات والأناشيد... لقد خدمت الكشافة غايات الإصلاحيين بتمكينهم من القيام في جو من الشرعية بتكوين نخبة خاصة يمكن أن ينظر اليهم مواطنوهم كملمح أولي لما سيكون عليه الجيش الوطني المستقبلي".<sup>4</sup>

وهكذا عاشت الكشافة الإسلامية الجزائرية في كنف الإصلاحيين (على الأقل الى غاية نهاية ما بين الحربين) حيث تلقت الكشافة بعد أن وضعت منذ البداية تحت امارة العروبة والاسلام من الإصلاحيين أساس مبادئ تنظيمها وأناشيدها ومصادرها الدينية والثقافية، لهذا رغم خصائصها المتميزة وغاياتها الشخصية تماهت دائما مع الحركة الإصلاحية.<sup>5</sup>

وبعد تأسيس فوج "الفلاح" تأسست جمعيات أخرى في مليانة، وهران، تلمسان، تيزي وزو، قسنطينة، سطيف، عنابة، بسكرة، تيارت.<sup>6</sup>

**نشاطات الكشافة الإسلامية وكانت نشاطات الكشافة، بحيث كل أسبوع اجتمع يضم أفراد الفوج في جلسات تكوين وتربية وترفيه بينهم، ويقوم المرشد بمناسبة الأعياد الدينية أو غيرها من المناسبات بتنظيم حفلات أو تمثيل روايات،**

<sup>1</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص380.

<sup>2</sup> - محمد بوراس: (1908-1941م) درس في المدرسة الفرنسية ولكنه طرد منها في نهاية الشهادة الابتدائية، فعكف على دراسة العربية في الكتابيب، كما التحق بمولودية الجزائر سنة 1928م وأسس فوجه الكشافي "الفلاح" بالقصبة سنة 1935م، ولكن السلطات الفرنسية اعتقلته واتهمته بالعمالة لألمانيا النازية وأعدم في 27 ماي 1941م أنظر: الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص64.

<sup>3</sup> - أبو عمران الشيخ ومحمد جيحلي: الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008، صص14-15.

<sup>4</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص381.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص382.

<sup>6</sup> - أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص15.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

حيث كان أيضا نشاط المخيمات والجولات في الغابات القريبة والألعاب الرياضية مما يجذب الفتیان والشبان، حيث كان الشبان يتعلمون تاريخهم ويذكرون حضارتهم فلا مكان لتاريخ غيرهم وكانت سياسة الذوبان والاندماج في وطنية أجنبية مرفوضة بكل صرامة، فالأبطال والأعلام المعروف بهم هم أبطال الإسلام وأعلام البلاد والتأكيد انما كان على اعتبار الجزائر وطنا خاصا بالجزائريين له لغته وثقافته وتاريخه.<sup>1</sup>

أيضا تم تنظيم أكبر تجمع كشفي في جويلية 1944 بمدينة تلمسان حضره الشيخ البشير الابراهيمي وفي هذا اللقاء التضامني ردد لأول مرة النشيد الرسمي للكشافة :

من جبالنا طلع صوت الأحرار  
ينادينا للاستقلال.<sup>2</sup>

شارك الكشافون في استعراضات 08 ماي 1945م بلباسهم الرسمي وأعلامهم الوطنية وقد أستشهد العديد منهم في هذه المجازر، كما شاركت الكشافة في المهرجان العالمي ببراغ وقد رفع خلال هذه المشاركة العلم الجزائري، وفي مخيم "مواسون" بباريس وعند الاقلاع من الجزائر اشترط الكشافة حضور رئيس جمعية العلماء البشير الابراهيمي.<sup>3</sup> لقد أنجبت الكشافة طليعة ثورية كانت قمة في التضحية وأداء الواجب الوطني، اذ منها تخرج جيل الثورة حيث كانت مدرسة للوطنية والتربية العسكرية، وفي اواخر 1954 اتصل القائد "القشعي" بجهة التحرير الوطني وأصدر أمرا الى كافة الكشافة بالالتحاق بجهة التحرير الوطني.<sup>4</sup>

### المطلب الثامن: تقديرات النشاط التعليمي

يقول علي مراد: "كانت التقديرات العددية للتلاميذ المختلفين على المدارس الإصلاحية ما بين واحد وعشرة، بيد أننا إذا أخذنا في الحسبان الاشارات الرسمية المقدمة من قبل الشهاب المتعلقة بالوحدات الإصلاحية التي كانت تسدد اشتراكاتها للصندوق المركزي للحركة والتي كانت توحى ببعض الازدهار فبالامكان تسجيل عدد 70 مدرسة وقسم أو قسمين باستثناء بعض المؤسسات الإصلاحية الكبيرة التي تتكون من عدة أقسام مثلما هو موجود في العاصمة وقسنطينة وتلمسان بالنسبة للفترة 1934-1935 وبناء على هذا الأساس يمكننا الخلوص الى عدد متوسط مائة (100) قسم وحوالي 30.000 تلميذ من الجنسين".<sup>5</sup>

ويستخلص من هذا أن العلماء قد أدركوا حقيقة هامة وهي أنه كلما زاد عدد المثقفين اشتدت الدعوة الى المطالبة بالاستقلال سيما وأن الجزائريين كانوا محرومين من التعليم العربي في الوقت الذي كانوا في حاجة ماسة اليه، فعندما قامت الجمعية بتدريس العربية وجد الجزائريون الفرصة سانحة للتعلم دون أن يصبدموا من طرف المسؤولين في هذه المؤسسات التعليمية بأية صعوبة من شأنها أن تعرقل مساعيهم الحميدة في هذا المجال.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص17.

<sup>2</sup> - الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص65.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص65.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص65.

<sup>5</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص413.

<sup>6</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص151.



### المبحث الثالث: النشاط الصحفي

لمواجهة مكايد الاستعمار الفرنسي وتبليغ الدعوة الى سائر المواطنين استخدمت الحركة الاصلاحية كل أسلحة البلاغ والاعلان من خطابات ومحاضرات ودروس وصحافة، وكان لهاته الأخيرة دور في محاربة الأوضاع الفاسدة وأثر كبير في تبليغ الدعوة ونشرها بين الناس، وقد أحس الاستعمار الفرنسي خطورته فحاربه بشتى الوسائل ولكن صوت الحق يرتفع دائما.<sup>1</sup>

#### المطلب الأول: نبذة عن أهم الصحف الإصلاحية التي أنشأها ابن باديس وجمعية العلماء

وقد أنشأ ابن باديس سنة 1925م جريدة عربية أسبوعية باسم "المنتقد" ولم يظهر من هذه الجريدة سوى 18 عدد قبل أن تمنعها السلطات الفرنسية من الصدور، ومن بين المساهمين فيها المؤرخ مبارك الميلي الذي نشر فيها مقالا بعنوان "العقل الجزائري في خطر"،

وهناك مساهم آخر فيها الطيب العقبي الذي نظم شعرا بعنوان "إلى الدين الخالص"، وبعد منع المنتقد من الصدور أنشأ ابن باديس سنة 1925 أيضا "الشهاب" والتي كانت من أكبر المجالات الجزائرية تأثيرا خلال عقدين، وقد بدأت الشهاب تصدر أسبوعية ثم شهرية وكانت تنشر للكتاب والشعراء الجزائريين بالإضافة الى النشر للمفكرين في العالم العربي، ولم تكن الشهاب الجريدة الرسمية للعلماء حتى بعد تأسيس جمعيتهم ولكنها كانت ميدانا لكل المؤيدين المهتمين بالإصلاح الاجتماعي في الجزائر.<sup>2</sup>

وقد حملت الشهاب على غلافها الخارجي "مجلة اسلامية جزائرية" وقد كتب ابن باديس في رأس الصفحة للعدد الأول من مجلة الشهاب الشعار التالي: "تستطيع الظروف أن تكيفنا ولا تستطيع بإذن الله اتلافنا" واستمرت الشهاب حتى شهر سبتمبر من عام 1939م أوقفها ابن باديس من تلقاء نفسه.<sup>3</sup>

حملت مجلة الشهاب لواء الدفاع عن حقوق الوطن الجزائري المهضومة والشخصية القومية للشعب الجزائري، وتحمل مجلة الشهاب على غلافها الخارجي الكلمات التالية: "تبحث في كل ما يرقى المسلم الجزائري"، ثم يوجد بعد ذلك الشعار التالي: "مبدأنا في الإصلاح الديني والديني، لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها"، أما أركان الغلاف الأربعة فكتب عليها "الحرية - العدالة - الأخوة - الاسلام"،<sup>4</sup> وفي الصفحة الداخلية الأولى كتبت الآية الكريمة قال الله تعالى: "قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين".<sup>5</sup>

وكانت لهذه المرونة التي تميزت بها جريدة الشهاب دور في الاحتفاظ بها حتى نهاية سنة 1939م، علاوة على الطابع الديني الذي خرجت به هذه الصحيفة جريدة ومجلة، وفي هذه المجلة حلول لمشاكل كثيرة من مشاكل العصر الذي عاش فيه ابن باديس، ولم تقتصر هذه الحلول على المسائل المحلية الجزائرية ولا الافريقية الاقليمية ولا الشرقية الاسلامية

<sup>1</sup> - محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج2، دار دحلب، الجزائر، 1985، ص91.

<sup>2</sup> - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المصدر السابق، ج2، ص399.

<sup>3</sup> - تركي رابح عامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد، المرجع السابق، صص182-184.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص186.

<sup>5</sup> - سورة يوسف، الآية 108.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

فحسب، بل حتى الانسانية العالمية، ولقد تجند الكثير من العلماء والمصلحين للكتابة في هذه الصحيفة، فاختص الأستاذ أحمد توفيق المدني بالكتابة عن المجتمع الجزائري والشهر السياسي ومحمد السعيد الزاهري بالمقالات الإصلاحية والدعوة الى تجديد الاسلام وتطهيره من البدع والخرافات، ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصدرت قرارا لها سنة 1933م يقضي بتخصيص جزء من الشهاب تنشر فيه خطبها ومحاضراتها وفتاويها وجميع منشوراتها العلمية.<sup>1</sup>

وقد أصدرت جمعية العلماء بعد ذلك جريدة "السنة النبوية" وهي جريدة أسبوعية، تحت اشراف رئيسها عبد الحميد بن باديس وكان يرأس تحريرها الأستاذان الطيب العقبي والسعيد الزاهري، وقد صدر العدد الأول منها في الثامن من ذي الحجة عام 1351هـ وتوقفت في عام 1352هـ/1933م.<sup>2</sup>

بعد توقف جريدة السنة صدرت جريدة "الشرعة المحمدية" وهي جريدة أسبوعية وكذلك لسان حال جمعية العلماء، صدر العدد الأول منها يوم الاثنين 24 ربيع الأول سنة 1352هـ الموافق لـ 07/07/1933م وكانت أيضا تصدر تحت اشراف الأستاذ عبد الحميد بن باديس ويرأس تحريرها الأستاذان الطيب العقبي والسعيد الزاهري ثم صودرت في 28 أوت 1933م.<sup>3</sup>

وبعدها صدرت جريدة "الصراط" وشعارها الآية الكريمة قال الله تعالى "قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى".<sup>4</sup>

صدرت الجريدة بتاريخ 11 سبتمبر 1933 وعطلت في بداية جانفي 1934م وهكذا في سنة واحدة فقط أنشأ العلماء ثلاثة جرائد وأوقفتها الحكومة الفرنسية تباعا، وبعدها صدرت جريدة "البصائر" وهي أسبوعية وكان مديرها ورئيس تحريرها الشيخ الطيب العقبي والسعيد الزاهري، وقد صدر العدد الأول منها في شوال 1353هـ/ 27 ديسمبر 1935م واستمر صدورها حتى قيام الحرب العالمية الثانية، حيث أوقفت جمعية العلماء صحفها وكذلك اجتماعاتها وهكذا عاشت البصائر الأولى نحو خمسة سنوات، نصفها الأول بإدارة الطيب العقبي ونصفها الثاني بإدارة مبارك المليي.<sup>5</sup> واتخذت البصائر شعارها الآية الكريمة قال الله تعالى: "قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ".<sup>6</sup>

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أحييت الجمعية جريدتها السابقة (البصائر) في سلسلة ثانية وكانت باشراف وإدارة رئيس الجمعية البشير الابراهيمي واستمر صدورها قرابة العشر سنوات متتالية (1947-1956) وتوقفت في حرب التحرير الجزائرية عندما طلبت جبهة التحرير الوطني من كل المنظمات والأحزاب أن تتوقف وتنضم إليها.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 140-141.

<sup>2</sup> - محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج 2، ص 91.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 91.

<sup>4</sup> - سورة طه، الآية 135.

<sup>5</sup> - محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج 2، ص 92.

<sup>6</sup> - سورة الأنعام، الآية 104.

<sup>7</sup> - محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج 2، ص 92.

### المطلب الثاني: مجهودات بعض مشائخ الإصلاح في الجانب الصحفي

نشطت أجواء الثقافة الجزائرية وتحركت رواكدها في بداية القرن العشرين على يد فئة من الأدباء الوطنيين أمثال عمر راسم وكان ذلك نتيجة فشل المقاومة المسلحة من جهة، وتأثر هؤلاء بأفكار مدرسة الاماميين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني الإصلاحية، من هنا ظهرت حركة صحفية متميزة (كنتيجة أساسية لذيوع الافكار الوطنية واستحالة كبت الأموال التي ولدتها الحرب في حياة الجزائريين).<sup>1</sup>

حيث كان ثلة من طلبة وعلماء الإصلاح الجزائريين قد ساهموا مساهمة فعالة بكتاباتهم ومقالاتهم الصحفية ونذكر منهم على سبيل المثال:

#### 1-النشاط الصحفي للشيخ محمد السعيد الزاهري

ويعد محمد السعيد الزاهري واحدا من رواد هذه الحركة الصحفية الحديثة في الجزائر بل (شيخ الأدب والصحافة للجزائر المعاصرة).<sup>2</sup>

وقد استهل حياته في هذا الميدان بعد عودته مباشرة من تونس بجريدة سماها "الجزائر" وجعل شعارها "الجزائر للجزائريين" وهي جريدة وطنية جريئة لم يصبر المحتل على حرارة مواضيعها فوئدها الى الأبد بعد صدور ثلاثة أعداد منها كما قال الزاهري نفسه: "أصدرت منها ثلاثة أعداد لم تصبر الادارة على حرارتها وصدق وطنيتها فعملتها وشيكا".<sup>3</sup> أما الجريدة الثانية في السجل الصحفي للزاهري فهي جريدة "البرق" أما الصحف الأخرى الثالثة والرابعة والخامسة فكانت باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبمعية الطيب العقبي وبرئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس وهي "السنة النبوية المحمدية"، و"الشريعة النبوية المحمدية"، و"الصراط السوي"، وميزت كتابات محمد السعيد الزاهري في الصحف الثلاثة من حيث الافكار مواصلة الهجوم على الطرقية وكشف سلوك شيوخها، أما من حيث الأسلوب فقد طبع مقالاته الأسلوب القصصي الشيق الجميل.<sup>4</sup>

وقد واجه الصحفي المصلح عدة صعوبات من طرف الاستعمار الفرنسي فكان كلما نشر مقالة لا تفهمها الادارة الفرنسية يطلبون صاحب المقال ويعذبونه أشد العذاب مثلما حدث للسعيد الزاهري عندما نشر فصلا في جريدة "النور" بعنوان: "اسبانيا الحديثة وموقفها إزاء العروبة والاسلام"، أرسلت السلطة الفرنسية من يطلبونه في تلمسان وهران، وقيل له أن عباراته التي نشرت هي طعن على الجمهورية الفرنسية، وقد رد السعيد الزاهري عن مواقف الاستعمار ضد الصحف العربية بقوله: "فليس أمامنا الا أمران اثنان لا ثالث لهما إما أن نكسر أقلامنا ونريح أنفسنا من هذا العناء، واما أن نصبر ونتحمل، ونستعد لكل بلاء يصيب صحافتنا من الخراب ويصيبنا ...".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - شرف عبد العزيز: المقاومة في الأدب الجزائري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1981، ص32.

<sup>2</sup> - عبد الكريم طيبش: أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة البرق، رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث الحركة الوطنية الجزائرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2006 / 2007، ص38.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص39.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص41.

<sup>5</sup> - محمد السعيد الزاهري: في الموقف الحاضر، الشهاب، مج 3، ج9، أوت 1933، ص ص367-369.

## 2- النشاط الصحفي للشيخ العربي التبسي

لقد كان الشيخ العربي التبسي منبره في الصحافة وذلك من خلال المقالات التي بدأ ينشرها في جريدة "النجاح" ثم في "الشهاب" وهو بعد طالب بالجامع الأزهر، ان وعي العربي التبسي بما لحق المجتمع الجزائري من فساد جعله يساهم في معالجة الوضع بمجموعة من المقالات اختلفت موضوعاتها بين الثورة على الطرقية الفاسدة والدعوة الى التمسك بقيم الدين والدعوة الى تكثيف الجهود وخصوصا أهل العلم من المصلحين من ذلك قوله في مقال نشره بالنجاح سنة 1925م "ان الشعب الذي لا ينتظم تحت مبدأ واحد، ويلتف حول جامع فرد اليه يعمل الكل، منذر بالانهيار مقضي عليه بالفناء العاجل وهذا صحته لا تحتاج الى بيينة...".<sup>1</sup>

وحول هذا النشاط الصحفي الذي ميز احدى جوانب الكفاح عند العربي التبسي يقول محمد علي دبور: "كان الشيخ العربي جادا في مقالاته متقنا لها معنى، لا يكتب إلا في المواضيع المهمة التي تشغل باله وبال الأمة والا في قضايا الاصلاح... وقد شرح في مقالاته أمراض الأمة النفسية وبين أسبابها وعللها، فكانت دروسا عظيمة في التربية والأخلاق وعلم الاجتماع... وقد ترك الشيخ مقالات كثيرة التي لو جمعت لنا كتابا لكانت في أجزاء، انها أصلح وألذ غذاء نقدمه الى الأمة والى مدارسنا وجامعاتنا فيصحون".<sup>2</sup>

## 3- النشاط الصحفي للأستاذ الأمين العمودي

كما نجد المصلح الأمين العمودي الذي اختار الصحافة ذات اللسان الفرنسي من أجل التأثير مباشرة وبفعالية على الشبيبة الجزائرية ذات التكوين الفرنسي، فالدعاية الاصلاحية التي كانت كلها تقريبا باللغة العربية، لم تكن في متناول هذه الشبيبة زمن المحتل، إن العمودي قد وعى عدم الفعالية النسبية للدعاية الاصلاحية وبأنه عزم على تدارك ذلك بوسائله الشخصية، وبعد أن تولى منصب الأمين العام لجمعية العلماء، مدة خمس سنوات أنشأ العمودي جريدة "الدفاع" "La defense" وكان من الصحفيين المسلمين القلائل ذوي اللغة الفرنسية الذين ساهموا بقوة في مقارعة الدعايات الفرنسية وكان يمثل الحركة الاصلاحية الجزائرية ومحرك الصحفيين.<sup>3</sup>

## 4- النشاط الصحفي للشيخ مبارك الملي

لقد عرف الأستاذ مبارك الملي مزايا الصحافة وقدرها وأولاهها عنايته أيام نشاطه الأولى أو منذ عودته من تونس الى الجزائر - بعد أن نال شهادة التطويح سنة 1924 - حتى قررت جمعية العلماء ايقاف "جريدة البصائر" اثر اندلاع الحرب العالمية الثانية في طلائع خريف سنة 1939م، كما أوقف ابن باديس الشهاب عن الصدور نتيجة فرض رقابة شديدة على الصحافة الحرة.<sup>4</sup>

اشتغل مبارك الملي في أفق الصحافة الواسع فكتب في جريدة "السنة" التي أنشأها رجالات جمعية العلماء تلك الجريدة التي ذاعت ذيوعا كبيرا في عهد قصير وأغلق بابها فقطعت، وجدد اسمها "الأمة" ثم قطعت، وجدد اسمها

<sup>1</sup> - أقيس خالد، المرجع السابق، ص ص52-53.

<sup>2</sup> - محمد علي دبور، أعلام الاصلاح في الجزائر، ج2، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1976، ط1، ص55.

<sup>3</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص131.

<sup>4</sup> - أحمد ذياب: الأستاذ مبارك الملي والصحافة، مجلة الأصالة، العدد68-69، الجزائر، 1979، ص97.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

"البصائر" عند ذلك قام برئاسة تحريرها، وكان يكتب الى "الشهاب" لسان حال الأمة الجزائرية خاصة وشمال افريقيا عامة،<sup>1</sup> وكان في ذلك العهد مملوء قوة وحركة ونشاطا، وظهر أسلوبه الكتابي قوي التعبير، وخرج بمقالات في التشريع وكون منها كتابه الأنف الذكر "رسالة الشرك" فكان يؤدي الى الجزائر الفتاة مهمة المشرع النابه فوق مهمته الصحافي والسياسي.<sup>2</sup>

وكان يتضح من مقالاته أنه ذو نزعة استقلالية قوية خاصة في قضية التجنيس إذ يتفق مع أبي يعلى الزواوي في رفضه تماما.<sup>3</sup> حيث كتب في جريدة البصائر مقال بعنوان "فرنسا والعرب المسلمون" عبر فيه عن سياسة فرنسا الادمجية وختمه ببيتين شعريين عبر فيه عن رأيه في المسألة وهما:

فاما أن تكون أخي بصدق ... فأعرف منك غثي من سميني

واما فاحذرنى واتخذني ..... عدوا أتقيك وتتقيني

ومن أشهر الضربات مقالات كان لها أثر عظيم عنونت بـ: "العقل الجزائري في خطر" و"الجمهورية ضمن الملوكية" وغيرها وكان يمجسها باسم "البيضاوي".<sup>4</sup>

أيضا في مقالات الشيخ نجده يستعرض حجج القائلين بوجوب "اعطاء البنت حقها في التعلم والتعليم" وفتح المدارس لها - بلا تحفظ - حتى تنال نصيبها من نور العلم<sup>5</sup>، ومن هذه الزاوية يعتبر ما دبحه المرحوم الأستاذ مبارك المليي - يومئذ - ثورة عارمة على الجمود وتطلعا مبكرا الى مستقبل المرأة الباسم وتمهيدا لاعطائها حقوقها كاملة في ميادين الحياة العامة.<sup>6</sup>

ونجده يكتب في الاقتراحات التي قدمت للنهوض بجريدة البصائر في جعلها في قوله: على العلماء البارزين أن يعنوا بتحرير المقالات الراقية في صحيفتهم بشرط واحد هو ألا يثوروا من تصرف الادارة فيما رأت التصرف فيه بالتنقيح أو بالتلخيص أو بالاهمال فإن الثقة أساس التعاون ... الخ .

وبكلمة موجزة يمكن أن يقال أن دستور الأستاذ مبارك المليي في مسؤولية الجريدة ادارة وتحريرها وتجاوبا مع القراء قد بسطه بسطا شاملا في افتتاحه العدد الأول الذي أصدره بعد انتقال الادارة اليه وفيه عرفنا جليا مقدرة الرجل الصحفية.<sup>7</sup>

### المطلب الثالث: نشاط الميزابيين الاصلاحيين في الجانب الصحفي

وقد ساهم في هذه الحركة الاصلاحية الصحفية شخصيات من الجنوب الجزائري وتحديدًا من وادي ميزاب، حيث صدرت صحيفة أسبوعية تحمل عنوان "وادي ميزاب" في 1 أكتوبر 1926م كانت تطبع في تونس وتوزع في الجزائر،

<sup>1</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، دو 17/05، عبد الحميد زروق: الشيخ مبارك المليي المؤرخ المصلح الصحافي الكبير، المجلة الزيتونية، العدد 10، مارس 1945، ص275.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص272.

<sup>3</sup> - أحمد شرفي الرفاعي: مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الامام مبارك بن محمد المليي، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2011، صص4-5.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، صص353-355.

<sup>5</sup> - أحمد دياب، المرجع السابق، ص98.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص99.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، صص100-101.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

وكان أول الداعين لتأسيسها والعاملين على صدورها الأستاذ "محمد بن صالح الثميني" وهو الذي تولى رئاسة تحريرها، وكان الشيخ الثميني بتونس رئيسا للبعثة الميزابية الى جانب الشيخين أبي اسحاق أطفيش، وأبي اليقظان ابراهيم بن عيسى، هذا الأخير كان مديرا للصحيفة وقد أوقفتها عن الصدور السلطات الاستعمارية سنة 1929م<sup>1</sup>، فأصدر جريدة "ميزاب" طبع العدد الأول منها في تونس في 25 يناير 1930م وتوقفت في نفس السنة، فأصدر جريدة "المغرب" بتاريخ 26 ماي 1930م بالجزائر العاصمة وتوقفت عن الصدور سنة 1931م، فأصدر جريدة "النور" في 15 سبتمبر 1931م، بالجزائر العاصمة لكنها هي الأخرى توقفت عن الصدور سنة 1933م.

وقد قام الشيخ أبو اليقظان باصدار صحيفة "البستان" في سنة 1933م بالجزائر العاصمة لكن السلطات الاستعمارية قامت بتوقيفها بعد صدور العدد العاشر منها في 12 جويلية 1933م فأصدر جريدة "النبراس" في 21 جويلية 1933م بالعاصمة ولم يصدر من هذه الصحيفة الا ستة (6) أعداد فقط اذ توقفت بتاريخ 25 أوت 1933م فأصدر صحيفة "الأمة" في 8 سبتمبر 1933م بالجزائر العاصمة، ثم صدر قرار عن وزارة الداخلية بباريس في 24 ماي 1938 يمنع صدور الصحيفة، فبادر الى إصدار "الفرقان" في 5 جويلية 1938 بالعاصمة ولم يصدر منها سوى ستة (6) أعداد كان آخرها في 2 أوت 1938م.<sup>2</sup>

ونلاحظ جلليا الاصرار على تحدي الادارة الاستعمارية ومواصلة النضال والجهاد الفكري لدى النخبة الاصلاحية الميزابية من خلال إصدار الصحف والمجلات المختلفة المرة تلو الأخرى رغم الاغلاق والتوقيف والمنع والمراقبة. كانت مواضيع صحف أبي اليقظان بصفة عامة ذات بعد أخلاقي وطني أدبي، كما أنها كانت تتابع باهتمام الحركة الاصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكذا الحركة الاصلاحية في ميزاب وتعتبر جريدة "الأمة" الأطول عمرا ضمن جرائد أبي اليقظان حيث صدرت في 170 عددا ممتدة بين 1933 و 1938 والتي أوقفت في 24 ماي 1938م بتهمة كونها أداة حزب الشعب الجزائري ولنفس التهمة تم ايقاف جريدة "الفرقان".<sup>3</sup>

أما على مستوى العامة من الناس فقد كانت الصحف تلقي رواجاً خاصة لدى المثقفين والمؤيدين للحركة الاصلاحية خصوصا وكان لهذه الصحف موزعين في ميزاب، كثيرا ما تعرضوا للمراقبة والمتابعة فكان السيد "دادي واعمر محمد بن عمر" التاجر بغرداية ونائب رئيس جمعية الاصلاح يجمع الكثيرين لقراءة الجرائد العربية المناضلة ومتابعة أخبار بلاد العرب والمسلمين.<sup>4</sup>

ويكفي الاطلاع على التقارير الاستخبارية لادارك مدى المراقبة التي وضعتها الادارة الاستعمارية المحلية في غرداية على هؤلاء الوطنيين.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - غازي الشمري: دور الحركة الاصلاحية في مقاومة الاستعمار الفرنسي خلال فترة ما بين الحربين، الملتقى الدولي "النخب الجزائرية والحركة الاصلاحية في النصف الأول من القرن العشرين"، أيام 20-22 أبريل 2015، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، 2015، ص 99.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 100.

<sup>3</sup> - ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص 171.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 171.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 172.

### المطلب الرابع: نماذج من المواضيع التي تناولتها الصحافة الإصلاحية

يقول الشيخ محمد خير الدين: "ان حركتنا الإصلاحية الجزائرية - منذ بدايتها بعد الحرب العالمية الأولى - كانت لها جذور في الحركة الإصلاحية ذات الصلة الوثيقة بالإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي، ولكن حركة الإصلاح عندنا ان هي اتفقت مع سالفاتها في الأهداف والمرامي، لم تكن متفقة معها في الوسائل والامكانيات وذلك لاختلاف العوامل الداعية اليها هنا وهناك ... وقد دعت الحاجة الى تنظيم صحافة وتأسيس خلايا للحركة في كل أنحاء البلاد بواسطة هؤلاء العلماء والفقهاء المنبثين في كل نواحي الوطن فكانت صحف (المنتقد، والشهاب، والإصلاح وصدى الصحراء) أولى هذه الصحف الداعية الى الله على بصيرة ... ثم بعد تأسيس الجمعية سنة 1931م، فكانت هذه المجموعة من الصحف الأسبوعية لجمعية العلماء (السنة، والشريعة والصراف والبصائر) وهي صحف ختمت أيامها كما بدأت في وسط المعركة الحامية الوطيس بين الحق والباطل والهدى والضلال والعدل والظلم والخير والشر، وهذه الصحف كلها لسان حال جمعية العلماء التي عملت لخير الأمة ... ولو جاز للجمعية اليوم أن تقول شيئاً عن هذه الصحف لما زادت عن قول القائل " تلك أثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا الى الأثار ... " <sup>1</sup>

لقد عملت النخبة الإصلاحية من خلال الصحافة على دفع الأمة الى الاستفاقة من سباتها والوعي بواجباتها اتجاه مستقبل أبنائها والتطلع الى مرحلة ما بعد الاستعمار في هذه المقالات في زمن قل من كان يؤمن بهذه الأفكار. <sup>2</sup> كما واجهت هذه الصحافة الادارة الاستعمارية وكشفت مخططاتها وخفايا مشاريعها ورفعت مشاغل الأمة الى أعلى الهيات، مما كلفها الغلق والمنع والمتابعة، حرضت الأغنياء والميسورين من هذه الأمة على الانفاق في سبل الخير وانتقدت المسرفين والغلاة المتعاونين منهم مع الاستعمار، وحذرت في هذا الصدد من المعاملات التجارية المخالفة للشرع ودعت الى المنافسة الشريفة، كما دعت الى العلم الصحيح، عملت على نشر كل ما من شأنه تهديب النفوس بهدي القرآن والسنة الصحيحة وتطردت إلى نشر تاريخ الأمة الذي من شأنه أن يشعر الناس بالعزة والثقة فكانت بذلك لسان الأمة يعبر عن آمالها وألامها. <sup>3</sup> ومن أهم المواضيع التي كانت تحدث الساعة وعالجتها جرائد الإصلاح نجد مثلاً في جريدة المنتقد التي كانت باكورة صحف الإصلاح آنذاك.

### 1-المواضيع الهامة التي تطرقت اليها صحيفة المنتقد

لقد اتخذ ابن باديس من جريدة المنتقد التي أصدرها سنة 1925م وسيلة لمهاجمة الطرق الصوفية وازهار تصوفها الخادع لأمتة الجزائرية من الوجهتين الدينية والاجتماعية، وقد بين الشيخ ابن باديس أن الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف مبنية على استغلال الشيخ واذلال الناس وتحميد عقولهم وقتل شعورهم وهمهم. <sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد خير الدين: مجموعة جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السنة الأولى شوال 1345هـ - ديسمبر 1935م شوال 1355هـ - جانفي 1937، دار البعث للنشر، الجزائر، (د.ت).

<sup>2</sup> - ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص172.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص172.

<sup>4</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص56.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

ويقول أيضا الشيخ العقبي في إحدى المقالات بالمنتقد: "... بل سبب انحطاطنا ما أحدثه المحدثون في الدين وما أعطوه من عند أنفسهم باسم الدين وما شرعوه لنا في الإسلام مما لم يأذن به الله ودعوا الناس إلى اعتقاده والعمل بمقتضاه... أما الدين الإسلامي فبريء من هذا كله والشريعة مطهرة من كل رجس وعبث لأنها من وضع الحكيم الخبير".<sup>1</sup>

وعالجت المنتقد مشاكل التربية والتعليم، حيث نجد أبو اليقظان في إحدى المقالات يقول: "أولا المدارس فهي المعمل الكفيل لصنع العقول وتربيتها والمصنع الوحيد لابرار النبوغ من ينابيعه واستخراج المواهب من مكامنها والمغرس الخصب لغرس العلم والعرفان، فعلى حسب وجود هذا المعمل وعدمه وكثرتها وقلتها والاعتناء بها واهمالها تكون درجة الرقي أو الانحطاط ومبلغ السعادة أو الشقاء".<sup>2</sup>

ويقول أيضا: "... ثانيا النوادي الأدبية فإنها منبر تتجاوب فيه الخطباء والشعراء بالقاء وتطهير النفوس وتهذيب الأخلاق".<sup>3</sup>

وعليه نجد أن أهم المواضيع التي اهتمت بها أولى صحف العلماء الإصلاحيين هي محاربة البدع والخرافات الصوفية والتركيز على مجال التعليم والتربية لأنها كانت من أولى الأولويات في مرحلة بداية العمل الإصلاحي في الجزائر.

### 2-المواضيع الهامة التي تطرقت إليها مجلة الشهاب

وهي المجلة الثانية التي صدرت بعد المنتقد وقبل تأسيس جمعية العلماء، حيث شرعت مجلة الشهاب وانسجاما مع منطلقها الإصلاحي الوقوف عند مجموعة من المشكلات التي تعرض لها المجتمع الجزائري، وأدركت بشكل مبكر أهمية البحث في تلك المشكلات ووضع الحلول المناسبة لها، إذ أولت اهتماما خاصا بموضوعات تنوعت مضامينها وتباينت تحليلاتها.<sup>4</sup>

فقد آمنت الشهاب بأن بناء المجتمع أو تغيير من وضعه السيء إنما يكون تغيير ما بنفسه نحو الأحسن بواسطة العلم ودعت إلى تعليم أبناء الجزائر بروح جديدة تنير الأبصار والبصائر وتعرف الناشئة بحقيقة بلادهم الاجتماعية وضرورة تغييرها نحو الأكمل.<sup>5</sup>

وبينت المجلة على لسان محررها أن الجرائد الصادرة باللغة الوطنية خصوصا بمثابة مدرسة عمومية تحول فيها أفكار الكتاب وأقلام الساسة لصالح الوطن، وهي تبلغ القاصي والداني الحوادث المستجدة وكذلك تحرك المهتم إلى ميادين العمل... كما تقوم بربط التعارف والأخاء بين أفراد الشعب وبذر بذور الاتحاد وتدافع عن حقوق الأمة....".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - الطيب العقبي: الدين والمجتمع، المنتقد، العدد 06، الخميس 16 محرم 1344 هـ 06 جويلية 1925، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005 م، ص101.

<sup>2</sup> - أبو اليقظان: معالم العقول، المنتقد، العدد 18، الخميس 10 ربيع الثاني 1344 هـ 29 أكتوبر 1925 م، المصدر السابق، ص319.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص319.

<sup>4</sup> - حيدر سعد جواد الأبراهيمي: مجلة الشهاب الجزائرية وآرائها الإصلاحية (1928-1939)، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد 13، السنة السابعة، 2013، جامعة لكوفة، العراق، صص282-283.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 283.

<sup>6</sup> - الشهاب، العدد 4، السنة الأولى، 03 ديسمبر 1926، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ط1، ص9.



## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

لم تنس الشهاب عند تناولها القضايا الاجتماعية أن توثق دور الأسرة في بناء المجتمع الجزائري فقد أولت عناية فائقة بالأسرة الجزائرية بوصفها الحوض الذي يتربى فيه الرجل والمرأة وطريق بناءها الزواج الناجح.<sup>1</sup> كما أوضحت موقفها من قضية تعليم المرأة وتحررها من الحجاب في الاطار الصحيح وأكدت أن ثقافة المرأة هي الثقافة العربية الاسلامية وبينت أن الأم التي تؤمن بالثقافة الاستعمارية تنعدم بذور الوطنية الأولى عند أبناءها ويتكبرون لها ويعتبرون بغير حضارتهم.<sup>2</sup>

وفضلا عن ذلك عاجلت المجلة موضوع استقلال الجزائر كما كان شعور كل وطني واع بمقتضى الفطرة السليمة، فبينما كان الاستعمار يروج لفكرة افريقيا اللاتينية ليثبت استيطانه في تلك الأوطان، فيتجرأ أحد غلاة الساسة الاستعمارية المدعو "بتران" قائلا: "يجب على الأمة الافريقية الشمالية ويقصد بها الجزائر والتي تتمتع منذ قرن تقريبا بنظام ومدن فرنسي أن تعلم إصلاحها وفلاحها لا يكون الا في العودة الى أصلها اللاتيني ويجب عليها أن تلقي كل ما أخذته عن العرب وأن تنأى عن الإسلام الذي ألزمها الانحطاط والتقهقر في وقت ترقى فيه الأمم".<sup>3</sup>

ومن جانبها فقد تصدت المجلة للرد عليه في مقال جريء جاء فيه: "مهلا على رسلك مسيو بتران ان الأمة الافريقية لا تسلم لك أن أصلها لاتيني ولا تتبع رأيك فتطرح دينها... ولأن الأرض التي تقطنها لا مشابها بينها وبين بلاد الغرب... وعليه فافريقية شرقية أصلها في شكل أرضها وفي عادات وأخلاق سكانها والتاريخ يشهد بأن الافريقيين شريقيون لا غربيون وعندئذ لا يسوغ لهم بأي وجه من الوجوه أن يفرضوا في تلك الأخلاق والعادات الحسنة الطاهرة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم الطاهرين...".<sup>4</sup>

وردت الشهاب أيضا على كلام فرحات عباس<sup>5</sup> الاندماجي الذي أنكر وجود الأمة الجزائرية في مقال تحت عنوان: "كلمة صريحة" قالت فيها أننا بحثنا عن الشخصية الجزائرية في الماضي فوجدنا أمة اسلامية جزائرية تكونت ووجدت كما تكونت ووجدت جميع أمم الأرض".<sup>6</sup>

كانت الشهاب وحدوية المبدأ اذ قامت بنشر محاضرة عن الجزائر ألقىت من قبل الشيخ ابن باديس في (قصر الجمعيات) عام 1937 بعد تلقيه دعوة من جمعية الطلبة الجزائريين في تونس والجمعية الودادية الجزائرية الاسلامية بتونس جاد فيها: "ان الجمعيتين اخترنا أن يكون الكلام عن الجزائر وأنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي لأني

<sup>1</sup> - عبد الرحمان شيبان، مجلة الشهاب الغراء، مج 16، السنة 15، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ط1، ص44.

<sup>2</sup> - دور المرأة الجزائرية في التعليم، الشهاب، مج07، ج6، السنة 07، يونيو 1931م، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ط1، ص163.

<sup>3</sup> - حيدر سعد جراد الابراهيمي، المرجع السابق، ص286.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص286.

<sup>5</sup> - فرحات عباس: ولد في بلدة الطاهير سنة 1899م تلقى تعليمه الابتدائي في جيجل والثانوي في قسنطينة والجامعي في الجزائر تخرج صيدليا، أنتخب رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين الجزائريين عام 1926م شارك في الحياة السياسية الجزائرية وكان موقفه متطرفا في نكران القومية الجزائرية، لكنه تراجع فيما بعد عن هذا الموقف. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص373-374.

<sup>6</sup> - كلمة صريحة، الشهاب، مج 12، ج1، السنة 12، أبريل 1936، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ط1، ص350.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

بات هذا الشمال الأفريقي لا ينهض الا بانتفاضة مع بعضه بعضا لكن اذا تحدثت عن الجزائر فانما أتحدث عن جزء من كل وأذكر عن الأخ ما يسر أخيه".<sup>1</sup>

واهتمت الشهاب بالقضية الفلسطينية وهي من أهم قضايا العرب الكبرى حيث تابعت القضية الفلسطينية أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936.<sup>2</sup>

كما تابعت أخبار فلسطين بصورة مستمرة ونقلت لقراءها غالبية ما كتب عنها، فنقلت أخبار المعارك والاصطدامات التي حدثت بين الثوار الفلسطينيين وقوات العدو الصهيوني، وأوضحت المجلة حق الشعب الفلسطيني ونضاله من أجل استعادة أرضه وكذلك دعوة العرب لتأييد حق الفلسطينيين ومساعدتهم ودعم كفاحهم المادي والمعنوي وكل ما يترتب من معونة.<sup>3</sup>

### 3-المواضيع الهامة التي تطرقت لها صحيفة البصائر

اللافت للنظر من خلال محتويات أعداد جريدة البصائر الأولى المائة والثمانين هو طابعها النضالي في جميع الجبهات والتي اتخذت عدة أبعاد منها الوطنية الاقليمية والدولية، كما شملت جميع الميادين الأدبية والفكرية الدينية، الثقافية السياسية القضايا العربية وحتى الاجراءات والقوانين الاستعمارية، واذا لوحظ غياب الجانب الاقتصادي فذلك لا يعني اهمالا له بل مراعاة للأوضاع لأن أولويات العمل في تلك الفترات فرضت على الجمعية أن تنشر تحت شعار التعليم حتى لا يبطش بها المستعمر في مهدها.<sup>4</sup>

أما المواضيع التي ركزت عليها جريدة البصائر الأولى 1935-1939 بحكم أنها لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي:

- التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتعميم انتشار الفكرة الإصلاحية في مختلف جهات القطر الجزائري.
- محاربة الطريقة حيث خصصت لها صحافة الجمعية وبالأخص البصائر العديد من المقالات.
- التصدي للانحراف الخلفي والدفاع عن الشخصية الوطنية والبعد العربي الاسلامي.
- فضح الأساليب الاستعمارية الرامية الى مسح الهوية الجزائرية بفرنستها وتنصيرها.
- متابعة جميع أنشطة الجمعية خاصة السياسة مثل "المؤتمر الاسلامي" 1936.
- العناية بالشبيبة الجزائرية وحمايتها من سموم الاستعمار ومؤسساته.

<sup>1</sup> - الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري الشقيق، الشهاب، مج 13، السنة 13، ج5، 10 جوان 1937، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ط1، ص259.

<sup>2</sup> - قامت الثورة الفلسطينية الكبرى في 25 أبريل 1936م على سلطات الانتداب البريطاني والمنظمات الصهيونية واجتمعت فيها كلمة كل الأحزاب واللجان القومية برئاسة السيد محمد أمين الحسيني، رئيس المجلس الاسلامي الأعلى وقررت استمرار الاضراب حتى تجاب مطالبها التي اشتملت على منع المحجرة اليهودية ومنع انتقال الأراضي العربية الى اليهود وانشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي. أنظر: جلال يحيى: العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965، صص 321-323.

<sup>3</sup> - خيرية عبد الصاحب وادي، المرجع السابق، ص77.

<sup>4</sup> - محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج2، صص 106-107.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

- مساندة القضايا العربية الاسلامية في شمال افريقيا اضافة الى القضية الفلسطينية.<sup>1</sup>

وهناك دليل آخر على الاهتمام الصحفي لجمعية العلماء بوحدة الشمال الافريقي واهتمامها بمشكلاته، ومن ذلك نقلها عن الصحف التونسية أقوال وأخبار زعمائها، فقد نقلت البصائر في عددها الصادر في 5 جمادى الثانية 1356 هـ الموافق ل 3 أغسطس 1937م مقابلة أجراها رئيس تحرير جريدة "العصر" التونسية مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي، والتي تحدث فيها عن الاستعمار الأوروبي وبخاصة الفرنسي في الشمال الافريقي وفي سوريا موضحا تطلعاته وتطلعات شعوب هذه البلاد الى الاستقلال.<sup>2</sup>

ودليل آخر على ذلك هو ما نشرته البصائر حول قيام السلطة في المغرب بمنع المسلمين من اقامة أي احتفال بمولد النبي الكريم حيث تقول: "ولكي يشاركنا قراء البصائر دهشتنا وحيرتنا هذه ننقل اليهم، كل ما جاء في ذلك الملحق الصادر بتاريخ 27 ربيع الأول بالحرف الواحد محتجين - كمسلمين - بكل شدة على الاجراءات الفظيعة..."<sup>3</sup> وقد جاء الاحتجاج بهذا العنوان الواضح "احتجاج الحركة الوطنية"<sup>4</sup>.

ومن خلال سردنا لأهم المواضيع التي كانت تتناولها مجلة الشهاب وصحفية البصائر بحكم أن هاتين الصحفتين قد عمرتا نوعا ما مقارنة بغيرها من الصحف التي أصدرها الاصلاحيون أو بعد ذلك جمعية العلماء، أن هناك تطور في طرح المواضيع والخروج من مواضيع التعليم والأخلاق والعقيدة الى مواكبة تطور الأحداث الوطنية والسياسية، كون الأولى الشهاب كانت اللسان الناطق للشيخ ابن باديس والثانية البصائر لسان حال جمعية العلماء وكتلتاهما ساهمتا مساهمة فعالة في يقظة الأمة الجزائرية ونشر الفكر الاصلاحى والدفاع عن الثوابت الوطنية، بكل وضوح واستمرارية .

### المبحث الرابع: ممارسة وتطوير العمل السياسي 1920-1935

لقد كان تحرك الاصلاحيين الجزائريين بقيادة الشيخ ابن باديس في فترة العشرينات عبارة عن الارهاصات الأولى لتكتل الاصلاحيين في تنظيم موحد يتحركون ضمنه ويبرزون مواقفهم ويعبرون عن مبادئهم وأفكارهم من خلاله. لقد كان الشيخ ابن باديس وهو العالم المصلح الا أن يسلك مسالك السياسة ويخوض غمارها ولا بد من ذلك لمن رام اصلاح أمة وسعى في استقلالها، وقد تناول ابن باديس هذه المسألة في احدى محاضراته فقال: "كلامنا اليوم عن العلم والسياسة معا وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة مع أنه لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم ولا ينهض العلم والدين حق النهوض الا اذا نهضت السياسة بجد"<sup>5</sup>، ويقول أيضا: "... ثم ما العيب الذي يعاب به العلماء المسلمون إذا شاركوا في السياسة؟

<sup>1</sup> - سومية بوسعيد: القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البصائر نموذجاً، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجليلي اليابس سيدي بلعباس، 2015/2014، صص 148-149.

<sup>2</sup> - مازن مطبقاني، المرجع السابق، ص132. نقلا عن: البصائر، العدد 78 في 5 جمادى الثانية 1356 هـ الموافق ل 13 أغسطس 1937م.

<sup>3</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص132. نقلا عن: البصائر، العدد 72 في 16 ربيع الثاني 1356 هـ/ 25 يونيو 1937م.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص132.

<sup>5</sup> - عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج4، ص331.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى من رجال الديانات الأخرى؟ وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية من آثار الوزير القديس ريشيليو؟ أفيحوز الشيء ويحسن إذا كان من هنالك ويحرم ويقبح إذا كان من هنا؟ كلا لا عيب ولا ملامة".<sup>1</sup> وهذه التبريرات لدخول الاصلاحيين في العمل السياسي الى جانب اخوانهم الوطنيين من الأحزاب الأخرى، لم تكن وليدة الساعة وانما مهد لها ابن باديس واخوانه منذ عودتهم من المشرق في بداية العشرينات من القرن الماضي. ففي أول عدد المنتقد أعلن الشيخ عن مبادئ الصحيفة وكان منها المبدأ السياسي وذكر أن المبدأ قائم على "المحافظة التامة على جميع مقوماتنا ومميزاتها كأمة لها مقوماتها والمطالبة بجميع حقوقنا السياسية والاجتماعية لجميع طبقاتنا دون الرضى بأي تنقيص أو أي تمييز".<sup>2</sup>

### المطلب الأول: الارهاصات الأولى لتبلور الفكر السياسي الاصلاحى 1920-1931

عند عودة العلماء الى الجزائر اثر الحرب العالمية الأولى - الذين كانوا مفعمين بالمطامح والأفكار المعادية للفرنسيين والذين وجدوا زملائهم في الوطن في حالة سبات، يائسين معزولين والذين اكتسبوا تجارب غنية وطوروا وعيا سياسيا - ركزوا جهودهم الاصلاحية في خلق الصحافة والمدارس والنوادي الثقافية وهكذا عادت للظهور بينهم فكرة انشاء منظمة تعكس تفكيرهم وتوجه جهودهم.<sup>3</sup>

وبناء على رأي ابراهيمي فقد كان هناك نوعان من المتعلمين في الجزائر خلال العشرينات الأول العلماء، أي أولئك المثقفون الذين كانوا واعين سايسيا ولهم اتجاه اصلاحى والثاني قليلو الثقافة والذين كان لهم اتجاه ديني والذين تخرجوا من الزوايا المحلية وغيرها من المراكز الدينية وأضاف ابراهيمي بأنه كان بإمكان العلماء تأسيس جمعية للاصلاح الديني ولكنهم لم يريدوا عزل زملائهم من المحافظين لذلك كان العلماء الاصلاحيون مقتنعون أن أي منظمة ناجحة يجب أن تضم المحافظين أيضا، ولم تتحقق هذه الخطة سوى في سنة 1931م عندما ولدت الجمعية كانت تمثل علماء الجزائر من أصحاب الاتجاهين.<sup>4</sup>

ولكن خلق جمعية لكل علماء الجزائر سنة 1931م قد سبقته يقظة عامة للبلاد، وبين 1919 و 1931 غطت هذه اليقظة كل مظهر من مظاهر الحياة الجزائرية ففي الحقل الاقتصادي كانت هناك منافسة مع الفرنسيين، وفي الميدان الثقافي كان هناك انشاء النوادي والجمعيات، بالاضافة الى الهجرة للدراسة، وفي ميدان الدين كان هناك خلق المساجد الحرة بأموال الشعب في المدن والقرى، وفي النطاق النفسي كان هناك تفكير جاد ومباشر وثقة لدى الجزائريين بالاضافة الى اعتقاد راسخ بوجود "الأمة"، وفي الحياة السياسية كان هناك شعور خاص نحو الاسلام واللغة العربية، وبناء على رأي العلماء فإن هذه التطورات قد جعلت خلق جمعيتهم ممكنا وضروريا لأن الفكرة كانت ناضجة والأمة كانت مستعدة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج3، ص295.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج4، ص361.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص387.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص388.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص390.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

إن عبد الحميد ابن باديس رجل المهام الذي انطلق للعمل وحده وشخصيا في التدريس والتعليم ورجل الصحافة ورجل دين ومفكر من أجل حركة الإصلاح وأيضا ساهم في العمل السياسي مع المنظمات المناضلة الوطنية سنوات 1930، فالعلماء انخرطوا في المناخ السياسي الجزائري قبل حتى أن تؤسس جمعيتهم بشكل فردي خاصة في قسنطينة وتحت دافع قاموا بالتقرب من فدرالية المنتخبين بقسنطينة فابن باديس وابن جلول كانوا أقارب.<sup>1</sup>

لقد كان العلماء ببعد نظرهم يواكبون كل المراحل التي تمر بها الجزائر فلقد كان ابن باديس واخوانه يهتمون بالمشاكل السياسية ويتناقش فيها ويتحدث الى الجماهير عنها، وكان يتجاوز ذلك الى تحليل كل الابعاد العميقة التي لا تظهر للعيان في الحال لأنها ما تزال محتفية في أضواء المستقبل، ومن أبرز مميزاته في هذا المجال أنه كان يهتدي لأحسن الشعارات تعبيرا عن طبيعة المرحلة، فقد كان الشعار الذي يضعه على غلاف "الشهاب" في الثلاثينيات هو "الحق - العدل - المؤاخاة" في اعطاء الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات وكان هذا الشعار في أعوام 1929، 1930، 1931 تعبيرا عن اهتمامات مرحلة معينة من مراحل الكفاح السياسي كان اهتمام السياسييين فيها منصرفا الى الحصول على جميع الحقوق المدنية والسياسية والغاء الفروق التي كانت تجعل من الجزائري مواطنا من الدرجة الثانية.<sup>2</sup>

حيث يقول ابن باديس في جريدة المنتقد العدد الأول الصادر يوم الخميس 2 جويلية 1925 مايلي: "من المستحيل أن تكون الظروف دائما ملائمة لنا ومساعدة على القيام بمقاصدنا فمن الوهم أن نعتمد دائما عليها ومن المستحيل أيضا أن لا نستطيع أن نوفق بوجه ما بيننا وبينها فمن الوهن أن نقف أو أن نسقط عندما تعاكسنا، فاغتنامها اذا ساعدت والتكيف بها الى حد ما اذا عاكست شرط العمل والفوز في هاته الحياة".<sup>3</sup>

وهذا الكلام من ابن باديس ان دل على شيء فهو يدل دلالة قطعية على التوجه المحلي الذي سار عليه العلماء في تطورهم نحو العمل السياسي والاعتماد على منهجية محمد عبده في التدرج واغتنام الفرص إذا ساعدت، وهو ما ستره عند تأسيس الجمعية حيث انتهزوا فرصة الاحتفالات المثوية والاحتقان الشعبي والتساهل الاداري الاستعماري للتخفيف من حدة هذا الاحتقان حيث بادروا الى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

### المطلب الثاني: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 م

لقد ارتأينا من وجهة نظرنا أن نضع عنوان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجانب السياسي ولم نتكلم عنها عمدا عندما تناولنا تأسيس الجمعيات من طرف العلماء الإصلاحيين، وذلك لأننا رأينا أن جمعية العلماء أو

<sup>1</sup> - Fromage Julien : la fédération des élus musulmans du département de constantine a l'est se leve la natabilité (1932 -1943), colloque pour une histoire critique et citoyenne, le cas de l'histoire franco-algerienne ,20-12 juin 2006 , Lyon , ens , lsh , 2007 , <http://ens-web3.ens-lsh-pr/colloques/France -algerie/communication.php3id=article:233>, date de viste : 05/08/2019, 10.30.

<sup>2</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص57.

<sup>3</sup> - عبد الحميد ابن باديس: خواطر، المنتقد، العدد 1، الخميس 11 ذي الحجة 1343هـ / 02 جويلية 1925م، المنتقد 1925، ج1، دار الهدى، عيد ميلية، الجزائر، 2005، ص20.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

بالأحرى العلماء الاصلاحيين قد مارسوا النشاط السياسي بشكل منظم كحزب من الأحزاب السياسية الوطنية الأخرى من خلال تأسيسهم للجمعية وتكتلهم فيها.

لقد كان عبد الحميد ابن باديس يؤمن بالعمل الجماعي وبالنشاط وبالتشاور والتحاور فرصد جهده لتكوين جماعة منظمة تفكر وتدبر وتأزر وتنهض بالمسلمين وهذا من صميم الفكر السياسي الثوري الذي يعتمد على العمل الجماعي، وكانت جرائده تحمل شعارات سياسية بامتياز "الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا" وشعار "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء" وكذلك شعار "الحق والعدل والمؤاخاة في اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات" ثم شعار "فلنعتمد على أنفسنا ونتكل على الله".<sup>1</sup>

### 1- التحركات الأولى لتوحيد الجهود

تذكر مصادر الجمعية أن التفكير في العمل الاصلاحى المنظم يعود الى بداية القرن العشرين وعلى وجه التحديد عام 1331هـ 1913م حينما التقى ابن باديس بالابراهيمى في المدينة المنورة ومكثا ثلاثة أشهر يلتقيان كل ليلة من بعد صلاة العشاء حتى الفجر يدرسان ما يمكن عمله اذا ما عادا الى الجزائر للقيام بحركة إصلاحية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وعودتهما الى الجزائر استمر الاتصال بينهما في سطيف حيث مقر الشيخ الابراهيمى وذلك مرة كل أسبوعين وعلى الأكثر مرة كل شهر.<sup>2</sup>

وقد ذكر الابراهيمى أن الليالي الأولى التي كان يسمر فيها هو وابن باديس للتخطيط للإصلاح وضعت جمعية العلماء هدفا لهم قال: "وأشهد الله الى أن تلك الليالي من سنة 1913م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود الا في سنة 1931".<sup>3</sup>

وفي عام (1342هـ/1924م) تدارس ابن باديس مع الابراهيمى في سطيف تأسيس جمعية للعلماء باسم (الإخاء العلمي) لكن هذا المشروع لم يتيسر قيامه لعدم توفر الظروف المناسبة اذ لا بد من زمن واسع، حتى يختمر وتتهياً له الظروف وتأنس اليه نفوس العلماء وتقتنع به.<sup>4</sup>

وقد ذكر أحد رجال الجمعية في مذكراته أنه في عام 1346هـ/1927م دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة يدرسون فيها أوضاع الجزائر وما يمكن عمله لإصلاح هذه الأوضاع وكان ممن لبي الدعوة البشير الابراهيمى ومبارك الميلي والعربي بن بلقاسم التبسي ومحمد السعيد الزاهري ومحمد خير الدين واتفقوا على خطة عمل تقضي بانشاء المدارس الحرة للتعليم العربي والتربية الاسلامية والعمل على نشر الدعوة

<sup>1</sup> - عبد العزيز فيلاي: الشيخ عبد الحميد ابن باديس وعيه بالاستعمار وبالثقافة الغربية من خلال أرشيف الاستخبارات الفرنسية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2016، ص28.

<sup>2</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص69.

<sup>3</sup> - مركز الدراسات والبحوث، المرجع السابق، ص146.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص147.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

الإصلاحية في المساجد الحرة واستخدام الصحافة والنوادي وانشاء فرق الكشافة الاسلامية للشباب هادفين من ذلك كله "اذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية والخضوع للأجنبي".<sup>1</sup>

ومهد الشيخ عبد الحميد بن باديس ومن معه من الاصلاحيين بحملة اعلامية لتكوين رأي عام للتوجه نحو انشاء جمعية تجمع شمل العلماء، وقد حملت الشهاب هذه المهمة بقوة ومن مقالات الشيخ قوله في العدد الثالث من الشهاب 1344هـ/1927م "أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري ان التعارف أساس التآلف والاتحاد شرط النجاح، فهلموا الى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض"<sup>2</sup>، يكون هدفه تنقية الدين من الخرافات والبدع والعودة الى مصادره الأولى: القرآن والسنة النبوية وطالبت الدعوة كل مثقف وكل مناصر للإصلاح يوافق على هذه الفكرة أن يكتب الى ادارة الجريدة رأيه، حتى اذا كان عدد الموافقين كاف يباشر بتأسيس الحزب،<sup>3</sup> وسرعان ما انهالت على ادارة الجريدة موافقات العلماء المصلحين، وكانت أولى هذه الرسائل المؤيدة هي رسالة الشيخ مبارك العقبي ثم تليها رسالة الشيخ المولود بن الصديق الحافظي،<sup>4</sup> ثم الشيخ مبارك المليي ورسالة الشيخ العربي التبسي وتوالى بعد ذلك الموافقات والترحيبات بانشاء هذا الحزب<sup>5</sup>، ولكن يبدو أن الظروف التي حالت دون تكوين "جمعية الاخاء العلمي" قد حالت هي الأخرى في وجه انشاء "حزب الاصلاح الديني"، فبالرغم من أن الحاكم العام للجزائر "فيوليت"<sup>6</sup>، قد أجاز لبعض الصحف الإصلاحية بالظهور والانتشار الا أنه لم يتحمل فكرة انشاء "حزب اصلاحي" يمكن أن يحدث هزة في الفكر الديني والاجتماعي بالجزائر،<sup>7</sup> وعلى الرغم من معارضة الادارة الفرنسية وتردد بعض العلماء فقد استمرت فكرة تأسيس جمعية لها أهداف دينية وثقافية وكانت هذه الفكرة هي الشغل الشاغل لبعض العلماء طيلة الفترة من 1925م الى 1930م، ومع بلوغ سنة 1930 أقامت السلطات الفرنسية احتفالا ضخما بعيدها المؤوي لاحتلال الجزائر وقد رافق هذه الاحتفالات استفزاز واضح لمشاعر المسلمين الجزائريين فكان لهذه الاحتفالات أسوأ الأثر على الشعب الجزائري وحركت ما كان كامنا في نفوسهم فراح يقاطع هذه الاحتفالات ويزيد من التفافه حول رجال الاصلاح، كما ظهر نوع من الجو الأخوي بين مختلف علماء الجزائر الذين تأكدوا من ضرورة العمل المشترك ضد الاحتلال الفرنسي ولعل هذا ما شجع العلماء على الاسراع في اظهار جمعية العلماء الى الوجود.<sup>8</sup>

<sup>1</sup>- مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 70-71.

<sup>2</sup>- مركز الدراسات والبحوث، المرجع السابق، ص 147.

<sup>3</sup>- أمين بلعيفة: التنشئة السياسية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931-1956، رسالة ماجستير في التنظيم السياسي والاداري، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008/2007، ص 93.

<sup>4</sup>- المولود حافظي: 1895-1948م من مواليد قرية بوقاعة ضواحي سطيف بدأ التعليم بالكتاب ثم سافر إلى مصر، حيث أتم دراسته بالأزهر، بدأ نشاطه الصحفي سنة 1925، كان من أنصار جمعية علماء السنة سنة 1932، تقلد عدة وظائف إدارية. أنظر: خير الدين شترة، اسهامات النخبة، المرجع السابق، ص 319.

<sup>5</sup>- أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وآثارها الإصلاحية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 98.

<sup>6</sup>- موريس فيوليت (Morice Violette): عضو في البرلمان الفرنسي عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي، عمل حاكما للجزائر وأعفي من منصبه لكراهية المستوطنين له، عمل في وزارة الجبهة الشعبية وزير دولة، وقدم مشروعا نال اهتماما واسعا في الجزائر. أنظر: مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 170.

<sup>7</sup>- أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 99.

<sup>8</sup>- أمين بلعيفة، المرجع السابق، ص 93.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

ويقول أبو القاسم سعد الله: "... وفي نظري أن عوامل ظهور هذه الجمعية ما تزال غير مدروسة، حيث أن معظم الباحثين يستندون إلى المقولة التي تذهب إلى أن الجمعية ظهرت كرد فعل على الاحتفالات المثوية بالاحتلال ولكن هل ذلك يكفي؟"<sup>1</sup>، ويجب على ذلك قائلا: "إننا إذا عرفنا الظروف التي ظهرت فيها الأحزاب في ذلك العهد واللعبه المطلوب أو المأمول منهم تنفيذها، قد ننتهي إلى تفسير الظروف التي ظهرت فيها الأحزاب والتجمعات في العهد الاستعماري الفرنسي ولكن المطلوب أو المأمول لا يتحقق دائما بالطريقة التي خططت فالرياح أحيانا تجري معاكسة للمطلوب والمأمول..."<sup>2</sup>، لقد سمح الاستعمار الفرنسي بتكوين "جمعية دينية - تهذيبية - لا دخل لها في السياسة" أو نقابة دينية إذا صح التعبير فإذا بها تتحول إلى مؤسسة تخدم النظام القائم وتعمل على بعث شخصية الجزائر الضائعة وتضع لذلك ثوابت ما تزال على كل لسان وهي الجزائر - الإسلام - العربية، وهي ثوابت إذا ترجمت بلغة القومية تصبح دعوة إلى انشاء دولة مستقلة.<sup>3</sup>

ومهما يكن الأمر فإن تأسيس الجمعية لم يكن رد فعل على الاحتفالات المثوية حيث أننا وضعنا قبل ذلك كيف كانت التحركات والمشاورات لتأسيس الجمعية قبل ذلك بعشرات السنين من طرف علماء الإصلاح الجزائريين.

### 2- كيفية تأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين

ثم كانت الخطوات الأخيرة التي توجت هذه الجهود وهي مشاركة أعضاء نادي الترقى في استضافة العلماء في ناديتهم،<sup>4</sup> وفي هذا الظرف أعلن أحد أثرياء العاصمة وعضو نادي الترقى وهو عمر اسماعيل عن منحه جائزة قدرها ألف فرنك لمن ينجح في وضع قواعد حركة تحمل "اسم جمعية العلماء" وذلك في مطلع عام 1931م كما التزم بأنه سيدفع مبلغ ألف فرنك أخرى لخزينة هذه الجمعية بمجرد تشكيلها لاستعماله في عملية التأسيس والاعلان والبرنامج المعد<sup>5</sup>، وقد نشرت الشهاب في عددها الصادر في فيفري 1931م نداء في خمسة صفحات من أجل تأسيس جمعية العلماء.<sup>6</sup>

وقد تنادى أهل الإصلاح إلى اجتماع عام للعلماء لتأسيس جمعية لهم، وحدد الموعد على الساعة الثامنة صباحا يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة 1349هـ الموافق ل 5 ماي 1931م في نادي الترقى بالعاصمة وفي ذلك اليوم حضر العلماء وأقروا القانون الأساسي للجمعية المعد سلفا، وتوالت الاجتماعات التأسيسية لمدة أربعة أيام، وكان ابن باديس غائبا في اليومين الأولين ومع ذلك أنتخب رئيسا للجمعية ولعل غيابه كان بتخطيط مسبق، نذكره من قول البشير الابراهيمي عن تأسيس الجمعية: "دعونا فقهاء الوطن كلهم وكانت الدعوة التي وجهناها إليهم صادرة باسم الأمة كلها، ليس فيها اسمي ولا اسم ابن باديس لأن أولئك الفقهاء كانوا يخافونا لما سبق لنا من الحملات الصادقة على جمودهم ...

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1996، ص 143.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص143.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص143.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ج2، ص216.

<sup>5</sup> - Merad Ali, op. cit, p 119.

<sup>6</sup> - Charlotte Courreye : l'association des oulemas musulmans algeriens et la construction de l'etat algerien independant, fondation heritages, appropriations et antagonismes (1931-1991), These de doctorah en Littératures, Université Sorbonne, Paris, France, 2016, P63.



## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

فاستجابوا جميعا للدعوة واجتمعوا في يومنا المقرر ودام اجتماعنا في نادي الترقى بالجزائر أربعة أيام ... وانتخبوا ابن باديس رئيسا<sup>1</sup>.

ويقول الابراهيمى أيضا: "فأعلننا تأسيس الجمعية في شهر مايو بعد أن حضرنا لها قانونا أساسيا مختصرا من وضعي أدرته على قواعد من العلم والدين لا تثير شكاً ولا تخيف"<sup>2</sup>.  
وقد تم اختيار المجلس الإداري الأول، وهو كالتالي:<sup>3</sup>

(1)- عبد الحميد ابن باديس، رئيسا

(2)- محمد البشير الابراهيمى، نائبه

(3)- محمد الأمين العمودي، كاتباً

(4)- الأستاذ الطيب العقبي، معاونه

(5)- مبارك الملي، أمين المال

(6)- ابراهيم بيوض، معاونه

(7)- المولود الحافظي، مستشار

(8)- مولاي ابن الشريف، مستشار

(9)- الطيب المهاجي، مستشار

(10)- السعيد الياجري، مستشار

(11)- حسن الطرابلسي، مستشار

(12)- عبد القادر القاسمي، مستشار

(13)- محمد الفضيل الورتلاني، مستشار.

كما تم تعيين لجنة العمل الدائمة من سكان العاصمة وكانت كالتالي:<sup>4</sup>

(1)- السيد عمر إسماعيل، عضو

(2)- محمد المهدي، عضو

(3)- أيت سي أحمد عبد العزيز، عضو

(4)- محمد الزمرلي، عضو

(5)- الحاج عمر العنق، عضو

وقد كتب برنامج الجمعية، بالعربية والفرنسية وأعلن عنه في جمعية عامة (المجلس العام) السنوي، تمخض عنه لجنة

مسيرة ومجلس اداري وكانت حسب قانونها الأساسي تتكون أو تنقسم الى صنفين:

<sup>1</sup> - محمد البشير الابراهيمى، آثار الابراهيمى، المصدر السابق، ج5، ص281.

<sup>2</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص78-79.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي، المصدر السابق، ج1، ص213.

<sup>4</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص80.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

**أولاً: حسب المادة 12:** الأعضاء العاملون أو النشطون ويطلق عليهم لقب عالم على مستوى القطر الجزائري وهنا نميز بين الطلبة والحاملين للشهادات المدرسية الرسمية أو الذين درسوا في معاهد اسلامية أخرى.

**ثانياً: حسب المادة 13:** الأعضاء المساعدون أو المؤيدون وهم الذين يؤمنون بمشروع الجمعية والذين يساعدون الجمعية بالمال أو بالأعمال التطوعية ويعملون على نشر الدعاية للدعوة الإصلاحية.<sup>1</sup>

"والأعضاء الفاعلون يتكون منهم المجلس الاداري الذي ترأس الجمعية الى غاية تعديل نظامها الداخلي سنة 1951، حيث يتولد عن المؤتمر مجلس اداري ويتولد عن المجلس الاداري لجنة مسيرة دائمة، وعليه فالجمعية تسير من قبل مجلس اداري به أمانة عامة تنفيذية تتكون من رئيس ونائب رئيس وأمين عام وأمين المال العام".<sup>2</sup>

وتكمن أهمية الأمانة العامة الدائمة واللجنة المسيرة الفاعلة البحث بسرعة وديناميكية على بعث اللجان المحلية والجمعيات التابعة للجمعية الأم.<sup>3</sup>

### 3- أهم المواد في القانون الأساسي للجمعية ومناقشتها

وما يهمنا في الحديث عن القانون الأساسي للجمعية المواد التالية:

**أولاً: الفصل الثالث من القسم الأول:** "لا يسوغ لهذه الجمعية بحال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية".

**ثانياً: الفصل الرابع من القسم الثاني:** "القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يجرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل".

**ثالثاً: الفصل السادس:** "للجمعية أن تؤسس شعباً في القطر وأن تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي". ومن الواضح أن الجمعية حسب هذه المواد من قانونها الأساسي تعد امتداداً للحركة الإصلاحية التي بدأت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وقويت واشتد ساعدها منذ تأسيس صحيفة "المنتقد".<sup>4</sup>

وقد أثارت المادة الخاصة بامتناع الجمعية عن الخوض أو التداخل في المسائل السياسية الكثير من النقاش سواء لدى الكتاب المسلمين أو غير المسلمين<sup>5</sup>، حيث نجد الدكتور رابح تركي يقول حول هاته النقطة: "اعلان الجمعية بأنها ليست سياسية هو تجنب المصير الذي تلقته معظم الحركات السياسية والوطنية في الجزائر، ولكنها كانت تشكل خطراً على المستعمر وتمنعه من تنفيذ أحكامه الاستثنائية التي كانت تكتم أنفاس الجزائريين، وتحت ستار العمل الديني ونشر

<sup>1</sup> - Charlotte Courreye, opcit, p 60.

<sup>2</sup> - Ibid, p 61.

<sup>3</sup> - Ibid, p 61.

<sup>4</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 82.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 84.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

التعليم والتهديب ودروس الوعظ كانت الجمعية تخوض في المسائل السياسية وتوجه الشعب توجيهها عربيا اسلاميا يتناقض مع سياسة الاحتلال...<sup>1</sup>

وقد جاء التأكيد على هذا المبدأ أيضا في مجالات أخرى ومنها ما جاء على لسان الامام عبد الحميد بن باديس في قوله: "ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد صرحت في ظروف وفرص مختلفة ولازالت تصرح وتؤكد أنها بريئة من كل صبغة سياسية وأن خطتها وغايتها وأغراضها التي لم تحد ولن تحيد عنها قط هي دينية علمية تهذيبية لا غير"<sup>2</sup>.  
لم تكن هذه التأكيدات الا تظاهرات وتحفظات من قبل أعضاء الجمعية حتى لا تكون تحت سيطرة الاستعمار ولم تكن بذلك أن تتخلى عن جانب من جوانب الإصلاح، فانها كانت تدرك أن الإصلاح الفعال الذي يجب أن يتحقق في الجزائر لا يجب أن يقتصر على جانب دون جانب آخر، وانما يجب أن يكون شاملا لكل جوانب الحياة والإصلاح في حقيقته قد يبدأ بالثقافة أو الدين أو المجتمع ولكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في المجتمع بما في ذلك السياسة.<sup>3</sup>

وجمعية العلماء ترى أن عالم الدين اذ لم يكن عالما بالسياسة ولا عاملا لها فليس بعالم، واذا تخلى العالم الديني عن السياسة فمن ذا يصرفها ويضبطها ويديرها فانها تصبح مرتعا للجهال.<sup>4</sup>

لقد تحفظت الجمعية وحاولت تجنب الدخول في السياسة بشكل مباشر هذا لا يعني استغناء منها واهمالا للشؤون الوطنية والقومية فهذا أمر لا يتنازل عنه رجال الإصلاح، وقد بين الامام ابن باديس رأيه في هذا الشأن من اللحظة الأولى لبدء حركته الإصلاحية فيقول: "ولأننا جزائريون نعمل للم شعب الأمة الجزائرية واحياء روح القومية في أبناءها وترغيبهم في العمل النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للانسانية"<sup>5</sup>.

ولقد أكد الامام أيضا على قدرة الجمعية وبكل فعالية في البروز بالعمل السياسي الا أن هناك ظروفًا خاصة في المجتمع الجزائري اقتضت من الجمعية أن تسلك هذا الطريق السلمي فيقول: "لو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهرا ولضربنا فيه المثل بما عرف عنا من ثباتنا وتضحيتنا ولقدنا الأمة للمطالبة بحقوقها وكان أسهل شيء علينا أن نسير لها ما نرسمه لها وأن نبلغ من نفوسنا الى أقصى غايات التأثير عليها"<sup>6</sup>.

ويقول أيضا أبو القاسم سعد الله في ذلك ما يلي "ولنتصور أن جمعية العلماء وضعت في قانونها الأساسي الذي قدمته للإدارة مادة تنص على أنها تشتغل بالسياسة أو تدعو للاستقلال، أو نحو ذلك فهل كانت ادارة ميرانت مسؤول

<sup>1</sup> - رابع تركي: الصراع بين جمعية العلماء وحكومة الاحتلال الفرنسي في الجزائر 1933-1939، مجلة التاريخ، عدد 11، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981، ص 57.

<sup>2</sup> - عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج 3، ص 432.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 2، ص 88.

<sup>4</sup> - عبد العزيز موهوبي: رجال الإصلاح والطرق الصوفية في الجزائر، 1931م - 1954م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2011/2012، ص 42.

<sup>5</sup> - عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج 5، ص 93.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ج 3، ص 295.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

الشؤون الأهلية عندئذ، ستوافق على طلبها؟ اننا في ضوء ما جرى لحركة الأمير خالد وما صدر ضد النجم وما حدث للشيوخيين، نعتقد أن طلب الجمعية كان سيفرض لا محالة، ولو سلكت الجمعية طريق الدعوة الصريحة للاستقلال الوطني ووضعت لذلك برنامجا سياسيا فهل كانت الادارة ستقف منها موقف المتفرج؟ ان أبسط ما كانت الادارة ستفعله عندئذ هو حل الجمعية والزج بعناصرها البارزة في السجن والقضاء على مدارسها وصحفها على الأقل، هكذا كان موقف الادارة من التجمعات الأخرى خلال العشرينات".<sup>1</sup>

ورغم هذا التمويه فان عددا من الكتاب الفرنسيين قد تنبهوا الى الخطة التي تسلكها الجمعية في التغطية عن حقيقة نشاطها السياسي وأهدافها البعيدة، حيث يشير مقال في احدى المجلات الفرنسية المتخصصة "أن التوجه السياسي للجمعية كان دائما مستترا خلف التفكير الديني المرن فالعلماء لم يناقشوا الأمور السياسية علنا كما أنهم لم يرشحوا أي شخص في الانتخابات - على الأقل بصورة رسمية - لكن مساعدتهم السرية كانت حاسمة في حالات كثيرة وهذا الابتعاد الاختياري عن السياسة لم يقلل من حماس وارادة العلماء وبالتالي نجد صدى ذلك في صحافتهم التي سارت على نفس الخطة".<sup>2</sup>

### 4- الموقف الفرنسي من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

وهنا يتجلى القدرة وحكمة علماء الاصلاح الجزائريين على تمويه وتعمية الادارة الاستعمارية الفرنسية، فالسلطات الفرنسية لم تتأخر في منح جمعية العلماء الترخيص الرسمي بعد أيام من تقديم طلبها، وقد نشر هذا الترخيص في الجريدة الرسمية الفرنسية بتاريخ: 13/05/1931م وقد أرجع البعض هذا الاجراء من السلطات الفرنسية الى أن الادارة الاستعمارية في ذلك الوقت كانت تعتقد أن العلماء لا يشكلون خطرا عليها وقد كانت دوائر الشرطة الفرنسية تهتم بالنشاط المتزايد للشيوعية أكثر من اهتمامها بالعلماء، وهذا ما يؤكد التقرير الصادر في 1 ماي 1928م، حيث يؤكد فيه بأن نشاط ابن باديس ليس له أي أبعاد سياسية وهو لا يتعدى حدود النظريات.

ولعل ما زاد ثقتهم في هذا الأمر هي المادة الثالثة من القانون الأساسي للجمعية والتي تنص على التزام الجمعية بعدم التدخل في الأمور السياسية، وبهذا تكون الادارة الفرنسية قد ضمنت من خلال انشاء جمعية العلماء وجود جمعية غير سياسية ومعتدلة تملأ الفراغ السياسي لدى الجزائريين، خاصة بعد القضاء على حركة الأمير خالد وحتى لا تبقى ساحة الجزائريين فارغة أمام الحركة المتطرفة التي ظهرت وسط العمال الجزائريين بفرنسا وتطمح في الدخول الى الجزائر.<sup>3</sup>

أما بالنسبة للسبب الثاني الذي دفع الادارة الفرنسية الى منح الترخيص لجمعية العلماء هو أنها ضمت المصلحين والطرفين وأصحاب الزوايا المستقلة والموظفين الدينيين في الادارة الحكومية والعلماء المستقلين، وبالتالي لن تظهر أي معارضة من أي فئة للادارة حتى تحتج بما على العكس فلربما كانت الادارة الاستعمارية تهدف من خلال تكثيف تواجد الموالين لها في الجمعية الى الهيمنة عليها.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، المرجع السابق، ج4، ص144.

<sup>2</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص84.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص91.

<sup>4</sup> - أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص113.

### المطلب الثالث: تطور النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1932-1935

مع أن القانون الأساسي للجمعية ينص على ابتعادها عن السياسة إلا أن ذلك كان لتمرير الجمعية أمام السلطات الفرنسية، أما الحقيقة الواقعة فهي أن من أهداف الجمعية الكبرى تحقيق مشاريع ومكاسب سياسية مثلما حققتها في الجوانب الدينية والتربوية والاجتماعية.<sup>1</sup>

وهي تنطلق في هذا من الدين نفسه، وقد عبر عن ذلك الابراهيمي فقال: "إذا كان الاسلام ديننا وسياسة فجمعية العلماء دينية سياسية، قضية مقنعة لا تحتاج الى سؤال ولا الى جواب وجمعية العلماء ترى أن العالم الديني إذا لم يكن عالما بالسياسة ولا عاملا لها فليس بعالم وإذا تخلى العالم الديني عن السياسة فمن ذا يصرفها ويديرها لا شك أنه يتولاها الجاهل المتحلل فيغرق السفينة ويشقي الأمة وكثيرا ما غلطنا الاستعمار حين يضيق ذرعا بنا فيقول: أنتم علماء دين فما لكم وللسياسة?... وقد جاراه في النعمة الممجوجة بعض ضعفاء الأميين من سمسرة السياسة منا والغرضان متقاربان، فالاستعمار يريد أن يزيحنا عن طريقه فيزيح خصما عنيدا يمنعه العلم أن يخدع ويمنعه الدين أن يساوم في حق قومه، وضعفاء الايمان من قومنا يريدون أن يخلو لهم الجو فيعبثوا ما شاء لهم العبث ولا علم يصدع ولا دين يردع".<sup>2</sup>

وكان من بين أهم الأهداف السياسية التي سعت لها جمعية العلماء لتحقيقها من خلال نشاطها السياسي خلال هاته الفترة، ورغم أن هاته الأهداف السياسية لم تكن معلنة في بعض الأحيان، فغالبا ما كانت جمعية العلماء تلجأ الى لف أهدافها ومواقفها السياسية فتطبعها بطابع ديني أو ثقافي تجنباً للرقابة الشديدة التي كان يمارسها الاستعمار الفرنسي على نشاطاتها.<sup>3</sup>

**احياء الهوية الوطنية الجزائرية** حيث كان من أهدافها المحافظة على الشخصية الوطنية الجزائرية بما تحويه من المقومات الثقافية والحضارية والدينية والتاريخية حيث كان شعارها: "الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"، حيث يقول ابن باديس: "اننا نريد نهضة شعبية قوية تجلي شخصية الشعب الجزائري، وتكشف مجد الماضي بينهما لتتير طريق الحياة من جديد".<sup>4</sup>

**محرابة التجنيس والادماج** ومن أهدافها السياسية أيضا محاربتها لسياسي الاستعمار التجنيسية والادماجية وقد هاجم العلماء بقوة محاولة فرنسا تجنيس وادماج الشعب الجزائري وانطلقت جرائدهم تنذر المواطنين بالخطر الداهم، وجاء في مثال لأحمد توفيق المدني في جريدة الشهاب "نحن بين الموت والحياة"، حذر الشبيبة الجزائرية من سلوك سبيل التجنيس الذي يؤدي حتما الى التخلي عن الوطنية واللغة والتاريخ والشريعة الاسلامية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - نور الدين أبو لحية: الاتجاهات الفكرية لجمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، الجزائر، 2015، ط1، ص153.

<sup>2</sup> - محمد البشير الابراهيمي، آثار الابراهيمي، المصدر السابق، ج4، ص171.

<sup>3</sup> - أمين بلعيفة، المرجع السابق، ص111.

<sup>4</sup> - محمد الحسن الفضلاء: الشذرات من مواقف الامام عبد الحميد بن باديس، د.ن، الجزائر، 2001، ص192.

<sup>5</sup> - أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص239.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

بينما أفتى الشيخ عبد الحميد بن باديس بالكفر والردة لكل من يسعى للتجنيس من المسلمين الجزائريين، كما حاولت الجمعية قطع الطريق أمام "جماعة النخبة" لثمنعها من الاندماج الكامل في المجتمع الفرنسي حيث يقول ابن باديس: "أن تتعلم بغير تعليمك وتعيش في غير مجتمعتك وتنظر بغير بصرك وتدرك بغير عقلك فهل أنت موجود".<sup>1</sup>

### 1- أزمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1932م

وكان لزاما علينا هنا أن نذكر هاته الأزمة لأن خروج بعض الأعضاء من جمعية العلماء في حقيقة الأمر هو دليل على الصراع بين الاصلاحيين والمحافظين، وبالتالي صفاء الجو وخلوه لصالح الاصلاحيين في تسيير الجمعية والتي نعتبرها الممثل الحقيقي والوحيد للاتجاه الاصلاحى في الجزائر.

يتفق عدد من الأعضاء المؤسسين للجمعية أنه ما كان يمر على تأسيسها عام واحد حتى تعرضت لأزمة حادة كادت تقضي عليها ويرجع السبب في ذلك الى أن الأعضاء المؤسسين وكذلك أعضاء أول مجلس ادارى للجمعية لم يكونوا منسجمين فكريا، فعلى الرغم من أن نواياهم الصلبة كانت منسجمة وكانت تسيطر على المجلس الادارى فقد كانت قواعدها مثل بعض أعضائها المؤسسين تضم عناصر لم تكن تؤمن بالاصلاح الدينى، صحيح أن أغلبية أعضاء المجلس الادارى كانت متحمسة للاصلاح الدينى لكن هناك أقلية يمثلها الشيخ مولود الحافظي لم تكن لتسلم بأن تكون مجرد ديكور وأن يكون دورها ثانويا وغير مؤثر وقد وجدت هذه الأقلية التي تضم عددا من الأعضاء المستقلين وبعضا من أنصار الزوايا في الشيخ مولود الحافظي مدافعا عن مصالحها، لذلك ظهرت الخلافات في صفوف الجمعية منذ نهاية العام الأول للتأسيس لأن مولود الحافظي لم يكن ليرضى بدور ثانوي "مستشار" وقد وصفه الأستاذ علي مراد بقوله: "هذه الشخصية المعقدة والمتقلبة تشكل نوعا من المثقف المغامر، مهرجا معجبا بنفسه ويعلمه المشرقي (إشارة الى تكوينه الأزهرى)" ثم يضيف: "ولذلك تزعم المعارضة (للاصلاحيين) مدفوعا بطموح شخصي لاحتلال موقف مؤثر داخل الجمعية وأصبح هو الناطق باسم العناصر غير الاصلاحية والمدافع المحتمس على الطريقة".<sup>2</sup>

ولا ننكر أيضا تعصب وتطرف بعض العلماء الاصلاحيين في هاته الأزمة، وعلى رأسهم الشيخ الطيب العقي الذي أمعن في الاساءة الى الطرفين حتى أنه بلغت به الجرأة الى أن يقول في درس من دروسه بنادي الترقى وبمحضر الشيخ مصطفى القاسمي والشيخ ابن عليوة: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصرارى - ولا شيوخ الطرق والطرفيين - حتى تتبع ملتهم" وخرج الشيخان غاضبين محتجين وكان ذلك مسمارا غليظا يدق في نعش الوحدة الناشئة.<sup>3</sup>

وعليه فقد حاول الشيخ الحافظي أن يستغل فرصة الاجتماع الذي ينظر في تجديد المجلس الادارى خلال ماي 1932 أن يهيء لانقلاب يبعد به ابن باديس وصحبه عن ادارة الجمعية، وقد اعتمد في ذلك على عمر اسماعيل، وبما أن هذا الأخير كان هو المهيمن على التنظيم المادي لاجتماع الجمعية العمومية بوصفه رئيس لجنيتها الدائمة فقد دعى الى

<sup>1</sup> - محمد الحسن الفضلاء، الشذرات من مواقف، المرجع السابق، ص 205.

<sup>2</sup> - محمد الميلي: المؤتمر الاسلامي الجزائري، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2013، ط 1، ص 303-304.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن ابن العقون، المصدر السابق، ج 1، ص 229.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

جمعية عمومية ووجه أغلب الدعوات لأنصار الزوايا الطرقية لكن ابن باديس وصحبه قد بلغهم نبأ الاعداد للانقلاب على الاصلاحيين فتحركوا بسرعة.<sup>1</sup>

وقد وضع الشيخ ابن باديس ما حدث ذلك اليوم في مقال في الشهاب الصادر بتاريخ ربيع الثاني 1351هـ الموافق لأوت 1932م عنوانه "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عامها الثاني، حيث بين أن الذين أرادوا الاستلاء على الجمعية حاولوا ترشيح أشخاص لا تنطبق عليهم صفة العالم حسب قانون الجمعية وحاولوا فرضها والانتخاب عليها بالقوة والاستقواء بالغوغاء فقام هو كونه رئيس الجمعية باستدعاء الشرطة لحفظ النظام والأمن ورفع الجلسة وانفض الجمع وفوت الفرصة على المتآمرين على الجمعية، وفي اليوم الموالي تم انتخاب مجلس للادارة مؤلفا من جميع عناصر الأمة الجزائرية ممثلا لها خير تمثيل فيه من العلماء المنتمين للزوايا كالمهاجي وأبي عبد الله البوعبدلي، وفيه من العلماء الموظفين كابن عريبة القاضي والعمودي الوكيل الشرعي وفيه من علماء القبائل الفضيل الورتلاني وفيه من علماء الاباضية أبو اليقظان، وجددوا مرة أخرى الرئاسة لعبد الحميد بن باديس، ويلاحظ أن الاتجاه الذي يمثله ابن باديس ونائبه الابراهيمى وكل من الطيب العقبي ومبارك الملي قد تعزز بانضمام عناصر جديدة كان أبرزها هو الشيخ العربي التبسي، الذي أسندت اليه مهمة الكتابة العامة للجمعية والشيخ محمد خير الدين وأبو اليقظان.<sup>2</sup>

وهكذا ما طلعت شمس يوم الاثنين 17 محرم 1351 هـ الموافق ل 23 ماي 1932م حتى برزت العملية السريعة في تشطير الجمعية الى جمعيتين: "جمعية العلماء المسلمين" و"جمعية علماء السنة الجزائريين" ووضعت تحت رئاسة الحافظي وعضوية المحافظين والطرقين واتخذت هذه مقرا لها "نادي الأخوة الاسلامية" بعاصمة الجزائر - نادي الرشاد سابقا - بينما بقيت تلك بنادي الترقى الى حين.<sup>3</sup>

وقد ظلت المعركة شديدة بين الاتجاهين لكن الغلبة في النهاية كانت للتيار الاصلاحى، وقد ظهر ذلك بوضوح في المؤتمر العام الذي عقدته الجمعية عام 1936م الذي يمكن أن يعتبر هو السنة التي بلغت فيها الجمعية نقطة اللاعودة.<sup>4</sup>

### 2- مرسوم ميشال 1933 وموقف العلماء منه

لعل انسحاب العلماء والفقهاء من القطاعات الدينية المحافظة من الجمعية بعد مرور سنة واحدة فقط على الاتحاد الذي تم بينهم وبين العلماء المصلحين كان إيذانا بدخول الجمعية في صراع محتوم مع الإدارة الاستعمارية، والذي لم ينتهي إلا بإعلان الثورة سنة 1954،<sup>5</sup> وقد كان لنشاط العلماء الديني والتعليمي صدى بين الناس، مما أزعج الإدارة الاستعمارية فعزمت على وقفه في الحين، وقد أوجت إلى الموالين لها من الجزائريين سواء كانوا من الطرقية أو من رجال المجالس المحلية بأن يطالبوا بوضع حد لنشاط العلماء.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - محمد الملي، المؤتمر الاسلامي، المرجع السابق، ص304.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص304-308.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن ابن العقون، المصدر السابق، ج1، ص262.

<sup>4</sup> - محمد الملي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص318.

<sup>5</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص207-208.

<sup>6</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص21.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

فإن الإدارة الفرنسية قد أخذت منذ سنة 1933 في محاربة الجمعية وعرقلة نشاطها وأصدرت قرارا يقضي بمراقبتها ومتابعة العلماء الذي حملوا لواء هذه الحركة الإصلاحية على أساس أن هذه المنظمة تشكل خطرا كبيرا على الوجود الفرنسي في الجزائر، وأصدرت مراسيم عدة تمنح لـ"الموظفين الدينيين" المعينين من طرف الفرنسيين احتكار الوعظ والإرشاد في المساجد، كما أصدرت مرسوما آخر ينص على تعيين شخص فرنسي رئيسا للمجلس الاستشاري الإسلامي، وأسندت هذه المهمة الى ميشال (Michel)<sup>1</sup> فكان لهذا التعيين أثر بالغ في نفوس العلماء وأنصارهم لما ينطوي عليه من استفزاز لمشاعرهم الدينية.<sup>2</sup>

فكان قرار ميشال الصادر في شوال 1351هـ الموافق 16 فيفري 1933م يطلب من الولاة والمتصرفين ورؤساء الشرطة وشيوخ البلديات مراقبة ما يدور في اجتماعات الجمعية، وأن تشمل هذه المراقبة المكاتب القرآنية، وبعد يومين من هذا المنشور أصدر ميشال بالنيابة عن والي الجزائر تعليمات الى جميع الولاة يأمرهم فيها بعدم السماح لأي عالم بالوعظ والإرشاد في المساجد الرسمية إذا لم يكن من الموظفين الدينيين ما لم يتم استشارة الحاكم العام في ذلك.<sup>3</sup>

وكانت حجة الإدارة الاستعمارية في ذلك أنهم يبشون المبادئ الوهابية والمذهب الشيعي وأنهم يقومون بأعمال مضادة للوجود الفرنسي في قفاز الدول الأجنبية.<sup>4</sup> حيث يقول ميشال "إن هذا الوضع يقتضيها اليقظة التامة لأنه لا يمكن التسامح مع هذا النشاط المعادي الذي يحمل في ظاهره الطابع الثقافي بينما يخفي وجهه السياسي".<sup>5</sup>

وبهذه الإجراءات التعسفية الظالمة منعت العلماء المصلحين من إلقاء الخطب والمحاضرات في المساجد الرسمية، فكان لهذا الموقف الصارم من جانب الإدارة الفرنسية ردود فعل عنيفة من قبل الجمعية على هذه الإجراءات البغيضة.<sup>6</sup> ففي 10 فيفري استنكر الشيخ ابن باديس اجراء غلق المساجد والمدارس في وجه العلماء في خطبة له في نادي الترقى بالعاصمة، ومن 24 فيفري الى غاية 3 مارس 1933 جرت مظاهرات عنيفة بالعاصمة ضد منع الشيخ العقبي من إلقاء درسه في الجامع الجديد، وتدخل الحكومة في الشؤون الدينية وقد استعملت السلطات قوات الشرطة والرماة السينيغاليين وقناصة افريقيا ضد المتظاهرين واعتقلت الكثير منهم.<sup>7</sup>

ولم تهدأ المظاهرات حتى وعدت السلطات بالسماح للعقبي باستئناف دروسه ولكن قرار فبراير بغلق المدارس الحرة والمساجد في وجه العلماء المصلحين لم يثر فقط رجال جمعية العلماء والشعب، بل أثار أيضا النواب الجزائريين في مختلف المجالس المحلية، لذلك توجه منهم وفد خلال جوان 1933 الى باريس ليشتمكوا من الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي كانت تعيشه الجزائر، وليحتجوا لدى الحكومة الفرنسية على إجراءات غلق المساجد والمدارس القرآنية، لكن وزير

<sup>1</sup> - ميشال، فرناند يوليوس: كان السكرتير الإداري لوالي الجزائر، وهو الذي أعد ووقع القرار الخاص بمنع الخطابة والتعليم في المساجد إلا للموظفين الرسميين، تولى رئاسة الجمعية الدينية الإسلامية بعد أن أعفي رئيسها المسلم أحمد بن صيام من منصبه في فيفري 1933. أنظر: مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 197.

<sup>2</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 208.

<sup>3</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 197-198.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 3، ص 21.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 22.

<sup>6</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 208.

<sup>7</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 3، ص 44.



## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

الداخلية السيد شوطان<sup>1</sup> رفض استقبال الوفد فرجع الوفد خائباً مما زاد في تحمس الشعب لمطالبه، وبعد الفشل الذريع الذي لقيه في باريس عاد الى الجزائر وقدم استقالته من مهامه كما دعا جميع الجزائريين العاملين في المجالس المحلية الى الاستقالة الجماعية احتجاجاً، وقد حدث ذلك خلال الثالث من جويلية 1933، عندما قدم حوالي 1600 شخص استقالتهم في ولاية قسنطينة - وهذا دليل على تأثير العلماء على المنتخبين وتحالف ابن جلول<sup>2</sup> مع ابن بايس - و100 من ولاية الجزائر ومثلها في ولاية وهران.<sup>3</sup>

وأمام هذه الوضعية دعا الحاكم العام السيد كاردي النواب الى استرداد استقلالهم واعدا إياهم بعدة إصلاحات منها إعادة فتح المساجد في وجه العلماء المصلحين، وحرية التعليم، وإلغاء قرار والي مدينة الجزائر ضد الشيخ العقبي.<sup>4</sup> ولم يتحقق من هاته الوعود إلا إلغاء قرار والي مدينة الجزائر ضد الشيخ العقبي وما ذلك إلا بسبب المظاهرات الشعبية العارمة الذي ذكرناها في العاصمة، وستواجه جمعية العلماء بعد ذلك قرارات ومراسيم عديدة تعمل كلها على عرقلة نشاطها الإصلاحي في الجزائر.

### 3- أحداث قسنطينة 1934

لقد كان للحركة الإصلاحية موقف بارز في أحداث قسنطينة سنة 1934 وخاصة مع الدور الرئيسي الذي قام به عبد الحميد بن باديس مع الدكتور ابن جلول في تهدئة الأوضاع واطفاء نار الفتنة، ونحن إذ نذكر ونتكلم على هاته الأحداث ونضعها ضمن الجانب السياسي لنشاط العلماء الإصلاحيين في الجزائر، الا كما قال عبد الرحمان بن العقون: "ان ذكر هاته الحوادث التي وقعت في شهر أوت 1934 - بقسنطينة - اذ أنها تدخل في مجال كفاح الشعب الجزائري ضد الظلم والاستعمار...".<sup>5</sup>

وتعود هاته الوقائع الى تعدي أحد اليهود على المسلمين في مسجدهم وهو الجامع الأخضر بقسنطينة يوم الجمعة 23 ربيع الأول 1353هـ الموافق ل3 أغسطس 1934م، حيث قام هذا اليهودي بسبب المسلمين أثناء الصلاة ثم رميهم من منزله بالحجارة، وتطورت الأحداث بين المسلمين واليهود الى اقتتال وقع على إثره قتلى بين الطرفين. وبعد حوادث قسنطينة انطلقت التظاهرات وأعمال الشغب في بعض المدن المجاورة مثل عين البيضاء وعنابة وقلمة وغيرها وقد وجه المستوطنون واليهود التهمة الى الوطنيين الجزائريين أو عملاء حركة الوحدة العربية - وعلى الأرجح يقصدون جمعية العلماء - بأنهم كانوا يسعون للقيام بثورة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - شوطان: تولى رئاسة الوزراء عدة مرات ممثلاً للحزب الاشتراكي المتطرف، عام 1934 ثم عام 1937 عن الحزب اليساري الديمقراطي. أنظر: مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 221.

<sup>2</sup> - ابن جلول: محمد الصالح بن جلول ولد في منطقة الأوراس سنة 1894م تلقى تعليماً فرنسياً حتى الثانوية ثم تلقى الدراسة الجامعية في جامعة الجزائر حتى نال الدكتوراه في الطب العام سنة 1924م مارس النشاط السياسي من خلال الانتخابات أصبح زعيماً للحركة الليبرالية خلال الثلاثينيات من القرن العشرين. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 2، ص 376.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 3، ص 44-45.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 45.

<sup>5</sup> - عبد الرحمن ابن العقون، المصدر السابق، ص 489.

<sup>6</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 208-209.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

لقد كان لابن باديس أثر بارز في تهدئة الجماهير المسلمة فقد ذكر في تقريره بأنه كان على اتصال دائم بالادارة طوال المدة، فقد استدعى الوالي العام النواب وأعيان الجزائريين ومن بينهم الشيخ ابن باديس وقام الجميع بزيارة الأحياء الجزائرية وكان: "الأستاذ عبد الحميد بن باديس يخطب في الناس يبلغهم طلب الوالي العام لملازمة الهدوء والسكينة واقبالهم على أعمالهم وتركهم الخوض في قضية قضت بما فيها وهو يخطب باسم العلماء والنواب والأعيان".<sup>1</sup>

وقد وقعت قطيعة كبرى بعد الحوادث بين العرب واليهود وقاطع التجار العرب التعامل مع اليهود وأسس التجار الميزابيين شركة تجارية لتحل محل الشركات اليهودية، كما تحرك بعض التجار المسلمين للبيع بالجملة الذي كان تقريبا مقصورا على اليهود فقصدتهم التجار العرب من كل ناحية وازدهرت حالة هذه الشركة والتجار المسلمين زمنا ما...<sup>2</sup>

ولكن الوثائق الفرنسية ادعت أن الجمعية كانت متورطة في حوادث قسنطينة 1934م ذلك أنها قامت بتأييد اتحادية المنتخبين برئاسة ابن جلول، كما ادعت أن نشاط الجمعية كان عاملا مهما في ايقاظ الأمة وتنويرها فكريا الأمر الذي أدى الى حوادث أغسطس المذكورة أنفا.<sup>3</sup> وقد كان هذا التعامل الفرنسي مع الأحداث تعامل بمكيالين وأيضا في مجلس النواب الفرنسي فقد تركزت المناقشات فيه حول الاضطرابات الأخيرة وكذلك حول الوضع القانوني للجزائريين، ونظرا لأن الجزائريين لم يكن لهم من يمنهم في مجلس النواب فان المناقشات لم تنتهي إلى أي نتيجة في صالح الجزائريين.<sup>4</sup>

وقد تفاعلت نخبة ميزاب بل كانت فاعلة في مختلف قضايا الجزائر في شمالها وجنوبها، حيث كتبت صحيفة الأمة سلسلة مقالات حول "ما بعد الأحداث" في هذا الشأن مقال في العدد الثاني 25 سبتمبر 1934: "... وعبرة أخرى من العبر التي يمكن استفادتها من حوادث قسنطينة وهي أن الشعوب الاسلامية مهما تساهلت في حقوقها القومية فانها لا تتساهل أبدا في كرامتها الدينية، ولذلك كانت جناية ذلك اليهودي الأثيم الذي اعتدى على قدسية المسجد الجامع في قسنطينة عميقة الشؤم على اليهود وعلى المسلمين معا وأكثر منه اجراما أولئك الذين فقدوا الرشد والحكمة بانتصارهم له ودفاعهم عنه بحمية جاهلية...".<sup>5</sup>

وبالمقابل كثفت جمعية العلماء من نشاطاتها السياسية بتوجيه من رئيسها الشيخ ابن باديس اذ قامت بحركة نشيطة لمقاطعة البضائع اليهودية ومحاربة فكرة اعطاء الجنسية الجماعية للجزائريين ففي عام 1935م نشرت مجلة الشهاب مقالا سياسيا دعا الى رفض الجنسية الفرنسية للمسلمين في الجزائر والبالغ عددهم آنذاك خمسة ملايين.<sup>6</sup>

### 4- تأثير العلماء الاصلاحيين على المنظمات الطلابية

لقد كان تأثير العلماء الاصلاحيين على عدد من المنظمات الطلابية واضحا وجليا سوى كانت هاته المنظمات من انشائهم أو تتقارب معهم في الأفكار فمثلا جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا والتي تأسست في ديسمبر

<sup>1</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص210.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن ابن العقون، المصدر السابق، ص480.

<sup>3</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص213.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص214.

<sup>5</sup> - ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص179.

<sup>6</sup> - عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر، تق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص252.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

1927 بباريس وكان من بين أعضائها عدد من زعماء المغرب العربي، قد اتخذت هذه الجمعية عدة مواقف من التجنس واللغة والتعليم والمرأة جديرة بالتأمل والدرس، وقبل أن تعقد مؤتمرها الأول سنة 1931م قررت عدم قبول المتجنسين من أبناء المغرب العربي في صفوفها نظرا الى أنها جمعية مغاربية والمتجنسون فرنسيون ولأنها اسلامية وهم ليسوا مسلمين والملاحظ أن العلماء رحبوا بهذه الفكرة واعتبروها انتصارا لمبدأهم.<sup>1</sup>

وما يهمننا من هذه المؤتمرات بالدرجة الأولى المؤتمر الثاني الذي انعقد بالجزائر من 25 الى 29 أغسطس سنة 1932 بنادي الترقى وكان رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر هو السيد قدور ساطور كاتب عام جمعية طلبة شمال افريقيا بالجزائر التي كان يرأسها السيد "علي الزاوش"، أما المؤتمر نفسه فقد ترأسه السيد فرحات عباس الذي كان رئيسا شرفيا لجمعية طلبة الجزائر آنذاك، وكانت الموضوعات التي طرحت في المؤتمر هي تعليم اللغة العربية والتاريخ والتربية بشمال افريقيا، وفتح الأبواب أمام المتخرجين من الجامعات، وقد انعقد المؤتمر في جو من التفاعل والثقة واحتضنه في الواقع العلماء واعتبروه من دعائمهم، وكانت قرارات المؤتمر وتوصياته تنسجم تماما مع روح جمعية العلماء ومع أهدافها، فقد أقام لهم نادي الترقى حفلة سمر أقيمت فيها المحاضرات وجمعت التبرعات وأثناءها ألقى شاعر الاصلاح محمد العيد آل خليفة قصيدة مؤثرة، وساهم فيه الشاعر مفدي زكريا بعدة قصائد، وخطب الشيخ الطيب العقبي في المؤتمرين مرتين على الأقل ووجههم باعتبارهم يمثلون جيل المستقبل، ولعب الأستاذ توفيق المدني في المؤتمر دورا بارزا باقتراحاته الى اللجان ولاسيما فيما يتعلق باللغة العربية وخطب أيضا في المؤتمرين، وعندما مر المؤتمر بقسنطينة خطب فيهم الشيخ عبد الحميد بن باديس وودعهم حتى محطة القطار.<sup>2</sup>

وقد نوهت صحافة العلماء بالمؤتمر الثاني حيث رأت فيه "النجاح" "يوما عظيما في تاريخ نهضة المغرب العربي" وهو في نظرها ليس اجتماعا سياسيا للنقاش والبيان ولكنه اجتماع "يشجعنا ويوقظنا الى ما فيه خير المنطقة".<sup>3</sup> أما توصيات المؤتمر الثاني توضح الخط الرباط بين أهداف جمعية الطلبة وجمعية العلماء خلال الثلاثينات.<sup>4</sup>

لقد امتد نشاط العلماء السياسي الى تونس حيث لم يغفلوا عن طلبتهم هناك، فحوالي سنة 1933م تأسست في تونس جمعية الجزائريين الزيتونيين وكان تأسيسها نتيجة لتكاثر الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة بحيث أصبح عددهم سنة 1936 حوالي مائتي 200 طالب، بينما كان عددهم لا يزيد عن خمسين 50 قبل ذلك، ويظهر أن تكاثر الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة كان نتيجة الدعوة الإصلاحية التي نهضت بها جمعية العلماء في القطر الجزائري، ومن المعروف أن كثيرا من أعضاء الجمعية كانوا أنفسهم من خريجي جامع الزيتونة وأن ابن باديس كان يوجه تلاميذه الى هذا الجامع.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص107.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص108-109.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص109.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص110.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص90.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

وخلال أكتوبر من سنة 1934م انعقد المؤتمر الرابع لجمعية الطلبة في المدرسة الخلدونية بتونس، وكان المؤتمر هذه المرة برئاسة المنجي سليم،<sup>1</sup> وقد مثل الجزائر فيه الشيخ محمد السعيد الزاهري عن العلماء والشاعر مفدي زكريا، وألقى الشيخ الزاهري تقريرا في الجلسة الأولى عن حالة التعليم الحر بالجزائر وهو تقرير مفيد ومركز، وقد أوصى المؤتمر بخصوص الجزائر أنه على جمعية العلماء أن تضع برنامجا للتعليم الحر، وعلى الحكومة الفرنسية التوقف عن منع الجزائريين من تأسيس المدارس الحرة ومطالبتها بمنحهم الحرية الدينية لتأسيس المدارس القرآنية وفتح الكتاتيب التي أغلقتها السلطات الفرنسية في الجزائر، ولاشك أن أثر العلماء في هذه التوصيات واضح.<sup>2</sup>

لقد تبلورت أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كحركة سياسية ذات نفوذ شعبي في شهر سبتمبر سنة 1935 اذ انعقد المؤتمر الخامس للطلبة المسلمين بشمال افريقيا في مدينة تلمسان، وتطابقت لوائح الطلبة المسلمين مع مطالب جمعية العلماء التي تمثلت في التضامن بين أقطار المغرب العربي وتعليم اللغة العربية بطرق عصرية ومحاربة الأمية والانحرافات الاجتماعية، وجاء هذا الالتحام والتفاهم بين الطلبة المسلمين وجمعية العلماء بنتيجة إيجابية وهي أن جمعية العلماء كانت تحظى بتأييد الشباب الجزائري، وأن خطتها لخلق الوعي واليقظة في الأوساط الجزائرية بدأت تثمر وتحقق الأهداف المنشودة.<sup>3</sup> وقد افتتح هذا المؤتمر الشيخ البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء وممثلها في الغرب الجزائري.<sup>4</sup> والملاحظ أنه بالنسبة للجزائر فإن معظم مثقفي الطلبة كانوا في برامجهم الثقافية يدورون في فلك العلماء، أما في حياتهم السياسية فقد كانوا من النخبة ومن عناصر حزب البيان فيما بعد، وقليل منهم فقط انضموا للنجم وحزب الشعب الجزائري الذي خلفه.<sup>5</sup>

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على قوة تأثير أفكار العلماء الإصلاحيين التي تبناها الطلبة المسلمون الجزائريون في برامجهم ومبادئ جمعيتهم على الرغم من أغلبية هؤلاء الطلبة لم يكونوا من منخرطي الجمعية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).

### 5- قرار ربييه وانعقاد المؤتمر الأول للجمعية 1935

في 25 ذي القعدة 1353هـ الموافق 30 مارس 1935م قدم وزير الداخلية الى رئيس الوزراء يطلب فيه أن يصدر أمرا يمنع أي دعاية مضادة لفرنسا وذلك بالتضييق على الصحافة العربية وقد برر الوزير طلبه لاستصدار هذا القانون أنه لا يقصد به الحد من حرية الصحافة بقدر ما هو "إعطاء رئيس الحكومة الحق في اتخاذ التدابير التي لم ينص

<sup>1</sup> - المنجي سليم: 1908-1969م، أحد الأعضاء البارزين في الحزب الدستوري الجديد ووزير داخلية في حكومة 1956 التي شاركت في مفاوضات الاستقلال.

<sup>2</sup> - سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص111.

<sup>3</sup> - عمار بوحوش، المصدر السابق، ص257.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص111.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص113.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

عليها القانون لضمان السيادة الفرنسية"<sup>1</sup>، ولما كان للحاكم العام رأيه في جمعية العلماء لذلك كان من الطبيعي أن يزداد المضايقة والاضطهاد للجمعية في مدارسها وصحافتها.<sup>2</sup>

وكانت قرارات رينيه<sup>3</sup> سنة 1935م والتي تقضي بتضييق الخناق على جمعية العلماء وكل زعماء الحركة الوطنية وكل الأشخاص الذين يظهرون تدمرا ورفضاً لتطبيق القوانين والمراسيم بتسليط عقوبات عليهم تتراوح بين 3 أشهر وعمامين سحنا وبين 500 و5000 فرنك غرامة.<sup>4</sup>

ورغم ذلك واصلت جمعية العلماء نشاطها دون تراجع ولا استسلام، وفي أعقاب المؤتمر العام للطلبة المسلمين انعقد المؤتمر الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجزائر العاصمة في الخامس عشر من سبتمبر 1935م وكان يهدف الى توحيد جميع الحركات الاسلامية في الجزائر، وفي أثناء هذا المؤتمر قام قادة الجمعية بمراجعة شاملة لأعمال الجمعية منذ مرحلة التفكير بانشائها ولغاية عام 1935م وخرجوا بقرارات مهمة تمثلت بتعيين مسؤولين جدد والقيام بأعمال سياسية تخدم الوطن.<sup>5</sup>

ولعل اجتماع 1935 كان في سنة ممتازة في حياة الجمعية كما أكد ذلك ابن باديس حيث قال: "بأن هذه السنة التي انعقد فيها هذا الاجتماع كانت سنة ممتازة في حياة الجزائر حيث تحركت فيها البلاد حركة الأمل وحركة الأمل، حركة ألم أورثه الجمود من ناحية والغفلة من ناحية أخرى وأسباب أخرى... وحركة أمل بعثه الشعور بالحياة... وإذا ذكرت الجزائر فقد ذكرت الجمعية فهي - ولانكران - الممثلة للجزائر من ناحيتها الروحية والأدبية".<sup>6</sup>

وقد تأسف ابن باديس في هذا الاجتماع على أن آماله قد خابت في الادارة الفرنسية التي كان يأمل في مساعدتها للجمعية، فلاحظ أن السنة الرابعة من حياة الجمعية قد انقضت والمساجد ما تزال مغلقة في وجوه العلماء المصلحين والمكاتب العربية تعاني من العراقيل الشديدة وصحيفة الجمعية ما تزال في نطاق المنع والتحجير ورجال من أعضاء الجمعية تحت الرقابة المشددة...<sup>7</sup> ورغم ذلك كله فإنه في أواخر سنة 1935 قام أعضاء الجمعية برحلات في العمالات الثلاثة، فوفدوا على خمسين بلدة ونيف وألقوا فيها دروس الوعظ والارشاد.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 214-215.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 219.

<sup>3</sup> - مارسيل رينيه: وزير الداخلية، سيناتور التيار الديمقراطي عضو في وزارة فلاندران 8 نوفمبر 1934-31 ماي 1935. أنظر: على مراد، المرجع السابق، ص 255.

<sup>4</sup> - عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913-1940، دار الشهاب، بيروت، 1999، ط 1، ص 231.

<sup>5</sup> - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 257-258.

<sup>6</sup> - سجل مؤتمر جمعية المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص 74.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 76.

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص 76.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

وأهم شيء يمكن ملاحظته في هذه السنة من حياة الجمعية هو أن الشيخ الأبراهيمي قد قام بعمل تاريخي هام، حيث جمع وطبع كل التقارير والخطب التي أُلقيت أيام الاجتماع في كتاب عنوانه: "سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" الذي كان ولا يزال مصدرا هاما للبحث في أصول الحركة الإصلاحية وتطورها في الجزائر.<sup>1</sup>

### المبحث الخامس: ممارسة وتطور العمل السياسي 1936 - 1939

لقد شهدت هاته الفترة نشاطا سياسيا ملحوظا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصبحت فعليا وواقعا تمارس العمل السياسي الوطني، وبرزت أهدافها الحقيقية السياسية من خلال مطالبها في لوائح المؤتمر الإسلامي وأيضا بروز جهدها وعملها الفعال في جمع كل الأحزاب السياسية الجزائرية في هذا المؤتمر، وأيضا مشاركتها في الوفود السياسية للمطالبة بحقوق الشعب الجزائري وبعد ذلك مواقفها السياسية الى غاية الحرب العالمية الثانية.

### المطلب الأول: المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936

ترجع فكرة انشاء حزب سياسي اسلامي جزائري الى أعقاب الحرب العالمية الأولى في اطار الحركة التي قادها الأمير خالد، ويبدو أن فكرة مؤتمر جزائري يضم كل التيارات السياسية والإصلاحات الدينية خطرت على ذهن ابن باديس منذ مطلع الثلاثينات كما تدل على ذلك الدعوات الى تجمع واتحاد الوطنيين والإصلاحيين التي صدرت في مجلة الشهاب فيما بين 1930 و1936.<sup>2</sup>

وفي عام 1356 هـ/يناير 1936م دعا الشيخ في حديث له مع صحيفة "الدفاع" التي يصدرها الأمين العمودي بالفرنسية الى اجتماع الأحزاب والاتجاهات السياسية الجزائرية في مؤتمر اسلامي تكون به جبهة واحدة ومرجعا للأمة الجزائرية وتتفق من خلاله على قائمة لمطالب الجزائريين من فرنسا.<sup>3</sup>

وابتداء من سنة 1936 ومع المؤتمر الإسلامي الجزائري لاحظنا في صحف وجرائد الجمعية تسييس عميق لهاته الحركة على الرغم من أن القوانين تنص وتشترط عليها مثلها مثل الجمعيات الإسلامية في تلك الفترة أن لا تكون سياسية.<sup>4</sup>

وقد جهر الشيخ ابن باديس بالدعوة الى المؤتمر الإسلامي في مطلع عام 1936م أي قبل الانتصار الذي حققته الجبهة الشعبية المتشكلة من الاشتراكيين والشيوعيين، هذه الجبهة عندما نجحت في الانتخابات التشريعية أصدرت مشروعا باسم "بلوم فيوليت" (بلوم<sup>5</sup> هو رئيس الحكومة الاشتراكية التي استملت الحكم، وفيوليت هي الشخصية الثانية في تلك الحكومة برتبة وزير دولة مكلف بالشؤون الجزائرية).<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص133.

<sup>2</sup> - محمد الميلبي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص386.

<sup>3</sup> - مركز الدراسات والبحوث، المرجع السابق، ص158.

<sup>4</sup> - Charlotte Courrey, opcit, p99.

<sup>5</sup> - بلوم: ليون بلوم 1872-1950م رجل سياسي فرنسي، زعيم اشتراكي شكل حكومة الجبهة الشعبية في عام 1936 وأبعد الى ألمانيا سنة 1943 عاد الى فرنسا بعد انتهاء الحرب ليشكل حكومة 1947، حاول أن يجد حلا للصراع السياسي في الجزائر بين المستوطنين والجزائريين، وينسب اليه مشروع بلوم فيوليت. أنظر: الجمعي حمري، المرجع سابق، ص157.

<sup>6</sup> - محمد الميلبي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص386.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

يعتبر الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي يعتبر أهم من كتب عن المؤتمر الاسلامي من المؤرخين بالعربية في كتابه الحركة الوطنية الجزائرية، فقد ألقى بثقل المؤتمر على كواهل المنتخبين والنواب والعلماء المصلحين ولكنه أكد في الأخير على أن أهم عمل فعال في تشكيلات المؤتمر وروحه يعود في حقيقة الأمر الى العلماء.<sup>1</sup>

ورغم أن مدة التحضيرات كانت قصيرة لم تستغرق أكثر من ثلاثة أسابيع فان ذلك كان كافيا لعقد المؤتمر، لأن مختلف المجموعات السياسية الاسلامية خاصة والرأي العام الاسلامي الجزائري عامة كان مستعدا وراضيا بالفكرة.<sup>2</sup> وهكذا انعقد أول مؤتمر (للمؤتمر الاسلامي) الذي جمع ممثلي كل التيارات المعارضة للنظام الاستعماري باستثناء نجم شمال افريقيا يوم 07 جوان 1936م واعتبرت صحيفة البصائر الناطقة باسم جمعية العلماء أن المؤتمر الاسلامي يمثل أول لبنة في بناء صرح الأمة كما كتبت جريدة الدفاع "La defense" الناطقة بالفرنسية والمعبرة عن جمعية العلماء بأن المؤتمر الاسلامي يعتبر بداية لكفاح لاهوادة فيه"<sup>3</sup>، وراح الخطباء يطرحون اللوائح التي تتم المصادقة عليها برفع الأيدي أو بالتصفيق وفي مقدمة المطالب الغاء الولاية العامة، والغاء النيابة المالية والغاء القوانين الاستثنائية وطالب ابن باديس باعادة الاعتبار لدين الاسلام وشرعه وقضائه.<sup>4</sup>

انعقد المؤتمر برئاسة الدكتور ابن جلول نائب قسنطينة المالي ومستشارها العمالي ورئيس جمعية نوابها ومثل فيه نواب العمالات الثلاث جميع منتخبيهم ومثلت فيه جمعية العلماء المعنى العالي الذي هو سمة المؤتمر وهو الإسلام، فحق أن يقال: "ان الأمة الجزائرية كلها حشرت في هذا المؤتمر وقد قدرت الجرائد الفرنسية من ضمتهم قاعة المؤتمر بخمسة أو ستة آلاف شخص وقدرناهم نحن بتسعة آلاف أو يزيدون".<sup>5</sup>

ومن هنا فان مساهمة جمعية العلماء في هذا المؤتمر كانت مساهمة فعالة ولاسيما الدور الذي قام به ابن باديس والابراهيمى والعقي والعمودي وخير الدين الذين كانوا جميعا وراء المطالب الدينية واللغة العربية، بالاضافة الى المطالب السياسية التي قدمها ابن باديس رغم الهجمات التي شنها عليه المعارضون لاشتراكهم في مؤتمر سياسي وهم يمثلون جمعية دينية لاحظ لها في السياسة.<sup>6</sup> وقد انتخب المؤتمر لجنة تتولى تسيير أعماله واتجهت اللجنة الى تنظيم حملات اعلامية وتأسيس لجان للمؤتمر في جميع أنحاء الجزائر.<sup>7</sup>

### 1- وفد المؤتمر

واجتمعت هذه اللجنة لتختار وفدا ليقدم مطالب المؤتمر الى الحكومة الفرنسية وقد شارك من العلماء في هذا الوفد الذي توجه الى باريس في 28 ربيع الثاني 1355هـ/ 18 جوان 1936 كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس والطيب

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص161.

<sup>2</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص255.

<sup>3</sup> - محمد المبلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص388.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص398.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص391، نقلا عن البشير الابراهيمى، البصائر، العدد 23، المؤرخ في 12 جوان 1936.

<sup>6</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص258.

<sup>7</sup> - محمد المبلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص397.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

العقبي والبشير الابراهيمي والأمين العمودي، وفي فرنسا قابل الوفد كل المسؤولين لشرح مطالب الأمة الجزائرية ورجعوا ببعض الوعود، والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما مدى نجاح المؤتمر في تحقيق أهدافه التي عقد من أجلها؟<sup>1</sup> وقد كتب عن الزيارة ابن باديس في الشهاب تقييما لمساعي الوفد ذكر فيه أن هناك بعض النتائج تحققت بالفعل وهي تتمثل في أن الوفد عرض "مطالب مؤتمر الأمة الجزائرية المسلمة بصدق وأمانة وشرف" وأن فرنسا حكومة وأحزابا ومؤسسات صحافية عرفت "أن وراء البحر أمة جزائرية تطالب فرنسا بحقوقها وتحافظ تمام المحافظة على شخصيتها ومقومات شخصيتها".<sup>2</sup>

ويقول أيضا: "رجعنا وأكثر الرفاق يظن أن المطالب المستعجلة ان لم تكن صاحبتنا فانها لا تتأخر عنا بأكثر من أسبوع وإذا تقاعست وتباطأت فلا أكثر من شهر، أما أنا فلم أكن - مع الأسف - على هذا القدر من الرجاء، فالجبهة الشعبية تعتمد في بقائها على الراديكاليين وهؤلاء ما يزال فيهم من عرفنا سياستهم الاستعمارية في العهد القديم وهم ما يزالون عليها في العهد الجديد...".<sup>3</sup>

ويستدل على ذلك بلجنة التحقيق البرلمانية اذ يقول: "وقد سمعت منهم حديث لجنة البحث فحق لدي ما ظننته فيهم وتوقعته منهم، فكنت أعتقد أن هذه المطالب ستتأخر وأن هذا الصيف لا يكون فيه شيء".<sup>4</sup>

### 2- تجمع المؤتمرين الشعبي في شهر أوت 1936

وفي شهر أوت 1936م حدث تجمع كبير ضم آلاف المواطنين بالملعب البلدي بالعاصمة وكان الجمهور على موعد مع زعماء أهم التيارات السياسية الجزائرية الموجودة أي التيارات الممثلة في وفد المؤتمر الاسلامي العائد من باريس وهي جمعية العلماء والحزب الشيوعي وحركة النواب من جهة، وحزب نجم شمال افريقيا من جهة أخرى، على أساس أن هذا الأخير لم يشترك في الوفد بل رفض أن يتبنى وجهة نظر المؤتمر ومطالبه كما رفض أن يسكت عن معارضتها.<sup>5</sup> وقد حضر مصالي الحاج<sup>6</sup> زعيم حزب نجم شمال افريقيا، وعارض ابن جلول التحاقه بالمكان المخصص للوفد على أساس أنه عارض مطالب المؤتمر.

لكن الشيخ ابن باديس أصر أن يخصص له مكانا ضمن أعضاء الوفد ودافع عن حقه في أن يأخذ الكلمة على أساس أن المهرجان الشعبي التأم باسم الأمة كلها فلا معنى لمنعه.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 174.

<sup>2</sup> - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص 404.

<sup>3</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 174، نقلا عن الشهاب، ج 7، م 12، أكتوبر 1936، ص 311.

<sup>4</sup> - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص 404.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 405.

<sup>6</sup> - مصالي الحاج: 1898-1974م ولد بتلمسان نال الشهادة الابتدائية وتعلم العربية بزاوية الطريقة الدرقاوية، جند سنة 1918، تابع دروسه مستمعا حرا في جامعة بوردو بفرنسا، أصبح عضو في الحزب الشيوعي، شارك في تأسيس حزب نجم شمال افريقيا وأصبح رئيسا له بعد سنة. أنظر: مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 39.

<sup>7</sup> - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص 407.



## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

وقد تكلم أغلب أعضاء الوفد وتكلم من جمعية العلماء كل من الشيخ ابن باديس والابراهيم العقي ويبدو أن الشيخ ابن باديس رغم عدم تفائله بالنتائج كما سبق ذكره تجنب كل تعليق قد يؤدي الى احباط العزائم وارتخاء التعبئة وفتور الحماس، كان يأمل أن تتطور الحركة التي فجرها المؤتمر الى أن تسفر عن تنظيم حزب اسلامي.<sup>1</sup>

يقول أبو القاسم سعد الله "ولولا التجمع الذي نظمه المؤتمرون لما استطاع مصالي أن يلقي خطبته الشهيرة يوم الثاني من أغسطس، فقد وجد الطريق ممهدة والنفوس معدة والجمع حافلا، ولم يزد على أن ارتقى المنصة ولم يكن في جدول الأعمال وخطب في الناس معبرا عن وجهة نظر النجم ومنتها هذه الفرصة الثمينة لدعوة الشعب للانضمام الى حزبه...".<sup>2</sup>

أيضا في خطبته عبر مصالي أنه جاء شخصيا ليربط النجم بهذه المظاهر الكبيرة المؤتمر هذا التصريح في حد ذاته يعتبر اعترافا منه بانضمام حركته الى حركة المؤتمر.<sup>3</sup>

ولكن مصالي لم يوافق باسم النجم على كل مطالب المؤتمر فقد أعلن أنه يوافق على أن المؤتمر يعتبر حدا فاصلا في تاريخ الجزائر وأنه يؤيده ويوافق على انعقاده ولكن مطالبه تحتاج منه الى صراحة وتفسير جديد، فهو يؤيد المطالب الآنية التي تقدم بها المؤتمر الى فرنسا لأنها مطالب شرعية ومتواضعة وتساعد على التخفيف من شقاء الشعب ولكنه أعلن "بصراحة" أنه لا يوافق على "ربط بلادنا بفرنسا وعلى التمثيل البرلماني" ذلك أن الجزائر في الواقع مرتبطة بفرنسا، وهو ارتباط جاء نتيجة احتلال قاس وليس اختيار واردة.<sup>4</sup>

وتجدر الاشارة الى أن الشيخ الطيب العقي عندما تناول الكلمة كان مغرقا في التفاؤل من جهة ومن جهة أخرى انتقد بصريح العبارة مطالب الاستقلال.<sup>5</sup>

وما نريد أن نبينه هنا أنه كان هناك تياران في جمعية العلماء يتحاذبانها تيار المشاركة والعمل السياسي والذهاب بالمطالب السياسية الى أبعد الحدود والى المنتهى وهو الاستقلال والذي كان يمثله الشيخ عبد الحميد بن باديس منذ تأسيس الجمعية وحتى وفاته سنة 1940م، وتيار ثاني كان يجذب الابتعاد وعدم الاشتغال بالسياسة ويرى بأن فكرة الاستقلال بعيدة المدى ويقتصر في نشاطه على العمل الدعوي والارشاد والتعليم.

ولكننا سوف نرى في نهاية فترة الثلاثينات أن التيار الثاني والذي كان يمثله الشيخ العقي سينسحب من الجمعية بعد فشله في تكريس توجهه وتحسينه من خلال نشاط الجمعية والنأي بها عن المجال السياسي، وبالتالي تكريس توجه ونظرة الشيخ ابن باديس في اشتغال الجمعية ومن ورائها التيار الاصلاحى بالعمل السياسي الذي هو من الدين لتحقيق أهم هدف وهو الاستقلال الحقيقي وقد تجسدت أفكار هذا التيار أو التوجه من خلال المواقف والتحركات السياسية للجمعية.

<sup>1</sup> - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص 408-409.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 3، ص 164.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 165.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 166.

<sup>5</sup> - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص 409.

### 3- نتائج ومواقف من خلال المؤتمر الإسلامي

لقد عاد وفد المؤتمر بعود من الحكومة الفرنسية لتلبية الطلبات العاجلة ولكن هذا لم يتحقق بل على العكس، كانت أول ضربة وجهت للمؤتمر هي قضية قتل المفتي كحول<sup>1</sup>، واتهام العقبي، ثم تفتيش مقر نادي الترقى وغلقه ثم خروج رئيس اتحادية نواب قسنطينة ابن جلول من المؤتمر، كل هذه الأمور أوضحت مدى وقوف السلطات الفرنسية بالمرصاد للحركة الوطنية الجزائرية بصفة عامة ولنشاط العلماء بصفة خاصة.<sup>2</sup>

والواقع أن ابن باديس قد استخلص النتيجة منذ وقت مبكر، فقد رأينا أنه لم يكن متفائلا خلافا لمعظم أعضاء وفد المؤتمر لنتائج مساعي هذا الأخير في باريس، لذلك نشر مقالا في 12 فبراير 1937 يوضح فيه موقفه وفكرته من الناحية المبدئية في نفس الوقت الذي يدق فيه ناقوس الخطر محذرا باريس من مغبة التمادي في المماطلة ومما يقول: "صبرنا على هذا الحيف طويلا وعالجناه بما استطعنا مرات كثيرة من جهات عديدة حتى جاء الوقت الذي نفذ فيه الصبر وأعياء العلاج ..."<sup>3</sup>، ويحسم ابن باديس الموقف بما لا يدع مجالاً للشك فيوجهه - في صيغة ديبلوماسية - انذارا للاستعمار عندما يقول "إذا لم يكن أي لم تتحقق المساواة المطلقة باعطاء كل الحقوق لكل الجزائريين وليس لفئة محدودة منهم فلا عتب على الزمان وما شاء الله كان"، أي أن فرنسا هي التي تحدد اتجاه المسار الذي سوف يسلكه الشعب الجزائري إما اتجاه الاعتراف بكيانه والتعاون بين البلدين كندين وإما اتجاه الثورة والاصطدام فالانفصال أي الاستقلال.<sup>4</sup>

والملاحظ أن اللجنة البرلمانية للتحقيق التي زارت الجزائر للاتصال بمختلف التيارات ومعرفة آرائهم في كيفية معالجة مشروع بلوم - فيوليت - أنها استقبلت الشيخ الطيب العقبي وحده يوم 6 مارس 1937 واستقبلت الوفد الرسمي لجمعية العلماء يوم 16 أبريل 1937م كان الوفد يضم الشيوخ عبد الحميد بن باديس، البشير الابراهيمي، مبارك الملي، العربي التبسي والأمين العمودي، ولكن الشيخ الطيب العقبي يكون حسب شارل روبير أجرون: قد قال ما معناه بعد ذلك للجنة التحقيق تلك: "إذا كان أولوا الأمر يهتمون الأخذ بهذا الرأي فسوف نضطر لقبوله مرغمين" (وهو التحلي عن الأحوال الشخصية بالنسبة للمستفيدين من مشروع بلوم فيوليت).<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - قضية المفتي كحول: على اثر مشاركة العلماء في وفد المؤتمر الى باريس الذي استقبله رئيس الحكومة يوم 22 جويلية 1936 وأثارت مبادرتهم احتجاج الموظفين الدينين الموجهين من ادارة الشؤون الأهلية، وفي برقية الى رئيس الحكومة شهر المفتي المالكي بعاصمة الجزائر وهو "ابن دالي محمود" المدعو "كحول" المدرس بالمسجد الأعظم "بالعلماء الجزائريين الذين ليس لهم لا مستندات ولا شهادات ... وتبرأ منهم الأغلبية الساحقة" و"لا يمثلون سوبشردمة من المشوشين الذين يحاولون بعث الفوضى في البلاد" وبعد ذلك بخمسة عشر يوما على اثر تقدم الوفد لنتائج مقابله، خر "كحول" صريعا متأثرا بضربات رجل ذي سوابق عدلية ودور مشبوهِ فيه وهو "عكاشة" الذي أكد أنه تسلم من يد الطيب العقبي خنجرا من صنع بوسعادة و30.000 فرنكا، وسمحت المكيدة بالرغم من فظاعتها بالقضاء القبض على الطيب العقبي الذي أطلق سراحه بع أن تراجع "عكاشة" في وشايتة أثناء مكافحة له، وخرج العقبي من السجن بحالة الضحية لكن الشيخ بقي عرضة للتبعات العدلية مما أثر في موقفه السياسي، وفي سبتمبر 1938 قدم استقالته من عضوية الهيئة للمجالس الادارية لأن ابن باديس رفض أن يوجه شهادة ولاء للحكومة وأظهر لفرنسا ابتداء من سنة 1938 ولاء لم يجد عنه وكان سلوكه فرديا. أنظر: أندري جوليان، المصدر السابق، ص 138-139.

<sup>2</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 178.

<sup>3</sup> - محمد الملي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص 418-419.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 420.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 421.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

ونحن نلاحظ هذا التراجع بالنسبة للعقبي في قضايا مبدئية عند الاصلاحيين هذا فضلا عن موقفه المبدئي بعدم الاشتغال في السياسة أن مرد هذا الموقف المتخاذل هو اتهامه بأنه حرض على اغتيال المفتي "كحول" حيث أدخل السجن وشكلت بدايات تفكيره في الانشقاق عن جمعية العلماء الذي تجسد عام 1938م.<sup>1</sup>

أما الموقف الرسمي للوفد جمعية العلماء فقد أجابهم ابن باديس: "إن كل محاولة لحمل الجزائريين على أن يتركوا جنسهم أو لغتهم أو تاريخهم أو شيئا من مقوماتهم فهي محاولة فاشلة مقضي عليها بالخيبة والواقع دل على هذا".<sup>2</sup>

ان المقارنة بين ما قاله ابن باديس الذي حرص على أن يستصحب معه أقرب معاضديه وبين ما قاله الشيخ العقبي لنفس اللجنة يبرز بداية انشقاق العقبي عن جمعية العلماء ومحاولة اللجنة البرلمانية توظيفه في تعطيل مشروع بلوم - فيوليت.<sup>3</sup>

أيضا من بين المواقف كما يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله: "تمسك النخبة والنواب بمشروع فيوليت وتحفظ العلماء منه وغموض وذبذبة شخصية ابن جلول الذي لم ينف دور العلماء في حادثة اغتيال كحول وحل نجم افريقيا الشمالية الذي أعلن تأييده لمعظم مطالب المؤتمر ودخول هذه المنظمة (النجم) في خصام حاد مع الحزب الشيوعي وهو أيضا مشارك في المؤتمر كل ذلك أدى في نظرنا الى تدهور سمعة المؤتمر ورجاله ويمكن أن نضيف الى ذلك سقوط حكومة الجبهة الشعبية وعدم تمكن الوفد الجزائري من الحصول على شيء إيجابي من الحكومة الفرنسية بشأن مطالب المؤتمر".<sup>4</sup>

وما نخلص اليه من مواقف ونتائج مشاركة جمعية العلماء الاصلاحية في المؤتمر الاسلامي أننا لاحظنا تطور الأفكار الاصلاحية الى أفكار سياسية خاصة منذ تأسيس المؤتمر الاسلامي ومماثلة فرنسا في الاستجابة لمطالب وفد المؤتمر، حيث أخذ هذا التوجه المطلي منحى تصاعدي وشديد اللهجة في اقامة الحججة على فرنسا وأنها قد استنفذت معها كل الطرق السلمية وطرق المهادنة في المطالبة بأبسط الحقوق للشعب الجزائري، حيث نجد رجال الاصلاح الديني مثل الابراهيم في تلمسان ومبارك الميلي والعربي التبسي في الشرق الجزائري ينشطون في مهاجمة التباطؤ الفرنسي والمماطلة في تنفيذ مشروع بلوم فيوليت بل وينتقدونه لأنه لا يتعلق الا بعدد محدود ولذلك كانوا يطالبون بزيادة عدد المستفيدين منه.<sup>5</sup>

### 4- مؤاخذات حول مشاركة الاصلاحيين في المؤتمر الاسلامي ومبرراتهم

من بين المؤاخذات التي أتى بها كتاب معاصرين لجمعية العلماء ومؤرخين كما يقول أبو القاسم سعد الله: "كانت مشاركة العلماء في المؤتمر الاسلامي الجزائري سنة 1936م قد جلبت عليهم نقمة الخصوم والادارة معا بدعوى أنهم قد انحرفوا عن هدفهم الديني"، ويقول: "كأن الدين عند هؤلاء هو العبادات فقط وكان موقف ابن باديس من قضية الأمة الجزائرية سنة 1936م أيضا قد جعل أصابع السياسة تتحرك متهمه الجمعية بأنها تخوض فيما لا يعينها...".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص421.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص422.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص425.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص168-169.

<sup>5</sup> - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص426.

<sup>6</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص87.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

أيضا من المؤاخذات ما يقوله المفكر مالك بن نبي في كتابه "شروط النهضة" نقدا لاذعا لذهاب الاصلاحيين الى المؤتمر الاسلامي ومشاركتهم في وفد باريس: "فليس للانحراف طرق مرسومة نظريا ولكن له دروب مظلمة يتعثر فيها السائر في كل خطوة... وهنا يظهر السبب الذي دعا العلماء الى أن يسيروا عام 1936م في القافلة السياسية التي ذهبت الى باريس كأكبر سبب جر الحركة الاصلاحية الجزائرية الى أول انحرافها"<sup>1</sup>.

ويقول أيضا: "وربما كان عام 1936 م في الجزائر هو القمة التي بلغها روح الكفاح والاصلاح الاجتماعي وهي نفسها القمة التي هبط منها الاصلاح الى هاوية لا قرار لها"<sup>2</sup>.

ويقول عبد الرحمان بن العقون في معرض حديثه عن مواقف ابن باديس السياسية تجاه خيبة الوفد الذي رجع من فرنسا يتحامل على الشيخ ابن باديس ويقول: "وكل هذه المواقف من ابن باديس ارهاصات تدل على أنه في طريق التخلي عن فكرته الخاطئة سيما ورعه وتقواه يأيدان عليه أن يلاقي ربه بخطيئته التاريخية... الخ"<sup>3</sup>.

ولكن مبالغات ومؤاخذات ابن العقون والمفكر مالك بن نبي كون كلامهم مبني على نظرهم الخاصة لمفهوم الاصلاح وأنهما بشرين كلاهما يؤخذ منه ويرد عليه فالرد عليهم بمبررات ما وجدناه بين أيدينا من كتابات ووثائق لننصف الحق وتنقيد بالأمانة العلمية دون تحيز ولا عاطفة.

نقول أن هدف الشيخ عبد الحميد بن باديس ومن معه من الاصلاحيين من خلال دعوتهم ومشاركتهم في المؤتمر الاسلامي الجزائري سنة 1936م لم يكن في حقيقة الأمر من أجل العمل السياسي والتجاوب مع برنامج مشروع بلوم فيوليت، وإنما كان هدفهم أبعده وأعمق مما يظهر للعيان، يقول الملي في كتابه المؤتمر الاسلامي الجزائري: "فقد كانت وجهت صحيفة "لاديفانس" التي أصبحت الناطق الرسمي باسم "المؤتمر" نداء يدعو الى تكوين جبهة سياسة يتحد فيها علماء الاصلاح الديني ورجال المؤتمر الاسلامي وحزب الشعب الجزائري، واقترح في نفس الوقت حزب الشعب السعي الى تشكيل "حزب اسلامي" واسع حول برنامج مشترك لكن هذا الاتجاه الذي كان يلتقي فيه حزب الشعب مع بعض علماء الاصلاح الديني لم يتحقق لأن تيارات "المؤتمر الاسلامي" تعرضت هي أيضا لخلافات انعكست سلبا على مسعى تكوين حزب اسلامي على أسس جديدة"<sup>4</sup>.

ومهما يكن من أمر فانه مما يؤكد أن ابن باديس كان يراهن على تطوير "المؤتمر" الى حزب سياسي يضم كل التيارات الوطنية أنه صرح بعد ذلك قائلا: "ليس المصلحون حزبا وربما يكونونه يوما من الأيام"<sup>5</sup>.

وذلك هو ما يفسر سكوته عن ابداء تشاؤمه في ذلك المهرجان الضخم ويلاحظ أن من خلال النقاش الذي جرى بينه وبين مصالي الحاج في باريس على هامش زيارة وفد المؤتمر لفرنسا حيث زار ابن باديس والابراهيمى وعبد الرحمان بوشامة ممثل الحزب الشيوعي مصالي حيث يروي بوشامة أن الشيخ ابن باديس: "حاول طوال الليل أن يقنعه بأن

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص26.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص27.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن ابن العقون، المصدر السابق، ج2، ص 142.

<sup>4</sup> - محمد الملي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص420-421.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص409، نقلا عن جريدة الشهاب، العدد الصادر في مارس 1938.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

المسائل لا تعني اطلاقا الاندماج لأن الأمر يتعلق قبل كل شيء بتجميع القوى الحية في الشعب الجزائري يكون هو الأول من نوعه وأن أهم مسألة في الموضوع هي تكوين أوسع اتحاد ممكن وخوض المعركة على هذا الأساس".<sup>1</sup>

وأيضاً ما قاله ابن باديس لمصالي: "أنه يعتبر مطالب المؤتمر مجرد ذريعة وموقف تكتيكي، لأن المهم في نظره ليست قائمة المطالب ولكن هو صهر كل التيارات الوطنية في حركة متحدة وموحدة".<sup>2</sup>

وهذا ما يعطينا تفسيراً بأن مصالي الحاج يكون قد اقتنع بوجهة نظر الشيخ ابن باديس وأن حضوره للتجمع الشعبي في الملعب البلدي يوم 02 أوت 1936م ليس بمحض الصدفة وتواجد أنصاره في الملعب وأيضاً اصرار الشيخ ابن باديس على اعطائه الكلمة رغم معارضة قادة النخبة.

أيضاً مما يدل على أن الشيخ ابن باديس لم يكن يهتم بما ستجيبهم فرنسا على مطالبهم من خلال المؤتمر ما قاله الشيخ محمد خير الدين في مقال له في "البصائر" عام 1948م حيث قال: "وأقسم لقد رأيت العجب من طرب الزعيم الأكبر عبد الحميد بن باديس لهذه النتيجة فما كان يتوقع أن نحصل على شيء من فرنسا وما كان يدور في خلدته أنها ستسرح في يوم من الأيام وبمحض ارادتها لانصافها وعلاج قضيتنا...".<sup>3</sup>

ومن ناحية أخرى حتى ولو لم يكن هدف العلماء الاصلاحيين من وراء المؤتمر الاسلامي الجزائري، فهل كانوا سيتركون المنتخبين والاندماجين يقررون مصير الأمة الجزائرية دون أن يتدخلوا حيث نجد أن السلطات الفرنسية تعترف - في احدى الوثائق - بأن العلماء أجبروا النواب الجزائريين على المطالبة بالتمسك بالمحافظة على الشخصية الاسلامية كأحد مطالب المؤتمر وتصنيف الوثيقة بأن العلماء كانوا متأكدين من عدم هذه المطالب، لكنهم استفادوا على أية حال من المؤتمر في المضي قدماً في دعايتهم ضد التجنس الذي كان احدى آمانيات المنتخبين منذ مدة طويلة حتى انهم (المنتخبين) كانوا يتمنون لو فرض عليهم التجنس فرضاً".<sup>4</sup>

وعليه نقول أين الانحراف والدروب المظلمة التي قالها المفكر مالك بن نبي في سير الشيخ ابن باديس واصحابه نحو المؤتمر الاسلامي وأين يا ترى تكمن الخطيئة التاريخية التي أبي ابن باديس أن يلاقي ربه بها كما قال ابن العقون، ان العمل السياسي والتحرك التكتيكي الذي انتهجه الشيخ ابن باديس والعلماء الاصلاحيين في تطور نشاطهم السياسي جدير بالاهتمام والتتبع والاطلاع على كثير من الوثائق والدراسات التي تناولت هذا الجانب، مما يوحى على مدى عمق ودهاء العلماء الاصلاحيين في فترة الثلاثينات بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس وذلك ما سنراه أيضاً في علاقتها وتعاملها مع الأحزاب السياسية الوطنية آنذاك.

### المطلب الثاني: العراقيل الإدارية الفرنسية وقانون شوطان 1938

لقد أدركت الإدارة الاستعمارية مدى قوة وجدارة العلماء في قيادة الأمة نحو التوحيد وتجميع الجهود الوطنية والتدرج في المطالب السياسية للوصول الى التحرر والانعقاد من استعمار استيطاني طال أمده، وزاد ظلمه على الأمة

<sup>1</sup> - محمد المبلي، المؤتمر الاسلامي، المرجع السابق، ص403.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص409.

<sup>3</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص175، نقلاً عن: محمد خير الدين، البصائر، العدد 55، 06 محرم 1368 هـ / 08 نوفمبر 1948م .

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص175.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

الجزائرية، لذلك لم تتوقف الآلة الاستعمارية باستمرار في سن القوانين والمراسيم التي تعرقل نشاط الجمعية الإصلاحية خاصة بعد المؤتمر الإسلامي لسنة 1936 الذي برزت فيه جمعية العلماء كقطب سياسي هام على الساحة الوطنية، حيث كثف المستعمر من تسلطه على جمعية العلماء وأعضائها ومناصريها، ففي سنة 1936 سجن من غير جرم ولا سب ظاهر ناصر المدرس الحر لبلدية قرقور منطقة سطيف، وفي نفس السنة أيضا وفي عهد الجبهة الشعبية أدخل الشيخ الطيب العقبي - سجن بربوس - وأغلقت الإدارة مدارس تابعة لجمعية العلماء في عمالتي قسنطينة ووهران، وقد كان لهذه الأحداث وما سبقها من أحداث أخرى أثر خطير في محيط الجمعية انشغلت بها اجتماعاتها العامة والخاصة، وتناقلتها صحفها بين الجزائريين والفرنسيين على السواء.<sup>1</sup>

وفي سنة 1937 امتهن مسجد قنرات وأهين عمر درودر ومنع من التعليم المشايخ بلقاسم بن أورا، يحي بن العوادي، وفي هذه السنة هدد وضيق على كل من الفضيل الورتلاني، السعيد الصالحي والسعيد البياني دعاة الجمعية في فرنسا، وفتشت الشرطة نادي التهذيب بباريس (وهو مكان له حرمة المساجد وهيبة المدارس لأنه يقوم بالتعليم وتقام فيه الصلوات).<sup>2</sup>

وفي يوم 5 جانفي 1938 أغلقت سلطات الاحتلال دار الحديث بتلمسان، وهو أهم مركز من مراكز الحركة الإصلاحية وجمعية العلماء، كان منبرا ومدرسة للشيخ الابراهيمي القطب الغربي لجمعية العلماء، من ذلك أن الإدارة الاستعمارية أصدرت قرارا بموجبه منع المشروبات الحلال في النوادي، وهو أمر نتيجته افقار النوادي من روادها، وقد صدر هذا القانون (قانون النوادي) في 20 جانفي 1938 من وزير داخلية فرنسا وقد ترجمته جريدة البصائر في عددها الصادر بتاريخ 15 افريل 1938، وقد اعتبرته جمعية العلماء بمثابة أمر بغلق النوادي، وبالتالي القضاء على نشاط الجمعية الحيوي في ميدان رعاية الشباب وتربيتهم وتوجيههم توجيها عربيا إسلاميا،<sup>3</sup> وفي ربيع 1938 أصدر الوالي العام في الجزائر منشورا الى رؤساء الأقاليم الجنوبية (الصحراء) يقضي بإلقاء القبض وسجن كل طالب ينتسب الى جمعية العلماء حال جولانه بمناطقهم وقيامه بالدعاية لصالح هذه الجمعية.<sup>4</sup>

ويعتبر هذا الاجراء نوع من أنواع حظر التحول على طلبة وعلماء الحركة الإصلاحية ونوع من أنواع التضييق والاضطهاد على نشاطهم الدعوي والاصلاحي.

**قرار شوطان 8 مارس 1938:** لم تكد الجمعية تبدأ احتجاجها واعتراضها على مسألة النوادي حتى داهها الاستعمار بقرار جديد في 7 ذي الحجة 1357هـ الموافق 8 مارس 1938م وهو الذي أصدره رئيس الوزراء كميل شوطان (Camille Chautemps) بخصوص المدارس الخاصة والذي يتلخص فيما يلي:

- ان افتتاح أي مدرسة خاصة دون تصريح يعد أمرا غير قانوني ويستحق مرتكبه العقوبة.

<sup>1</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص213.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص216.

<sup>3</sup> - حليمي مصطفى: صراع رجال الإصلاح مع الإدارة الاستعمارية 1931-1956، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلباس، الجزائر، 2014/2013، ص148.

<sup>4</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص209، نقلا عن: جريدة البصائر، اندجينا جديدة، عدد113، 13 ماي 1938، ص1.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

- مراقبة المدارس الخاصة الموجودة.

- إعطاء حكومة الجزائر السلطة لإغلاق أي مدرسة إسلامية يتهم مدرسيها بأن لهم ميول وطنية.<sup>1</sup>

وقد جاء رد فعل جمعية العلماء بنفس القوة حيث صرح رئيس الجمعية "اننا عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا وسمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصدرنا عن ذلك"<sup>2</sup>.

ثم أخذت الجمعية تتوجه نحو فئات الشعب كافة تطلب منهم مساعدتها في الدفاع عن قضية التعليم، ومن بين هذه الفئات قضاة الشرع المسلمين<sup>3</sup>، وجمعية قدماء المحاربين مذكرة إياهم بالتضحيات التي قدموها لفرنسا مقابل المحافظة على دينهم ولغتهم.<sup>4</sup> كذلك ناشدت الجمعية النواب الجزائريين الأحرار ودعتهم للاحتجاج على قرار شوطان.<sup>5</sup>

وتشير الوثائق الفرنسية الى أن قرار شوطان وما سبقه من أوامر حكومية بخصوص النوادي لم تنجح في الحد من نشاط العلماء الذين كثفوا جهودهم وأنشؤوا شعبا جديدة في شتاء 1937-1938 وقاموا بتوزيع المنشورات التي تدعو الشعب الجزائري الى الاحتجاج على ما أسموه اضطهاد الإسلام، جمعوا الأموال لتنظيم الدفاع عن مدارس تحفيظ القرآن والمدارس الخاصة.<sup>6</sup>

وما إن بدأت الإدارة الاستعمارية بتطبيق قرار شوطان حتى أغلقت الكثير من المدارس الإسلامية في تلمسان وعنابة وغيرها، واعتقل من العلماء مثل الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي من زاوية الواد، وعلي بن سعد وعيد القادر الياجوري ومحمد الكامل وكلهم من ولاية قسنطينة، وذلك لتحريضهم على عدم طاعة الأوامر الفرنسية والعمل ضدها، وقد كان اعتقالهم بأمر من الحاكم العام.<sup>7</sup>

### المطلب الثالث: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الحرب العالمية الثانية

لقد كان موقف جمعية العلماء بخصوص مساندة فرنسا والحلفاء في الحرب العالمية الثانية مبني على خلفيات الصراع السياسي بين الجمعية وفرنسا وخاصة عند آخر زيارة لوفد المؤتمر الذي ذهب الى باريس سنة 1938 برئاسة فرحات عباس واستقبله رئيس الحكومة الاشتراكي دالادي (Daladier)، وكانت نهاية المقابلة بالنسبة لابن باديس أن أجاب - أو انتقم - من شخص دالاداييقوله: "لا توجد أي قوة أكبر من قوة الله، ان قضيتنا عادلة وسنواصل الدفاع عنها أمام وضد الجميع"، وذلك جوابا لقول دالاداي المتعجرف المهدد بقوة فرنسا صاحبة المدفع القوي ...<sup>8</sup> وقد نشرت الشهاب في ذكرى الاحتفال بالمولد النبوي في الجزء الرابع من المجلد الثالث عشر بتاريخ ربيع الثاني 1356 هـ الموافق ل 11 جوان 1937 قصيدة ابن باديس الشهيرة التي تحوي على الأبيات الشهيرة:

<sup>1</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 224.

<sup>2</sup> - جريدة البصائر، عدد 107، 8 أبريل 1938.

<sup>3</sup> - جريدة البصائر، عدد 110، 22 أبريل 1938.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه.

<sup>5</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 223.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 224.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 226.

<sup>8</sup> - عبد الرحمن ابن العقون، المصدر السابق، ص 143.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

شعب الجزائر مسلم      والى العروبة ينتسب  
من قال حاد عن أصله      أو قال مات فقد كذب  
أو رام ادماجا له      رام المحال من الطلب<sup>1</sup>

ونشر أيضا مقال بعنوان: "آن أو أن اليأس من فرنسا" بتاريخ 9 أوت 1937، أيضا يندد فيه باختلاف الوعود التي كان قطعها رئيس الحكومة الفرنسية عندما استقبل وفد المؤتمر قبل ذلك بسنة ثم يسجل مسعى الإدارة إلى دفع الشعب وزعمائه نحو اليأس والاستسلام حيث يقول: "أيها الشعب الجزائري ..... أيها الشعب المسلم ..... أيها الشعب العربي الأبّي حذاري من الذين ينومونك ويخذرونك حذار من الذين يأتونك من غير نفسك وضميرك ومن غير تاريخك وقوميتك ومن غير دينك وأمتك وأبطال دينك وملتك، استوح الاسلام ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك، اعتمد على الله ثم على نفسك وسلام الله عليك".

ان هذا المقال اذ يؤكد أن السياسات المتبعة من طرف الحكومة الفرنسية لن تنجح في دفع الجماهير وطلّاعها لليأس والاستسلام صريح كل الصراحة في استخلاص النتيجة الوحيدة اللازمة وهي الدعوة إلى الكفاح ودفع الناس إلى التفكير في وسائل أخرى للمقاومة غير تلك التي انتهجتها الجمعية حتى ذلك الحين.<sup>2</sup>

ولما حاولت الإدارة الاستعمارية الفرنسية استمالة الأحزاب السياسية الجزائرية بما فيها الجمعية للوقوف معها عشية الحرب العالمية الثانية حيث أن المجلس الإداري لجمعية العلماء سنة 1938 رفض الاعلان عن تأييد فرنسا في صورة ما اذا نشبت الحرب بين فرنسا وألمانيا.<sup>3</sup>

حيث التزمت الصمت ولم تعبر عن موقفها صراحة وفي نفس الوقت سارعت إلى تعطيل مجلتها "الشهاب" تحسبا لما تجرّها السلطات الفرنسية على نشر ما هو في صالح فرنسا، نسيت جمعية العلماء هذا العمل وذلك معاملة بالمثل لأن فرنسا نسيت جمعية العلماء أيام رخائها، فالجمعية اليوم تنساها في ساعة الشدة،<sup>4</sup> خاصة وأن لدى الجمعية سمعتها ومكانتها المحترمة لدى الأوساط الجزائرية ولها القدرة الكاملة لاقتناع هذه الأوساط الجزائرية بضرورة الوقوف إلى جانب فرنسا في حربها ضد ألمانيا اذا أرادت، لكنها فعلت ذلك تمسكا بمبادئها الاسلامية الصحيحة وبقانونها الأساسي الذي وضحت فيه الطريق السليم لبلوغ أهدافها وتجنب بذلك حل المشاكل التي ربما تخلق لها بعض العراقيل وبالتالي تحول دون تحقيق أهدافها،<sup>5</sup> وترتب على موقف الجمعية هذا بأن لجأت السلطات الفرنسية إلى وسيلة جديدة لكسب رأي الجمعية فيما يخص مساعدة فرنسا في الحرب العالمية الثانية فاتصلت الإدارة الفرنسية بأعضاء الجمعية على حدى، وفشلت مع

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن العقون، المصدر السابق، ص 145-146.

<sup>2</sup> - محمد المبلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص 427-428.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج 3، ص 88.

<sup>4</sup> - قدارة الشايب: أثر اندلاع الحرب العالمية الثانية على مسار الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1942 دراسة تحليلية، مجلة البحوث والدراسات الانسانية، مج 02، العدد 03، 30 جوان 2008، ص 376.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 376.



## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

معظم الأعضاء إلا أنها استطاعت أن تؤثر على بعض الأشخاص،<sup>1</sup> مستغلة في ذلك بعض الخلافات الطفيفة في صفوف الجمعية وكانت تعتقد أنها بطريقتها هذه ستتكمّن أيضا من اقناع زعيم الجمعية نفسه (الشيخ عبد الحميد بن باديس) لكن أعضاء الجمعية رفضوا رفضا قاطعا كل العروض والمغريات التي قدمت لهم وامتنعوا عن توجيه بركات الولاء والتأييد لفرنسا في حربها ضد ألمانيا كما رفضوا توجيه النداءات إلى الشعب الجزائري لنفس الغرض.<sup>2</sup>

وقد اعتقلت فرنسا بعض أعضاء الجمعية وعلى رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي نائب الرئيس،<sup>3</sup> حيث نفى الإبراهيمي إلى أفلو بالجنوب الجزائري وفرضت الإقامة الجبرية على ابن باديس بالإضافة إلى بعض العلماء الذين كانوا لا يزالون في السجون، وقد حاولت إيطاليا وألمانيا (دول المحور) استمالة الإصلاحيين عبر موجات الأثير وذلك عن طريق محطتي (باري) وراديو (طرابلس) حيث جهزت هاتان الاذاعتان في نهاية عام 1357هـ/1938م ليتمكن التقاطهما على مستوى شمال أفريقيا،<sup>4</sup> وقد فطن ابن باديس إلى هذه الحرب الأثرية وعللها بأنها "حقد بعضه (الاستعمار) على بعض ورغبة بعضه في إثارة مستبعدي بعضه عليه واستمالتهم إلى نفسه لأن تلك الأمم المستضعفة هي مادة حياته وأساس قوته فهو يتقاتل من أجلها تنافسا عليها لا رحمة بها وإن تظاهر بالعطف والشفقة".<sup>5</sup>

ولقد سبق لابن باديس قبل ذلك بستين تقريبا إيضاح موقف العلماء من الصراع بين الكتل الأوروبية المختلفة حيث أكد أنه لا يمكن لشمال أفريقيا أن يكون آلة في يد أي دولة وذلك بقوله: "وأعرف عن نفسي وعن رجال هذا الشمال الإفريقي اخواني أننا نأبى أن نكون آلة في يد أي من الأمم التي تكيد لفرنسا إباء وترفعنا تمليهما علينا عزة الإسلام وشمم العروبة...".<sup>6</sup>

ولم تمضي سنة فقط على اندلاع الحرب العالمية الثانية حتى فاجأ القدر زعيم جمعية العلماء الشيخ عبد الحميد بن باديس في 16 أبريل 1940م ومع ذلك فإن موقف الجمعية من الحرب ومن فرنسا بقي ثابتا ولم يتغير حيث سلك خليفته الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نفس المشوار رغم وجوده بالمنفى بقرية "أفلو" جنوب غرب الجزائر.<sup>7</sup>

### المطلب الرابع: علاقة جمعية العلماء بالأحزاب الوطنية السياسية

رغم أن نظرة الجمعية للأحزاب الوطنية كانت نظرة ضيقة إلا أنها لم تعارضهم لمجرد أنها أحزاب سياسية وإنما لما كان يثار من مصالح حزبية خاصة، وهذا ما دفع البعض من رجال الجمعية إلى المطالبة بحل هذه الأحزاب فهي حسب رأيهم تعرقل وحدة الشعب وتطوره، الأمر الذي دفعهم إلى الدعوة لتأسيس حركة سياسية جزائرية على أساس شعبي وليس على أساس حزبي.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - قدارة الشايب، أثر اندلاع، المرجع السابق، ص376.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص376.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن ابن العقون، المصدر السابق، ص237.

<sup>4</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص234.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص235، نقلا عن جريدة البصائر، العدد 165، الصادر في 12 ماي 1939.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص236، نقلا عن مجلة الشهاب، مج13، ج9، نوفمبر 1937، ص398.

<sup>7</sup> - قدارة الشايب، أثر اندلاع، المرجع السابق، ص377.

<sup>8</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج2، ص190.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

لقد دعت جمعية العلماء ومنذ عهد ابن باديس، الأحزاب الوطنية الى التوحد من خلال دعوتها الصريحة في جريدة البصائر: "ان قوتكم في الاتحاد فاتحدوا، يا قادة الأحزاب ان في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار تورث العداوة الحزبية بين الأخوة بحجة المحافظة على المبدأ، فانبذوها لضرورة الاتحاد ومراعاة الظروف.. ثم أضاف ان الجمعية هي المخلص الوحيد لهذا المأزق الحزبي".

كما نجد الابراهيمى يقول: "وجدنا بعضهم لا يرضى بأن تكون جمعية العلماء جزءا من هذا الاتحاد وجمعية العلماء كما هي في حقيقتها وكما أعلنت فوق الأحزاب ومن مصلحة الأحزاب أن تكون جمعية العلماء فوق الأحزاب".<sup>1</sup>

وما نفهمه من كلام الشيخ الابراهيمى في هذا الصدد وهو ليس التقليل من شأن الأحزاب السياسية الوطنية أو التعالي عليها وإنما جمعهم في إطار عمل موحد تكون الجمعية هي المشرفة عليه لما تمثله من سمعة دينية واجماع وطني شعبي بحيث تكون هي الضامن لهذا الاتحاد الذي سيعمل على توحيد القوى السياسية الوطنية لتحقيق المطالب السياسية.

### 1- علاقة جمعية العلماء بالمنتخبين المسلمين

أ- تعريف كتلة المنتخبين السياسية هذه الكتلة السياسية كانت تمثل في عقد العشرينات تيار النخبة الليبرالي ورغم اعتدال مطالبها وتأكيدا على مبدأ الادمج لم تنل من الادارة الفرنسية أي اصلاح يذكر، وهي لم تشكل حزبا قائما بذاته فقد مثل المنتخبون منذ سنة 1927 تجمعا غير متماسك في اطار "فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين" وظل الاختلاف حول مبدأ الادمج قائما بين فئتين منهم واحدة محافظة والأخرى ليبرالية مفرسة، وهم من فئات مميزة كالمعلمين والأطباء والموظفين وأصحاب المهن الحرة ومن أبرز زعمائهم خلال هذه الفترة نذكر: ابن جلول، فرحات عباس، الأخصري، رابح زياتي وغيرهم.<sup>2</sup>

ب- تعامل العلماء مع المنتخبين في المجال السياسي والتأثيرات المتبادلة بينهم وقد بدأت علاقة جمعية العلماء مع هذا التنظيم منذ بداية حركة الاصلاح الديني التي دعت الى رفض التجنس مع المطالبة بجميع الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون، ويبدو أن العلماء قد فطنوا الى أهمية النخبة لأنها كانت مثقفة بالثقافة الفرنسية، فكان بإمكانها ايصال مطالب الشعب الى السلطات الفرنسية لذلك حاول العلماء التأثير فيها والاستفادة منها في تحقيق بعض مطالبهم لدى السلطة وقد وقف ابن باديس وابن جلول معا في وجه أزمة قسنطينة عام 1934م وقد كان عمل ابن باديس وابن جلول أثناء هذه الأزمة محاولة تهدئة المسلمين والدفاع عن حقوقهم ضد الفئة اليهودية المعتدية.<sup>3</sup>

واستمر بن جلول يؤيد مطالب العلماء التي تتلخص في فصل الدين عن الدولة وحرية التعليم العربي وحرية الوعظ والارشاد في المساجد، وقد كانت الادارة تنظر لمواقف ابن جلول بعين الرضا لاعتقادها بعدم صدقه واخلاصه للعلماء مؤكدة أن اهتمامه ودعمه للعلماء كان فقط للاستفادة من قوتهم في الحملات الانتخابية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - البصائر، العدد 10، بتاريخ: 13 أكتوبر 1947، ص2.

<sup>2</sup> - مقالاتي عبد الله: المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص158.

<sup>3</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص157.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص158.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

وسواء أراد ابن جلول استغلال قوة العلماء للحصول على مقاعد النيابة أو لا فإن العلماء قد أثروا فيه وجعلوه يشارك في المؤتمر الإسلامي، ويقبل الرئاسة ولكنه سرعان ما تخلى عنها بعد حادثة مقتل المفتي كحول، وبدأ بالفعل في محاربة الجمعية حيث اتهم العلماء بتدبير مقتل كحول ثم ما كان من التجائه الى الطريقة واقامة احتفالات دينية في 11 أكتوبر 1936.<sup>1</sup>

فعقدت الجمعية على اثر ذلك اجتماعا قررت فيه اعتبار ابن جلول عدوا لها ومع ذلك لم تدم فترة الجفاء طويلا لتعود العلاقات من جديد سنة 1937 وبمناسبة الاحتفالات الفرنسية باحتلال قسنطينة والتي حاربها كل من ابن باديس وابن جلول رغم تخوف أنصار هذا الأخير من التقارب.<sup>2</sup>

وأثناء انتخابات 1938م في أكتوبر توطدت العلاقة بينهما حين دعا ابن باديس ابن جلول الى اجتماع عام بقسنطينة بحضور مختلف القوى الوطنية وطالب فيه بتوحيد الجهود للوقوف في وجه الاستعمار وكانت هذه بداية جديدة للعلاقة بين النواب والجمعية، خصوصا أن جمعية العلماء قد ناصرت النواب في الانتخابات ولولاهم لما فازوا، وما تجدر الإشارة اليه في هذا الصدد أن الابراهيمي كان نقده للنواب أقسى من نقده للأحزاب السياسية الأخرى، إذ أسقط عنهم صفة النيابة وتمثيل الشعب واعتبرهم موظفين حكوميين وصلوا نتيجة التزوير وأن تقرهم من الجمعية لم يكن الا من أجل الانتخابات... ويقول الابراهيمي عن ابن جلول: "لكن الرجل - ابن جلول - تملكه الغرور وتكشف عن خصال كلها غميرة في وطنية السياسي، وكان أقوى الأسباب في سقوطه اصطدامه بجمعية العلماء وهي التي كونته وأذاعت اسمه وعبدت له الطريق الى النيابات فأرادت الجمعية أن تستصلحه فلم ينصلح فنبذت اليه على السواء".<sup>3</sup>

وقد ندد قبله الشيخ العربي التبسي بموقف النواب المسلمين المتخاذل حيث كتب مقالا بعنوان "كلمة الجزائر المسلمة الى النواب المسلمين" بجريدة السنة العدد 5 الصادر في قسنطينة يوم الاثنين 13 محرم 1352هـ الموافق 8 ماي 1933م، حيث ندد فيه بموقفهم المتخاذل من قانون منع المرشدين والعلماء من التدريس والمحاضرات في المساجد وغلقها في وجوههم وقال بأنكم تمثلون الأمة الجزائرية ومن حقها عليكم أن تدافعوا عنها.<sup>4</sup>

وما هذه الانتقادات من العلماء ضد المنتخبين الا لأنهم يرون أنفسهم أصحاب الفضل عليهم في وصولهم الى المناصب النيابية، هذه الخلافات لم تكن عزم العلماء في محاولة كسب تأييد النواب في المطالبة لدى الحكومة بالغاء قانون شوطان في 8 مارس 1938م، ولذلك نجد اقتراح النخبة الممثلة للفرع العربي في المجلس الأعلى المالي الجزائري خاصة بالنسبة للمدارس الاسلامية الخاصة في جوان 1938، أن كل كلمة بكلمة هي حجج ابن باديس لالغاء التعديلات والقوانين التي هي ضد المدارس الحرة الاسلامية حسب مرسوم شوطان،<sup>5</sup> وقد صودق على هذا القرار بالاجماع.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص158.

<sup>2</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص238-239.

<sup>3</sup> - محمد البشير الابراهيمي، آثار الابراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص132.

<sup>4</sup> - جريدة السنة، العدد 8، 05 ماي 1933، قسنطينة، ص3-4.

<sup>5</sup> - Charlotte Courrey, Op.Cit, p101.

<sup>6</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص159، نقلا عن جريدة البصائر، العدد 122، في 17 جمادى الأولى 1357 هـ / 15 جوان 1938م، ص2.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

أما فرحات عباس الشخصية الثانية في اتحادية المنتخبين المسلمين فقد كان شديد التمسك بالثقافة الفرنسية، حتى أنه صرح في مقال له "فما كنت لأموت من أجل هذا" الوطن الجزائري "لأن هذا الوطن لا وجود له".<sup>1</sup> وهو أيضا صاحب مقال (فرنسا أنا) La France c'est moi، وقد رد عليه ابن باديس بحمية وحزم،<sup>2</sup> حيث قال ابن باديس: "أما نحن فوجدنا الأمة الجزائرية متكونة موجودة"، وقد تراجع فرحات عباس أمام حجة الشهاب القوية، وقد نشر عدة مقالات في صحيفة الدكتور ابن التهامي<sup>3</sup>، التقدم سنة 1927، جمعها بعد ثلاث سنوات في كتاب بعنوان "الشباب الجزائري" ضمنها موقفه ومبادئه في السياسة الجزائرية.<sup>4</sup>

وستستمر هاته العلاقة بين جمعية العلماء والمنتخبين وخاصة في شخص فرحات عباس وهذا ما سنتكلم عنه من خلال المواقف السياسية لجمعية العلماء خلال الحرب العالمية الثانية وإلى غاية أحداث 8 ماي 1945م.

### 2- علاقة جمعية العلماء بالحزب الشيوعي الجزائري

ارتبط الحزب الشيوعي الجزائري في ميلاده بالحزب الشيوعي الفرنسي الذي اعتبر من أكثر الأحزاب الفرنسية تفهما للقضية الجزائرية خلال عشرينات القرن الماضي وقد أطر المهاجرين الجزائريين بفرنسا ودافع عن قضية استقلال شمال أفريقيا واحتضن ميلاد نجم شمال أفريقيا، وما لبث أن تراجع الحزب الشيوعي الفرنسي عن مبدأ استقلال الجزائر واختار النموذج السوفييتي في التعامل مع المستعمرات منذ لقاء لافال - ستالين عام 1935، ومن أجل توسيع دائرة نفوذه ونشر أفكاره قرر انشاء أحزاب شيوعية بتونس والجزائر والمغرب.<sup>5</sup>

وفي عام 1936م تجسد مشروع الحزب الشيوعي الجزائري المستقل نظريا عن الحزب الشيوعي الفرنسي وتقرر أن يدخله أبناء الجزائر المسلمين الى جانب المستوطنين، وقد تأثرت بعض العناصر الجزائرية عقب الحرب العالمية الأولى بالأفكار الماركسية - اللينينية وتبنت نظرية الصراع الطبقي من أجل تحقيق الاشتراكية والتخلص من الهيمنة الرأسمالية الاستعمارية، وقد تعاون الجزائريون المسلمون مع الأوروبيين في تأطير الحزب والدفاع عن أفكاره ومن أهم قادته الجزائريين نذكر منهم: عمر بوقرط، عمار أوزقان، قدور بلقاسم.<sup>6</sup>

أما علاقة الجمعية بالحزب الشيوعي فقد كانت علاقة مرحلية ذلك أن أسلوب العلماء كان الاستفادة من جميع الطاقات والخبرات الموجودة للوصول الى هدفهم، وقد وجدوا الشيوعيين على استعداد للعمل معهم لانجاح أول مؤتمر اسلامي يعقد في الجزائر يضم جميع فئات الشعب ثم شاركهم في المؤتمر الثاني وتكوين جمعية شباب المؤتمر، لكن من

<sup>1</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص160.

<sup>2</sup> - Charlote Currey, op cit, p100.

<sup>3</sup> - ابن التهامي: أبو القاسم من مواليد 1873 بمستغانم، طبيب متخصص في طب العيون، ظهر نشاطه السياسي بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، كان من المطالبين بالاندماج ضمنا لمزيد من الحقوق السياسية للجزائريين، أصدر جريدة التقدم للدفاع عن فكرة الاندماج سنة 1923، وظل يكتب مقالات معبرة عن الفكر الادماجي سنة 1931 تاريخ انسحابه من النشاط السياسي، توفي في جوان 1937.

<sup>4</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص161.

<sup>5</sup> - Kadache Mahfoud : histoire du nationalisme algerien 1919-1951, SNED, Alger, 1980, T1, p 317-318.

<sup>6</sup> - Kaddache Mahfoud, op cit, p 317-318.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

الواضح أن القيادة كانت للعلماء في كل هذه النشاطات فلم يحدث أن تنازل العلماء عن مبادئهم، وهذا ما أكدته صحف الجمعية والوثائق الفرنسية<sup>1</sup>، فقد كتبت الشهاب في صفر 1354 هـ ماي 1935م: "أن الحركة الشيوعية الهدامة التي قابلتها الأمة بازدراء واستياء اضمحل أمرها ولم يبق منها شيء الا في بعض الأوساط الأوروبية"<sup>2</sup>.

ورغم انتقادات العلماء القوية للحزب الشيوعي وأفكاره، فذلك لم يمنع ابن باديس من دعوته للمشاركة في المؤتمر الاسلامي الجزائري وهذا راجع الى بعد نظر الشيخ في المجال السياسي، فرغم أن التحالف مع الشيوعيين نوعا ما ضد التوجه الذي يتبناه العلماء، خاصة من الناحية الدينية وقد برر ابن باديس هذا التحالف في جريدة الرابطة العربية سنة 1938 بتقدير حيث قال: "ان الجهود التي يبذلها المناضلون الشيوعيون من أجل آمال البؤساء وصراعهم من أجل التصديق" وكان الهدف من ذلك في ضم الشيوعيين لأنهم يمثلون اتجاه سياسي جزائري وذلك من أجل انشاء جبهة وطنية تمثل الشعب الجزائري بأكمله ومخولة بأن تتكلم مع السلطات الفرنسية.<sup>3</sup>

ومن بين أسباب التقارب بين جمعية العلماء والحزب الشيوعي أيضا هو انخراط عدد من الجزائريين وتوليهم مناصب قيادية في الحزب الشيوعي أمثال عمار أوزقان، وقد كان ذلك بضغط شديد من العالمية الثالثة (الكومنترن) في اطار ما يسمى بتعريب المنظمة الشيوعية في الجزائر.<sup>4</sup>

ونتيجة لهذا التغيير الواضح من موقف الشيوعيين فانهم شاركوا في المؤتمر الاسلامي الجزائري وتعاونوا سويا على استمرار المؤتمر حتى اذ تأكد العلماء أن الجبهة الشعبية لن تستجيب لهم بدأ الانفصال بين الطرفين.<sup>5</sup>

### 3- علاقة جمعية العلماء بنجم شمال افريقيا وفيما بعد حزب الشعب الجزائري

#### أ- التعريف بحزب نجم شمال افريقيا

عارض النجم سياسة الادمج الفرنسية ومثل التوجه الثوري الاستقلالي في الحركة الوطنية، لم يكن أعضاؤه يؤمنون بأنصاف الحلول ولا بسياسة المراحل وقد تحملوا الصعاب والويلات دفاعا عن مطلب الاستقلال الوطني، ويعود الفضل في انشاء هذا التنظيم النقابي المغاربي الى المهاجرين الجزائريين بفرنسا الذين احتكوا بمنظمات اليسار الفرنسي وتأثروا بدعوة المنظمات الشيوعية الدولية لمؤازرة كفاح الشعوب المضطهدة، حيث بادر الحاج عبد القادر، والشاذلي خير الله (تونس)، ومصالي الحاج، وشبيلة الجليلي وأكلي بنون ... الى عقد اجتماع سنة 1926م أعلنوا فيه تأسيس جمعية نجم شمال افريقيا، وقد طرد الشاذلي خير الله الى تونس، وانشغل الحاج عبد القادر بتجاربه، وأمسى مصالي الحاج الزعيم الفعلي لهذه الحركة وقد انسحب منها القادة الفرنسيون والمغربيون لتصبح منظمة جزائرية خالصة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 155.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 155، نقلا عن الشهاب، ج 2، مج 13، صفر 1354 هـ / ماي 1935م.

<sup>3</sup> - Charlote Courrey, Op Cit, p102.

<sup>4</sup> - شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص 156.

<sup>5</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص 156.

<sup>6</sup> - عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ، المرجع السابق، ص 164.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

وتهدف جمعية نجم شمال افريقيا حسبما ينص قانونها الأساسي الى مساعدة مسلمي شمال افريقيا على الحياة في فرنسا ورفع المظالم عنهم أمام الرأي العام، ولكنها تعمل من أجل تجسيد فكرة استقلال الجزائر، ويعد النجم بمثابة حزب سياسي منظم ومؤطر ينتهج كل الوسائل (صحف، تجمعات، إضرابات ... الخ) لتحقيق غاياته وبفضل الجهود التي بذلت حقق النجم نجاحا معتبرا ووسع من دائرة تمثيله وتخلص من وصاية الشيوعيين ليتفرغ لخدمة القضية الوطنية، وقد تفتنت الإدارة الفرنسية لخطر هذه المنظمة الوطنية وبادرت في سنة 1929م الى حلها، فأستأنف قادتها الحكم وأشهروا التنظيم باسم "نجم شمال افريقيا المجيد".

كما أسسوا سنة 1930م جريدة "الأمة" التي ساهمت في نشر فكرة الاستقلال بين أوساط الشعب وكانت همزة وصل في التعريف بمواقف التنظيم وأهدافه واغتنم النجم مناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر ليشن حملة تنديد واسعة بالاستعمار ويطالب من عصبة الأمم النظر في مشكلة الجزائر.<sup>1</sup>

وفي سنة 1933م قدم النجم عدة مطالب الى فرنسا منها مطالب عاجلة كالغاء قانون الأهالي والعفو العام عن جميع المساجين السياسيين وحرية التنقل بين الجزائر وفرنسا والمساواة في الحقوق وانشاء برلمان جزائري منتخب ... الخ، ومطالب أجلة تتمثل في استقلال الجزائر استقلالاً تاماً وانشاء جيش وطني وانسحاب جميع قوات الاحتلال وتشكيل حكومة وطنية<sup>2</sup>، وازداد توسعا بتفاعل الجماهير مع خطاب مصالي في أول حضور له بالجزائر يوم 2 أوت 1936م بالملعب البلدي وأثر ذلك على تغلغل وانتشار أفكاره وهذا الوضع لم يعجب الجبهة الشعبية التي تنكرت للنجم وقد لجأت في الأخير الى حل التنظيم يوم 27 جانفي 1937.<sup>3</sup>

### ب- التعريف بحزب الشعب الجزائري (1937-1939م)

إثر حل النجم بادرت قيادته الى تأسيس حزب الشعب الجزائري "بنانتير" (باريس) يوم 11 مارس 1937م وأعيد تشكيل الخلايا السرية دون أن تنال حملة القمع من عزيمة المناضلين، وهكذا لم يتوقف النضال في سبيل الاستقلال بل ازداد قوة وتبنى الحزب في عام 1938 برنامج يرافع عن المطالب السياسية الآتية:

- الغاء قانون الأهالي وكل القوانين الاستثنائية.
  - منح الحريات الديمقراطية للجزائريين والمساواة في أداء الخدمة العسكرية وفصل الدين عن الدولة.
  - تحويل المجالس المالية الى مجلس جزائري، ينتخب من قبل الجميع دون تمييز جنسي أو ديني.<sup>4</sup>
- وانتقل ميدان عمل الحزب الى الجزائر وقد حاول مصالي الحاج التقرب من قادة جمعية العلماء والمنتخبين لاقتناعهم بتجاوز مطالب الادمج وواصل الحزب نضاله واشترك في انتخابات جوان 1937م وتعرضوا للقمع والسجن وتم حل الحزب ابان عشية الحرب العالمية الثانية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - Kaddache Mahfoud, OpCit, p p229-236.

<sup>2</sup> - عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ، المرجع السابق، ص165.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص ص 123-147.

<sup>4</sup> - عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ، المرجع السابق، ص166.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص167.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

### ج- التجاذبات الحزبية بين جمعية العلماء وحزب الشعب وتطور العلاقة بينهما

لم يكن للنجم أي ردة فعل واضحة اتجاه تأسيس جمعية العلماء، إلا أنها صرحت في قانونها الأساسي بعدم تدخلها في السياسة واهتمامها بالتعليم واللغة العربية ويبدو أن استبعاد الجمعية الخوض في المسائل السياسية هو الذي طمأن النجم وجعله يتقرب إليها ويناصرهما ومن مظاهر ذلك التأييد الذي حظيت به الجمعية من طرف النجم بعد اصدار قانون ميشال سنة 1933م.

ومن خلال ما أبداه النجم من تعاطف مع العقبي دون أن يكون بينهما اتصالات،<sup>1</sup> حيث يقول مصالي الحاج في مذكراته حول اعتقال العقبي: "فأمام وضعية كهذه كان علينا أن نمد يدنا للعلماء، فلا بد من مواجهة المناورات الامبرالية التي كانت تبحث عن تفرقة الجزائريين وتخويفهم، فلقينا العلماء وأخبرنا الشيخ ابن باديس عن رغبته في الذهاب الى باريس على رأس وفد صغير ليحصل على سراح الشيخ الطيب العقبي...".

ويقول أيضا: "مع العلم أننا كنا من الأوائل الذين أراودوا الدفاع عن الشيخ الطيب العقبي، وبعد الافراج عنه تكون وفد من الشيخ الزاهري وذكريا وميساوي والسيدة مصالي وأنا شخصا وذهب هذا الوفد الى القبة لإظهار صداقتنا ودعمنا لزعيم العلماء".<sup>2</sup>

وعلى كل فإن أول لقاء مباشر بين قادة النجمومثلي جمعية العلماء فقد تم في جويلية سنة 1936م بمناسبة وجود وفد عن المؤتمر الاسلامي بباريس لنقاش مشروع بلوم - فيوليت ومن خلال ردود صحافة النجم على هجمات جمعية العلماء تبدو رغبة النجم في التودد الى الجمعية واضحة لأنها في نظرهم قادرة على الصراع ضد المستعمر لتوفرها على سلاح الدين والعربية، فالنجميين كانوا يرون فيها هيئة اصلاحية لها القدرة على التوعية وقد أظهرت الجمعية بالفعل قدرتها على منافسة النجم في فرنسا ذاتها حيث بلغت الأندية التي أسستها هناك 10 أندية في سنة 1938م وبالرغم من المحاولات المبذولة لم يستطع النجم جلب العلماء اليه فقد انحازت الجمعية الى النواب.<sup>3</sup>

ومن بين علامات التقارب بين حزب النجم والجمعية ما نشره مصالي الحاج في جريدة الدفاع "La defence" يقول فيه: "يوجد بيننا وبين هؤلاء العلماء اتفاق تام في مجال الشريعة الاسلامية بيد أننا لا نوافق على سياستهم ومع ذلك فاننا نأمل أن نلتقي بهم يوما ما للتباحث معهم...".<sup>4</sup>

الا أننا نرى أن الخلاف بين النجم ومن بعده حزب الشعب الجزائري وبين العلماء هو تسرع أعضاء الحزب وتوجههم للعمل السياسي والمطلي بشكل مباشر، خلافا للعلماء الذين كانوا يؤمنون كما تكلمنا سابقا بسياسة المراحل والعمل المتدرج والدليل على ذلك ما قاله أحد الذين ينتمون الى حزب الشعب يصرح بعدم جدوى الاصلاح الديني وأنه

<sup>1</sup> - عبد الحميد زوزو: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين 1919 - 1939، بالمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص132.

<sup>2</sup> - مصالي الحاج: مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، تر: محمد المعراجي، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص204.

<sup>3</sup> - عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها، المرجع السابق، ص ص134-135.

<sup>4</sup> - مازن المطبقاني، المرجع السابق، ص153.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

أمر من مخلفات الماضي وأنه كان صالحا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ميلادي وأن النضال السياسي هو الطريق الوحيد للخلاص والتحرير ولم يبق للمواقف السلبية أي مبرر.<sup>1</sup>

ويلاحظ أيضا أنه لم يكن خلاف جوهري في المبادئ بين الجمعية والنجم فكلامها كان يتطوع الى الاستقلال لكن الاختلاف الحقيقي كان في الوسائل فالجمعية وجدت شعبا منحرف العقيدة، ضائعا مفككا تتسارعه الأهواء والاختلافات ويسيطر عليه الجهل، فعملت كل ما يمكن عمله للمحافظة على وحدة الشعب وجمع كلمته بعد اصلاحه، بينما سعى النجم لتحقيق أهدافه عن طريق التجمعات بقصد تربية أعضائه اجتماعيا وسياسيا، كما استخدم الصحافة والمناشير.

وبعد تأسيس مصالي الحاج لحزب الشعب سنة 1937 ظل الخلاف قائما رغم المحاولات التي أبدتها الجمعية، ولم تكن للجمعية فقط جهود للمصالحة، بل لحزب الشعب كذلك الذي أراد الاستفادة من شعبية الجمعية.

ومع بداية الحرب العالمية الثانية اقتربت وجهات النظر أكثر بين الحركتين خصوصا إثر حل فرنسا لحزب الشعب وتحميد نشاط الجمعية وسجن أغلب أنصارها اذ تحولت نظرة ابن باديس الى المطالبة بالاستقلال المباشر لولا وفاته.<sup>2</sup>

### المبحث السادس: ممارسة وتطوير العمل السياسي 1940-1945

لقد ظل علماء الجزائر الاصلاحيين بعد وفاة زعيمهم يحاولون تجميع شمل الحركة وملء الفراغ الذي تركه ابن باديس والواقع أن البعض يصف الفترة الممتدة ما بين 1940-1945 بأنها فترة ضعف وجمود في نشاط الجمعية نظرا لأحداث الحرب العالمية الثانية وقوانينها الخاصة ووفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، لكن هذا الحكم يبدو في مضمونه ضعيفا فنشاط الجمعية تضاعف خلال الحرب العالمية الثانية على جميع المستويات المحلية لكن مجهوداتهم ونشاطاتهم لم تكن بارزة أمام أعين الجماهير بسبب توقف صحف الجمعية عن الصدور، بالإضافة الى تضائل تنقلاتهم بسبب قوانين السفر المشددة على المسلمين الجزائريين<sup>3</sup>، وفي يوم 7 نوفمبر 1940م اجتمع خمسة أعضاء بارزين في المجلس الاداري للجمعية بقسنطينة واتفقوا على ضرورة ايجاد حل نهائي لمشكل الخلافة أين قرروا تعيين الابراهيمى رغم أنه كان تحت الإقامة الجبرية بأفلو.<sup>4</sup>

ورغم ظروفه فقد بادر الابراهيمى بتسيير شؤون الجمعية عن طريق الرسائل التي كان يتبادلها مع أعضاء الجمعية وبواسطة بعض الزوار الموثوق بهم والذين ترددوا عليه في السجن.<sup>5</sup>

ومن أبرز النشاطات التي قام بها أعضاء الجمعية ارسال عريضة للجنرال "ويقان" وذلك في شهر أوت 1941م حددوا فيها من جديد مفهوم الاصلاح وطالبوا بحل هذه المسألة في نطاق ديني عقلائي وعادل ووجهوا لمومهم الشديد له

<sup>1</sup> - محمد قنانش: المواقف السياسية بين الاصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص104.

<sup>2</sup> - علي حشلاف: المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931-1939، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994، ص185.

<sup>3</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص310.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص310.

<sup>5</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، صص182-183.



## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

بسبب أعماله العدوانية تجاه جمعية العلماء حيث تركزت مطالب عريضة جمعية العلماء في هذه الظروف العصيبة على مالي:

- إطلاق سراح الشيخ الابراهيمي الرئيس الجديد لجمعية العلماء.
  - إطلاق أعضاء جمعية العلماء المعتقلين منذ 21 ماي 1941م
  - اعتبار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كسائر الجمعيات الدينية المسيحية وأعضاؤها كسائر أعضاء الجمعيات المسيحية في حرية التنقل وحرية الوعظ والارشاد وتعليم الدين والأداب الاسلامية.
  - اعتبار القرآن واللغة العربية كباقي الكتب واللغات الأخرى.
  - حرية تعليم الدين في المساجد وحرية تعليم اللغة العربية تحت اشراف الأكاديمية.
  - الغاء مرسوم 8 مارس 1938م
  - كما كرر العلماء مطالبهم في رسالة وجهوها للحاكم العام في 19 سبتمبر 1941.
- وهي لا تختلف كثيرا على المطالب السابقة، وهكذا واصلت الجمعية حركتها رغم قوانين الحرب المشددة على الجزائريين دون توقف، الأمر الذي جعل الادارة الاستعمارية تؤكد على خطورتها وتدعو جميع السلطات للحذر الشديد من العلماء.<sup>1</sup>

### المطلب الأول: موقف العلماء من نزول الحلفاء في 8 نوفمبر 1942 ومشاركتهم في بيان فيفري 1943

أ- كان لنزول الحلفاء بالجزائر أثره على نفسية الجزائريين وعلى بلورة موقف موحد حول شروط الجزائريين للدخول في الحرب الى جانب الحلفاء، تباحث في شأنه فرحات عباس مع عناصر حزب الشعب الجزائري وممثلي جمعية العلماء المسلمين وعدد من المنتخبين، وبعد عدة اتصالات قدم فرحات عباس باسم ممثلي الجزائريين المسلمين مذكرة الى الحلفاء يوم 20 ديسمبر 1942م طالب فيها بارساء دستور سياسي واقتصادي واجتماعي جديد للجزائر، وذلك قبل مشاركة الجزائريين الى جانب فرنسا في الحرب.<sup>2</sup>

وبنصيحة من سلطة الحلفاء الذين رفضوا تسلم المذكرة بادر فرحات عباس الى اعادة صياغتها وتوجيهها مباشرة الى السلطات الفرنسية في الجزائر وكان رد القائد العسكري "جيرو" عليها غامضا.<sup>3</sup>

ب- وعقد الوطنيون الجزائريون اجتماعا في الثالث فيفري 1943م أكدوا في ختامه على ضرورة مواصلة الضغط على الفرنسيين ليتخذوا موقفا واضحا من مطالبهم ومن ثم الاتفاق على لائحة مطلبية تقدم للسلطات الفرنسية في شكل ميثاق باسم الشعب الجزائري، وقد شارك في هذا الاجتماع النواب: (تامزلي، غرسي أحمد، قاضي عبد القادر، ابن جلول) وممثل حزب الشعب الجزائري محمد الأمين دباغين، وممثلي جمعية العلماء (الشيخ العربي التبسي وخير الدين والمدني)، وممثل جمعية الطلبة محمد جمام اضافة الى فرحات عباس والذي كلف بكتابة ديباجة البيان وفق الخطوط المتفق

<sup>1</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص316.

<sup>2</sup> - عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ، المرجع السابق، ص173.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص173.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

عليها، وقد ذكر فرحات عباس أنه لخص بكل موضوعية حصيلة 113 عام من الاحتلال الفرنسي للبلاد، وفعلا يتجلى لنا من قراءة نص البيان المطول أنه اجتهد في شرح أسباب المشكل الجزائري وملاساته وتوضيح مطالب الجزائريين.<sup>1</sup> كما تضمن البيان المطالبة برسمية اللغة العربية وفصل الدين عن الدولة وهذا دليل على التأثير الذي أحدثته الجمعية على مضمون البيان خصوصا أن فرحات عباس قد أبدى موافقته لارسال نسخة من البيان الى مصر<sup>2</sup>، وقد سلم هذا البيان الى الحاكم العام في الجزائر (مارسيل بریتون) والى ممثلي الحلفاء في الجزائر والجنرال "ديغول"<sup>3</sup>، وتظاهر "بريتون" بقبول البيان من حيث المبدأ ومراوغة وربحا للوقت ألف لجنة للإصلاح وطلب من الوطنيين الجزائريين تقديم مسودة مطالب واضحة، فعاد فرحات عباس للاجتماع برفقائه وتحرير ملحق للبيان يشرح بوضوح تلك المطالب وقد قدموه للإدارة الفرنسية في 26 ماي 1943م.<sup>4</sup>

وقدم "بريتون" وعودا غير سياسية تتمثل في ادخال اصلاحات تحسن من وضعية الجزائريين وأحست الحكومة الفرنسية بخطور تحرك الجزائريين، فنحت في جوان 1943 "بريتون" وعينت بدله الجنرال "كاترو" وهذا الأخير أعرب عن رفضه لمطالب البيان وهدد موقعه وأصر على أن الجزائر ستبقى فرنسية وقد أقدم على حل المجالس المالية واعتقل فرحات عباس وعبد القادر السايح ثم اضطر لاطلاق سراحهما تحت الضغط.<sup>5</sup>

### المطلب الثاني: مشاركة العلماء في جمعية أحباب البيان والحرية سنة 1944

أحست حكومة "ديغول" بالعواقب الوخيمة لاعتقال واضطهاد الوطنيين الجزائريين فشكلت لجنة للإصلاح وخطب الجنرال "ديغول" في قسنطينة يوم 22 ديسمبر 1943 الجزائريين واعد اياهم باصلاحات مهمة واعتقد أنه من الممكن اسكاتهم ببعض الاصلاحات الشكلية، فأصدر أمرية 7 مارس 1944 والتي تؤكد على المساواة بين المسلمين والمستوطنين، وتسمح للمسلمين بدخول جميع الوظائف وتوسع تمثيلهم في المجالس المحلية، وتمنح الجنسية الفرنسية لفئات أخرى من المسلمين قدرت ب(50.000) مسلم مع حفاظهم على أحوالهم الشخصية (لتطبيق متأخر لمشروع فيوليت).<sup>6</sup>

وأدلت الأحزاب الوطنية وجمعية العلماء برأيها أمام اللجنة وقدمت لها مطالب، وأعلن البشير الابراهيمي خلال مقابلة للجنة في 3 جانفي 1944م رفضها للمقترحات المفروضة التي تقضي على الشخصية العربية وتعديل في الأحوال الشخصية الاسلامية، واعتبر الابراهيمي أن مشروع "ديغول" ليس سوى احياء لمشروع "فيوليت" القدم وتقدم الابراهيمي بمقترحات سياسية أهمها:<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ، المرجع السابق، ص174.

<sup>2</sup> - نبيل بلاسي: الاتجاه الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، ص78.

<sup>3</sup> - ديغول، شارل: رجل الدول الفرنسية 1890-1970م أسس الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية في الجزائر ثم باريس 1944-1946، أصبح رئيسا

لفرنسا 1959-1969. أنظر: Mohammed Harbi: La guerre en Algerie, edition Complexe, Paris, 1989, P185.

<sup>4</sup> - عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ، المرجع السابق، ص175.

<sup>5</sup> - عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ، المرجع السابق، ص176.

<sup>6</sup> - شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص326-328.

<sup>7</sup> - أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص254.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

- تكوين المواطنة الجزائرية التي تتمتع فيها العناصر الشعبية المختلفة في هذا البلد بكافة الحقوق والواجبات دون تمييز في العرق أو في الدين.
  - استبدال النظام الكولونيالي بالنظام الحكومي وتكون الحكومة الجزائرية مسؤولة أمام البرلمان الجزائري.
  - تسهيل مشاركة جميع الجزائريين في الوظائف العامة دون أي اعتبار سوى الكفاءة المهنية.
- غير أن الهيئة الفرنسية لم تأخذ بمقترحات الأحزاب والجمعيات الوطنية لأنها عندما أصدرت أمر 7 مارس 1944، لم يرد فيه شيء جديد سوى ما يرضي دعاة الإدماج والفرنسية.<sup>1</sup>
- ولم ترض هذه الإصلاحات الجزائريين حيث رأت النخبة السياسية أنها جاءت متأخرة وأن الجزائريين اليوم لم يعودوا يرغبون في الجنسية، وعبر فرحات عباس عن رفضه للإصلاحات وبادر اثر اتصالات مع جمعية العلماء وحزب الشعب، إلى انشاء حركة سياسية تدافع عن مطالب البيان الجزائري وأعلن عن ميلادها يوم 14 مارس 1944 م وسماها "جمعية أحباب البيان والحرية".
- وقد تحمست جمعية العلماء لمطالب البيان<sup>2</sup> لكونها حافظت على الشخصية الوطنية من جهة واستطاعت أن تجمع القوى الوطنية الفاعلة في الجزائر من جهة أخرى حتى وصل عدد المنخرطين إلى مليون منخرط.<sup>3</sup>
- وكان لهذه الحركة السياسية دورا هاما في جمع كلمة الوطنيين الجزائريين ومثلت غطاء لنشاط عناصر حزب الشعب الجزائري المحل وباستثناء المواليين للإدارة الفرنسية والحزب الشيوعي فإن الجماهير علققت آمالا كبيرة على أحباب البيان والحرية.
- وفي شهر سبتمبر 1944 م عين الديبلوماسي "ايف شاتينيو" واليا على الجزائر وكانت مهمته الرئيسية هي ارغام الجزائريين على القبول باصلاحات ديغول.
- وهكذا تواصلت سياسة القمع واجراءات التطبيق على نشاط أحباب البيان والحرية وبدأ الوضع منذ ربيع 1945م يبنى باضطرابات وشيكة.<sup>4</sup>
- وعليه نستنتج أن المرحلة التاريخية التي تلت الافراج عن الشيخ الابراهيمي نهاية ديسمبر 1942م حتى أبريل 1945 من المراحل المتميزة في مسيرة الجمعية من خلال استراتيجية استئناف نشاطها رغم المضايقات التي تلقتها من طرف الادارة الاستعمارية الا أنها استطاعت تحقيق بعض الأهداف خاصة مع اتحادها وتعاونها مع تيارات الحركة الوطنية الجزائرية الأخرى.

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص234.

<sup>2</sup> - شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص328-329، وأيضا: عبد الرحمن بن العقون، المصدر السابق، ج2، ص282-290.

<sup>3</sup> - شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص329.

<sup>4</sup> - عبد الله مقلائي، المرجع في تاريخ، المرجع السابق، ص177.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

### المطلب الثالث: مجازر الثامن ماي 1945 وموقف جمعية العلماء منها

جعلت حوادث 08 ماي 1945<sup>1</sup> عددا كبيرا من رجال جمعية العلماء يصدرون بيانات ومقالات ينددون فيها بهذه المجازر، ففي الثامن ماي 1945 احتفل العالم الغربي بعقد الهدنة مع ألمانيا فأراد الجزائريون المشاركة في هذا الاحتفال مع التعبير عن أهدافهم في الحرية والاستقلال وتعبيرا عن ذلك حمل الجزائريون راياتهم صبيحة ذلك اليوم في كل من سطيف، قالمة، خراطة وعنابة، سكيكدة فيها شعارات وطنية مختلفة ك"تحيا الجزائر" و"أطلقوا سراح مصالي الحاج". وما إن شاهد الفرنسيون حتى أطلق محافظ الشرطة النار على حامل الراية الوطنية "الشاب بوزيد شعال" وكان استشهاده بداية لمجزرة من أفظع المجازر في العالم، لقد قتل في هذه المجازر في بضعة أيام أكثر من خمسة وأربعون ألف جزائري ودمرت الطائرات بأمر من وزير الطيران "شارل تيون الشيوعي" 44 قرية وأعتقل آلاف الجزائريين وكان الشيخ الابراهيمى على رأس القائمة الذي سيق الى السجن العسكري بمدينة الجزائر حيث وضع في الزنزانة الانفرادية تحت الأرض لمدة سبعين (70) يوما لا يخرج منها الا ربع ساعة كل يوم ثم نقل الى قسنطينة طيلة احدى عشرة (11) شهرا مما أدى الى تدهور صحته.<sup>2</sup>

وبعد هذه المجزرة شددت فرنسا الخناق على زعماء الحركة الوطنية، اذ نقل مصالي الحاج الى "بزازفيل" واعتقل فرحات عباس والابراهيمى كما ذكرنا سابقا ولم يطلق سراحهم الا في سنة 1946م ولهذا لم تكن ردة فعل الجمعية على هذه المجازر ذات صدى كبير وذلك بسبب التضيق الذي مورس عليها وسجن العديد من أعضائها والمنتمين اليها. وقد كان الشيخ الابراهيمى قد ندد بهذه المجازر في مقالات عديدة ومن المقالات الكثيرة في ذلك نذكر ما قاله في جريدة البصائر: "لك الويل أيها الاستعمار أهذا جزاء من استنجدت به في ساعة العسرة فأجندك واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك ... " ثم يقول: "لله دماء بريئة أريقت فيك، ولله أعراض طاهرة انتهكت فيك، ولله أموال محرمة أستبيحت فيك ولله يتامى فقدوا العائل فيك".<sup>3</sup>

وقد وضعت الادارة الفرنسية جمعية العلماء في قفص الاتهام بمعادة فرنسا واثارة حوادث 8 ماي 1945<sup>4</sup>، حيث جاء في تقرير توبير "Tubert"-الذي كلف بالتحقيق في الحوادث- أن الجمعية لعبت دورا في التحضير النفسي لقيامها من خلال نشاطاتها الجماهيرية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - تناولت أحداث الثامن ماي 1945 كثيرا من الأدبيات ومن أهمها: محمد قنانش: المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، منشورات دحلب، الجزائر، 1991، رضوان عيناى ثابت: 08 ماي 1945 والابادة الجماعية في الجزائر، تر: سعيد محمد اللحام، منشورات ش.و.ن.ت، الجزائر 2005، وكذا الشهادات المجموعة في مجلة الجيش، تصدرها المحافظة السياسية للجيش الوطني الشعبي، عدد 253، ومجلة الذاكرة، يصدرها متحف المجاهد، عدد 02، ص 995.

<sup>2</sup> - محمد البشير الابراهيمى، آثار الابراهيمى، المصدر السابق، ج2، ص18.

<sup>3</sup> - جريدة البصائر، محمد البشير الابراهيمى، مجازر 08 ماي 1945، مقال يوم 10 ماي 1945.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص255.

<sup>5</sup> - Ahmed Sarri : l'association des oulemas musulmans algeriens et les evenements du 8 mai 1945, revue des sciences humains, universite de constantine, N ;09, 1998, p 81.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

وهذا ما جعل أطرافاً في دواليب السلطة الفرنسية تدعو إلى حلها ومعاقبة شيوخها الذين كان عدد منهم تحت الإقامة الجبرية.<sup>1</sup>

وعند نهاية الحرب العالمية الثانية وبعد حوادث 08 ماي 1945 الأليمة اضطرت الجمعية إلى تحاشي الخوض في المسائل السياسية وبالتالي الابتعاد عن "المغامرة" ولو ظرفياً<sup>2</sup>، لتستعيد الجمعية نشاطها المعهود ودورها الذي قامت من أجله إلى غاية قيام الثورة التحريرية مستفيدة من تدابير العفو الصادر عن الحكومة الفرنسية سنة 1946 وقد بادرت فرنسا المنتصرة من جهة واحدة لسن إصلاحات لاسكات مطالب الجزائريين دون جدوى وكان لسلوكها المشين في تقتيل الجزائريين في عيد انتصار الحلفاء ضربة موجعة ليس للجزائريين فحسب، فقد كان درساً استوعبه الوطنيون جيداً وقرروا من يومها التحضير لثورة مسلحة تحقق استقلال الجزائر.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> - عبد النور حثير وآخرون: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 167.

<sup>2</sup> - أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 285.

<sup>3</sup> - عبد الله مقلائي، المرجع في تاريخ، المرجع السابق، ص 178.

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل استطعنا أن نستنتج ما يلي:

- لقد كان نشاط طلبة وعلماء الإصلاح الجزائريين نشاطا متعدد الجوانب وبالأحرى كان العمل الإصلاحي في الجزائر - خاصة منذ انضمامهم وتأسيسهم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين - عملا شموليا يسعى الى النهوض بالجزائر من ورطتها في أسرع وقت ممكن وبكل الجهود المتاحة والممكنة، في ظل استعمار استيطاني طال أمدته فوق تراب الجزائر.

- حيث كانت أول جبهة ركز عليها الإصلاحيون الجزائريون وكانت من أولوياتهم الجانب الديني ومحاربة الطرقية، حيث ركزوا على تقديم الإسلام الصحيح من الكتاب والسنة كما كان عليه السلف الصالح، وانطلقوا في ذلك من النشاط المسجدي الذي اعتبروه الأرضية الخصبة لزرع الأفكار الدينية التجديدية، حيث واجهوا كل عوامل المسخ وهدم الشخصية الإسلامية وذلك بمحاربة الحاد والتنصير والتجنيس، وكان موقفهم من الاباضية موقفا تصالحيا، وتأزر في العمل على تربية وإعادة بناء الأمة الإسلامية الجزائرية من جديد، ورغم انشغالهم بالوعظ والإرشاد والعمل الدعوي الإصلاحي إلا أنهم قد ألفوا بعض الكتب الدينية التي تعرّف بالدين الصحيح وتحارب الشرك والأفكار الدخيلة على الإسلام، كما لم يتوانوا في محاربة الطرق الصوفية والبدع والخرافات التي ملأت عقول الشعب، واعتبروا هذه الطرق الصوفية من أكبر أسباب انحطاط الأمة وتأخرها، وعامل من أهم العوامل المساعدة على بقاء الاستعمار الفرنسي وذلك لتحالفها معه.

- أما نشاطهم التعليمي والتربوي فقد كان من بين أهداف الإصلاحيين الملحة، اصلاح عقلية الجزائريين وذلك باهتمام ابن باديس ومن معه بالتربية والتعليم لإخراج الجزائريين من الجمود ومن أجل تكوين أجيال تعمل على بعث النهضة في الجزائر، ولذلك يجب على الجزائريين أن يحرروا عقولهم حتى يستطيعوا تحرير بلدهم من الاستعمار الفرنسي، وكانت جهود عبد الحميد بن باديس التعليمية لها بصمتها الواضحة في تربية النشء والعمل المتواصل دون كلل أو ملل وفي تربية الصغار والكبار، وتأسيس الجمعيات التربوية والمدارس الحرة، وفي مساندة إخوانه في التركيز على الجانب التعليمي أمثال الابراهيمية، العربي التبسي، الميلي، وأبو يعلى ...

- كما بذل الإصلاحيون في بني ميزاب مجهودات معتبرة في النهوض بالجانب التعليمي والتربوي، وكانت نظرهم لتعليم المرأة المسلمة وترقيتها محل اهتمام في نشاطهم التعليمي والتربوي.

- كما اعتمدوا على النوادي الثقافية لتحسين الشباب الجزائري وحمايته من الانحراف والضياع، كذلك أثروا في تأسيس فرق الكشافة الإسلامية التي كانت برامجها مستوحاة من أفكار العلماء الإصلاحيين.

- أيضا النشاط الصحفي حيث أدركوا أن للصحافة دور مهم في محاربة الأوضاع الفاسدة، وأثر كبير في تبليغ الدعوة ونشرها بين الناس، وقد أحس الاستعمار الفرنسي بخطورتها فحاربها بشتى الوسائل، وكانت أهم صحف العلماء الإصلاحيين المنتقد، الشهاب، والبصائر ... كما كان لأبرز شيوخ الجمعية جهود معتبرة في مجال الكتابة الصحفية أمثال السعيد الزاهري ومبارك الميلي والعربي التبسي والأمين العمودي ... كما كان نشاط الإصلاحيين الميزابيين في الجانب الصحفي معتبرا وفعالا. واهم من كتبوا في الصحف أطفيش وأبو اليقظان، وقد تناولت الصحافة الإصلاحية أهم المواضيع

## الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945

الدينية والتربوية وأيضا كانت لها وجهة نظر في الدفاع عن حقوق الشعب الجزائري والمطالبة بالحرية السياسية والفكرية، كما تعرضت هذه الصحف لحملة من الإيقاف والمصادرة، ولم ينج منها إلا القليل.

- وأما النشاط السياسي للعلماء الإصلاحيين من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكان نشاطا فعالا على جميع الأصعدة، وتطور بشكل ملحوظ كونه سار بشكل متدرج بداية من تأسيس الجمعية التي وحدت عناصر التيار الإصلاحي في هيكل منظم الى تخليصها من عبء المحافظين وتفاعلها مع القضايا الوطنية كأحداث قسنطينة 1934 ومحاربتها لمراسيم وقوانين الاضطهاد الفرنسية ضد نشاطها الديني والتعليمي، وامتداد تأثيرها الفكري والايديولوجي على الجمعيات الطلابية وتجلي ذلك من خلال اشراف الجمعية على مؤتمراتها وتبنيهم لطرح العلماء الإصلاحيين في توصياتهم ومطالبهم السياسية الى سعي ونجاح الجمعية في عقد مؤتمر إسلامي جزائري جامع سنة 1936 لأول مرة في تاريخ الامة الجزائرية، حيث جمع كل الأحزاب والتيارات الوطنية، وأيضا علاقة وتأثير العلماء الإصلاحيين على مواقف وسياسة الأحزاب الوطنية التي كانت تنشط في الساحة السياسية آنذاك ومساهمتها في المواقف السياسية والمطلبية الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية الى غاية احداث 8 ماي 1945 التي تعتبر كآخر اختبار للاستعمار الفرنسي في مسيرة الحركة الوطنية السلمية رغم أن جمعية العلماء من خلال رئيسها ابن باديس ومن بعده الابراهيمي قد تأكدوا وحسموا أمرهم بأنه لا جدوى من مجارة الاستعمار الفرنسي وشرعوا في تهيئة نفسية الشعب الجزائري لخوض المعركة الفاصلة معركة التحرير والاستقلال، وهو ما سنتكلم عنه في الفصل الرابع من تأثير الفكر الإصلاحي على الفكر الثوري التحرري وكذا الدور الفعال للعلماء الإصلاحيين الجزائريين في اندلاع الثورة واستمراريتها ونجاحها، وأيضا في فكرها الأيديولوجي وتوجهها الفكري السياسي.

# الفصل الثالث



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

- المبحث الأول: الجانب الديني والتعامل مع الطرق الصوفية
- المطلب الأول: نظرة الاصلاحيين الزيتونيين لعملية الإصلاح الديني وأسسها
- المطلب الثاني: نماذج لمشايخ الزيتونة وأهم مؤلفاتهم الدينية
- المطلب الثالث: خلاف علماء الزيتونة الاصلاحيين حول بعض القضايا الدينية
- المطلب الرابع: تعامل العلماء الاصلاحيين الزيتونيين مع الطرق الصوفية
- المبحث الثاني: الجانب التربوي وجهود الاصلاحيين الزيتونيين في اصلاح التعليم الزيتوني
- المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الجانب التربوي والتعليمي وتطوره في جامع الزيتونة
- المطلب الثاني: جهود العلماء الاصلاحيين الزيتونيين في اصلاح التعليم الزيتوني
- المطلب الثالث: تعليم المرأة ونظرة الاصلاحيين الزيتونيين للحركة النسوية
- المبحث الثالث: النشاط الصحفي لطلبة وعلماء الزيتونة الاصلاحيين
- المطلب الأول: البدايات الأولى لتعامل الزيتونيين مع النشاط الصحفي
- المطلب الثاني: مساهمة الزيتونيين الاصلاحيين في الصحف الوطنية التونسية
- المطلب الثالث: مساهمة الزيتونيين الاصلاحيين في صحف الحزب الحر الدستوري التونسي
- المطلب الرابع: نماذج لبعض الصحف التونسية التي أنشأها الزيتونيون الاصلاحيون
- المبحث الرابع: النشاط السياسي لطلبة وعلماء الزيتونة الاصلاحيين في مسيرة النضال الوطني
- المطلب الأول: دفاع طلبة وعلماء الزيتونة عن الهوية الوطنية والتصدي للحماية الفرنسية من 1881 - الى غاية 1920
- المطلب الثاني: نشاط طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة الوطنية التونسية من سنة 1920 الى غاية سنة 1945
- المطلب الثالث: النشاط السياسي للزيتونيين من خلال الحزب الحر الدستوري من سنة 1920 الى غاية 1945
- المطلب الرابع: النشاط الجمعاوي الاصلاحى للزيتونيين الاصلاحيين
- المبحث الخامس: دراسة مقارنة بين نشاط طلبة وعلماء الحركة الإصلاحية الجزائرية والطلبة والعلماء الزيتونيين الاصلاحيين 1920 - 1945

المطلب الأول: أوجه التشابه - نقاط التطابق - بين نشاط الحركتين الديني

المطلب الثاني: أوج التشابه في النشاط التعليمي التربوي

المطلب الثالث: أوجه التشابه في النشاط الصحفي

المطلب الرابع: أوجه التشابه في ممارسة العمل السياسي من سنة 1920 - 1945

المطلب الخامس: أوجه الاختلاف في الجانب الديني ومحاربة الطرق الصوفية

المطلب السادس: أوجه الاختلاف في النشاط التعليمي والتربوي

المطلب السابع: أوجه الاختلاف في النشاط الصحفي

المطلب الثامن: أوجه الاختلاف في النشاط السياسي

لئن كان نشاط الاصلاحيين (طلبة - علماء) في الجزائر قد برز وتحمس في الواقع بعد رجوع العلماء الجزائريين الذين كانوا طلبه في المشرق العربي كالأزهر والزيتونة والحجاز، فان نشاط الحركة الاصلاحية التونسية كان سباقا في هذا الميدان منذ اصلاحات الوزير خير الدين باشا والشيخ قبادو، الا أن هذا النشاط الاصلاحى قد أخذ وجهة نحو التغيير ومحاربة الأوضاع التي انجرت على وضع الحماية والمشاريع التي أقامتها السلطة الاستعمارية الفرنسية في تونس، وهذا ابتداء من عشرينات القرن العشرين ميلادي حيث تجسد في عدة نواحي كانت محاور نشاط طلبه وعلماء الزيتونة التونسيين الاصلاحيين حيث كان هذا النشاط على مستوى الجانب الديني والتعامل مع الطرق الصوفية وأيضا على الجانب التعليمي والتربوي والذي كان لب نشاطه اصلاح التعليم الزيتوني، وأيضا في الجانبين الصحفي والسياسي خاصة مع ظهور الأحزاب الوطنية والتي كان على رأسها الحزب الحر الدستوري التونسي الذي قاده وأطره نخبة من طلبه وعلماء الزيتونة واستمر هذا الزخم وهذا النشاط الى غاية سنة 1945 وهي الفترة الزمنية لهذا الفصل، وستتناول هاته الجوانب بشيء من التفصيل لابرار وتبيين نشاط الحركة الاصلاحية التونسية بشكل أكثر دقة وعمق.

### المبحث الأول: الجانب الديني والتعامل مع الطرق الصوفية

لقد أبتلي الاسلام والدعوة اليه "بعديين هما الجامدون من أبناء البلاد"<sup>1</sup> الذين "يتهمون بالكفر والالحاد.... كل من كتب شيئا عن التحرر".<sup>2</sup> والمستعمرون من الدخلاء عليها"<sup>3</sup>، ولذلك دعت الحاجة الى وجود مجددين ومصلحين يرشدون المجتمع الاسلامي"<sup>4</sup>.

### المطلب الأول: نظرة الاصلاحيين الزيتونيين لعملية الاصلاح الديني وأسسها

إن أسس الاصلاح الديني التي يتركز عليها الاصلاحيون حسب رأي الثعالبي واتباعها للوصول إلى الهدف المنشود هي:

- "ان مصدر التوجيه هو الدين الاسلامي وأن الدين قوامه العلم والأخلاق ووسيلة نشره الدعوة والتناصح، وأن من حق الدعوة الاقدام في سبيلها والاستخفاف بما يتعرض اليه القائم بها من متاعب أو يناله من ارهاق وأن أمر المسلمين قد استمر منتظما طالما كان أهل الدعوة وهم العلماء قائمين بواجبها"<sup>5</sup>، فالدين الاسلامي هو: "الجامع لأشتات الكمالات الحاوي لمطارف المحاسن ومستقر السعادة وباسط الهداية ومشيد هياكل العز والسلطان وبعث روح الحياة يرفع الانسان عن مشاكلة الحيوان في خسائس الصفات، بأحجى داع للعقل وأقوى باعث للفضيلة"<sup>6</sup>.

1- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص138.

2- عبد العزيز الثعالبي: روح التحرر في القرآن، تر: جمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985، ص118.

3- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص138.

4- عبد العزيز الثعالبي: محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985، ص162.

5- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص138.

6- مسعود مسعود بواخضرة، المرجع السابق، ص119.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

- تخلص "العقلية الاسلامية من شوائب الجهل والأوهام والتعصب ونشر التعليم وتأويل القرآن تأويلا صحيحا وحقيقيا واجتماعيا... فبفضل ذلك يتسنى للمسلم أن يستمد العناصر القادرة على تغيير عقليته وتحويله الى إنسان جدير حقيقة بهذا الاسم أي إنسان حر ومتعلم ومتأثر بكل ماله علاقة بالانسانية".
- على الباحث في الديانة الاسلامية أن يفحص قبل كل شيء تاريخ هذه الأمة ويبحث في عقائدها وأدائها وعاداتها وسائر أحوالها الاجتماعية حتى يقف على كثر روحية الاسلام وحقائقه... وهذا يحتاج الى نظر بعيد في فلسفة الدين واطلاع واسع على مقاصد الشارع الحكيم ومقارنة ذلك بحالة ونفسية المجتمع المراد اصلاحه واسعاده وتنظيمه.<sup>1</sup>
- من يريد خدمة الأمة الاسلامية عليه أن يقوم "بدعوة الطوائف الاسلامية لعقد مؤتمر عام يعقد في بلدة من البلاد الاسلامية لبحث عن العوارض والأسباب التي أدت بالأمة الاسلامية الى الانحطاط والتقهقر المستمرين".<sup>2</sup>
- يجب أن تنشأ مدرسة دينية محضة يترى فيها الأفراد الذين تشكل منهم الارساليات لتكون تربيتهم مكتملة الشروط.<sup>3</sup>

ويرى الثعالبي أن الدين الاسلامي رسالة عامة الى جميع العصور، يجب أن تفهم في كل عصر بما يناسبه ويلائم طريقة التفكير فيه، الأمر الذي يستدعي وجود المجددين والمصلحين الذين يرشدون المجتمع الاسلامي الى "معرفة ما بين الأصول والفروع من الفروق"<sup>4</sup>، لأن الأصول ثابتة في الشرائع وأما "الصور المستحدثة منها فهي التي يجب تطويرها وتمشيتها مع الزمن وهي وان كانت في نظر البعض مخالفة للنصوص فانها ليست كذلك بل هي مخالفة للتقاليد فقط"<sup>5</sup>، التي غالى فيها القدماء حتى "ألبسوا الرسالة ثوبا فضفاضاً من الاستهواء... وأثقلوها بجملته من الخوارق قد لا تحتملها بقدر ما تسمعها عقولهم... ومن مبالغتهم في ذلك أنهم أظهروا لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة غير طبيعية حجبوه خلفها ثم زعموا أن كل ما يصدر عنه من آيات الذكاء والعبقرية انما كان من أثر تلك الغيبية التي يريدون أن يسندوا لها كل شيء"<sup>6</sup>.

فمن خلال هاته الركائز التي وضعها الشيخ الثعالبي في عملية الاصلاح الديني نجد أن التيار الاصلاحى في عمومه جاء ناقدا لتضخيم العنصر الأسطوري والسحري في الوعي الديني، ساعيا الى اعادة الاعتبار الى مكانة العقل ومسؤولية الانسان، الا أن ترجمة هذا التوجه لم تتخذ الصيغة نفسها لدى المثقفين المشدودين الى التقليد السني وأولئك الذين ذهبوا شوطا في التحرر منه.

<sup>1</sup> - مسعودة مسعود بواخضرة، المرجع السابق، ص120.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص120.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص121.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص121.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص121.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، صص123-124.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

ففي ما يتعلق بمواقف المصلحين التونسيين ازاء التدين الشعبي بوسعنا التمييز بين صنفين من الخطاب، صنف متشدد في مقاومته وآخر يتوخى الاعتدال ان لم ينته الى اصفاء الشرعية على بعض عناصر المعتقد الديني التي يكافحها الشق الأول.<sup>1</sup>

كما نجد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي ما انفك يشيد بأهمية العقل ويدعو الى الاعتماد عليه في البحث والفهم والاجتهاد لتحقيق السعادة في الدارين وهذه الدعوة نجدها في مصنفاته ففي كتابه (أصول النظام الاجتماعي في الاسلام) عقد فصلا عنوانه (في أصول إصلاح الأفراد) مبينا أن اصلاح عقل الانسان هو أساس جميع خصاله ويجيء بعده الانشغال باصلاح أعماله وعلى هذين الاصلاحيين مدار قوانين المجتمع الاسلامي.<sup>2</sup>

وفي حديثه عن اصلاح الاعتقاد وما اعتراه من اشراك وتعطيل أوضح أن أول ما اهتم به الاسلام هو شأن الاعتقاد وأنه أقام دعوته على أمرين عظيمين هما التفصيل والتعليل، فأما التفصيل هو الايضاح لسائر المسلمين وبيان فضائح الضالين في العقيدة وسد ذرائع الشرك، وأما التعليل فهو دعوة القرآن الكريم الى استدعاء العقول الى النظر في الافاق وفي الأنفس والاستدلال وهو أصل الحكمة.<sup>3</sup>

انقسام التيار الاصلاحى التونسي في مجال التجديد الديني: ان المتأمل في آثار المدرسة الاصلاحية التونسية يدرك بكل جلاء أن هناك تيارين اصلاحيين تضمهما هذه المدرسة:<sup>4</sup>

تيار ينادي بالاصلاح الديني؛ أي تجديد المفاهيم الدينية التي تضمنها القرآن والسنة على ضوء العقل ومراعاة مقاصد الشريعة وأسرارها ولذلك دعا هذا التيار الى فتح باب الاجتهاد وتقويض أركان التقليد وشجب الانغلاق المذهبي سواء في الأصول أو في الفروع، كما دافع هذا التيار على قدرة الاسلام على مواكبة العصر ومجاراته للتمدن الحديث ولتحقيق هذا الغرض نادى باصلاح التعليم الزيتوني وانشاء جيل جديد يمكن أن ينهض بالبلاد ويخلصها من الاستعمار ويمثل هذا التيار الشيخ محمد الحضر حسين ومحمد النخلي وغيرهم، ولكن أشهر هؤلاء الأعلام دفاعا عن هذا التيار فكرا وممارسة بل تأصيلا وتنظيرا هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.<sup>5</sup>

تيار يدعو الى الاصلاح الديني والاصلاح السياسي معا؛ وذلك بالدعوة الى استقلال البلاد التونسية ضمن اطار الجامعة الاسلامية ثم في اطار وحدة المغرب العربي مع التمسك بأهداف الجامعة الاسلامية وكان الشيخ عبد العزيز الثعالبي أهم ممثل لهذا التيار.<sup>6</sup>

وسنجد هذا الانقسام بين تيارى اصلاحىي الزيتونة تجسد في عدة مواقف دينية هامة سنتطرق اليها مثل فتوى التجنيس، ونظرتهم وتعاملهم مع الطرق الصوفية، ونظرتهم للمرأة التونسية المسلمة خاصة في مجال التعليم ولباس المرأة.

1- عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص288.

2- سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص434.

3- المرجع نفسه، ص435.

4- المرجع نفسه، ص407.

5- المرجع نفسه، ص408.

6- المرجع نفسه، ص408.

المطلب الثاني: نماذج لمشاخ الزيتونة وأهم مؤلفاتهم الدينية

لقد كان جامع الزيتونة زاخرا بمشاهير العلماء والمشاخ الاصلاحيين الذين كانت لهم قدم راسخة في مجال العلوم الدينية والذين كانوا قد تبنا أفكارا اصلاحية في مجال التجديد الديني، وسنذكر مجموعة منهم وأيضا مؤلفاتهم الدينية على سبيل المثال لا على سبيل الحصر حيث سنتكلم عن أساطين الاصلاح الديني ورواده لأن المجال لا يتسع لذكر جميع مشاخ الزيتونة الاصلاحيين، حيث يتطلب ذكرهم والكلام عن مناقبهم ونشاطاتهم مجلدات ومجلدات.

1- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (1296 هـ/1879م - رجب 1393 هـ/ 12 أغسطس 1973م)

ولد الشيخ في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي وتقلد مشيخة جامع الزيتونة ومشيخة المذهب المالكي خلال النصف الأول من القرن العشرين وعاصر في شبابه وكهولته حركة الاصلاح العربية الحديثة واتصل برموز كثيرة مثل الشيخ محمد عبده والشيخ سالم بوحاجب والمصلح الاجتماعي الطاهر الحداد، فتحمل ابن عاشور هموم الاصلاح وساهم فيه كأحد أبرز فرسانه، فأمتشق له سيف الحجة العقلية وخاض معارك علمية كبرى في مجالات التربية والاصلاح الاجتماعي والتشريعي وترك لنا تراثا فكريا مكتوبا شاهدا على طول باعه في مختلف هذه المجالات الإصلاحية،<sup>1</sup> فالانطباع العام السائر عند متابعي مؤلفات الشيخ الطاهر بن عاشور هو تصديه لمجالات مختلفة من الاصلاح، حسب ما هو مطروح في الساحة العلمية والثقافية، دونما رابط ظاهر بينها، هذه المجالات هي: التربية والأخلاق والاجتماع والدين والتشريع والسياسة.<sup>2</sup>

ومن أهم مؤلفات الشيخ الطاهر بن عاشور تفسيره للقرآن العظيم وقد سماه "التحرير والتنوير" يقع في 30 جزءا وقد حوى التحليل اللغوية الدقيقة والاجتهادات المعمقة والترجيحات القيمة جمع فيه ما في التفاسير ثم أضاف الى المعرفة زاد وضح به مراد الله تعالى.

أيضا اذا كان الشيخ اشتهر بتفسيره فإن جانب الحديث في فكره يحتل منزلة بارزة فيه، تلمح ذلك في مؤلفاته وفي مؤلفات خاصة بهذا الغرض في مقدمتها كتاب "النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح"، وكتاب "كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ" ويرد في المؤلفات استشهاد الشيخ بالحديث النبوي يدل على حفظ الشيخ لهذا العلم واهتمامه بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونقدها نقد العارف بأصول المصطلح.<sup>3</sup>

ومن مؤلفاته أيضا الدينية كتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" ومؤلفه الشهير "مقاصد الشريعة" أن الله جعل هذه الشريعة مبنية على اعتبار الحكم والعدل التي هي من مدركات العقول.<sup>4</sup>

1- مصدق الجليدي: المشروع الاصلاح في فكر الطاهر ابن عاشور دور القيم والتربية في الاصلاح الاجتماعي من منظور مقاصدي عمري بحث عام، قسم الدراسات الدينية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تونس، 7 يونيو 2017، ص3.

2- المرجع نفسه، ص4.

3- بلقاسم الغالي: شيخ الجامع الاعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996، ط1، ص11.

4- سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص437.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وهذا الكتاب يعتبر من أهم مؤلفات الشيخ في هذا العلم وقد عملت جل الجامعات الاسلامية على اعتماده واعتبر الشيخ فيه مجددا بل مجتهدا أضاف الى المعرفة الشرعية بابا من أهم أبوابها وسجل بكتابه "مقاصد الشريعة" مرحلة هامة من أهم مراحل هذا العلم متجاوزا بذلك أصحاب هذا الفن كالشاطبي في "الموافقات" وغيره<sup>1</sup>.

وأيا كتابه "أليس الصبح بقريب" فهذا الاسم مقتبس من الآية "قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب"<sup>2</sup>، ويفهم من هذه الآية أن لوط عليه السلام قد لقي من الكرب ما لاقى فسأل الملائكة متى موعدهم هلاكهم؟ فقالوا: الصبح، فقال: أريد أسرع من ذلك فقالوا: "أليس الصبح بقريب"<sup>3</sup>.

حيث انتقد في كتابه هذا التعصب للمذهب والتمسك بأقوال امام المذهب وتلاميذه وقد حال هذا التقوقع في المذهب دون النظر في الفقه وتطوره بما في ذلك السياسة الشرعية والأحكام السلطانية<sup>4</sup>.

أيضا من مؤلفاته الأخرى "الوقف وأثاره في الإسلام"، "كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ"، "قصة المولد"، "حواشي على التنقيح لشهاب الدين القرافي في أصول الفقه"، "فتاوي ورسائل فقهية"، "التوضيح والتصحيح في أصول الفقه"، "قضايا شرعية وأحكام فقهية وأراء اجتهادية ومسائل علمية"، "أمال على مختصر الخليل" ... الخ<sup>5</sup>

### 2- الشيخ عبد العزيز الثعالبي (1874 - 1944 م)

عبد العزيز بن ابراهيم الثعالبي نسبة الى جده العالم السلفي المشهور عبد الرحمان الثعالبي<sup>6</sup> دفين الجزائر ولد في تونس سنة 1874م وتولى جده رعايته وتنشئته حيث أحقه بالكتاب فحفظ فيه القرآن الكريم، وبعد اكمال دراسته الابتدائية "بباب سويقة" التحق بجامع الزيتونة، حيث حصل على شهادة التطويع وتخرج سنة 1896 وكان ينتقد كتب التدريس ودروس مشايخه ويكثر من أسئلتهم والاعتراض عليهم مما نفر منه البعض منهم ومن مشاغبتة<sup>7</sup>.

وسافر الثعالبي في زيارات للعالم الاسلامي زار خلالها الجزائر وطرابلس الغرب (ليبيا) والأستانة التي حقق فيها ما يصبو اليه وهو "الاطلاع على الشؤون العامة والاختلاط بكبار رجال الاسلام والتعرف على آرائهم حول القضايا

<sup>1</sup> - بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص11.

<sup>2</sup> - سورة هود، الآية 81.

<sup>3</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص438.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص444-445.

<sup>5</sup> - بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص69.

<sup>6</sup> - عبد الرحمان الثعالبي بن محمد بن مخلوف الثعالبي، صوفي من كبار المفسرين وأعيان الجزائر وعلمائها تعلم في بجاية (الجزائر)، وتونس ومصر ودخل تركيا، ولي القضاء على غير رضا منه له أكثر من تسعين (90) كتابا منها "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" توفي سنة 1470م. أنظر: نويهض عادل، معجم أعلام، المرجع السابق، ص90.

<sup>7</sup> - البشير الفوري: أعلام النهضة الأدبية د.ن، تونس، 1952، ص42.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الاسلامية والمشاكل السياسية في الشرق"<sup>1</sup>، وقد حظي بالتعرف على الشيخ أبي الهدى الصيادي<sup>2</sup>، الذي قدر مزايا الثعالبي واقترح عليه منصباً رفيعاً رفضه لأنه لم يكمل تكوينه بعد ولا يزال ظمأن لملاقاة الرجال والتعرف بالبلدان. كما التقى جمال الدين الأفغاني وحسن حسني الطويراني<sup>3</sup> وغيرهما ممن أخذ عنهم فكرة الإصلاح<sup>4</sup>. فأتسعت مداركه وعمقت ثقافته حتى "امتلاً وطاب وتشيع"<sup>5</sup>.

ثم انتقل الى القاهرة ليتتلمذ على يدي الشيخ محمد عبده في التفسير والمنطق ويتعرف بعبد الرحمان الكواكي ورشيد رضا وقد لقي الحفاوة والتكريم من رجال الفكر والأدب.<sup>6</sup>

ولعل هذا الزاد الديني الذي أخذه الشيخ الثعالبي من علماء الاسلام الاصلاحيين في المشرق قد أثر تأثيراً جلياً على فكره الاصلاحى، خاصة في مجال محاربة الطرق الصوفية وأيضاً على مؤلفاته وكتاباتة الصحفية، ومن أشهر مؤلفات الشيخ الثعالبي كتابه "روح التحرر في القرآن" ( l'esprit liberal du coran ) الذي صدر في باريس سنة 1905م وقد تضمن هذا الكتاب رغم صغر حجمه جملة من الأفكار الاصلاحية التي دعا اليها زعماء الاصلاح الذين سبقوه كمحمد بن عبد الوهاب والأفغاني والشيخ محمد عبده ورشيد رضا، وأشاد بذكر ابن تيمية في استنكاره للعادات الجديدة التي أدخلتها الطرق الصوفية على الديانة الاسلامية مبيناً مدى معارضتها للأصول الاسلامية الصحيحة.<sup>7</sup> ويمكن حصر هذه الأفكار في فكرتين أساسيتين:

- فكرة تخلص العقيدة الاسلامية مما خالطها من الأوهام وخرافات أصحاب الطرق الصوفية.
- فكرة تحرير المرأة المسلمة مما كانت تعانيه من أوضاع مزرية كالاقصاء والتهميش والجهل باسم الدين والتفسيرات الخاطئة لنصوصه الشرعية.<sup>8</sup>

### 3- الشيخ محمد النخلي (1285 هـ / 1342 هـ - 1867 م / 1924 م)

أبو عبد الله الشيخ محمد النخلي القيرواني كان نقاداً خبيراً وميلاً لتحقيق المباحث اشتهر بالذكاء والصراحة في أقواله، التحق بجامع الزيتونة سنة 1304 هـ حيث درس على الشيوخ سالم بوحاجب ومحمد بن محمود ومحمد النجار

<sup>1</sup> - البشير الفوري، المرجع السابق، ص43.

<sup>2</sup> - أبو الهدى الصيادي: (1849-1909) أشهر علماء عصره ولد في خان شيخون من أعمال المعرة وتعلم في حلب وولي نقابة الاشراف فيها، ثم سكن الأستانة واتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني فقلده مشيخة المشايخ، وكان من كبار ثقته خدم زهاء 30 عاماً وما خلع عبد الحميد الثاني نفي أبو الهدى الى جزيرة الأمراء "ريكيبيو" فمات بها، له كتب كثيرة منها ضوء الشمس في قوله (صلى الله عليه وسلم) بني الاسلام على خمس. أنظر: مسعود مسعود بوالخضرة، المرجع السابق، ص37.

<sup>3</sup> - حسن حسني الطويراني: (1850-1897) صحابي وشاعر تركي المولد، عربي النشأة ولد بالقاهرة وطاف بكثير من بلاد آسيا وافريقيا وأوروبا الشرقية، كتب وألف في الأدب والشعر أنشأ بالأستانة مجلة الانسان (1884-1890) من كتبه: النصيح العام من لوازم عالم الإسلام. أنظر: مسعود مسعود بوالخضرة، المرجع السابق، ص29.

<sup>4</sup> - البشير الفوري، المرجع السابق، ص42.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص43.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص43.

<sup>7</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص540.

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص541.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وغيرهم، تولى خطة التدريس من الطبقة الأولى وكان عضوا رفقة الخضر حسين في "الجمعية الزيتونية" قصد العمل على الإصلاح الزيتوني وهو من الذين تأثر بهم المصلح الجزائري الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس.<sup>1</sup>

### 4- الشيخ محمد مخلوف (1864 م - 1941 م)

هو محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف المنستيري القاضي والفقير والمؤرخ والعالم بتراجم المالكية، ولد بالمنستير بالساحل التونسي، درس بالزيتونة وأخذ العلم على مجموعة بارزة من مشايخ جامع الزيتونة منهم محمود بيرم ومحمود بن الخوجة وسالم بوحاجب وغيرهم، حيث واكب الحركة الإصلاحية الأولى التي شهدتها البلاد التونسية والتي كان أبرز روادها الوزير خير الدين باشا وشيخه سالم بوحاجب<sup>2</sup>، تولى عدة وظائف من بينها التدريس في جامع الزيتونة حيث درس العقائد والفقهاء ومن سنة 1902م الى غاية وفاته تولى منصب الافتاء بالمنستير.<sup>3</sup>

من أهم مؤلفاته:

- رسالة في ترجمة شيخه سالم بوحاجب، أرسلها الى ابنه خليل بوحاجب بين فيها أفكار الشيخ بوحاجب الإصلاحية ودوره في الحياة العلمية والثقافية بالبلاد التونسية آنذاك.
- شرح أربعين حديثا من ثنائيات الموطأ: وهو كتاب جمع فيه الشيخ مخلوف أربعين حديثا نبويا من ثنائيات الموطأ للإمام مالك بن أنس.
- " شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" وهو أهم تأليف كتبه الشيخ وبقي عشرات السنين في اعداده وقد فرغ منه في شهر محرم 1340هـ / 1921.

### 5- علماء الزيتونة والتأليف

من خصائص علماء الزيتونة عدم ميل أكثرهم للتأليف والكتابة ففي دروسهم تسمع منهم العجب العجاب، فعالمهم دائرة معارف متنقلة ولهم اطلاع واسع على مختلف العلوم والفنون قديمها وحديثها ولكنهم لا يكتبون الا قليلا نعم لهم مجلة زيتونة شهرية يصدرونها هي "المجلة الزيتونية" ومن ألف منهم كان تأليفه مفيدا ممتعا وفي مقدمتهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي ذكرناه سابقا والذي له تأليف كثيرة.<sup>5</sup>

حيث ألف الشيخ محمد الصادق الشطي المساكيني الأصل كتابا في علم الفرائض وما ان صدر حتى تقرر تدريسه لسهولة عبارته ودقة تنظيمه وعظيم فائدته وأراح به المدرسين والتلاميذ من دراسة المتون والشروح والحواشي<sup>6</sup>، كما ألف الشيخ الأجد قدية القيرواني الأصل كتابا في الصرف من أحسن الكتب التي ألفت في هذا الفن ولو تشجع علماء الزيتونة وألفوا الكتب التي تدرس فيها لأراحوا تلاميذهم من عناء فهم عبارات المصنفين الأقدمين ووفروا لهم أوقاتا ثمينة يصرفونها

<sup>1</sup> - الطاهر حداد: التعليم الاسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تح: محمد أنور بوسنيبة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1981، ص98.

<sup>2</sup> - منير رويس: اسهامات الزيتونيين في التراجم والتحقيقات، مجمع الأطرس للكتاب المختص، تونس، 2017، ط1، ص33.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص34.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص35.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص285.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص285.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

في علوم أخرى تفيدهم وقد قال أحدهم ذات يوم "اننا لم نؤلف الكتب لأننا لا نرضى الا بالأعمال الكاملة الخالية من النقص ولو فعلنا مثل زملائنا بالمشرق لكننا أفضل منهم".<sup>1</sup>

ومن الذين لهم الكفاءة العلمية التي تؤهلهم للتأليف المفيد الشيخ محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور فقد كان يلقي المحاضرات والدروس في تونس والمغرب ومن حسن الحظ أن تلاميذه كتبوا بعض محاضراته وجمعت في كتب صدرت باسم شيخهم ولو لم يقع ذلك لضاع علمه العزيز.<sup>2</sup>

كما تداول على رئاسة الجامع الأعظم علماء أفاضل هم كما يلي:

- 1- محمد الطاهر بن عاشور: 1932 - 1933 م
- 2- محمد الصالح المالقي: 1933 - 1939 م
- 3- محمد العزيز جعيط: 1939 - 1943 م
- 4- محمد الصالح المالقي: 1943 - 1945 م
- 5- محمد الطاهر بن عاشور: 1945 - 1956 م.<sup>3</sup>

### المطلب الثالث: خلاف علماء الزيتونة الاصلاحيين حول بعض القضايا الدينية

كما ذكرنا سابقا أن هناك تيارين اصلاحيين من العلماء الزيتونيين طفت على السطح بينهم خلافات خاصة حول نظرهم للإصلاح في جانبه الديني، ولعل أبرز هاته القضايا الدينية نذكر منها:

#### 1- فتوى قراءة القرآن عند تشييع الجنازة وحول الميت وحول قبره

إن فتوى قراءة القرآن عند تشييع الجنازة أثارت ضجة أكثر وأقوى في الجزائر على صفحات جريدة البصائر - لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - حيث سئل فضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عن حكم قراءة القرآن عند تشييع الجنازة وحول الميت وحول قبره عند دفنه، فأجاب بقوله أن السنة في المحتضر وفي تشييع الجنازة وفي الدفن هو الصمت للتفكير والاعتبار، فاذا نطق الحاضر فليكن نطقه بالدعاء للميت وبالمغفرة والرحمة فان دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب مرجوة الاجابة، وأما قراءة القرآن على الميت حين موته وحين تشييع جنازته وحين دفنه فلم تكن معمولا بها في زمان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وزمان الصحابة، اذ لم ينقل في صحيح السنة والأثر مع توفر الدواعي على نقله لو كان موجودا، الا الأثر المروي في قراءة سورة يس عند رأس الميت على خلاف فيه ولهذا كان ترك القراءة هو السنة وكان أفضل من القراءة في المواطن الثلاث المذكورة.<sup>4</sup>

هذا الجزء من الفتوى كان محل اتفاق بين الشيخ ابن باديس والشيخ ابن عاشور، بيد أن الشيخ ابن عاشور قد أضاف شرحا أدى به الى استنتاج ونصه "وحيث تكون قراءة القرآن في تلك المواطن مكروهة واما مباحة غير سنة فتكون مندوبة في جميعها، واما مندوبة في بعضها دون بعض"، واعتبر ابن باديس هذا الاستنتاج لا دليل عليه وعده مقاومة

<sup>1</sup> - منير رويس، المرجع السابق، ص285.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص285.

<sup>3</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص129.

<sup>4</sup> - بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص136.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

للسنة وتأييدا للبدعة قراءة القرآن على الميت.<sup>1</sup> ويختم ابن عاشور فتواه بقوله "وعليه فكل من يتصدى لمنع أقارب الأموات من تشييع جنازتهم بالقراءة فقد أنكر عليهم بغير علم واجترأ عليهم بالتدخل بدون سبب يحق له"، ويضيف "فإن هم تجوزوا ذلك فحق على ولاية الأمر في البلدان أن يدفعوا عن أهل المآتم عادية من يتصدى بزعمه للتغيير المنكر دون أن يعلم".<sup>2</sup> واتهم ابن باديس الشيخ ابن عاشور باغراء السلطة بالمسلمين واعتبره في هذه الفتوى مقاوما للسنة مؤيدا للبدعة كما يبدو على صفحات جريدة البصائر.<sup>3</sup>

ومن الملفت أن ابن باديس وغيره من رجال الإصلاح وان درسوا في تونس وصارت موطنهم الثاني لكن ذلك لم يجل دون توضيح قضايا دينية والاعتراض على أساتذة لهم وزعمهم في العلم مثل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حول قراءة القرآن على الموتى والانكار عليه ذلك بشدة وتبيين الحجج الشرعية.<sup>4</sup>

وفي منهج يعتمد على مخاطبة العقل وطرح الدليل الشرعي نشرت الشهاب مقالا تحت عنوان: "المباحثة والمناظرة بين محبي الحقيقة المتعاونين على الوصول إليها" حول هذا الموضوع ووجهت كلامها لفضيلة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بعد أن أظهرت شأنه وعلمه ومكانته في المنطقة ووضحت أن الدعاء للميت بظهر الغيب والرحمة له مرجوة أما قراءة القرآن عليه حين موته وحين تشييع جنازته ودفنه فلم يكن معمولا بها زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه الا قراءة سورة يس على رأس الميت حالة احتضاره وهو ما يقتضي من الشيخ اتباعه.<sup>5</sup>

ولكن لا يمنع ذلك من أن اختلاف الرأي بين الشيخ وتلميذه كان عميقا في هذه الفتوى، فان ابن باديس كان زعيما مصلحا يقود ثورة الشعب الجزائري ضد استعمار استيطاني غاشم لذلك أراد اعطاء الفتوى قوة يبرز من خلالها قدرة هذا الدين على الاعتبار والتفكير والتأمل في حال الميت وفي غيره من الكون والانسان والحياة ورغم منزلة أستاذه فانه تمثل بقول علي "كرم الله وجهه"، "لا تعرف الحق بالرجال، أعرف الحق نعرف أهله".

بيد أن ابن عاشور أعطى الجانب العلمي الاجتهادي ما يستحقه في هذه القضية ورأى اعتمادا على آراء المجتهدين جواز قراءة القرآن على الميت، واذ قلنا ابن باديس نقول أيضا الشيخ الثعالبي لأننا وجدنا توافقا تاما بين الفكر الاصلاحى الدينى بين الشيخين وهما يمثلان التيار الاصلاحى السلفى الذى يعارض كل بدعة فى الدين لم ترد فى الكتاب والسنة. ورغم ذلك فاختلاف الرأي لا يفسد فى الود قضية وكيف يحدث هذا الخلاف والصلة بين علماء تونس وعلماء الجزائر صلة وثيقة عبر التاريخ سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

### 2- فتوى التجنيس

التجنيس هو الانسلاخ من الجنس الذي ينتمي اليه الانسان والدخول في جنسية أخرى تختلف تماما عن الأولى من حيث المنشأ ونظام الدولة والانصهار في نظام الدولة الجديدة عملا بقوانينها سواء في أحواله الشخصية أو في

<sup>1</sup> - بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص 136.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 137.

<sup>3</sup> - جريدة البصائر، السنة الأولى، الأعداد: 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، من 24 أبريل 1936 الى 05 جوان 1936.

<sup>4</sup> - حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص 101.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 101.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

المعاملات أو العقود والالتزامات أو في جميع الجزئيات، ويترتب على ذلك تغيير في جميع أحواله<sup>1</sup>، وفي 3 أكتوبر 1910م صدر قانون التجنيس ففتح باب التجنس بالجنسية الفرنسية لكل من رغب فيها من التونسيين تطبيقا لسياسة الذوبان في الجنس الفرنسي التي برزت في بداية القرن العشرين، ثم جاء قانون ديسمبر 1920 مغريا بالتجنس بالجنسية الفرنسية اغراءات مادية، بيد أن المقاومة العنيفة من قبل الحركات الوطنية تصدت لحملة التجنس التي تزعمتها كثير من الدول خاصة إيطاليا في طرابلس ليبيا وفرنسا في الجزائر وتونس.<sup>2</sup>

ورأت العناصر الوطنية أن في الأمر خطرا داهما وأن الهوية مهددة بالذوبان فأعتبرت المتجنس متخليا عن المجموعة فإرأ من الأحكام الإسلامية التي تحتكم إليها لا محالة إلى أحكام غيرها، واعتبرت القائم بهذا الفعل مرتدا عن الإسلام يعامل كما يعامل المسلم المرتد، ومن بين ذلك أنه لا يدفن في مقابر المسلمين.

وقد تم فعلا منع دفن بعض المتجنسين في المقابر الإسلامية فأثارت هذه القضية ضجة غذتها الصحف الوطنية الناطقة باللغة الفرنسية والمعبرة عن لسان الدستوريين الذين أخذوا يرددون خلال المناسبات المتعددة أن المسلم المتجنس قد تخلى نهائيا عن المجموعة الإسلامية وبالتالي فقد جميع حقوقه كمسلم... الخ، ونتج عن ذلك أن المتجنس على المسلم الاعتراض ولو بالقوة على دفن المتجنس في المقبرة الإسلامية.<sup>3</sup>

لقد لجأت السلط الاستعمارية إلى حيلة تتمثل في استصدار فتوى تضمن للمتجنس التوبة وذلك عن طريق سؤال وقع التوجه به إلى المجلس الشرعي ونصه: "إذا اعتنق شخص جنسية يختلف تشريعها عن أحكام الشريعة الإسلامية ثم حضر لدى القاضي الشرعي ونطق بالشهادتين وأعلن أنه مسلم وأنه لا يرضي غير الإسلام ديننا هل يحق له طوال حياته أن يتمتع بنفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المسلمون؟ وهل يحق له بعد وفاته أن يصلى عليه صلاة الجنازة وأن يدفن في مقبرة إسلامية".<sup>4</sup>

وهكذا أرادت السلط الاستعمارية استصدار فتوى من المجلسين الشرعيين الحنفي والمالكي يضمن للمتجنس الجنسية الفرنسية ويكون بهذه الردة المصطنعة من غير المطرودين من حظيرة الإسلام ويدفن في المقابر الإسلامية، بيد أن اجابة المجلس الشرعي المالكي لم تكن في مستوى المطلوب منها في نظر المقيم العام الفرنسي وقيدت توبة المتجنس بقيود كثيرة يستحيل على السلط اعلانها.<sup>5</sup>

أما الفتوى الحنفية فهي وان أجابت عن الاسئلة الموجهة إليها من قبل السلط الاستعمارية لا تشكل خطرا في قضية التجنيس لقلّة أتباع المذهب الحنفي بتونس الذي يكاد ينحصر في بعض العائلات وخاصة العائلات التركية كالعائلة الحسينية المالكة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup>- بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص138.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص138.

<sup>3</sup>- مختار العياشي: البيئة الزيتونية 1910-1945 مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية، تر: حمادي الساحلي، دار تركي، تونس، 1990، ص271.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص270.

<sup>5</sup>- بقاسم الغالي، المرجع السابق، ص140.

<sup>6</sup>- المرجع نفسه، ص140.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وقد كان لجوء السلط الاستعمارية لاستصدار فتوى المتجنس من المجلس الشرعي بسبب فتوى الشيخ ادريس الشريف<sup>1</sup> مفتي بنزرت على اصدار فتوى تكفر المتجنس وتحرم دفنه في مقابر المسلمين، ورغم أن فتوى المجلس الشرعي لم تعجب السلط الاستعمارية الا أنها لقيت مناهضة من الرأي العام الذي اجتمعت على تحريضه عناصر قيادية شابة من الحزب الدستوري يقودها الحبيب بوقبية<sup>2</sup> ومجموعة من مدرسي الزيتونة يتقدمها محمد الصالح النيفر<sup>3</sup> وابراهيم النيفر وأحمد المهدي النيفر والشاذلي بن القاضي<sup>4</sup> فكان من تعبيرات الغضب رفض سكان العاصمة الصلاة بامامة أعضاء مجلس الشرع وتنظيم المظاهرات في مختلف أنحاء القطر وارسال عرائض احتجاج على موقف شيخي الاسلام محمد بن يوسف والطاهر بن عاشور<sup>5</sup>.

يقول الهرماسي في ذلك: "وهكذا أنتجت الأوضاع التونسية مفارقتها الخاصة اذ برزت النخبة المتأثرة بالفكر العلماني كحامية للمقدسات الدينية والوطنية في مواجهة تهاون الهيئة الدينية العليا، كما وظفت موقفها ذلك في زعزعة الهبة التي كانت لكبار رجال الشرع ولدعم رصيدها السياسي الخاص".<sup>6</sup>

### موقع الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور من فتوى التجنس وتبرئته منها

كان الشيخ في هذه الفترة 1933م يتولى مشيخة الاسلام وهو بحكم هذه المسؤولية يعتبر رئيس المجلس الشرعي لعلماء المالكية وقد عرضت عليه قضية التجنيس وتداول فيها الرأي مع أعضاء المجلس الشرعي لعلماء المالكية ورغم حجب الفتوى من قبل المقيم العام لعدم استجابتها لمطامحه فإن الشيخ ابن عاشور قد أتهم تهمة لوثت سمعته وشككت في دينه ووطنيته، بينما المجلس المالكي الشرعي برئاسة الشيخ نص صراحة على أنه يتعين على المتجنس عند حضوره لدى القاضي لا فقط النطق بالشهادتين بل أيضا التصريح في نفس الوقت بأنه يتخلى عن الجنسية التي اعتنقها"<sup>7</sup>، فهل يبقى بعد هذا البيان بيان آخر؟ وهل يبقى مجال لاتهام شيخ الاسلام أو المجلس الشرعي بعد أن شدد النكير على المتجنس؟

1- ادريس الشريف: الشريف ادريس بن محفوظ بن الحاج أحمد 1866-1936م من أصول جزائرية من أبرز أعلام الفكر والإصلاح بنزرت، توفي والده وعمره عام، كفله جده ثم عمه الفقيه الحاج محمد الشريف، حفظ القرآن ودرس على مشايخ بنزرت، وأتم دراسته بجامع الزيتونة ليحصل على شهادة التطويح سنة 1895، درس بجامع الزيتونة ورجع الى بنزرت عام 1920، له مؤلفات عديدة، كان إمام الجامع الكبير بنزرت، وله مواقف مشهورة حول قضية التجنيس والتبشير المسيحي. أنظر: خير الدين شترة، اسهامات النخبة، المرجع السابق، ص328.

2- الحبيب بوقبية: 1903-2000م ولد بتونس وأتم دراسته بباريس عمل في الصحافة والحاماة، أصبح سكرتير الحزب الحر الدستوري الجديد، وعضوا في لجنة تحرير المغرب العربي 1948، انتخب رئيسا لتونس سنة 1956، الى أن عزل من الحكم في 7 نوفمبر 1987م. أنظر: غيلان سميح طه التكريتي، الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918-1939، مجلة أداب الفراهيدي، جامعة تكريت، العراق، العدد 13، كانون الاول ديسمبر 2012، ص199.

3- محمد الصالح النيفر: هو محمد الصالح بن الطيب بن علي بن صالح النيفر، ولد يوم 10 مارس 1905 من عائلة علمية زيتونية، التحق بجامع الزيتونة سنة 1916 ليحصل على شهادة التطويح سنة 1923، بدأ التدريس في جامع الزيتونة منذ سنة 1929، كما برز بنشاطه في المجال الجمعياتي حيث أنه كان أحد مؤسسي جمعية علماء جامع الزيتونة في فيفري 1933، كان له نشاط بارز في الساحة الزيتونية، كتب في المجال الصحافي، توفي سنة 1993. أنظر:

4- الشاذلي بن القاضي: 1903-1978م تعلم بجامع الزيتونة ودرس به، أسس المجلة الزيتونية وشغل منصب مدير المدارس الزيتونية سنة 1948، دخل عضوية الديوان السياسي بمعية محمد الفاضل بن عاشور. أنظر: علي الزيدي، الزيتونيون دورهم، المرجع السابق، ص77.

5- مختار العياشي: البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص221.

6- عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، صص368-369.

7- مختار العياشي، البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص273.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وبخاصة الاضافة التي أضافها الشيخ محمد العزيز جعيط التي تؤكد على أنه ينبغي أن تتمثل "توبة" المتجنس في "الافلاع" عن الامتيازات التي تحصل عليها بموجب جنسيته الجديدة،<sup>1</sup> ولو افترضنا أن هذه الفتوى صدرت عن الشيخ ابن عاشور فلما لم تنشر في الصحافة ولو كانت الموالية لفرنسا؟ وهي ستكون دعما ومعززة لجانبها تحقق بها بغيتها.<sup>2</sup>

ولقد بقي الغموض يكتنف تلك القضية الشائكة الى أن ظهر العدد الأول من مجلة وثائق وثائق التي يصدرها المركز القومي الجامعي للتوثيق العلمي والتقني وقد تضمن من بين ما احتوى عليه من وثائق تاريخية وثيقة على غاية الأهمية تتعلق بموضوع التجنيس وهي تتمثل في تقرير رسمي مؤرخ في 29 أبريل 1933م وموجه من المقيم العام الفرنسي بتونس "منصورون"<sup>3</sup> الى وزير الشؤون الخارجية بباريس، وهذه الوثيقة التي نشرها الأستاذ حمادي الساحلي بتاريخ 17 ماي 1985 أي بعد موت الشيخ ابن عاشور بأثنتي عشرة (12) عاما، كانت وفاته يوم الأحد 13 رجب 1393 هـ الموافق ل 12 أوت 1973 قد أثبتت براءة الشيخ من فتوى التجنيس وكشفت اللثام عن فتوى ردة المتجنس وما حف بها من ظروف وملابسات ومن ساهم فيها ومن امتنع عن التوقيع عليها من أعضاء المجلسين.<sup>4</sup>

### المطلب الرابع: تعامل العلماء الاصلاحيين الزيتونيين مع الطرق الصوفية

كانت الفكرة الاصلاحية في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين عبارة عن مركب من العقلانية الاسلامية والفكر السلفي كما صاغه ابن تيمية والعقلانية الوضعية الوافدة من الغرب وموضوعيا اتجهت هذه المنظومة من خلال عقيدة التوحيد الصارمة ومحاربة "البدع" الى عقلنة التدين وتقليص مساحة المقدس باعادته الى دائرته الأصلية ومركزته في الله<sup>5</sup>، أي الى المقصد الأول للرسالة المحمدية وباعتبار ذلك شرطا لتنمية عقلية متقلبة حضارة العلم والتقدم ضمن هذا الاطار كانت المعركة الأولى لأنصار الأفغاني وعبده ورشيد رضا مع الاسلام الشعبي الذي يتمتع بحماية المؤسسة الشرعية حيث حارب هذا المثقف الزيتوني ممثلا في الثعالبي ومحمد شاکر<sup>6</sup> طغيان التدين السحري وأنكر الاعتقاد في قدرة الأولياء على النفع والضرر والتوسل اليهم ووعدهم بالذبائح بوصفها أوهاما وممارسات مخلة بالعقيدة ومتعارضة مع العقل والشرع، كما تصدى لاستغلال هذه المعتقدات من قبل أكلي النذور وهم عائلات مشائخ الطرق ووكلاء الزوايا، وذهب الثعالبي بعيدا في هذا المنزع السلفي العقلاني، ذلك عندما ربط الاعتقاد في الصلحاء والابتهاال اليهم بالوثنية ورفض الاعتراف للعجيب بالحق في الوجود: "فالخرافات والأوهام تفسد الأرواح وتغالط الافكار وتوجه الارادة البشرية في

<sup>1</sup> - مختار العياشي، البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص173.

<sup>2</sup> - بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص142.

<sup>3</sup> - فرانسوا منصورون (François Monceron) مقيم عام تولى الاقامة العامة بتونس من سنة 1929 الى غاية 29 جويلية 1933، عرفت فترة حكمه اصدار قرارات زجرية عملت على تعطيل نشاط الحزب الدستوري. أنظر: محمد الطيب زروق: البعد المغاربي للحركة الوطنية التونسية من خلال جريدة إرادة 1948-1955، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 2، 2013/2014، ص20.

<sup>4</sup> - بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص143.

<sup>5</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص288.

<sup>6</sup> - محمد شاکر: هو الشيخ محمد بن محمد شاکر مدرس بالجامع الجديد بصفاقس الفرع الزيتوني. أنظر: الملحق رقم8.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

طريق الضلال... وتحمل الانسان على الاعتقاد في الامور العجيبة التي يظن أنها تستطيع نفعه أكثر بكثير من جهوده وأعماله ومثابرتة كما أن الأوهام تمثل عائقا في وجه العلم".<sup>1</sup>

وهذا التيار الاصلاحى الزيتونى كان له نشاط ومواقف ضد الطرق الصوفية ومشائخها في المقابل نجد فريق من علماء الاصلاح الزيتونى الذين لم يسكتوا أيضا على المعتقدات والممارسات التي هاجمها المثقف السلفى العقلانى الا أنهم لم يجعلوا منها محورا رئيسا لمسعاهم الإصلاحي، وكانوا معتدلين على العموم في تناول هذه المسألة، ما يعكس اختلافا جزئيا في الموقف من العقائد الشعبية واختلافا أكبر في طريقة التعامل معها.<sup>2</sup>

وستنطلق الى مواقف ونشاط هذين التيارين :

### 1-مواقف ونشاط التيار الاصلاحى المتشدد ضد الطرق الصوفية

يسط الشيخ الثعالبي رأيا جريئا في الطرق الصوفية يبين فيه تأثيرها السيء على الاسلام والمسلمين، حين أفقدتهم "روح المبادرة، فلماذا يجتهد الانسان ما دام يكفيه أن يتوسل لأحد الأولياء ليضمن لنفسه السعادة والثراء؟ ولماذا يعالج نفسه اذ يكفيه أن يتضرع الى أحد الأولياء ليستعيد صحته؟... وما الفائدة من السير في طريق الرقي والحضارة بما أنه بالامكان بفضل الأولياء، الوصول الى نتيجة أعلى من النتيجة التي بلغتها أرقى الشعوب وأسمائها".<sup>3</sup> ويرى الثعالبي أنه بسبب الطرق الصوفية تفتشت ثلاثة أدواء في المجتمع الاسلامي وهذه الأدواء هي "الجهالة، والعصبية والضلال"<sup>4</sup>، ولا يمكن حصارها وتبين أوجه العلاج منها، الا اذا اجتمعت ثلاثة عناصر :

- سيادة الفكر الاسلامي المستند الى أصول الدين.

- استفادة المسلمين من دراسة المبادئ المستمدة من القرآن والحديث دراسة صافية وصحيحة وفاضلة.

- أن يصبح طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.<sup>5</sup>

بهذا يتبين لنا أن رؤية الثعالبي فيما يتعلق بالطرق الصوفية انما هي رؤية انتقادية قائمة على الملاحظة المباشرة والمشاهدة العينية لما جرتة على المجتمع الاسلامي ولما يمكن أن تشكله من خطر على نموه الثقافى وصفائه الاعتقادى.<sup>6</sup> ويرى الثعالبي أن أسباب قوة الطرق الصوفية في تونس والتي سيطرت على الحياة الدينية سيطرة مطلقة، هي أن الملوك والأمراء في تونس وفي سائر البلدان الاسلامية لما رأوا أن مقاومة الطرق الصوفية قد تؤول الى زوال ملكهم اختاروا أسلوب المهادنة والاحتواء بدل المواجهة والمقاومة، فعملوا على توظيفها في خدمة سلطانهم وحماية عروشهم واعترفوا بها وألحقوا أصحابها بحاشيتهم وشيدوا لهم الزوايا والأضرحة وأوقفوا عليهم الأعباس كي تزداد شعبيتهم ويمتد نفوذهم.<sup>7</sup>

1- عبد العزيز الثعالبي، روح التحرر، المصدر السابق، ص58.

2- عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص291.

3- عبد العزيز الثعالبي، روح التحرر، المصدر السابق، ص83.

4- المصدر نفسه، ص58.

5- المصدر نفسه، ص ص84-85.

6- مسعودة مسعود بو الحضرة، المرجع السابق، ص159.

7- سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص546.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وبهذا الاعتبار فقد كان لمشايخ الطرق عند السلطة السياسية مكانة مرموقة ويتمتعون باحترام وتقدير كبيرين، وقد أوضح الصحفي البشير الفورتي مدى تغلغل الطريقة في أجهزة الدولة فقد كان حكام الدريية،<sup>1</sup> ورجال الشرع يوم الجمعة (وظيفة) سيدي أحمد التجاني، التي بزواوية باب منارة وفي مقام سيدي ابراهيم الرياحي، كما اعتاد الكثير من أهل العلم وأصحاب المراكز الحكومية في الدولة التونسية على زيارة السيدة المنوية ومقام سيدي بلحسن الشاذلي.<sup>2</sup>

وواصل الثعالبي على إثر ذلك في مجالسه وكتاباتاته التهجم على الأولياء وعلى مدعي الولاية وعلى المجاذيب وعلى مشايخ الطرق والزوايا بعبارات جارحة أثارت عليه الرأي العام ورجال الشرع وساهمت في عزله وعزل محمد شاکر بتهمة ترويج الدعوة الوهابية.<sup>3</sup>

حيث تحصلنا على وثائق أرشيفية من الأرشيف الوطني التونسي تتكلم عن ملف اداري ومراسلات ومقالات صحفية عن محمد شاکر المدرس بالفرع الزيتوني والذي تعرض لحملة صحفية لمعارضته عادات وطقوس التقرب من الأولياء وزيارة القبور.<sup>4</sup>

حيث تكلم الشيخ محمد شاکر الى تلاميذه عن سؤال طرح عليه بخصوص زيارة المقابر والتقرب الى الأولياء والدعاء اليهم، فكتبت ضده العرائض الطويلة وشن عليه أنصار الطرق الصوفية حملة شعواء الى أن تم توقيفه عن التدريس وطرده من جامع صفاقس،<sup>5</sup> واتهامه بأنه من أنصار الشيخ محمد عبده وصاحب المنار رشيد رضا ومخالف للسننة ومتمتع للوهابي الدرعي<sup>6</sup>، وهذا ان دل على شيء انما يدل على نفوذ الطرق الصوفية وأيضاً علاقتها المتينة مع السلطة الحاكمة وأيضاً جزء كبير من علماء الزيتونة المحافظين كما ذكر ذلك الثعالبي، والدليل تمكنهم من عزل الشيخ محمد شاکر وشن حملة صحفية عليه.

على أن تراجع الدعوة الإصلاحية في مضمار مكافحة البدع لم يدم طويلاً ففي اثر الحرب العالمية الأولى وفي ظل تبلور الفكرة الوطنية وحركية المجتمع التونسي، احتل المثقف الاصلاحى موقعا مركزيا في تنشيط هذه الحركية وبشكل خاص وفر تأسيس الحزب الدستوري الحر الذي جمع بين العمل السياسي الوطني والاصلاح الديني والاجتماعي غطاء لاجياء الحملة على "البدع" و"العوائد الفاسدة" من دون أن يخشى دعائه غضب الجماهير أو المحكمة الشرعية واتضح هذا الازوداج في نشاط الحزب مع تولي عدد من قياديه مثل حسين الجزيري والطيب بن عيسى والطاهر الحداد تأسيس "جمعية مقاومة البدع والاسراف" كما ظهرت في العشرينات وبعدها منابر اصلاحية منها صحف ناطقة بلسان الحزب أو قريبة منه على غرار "النديم" لحسين الجزيري و"الوزير" للطيب بن عيسى.

1- الدريية: هي المحكمة الابتدائية بتونس.

2- سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص547.

3- عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص289.

4- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، الحافظة 50، الملف 02، الملف الفرعي 18، التاريخ: 1904 - 1955. أنظر الملحق رقم 9.

5- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، الحافظة 50، الملف 02، الملف الفرعي 8، التاريخ: 1904 - 1955. أنظر الملحق رقم 10.

6- الأرشيف الوطني التونسي، المصدر نفسه.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

من الجدير بالذكر في هذا السياق، أن الطرق الصوفية ومشائخها كانت هدفا رئيسا لهذه الصحف في هجومها على "الدجل" والمتحايين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويستفيدون من الصدقات والندور ولا يقومون بعمل صالح ينفع العباد أو يرقى بالبلاد سوى بث فكر الزهد والتواكل"<sup>1</sup>.

وكثيرا ما يمتزج النقد الديني بالنقد الاجتماعي في تناول هذه الصحف لعدد من "المنكرات" المرافقة للمناسبات الدينية والمآتم، كتحويل الأعياد من فرصة لذكر الله وربط الصلة بين المسلمين الى فرصة لابتداء الزينة والتفنن في المأكولات واستغلال البعض زيارة المقابر أو الزوايا "للفجور" كما تحول عملية تجهيز الموتى من غسل وتكفين الى مهنة يمارسها البعض بمقابل علاوة على عادة ترتيل القرآن والدعاء للميت في أثناء تشييعه للمقبرة مع التذكير بأن الشريعة قررت جملة من الأداب يجب مراعاتها عند حمل الجنازة منها عدم رفع الصوت بذكر أو قرآن أو غير ذلك.<sup>2</sup>

### 2- مواقف ونشاط التيار الاصلاحى المعتدل من الطرق الصوفية

لقد اتسمت هاته المواقف المعتدلة من بعض علماء الاصلاح الزيتوني بمهادنة الطرق الصوفية وعدم الدخول معها في صراعات، وذلك لخصوصية الوضع السائد في الأيالة التونسية آنذاك وأيضا لأولويات كانت تراها الحركة الاصلاحية الزيتونية في عملية التغيير الاصلاحى تختلف عن تلك الأولويات التي سطرتها الحركة الاصلاحية في الجزائر.

اذ أننا نجد الشيخ محمد الخضر حسين من القلائل الذين أعلنوا عن موقف صريح عندما وازن بين الوظائف الايجابية للطرق والزوايا وسلبياتها التي دعا الى معالجتها وذكر من جهة أنه: "كان لمشايخ الطرق قبل هذا العصر فوائد لا يصح انكارها كاتخاذ الزوايا لتعليم القرآن وتلقين جوانب من مبادئ الدين والأحكام الفقهية والارشاد الى بعض الأخلاق الفاضلة والمحافظة على العادات وترك المنكرات".<sup>3</sup>

لكنه أشار من جهة أخرى الى ما تبنته بعض الطرق من أفكار غريبة عن الشريعة وما يقوم به البعض من الأعمال المشينة، ما "يجعل المسألة خطيرة وتبعات السكوت عنها غير هينة" فيتطلب بالتالي اصلاح هذه الطرق وزواياها.<sup>4</sup> ويقول الشواشي عن موقف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من الطرق الصوفية: "وعلى الرغم من ارتباط الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بجماعة المنار، الا أنه لم يتخذ أي موقف، وتجنب الدخول في هذه المعركة الحامية الوطيس والتي كان من ضحاياها الشيخ محمد شاكر المدرس الشاب بالفرع الزيتوني بصفاقس الذي تم طرده من وظيفته من قبل المجلس الشرعي بما لتهجمه على الزوايا والأولياء متأثرا في ذلك بمجلة المنار"<sup>5</sup>.

ويبدو أن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قد اتخذ موقفه هذا عن وعي وتدبر لأنه لاحظ أن هذا الصراع ليس صراعا علميا محضا وانما هو صراع تغذية أطراف عديدة ولاسيما السياسة منها لذلك فالجلوس على الربوة أسلم وربما

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص290.

<sup>2</sup> - نصر الجويلي: العامل الديني وأثره في الحركة الاصلاحية في تونس بين عامي 1881-1934، أطروحة دكتوراه، جامعة الزيتونة، تونس، 1992-1993، صص143-151.

<sup>3</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص291.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص292.

<sup>5</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص458.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

يكون هذا الموقف هو الذي دفعه الى عدم الحديث عن علم التصوف في كتابه "أليس الصبح بقريب؟" لأنه سيضطر الى بيان الفساد الذي طرأ عليه وفي ذلك اثارة لشيخو الطرق.<sup>1</sup>

وينبثق هذا الموقف عن هؤلاء الاصلاحيين الزيتونيون الى وزن الموروث السني المالكي والأشعري المغاربي في تحديد مسلك العلماء بمن في ذلك الوهابية منذ ظهورها، فهذا الموروث بقي يمارس تأثيره لا لجهة تبرير التوسل للأولياء وغيره، انما في ما يهم منهج التعامل مع المعتقد الشعبي وذلك بتوخي "الواقعية" في الحكم عليه والرصانة في السعي لتجاوزه يضع العالم الاصلاحى سعيه تحت راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالاصلاح عنده ليس سوى "ترغيب الكافة بأمرهم بالمعروف حتى تتحملة النفوس ويتمكن منها وتهذيبهم بنهيهم عن المنكر وصددهم عنه" ويعلن هذا العالم اختلافه مع أسلوب بعض الأطراف في الدعوة الى الاصلاح.<sup>2</sup>

ومهما يكن من أمر فقد اضطلع جامع الزيتونة بدور كبير في اشعاع الدين الاسلامي وترسيخ الثقافة العربية في عصر اتصف بالتحديات والأخطار وتكوين نخبة اسلامية وعربية، جاء في البصائر مقال بعنوان (حول الجامع الأعظم)؛ "ان الذي يدرك قيمة ذلك المعهد وفضله على هذه الأمة الاسلامية العربية المنتشرة على أرض هذا الشمال الافريقي في حياة دينها وحفظ لغتها وصيانة أديها والصورة الحقيقية لروحها وشخصيتها يدرك ولا شك عندما يأخذ في علاج مشاكله وبيان أوجه اصلاحه أي أمر يقدم عليه ويحاول اعطاء نظريته فيه، فان جامع الزيتونة قد بقي طيلة هذه القرون العديدة التي مرت على انشائه كعبة الشمال الافريقي ومنارة الدين فيه ومبعث أقطاب الشريعة وعلومها وحفظة اللغة العربية وأدائها ممن يتكون منهم الجهاز الصالح للدولة الاسلامية في ناحيتي الدنيا والدين فقدسية هذا المعهد الدينية وقيمتها الدنيوية والتاريخية هي التي يقوم عليها هذا الاعتبار والاحترام الذي يملأ قلوب كافة مسلمي هذه الأقطار".<sup>3</sup>

ولئن أتاح نظام الحماية على هشاشة ضماناته لحركة الاصلاح التونسية أن توجه جهدها نحو اصلاح المؤسسات العلمية والشرعية مع الحفاظ على كيانها كما كان الشأن لدى المصلحين من علماء الزيتونة، ونحو الاصلاح الاجتماعي كما حصل مع المثقفين الناشطين من خارج المؤسسة الرسمية وهيئة العلماء الأمر الذي جعل الاصلاح الديني والتصدي الثقافي يأتیان في الدرجة الثانية من الاهتمامات، فإن طبيعة وحجم الكارثة التي شكلها الاستعمار في الجزائر من خلال تدمير معالمها ومؤسساتها الدينية والتربوية والثقافية وتهجير أو نفي علمائها واخضاع ما بقي من هيئاتها العلمية والشرعية لادارة الاحتلال والعمل على فرنسة البلاد والثقافة واللغة، كل ذلك يفسر اختلاف سلم الأولويات وحجم الرهانات في صف حركة الاصلاح الاسلامي الجزائري، فمن ناحية أعطت الحركة الاصلاحية الأولوية لانقاذ الشخصية الثقافية المهتدة بالمسخ ومواجهة سياسة الفرنسة والمواطنين معها أو المتغافلين عنها من المثقفين العصريين ورجال الدين من أهل الشرع والطرق الصوفية، ومن ناحية أخرى اعتبرت مكوناتها الرئيسية نجاح المواجهة الثقافية والتربوية الوطنية بأبعادها الدينية واللغوية مشروطا بتعبئة المجتمع الجزائري ضد العوامل والقوى الداخلية التي تبث فيه شعور اليأس والعجز وتكبل فيه العقل

<sup>1</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص459.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص293.

<sup>3</sup> - جريدة البصائر، عدد 67، 14 ماي 1937.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

والإرادة، وهي كما حددها الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفاقه الجهل وقوة الطرق الصوفية العقبة الرئيسية أمام ممارسة جمعية العلماء لما تطمح اليه من دور توجيهي بل قيادي.<sup>1</sup>

### المبحث الثاني: الجانب التربوي وجهود الاصلاحيين الزيتونيين في اصلاح التعليم الزيتوني

ان دراستنا للجانب التربوي والتعليمي في نشاط الحركة الاصلاحية التونسية وبالخصوص الزيتونية يختلف نوعا ما عن نظيرتها في الجزائر، وكما قلنا أيضا فالأولويات في البلدين تختلف حسب ظروف الاحتلال، وعليه فجامع الزيتونية بتونس كما قال الشاذلي بن القاضي في احدى مقالاته بالجملة الزيتونية "هو الرباط الحصين الباقي للأمة... فكان حرزا منيعا للدين واللغة الذين هما أخص مقومات الأمة وحجر الزاوية التي يقام عليها صرح مجدها وعزها"<sup>2</sup>، وبالتالي ارتكزت العملية الاصلاحية حول جامع الزيتونة باعتباره المركز والمنطلق في هذا الجانب المهم من جوانب العمل الاصلاحية.

### المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الجانب التربوي والتعليمي وتطوره في جامع الزيتونة

جامع الزيتونة مسجد أسس على التقوى من أول يوم "مسجد إذا بدا لك تبليج نوره اللامع أيقنت أنه الجامع المفرد الفرد، روض العبادة ومعبد الرياضة بستان علوم زهر دوحاتها الفتح وثمارها الافاضة، بحر بركات شحنت فلكها ببضائع الأسرار... ما سرح نظر المؤمن في أثنائه الا امتلاء علما من بادرات ثناياه، يحكى بجماله أجمل عروس، صيغ لها من معادن الطروس، فلايد حلق الدروس، تحسب مدرسيها أسود غياض، ودواير تلامذتهم حياضا في رياض، لا عيب فيه غير أنه غدا بين أقرانه بمرتبة الصدر، واختلط بأن ينشرح لوارديه الصدر، فما ضاق صدر مهموم ودخله الا انفرج، وانفتح له بلطيف عنايته أبواب الفرج، به أماكن اشتهرت برجاء قبول الدعاء فطوي لمن أخلص ودعا".<sup>3</sup>

وقد اختلف المؤرخون التونسيون في مؤسسه وأصلح تلك الروايات أن الذي أسسه هو عبد الله بن الحبحاب،<sup>4</sup> في العام الرابع عشر من القرن الثاني للهجرة (114هـ) وعليها اقتصر غالب المؤرخين من القدماء والمحدثين كما أن زيادة الله بن الأغلب،<sup>5</sup> زاد فيه وضخمه وكملت ضخامته في أيام بني حفص، اذا فجامع الزيتونة قد أسس في خير القرون الأولى على يد كبار التابعين رضي الله عنهم فمن أجل ذلك كان منظورا اليه بعين الاجلال والتعظيم من جميع المسلمين وخصوصا من أهل تونس الذين جعلوه قبلة أنظارهم وبالغوا في تعظيمه.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، صص 295-296.

<sup>2</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزينة العامة للمحفوظات، دو 62، محمد الشاذلي بن القاضي: الجامعة الزيتونية، المجلة الزيتونية، تونس، ج6، مج9، 1955، ص289. أنظر الملحق رقم 11.

<sup>3</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزينة العامة للمحفوظات، دو 62، محمد المختار بن محمود: جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها انتاجا فما هي مهمته وهل هو قائم بما، المجلة الزيتونية، تونس، ج2، مج2، رمضان المعظم 1356 هـ / نوفمبر 1937م، ص50. أنظر الملحق رقم 12.

<sup>4</sup> - عبد الله بن الحبحاب: هو الذي عينه هشام عبد الملك الاموي واليا على افريقية سنة 110هـ/728م. أنظر: محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، صص 10-12.

<sup>5</sup> - زيادة الله بن الأغلب: الأول بويغ في سنة 817م فتح صقلية في 827م بقيادة أسد بن الفرات قاضي القيروان، اهتم بالعمران والمساجد، توفي يوم الثلاثاء 4 رجب 223هـ 11 جوان 838م. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، صص 59-60.

<sup>6</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزينة العامة للمحفوظات، دو62، محمد المختار بن محمود، المصدر السابق، ص51.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وقد أسس جامع الزيتونة على أن يكون محل عبادة ولما كان المسلمون في العصور الأولى يقومون في الجوامع بكل ما يهمهم من الشؤون التي لا تنافي ما يجب لبيوت الله من الاحترام، فقد صار جامع الزيتونة محلا للتعليم تلقى فيه الدروس العلمية على اختلاف مواضيعها وأنواعها ولا يعلم بالضبط تاريخ جعله محلا للتعليم ولا تاريخ تنظيم التعليم فيه لأن تلك الدروس لم تكن في أولها نظامية بالأسلوب المتعارف عليه اليوم فمن العسير ضبط تاريخ وجودها، والظاهر أن الدروس صارت تلقى فيه من القرن الثالث الهجري، ثم أخذت تنظم شيئا فشيئا الى ابتداء الدولة الحفصية 603هـ، فعند ذلك ازدهر التعليم بجامع الزيتونة وكثر انتشاره وتفنن الناس في مختلف العلوم والفنون وتخصصوا فيها حتى اشتهر كل واحد بما تخصص فيه حتى برعوا فيها وكان هناك تبادل في الآراء والأبحاث بين علماء الزيتونة وبقية علماء المشرق والمغرب وكان من أعلام ذلك العصر ابن عبد السلام وابن عرفة وابن خلدون والبرزلي<sup>1</sup>، ثم أخذ التعليم بجامع الزيتونة يترقى ويأخذ الصيغة النظامية ويتدرج في ذلك مع مرور الزمان وان طرأ عليه شيء من الفتن والاختلال في بعض الأحيان الى أن ألت الدولة في هذه البلاد للعائلة الحسينية، فعند ذلك ازدهرت الحياة العلمية وتطافت هم من تداول الملك من أبنائها على ترقية العلوم والسعي الى انتشارها، ولكن مع ذلك لم يأخذ التعليم بالجامع صبغة نظامية محكمة، حتى تولى الملك المشير الأول أبو العباس أحمد باشا باي... فقد أراد أن يرقى البلاد التونسية من جميع النواحي، وحيث كان أكبر مظهر لرقى الأمم يتجلى في اعتنائها بالناحية العلمية فقد توجه هذا الأمير الى جامع الزيتونة ووضع الحجر الأساسي لتنظيم التعليم فيه باصداره الأمر العلي المؤرخ في 27 رمضان سنة 1258هـ الموافق 26 نوفمبر 1842م، وقد تضمن هذا الأمر تعيين عدد المدرسين والزام كل واحد منهم بدرسين وضبط هيئة ادارية للجامع مكلفة بتنظيم الدروس ومراقبة أحوال المدرسين وضبط مرتباتهم وتكوين موارد قارة لها من ميزانية الدولة، ولكنه لم يتعرض لتعيين الفنون التي تدرس بالجامع ولا لضبط أحوال التلامذة ولا لكثير من الترتيب التي لا بد منها لتنظيم التعليم فمن أجل ذلك يعتبر هذا الأمر كشروع في التنظيم وكان من الضروري أن تمتد يد الاصلاح لتدارك ما أهمله من الأنظمة التي لا بد منها<sup>2</sup>.

- ولما تولى الوزارة الكبرى بتونس الوزير المصلح خير الدين باشا رحمه الله أراد أن يتدارك ذلك فانتخب لجنة من كبار العلماء وعهد اليها بوضع قانون للتعليم فوضع هذا القانون وكان محكم النظام وافيا بما تستدعيه حاجة ذلك الزمان، وكان ضابطا لادارة الجامع ولأحوال المدرسين والتلامذة ومعينا للعلوم التي تدرس بالجامع وللكتب التي تدرس بها، وصدر الأمر العلي المؤرخ بيوم 28 ذي القعدة 1292هـ الموافق 26 ديسمبر 1875م من المشير الثالث محمد الصادق باشا باي رحمه الله وألحق بهذا الأمر عدة أوامر صدرت من الأمير علي باشا باي رحمه الله<sup>3</sup> على عهد الوزير العالم الفقيه الشيخ محمد العزيز بوعتور، ولكنها أوامر تتعلق ببعض الجزئيات لم تمس بجوهر ذلك القانون فبقي معمولا به الى عام 1328هـ 1910م فعند ذلك ظهر أن الترتيب المذكورة صارت لا تفي بحاجيات التعليم التي اقتضاها هذا الزمان وأدرك ضرورة تنقيتها وادخال أحكام جديدة عليها كل من يهمله أمر العلم والتعليم من رجال الدولة وشيوخ والمجلس الشرعي والمشائخ

<sup>1</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزنة العامة للمحفوظات، دو62، محمد المختار بن محمود، المصدر السابق، ص52.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص52.

<sup>3</sup> - الأمير علي باشا باي: 1882-1902م كان وزيره الأكبر محمد العزيز بوعتور، وفي عهده أمضى على اتفاقية المرسى 1882. أنظر: حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص152.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

المدرسين، ونحضر التلامذة أنفسهم مطالبين باصلاح التعليم بالمعهد الزيتوني المعمور، وبمقتضى ذلك تكونت لجنة من رجال العلم والادارة وكلفت بوضع قانون جديد للجامع يحتوي على كل ما تدعو اليه الضرورة من الأنظمة الادارية والتراتب العلمية وزيادة فنون وكتب لابد منها، فوضعت هذه اللجنة قانونا ضابطا لتلك الأمور كلها وصدر به الأمر العلي المؤرخ بيوم 5 شوال 1330هـ الموافق 26 سبتمبر 1912م من الأمير محمد الناصر باشا باي رحمه الله على عهد الوزارة اليوسفية<sup>1</sup>،<sup>2</sup> واستمر العمل بهذا القانون وظهرت نتائجه وألحق بعدة أوامر ومناشير لتتقيح بعض فصوله حسبما دعت الضرورة اليه في ذلك الحين الى أن تولى الوزارة الكبرى الوزير المرحوم مصطفى دنقزلي في عام 1340هـ 1929م فقرر بأن يحور القانون السابق ويضم اليه ما أبانت الظروف وجوب ادخاله من العلوم والتراتب واعتنى بالموضوع اعتناء جديا وأصدر أمرا من الأمير محمد الحبيب باشا باي رحمه الله<sup>3</sup> بتكوين لجنة لهذا الغرض انتظم عقدها من أعضاء مجلس النظر وبعض رجال المجلس الشرعي والمدرسين بالجامع وكثير من رجال الدولة من تونسيين وفرنسيين وكان هو الرئيس المباشر لهذه اللجنة، وشرعت هذه اللجنة في أعمالها واستمرت عليها بانتظام، الى أن وضعت لائحة قانون لاصلاح التعليم تام الموجبات من جميع النواحي ولكن لأسباب لا نعرفها لحد الآن قد تعطلت تلك الأعمال ونسجت عليها عناكب النسيان.<sup>4</sup>

- والتعليم بجامع الزيتونة أساسه القرآن والسنة، أما القرآن فهو كلام الله القديم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة وهي مجموع الأحاديث النبوية الواردة في الصحاح وهي شاملة لسيرة الرسول وتاريخ حياته.<sup>5</sup> والتعليم بجامع الزيتونة المقصد منه هو تعليم أبناء المسلمين ما لهم وما عليهم وهذا التعليم ينقسم الى فرعين كبيرين: تعليم علوم الشريعة وتعليم العلوم الوضعية، أما علوم الشريعة فهي: تفسير القرآن، القراءات، والحديث والتوحيد والفقهاء والفرائض والكلام والتصوف وغير ذلك وأما العلوم الوضعية فهي: النحو واللغة، والمعاني، والبيان، والأدب والشعر، والمنطق، والتاريخ والجغرافية والحساب والمساحة، والهيئة وغير ذلك وكل واحد من هذين التعليمين يجري في ثلاث درجات، ابتدائية ووسطى وعالية، فالدروس الابتدائية تزاوّل بفروع الجامع، وتمكن مزاوّلتها من الحصول على شهادة ابتدائية تسمى "الأهلية"، وتعليم الدرجة الثانية يمكن مزاوّلها من شهادة تسمى "التحصيل"، والتعليم العالي ينتهي بالحصول على شهادة "العالمية".<sup>6</sup>

وكل هذه الشهادات تمنح لأصحابها بالامتحان العمومي كتابي وشفاهي والجلسة الختامية للامتحانات السنوية تزدان بحضور الوزير الأكبر وأهل الحل والعقد ورجال الشرع والعلماء والأعيان والتلاميذ المحرزون على شهادة العالمية لهم

<sup>1</sup> - الوزارة اليوسفية نسبة للوزير الأكبر يوسف جعيط، تولى الوزارة الكبرى بين 1908-1915 في عهد الباي محمد الناصر بن محمد باي. أنظر: ar.wikipedia.org، تاريخ الزيارة 2019/06/12 على الساعة 11.15.

<sup>2</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزنة العامة للمحفوظات، دو62، محمد المختار بن محمود، المصدر السابق، ص53.

<sup>3</sup> - محمد الحبيب باشا باي: بن محمد المأمون، الباي السادس عشر لتونس حكم بين 1922 و1929، أنظر: مسعودة مسعود بالخرصة، المرجع السابق، ص45.

<sup>4</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزنة العامة للمحفوظات، دو62، محمد المختار بن محمود، المصدر السابق، ص53.

<sup>5</sup> - محمد بن الخوجة: صفحات من تاريخ تونس، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ط1، ص290.

<sup>6</sup> - محمد بن الخوجة، المرجع السابق، ص292.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الحق في طرق أبواب الوظائف العامة فالذين زاولوا علوم الشريعة لهم أن يتقدموا لخطط العدالة والامامة والقضاء والفتوى... الخ والناخبون في العلوم الوضعية لهم حق الانخراط في سلك الوظائف العامة بالادارات والمجالس العدلية وبالاعمال والوكالة... الخ<sup>1</sup>

أما ولاية التدريس بجامع الزيتونة فهي رهينة الشغور باحدى رتب التدريس التي بلغ مجموعها المائة وأربعة عشر (114) مناطة بمعرفة مائة وأربعة عشر من العلماء والأعلام ويعملون تحت رقابة شيخ الجامع، ورتب التدريس بالجامع تندرج في أربعة طبقات، طبقة استثنائية وهي رتبة الأستاذ وعدد أهل هذه الطبقة الممتازة ثمانية (08) نصفهم من الأحناف ونصفهم من المالكية وطبقة أولى تضم (23) مدرسا ثم ثانية يقوم بها (21) مدرسا فتالفة منوطة ب (60) مدرسا وهؤلاء الستون هم المباشرون للتعليم الابتدائي بالجامع وفروعه، ويضاف الى هؤلاء معلم الخط ومعلم الميقات ومعلم الصحة<sup>2</sup>، هذا ويبلغ عدد الدروس (50) درسا في التعليم العالي و(180) درسا في تعليم الدرجة الثانية و(400) درس في تعليم الدرجة الابتدائية وكل شغور يحدث باحدى طبقات التدريس، يجبر فراغه بالمناظرة من بين مدرسي الطبقة التالية أما مدرسو الطبقة الثالثة فانهم يؤخذون بالامتحان من بين المحرزين على شهادة العالمية ومدرسو الطبقتين الاستثنائية والأولى هم الذين ينتخب من بينهم شيوخ الفتوى والقضاء بديوان الشرع، وهذه الصفة تجعلهم في صف أهل الحل والعقد الذين يحضرون بيعة الأمير وتنصيبه على العرش الحسيني، وشيوخ كل مذهب يتقدمهم رئيس منهم يلقب بشيخ الاسلام وهذا أعظم الألقاب الدينية عند المسلمين<sup>3</sup>، ويوجد بالعمالة التونسية خمسة فروع أفاقية لجامع الزيتونة أهمها: فرع مدينة صفاقس وبه توجد مكتبة عامرة أقامها أحمد باشا باي، وفرع جامع عقبة بن نافع بالقيروان، وفروع مدن سوسة وقفصة وتوزر، وزيادة على ذلك يوجد فرع زيتوني آخر لتعليم اللسان الفرنسي وعلوم الرياضيات لطلبة جامع الزيتونة وهو معهد ابن خلدون (المدرسة الخلدونية التي أحدثت سنة 1896م)<sup>4</sup>.

ولعل أقدم عمل اصلاحي عرفته الزيتونة هو انشاء معهد "الخلدونية" ليكون تابعا لها ومتعاوننا معها على تحقيق نهضة ثقافية أحسن بالبلاد فكان للخلدونية معهد ثانوي مستقل يدرس طلبة الزيتونة العلوم العصرية من طبيعة وكيمياء ورياضيات وتاريخ وجغرافيا ولغات أجنبية تنتهي بالاحراز على شهادة البكالوريا العربية التي تهيئ الطلبة للالتحاق بالجامعات العربية في المشرق للتخرج في هذه المواد ومن ثم يمكن امداد جامع الزيتونة بمدرسين قادرين على تحقيق الاصلاح المنشود بالزيتونة<sup>5</sup>.

### المطلب الثاني: جهود العلماء الاصلاحيين الزيتونيين في اصلاح التعليم الزيتوني

لقد شكلت أزمة مؤسسة الزيتونة وسبل حلها أحد مراكز اهتمام النخب والرأي العام الى حدود السنوات الأخيرة من الاحتلال وليس ثمة ما يثير الاستغراب في ذلك باعتبار أن الجامع الأعظم احتل منذ العهد الحفصي مكانة كبرى في

<sup>1</sup> - الوكالة: الحاماة.

<sup>2</sup> - محمد بن الخوجة، المرجع السابق، ص293.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص294.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص294.

<sup>5</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص221.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

اعادة انتاج المورث الثقافي ومد المؤسسات الاسلامية بالكفاءات اللازمة للضبط الاجتماعي، وكان من الحتمي ازاء التحولات المرافقة لغزو الحداثة والسيطرة الاستعمارية أن يثير مستقبلها التساؤلات وأن يثور الجدل في شأن كيفية استمرار وظيفتها وسبل تكيفها مع الوضع الجديد<sup>1</sup>، حيث كان رجال الدين المناصرين للإصلاح يتفقون مع دعاة التحديث على ضرورة فتح المؤسسة على العلوم الدنيوية من تاريخ وجغرافيا وحساب وهندسة وغيرها وعلى تجديد مناهجها أيضا الا أنهم أقرب الى موقف المحافظين عندما يتعلق الأمر بمكانة الزيتونة الذي يعتبرونه أب المؤسسات الكفيلة بمد البلاد بما تحتاجه من الكفاءات في مجال القيادة والتوجيه اذ بادر هؤلاء الى انشاء أول جمعية زيتونية في مطلع القرن العشرين ميلادي فأدوا دورهم في تحسيس الطلبة بأهمية تطوير التعليم ومثلهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في أشغال لجان الإصلاح<sup>2</sup>.

من الجدير بالذكر، ما يمكن افتراضه من أن انتعاش الحركة الإصلاحية والوطنية في اثر الحرب العالمية الأولى، كانت ذات صلة بالمشروع الذي قدمه الوزير الأكبر مصطفى دنقزي مستعيدا فيه أبرز ما ورد في مقترحات سلطة الحماية في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، ففي محاولة لتجاوز نقائص التعليم الزيتوني من عدم الفصل بين مراحل التعليم ودرجاته واستخدام كتب أكل عليها الدهر وشرب، وعدم وجود امتحانات وافتقاد العلوم الحديثة لتجاوز ذلك نص المشروع على تقسيم التعليم الزيتوني الى مراحل وتنظيم الامتحانات وانتداب هيئة التدريس بالمناظرة للحد من ظاهرة المحاباة وادراج مواد جديدة على غرار مصادر القانون وتاريخ التشريع الاسلامي وفلسفة الشريعة والاجراءات القضائية والجغرافيا والرياضيات وعلوم التربة والتاريخ الطبيعي وحفظ الصحة، مع تدريس هذه المواد العصرية في فضاء منفصل عن جامع الزيتونة يسمح باستخدام وسائل الايضاح وبالتالي كان هذا المشروع ثوريا وهي ميزته الأولى، الى جانب ميزة ثانية تتمثل في صدوره عن طرف وطني لذلك لم يصطدم بمعارضة المحافظين فحسب بل أثار تخوف السلطة الاستعمارية نفسها من انعكاساته على التعليم الفرانكو عربي ثم من مخاطر تخريج كفاءات تجمع بين الثقافة العربية الاسلامية، والمعارف الحديثة<sup>3</sup>.

وكما ذكرنا سابقا فقد تعطل هذا المشروع لأسباب تبقى مجهولة وأيضا ووفاة صاحب المشروع، الوزير مصطفى دنقزي في 1926م. وكانت المطالبة بالإصلاح غير منقطعة حشرجتها من صدور الزيتونيين الى أن صدر قانون حمادي الثانية 1345هـ / 08 ديسمبر 1928م بتنظيم مهنة العدول الموثقين وإيجاد امتحانات للتحصيل على رخصة الانتصاب لها وهي أخص المهن الحرة ارتباطا بغاية التعليم الزيتوني، فثار الزيتونيون في وجه ذلك القانون وعاودوا مطالبتهم بالإصلاح وأعلنوا اضرابا امتد أكثر من شهر ووجدت دعوتهم صدى واسعا في الرأي العام اذ أيدت مطالبهم الصحف وتضامنت معهم الهيئات النيابية بالاحتجاجات والشعب بالاضرابات<sup>4</sup>.

وتشكلت لجنة في ذي القعدة 1348 هـ / 1930م للنظر في اصلاح التعليم وتنظيم الادارة وكانت هيئة ادارة الجامع هيئة علمية تتركب من أربعة أعضاء من المجلس الشرعي الأعلى تسمى "النظارة العلمية" وتلك الهيئة لذاتها لم تكن منسجمة منذ دخلها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور سنة 1331 هـ / 1913م بميله الاصلاحية الذي لم يكن يشاركه

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص252.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص254-255.

<sup>3</sup> - مختار العياشي، البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص ص30-33.

<sup>4</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص153.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

اياه بقية شيوخ النظارة وقد انقسموا الى قسمين أغلبية محافظة على رأسها الشيخ أحمد بريم شيخ الاسلام وأقلية على رأسها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي يؤيدون الاصلاح الجوهري ويطالبون بتوسيع دائرة التعليم الى حد بعيد، وانتقل هذا الصراع بين الاصلاحيين والمحافظين الى الصحف فكانت جريدة "النهضة" تؤيد ابن عاشور وبرنامجه الاصلاحى وجريدة "الزهرة" التي وقفت في وجهها تؤيد الوزير وشيخ الاسلام وتناصر مبدأهما في المحافظة وانضم الوطنيون الدستوريين الى جريدة النهضة فأصبح أكبر كتابهم يحرر فيها تأييدا للاصلاح الزيتوني ومهاجته لخصومه وقد أيد كذلك الشاذلي خير الله<sup>1</sup> في جريدته "صوت التونسي" المحررة بالفرنسية موقف أنصار الاصلاح.<sup>2</sup>

وقد تحالفت الطائفتين المدرسية والزيتونية، نصره للاصلاح الزيتوني وتحلى ذلك في مؤتمر طلبة شمال افريقيا المسلمين الذي انعقد بتونس لأول مرة تحت اشراف الجمعية الخلدونية في ربيع الثاني 1350 هـ / أوت 1931م مؤتلفا من الزيتونيين والمدرسيين وعقدت فيه جلسة خاصة باصلاح التعليم الاسلامي في الزيتونة والقرويين. وتواترت مظاهرات الطلبة واضراباتهم وتشكلت هيئة لقيادة حركتهم باسم لجنة الطلبة ولم تتوقف هاته الاحتجاجات الا في شوال سنة 1350 هـ / مارس 1932م باستقالة الوزير الأكبر ثم باستقالة شيخ الاسلام ثم بتسمية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخا للجامع الأعظم وفروعه في ربيع الثاني سنة 1351 هـ / سبتمبر 1932م حيث تغير نظام الادارة العليا للجامعة الزيتونية بتلك التسوية التي انتهى بها عهد النظارة العلمية، وعد ذلك انتصارا عظيما للحركة الاصلاحية ابتهجت به الشبيبة وأشاد به الشعراء.<sup>3</sup>

وللعلم فلجنة 1930م تعتبر هي اللجنة الرابعة، حيث تشكلت اللجنة الاولى سنة 1316هـ / 1898م وهي لجنة للنظر في اصلاح التعليم برئاسة الوزير الأكبر وبعضوية علماء من الزيتونة والمدير الفرنسي لادارة المعارف واسفرت أشغال هاته اللجنة الحكومية عن نتيجة جد هامة وهي أن النظر بشؤون التدريس بالجامع أنيط نهائيا بعهدة الوزارة الكبرى لا بعهدة ادارة المعارف رغم مساعي مديرها لويس ماشويل<sup>4</sup> للاشراف على الزيتونة<sup>5</sup>، واجتمعت اللجنة الثانية سنة 1328 هـ / 1910م وكانت أهم نتيجة لها صدور الأمر العلي في 1330 هـ / 1912م المتضمن تأسيس خمسة فروع للتعليم الزيتوني في القيروان وسوسة وشفافس وقفصة وتوزر الا أن ازدهارها تعثر بسبب عدم الاعتناء بها اداريا وماليا ثم التأمت لجنة ثالثة في 1342 هـ / 1924م والتي تكلمنا عنها سابقا برئاسة الوزير الأكبر مصطفى دنقرلي.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - الشاذلي خير الله: 1898-1972 هو الشاذلي بن مصطفى خير الله، دخل في صغره الكتاب ثم التحق بمعهد كارنو تحصل منه على شهادة البكالوريا، اشتهر بعمله الصحفي من خلال مقالاته في العديد من الصحف الناطقة باللغتين العربية والفرنسية وبنضاله في صفوف الحزب الدستوري. أنظر: الصادق الزمري، المرجع السابق، ص 346-347.

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 153-154.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 154.

<sup>4</sup> - لويس ماشويل: (Machuel) ولد بالجزائر 1848، كلف سنة 1883 بالاشرف على إدارة العلوم والمعارف التي أحدثتها سلطة الحماية حسب مصالحها الاستعمارية، أسس عدة مدارس ابتدائية وثانوية ومهنية، وفرض فيها اللغة الفرنسية، ولكن غلاة المعمرين رأوا في نشره التعليم خطرا عليهم فهاجموه وسعوا إلى عزله وكان ذلك سنة 1908، توفي بتونس سنة 1922. أنظر: سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 480.

<sup>5</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 115.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 115.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

ويقول الهرماسي: "هكذا أصبحت الزيتونة منذ منعطف الثلاثينات بؤرة للنزاعات الفكرية والثقافية والسياسية والدينية وهدفا للهانات المتضاربة فالصراع الذي أحاط بأشغال اللجنة الرابعة في بداية الثلاثينات لم يلبث أن انتقل الى صفوف الرأي العام، الا أن النصر الذي حققته المالكية بترقية الطاهر بن عاشور الى منصب شيخ الاسلام وتكليفه بادارة الزيتونة جاء بمثابة الثمن لمواجهة الطلاب والمدرسين المستعجلين للإصلاح وفي النهاية جمدت حتى المكتسبات الشكلية".<sup>1</sup>

وبما أن سيطرة الفرنسيين على الادارة وغلبتهم على الحياة الاجتماعية كانت ترفع من قيمة المثقفين بثقافتهم من التونسيين، وبذلك صار اعتبار التعليم الزيتوني والزيتونيين أصلا من أصول الروح الوطنية ومظهرا من مظاهر الثورة التونسية قاطبة في وجه الاستعمار وتضحيتهم في سبيل ذلك بالحظوظ الشخصية.<sup>2</sup>

فتقدموا في شوال 1363 هـ / نوفمبر 1943 م الى الحكومة متذرعين بسوء وضعهم الاداري وانحطاط مرتباتهم يطالبون بمنحهم حقوق الموظفين كاملة واعتبار تعليمهم تعليما رسميا وحين قوبلوا بالتجاهل والمماطلة أعلنوا الاضراب فكان اضرابهم أول موقف من مواقف التحدي والمقاومة ظهر في وجه السلطة الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية<sup>3</sup>، واهتزت الحكومة لذلك فبدلت جميع الوسائل السلمية والارهابية لحل الاضراب فلم تفلح وسعت في اصدار مراسيم ملكية باجراءات استثنائية للقمع فامتنع جلالة الملك محمد الأمين الأول وهدد بالاستقالة وأقيمت مظاهرة شعبية كبرى أمام القصر الملكي بحمام الأنف لتأييد جلالته في الموقف وتوالت مظاهر التأييد الشعبي لحركة المدرسين وأضربت الأسواق التجارية بالعاصمة، فكان ذلك أول مظهر لانبعث الكفاح الشعبي متأثرا بالروح الزيتونية واضطرت الحكومة الى النزول عند رغبة المدرسين فصدر تصريح رسمي بترسيمهم على النحو الذي أرادوا وعد ذلك انتصارا عظيم لهم وللحركة الشعبية عامة، وسرت في الطلبة روح الاعتزاز بعظمة جامعتهم وشرف موقف أستاذيهم.<sup>4</sup>

وفي صائفة 1363 هـ / 1944 م عقد مؤتمر المدرسين سمو رئيس هيئته الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي وأمينها العام محمد الصالح النيفر وانتهى الى وضع برنامج مفصل لخطط اصلاح التعليم، واتفقوا على مطالبة مشيخة الجامع والحكومة بالشرع في تنفيذه وعليه عقدت الحكومة مجلسا للنظر في برامج الاصلاح التي طالب بها المدرسون في ذي القعدة 1363 هـ / نوفمبر 1944 م ألفتها من العلماء وكبار الموظفين ورجال الثقافة فكان اتجاهه مؤيدا لتلك البرامج الا أن العراقيل الادارية عطلت تلك النتائج دون بروزها في قالب القانوني النهائي.<sup>5</sup>

### 1- نشاط ومسامي محمد الطاهر بن عاشور في اصلاح التعليم الزيتوني

وقد بدأ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بمساعدة ثلة من الأنصار الأوفياء في تخطيط مراحل الاصلاح وتطبيق النظم التي يراها كفيلة لتحقيق الهدف الذي يصبوا اليه للخروج بهذا المعهد العظيم من كبوتة رغم كل العراقيل والصعوبات

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 257.

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 199.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 201.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 201.

<sup>5</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 202.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الا أن الشيخ اضطر الى تقديم استقالته في سبتمبر 1933 بسبب دسائس ترمي لمعارضة مواقف الشيخ، من بينها موقف قضية التجنيس - وكانت هذه الدسياسة ذريعة للمحافظين من أعيان الزيتونة المناهضين لبرنامج ابن عاشور الاصلاحى فشحجوا المدرسين والطلبة على التشويش والشغب ووقع تعويضه بالشيخ صالح المالقي على رأس جامع الزيتونة وفروعه ثم أبعده من ادارة الجامع وعضو بالشيخ محمد العزيز جعيط الذي قام بأعباء الخطة الى سنة 1362هـ / 1943.<sup>1</sup>

وفي ربيع الأول 1364 هـ / فبراير 1945 م سمي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخا للجامع الأعظم وفروعه وابتدأ تلك السنة الدراسية في تطبيق الاصلاحات وكانت الادارة الفرنسية تنظر لذلك العزم بعين الانكار وتبث في سبيله ما تستطيع من العراقيل ولكن شيخ الجامع تقدم يؤيده جلالة الملك وتناصره العائلة الزيتونية بأسرها ينجز مراحل الاصلاح ويقوي الروح الزيتونية ويضع الحكومة أمام الأمر الواقع وكانت الجمعية الخلدونية، بما سبق بيانه من اتصال روحها بالروح الزيتونية منذ نشأتها أسبق الجمعيات الوطنية الى تأييد حركة الزيتونة وشد أزرها ففي ذي القعدة 1364 هـ / فبراير 1945 م، أقامت حفلة لاقتبال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بمناسبة عودته الى المشيخة خطب فيها رئيسها الشيخ عبد الرحمان الكعك مؤكدا عزم الجمعية على اتخاذ موقف الى جانب الجامعة الزيتونية.<sup>2</sup>

وكان مما قام به الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أنه جعل الفروع الزيتونية تحت مراقبة ادارة مشيخة الجامع رأسا ثم وفر لها امكانية تنظيم امتحان الأهلية فانتعشت الفروع بفضل هذه الترتيب، كما زاد الشيخ في عدد الفروع الزيتونية الذي ارتقى في مدة سبعة سنوات (1949م - 1956م) من 8 الى 25 فرعا؛ منها اثنان للفتيات في تونس و صفاقس، وصار عدد تلامذة الزيتونة يناهز العشرين ألف تلميذ في حدود سنة 1956م، كما امتدت شبكة فروع الزيتونة الى القطر الجزائري بانشاء فرعين بمدينة قسنطينة ولم ينحصر برنامج ابن عاشور الاصلاحى في البرامج والهياكل بل شمل أيضا ظروف عيش الطلبة في المعهد الزيتوني وقد كان الشيخ واعيا بأن نجاح سياسة الاصلاح والتجديد مقيد بشرط تحسين حياة الطلبة بجامع الزيتونة<sup>3</sup>، حيث تشكلت لجنة سميت بلجنة الحي الزيتوني برئاسة الشيخ محمد العزيز جعيط شيخ الاسلام المالكي - وقد كان أول من فكر في الدعوة لهذا المشروع - والتقت الأمة التونسية حول هذا المشروع وتبرع التونسيون بالأموال وسعت اللجنة على تحصيل اعانة الدولة حتى تحققت الأمنية العظيمة ببناء الحي الزيتوني خارج باب سيدي عبد الله سنة 1952م<sup>4</sup>، وفي كتابه "أليس الصبح بقريب" الذي دون فيه حالة التعليم في تونس حيث يعد وثيقة لحياة الطلاب الزيتونيين ووصف أمينا لمعاشهم ودروسهم وسكنهم وأسباب تأخر التعليم الزيتوني، والتأليف ووجوه اصلاحها وكيف تأخرت العلوم الاسلامية ونقده للمعلمين في عهده وطرق تدريسهم وتعليقه على المؤلفات التي خلت من المنهجية وامتلأت بالخواشي ولم تحوي فكرا اسلاميا أصيلا وقد تطرق الشيخ الى عوامل تأخر اللغة العربية وهي عوامل مهمة تستحق تأمل الباحثين في شؤون اللغة العربية ونقدها.<sup>5</sup>

1 - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص122.

2- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص204.

3- محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، صص122-123.

4- المرجع نفسه، ص123.

5- بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص12.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وهكذا فإن اسهام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في اصلاح التعليم الزيتوني لهي حقا مساهمة دفعت بعملية اصلاح التعليم الزيتوني اشواطا متقدمة الى الامام لتحقيق الهدف المنشود من العملية الإصلاحية برمتها.

### 2- مساهمة الخلدونية في تطوير وترقية تعليم الزيتونيين

في الواقع فان هذه الجمعية موجهة أساسا الى طلبة جامع الزيتونة لتخليصهم من تأثير ما كانت تقدمه لهم الجامعة الزيتونية من تعليم تقليدي عتيق "لا مجال فيه بتاتا لتدريس العلوم العصرية، لذلك اعتبرتها الأوساط الزيتونية المحافظة خطرا على القيم الاسلامية وكان على مسيري الجمعية أن يعملوا على مناهضة هذا التحفظ وهذه الادعاءات وحث الطلبة الزيتونيين على متابعة الدروس الخلدونية، فاعتمدوا على وجاهة الشيخ سالم بوحاجب وهو زيتوني من أنصار النزعة الإصلاحية وعضو في هيئة جريدة الحاضرة" وعهدوا اليه بافتتاح حلقة محاضرات الخلدونية وقد عالج هذا المدرس الزيتوني بالعربية موضوعا شائكا كان يشغل أذنان كل الأذهان وهو "هل الاسلام ملائم للعلم" فأجاب على هذا السؤال بالايجاب ورسم بذلك المسلك الذي بقيت الخلدونية له وفيه<sup>1</sup>.

وكان لعمل هذا الشيخ ومساهمته وهو من كبار مدرسي الزيتونة الموقرين، أثره في النفوس، حيث أقبل العديد من الطلبة الزيتونيين على متابعة دروس الخلدونية فكان تعليم هؤلاء الشبان التونسيين حسب طرق جديدة ومواد غير واردة في التدريس الزيتوني يمثل اسهاما في تكوين الفكر النقدي لديهم وتميكنهم من التفتح على العالم العصري وبذلك يتقلص الفارق بين عقلية الزيتونيين وعقلية الصادقين<sup>2</sup> ويتمم في الآن نفسه التيار الاصلاحى بالبلاد التونسية وهذا الهدف هو في الواقع ما كان يرمي الى تحقيقه مؤسسوا "الخلدونية"<sup>3</sup>.

وظاهرت الخلدونية هذا العمل بانشاء "معهد الحقوق العربي" و"معهد الفلسفة" وفي سنة 1366 هـ / 1947م قررت الخلدونية احداث شهادة جديدة تسمى شهادة البكالوريا العربية القصد منها تهيئة الطلبة للالتحاق بكليات التعليم العالي في جامعات الدول العربية الشرقية وامداد الجامعة الزيتونية بأساتذة مساعدين، ونظمت تعليما ثانويا عصريا كاملا باللغة العربية ينتهي بالاحراز على هذه الشهادة وبشروع هذا التوجيه أقبل الطلبة على الالتحاق بالبلاد الشرقية لاستكمال دراستهم العالية باللغة العربية وساعدتهم الجمعية الخلدونية على ذلك وابتدأ التحاقهم بجامعات سوريا ومصر والعراق من سنة 1366 هـ / 1947م<sup>4</sup>.

ووفاء بعهد التعاون بين الزيتونة والخلدونية أحدثت الجامعة الزيتونية سنة 1366 هـ / 1947م لمعاهدها الثانوية مناصب تدريسية خاصة بالرياضيات والطبييعات والتاريخ والجغرافيا والفلسفة ينتخب لها متولوها بطريق المناظرة بين خريجي الخلدونية، وانتظم تطور التعليم الزيتوني تطورا وصل بينه وبين روح العصر مع الابقاء على مميزاته القومية وتمت للطلبة الزيتونيين وسائل استكمال عدتهم الثقافية بالجمع بين دراسة اللغة العربية وبين الدراسة العصرية بأداة الثقافة القومية التي هي اللغة العربية وتعاضمت هممة العائلة الزيتونية المنتمة من شيخها وأساتذتها وطلبتها ورببتها الجمعية الخلدونية.

<sup>1</sup> - علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 130-131.

<sup>2</sup> - الصادقين: نسبة الى المدرسة الصادقية وهي مدرسة عصرية.

<sup>3</sup> - علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 131.

<sup>4</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 207.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وتظهر الأفكار الإصلاحية من خلال دروس العلوم الانسانية التي كات فرصة لابراز حالة الانحطاط التي أصبح عليها العالم الاسلامي وما حققته أوروبا من تقدم ويستخلص من هذا أن النهوض بالبلاد التونسية يقتضي بالضرورة اقتناء العلوم والتقنيات والمناهج العربية.<sup>1</sup>

وفي ترقية الدراسة العلمية والأدبية، تعاونت الخلدونية مع قدماء الصادقية في فتح المنتديات الأدبية وتنظيم المحاضرات المفردة أو المتسلسلة وكانت جمعية قدماء الصادقية أسبق الى تنفيذ فكرة النادي الأدبي، فقد ابتدأته منذ سنة 1343 هـ / 1925 م ملتقى أسبوعي لتناشد الأشعار والمساجلات ومنذ سنة 1346 هـ / 1928 م وقد غلب عليها عنصر الشباب صار النادي الأدبي ملتقى يوميا تثار فيه المباحث الفلسفية والأدبية والمشاكل الاجتماعية.<sup>2</sup>

وقد بلغ عدد المحاضرات التي قام بها النادي الأدبي لقدماء الصادقية الى صائفة 1930 م مائتين ونيفا.<sup>3</sup>

وفتحت الخلدونية المجمع الأدبي وكان احتفال افتتاحه عظيما أنشدت فيه القصائد وقام فيه الشيخ محمد العربي الكبادي بسلسلة محاضرات عالية في فن النقد الأدبي واهتم المجمع الأدبي باغتنام الفرص لاقامة الحفلات التي تشيد بروابط العروبة وتنشر دعوتها فكلما زار تونس عالم أو أديب من القطرين الشقيقين الجزائر والمغرب أو الأفطار الشقيقة الشرقية أحتفل به وخطب وحاضر.<sup>4</sup>

وما نلاحظه في هاته الفترة في سنوات الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ميلادي من انسجام وتكامل بين الزيتونة والخلدونية، هو أن في هاته الفترة قد تولى مشيخة الجامع الأعظم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي عمل كما أسلفنا سابقا على الدفع بعجلة الإصلاحات الزيتونية الى الأمام ولم يدخر جهدا في ذلك.

### المطلب الثالث: تعليم المرأة ونظرة الاصلاحيين الزيتونيين للحركة النسوية

لم يكن الوسط الفكري والثقافي التونسي بمعزل عن الحركات التحررية ومعوقاتها في مجال حقوق المرأة شرقا وغربا بل كان المصلحون التونسيون واعين بأن تغييب المرأة عن الحراك المجتمعي، وتصنيفها كائنا هامشيا لا عقل له ولا ارادة ولا شأن تحريف لمقتضى جوهر الدين الاسلامي، وتعطيل لسنن الله في الكون ومسيرة البناء في البلاد وهم مختلفون في أهدافهم ومرجعياتهم ودرجة محافظتهم أو حداثتهم ولكنهم متقفون في ضرورة الرقي بشأن المرأة المهمش.<sup>5</sup>

فقد ألف الشيخ محمد السنوسي رسالة "تفتق الأكمام" وكتب الشيخ محمد النخلي رسالته المختصرة في "المرأة المسلمة" داعيا الى تنقيف النساء وقد ذهب المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب الى أن تعليم المرأة من ضروريات العصر وضمانات المستقبل فيقول في كتابه "شهورات التونسيات" الذي تم تأليفه سنة 1917 م "نحن اليوم في احتياج شديد الى فتيات مسلمات متعلمات لكفالة مستقبلنا يفقهن حالة العصر الذي وجدن فيه محرزات على تربية قومية صحيحة تنهض بالأمة وتوقظ الفكر القومي والا تحول الدواء داء وانقلب الوجود فناء وساءت العقبي والعياذ بالله".

1- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص131.

2- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص157.

3- المصدر نفسه، ص158.

4- المصدر نفسه، ص158.

5- فتحي بوعجيلة، المرجع السابق، ص124.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

ونجد أيضا أن الشيخ عبد العزيز الثعالبي كان ذا رؤية مستنيرة فيما يتعلق بالمرأة ككائن اجتماعي له دوره في الحياة وكان يرى هذا الدور ذا تأثير في البنيان العام للمجتمع باعتبارها "راعية للأسرة" والمحافظة على المجتمع.<sup>1</sup> وكان "يرى بأن تعليمها شرط من شروط النهوض الاجتماعي"<sup>2</sup> على أن يكون ذلك في حيطة وحذر أثناء الوجود الاستعماري الذي وضع برامج للدمج الثقافي وكان يرى في المرأة وسيلة أساسية لهذا الدمج معلقا الأمل في "تعليم البنات المسلمات بالمدارس الحكومية لاصابة المجتمع التونسي في الصميم لأنها تمثل حسب رأيه - الاستعمار - أحسن وسيلة للاندماج ذلك أنه من المستحيل ادماج رجال تكون نساؤهم خارج نطاق تأثيره".<sup>3</sup> وكان الثعالبي ينادي الرأي العام التونسي بتعليم البنات تعليما محكما في اطار عربي، حتى لا تظل الفتاة المسلمة عرضة للحيرة والاضطراب الخلقي... منعزلة في وسطها العائلي.<sup>4</sup>

الا أن هناك من الاصلاحيين الزيتونيين حسب رأينا قد بالغ في نظرتهم لحرية المرأة التونسية وبالتالي خالف أغلبية علماء الزيتونة من محافظين واصلاحيين وتجاوز حسب رأيهم كل الخطوط الحمراء في قضية تحرر المرأة المسلمة، وقد اختلفت الآراء حول كتاب الطاهر الحداد "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" بين قلة مؤيدة وأغلبية معارضة في ذلك الوقت.

### 1- رأي الطاهر الحداد في التعليم الزيتوني وقضية تحرير المرأة التونسية

يقول الطاهر الحداد في كتابه التعليم الاسلامي وحركة الاصلاح في جامع الزيتونة: "ولا أدل على ذلك من أن المعاهد الدينية التي تبت هؤلاء الفقهاء قد كانت خالية من علوم السياسة كالتاريخ والاجتماعيات في درس أنظمة الشعوب والحكومات وأشكالها وأوثق نظام لسياسة المسلمين أنفسهم بأنفسهم وما في نظامهم من أوجه القبح اذ كان ذلك مما يمس تلك الحكومات بالنقد والتأثير قد كنا نسمع من شيوخنا اذ كنا نقرأ بالجامع الأعظم من سنة 1913م الى سنة 1920م أن التاريخ ليس بعلم يقرأ وإنما هو مجموعة من الأقاويص والأخبار ولا ينبغي أن يهتم به الطالب...".<sup>5</sup> ويقول أيضا: "لكن هذا الهدى الذي كانت تسير عليه المعاهد الدينية في دراستها لعلوم الفقه واللغة العربية قد تدرج الى عكسه بالتدرج وبعد أن كانوا يقولون أن العلوم شرعية وعقلية أصبحوا يقولون أنها نقلية وعقلية ويفسرون ذلك بعدم استعمال الفكر فيما يقرأونه من العلوم الشرعية التي دوها العلماء من قبل فصار التعليم في المعاهد أشبه ما يكون بالتلقين ومن تظاهر برأي بعد ذلك نعت بفسق الرأي...".<sup>6</sup>

ويقول أيضا في نقده للحجر على حرية التفكير في الزيتونة: "ويا ليت شعري لو أن المدرسين وسائر علماء المعهد قد جروا في تقريراتهم على نحو ما يخطط لهم هذا الفصل الحكيم (المقصود به تراتيب 1330 هـ / 1912م الأمر العلي المنبثق عن أعمال اللجنة الثانية) غير أنهم ويا للأسف قد جروا على خلاف ذلك فأيدوا الروح الموروث من شيوخهم

1- مسعودة مسعود بواخضرة، المرجع السابق، ص153.

2- عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص76.

3- المصدر نفسه، ص76

4- المصدر نفسه، ص76.

5- الطاهر حداد: التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح بجامع الزيتونة، تح: محمد أنور بوسنينة، الدار الزيتونية للنشر، تونس، 1981، ص40.

6- المصدر نفسه، ص42.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وحرموا لائحة التفكير المستقل في عامة العلوم وأغروا تلاميذهم بالتشنيع على من يتظاهر من الشيوخ بشيء من الرأي المخالف للمألوف بالمعهد حتى ولو كان موافقا لرأي قديم اختاره بعض العلماء السالفين فقد عاش المرحوم الشيخ محمد النخلي جزءا من حياته بالمعهد وهو مطعون في عقيدته بما أضع كثيرا من نشاطه في الدروس وجعله يقرئ دروسه بعد كعمل ميكانيكي يفرضه عليه الوظيف وكذلك طعن على المرحوم الشيخ سعد السطيفي حتى مات مدحورا في بيته المظلم الصغير بمدرسة النخلة حذو الجامع الأعظم..<sup>1</sup>

ولعل هاته الأراء التي طرحها ونظرته حول تحجر التعليم الزيتوني وحرية الفكر والاجتهاد والابداع قد قادته الى رد فعل عنيف ومعارض لكل ما هو تقليدي يراه مخالفا للعقل ولروح العصر وهذا ما أدى به في صائفة 1348 هـ/ 1930م الى اصدار كتاب "امراتنا في الشريعة والمجتمع" جعله مقسما الى قسمين قسم تشريعي وآخر اجتماعي تناول في القسم التشريعي اقتضاء التطور العالمي لتطور التشريع الاسلامي تطورا يقضي بالغاء بعض ما ورد في النصوص الصريحة اذا عورضت بالمصالح الحادثة المتلائمة مع مدارك الشريعة، ثم تناول مسائل تتعلق بالمرأة من الأحكام الاسلامية كمسألة تعدد الزوجات ومسألة تصنيف الميراث فصرح برأيه في لزوم العدول عن مقتضيات النصوص فيها ووقعت له في هذا القسم عبارات منكرة أخذ عليه منها مسا بمقام النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات، وقسم اجتماعي وصف فيه أطوار حياة المرأة التونسية منذ تولد الى أن تصير أما، فأثار ظهور هذا الكتاب حركة كبرى بين علماء جامع الزيتونة الأعظم.<sup>2</sup>

وقد شجعت كتابات وأفكار الطاهر الحداد، حيث رفعت المرأة التونسية صوتها هاتفة بحريتها وكرامتها واستقلاليتها، فكتبت المقالات الصحفية ثم ظهرت في الندوات فكانت أول امرأة تونسية تخلع الحجاب وتتكلم الى الناس هي الموظفة المسلمة السيدة "منوية الورتاني" على منبر الحزب الاشتراكي في أوائل سنة 1924 حيث "خطبت في الجمهور مطالبة في جراءة بحقوق المرأة المسلمة ملحة على ضرورة رفع الحجاب عنها وترقية مستواها الفكري والأخلاقي والاجتماعي بالتربية والتعليم ملاحظة أن المرأة المسلمة ضحية التمسك بحرفية النص القرآني دون روحه العميقة السمحة" ثم ظهرت التونسية "حبيبة المنشاري" على المنبر نفسه بتاريخ 9 جانفي 1929 م لتؤكد الدعوة نفسها.<sup>3</sup>

### 2-ردود الزيتونيين على كتاب الطاهر الحداد وقضية تحرير المرأة

لقد كانت أغلبية علماء ومشايخ الزيتونة من محافظين واصلاحيين ضد الطرح الذي تقدم به الطاهر الحداد فيما يخص حرية المرأة التونسية وسفورها، ورغم ذلك كانت هناك أقلية أيضا تسانده خاصة من ليدهم أفكار تحريرية وتغريبية خارج اطار دائرة الزيتونة وتشيد بكتاب الحداد فأحمد الدرعي يقول أن الحداد: "درس بهذا الكتاب مسألة واحدة من المسائل التونسية المتشعبة لم يتم واحد من معاصريه فضلا عن سابقيه بدراستها وتمحيصها واقتراح حلول لها تكون بمثابة الاصلاحات العميقة، ويعتبر الهادي العبيدي الذي كان من أوائل الصحفيين الذين دعوا الى تحرير المرأة أن الحداد وضع حجرا متينا في بناء نهضة التونسيين الاجتماعية وانقلابهم الحديث". أما فرج بن رمضان فيعده: "ممثل اللحظة التونسية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الطاهر حداد، المصدر السابق، ص 63-64.

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 161.

<sup>3</sup> - فتحي بوعجيلة، المرجع السابق، ص 128.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 120.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

أما رد بقية علماء الزيتونة فقد كان أولاً أن النظارة العلمية لجامع الزيتونة سعت لدى الحكومة لمصادرة الكتاب فلم يتم ذلك.

وشكلت النظارة لجنة من كبار العلماء لتقرير رأيها في الكتاب فنظرت فيه وقدمت تقريراً في بيان مأخذه انبنى عليه سحب شهادة الطاهر الحداد الزيتونية عنه وحرمانه من خصائصها<sup>1</sup>، واثرت ثائرة علماء الزيتونة وغضبوا على الحداد صاحب الكتاب وحكموا بكفره وارتداده عن الاسلام، وألف الشيخ محمد الصالح بن مراد أحد علماء جامع الزيتونة كتاباً في الرد عليه سماه: "الحداد على امرأة الحداد"<sup>2</sup> سنة 1350 هـ / 1932م فكان حديث هذا الكتاب والتشنيع على مؤلفه ملء الصحف واختص من بين الأعلام التي شاركت في ذلك الشيخ راجح ابراهيم ومحي الدين القليبي وحسين الجزيري وتميزت المواقف جلية في هذه المعركة فالتفت مؤيدو الحداد حول مجلة العالم الأدبي وجريدة الزمان وظهرت وحدة مهاجميه في جريدة الزهرة وجريدة مرشد الأمة وجريدة النديم ووقفت جريدة النهضة موقف حياد ففتحت أعمدتها للفريقين.<sup>3</sup>

ونادى الشاذلي خير الله في مسامرته باللغة الفرنسية وسط "جمعية قدماء الصادقية" يوم 28 جوان 1924 أياما بعد ظهور السيدة الورتاني الى ضرورة المحافظة على الحجاب.<sup>4</sup>

### 3- نقد فكرة الطاهر الحداد حول قضية تحرير المرأة

ان انشغال الطاهر الحداد بوضع المرأة التونسية لم يكن مدخرا لكتاب "امراتنا..." الصادر في 5 أكتوبر 1930م بل سبق ذلك بسنوات اذ كان ذلك الموضوع حاضرا في عمق كل المشاكل الاجتماعية التي تناولها في كل ما كتب قبل ذلك وليس أدل على ذلك من كتاب "العمال التونسيون" الذي عرض فيه مظاهر البؤس الاجتماعي في المملكة، وكان لمآسي حياة المرأة فيه نصيب غير منقوص فهو يعقب في أحد المواضيع قائلا: "كم، وكم يلزمننا من المجلدات والتفكير العميق اذا أردنا أن نتحدث عن البيوت والحياة الزوجية وحظ الأزواج اليوم من زواجهم وأسباب التشويش العائلي وكثرة الطلاق وسهولة وقوعه فذلك ما يستدعي الجهود العظيمة والأفكار العميقة في الحياة"<sup>5</sup>، ويجدر التذكير أن فصولا عدة من كتاب "امراتنا في الشريعة و المجتمع" أصلها مقالات صحفية كتبها في جريدة "الصواب" سنة 1928م.<sup>6</sup>

ولكن الطاهر الحداد في قضية تحرير المرأة وبؤسها أرجعه الى قضية الحجاب والسفور وتعدد الزوجات وكل هذا مرجعه الى تشبث علماء الشريعة الاسلامية بحرفية النصوص القرآنية ولكنه نسي بأن السبب الرئيسي في سوء وضع المرأة المسلمة هو الاستعمار الفرنسي ذاته وهذا الكلام يقوله الطاهر الحداد نفسه حيث يقول علي المحجوبي: "وقد رسم النقابي الطاهر الحداد في مؤلفيه "العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية" و"امراتنا في الشريعة و المجتمع" الصادرين على التوالي في

1- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص162.

2- منير رويس، المرجع السابق، ص293.

3- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص162.

4- فتحي بوعجيلة، المرجع السابق، ص129.

5- المرجع نفسه، ص131.

6- المرجع نفسه، ص131.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

سنة 1927م و1930م صورة مؤلمة للحالة الاجتماعية السائدة آنذاك بالبلاد التونسية وقد أشار المؤلف الى تحول صغار الفلاحين الى فقراء ومحتاجين والى انحطاط الصناعة التقليدية وازدياد البطالة والبؤس وما ينجر عنهما من تسول وفاقه وهذا الوضع ناجم في رأيه عن استعمار الأراضي ووهن الصناعة اليدوية التونسية وما تعانيه من المنافسة الأجنبية<sup>1</sup>، وبالتالي فالوضع المزري الذي تعيشه المرأة المسلمة التونسية من فقر وجهل وعدم قدرتها على التعلم مرده الى الاستعمار الذي تكلمنا عن سياسته في الفصل التمهيدي وبالتالي فالشعب التونسي أغلبه يكدر تحت ظلال الفقر والعوز لا يقدر على توفير معاشه فضلا عن التعليم وتعليم المرأة بالخصوص وبالتالي فطرح قضية تحرير المرأة بهذا الشكل نراه تسرعا ورد فعل قوي من الطاهر الحداد حيث كان الأجدر أن يطالب بتعليمها مثل الرجل سواء بسواء كما فعل عبد الحميد بن باديس والاصلاحيون في الجزائر فرفع حجاب الجهل والأمية أولى من رفع الحجاب الشرعي والسفور، ومهما يكن من أمر فالاصلاحيون الزيتونيون خاضوا معارك طويلة ومجهدة من أجل اصلاح التعليم الزيتوني لأنه بالنسبة لهم يعتبر هذا المجال أولوية الأولويات كون جامع الزيتونة هو المنطلق والمبدأ للعمل الاصلاحى التونسي وهو الركيزة الأساسية وبالتالي فاصلاح التعليم الزيتوني سينجر عنه النجاح في باقي المجالات الاصلاحية الأخرى خاصة الجانب السياسي ونشاط الزيتونيين ضمن الحركة الوطنية التونسية ورغم اختلافات الكتلة الاصلاحية الزيتونية فيما بينها الآن هذا المخاض تولدت عنه صحوة فكرية وعلمية وأيضاً سياسية، سارعت في تقدم الحركة الوطنية التونسية نحو تحقيق أهدافها الوطنية.

### المبحث الثالث: النشاط الصحفي لطلبة وعلماء الزيتونة الاصلاحيين

برز الزيتونيون أول ما برزوا في مجال الصحافة وكانوا روادا بحق في هذا المجال فقام النشاط الصحفي التونسي منذ عام 1904م بل منذ تأسيس جريدة "الرائد التونسي" عام 1860م بالأساس على كواهل الزيتونيين وبرز من بين صفوفهم كبار الصحفيين التونسيين من امثال محمد السنوسي وابنه زين العابدين<sup>2</sup> وعبد الرحمان الصنادلي ومحمد الجعابي (الملقب بعميد الصحافة التونسية) والطيب بن عيسى وحسين الجزيري وغيرهم كثير.<sup>3</sup>

لقد كانت الصحافة العربية ذات وجوه مختلفة عند القراء فهي تمثل أحيانا صوت الأمة وتارة عمود الاسلام وطورا ممثل الشعب، والملاحظ أنها مع هذا التباين امتلكت انتشارا واسعا في صفوف المثقفين بل حتى بين المجالس الشعبية التي تكلف أحدا يحسن القراءة باقتطاف ما يخلو لهم من أخبار ولعل أكثر الأطراف نهما في تتبع الأخبار الصحفية وأكثرها شراءهم طلبة الزيتونة والصادقية.<sup>4</sup>

والجدير بالذكر أن بعض العادات التونسية بدأت تتغير بعد صدور الصحف حيث أصبحت قراءة الصحف ومناقشة أفكارها الصيغة المثالية لوقت الجلسات في المقاهي والدكاكين ليس هذا فحسب بل أصبحت الصحف توزع

<sup>1</sup> - علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 493.

<sup>2</sup> - زين العابدين السنوسي: 1892-1966م والده الشيخ محمد السنوسي الزيتوني الشهير، لم يدرس بالزيتونة كثيرا إلا أنه اهتم بالأدب والكتابة، أسس بعد 1920 "مطبعة العرب"، تزوج من الأميرة ابنة الأمير أحمد باي الثاني 1929-1942، أسس مجلة العالم الأدبي، وألفه كتابه الشهير "الأدب التونسي في القرن الرابع عشر". أنظر: الصادق الزملي، المرجع السابق، صص 341-344.

<sup>3</sup> - علي الزيدي: الزيتونة دورها في حركة التحرير الوطنية التونسية، مجلة الحوار المتوسطي، عدد 15-16، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2017، ص 142.

<sup>4</sup> - حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 97.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

داخل عمق التراب التونسي الى الأميين والبسطاء الذين يستعينون بمن يقرأ ويفسر لهم ما تحتويه من أخبار علما أن أكثر الصحف رواجاً وتأثيراً عند التونسيين كانت "المزجج" و"الزهرة" و"الرشيدية" و"الصواب"<sup>1</sup> وفي هذا الاطار كانت الصحافة المتنفس الوحيد لطلبة الزيتونة حيث يعبرون من خلالها عما يجيش بدواخلهم من آراء ومواقف تهم مصير البلاد والشعب التونسي.<sup>2</sup>

### المطلب الأول: البدايات الأولى لتعامل الزيتونيين مع النشاط الصحفي

لقد تسبب اعلان حالة الحصار في سنة 1912م واندلاع الحرب العالمية الأولى في وضع حد للنشاط الثقافي والصحافي بوجه خاص وذلك بصورة تكاد تكون مطلقة ولم يتم رفع الاجراءات الموجهة ضد الصحافيين الا في شهر مارس من سنة 1920.<sup>3</sup>

وقد كان ظهور الصحف والمجلات بعدد وافر ابتداءً من ذلك التاريخ، دليلاً قاطعاً على ما يتسم به الفكر التونسي من حيوية، ذلك أن عدداً أكبر فأكبر من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية المتعددة النزاعات قد برز للوجود فمنذ شهر أوت 1920 أصدر الشيخ عبد العزيز الثعالبي مجلة "الفجر" للتعبير عن آرائه حول ما يراه من تغييرات ينبغي ادخالها على العقليات وعلى المجتمع التونسي.<sup>4</sup> وكانت الصحافة الناطقة بالعربية تعد في مجموعها أكثر من 20 عنواناً سنة 1920م وأكثر من 30 عنواناً سنة 1921.<sup>5</sup>

في حال أن الشبان الزيتونيين الذين كانوا عماد الأدب والصحافة قد بقوا بمعزل عن هذه الناحية يتطلعون متحرقين الى امكان الوسائل للظهور تحت اسم جمعية تبرز شخصيتهم الزيتونية وكان الشيخ محمد مناشو هو الذي يحرك فيهم ذلك التطلع وينميها، ولكن الحكومة امتنعت عن الترخيص لهم في تكوين جمعية فاستمروا يعملون في نطاق ضيق، ثم لما أيسوا من التحصيل على رخصة اصدار مجلة تسلموا في مستهل سنة 1340 هـ / 1921م مجلة من صاحب امتيازها تسمى مجلة "البدر" وجعلوها مجلة جمعيتهم التي سموها "الجامعة الزيتونية" وكتبوا ذلك على عنوان المجلة فكان الشيخ محمد مناشو المشرف عليها وتلميذه محمد الحبيب مديرها وسارت على منهج بحث علمي راق ودراسة تاريخية وأدبية عميقة تسودها الروح الدينية والأسلوب العلمي.<sup>6</sup>

وبعد سفر الثعالبي للشرق وتوقفت المجلة الا أن شاباً طموحاً عالي الهمة الأدبية من أسرة مجلة "البدر" وأركان جمعية الجامعة الزيتونية لم تغلبه عوامل الفتور فثبت صامداً يجاهد في سبيل المحافظة على الشعلة الأدبية هو زين العابدين السنوسي ابن الشيخ محمد السنوسي، فكون له مطبعة باسم مطبعة "العرب" على ضعف ما لديه من الوسائل المادية، وتحيل على المنع القانوني باصدار نشرة شهرية على طراز مجلة "البدر" في صورة كتاب ذي أجزاء سماها "العرب" فمنعت

1- حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص97.

2- المرجع نفسه، ص98.

3- احمد القصاب، المرجع السابق، ص338.

4- المرجع نفسه، ص339.

5- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص273.

6- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص124.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الحكومة رواجها من العدد الرابع فاستمر ينتحل لكل عدد اسما يدل على ثباته في اصدار مجلة "العرب" التي لم يرخص فيها فكانت أسماء الأجزاء تختلف بين "المقالات" و"مقالات العرب" و"لطائف العرب" واستمرت الحكومة تلاحقه وهو يراوغها على هذا النحو الى سنة 1344هـ/ 1926م.

أيضا نجد من بين الصحف التي برزت في فترة العشرينات كما يذكر ذلك عمر بن قفصية حيث يقول: "وظهرت الصحافة الفكاهية بظهور أول جريدة من هذا النوع وهي جريدة "أبو نواس" لصاحبها الشيخ المرحوم سليمان الجادوي صاحب جريدة "المرشد" و"مرشد الأمة" ثم ظهرت جريدة "ولد بلادي" للمرحوم السيد البشير الفورتي<sup>1</sup> ثم جريدة "أبو قشة" للسيد محمد الهاشمي بن المكي<sup>2</sup>، ففي هذا الفترة اتجهت الصحافة الوطنية وجهة جديدة وهي العناية بالقضايا التونسية رغم أنه في هاته الفترة لم تكن هناك أحزاب على أرض الواقع بل كانت هناك أفكار يمثلها مجموعة من المفكرين تختلف آرائهم وسيرهم بين الشدة واللين.<sup>3</sup>

أيضا من هذه الصحف في هاته الفترة نذكر منها "الأخبار التونسية" و"الجامعة" و"الأمة" و"الاتحاد" و"لسان الشعب" و"النديم" و"العصر الجديد" و"القيروان" و"الوداد" و"غصن البان" و"الزهو" و"الهلال التونسي" و"النمس" و"الإصلاح" و"افريقيا"<sup>4</sup>، ومن هذه الجرائد ما عمرت داومت على الظهور مدة طويلة ومنها ما عطل وتوقف عن الصدور بقرارات حكومية في هذه الفترة ظهر نوع جديد من الجرائد وهي الجرائد الحزبية، فبعد المؤتمر الأول للدستوريين المنعقد في 14 مارس 1920 الذي تم فيه تسمية الحزب الحر الدستوري التونسي أخذت الصحافة العربية التونسية كلها تشرح مطالب الحزب وتنوّه بغاياته وتشيد بذكره وتبث مبادئه وتعلق على أعمال رجاله في الداخل والخارج وأصبحت بذلك كل الجرائد العربية بتونس حزبية الا جريدة "الزهرة" بقيت على الحياد لا بجانب الحزب ولا ضده.<sup>5</sup>

### المطلب الثاني: مساهمة الزيتونيين الاصلاحيين في الصحف الوطنية التونسية

لقد كانت مساهمة الاصلاحيين الزيتونيين فعالة وواضحة في أغلب الصحف التي صدرت في تونس سواء كانت هاته الصحف من انشائهم أو من انشاء غيرهم الا أن أثر أقلامهم كانت متواجدة في أغلب هاته الصحف فأول جريدة غير رسمية باللغة العربية هي "جريدة الحاضرة" التي ظهرت يوم 2 أوت 1888م بادارة أحد قدماء الصادقية وهو المرحوم علي بوشوشة الذي استقال من مهامه الادارية ليتفرغ للصحافة، وقد تحصلت الجريدة على مساهمة عدد من رجال

<sup>1</sup> - البشير الفورتي: ولد عام 1892م من أسرة محافظة بعد أن حفظ القرآن الكريم وبعض المتون انتقل الى جامع الزيتونة حيث أحرز على شهادة التطويح كما درس بالمدرسة الخلدونية وتخرج منها بشهادة دبلومها، أصدر جريدة التقدم اليومية سنة 1907م ثم جريدته الفكاهية "ولد بلادي" كما مارس الأعمال الحرة توفي في 15 جانفي 1954، أنظر: عمر ابن قفصية: أضواء على تاريخ الصحافة التونسية (1860-1970)، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1972، ص87.

<sup>2</sup> - محمد الهاشمي بن المكي: ولد بالجريد التونسي سنة 1881م والده العالم الشيخ عثمان المكي انتقل وایاه الى العاصمة التونسية أين أتم دراسته بجامع الزيتونة والخلدونية أصدر جريدة هزلية "أبو قشة" انتقل الى طرابلس واستأنف صدور جريدته سجن العديد من المرات توجه الى المشرق العربي واستقر هناك الى أن وافته المنية سنة 1942م، أنظر: عمر بن قفصية، المرجع السابق، ص96.

<sup>3</sup> - محمد الطيب رزوق، البعد المغاربي، المرجع السابق، ص32.

<sup>4</sup> - عمر بن قفصية، المرجع السابق، ص17.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص22.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الإصلاح المشهورين أمثال البشير صفر والشيخ سالم بوحاجب ومحمد السنوسي، حيث كانت افتتاحيات الشيخ محمد السنوسي تكتسي طابعا أخلاقيا واضحا وكتاباته كانت تستند إلى شواهد مستمدة من القرآن والسنة أو من كتب الفقه ودواوين الشعر العربي وتبحث في أغراض ذات صبغة عامة أو أخلاقية وبأسلوب خطابي مزخرف في أغلب الأحيان وكانت مقالاته تحمل مثل هذه العناوين: الوحدة، الثقة، الحكمة، وكانت ترمي دائما إلى أغراض مثالية.<sup>1</sup>

وكان البشير صفر يحرر مقالات ذات طابع تعليمي فكان يتناول بالدرس مثلا المؤسسات السياسية والاجتماعية بأوروبا وتطور الدول الأوروبية الاجتماعي والظروف الجغرافية لذلك التطور، وكان تعبيره واضحا تمام الوضوح وأسلوبه متقدما ودقيقا مما يدل على تأثير تفكيره تأثرا واضحا بالثقافة الغربية<sup>2</sup>

كما كان عدد من الشخصيات الأخرى ينشر "بالحاضرة" فصولا تبحث في مسائل أدبية أو تتناول مواضيع إصلاحية مثل محمد بلخوجة، الذي كان يساهم في الجريدة بتحليل تاريخية مركزا بالخصوص على ماضي العرب المجيد<sup>3</sup>.

وكانت "الحاضرة" تقوم بنشر قصائد للشيخ محمد النخلي ورحلات علي الورداني باسبانيا ومحمد بلخوجة بباريس التي زارها سنة 1900م بمناسبة المعرض الدولي وقد نشرت رسائله فيما بعد بالمطبعة الرسمية التونسية وهي تمتاز بأسلوب مفخم ومزخرف يتماشى مع الذوق الأدبي السائد في عصور الانحطاط.<sup>4</sup>

ونشرت مجلة "السعادة العظمى" هي أيضا القصائد الشعرية والرحلات وبالخصوص رحلة صاحب المجلة الشيخ الخضر حسين إلى الجزائر سنة 1906م كما خص المؤلف جريدة "الزهرة" في سنة 1912م بانطباعاته عن الرحلة التي قام بها إلى كل من مصر وسوريا وتركيا.<sup>5</sup>

ويذكر الشيخ محمد الفاضل بن عاشور أبرز الشخصيات الزيتونية الإصلاحية التي كان لها صيت وباع كبير في تنشيط الصحافة الوطنية التونسية حيث يقول "فان نستطيع حصر البارزين الممتازين الذين سما فن المقال السياسي على مطايا أفلامهم في ستة: هم سليمان الجادوي ومحمد بن الحسين وأحمد توفيق المدني ومحمد المنصف المنستيري ومحي الدين القليبي ومحمد المهدي بن ناصر".<sup>6</sup>

ومع ما يتحد فيه هؤلاء الستة من الفكرة والمنهج فان لكل منهم اختلافا تفصيليا يبرز شخصيته، فالشيخ سليمان الجادوي صاحب جريدة "مرشد الأمة" روح كتاباته روح حماسية اسلامية وطنية... وأكثر مقالاته نقد لمواقف رجال الحكم وتصرفاتهم بمقياس الخلق الديني والمبدأ الوطني وكان من فرسان الدفاع في سبيل الفكرة الدستورية الذين لا يتراجعون ولا يلينون، وأما محمد بن الحسين فهو من أبناء المدرسة الصادقية وقد تكون تكوينا اسلاميا خاصا بالنشأة على التربية الدينية وحذق القرآن العظيم وحفظ من الأدب العربي المتين الأصيل وبلغ من اجادة اللغة الفرنسية فشارك في تحرير

1- احمد القصاب، المرجع السابق، ص 327.

2- المرجع نفسه، ص 328.

3- المرجع نفسه، ص 328.

4- المرجع نفسه، ص 332.

5- المرجع نفسه، ص 332.

6- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 131.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

المجلات والصحف، فان يكتب في مجلة الفجر تلخيصا لحوادث الشهر... ونشر المقالات السياسية في كثير من الجرائد الوطنية باسم مستعار عرف به "ابن جلا" فكانت مقالاته آية في الصحة والنظر وقوة الحجج... ما يقوي ثبات الوطنيين في التعلق بقوميتهم والحفاظ على كيانهم... واذا كان أحمد توفيق المدني يشابهه في الثقافة المزدوجة والنشأة على العربية الخالصة، حيث اتصل بالمعهد الزيتوني فصقل فيه فطرته على الأدب العربي الصحيح وعندما ألقى عليه القبض وأودع السجن شابا دون العشرين فأتقن في السجن اللغة الفرنسية وطالع كتب الفلسفة والاجتماع والسياسة، فلما خرج من السجن ارتقى بكليته في الحياة السياسية والفكرية، يخطب ويحاضر ويحرم ويترجم وبرزت قيمته الانشائية في المقالات التي ينشرها بالصحف بامضاء المستعار "المنصور" وهي مقالات تسودها القوة والمنطقية مع الحماس الخطابي وجذبه ناحية نبوغه الى النشر الثقافي الأدي فأصدر في سنة 1341 هـ / 1923م تقويمًا سنويًا سماه "تقويم المنصور" توالى اصداره خمس سنين ثابتا على ما لقي من المقاومة الحكومية حتى أصدر الجزء الخامس بالجزائر بعد نفيه اليها.<sup>1</sup>

وأما محمد المنصف المنستيري فان انشغاله بالسياسة لم يحدد من اقباله على العلم فتكون تكونا علميا زيتونيا صحيحا على المنهج الزيتوني منهج التحصيل والبحث والتحليل فكان في روحه وفكره عالما زيتونيا بالمعنى الكامل، وأما قرينه محي الدين القليبي... فعالج الكتابة الصحفية حتى تخرج فيها وحرر في أكثر الصحف الوطنية ثم اختص برئاسة تحرير جريدة "الأمة" سنة 1339 هـ / 1921م فكانت اللسان الشبيه بالرسامي للحزب الحر الدستوري وكانت مقالاته فيها توجيهات ذات أثر بعيد في حياة الحزب.<sup>2</sup>

وأما محمد المهدي بن ناصر فهو في نشأته العلمية وتكونه الزيتوني أقرب الى المنصف المنستيري، جمع بين الجد في طلب العلم والاشتغال بالسياسة فجاء تكونه الثقافي الزيتوني كاملا وشارك في التحرير في الصحف الوطنية بامضاء مستعار "أبو الضياء".<sup>3</sup>

ونجد أيضا الشيخ الثعالبي نشر مقالا مسهبا أو كتابا غير مجموع في مجلة "الفجر" تباعا هو مقال "سقوط الدولة الأموية" وهي دراسة واسعة للأدوار الأخيرة للحكم الأموي مع استقصاء عوامل السقوط وأسباب الثورة واستخلاص القوانين العامة لسقوط نظام الحكم.<sup>4</sup>

وبعد سنوات القمع التي استمرت من سنة 1934م الى سنة 1936م شهدت الصحافة التونسية والانتاج الأدبي فترة جديدة من الازدهار على اثر ارتقاء الجبهة الشعبية للحكم بفرنسا<sup>5</sup> حيث كان علي البهلوان من الصادقين وزيتونيين أمثال أحمد خير الدين كانوا ينشرون فصولا بمجلة "الجامعة" ومجلة "الأفكار" للتعبير عن الرغائب الوطنية في المجال الثقافي<sup>6</sup>، وأصدر أيضا الزيتونيون جريدة "صبرة" التي صدرت خلال الفترة 1937 - 1939م ورئيس تحريرها هو محمد

1- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر نفسه، ص133.

2- المصدر نفسه، ص134.

3- المصدر نفسه، ص135.

4- المصدر نفسه، ص138.

5- احمد القصاب، المرجع السابق، ص353.

6- المرجع نفسه، ص355.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

العربي ذو تكوين زيتوني والتي تكلمت عن الواقع الزيتوني وناقشت مسألة اصلاح التعليم الزيتوني وأيضاً اضراب الطلبة الزيتونيون وموقفهم من حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية.<sup>1</sup>

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية تعطلت أغلب الصحف والمجلات الأدبية وحلت محلها الاذاعة التونسية التي استمرت على بث الأحاديث الأدبية والمسرحية والأغاني المكتوبة في أغلب الأحيان من طرف الشعراء والتي وجدت رواجاً كبيراً لدى المستمعين إلا أن امتلاك جهاز الراديو لم يكن في متناول الجميع.<sup>2</sup>

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تركز الانتاج الأدبي حول مجلتين أدبيتين هما مجلة "الثريا" الممثلة للتيار الثقافي والتي أنشأها نور الدين بن محمود ومن المساهمين فيها محمد الفاضل بن عاشور والمؤرخ حسن حسني عبد الوهاب والشيخ محمد الشاذلي النيفر وغيرهم من الأدباء والشعراء والباحثين وكانت المجلة تنشر بالخصوص الفصول التي يمدّها به أولئك الكتاب وكذلك الأحاديث الأدبية التي تبثها الاذاعة التونسية.<sup>3</sup>

أما مجلة "الباحث" التي أصدرها محمد البشروش في سنة 1938 فهي تضم في أسرة واحدة الكتاب الزيتونيين والكتاب الصادقين المتأثرين بشدة بالتأثر بالثقافة الغربية (أمثال محمود المسعدي وعلي البهلوان ومحبوب بن ميلاد ومحمد السويسي وغيرهم) وقد تولى ادارة المجلة بعد وفاة مؤسسها سنة 1944 الأستاذ محمود المسعدي الذي أضفى عليها طابعه الخاص وقد التفت حوله مجموعة من الكتاب الذين تلقوا نفس التكوين وجعل المجلة سلاحاً لمقاومة المناهضين للغة العربية والاسلام<sup>4</sup>، فالافتتاحيات التي كان يحررها محمود المسعدي ويمضيها باسم المباحث كانت تبحث بالخصوص في المشاكل التي هي مواضيع الساعة (مثل نشر التعليم وخاصة اللغة العربية واحداث جامعة تونسية والمطالبة بالاضطلاع بالمسؤوليات في مختلف قطاعات الحياة الثقافية بالبلاد... الخ).<sup>5</sup>

### المطلب الثالث: مساهمة الزيتونيين الاصلاحيين في صحف الحزب الحر الدستوري التونسي

كانت الصحافة هي الوسيلة الأولى التي اعتمد عليها الحزب في نشر آرائه ومبادئه بين صفوف الشعب وكسب عضويتهم فبالإضافة الى الخطب التي كانت تلقى في المساجد والنوادي والساحات العامة وكذلك الندوات الشعرية، هناك الصحافة العربية والفرنسية التي كانت تبث الدعاية للحزب بكامل أرجاء الوطن في المدن والأرياف ابتداءً من يوم اعتراف الباي به فمن الصحافة العربية التونسية نذكر جريدة "الصواب" التي تبنت آراء الحزب رسمياً واهتمت بالدعاية له وكانت تشرح مطالبه وتنوّه بغاياته وتشيد بذكره وتبث أفكاره وتعلق على أعمال رجاله في الخارج والداخل.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - عليّة العلاني: صدى الواقع الزيتوني من خلال جريدة "صبرة" 1937 - 1939، أعمال الندوة الدولية الحادية عشرة حول الزيتونة الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي، تونس، 5 و6 ماي 2002، 2006، ط2، ص345.

<sup>2</sup> - احمد القصاب، المرجع السابق، ص355.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص356.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص356.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص356.

<sup>6</sup> - مناصرة يوسف، الحزب الحر الدستوري التونسي، 1919-1934، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ط1، ص68.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وقد كان البعض من الصحفيين مثل محمد الجعايي مدير "الصواب" والطيب بن عيسى مدير "الوزير" والشاذلي المورالي مدير "المنير" أعضاء باللجنة التنفيذية للحزب الدستوري، وهم بهذه الصفة ملزمون بالدفاع عن المطالب الدستورية في صحفهم.<sup>1</sup>

ولما عطلت سلطة الحماية جريدة "الصواب" يوم 5 أبريل 1922، لاهتمامها بجائحة تنازل الباي عن العرش، خلفتها جريدة "الاتحاد" ولما تعطلت هذه الأخيرة من طرف صاحبها باتفاق مع سلطة الحماية، أنشأ الحزب الدستوري جرائد أخرى عبر فيها عن آرائه السياسية وغيرها وكان من بينها وأبرزها جريدة "الأمة" و"المبشر" و"العصر الجديد" و"المشير" و"افريقيا"، ولكنها جميعها تعطلت هي الأخرى لأسباب كثيرة منها ما أوقفته سلطة الحماية ومنها ما توقف من تلقاء نفسه لأسباب مالية وغيرها.<sup>2</sup>

وهناك جرائد عربية أخرى ظهرت لنفس الغرض وصارت اللسان الرسمي للحزب الحر الدستوري التونسي وأبرزها جريدة "الارادة" التي ظهرت سنة 1934م لصاحبها الأستاذ المنصف المنستيري.<sup>3</sup>

ومن الصحافة الفرنسية نذكر جريدة "صدى الصحافة l'echo de la presse" والتي أسسها الشيخ الثعالبي في مارس 1923م وقد دافعت بشدة عن القضية التونسية ولكنها توقفت عن الصدور على اثر محاكمة صاحب امتيازها، الفرنسي "بول دوستوكهولم" ثم أصدر الحزب جريدة أخرى سماها "الحر le liberal" سنة 1924م. ولما صار الأستاذ الشاذلي خير الله عضوا في لجنة الحزب التنفيذية أصدر جريدته "اللواء l'etendard" و"صوت التونسي la voi du tunisien"، التي شارك فيها أحمد الصافي<sup>4</sup> وصالح فرحات<sup>5</sup> وسواهما من أعضاء الحزب البارزين.<sup>6</sup>

وقد لازمت الجرائد الوطنية منذ 1926 موقف الحذر والخوف اتقاء للعقوبات الصارمة التي سنتها "الأوامر الجائرة"<sup>7</sup>، إلا أنها في مطلع الثلاثينات غيرت لهجتها وأصبحت مقالاتها أكثر جرأة تجاه الاستعمار، وزيادة على الصحف العربية تدعم جانب الحركة الوطنية بفضل صحافة تونسية صدرت باللغة الفرنسية وشهدت منذ عام 1929 بعض الازدهار وأكسبت هذه الصحف الفرنسية الحركة الوطنية نفسا جديدا وساعدت كثيرا على تصلبها.<sup>8</sup>

1- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص273.

2- يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص68.

3- المرجع نفسه، ص68.

4- أحمد الصافي: 1882-1935م تلقى تعليمه في المدرسة الصادقية وبجامع الزيتونة وحصل على اجازة في الحقوق بباريس عمل محاميا منذ عام 1909م، وهو أول أمين عام للحزب الدستوري ترأس أول وفد دستوري الى باريس. أنظر: محمد السعيد عقيب، الحزب الدستوري القديم 1934-1956، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2010/2009، ص32.

5- صالح فرحات: (1890-1977) درس الحقوق وامتنع الحماسة من الوجوه الدستورية البارزة كان على رأس اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم في الاربعينات من القرن العشرين. أنظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص32.

6- يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص69.

7- الأوامر الجائرة: هي عبارة عن أوامر تعسفية ترمي الى خنق كل شكل من أشكال المعارضة بالبلاد التونسية، حملت السلطات يوم 1926/01/29 محمد الحبيب باي على التوقيع عليها. أنظر: علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص447.

8- علي المحجوبي، المرجع السابق، صص499-500.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

حيث أسس الشاذلي خير الله في 26 مارس 1930م صحيفة أسبوعية جديدة بالفرنسية "صوت التونسي" اتخذت باعتبار الظروف القائمة آنذاك لهجة متصلبة تجاه الاستعمار وفي 16 فيفري 1931، تحسبا لاحياء سلطات الاحتلال الذكرى الخمسينية لانتصاب الحماية تحولت هذه الصحيفة الى صحيفة يومية هدفها مقاومة غطرسة المتفوقين والسلطات الاستعمارية وكان في مجلس ادارتها وهيئة تحريرها محي الدين القليبي ومحمد الحميري.

وبعد الانشقاق الذي حصل في صفوف الحزب الدستوري في سنة 1934م أصبحت جريدة "العمل" الناطق الرسمي باسم الحزب الدستوري الجديد بينما أصدر الحزب الدستوري القديم جريدة "الارادة" وقد برز فيها بالخصوص الصحفيان المنصف المنستيري ومحي الدين القليبي.<sup>1</sup>

وعلى كل حال فان هذه الصحافة العربية كانت تشكل سلاحا خطيرا بين أيدي الوطنيين التونسيين فكانت تمكنهم من تكوين حركة رأي موالية للدستور لا بمدينة تونس فقط بل في داخل البلاد أيضا وكان تأثير هذه الصحف من الأهمية بمكان ناهيك أنه انعكس على فئات الأميين من التونسيين وكان المناضلون الدستوريون أو التونسيون المثقفون يشرحون مقالات الصحف ويعلقون عليها لاعانة اخوانهم الأميين الذين كانوا متأثرين بهذا النوع من الدعاية.<sup>2</sup>

كما نسب أشهر ما راج من صحف سرية في ظل الرقابة خلال الفترة التي تلت حوادث أفريل 1938 واستمرت الى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية من قبيل "الهلال" و"الهلال الأسود" الى طلبة زيتونيين بالأساس من أمثال محمد المرزوقي ومحمد بسباس ونصر المرزوقي وعبد السلام الفارسي وعبد القادر الفقيه وغيرهم، بحيث يمكن القول أن الصحافة التونسية كانت تقوم بالأساس على الزيتونيين فهم أهم من كان يصدرها ويجررها وأغلب من كان يقرأها وبدونهم لم تكن تلك الصحافة شيئا يذكر.<sup>3</sup>

### المطلب الرابع: نماذج لبعض الصحف التونسية التي أنشأها الزيتونيون الاصلاحيون

كما ذكرنا سابقا أن الزيتونيون اعترضتهم صعوبات جمة في انشاء واصدار صحف خاصة بهم ولكن رغم ذلك فقد تمكنوا في فترات معينة من اصدار صحف ومجلات تمثلهم وتنشر أفكارهم مثل "المجلة الزيتونية" وأيضا ساهموا في صحف الحزب الدستوري القديم بشكل قوي مثل "جريدة الإرادة".

#### 1-المجلة الزيتونية

علاوة على دور الجمعيات في الأنشطة الفكرية والثقافية والاجتماعية المندرجة تحت راية الاصلاح، سجلت الثلاثينات عودة العلماء الى الكتابة والنشر في دوريات خاصة بهم بعد نحو 20 سنة من التجربة التي خاضها محمد الخضر حسين، اذ كانت هذه "المجلة الزيتونية" التي صدرت في سنة 1937 أهم هذه الدوريات من حيث طول المدة التي صدرت خلالها وعدد ونوعية المحررين وأكثرهم مواظبة المشائخ محمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الشاذلي بن القاضي، ومحمد الهادي بن القاضي والمختار بن محمود، كما ساهم فيها محمد العزيز جعيط ومحمد البشير النيفر ومحمد العربي

<sup>1</sup> - أحمد القصاب، المرجع السابق، ص340.

<sup>2</sup> - علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص274.

<sup>3</sup> - علي الزيدي، الزيتونة دورها، المرجع السابق، ص42.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الكبادي وسالم بن حميدة ومحمد الناصر الصدام وعلي النيفر والجنرال محمد بن الخوجة، ومن الضروري أن نتوقف عند هذه المجلة باعتبار أهمية الدور الذي أدته ولكونها لسان حال العلماء الاصلاحيين.<sup>1</sup>

يقول عنها الشيخ محمد الفاضل بن عاشور: "وفي أخريات الحقبة التي ندرسها - الثلاثينات - ظهرت مجلتان علميتان معبرتان احدهما المجلة الزيتونية، التي كونتها نخبة من أساتذة الجامعة الزيتونية يديرها الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي ويرأس تحريرها محمد المختار بن محمود واشتغلت بالمباحث الراقية والتحريرات النفيسة في العلوم الاسلامية والأدب العربي والتاريخ خصوصا التاريخ التونسي وعملت على التوجيه الى البحث العلمي على المنهج الديني واشاعة روح الجامعة الزيتونية التي هي روح المحافظة على الدين ولغته وتقوية الشعور بوحدة العالم الاسلامي واعتبار الاسلام والعروبة أصل ذاتية الوطن التونسي".<sup>2</sup>

تتجلى اهتمامات هذه الدورية عبر أعدادها الخمسة والسبعين (75) خلال توزع مباحثها اذ أحصى الهرماسي في كتابه المجتمع والاسلام والنخب الاصلاحية، مجموع وحداتها المكونة من مقالات مستقلة أو في شكل حلقات ومن خطب وفتاوي وتقارير ما يلي:

-42 بحث عام عن الاسلام تتناول مسائل التوحيد ومكارم الأخلاق والشورى وعلاقة الدين بكل من العلم والدولة.

-17 مقالة تخص العبادات والحكمة من التكاليف الشرعية من صوم وحج وزكاة وصدقة ونحوها.

-119 وحدة تتكون من فتاوي ومواعظ وارشادات ومقالات تتناول الحاجة الى الشرائع وأسرار التشريع وتنظيم الأوقاف الاسلامية.

-09 مقالات تتعلق بالمعاملات والعبادات مثل ظاهرة الربا ومسألة الحجاب والسفور.

-76 مقالة في تفسير القرآن ثلاثها لمحمد الطاهر بن عاشور.

-77 مقالة في الحديث والتفسير.

-30 مقالة في السيرة النبوية.

-55 وحدة تتوزع بين مقالات عن تاريخ الجامعة الزيتونية واشعاعها ودورها في نشر الدين وخدمة العلم والتعريب ومقارنتها بالأزهر وتقارير عن أعمال لجنة اصلاح التعليم بالجامع ومطالب واحتجاجات الطلاب والمدرسين.

-40 مقالة تبحث في الأخلاق والاصلاح الاجتماعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

-165 وحدة تغطي أغراضا أدبية وقصائد.

-159 وحدة تضم مقالات تاريخية بشأن حوادث دينية ومؤسسات اسلامية كالقضاء مع تراجم لشخصيات دينية في أغلبها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص185.

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، صص 163-164.

<sup>3</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص186.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وينم هذا التوزيع عن تنوع مجالات اهتمام الفصيل الأكثر حضورا وتأثيرا من العلماء الاصلاحيين الذين جمعتهم أيضا اعطاء الأولوية للتوجيه الفكري على النشاط العملي، الا أن تصفح عناوين المقالات وقراءة كثير منها في ضوء القضايا التي كانت مطروحة على حركة الاصلاح التونسية في الثلث الثاني من القرن العشرين، فالروح الغالبة في كتابات العلماء الذين أصبحوا عمليا يسيطرون على الساحة هي روح التوفيق بين الهمم الاصلاحية واعادة انتاج الاهتمامات والثقافة الدينية التقليدية أو التي يصفها البعض بالمدرسيين.<sup>1</sup>

### 2-جريدة الارادة

ظهر أول عدد من جريدة الارادة في يوم الاثنين 23 رمضان 1352 هـ / 08 جانفي 1934م، وبحسب ما جاء في شعار الجريدة نستنتج أنها جريدة سياسية اخبارية وهي لسان حال الأحرار الدستوريين، فهي بذلك لسان حال الحزب الحر الدستوري القديم - اللجنة التنفيذية - وهي تعبر عن آرائه وأفكاره وقد أسندت ادارة الجريدة للسيد محمد المنصف المنستيري.<sup>2</sup>

ورغم أن الجريدة ومن خلال صاحبها لم تشر في افتتاحيتها لعددتها الأول عند الصدور الى الأوضاع التي كان عليها الحزب والظروف التي نشأت فيها الجريدة، الا أن المتتبع لمسار الحركة الوطنية خلال الثلاثينات من القرن العشرين يجد أن الحزب قد عرف نشاط صحفي متميز تمثل في صدور "صحيفة صوت الشعب" التي أسستها اللجنة التنفيذية في شهر مارس 1933م للتعبير عن اتجاهها السياسي الذاتي.<sup>3</sup>

كما ساعدت الصحف الناطقة بخط الحزب الدستوري على تصلب المقاومة لنظام الحماية، فشكلت رافدا أساسيا لالتفاف العديد من الأصوات والأقلام حول الأفكار الدستورية وصارت تقدم طرحا جديدا لم يعد مبنيا على التعاون والاشترك بل على الاستقلال... الخ<sup>4</sup>

ولكن المقيم العام "مونصرون" سرعان ما قام باصدار قرار يقضي بحل الحزب الدستوري في 31 ماي 1933 مما عطل حركته وأوقف صحف الحزب مثل "صوت الشعب"، "صوت التونسي" و"العمل التونسي".<sup>5</sup>

كانت جريدة الارادة الى جانب ما تنشره من مواضيع هامة ومتابعة للأحداث اليومية للسلطة الحماية، كانت أيضا متابعة لتحركات منافسي الحزب من أعضاء الحزب الدستوري الجديد، بالاضافة الى نشر أهم أحداث المغرب العربي دون اغفال أخبار الدول العربية والدول الاسلامية ومما كان يميز تطورها أنها تحمل في طياتها صور فوتوغرافية لبعض الزعماء مثل عبد العزيز الثعالبي وأحمد الصافي وصور بعض نشاطات الحزب.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص187.

<sup>2</sup> - محمد الطيب رزوق، المرجع السابق، ص16.

<sup>3</sup> - جريدة صوت الشعب: جريدة أسبوعية باللغة الفرنسية تولى محمد المنصف المنستيري ادارتها معتمدا على مجلس تونسي هو حسن المحمودي لمراوغة الادارة كان ذلك في 11 مارس 1933م، تولى الشاذلي خير الله رئاسة تحريرها تبنت مواقف الحزب الحر الدستوري للتعبير عن مواقفه تعرضت للتعطيل بعد صدور عددها الثاني عشر في 27 ماي 1933م. أنظر: عمر ابن قفصية، المرجع السابق، ص214.

<sup>4</sup> - علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، صص 502-503.

<sup>5</sup> - محمد الطيب رزوق، المرجع السابق، ص20.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص24.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وكان شعارها (ارادة الشعب من ارادة الله و ارادة الله لا تقاوم) ورغم النكسات المتلاحقة التي تعرضت لها فقد بدأت الجريدة يومية ثم تحولت أسبوعية ابتداء من سنة 1937م كما تعطلت "الارادة" عدة مرات بقرارات ادارية من جراء مواقف سياسية اتخذتها فاختلفت سنتي 1935 و 1936 وعادت الى الصدور سنة 1937 لتتعطل من جديد بعد أحداث 08 أفريل 1938 ثم عادت للصدور من جديد في نفس السنة فتخلى الحزب الدستوري عن تبنيها في أوت 1938 وقد ورد هذا التخلي في جريدة الارادة.<sup>1</sup>

ثم توقفت تلقائيا في ماي 1940 نظرا الى ما كانت تواجهه من مشكلات مالية وصعوبات في التزود بالورق وعادت الى الصدور سنة 1948 لتتعطل في السنة الموالية ولم تفتقر هذه الاخفاقات حماس المنستيري فأعاد اصدارها ونشر مقالا في 05 فيفري 1952 يتهم فيه أعوان الشرطة بمقتل أحد ضباط الجيش الفرنسي في أثناء الانتفاضة الشعبية التي حدثت قبل أيام بسوسة وأحيل محمد المنصف المنستيري من جراء هذا المقال على المحكمة العسكرية التي قضت بسجنه لمدة 3 سنوات وبدفع غرامة مالية مرتفعة المبلغ، وعادت الارادة مع ذلك الى الصدور في سبتمبر 1954 لتحجب نهائيا في السنة الموالية<sup>2</sup>، وهكذا تعرضت الارادة الى أكبر عدد من قرارات التعطيل بالنسبة الى الصحف التونسية الصادرة باللغة العربية واستطاع محمد المنصف المنستيري أن يثبت ازاء هذه الهزات الى أن لاحت بشائر الاستقلال.<sup>3</sup>

### المواضيع التي تناولتها جريدة الارادة

لقد جاء على الصفحة الأولى من الجريدة بأنها جريدة يومية سياسية اخبارية لسان الأحرار الدستوريين، وهذا يعني أنها جريدة ليست مستقلة وأنها تابعة للحزب الحر الدستوري التونسي القديم، ويفهم من هذا أيضا أنها جريدة رأي تعبر عن رأي حركة سياسية وطنية لها جذورها ورغم هذا التنويه الحزبي للجريدة فهو لم يمنعها من تنوع مواضيعها والأخبار التي تنشرها كونها أنها كانت تقدم المعلومات الى القراء في نشرات أخبار محلية ودولية.<sup>4</sup>

وكانت الجريدة تنشر تحاليل وآراء ومواقف، تتحدث عن السياسة الاستعمارية وتنتقدها أشد الانتقاد، وحينما تتحدث عن المجلس الكبير تصفه بالحقير وتنتقده بشدة وتقول أن هذا المجلس لا نظر له في التشريع المنوط به دون أن تغفل عن سياسة الحكومة وميزانيتها، كما أنها تصدر مواقف الحزب من سياسات الاصلاح والتشريعات الجديدة.<sup>5</sup> مثال ذلك احتجاج "الارادة" في عدة مقالات ضد القرارات الاستثنائية أو ما يعرف "بالأوامر الجائرة" التي أصدرتها سلطة الحماية وعلى رأسها المقيم العام<sup>6</sup> مارسيل بيروطن.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص25.

<sup>2</sup> - محمد الطيب رزوق، المرجع السابق، ص26.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص26.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص26.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص27.

<sup>6</sup> - محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 160 - 161، نقلا عن جريدة الارادة العدد 192، 1934/09/04.

<sup>7</sup> - مارسيل بيروطن: تولى الإقامة العامة في تونس بداية جويلية 1933م حتى شهر ماي 1936 خلفا للمقيم العام فرانسو مونسورون، أنظر: محمد الطيب رزوق، المرجع السابق، ص17.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

كما كانت جريدة الارادة الصوت المدافع عن قدامى الدستوريين ضد السلطة الاستعمارية وخصومهم الدستوريين الجدد، حيث علقت الارادة بتاريخ 3 جويلية 1934م، متأسفة على الشقاق الواقع بين الدستوريين والذي أصبح الشعب التونسي من جرائه فريسة للنزاع المتجدد بلا هوادة وأرجعت أسباب هذا الحدث الأليم الى أن الحركة الوطنية التونسية قد عانت من فتور طويل يعود الى غياب رائدها الشيخ الثعالبي والى الأزمة الاقتصادية العالمية التي مست الفلاح التونسي بشدة والى قساوة سياسة المقيم العام بتونس السيد "منصورون"<sup>1</sup>.

وعندما شن الدستوريون الجدد دعاية مغرضة في حق - اللجنة التنفيذية - بأنها تتعامل مع سلطة الحماية في السر ردت جريدة الارادة على هاته الدعاية حيث صنفت أعداء الحزب وخصومه وحذرت التونسيون منهم في أنهم "هناك ثلاثة عناصر يقلقها وجود الحزب الدستوري والحركة الوطنية... واحدة هذه العناصر كل مستبد غاشم وأناي ظالم يريد اخضاع الناس لظلمه وقوته والعنصر الثاني، العناصر أعوان الظلمة وسماسرتهم، والثالث هم المخلفون الذين لم يستجيبوا لنداء الوطن... وهذه العناصر هي التي يزعجها الحزب الدستوري ويعملون جاهدين على هدمه وتحطيمه"<sup>2</sup>. وهذه اشارة واضحة الى المستعمر الفرنسي وأعضاء الحزب الدستوري الجدد وبقية المتخاذلين.

وقد تعرضت جراء هاته المواقف الجريئة الى حملة عنف مع أعضاء اللجنة التنفيذية، حيث تمثل هذا العنف من طرف أنصار الدستوري الجديد في الاعتداء على الأشخاص والمنع من توزيع المنشورات، حيث تم الاعتداء على مكتب رئيس اللجنة التنفيذية للحزب السيد أحمد الصافي وعلى بعض الأفراد بعد أن اعتدوا على مدير جريدة "الارادة"<sup>3</sup>. كما أظهرت الجريدة أيضا اهتماما كبيرا بما كان يحدث على مستوى المغرب العربي هذا الاهتمام كان يسير بالموازاة مع الاهتمام الوطني حيث خصصت في بداية مشوارها ركنا قارا باسم "أبناء اليوم" يهتم بالتطورات الحاصلة في أقطار المغرب العربي، خاصة في الجانب السياسي، كما تحدثت بأسهاب عن وحدة المغرب العربي فكانت ترصد وتنشر أخبار مكتب المغرب العربي بالقاهرة وما يقوم به اتجاه وحدة المغرب العربي<sup>4</sup>.

ورغم كون الجريدة ذات طابع سياسي، الا أن ذلك لم يمنعها من تناول بعض المسائل الأخرى كالجوانب الثقافية والاجتماعية ففي الجانب الأول كانت لها كتابات نقدية وانتقادية لما كانت تنتهجه سياسة الحماية حيث شنت هجوما لاذعا على السياسة التعليمية في تونس وما يعانیه المواطن التونسي من التهميش والاقصاء في هذا الميدان واهتمت كثيرا لما كان يتعرض اليه جامع الزيتونة من مضايقات من طرف ادارة الحماية<sup>5</sup>.

أما الجانب الاجتماعي فقد حاولت الجريدة أن تكون على مقربة من المجتمع وقضاياه الاجتماعية من خلال ما تعرضت له من مواضيع تمس المواطن مباشرة فمنذ صدورها تعرضت في عمودها الثابت "ساحة" الى مسألة التبشير

<sup>1</sup> - يوسف منصارية، الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص172.

<sup>2</sup> - محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص151، نقلا عن جريدة الارادة، العدد 48، 1934/03/07.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص157، نقلا عن جريدة الارادة العدد 57، 1934/03/17.

<sup>4</sup> - محمد الطيب رزوق، المرجع السابق، ص30.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص30.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

المسيحي وما يتعرض له الشعب التونسي من حملات تنصير مستغلين بذلك الوضع الاجتماعي الذي يعانيه المواطن التونسي من فاقة وحرمان<sup>1</sup>.

كما انتقدت الجريدة سياسة التجنيس التي حاول المستعمر الفرنسي نشرها في الأوساط الشعبية مع من يواليه من التونسيين، مركزين في ذلك على الجانب الديني وحكم التجنيس في ذلك وكذا قضية دفن المجنسين في مقابر المسلمين والتصدي لها.<sup>2</sup>

وعليه فنشاط العلماء والطلبة الزيتونيين الاصلاحيين في العمل الصحفي كان بارزا منذ الوهلة الأولى حيث تجلّى في مشاركتهم في أغلب الصحف الصادرة سواء باللغة العربية أو الفرنسية ورغم سعيهم الى اصدار صحف خاصة بهم تعبر عن مطالبهم وانشغالهم التعليمية والثقافية فإن هذا لم يمنعهم من تسيير صحف الحزب الحر الدستوري التونسي منذ تأسيسه كونه في الأصل متشكل من الزيتونيين الاصلاحيين سواء كانوا قياديين أو مناضلين وعليه فالفصل الأكبر في انتعاش الصحافة التونسية بجميع أشكالها وخاصة الوطنية منها يرجع الى طلبة وعلماء الزيتونة الاصلاحيين أولا وأخيرا.

### المبحث الرابع: النشاط السياسي لطلبة وعلماء الزيتونة الاصلاحيين في مسيرة النضال الوطني

بقيت المؤسسة الزيتونية والى الاستقلال أكبر مؤسسة تعليمية في تونس وكانت مؤسسات التعليم التقليدي تحتضن أكبر عدد من التلاميذ والطلبة الى ما بعد الحرب العالمية الثانية وبذلك تشكل قوة اجتماعية كبيرة وهي الأكثر تمثيلا للفئات الشعبية وأكثر تمثيلا للتوزيع الجهوي بتونس وكانت منذ نهاية القرن التاسع عشر وفي كل الأزمات السياسية الهامة تلعب الدور الأساسي في الأحداث والتحركات الاجتماعية.<sup>3</sup>

كذلك فقد اعتمدت على المد السياسي الزيتوني وبشكل متفاوت كل الحركات الاجتماعية والسياسية، بداية من حركة الشباب التونسي الى الحركة السياسية للديوان السياسي مروراً بنشأة الحزب الدستوري ونشاطه خلال العشرينات<sup>4</sup>.

### المطلب الأول: دفاع طلبة وعلماء الزيتونة عن الهوية الوطنية والتصدي للحماية الفرنسية 1881-1920

يبدو أن الوهن الذي أصاب المقاومة في الجنوب التونسي قد وضع حدا للصعوبات التي واجهتها سلط الحماية من قبل المعارضة الوطنية وقد أصبحت الجيوش الفرنسية والجنדרمة والشرطة مهيمنة على كامل البلاد.<sup>5</sup>

ولكن التاريخ قد بين أن أي شعب من الشعوب المغلوبة لا يستسلم بروحه وقلبه فاذا ما حانت الساعة ان أجلا أو عاجلا يسخر جميع قواه لينتزع حقه في الكرامة والحرية<sup>6</sup>، ففي الميدان السياسي فقد قام الوسط الزيتوني بدور هام في التصدي للوضع الاستعماري ومن مظاهر ذلك الموقف دور الزيتونيين من مدرسين وأعيان الشرع وأئمة وموظفين في

<sup>1</sup> - محمد الطيب رزوق، المرجع السابق، ص30.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص31.

<sup>3</sup> - محمد مسعود ادريس: المساهمة الثقافية للزيتونيين من خلال نشاط الجمعيات خلال فترة الحماية، أعمال الندوة الدولية الحادية عشرة، حول الزيتونة الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي، المرجع السابق، ص331.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص331.

<sup>5</sup> - احمد القصاب، المرجع السابق، ص485.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص486.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

مساندة احتجاج أهالي العاصمة ضد التراتيب البلدية الجديدة سنة 1885 وهي القضية المعروفة "بالنازلة التونسية". وقد انتهت هذه المساندة بإبعاد زعماء الحركة نحو الجنوب وعزلهم من وظائفهم<sup>1</sup>، وكان من بينهم الزيتونيان محمد بن عثمان السنوسي وأحمد الورتاني.<sup>2</sup>

ولكن بعد نفيهم تولى المقاومة السياسية "الشيخ المكّي بن عزوز" أحد شيوخ الزيتونة الثائرين ودعا المواطنين إلى مقاطعة فرنسا اقتصاديا فطاردته فرنسا في الجزائر وتونس،<sup>3</sup> وعمل على تكوين جيل من المثقفين حمل لواء النضال من بعده من أمثال "الشيخ عبد العزيز الثعالبي" فكانت بذلك الدعوة السلفية الإصلاحية التي حملها شيوخ الزيتونة الذين سبق ذكرهم هي المحضن لولادة الحركة الوطنية.<sup>4</sup>

وفي تلك الظروف أصدر سنة 1901م الشيخ عبد العزيز الثعالبي جريدة "سبيل الرشاد" وكان الثعالبي من خلية الزيتونة ومعهد الخلدونية ومن الملازمين للشيخ سالم بوحاجب والأستاذ بشير صفر وأسس "علي بوشوشة" جريدة الحاضرة سنة 1905م واستطاع أن يجمع حولها كتلة قوية من أصدقائه من أعضاء العروة الوثقى وشيوخ الزيتونة وقد اتخذت المجموعة من مقر الجريدة ناديا يجتمعون فيه لتبادل الآراء وكانت الجريدة صوتا يشنون منه الحرب على الاستعمار والرد على مظالمه من خلال الكلمة وكان ذلك الإرهاص الأول لميلاد الحركة الوطنية التونسية ببعث شعور الاعتزاز بالاسلام وتنمية روابط القطر التونسي بحركة الجامعة الإسلامية.<sup>5</sup>

كما أسس "علي باش حامبة" في عام 1906م جمعية قدماء المدرسة الصادقية ذات الاتجاه التغريبي متكونة من خريجي المدرسة الفرنسية لتكون مناوئة لجمعية الخلدونية ذات الاتجاه العربي الاسلامي ولكن ما لبث أن عاد الوثام بين الجناحين وأصبحت صفا واحدا في مواجهة الاستعمار وخاصة بعد زيارة محمد فريد إلى تونس.<sup>6</sup>

وفي عام 1907م تأسست حركة تونس الفتاة من طرف عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حامية، وقد لعبت الحركة الوطنية دورا قويا في دفع طريق النضال إلى الأمام وبذلك خابت آماني فرنسا في الاتجاه المفرنس حيث أصبح هذا الاتجاه الذي يرأسه باش حامية يطالب بالهوية الإسلامية.<sup>7</sup>

### 1- أحداث الزلاخ والترامواي

فأحداث الزلاخ تمثل أول اصطدام في مدينة تونس بين الأهالي المسلمين والجهاز الاستعماري في شهر نوفمبر 1911م.

<sup>1</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، صص 137-138.

<sup>2</sup> - أحمد الورتاني: 1831-1884م أصله من قبيلة ورتان بالكاف، درس بجامع الزيتونة وأخذ العلم عن مشاهيره كالطاهر بن عاشور (الجد) ومحمد معاوية وغيرهم، اعتبره البشير صفر امام في اللغة والسير أسندت إليه رئاسة الأوقاف والرائد التونسي والمطبعة التونسية (1880-1883م) عزلته الحماية باعتباره من اقطاب النازلة التونسية. أنظر: سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 108.

<sup>3</sup> - الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص 24.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 25.

<sup>5</sup> - علال الفاسي، المصدر السابق، صص 58-59.

<sup>6</sup> - الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص 26.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 26.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وقد اندلعت الأحداث عندما قامت السلطات الاستعمارية القيام بعمليات ترسيم مقبرة الزلاج<sup>1</sup> في السجل العقاري وكانت مقاما ذا صبغة دينية وتحظى بمنزلة خاصة في نفوس المسلمين<sup>2</sup>، وكان معقل الاحتجاجات والاعتراضات المساجد والجوامع وعلى الأخص جامع الزيتونة المليء بالشباب المتحمس لاسلامه وعروبته<sup>3</sup>، فقامت مظاهرات شعبية واسعة سنة 1911. وكان لمسجد الزيتونة دوره في تنظيم المظاهرات والاحتجاجات ويومئذ وقعت مشادات بين البوليس والشعب التونسي، سقط فيها الكثير من الشباب تحت رصاص الاستعمار وغطت الدماء أرض المعركة وهتفت الجماهير بالجهاد في سبيل تحرير الوطن وهو ما يكشف عن رغبة التونسيين في الانعتاق والتحرر من حكم المستعمر<sup>4</sup>. وقد ترتبت عنها أحداث أخرى منها اغتيال الكولونيل فالين في 7 ديسمبر 1911 ومقاطعة الترامواي التابع للشركة الإيطالية عام 1912م وأصبحت الشركة مهددة بالافلاس<sup>5</sup>.

وقد لعب الشيخ عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حامبة دورا هاما في تأطير مقاطعة الترامواي وقد أشارت تقارير الشرطة الى أن البشير الفورقي ينتمي الى مجموعة وطنية بمدينة تونس كل أعضائها من الزيتونيين<sup>6</sup>. وكان من نتائجها ابعاد عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حامبة الى الخارج فانتقل نشاط الحركة الوطنية الى المهجر حيث استقر علي باش حامبة في الأستانة وشارك الى جانب "محمد العتايي"<sup>7</sup> في المؤتمر الاسلامي المنعقد باستوكهولم سنة 1917 كما أصدر عام 1916 مجلة "المغرب" والتي طالبت في عددها عام 1918 بالاستقلال<sup>8</sup>.

### 2- اسهامات طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية الأولى الى غاية 1920

ان اسهامات ونشاط الزيتونيين في الحركة الوطنية انطلقت قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى بانشاء اللجنة الجزائرية التونسية لتحرير المغرب العربي بزعامة الشيخين اسماعيل الصفايحي<sup>9</sup> وصالح الشريف<sup>10</sup> التي طالبت بالاستقلال<sup>11</sup>.

<sup>1</sup> - الزلاج: وهي مقبرة اسلامية بتونس وقفها الشيخ الزلاج على موتى المسلمين، وبتاريخ 1911/09/26 تقدمت البلدية بطلب للمحكمة العقارية بتسجيل المقبرة، فتحصلت على اذن بذلك وعينت يوم 1911/11/07 تاريخا للقيام بعملية المسح والتسجيل بغية اضاءة صبغة الجنسية الفرنسية على الأرض، أنظر: الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص26.

<sup>2</sup> - علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص119.

<sup>3</sup> - حفيظ الطباي: صراع الهوية الزيتونة والزيتونيين في معترك النضال الوطني والاجتماعي، أعمال الندوة الدولية الحادية عشرة حول الزيتونة الدين والمجتمع والحركات الوطنية في جامعة منوبة، ط1، تونس، 2006، ص427.

<sup>4</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج1، ص43.

<sup>5</sup> - محمد الشريف الهادي، المرجع السابق، ص114.

<sup>6</sup> - حفيظ الطباي، المرجع السابق، ص427.

<sup>7</sup> - محمد العتايي: أحد مدرسي جامع القرويين بالمغرب الأقصى. أنظر: الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص27.

<sup>8</sup> - غلال الفاسي، المصدر السابق، ص62.

<sup>9</sup> - اسماعيل الصفايحي 1853-1918م، بتونس من شيوخ الزيتونة تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة. أنظر: خير الدين شترة، اسهامات النخبة، المرجع السابق، ص150.

<sup>10</sup> - صالح الشريف 1862-1920م، من أصول جزائرية دخل الزيتونة سنة 1881م ونال شهادة التطويح سنة 1888م، وتولى التدريس فيه سنة 1894 ونظرا لنشاطه السياسي المكثف تعرض لمضايقات استعمارية مما جعله يهاجر الى اسطنبول سنة 1906م. أنظر: خير الدين شترة، اسهامات النخبة، المرجع السابق، ص327.

<sup>11</sup> - حفيظ الطباي، المرجع السابق، ص ص 425 - 426.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

ان المتصفح لوثائق أرشيف الدولة التونسية المحفوظة بالأرشيف الوطني بتونس وخاصة ضمن سلسلة تاريخ الحركة الوطنية يجد عديد المراسلات الادارية التي تتضمن تقارير أمنية حول نشاطات الزيتونيين من طلبة وسواهم معادية لفرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، ومن هذه النشاطات تتحدث التقارير عن اجتماعات كان يعقدها بعض الطلبة في مواضع مختلفة من جامع الزيتونة وأيضا في أماكن بعيدة عن أعين المتطفلين أو في مدارس سكناهم وفي هذه الاجتماعات كان الطلبة يلتقون في مجموعات صغيرة تتألف من ثلاثة أو أربعة أفراد لتداول الأوضاع السياسية ومجريات الحرب العالمية وما يتداول من تطوراتها<sup>1</sup>، ويبدو أن الطلبة الذين كانوا يعقدون هذه الاجتماعات ومثيلا كما كانوا مدفوعين حقا بطاقة حماسية لا حد لها، ناهيك أن الطالب أحمد توفيق المدني وزملاؤه الستة، خططوا لدفع قبائل الجنوب التونسي للانتفاض على فرنسا وبدؤوا فعلا اتصالاتهم بقبائل بني زيد معولين على مساعدة العثمانيين بطرابلس وأسرى الألمان في قفصة قبل القاء القبض على أعيان هذه القبيلة وعلى المدني نفسه.<sup>2</sup>

والى جانب الاجتماعات فان نشاط تعليق المنشورات المعادية لفرنسا على جدران جامع الزيتونة وفي مواضع مختلفة من مدينة تونس العتيقة أصبح ظاهرة ملفتة للانتباه منذ أوائل سنة 1915 وبالتالي محيرة للسلطات الاستعمارية بالبلاد.<sup>3</sup>

لقد كان الزيتونيون ينفردون بالنشاط السياسي دون غيرهم مدة الحرب العالمية الأولى وفي وقت خلد غيرهم من عناصر حركة الشباب التونسي الى السكنية وقدم بعضهم فروض الولاء والتأييد لفرنسا المحاربة<sup>4</sup>، فبقي جامع الزيتونة ينبض بنشاط سياسي معاد لفرنسا وحلفائها ومجالا لصدى نشاط الشيخ صالح الشريف ورفقائه في تركيا وأوروبا الأمر الذي جعل مصالح الأمن والاستخبارات الاستعمارية تركز اهتمامها على وسط مدينة تونس وخصوصا على الوسط الزيتوني فقامت بعدة اعتقالات للزيتونيين كان من أشهرها عمليتي اعتقال حسين الجزيري وأحمد توفيق المدني. كما قامت برصد نشاطات قدماء الطلبة الزيتونيين من أمثال الشيخ الثعالبي ومحمد الجعايبي، وأماكن اجتماعاتهم، تلك النشاطات التي كان لها أثر في التحضير لتحركات الوطنيين التونسيين غداة الحرب العالمية الأولى.<sup>5</sup>

وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918) أوزارها جرى تجديد السعي الى بعث معالم النهضة التونسية وتطوير العمل السياسي في سبيل التحرير ولقد كان الاستعداد للعمل قويا في الطلبة الزيتونيين والفكرة الإصلاحية متخمرة فيهم يحركها ويغذيها أساتذة الزيتونة أمثال محمد الصادق النيفر والشيخ محمد مناشو ويساندهم

<sup>1</sup> - علي الزيدي: جامع الزيتونة أهم ميدان للتحركات السياسية بتونس خلال الحرب العالمية الأولى، المجلة التاريخية المغاربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، السنة الثامنة والعشرون، العدد 104، سبتمبر 2001، ص376.

<sup>2</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج1، صص85-105.

<sup>3</sup> - علي الزيدي، جامع الزيتونة أهم ميدان، المرجع السابق، ص376.

<sup>4</sup> - علي الزيدي: الزيتونة ودورها في حركة التحرير الوطنية التونسية، مجلة الحوار المتوسطي، العدد (15-16)، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2017، ص143.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص144.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الشباب المتطلع للتغيير من أبناء الزيتونة، برز منهم أحمد توفيق المدني ومحي الدين القلبي وزين العابدين السنوسي والطاهر الحداد وغيرهم<sup>1</sup>.

ومن المشائخ الزيتونيين من فضل مغادرة الوطن والاقامة في عاصمة الخلافة العثمانية بغية المساهمة في الاحتجاج ضد انتصاب الحماية الفرنسية أمثال الشيخ صالح الشريف والشيخ اسماعيل الصفايحي. وفيما بين الحربين العالميتين أخذت روح المقاومة الزيتونية وجها اجتماعيا تمثل في حث الأهالي على التخلق بالأخلاق الاسلامية وترك الجلوس في المقاهي والاقلاع عن الملاهي وكان من بين شيوخ الزيتونة من يقوم بهاته الحملات في المدن والقرى.<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: نشاط طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة الوطنية التونسية 1920 - 1945

ما لبث نشاط الطلبة والعلماء الزيتونيين يتطور أكثر فأكثر وذلك بخروجه من باحة الجامع الأعظم الى تأطير العمل السياسي والتحرري في جمعيات وأحزاب سياسية والتصدي للمشاريع الاستعمارية خلال هاته الفترة بشكل مباشر ومنظم، حيث عرفت الحركة الوطنية التونسية في فترة العشرينات عدة أحزاب سياسية منها الحزب الحر الدستوري التونسي الذي تأسس سنة 1920 وكان سياسيا اصلاحيا اجتماعيا،<sup>3</sup> وبناءا عليه نعتبر أن الحزب الحر الدستوري التونسي حزبا سلفيا اسلاميا ووحيدويا عربيا اسلاميا داعيا ومجاهدا ومصرا على أن تبقى تونس مرتبطة بحضورها وبأشقائها العرب والمسلمين وبناء دولة ترفع راية الاسلام<sup>4</sup>، حيث ركز الحزب الحر الدستوري التونسي على الشعور الديني والانتماء الى مجتمع اسلامي وحافظ على توجهه الوطني المتصلب<sup>5</sup>.

ان عبد العزيز الثعالبي بالاضافة الى كونه زعيم حركة سياسية كان من أركان الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي والاصلاح الفكري والديني الذي قامت عليه حركة الاصلاح والحركة الوطنية التونسية.<sup>6</sup> لقد كان جل شيوخ وتلامذة الزيتونة دستوريين حتى أن سلطة الحماية اعتبرته معقلا للوطنية وكان له الأثر البالغ في صقل الشعور الوطني وكان شأنه مع الحزب الحر الدستوري التونسي شأن جامع الأزهر مع الحزب الوطني.<sup>7</sup>

### 1- تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920

إن فكرة تأسيس الحزب لم تنشأ دفعة واحدة بل نضجت خلال سنوات الحرب العالمية الأولى حيث تواصلت النقاشات حول الأحداث الجارية التي تم الحرب وخصوصا حول تصريحات رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "ولسون" وكانت النوادي العديدة مثل: نادي غرناطة بباب منارة، ونادي باب بنات واللقاءات بالمجلات والبيوت الخاصة مثل منزل

<sup>1</sup> - عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في تونس والجزائر 1899 - 1883، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جماعة منتوري قسنطينة، 2006/2007، ص75.

<sup>2</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص138.

<sup>3</sup> - يوسف مناصرية، الصراع الايديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1936، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 2006، ص7.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص11.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص23.

<sup>6</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص55.

<sup>7</sup> - مناصرية يوسف: دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دار هومة، الجزائر، 2013، ص113.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الشيخ المختار كاهية<sup>1</sup> بتونس وحمودة المنستيري بالمرسى وغيرها، هي الأماكن التي تمخضت فيها النقاشات حول أوضاع الحرب والأوضاع السياسية العامة والتي خلالها تمحورت شيئا فشيئا فكرة طلب الاستقلال عند الشيخ عبد العزيز الثعالبي ومناصريه.<sup>2</sup> وبعد مشاورات مكثفة أنجز مشروع القانون الأساسي وأرسله فرحات بن عباد الى الشيخ عبد العزيز الثعالبي للاطلاع عليه ومراجعته وابداء رأيه وفعلا أدخل عليه الثعالبي تعديلا جذريا وأرسله الى فرحات بن عباد ليعتمده كقانون أساسي.

لقد تأسس الحزب رسميا تحت اسم (الحزب الحر الدستوري التونسي)، يوم 14 مارس 1920، ولم يعلن عنه جهارا، الا يوم انعقاد مؤتمره الثاني بتونس في 3 جوان 1920 بمنزل الشيخ حمودة المنستيري بالمرسى حيث تقرر الاعلان عنه حالا، وأخذ من مدينة تونس مقرا له وأعترف به رسميا إثر استقبال الباي محمد الناصر للوفد الدستوري يوم 18 جوان 1920 أيضا، وموافقته على مبادئه.<sup>3</sup>

ومع تأسيسه سعى قادة الحزب ومناضليه الى شرح مقصودهم فصرح محي الدين القليبي قائلا: "ان فكرة الدستور ليست ضد فرنسا ولا ضد مصالحها أو مشاريعها التمدينية، وانما ضد مصالح المستبدين بالنفوذ في هذه البلاد الذين يريدون أن يكونوا ملوكها المطلقين وحكامها الجبارين، فهم يرون في فكرة الدستور خطرا على استبدادهم وما تعودوه من ظلم وجور".<sup>4</sup>

ولعل هاته التصريحات من المواربة والتورية تشبه تصريحات الاصلاحيين في الجزائر عندما أسسوا جمعية العلماء وذلك كي لا يصطدموا بالمستعمر الفرنسي في بداية مشوارهم السياسي ويفوتوا الفرصة على المتربصين بهم. وبناء على القانون الأساسي للحزب الحر الدستوري التونسي أجمع الحاضرون على منح رئاسة الحزب للشيخ عبد العزيز الثعالبي غيايبا ووقع انتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية الأولى وأختير المحامي أحمد الصافي أمينا عاما للحزب والمحامي صالح فرحات أمينا عاما مساعدا والشيخ حمودة المنستيري أمينا للمال ومحمد الصالح ختاش أمينا مساعدا للمال والسادة الأعضاء المنصف المنستيري والطيب جميل ومحي الدين القليبي وأحمد توفيق المدني وعلي كاهية والشاذلي خزندار.<sup>5</sup> وقد انعقد المؤتمر الثالث للحزب في 21 ماي 1921 بدار الشيخ المختار كاهية اثر خروج الشيخ الثعالبي من السجن وتقرر تسليمه ادارة الحزب واطلع على مطالبه التي أصبحت تسعة بعد ما زادها الوفد الدستوري الثاني الى باريس

<sup>1</sup> المختار كاهية: ولد سنة 1857 بتونس من عائلة تركية الأصل وقد تحصل على تكوين تقليدي محدود انتمى لحركة الشباب التونسي وساهم في دعمها ماديا وسياسيا وكان متحمسا لفكرة الجامعة الاسلامية وكان له ضلوع كبير في أحداث الزلاج ومقاطعة الترامواي وساهم في تأطير المظاهرات حينها تم ايقافه وابداعه السجن في 13 مارس 1912. أنظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص40.

<sup>2</sup> محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص24.

<sup>3</sup> مناصرية يوسف، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص62.

<sup>4</sup> محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص29، نقلا عن جريدة مرشد الأمة، 16 أوت 1925، ص2.

<sup>5</sup> يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص66.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

مطلب التعليم الاجباري<sup>1</sup>، علما أن أهم المطالب الثمانية التي تقدم بها الدستوريون هي "المطالبة بالدستور، وبرلمان اتفاقي نيابي وحكومة مسؤولة أمامه".<sup>2</sup>

ثم كان أعضاء الحزب على ميعاد يوم 29 ماي 1921 بدار الشيخ حمودة المنستيري تحت رئاسة الشيخ الثعالبي وأعيد انتخاب اللجنة التنفيذية فبقيت أمانة الحزب العامة في يد المحامي أحمد الصافي وأختير أحمد توفيق المدني أمينا عاما مساعدا للقلم العربي والطيب جميل أمينا عاما مساعدا للقلم الفرنسي والشيخ حمودة المنستيري أمينا للمال والمحامي الاسرائيلي ألبير بسيس أمينا للمال بالنيابة، ولكنه لم يحضر اطلاقا كما أختير الأستاذان المنوي درغوث والطيب رضوان مستشارين للمالية، أما السادة الأعضاء فهم: عبد العزيز الثعالبي وهو في نفس الوقت رئيس الحزب، وصالح بن يحي<sup>3</sup> ومحمد الرياحي وعلي كاهية وايلي جريح والمحامي ألبير وزان وهما اسراييليان ولم يحضروا اجتماعات الحزب اطلاقا<sup>4</sup>، كما انتخب المؤتمر لجنة تشريعية للحزب برئاسة الثعالبي وعضوية أحمد الصافي وغيرهم، ثم تشكلت لجنة لنشر الدعوة الدستورية من بين أعضاء الحزب البارزين كالثعالبي والصادق النيفر ووقع تشكيل اللجنة المالية تحت رعاية السيد حمودة المنستيري ومحمد الصالح ختاش.<sup>5</sup>

### 2- مبادئ الحزب

ان الحزب الدستوري قام سنة 1920 على مبادئ ومطالب تقضي بانقاذ تونس من نير العبودية وانهاء هذا الوضع على الشعب التونسي ومن أجل تكريس حقه في التحرر مثلما هي كل الشعوب الحرة والمطالبة بنظام دستوري وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب باعتبار أن تونس كان لها دستورا معلنا منذ سنة 1861م فطالبوا بعودة العمل به وهو سر اختيار الحزب للتسمية بالدستور، واعتمد كذلك على اتفاقية "باردو" ماي 1881 التي نصت على الحماية وأقرت بأن يسير التونسيون بلدهم بمعونة فرنسا لا بانفرادها في التسيير وفرض نظام على المملكة لا يخدم الا مصالح فرنسا والفرنسيين.<sup>6</sup>

وتقوم ايدولوجية الاصلاح عند زعيم الحزب عبد العزيز الثعالبي على أن مصدر التشريع الملائم للبلاد العربية هو تراثها العربي الاسلامي وأن العرب أمة واحدة لا بد أن تتوحد فدعا للوحدة والدين والتوعية الصحيحة القائمة على الاتصال المباشر والمستند للجماهير الشعبية.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص66.

<sup>2</sup> - محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص28.

<sup>3</sup> - الشيخ صالح بن يحي: من أصل جزائري من واحات الجزائر، ساهم الى جانب اخوانه من الجزائر كالشيخ ابراهيم أطفيش و ابراهيم بن الحاج عيسى وأبو اليقظان في تدعيم الحزب الحر الدستوري التونسي، واعتبروه حزبه وجاهدوا الى جانب الشيخ الثعالبي بالمال والكلمة المقروءة والمسموعة ونشروا اسمه في الجزائر شرقها وغربها، فشدت عليهم سلطة الحماية الخناق وشتتهم بين الجزائر والقاهرة، وفيهم من سجنته. أنظر: يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، صص66-67.

<sup>4</sup> - يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص67.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص67.

<sup>6</sup> - محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص31.

<sup>7</sup> - الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص55.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وقد احتوى مشروع الحزب على ثلاثة عشرة فصل ضبطت فيها المبادئ التالية "الدستور التونسي، الحكومة، المجلس المالي التونسي، المجالس المحلية لمراكز الأعمال ولادارة الحزب، صحافة الحزب، معلوم الاشتراك في الحزب، موارد الحزب، القسم أو تأدية اليمين، قبول الداخلين في الحزب والفصل الأخير خصص للأحكام العامة".<sup>1</sup>

وانطلاقاً من هذا بدا جلياً أن الحزب الدستوري كان شديد التعلق بأفكار المصلحين في القرن التاسع عشر ميلادي وعلى رأسهم الوزير خير الدين مع اظهار من خلال وسائل وأساليب عمله ومطالبه تشبهاً باللغة العربية والدين الاسلامي كمقومات ثابتة.<sup>2</sup>

وهكذا كانت الأفكار الدستورية والإصلاحية حجر الزاوية في ايدولوجية الحزب وكان النهج الاصلاحى أساس الفكر بالنسبة للحزب، كما أن الحرص على الحصول على دستور أو مجلس تفاوضي كان ثابتاً لم يجد عنه الحزب، مما جعله أول مطالبه التي تقدم بها لسلطات الحماية وللباي وما انفك يؤكد عليها ويذكرها في كل مناسبة.

ولا عجب أن ينهل الجيل الأول للحزب من ذلك النبع الاصلاحى لأن أغلبهم كانوا من الزيتونيين ولذا كانت أداة الكفاح لديهم تقوية الرابطة الاسلامية واحياء الهوية، وكان الرعيل الأول متأثراً بأراء الشيخين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ومؤمناً بضرورة تطويع المجتمع وتغيير العقليات من أجل تحقيق تضامن بين تونس وجيرانها مشرقاً ومغرباً.<sup>3</sup>

### 3- الشخصيات الزيتونية الاصلاحية المشاركة في قيادة الحزب الدستوري

أ- الشيخ عبد العزيز الثعالبي فهو يعد من المفكرين البارزين في ميدان الاصلاح الاجتماعى والثقافى والسياسى والدينى فقد ولد في تونس سنة 1876 ونشأ وتعلم في كنف جده عبد الرحمان الثعالبي القاضى المجاهد الجزائرى الذى هاجر الى تونس فورث عنه أخلاقه العالية ومبادئه السامية، فحفظ القرآن الكريم بكتاب "حومة الأندلس" ودرس النحو والعقائد والأدب ودخل مدرسة باب سويقة الابتدائية ثم التحق بجامعة الزيتونة فلقى فيه سبع سنوات وتخرج سنة 1896م حاملاً شهادة التطويع وأخذ يتردد على المدرسة الخلدونية متبعاً الدراسات العليا وبعدها أخذ الثعالبي يكتب في الصحف المحلية داعياً الى الاستقلال والحرية.<sup>4</sup>

ولقد ظهر على الثعالبي توجهه الوطنى الاسلامى الوجدوى منذ بداياته حيث كتب في افتتاحية جريدة "سبيل الرشاد" بتاريخ 1895/12/16 "وأرى في كل الخدمات وجوب تقوية الصلات بين أمتنا الاسلامية...".<sup>5</sup>

تم تطور هذا التوجه لديه من خلال رحلاته واتصالاته بالمشرق والمغرب ويتضح هذا التوجه أكثر من خلال مقالاته التي أصدرها في صحف "الرابطة العربية"<sup>6</sup> والارادة وغيرها.<sup>1</sup>

1- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص32.

2- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص251.

3- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص34.

4- المرجع نفسه، ص44.

5- المرجع نفسه، ص45.

6- الرابطة العربية: هي مجلة صدرت في مصر لصاحبها أمين سعيد (1892-1967) وهي من سوريا صدر أول عدد منها في ماي 1936، وكتب الثعالبي العديد من المقالات على صفحاتها، حتى أن صاحبها ورئيس تحريرها يقر يوم 17 جوان 1937 مخاطباً الثعالبي بفضله في انشاء المجلة بقوله "... فقد شجعتني على اصدارها وكفلتها وكنت لنا نعم العون ونعم النصير...". أنظر: محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص45.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وحين وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بدا أن الثعالي قد أصبح لديه تصور واضح لما يجب أن تكون عليه الحركة السياسية في تونس أمام تبدد الوعود الفرنسية بالمساواة فسافر الى باريس بعد أن تناهى إليه أن الرئيس الأمريكي "ويلسون" سيحضر مؤتمر الصلح، وقدم هناك المطالب التونسية وتتلخص أهمها في "منح التونسيين حق التصويت وحق المساهمة في ادارة البلاد، وصون الحريات".

- وتمثل نشاطه في باريس من أجل القضية التونسية في القيام بحملة ضد الحكومة وأجهزتها الادارية... واعداد مذكرة سلمها الى المقيم العام الذي كان موجودا في باريس... طالب فيها بالحاح رفع اجراءات الحجر المفروضة على الصحافة التونسية، وقد أثمر سعيه هذا فألغت فرنسا قرار تعطيل الصحف في مارس 1920، كما تمثل نشاطه السياسي في الاتصال بالرئيس الأمريكي "ويلسون".<sup>2</sup>

- أما الأثر البارز لنشاطه في باريس فهو ما نشره حول معارضة تونس في الحصول على قرض مالي واصدار كتاب تونس الشهيدة الذي عبر أوضح تعبير عن المطالب التونسية ويعتبر أهم حلقة في سلسلة الأعمال الوطنية التي أوفده التونسيون من أجلها لدى الرجال المنصفين في دول العالم.<sup>3</sup>

وعلى اثر ذلك تم سجنه من قبل السلطات الفرنسية ولم يطلق سراحه الا بعد تسعة أشهر، ليشرف بعدها عن كتب على توجيه الحياة السياسية والفكرية على المنهج الذي يدين به ويدعو اليه.<sup>4</sup>

- واستأنف نشاطه في رئاسة الحزب الدستوري، وبدأ الرأي العام يستجيب لدعوته وأصبح له فروع في المدن والقرى الأمر الذي دفع السلطات الاستعمارية الى القاء القبض على الثعالي... وبعض أقطاب حزبه<sup>5</sup>، وسجنهم بالسجن العسكري بتونس، بعد أن توجهت لهم تهمة التآمر على أمن الدولة.<sup>6</sup>

- لكن فرنسا اتجهت وجهة مغايرة حيث نجحت في تصديع الحركة الوطنية عن طريق استمالة الباي محمد الحبيب، الذي كان قبل اعتلاء العرش مؤيدا للمطالب الوطنية وصديقا وفيما للأستاذ الثعالي، ائتمنه على شؤونه المالية فلما اعتلى العرش جعل هواه مع الفرنسيين ولم يدع وسيلة من وسائل القهر والاضطهاد الا أخذ بها.<sup>7</sup>

واستجاب للرغبة الفرنسية بتطبيق ما أصطلح عليه باصلاحات 13 جويلية 1923 وعن طريق اقناع حسن قلائي بتأسيس الحزب الاصلاحية وعندها لم تجد الحكومة ضيرا من الافراج عن الثعالي وابعاده.<sup>8</sup>

ومن هنا لقيت فكرة الابعاد لديه مخرجا حين فاتحه فيها بأمر من السلطة محمد الأصرم<sup>1</sup> فودع من بقي معه من أفراد الحزب بخطاب مؤثر وغادر تونس تاركا من أثاره الوطنية ما يصلح أن يكون غذاء لروح الحركة التونسية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 45.

<sup>2</sup> - مسعودة مسعود بواخضرة، المرجع السابق، ص 46-47.

<sup>3</sup> - عبد العزيز الثعالي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص 351.

<sup>4</sup> - مسعودة مسعود بواخضرة، المرجع السابق، ص 48.

<sup>5</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 61.

<sup>6</sup> - مسعودة مسعود بواخضرة، المرجع السابق، ص 49.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص 50.

<sup>8</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 49.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

-وبعد رجوعه من غربته في المشرق سنة 1937 حاول رآب الصدع بين الشقين المتصارعين الدستوري القديم والجديد، لكن الاعصار لم ينته لصالح الوجة التي يمثلها، مما أدى الى أن ينزوي في بيته ويتفرغ للتأليف والتحدث في المسائل العامة والعلمية الى أن وافته المنية في غرة أكتوبر 1944.<sup>3</sup>

### ب- محي الدين القلبي

وبعد خروج الثعالي الى المشرق سنة 1923م صار على رأس الحزب محي الدين القلبي المولود سنة 1901م والمنحدر من أسرة عريقة من بلدة قليبية استقرت بالعاصمة تونس في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، أبوه هو محمد بن عبد القادر، ولما بلغ محي الدين الخامسة من العمر أرسله والده الى الكتاب حيث حفظ القرآن الكريم وبعض متون اللغة العربية والفقهاء ثم انخرط في سلك طلبة جامع الزيتونة فحصل من تلك المنارة على علوم الدين واللغة من خلال حضوره الدروس لكنه انقطع عن الدراسة به سنة 1921م.<sup>4</sup>

وبفضل مطالعته المتنوعة تكونت له ثقافة واسعة وملكة في الكتابة، لذلك نجد أنه بدأ نضاله الوطني بكتابة العديد من المقالات المتنوعة في الصحف الوطنية مما فسح له المجال في التعرف على عدد من المناضلين الآخرين وأهله الى الانضمام الى صفوفهم لتنظيم العمل الحزبي وانصبت مقالاته التي كان يوقعها أحيانا بأسماء مستعارة (دستوري، وطني، مسلم، مؤمن) حول سياسة الاستعمار وخصوم الحزب الدستوري خاصة بعد أن أصبح عضوا فاعلا في الحزب حيث أنتخب في عضوية اللجنة التنفيذية وأوكلت له مهمة الحضور بنادي الحزب لاستقبال المواطنين وتقبل رسائل الشعب والرد عليها في 22 أكتوبر 1922.

وانطلق محي الدين القلبي هو واخوانه الدستوريون عاملين على تغذية الروح الوطنية وتوجيه الشعب نحو المطالبة بالاصلاح السياسي، كاقامة مجلس تشريعي ومحاربة التجنس والاندماج والاصلاح الثقافي كالتحريض على بناء المدارس الحرة باللغة العربية والاصلاح القضائي والديني كالدفاع على القضاء الاسلامي ومحاربة المسخ الحضاري والاصلاح الاقتصادي كتشجيع المصنوعات الوطنية والاقبال على الحرف التقليدية والزراعية والاصلاح الاجتماعي كالمحافظة على القيم الخلقية والدينية وعدم تقليد الأوروبيين في تعاطي المحرمات كالخمر والربا وغير ذلك.<sup>5</sup>

وقد جلب نشاطه تتبعات سلطات الحماية فبعد نشره مقالا بعنوان "على حسابنا، أو مظاهر العنف في سياسة الحكومة" بجريدة "العصر الجديد"<sup>6</sup> في 16 فيفري 1924 واتهمها بسياسة التفرقة ووكالة التهم لعناصر الحركة الوطنية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - محمد الأصرم: 1858-1925م، ينحدر من أسرة فيروانية عريقة، درس بالصادقية وجامع الزيتونة، أكمل تعليمه بباريس ومن ثم عاد الى تونس، درس بالخلدونية كأستاذ محاضر، شارك في تأسيس جريدة "التونسي" وحرر بها. أنظر: الصادق الزملي، المرجع السابق، ص177.

<sup>2</sup> - مسعودة مسعود بوالخضرة: المرجع السابق، ص50.

<sup>3</sup> - مسعودة مسعود بوالخضرة: المرجع السابق، صص52-53.

<sup>4</sup> - محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص46.

<sup>5</sup> - يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص79.

<sup>6</sup> - جريدة العصر الجديد: صدرت هذه الجريدة بمدينة صفاقس سنة 1920 لصاحبها أحمد حسين المهيري وبسبب مواقفها عطلتها الادارة الاستعمارية سنة 1924م وذلك بسبب صدور عدد يوم 16 فيفري 1924 خاصة وأن افتتاحية العدد كتبها محي الدين القلبي تحت عنوان "على حسابنا، مظاهر العنف في سياسة الحكومة" فصدر إثرها قرار بايقافها يوم 22 فيفري 1924 وأحالت كل من محررها معلى ومحرر الافتتاحية القلبي ومديرها المهدي على المحكمة ثم

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وقد كانت سلطات الحماية تعتبر محي الدين القليبي من أخطر عناصر الدستور على الحكومة وسلطات الحماية ووجهت له تهمة تحريض الصناع والتجار على العداء لفرنسا وذلك من خلال جمع صفوفهم وتأسيس جمعيات مهنية خاصة بالحرفيين وتحويله لمقر الحزب بنهج الجبل الى مكان للاجتماعات غير المرخص بها والتي يحضرها الكثيرون والذين يصل عددهم أحيانا حتى 500 دستوري للتنديد بالاستعمار ورفع شعارات من أجل الحرية والاستقلال.

كما يسجل للقليبي أنه وقف الى جانب عدد من الدستوريين في وجه التمسح واستغل انعقاد المؤتمر الأفخاريسي بتونس في ماي 1930 ليشن حملة كبيرة حول هذه القضية وأصدر في ذلك كتيباً خاصاً عالج فيه مسألة النشاط التبشيري ومحاضر المؤتمر المذكور وأبعاده.<sup>2</sup>

### ج- المنصف المنستيري

ومن بين قيادات الحزب الزيتونيين المنصف المنستيري المولود بتونس سنة 1901 وهو من عائلة ذات امكانيات مادية كبيرة فكان يتمتع بمدخيل جد محترمة فبعد المدرسة الابتدائية التحق بجامعة الزيتونة واشتغل بالعمل الصحفي اذ مكنته امكانياته المادية من امتلاك مطبعة.

واستهل المنصف المنستيري عمله بالكتابة في جريدة "الصواب"، كما أنه كتب على صفحات جرائد "الأمة" و"الاتحاد" و"المشير" و"لسان الشعب" وغيرها من الصحف التونسية وراسل عدة صحف مشرقية مثل السياسة وكوكب الشرق والأهرام وكان من المساهمين بجهده وماله مثل أبيه حمودة المنستيري في دفع حركة الحزب الدستوري<sup>3</sup>. وقد ساهم من خلال سعيه لدعم صف الحزب بالطاقات التونسية القادرة على البذل والعطاء.

ويتحدث أحمد توفيق المدني على أن المنصف المنستيري هو الذي دعاه للانضمام للحزب والانخراط في صفوفه والمساهمة في النشاط لكونه صديقه من جهة، ولأنه كان الواسطة عندما تمت دعوته من طرف والد المنصف الذي دعاه بعد اللقاء بينهما للانضمام للجنة التنفيذية للحزب.<sup>4</sup>

### د- شخصيات أخرى

ويضاف للشخصيات السابقة ذكرها محمد الصالح ختاش المنحدر من عائلة ثرية تمتلك أراضي شاسعة وقد زاول تعلمه بالزيتونة وكان من أبرز أعضاء اللجنة المالية ولم ييخل على الحزب بأمواله ومجهوداته وساهم في مختلف النشاطات التي كان يقيمها الحزب.<sup>5</sup>

---

عاودت الصدور من جديد سنة 1936 ولكنها سرعان ما احتجبت. أنظر: محمد الصالح الجابري: الأدب الجزائري في تونس (1900-1962)، ج1، بيت الحكمة، تونس، 1990، ص92.

1- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص48.

2- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص49-50.

3- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج1، ص175.

4- المصدر نفسه، ص176.

5- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص55.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

أما الطيب بن مصطفى رضوان فهو عضو قديم في الحزب الدستوري ولد بتونس سنة 1869م من عائلة تركية من مدينة سوسة أباه هو مصطفى الذي كان رئيسا لقسم الانشاء بإدارة المال والمدرس الصلب، وبعد أن أكمل الطيب تعليمه بمسقط رأسه توجه الى تونس العاصمة حيث درس بالمدرسة الصادقية ثم بجامع الزيتونة وكان من كبار المزارعين.<sup>1</sup> وقد كان يقدم اعانات للطلبة المعوزين لمواصلة دراستهم سواء في الصادقية أو الزيتونة وكان عضوا بارزا في جمعية قدمائها وساهم في صندوق "الجمعية الخيرية الاسلامية" وانضم الى هيئتها المديرية فبذل قصارى جهده لتوسيع نطاق الاعانات التي تقدمها لجميع المعوزين لتمكينهم من مواصلة الدراسة بالخارج<sup>2</sup>، ولقد اشتغل الطيب رضوان بالسياسة فكان من المؤيدين من أول وهلة للحزب الحر الدستوري التونسي وكان يدعمه بروحه وماله وفي سبيل قضية بلاده وشارك في وفد الأربعين الذي أبدى تضامنه مع الملك محمد الناصر باي حينما دخل في نزاع حاد.

إذا فالدارسون بالزيتونة كانوا حريصين على توطيد الصلة بالقيم والمبادئ التي تحافظ على الشخصية ومقوماتها والهوية التونسية وارتباطها بالفضاء العربي الاسلامي الذي يعد الامتداد الطبيعي للشعب التونسي<sup>3</sup>. ونلاحظ أن قادة الحزب الحر الدستوري التونسي من التأسيس حتى مؤتمر قصر هلال 1934 قد تأثروا بالأفكار الإصلاحية التي سبقتهم كخير الدين باشا ومحمد الخامس بيرم، يضاف اليها شخصية أخرى ساهمت في الحركة الإصلاحية بتونس وهو محمود بن محمد قابادو.<sup>4</sup>

وعيله فالزيتونيون الاصلاحيون من علماء وطلبة كانوا العصب الرئيسي للحزب الحر الدستوري التونسي وعضدوه بمالهم وجهدهم وقيادتهم وكانوا القوة الضاربة داخل الحزب، وعليه فأغلب مواقف الحزب السياسية في تلك الفترة كانت تعبر بشكل أو بآخر عن مواقف الزيتونيين ان لم نقل أنها كانت متطابقة وهذا على الأقل لغاية ظهور التيار الجديد الذي شكل الجناح الثاني للحزب وتغيرت مواقف ووجهات النظر لدى الطرفين ورغم ذلك فان الزيتونيين من علماء وطلبة كانت لهم مواقفهم وكلمتهم في مسيرة النضال في الحركة الوطنية التونسية.

### المطلب الثالث: النشاط السياسي للزيتونيين من خلال الحزب الحر الدستوري 1920 - 1945

وقد تمثل هذا النشاط السياسي للزيتونيين باعتبار أن الحزب الحر الدستوري التونسي ممثلا لهم في عدة مواقف وقضايا وطنية أبرزها:

- أثناء تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي شارك المدرسون الزيتونيون بواسطة الصادق النيفر في الوفد الذي كلف بتقديم المطالب للباي محمد الناصر والمقيم العام الفرنسي يوم 18 جوان 1920 والجدير بالذكر أن الزيتونيين قد شاركوا مشاركة فعالة في وفد "الأربعين" الذي ترأسه الشيخ الصادق النيفر<sup>5</sup> ودخلت الادارة الاستعمارية في أعمال القمع والانتقام فأوقفت عن وظائفهم الموظفين الذين شاركوا في الوفد المتقدم بين يدي الملك وكان من بينهم الأستاذان محمد

<sup>1</sup> - الصادق الزمري، المرجع السابق، ص 290.

<sup>2</sup> - الصادق الزمري، المرجع السابق، ص 292-293.

<sup>3</sup> - محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 58.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 60.

<sup>5</sup> - حفيظ الطباي، المرجع السابق، ص 440.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الصادق النيفر وعثمان ابن الخوجة ولما انتهت مدة الايقاف وعاد الشيخان الى الجامعة أقيم لهما مهرجان اقتبال عظيم خطب فيه الطلبة وأنشد الشعراء فكان ذلك تقدما جريئا في طريق الثبات على الكفاح.<sup>1</sup>

- توجيه الثعالي لعدة رسائل شارحا فيها أن فرنسا في تونس تمنع الكتابة والكلام وحتى التفكير والاجتماع وكانت هذه الرسائل موجهة الى كل من مؤتمر مناهضة الاستعمار في بروكسيل والأمين العام للجنة مناهضة الاستعمار ببرلين.<sup>2</sup>

- تأسيس لجنة الخلافة سنة 1922 حيث تكونت قبيل سقوط الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية التركية العلمانية، وكان من أهم مؤسسيها أحمد توفيق المدني ومحي الدين القليبي وعثمان الكعك<sup>3</sup> وآخرون وترأسهم المدني.<sup>4</sup>

- ولما ألغيت الخلافة في شهر مارس سنة 1924 من طرف مصطفى كمال أتاتورك<sup>5</sup> ونفي الخليفة عبد المجيد الثاني<sup>6</sup> الى سويسرا حيث سجلت اللجنة موقفها وقامت بارسال برقيات الاحتجاج الى الكمالين ممثلي الدولة التركية<sup>7</sup>، وصعق المسلمون بتونس لذلك وأنكروه كما صعق له وأنكر العالم الاسلامي كله وتمسكوا ببينة الخليفة عبد المجيد الثاني واستمر الأئمة في الجوامع يخاطبون باسمه وهو مبعود في سويسرا وكاتبوه بالتأييد ثم انعقد سنة 1926م مؤتمر الخلافة بالقاهرة وشارك فيه الشيخ عبد العزيز الثعالي ومحمد الصالحى من كبار المحامين في تونس فلم يسفر على نتيجة.<sup>8</sup>

- تأسيس جامعة عموم العمالة التونسية سنة 1924، حيث عرفت البلاد التونسية الحركة النقابية بشكل أو بآخر منذ بداية القرن العشرين وتأسست أول نقابة قومية تونسية في صيف 1924 بقيادة محمد الحامي،<sup>9</sup> وانخرط فيها أحمد توفيق المدني، والطاهر حداد وغيرهم<sup>10</sup>، وكان المدني عضوا بارزا في اللجنة التي انعقدت في 1 نوفمبر 1924 حيث تولى الكتابة والترجمة لهذا الاجتماع التاريخي كما حضر أيضا جلسة 22 فيفري 1925.<sup>11</sup>

1- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص121.

2- حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص310.

3- عثمان الكعك 1903-1978م، ولد بتونس مؤرخ أكاديمي ألف عدة كتب منها تاريخ الجزائر. أنظر: السعيد أبو زيان: عثمان الكعك الرجل والفكر، سلسلة ذاكرة وإبداع المركز الوطني للاتصال الثقافي، تونس، 2009.

4- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص79.

5- مصطفى كمال أتاتورك 1880-1938م، مؤسس تركيا الحديثة ولد بمدينة سالونيك التحق بالكلية الحربية بالأستانة اشترك ضابطا في ثورة 1908 ضد السلطان عبد الحميد الثاني أوقف العمل بالخلافة ثم أطاح بها نهائيا في مارس 1924 وأعلن عن ميلاد الجمهورية التركية الحديثة، أنظر: سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص83.

6- الخليفة عبد المجيد الثاني بن عبد العزيز الأول 1868-1944م، كان الخليفة الأخير تولى الخلافة في 19 نوفمبر 1922 الى غاية 03 مارس 1924 حيث تم خلع وطرده مع بقية عائلته من تركيا. أنظر: علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2007، ط1، ص419.

7- عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص79.

8- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، صص126-127.

9- محمد الحامي 1893-1928م، درس العربية بقابس وتونس وارتقى في مراحل حياته من عامل بسيط الى أن وصل الى قيادة العمل النقابي فحبسته فرنسا ونفته واستقر به المقام في الحجار الى أن توفي في حادث مرور في جدة في 10 ماي 1928م. أنظر: يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، صص174-175.

10- علال الفاسي، المصدر السابق، ص75.

11- احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج1، صص285-292.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

ويقول أحمد توفيق المدني في مذكراته كلاما ينم عن نظرة الحزب الدستوري لهاته المنظمة النقابية وكيف حاول التأثير عليها بطريقة غير مباشرة " وكنت حريصا أكثر الحرص على أن لا تصطبغ حركة العمال بلون سياسي معين، يساندها الجميع، بينما تسير سيرها الموفق نحو تحقيق آمال العمال، وتحقيق آمال الوطن، وتلك في الحقيقة كانت مهمة جد خطيرة لأن المزالق فيها كثيرة والمسالك فيها وعرة".<sup>1</sup> ويؤكد هذا الكلام أيضا الدكتور يوسف مناصرية اذ يقول "ويعود موقف الحزب الدستوري من جمعية عموم العملة التونسيين واعتبارها منظمة اقتصادية واخفاء علاقته بها الى سببين رئيسيين الأول هو أنه كان يريد تقديم مطالب الى الرئيس هيريو<sup>2</sup> ويأمل قبولها والثاني هو أن هيريو نفسه كان قد صرح في ديسمبر 1924 أن حركة محمد علي الحامي تهدد الوجود الفرنسي في شمال افريقيا ودعم رأيه مجموعة من القادة والمسؤولين منهم المقيم العام لوسيان سان الذين اعتزموا الاطاحة (بجمعية عموم العملة التونسيين) واتهموا قادتهم بالتواطؤ مع الشيوعيين والتأمر على أمن الدولة، وادعوا أن محمد علي الحامي كان صنيعا الدعاية التركية والألمانية..."<sup>3</sup>

وبالتالي فالدستوريون والقادة الزيتونيون كانوا يريدون التأثير على الحركة النقابية وتوجيهها كسند ورافد مؤيد للمطالب الدستورية بطريقة غير مباشرة ودون التسبب في رد فعل الحماية لتعطيل تلك التحركات التي كان يخطط لها الحزب الدستوري.

- وفي سنة 1925 نصبت الحماية في تونس تمثالا للكاڤيتال لافيحري أخذ الصليب بيده اليمنى والانجيل بيده اليسرى، فهاج التونسيون من أجل ذلك ونظم زعماء الدستوري مظاهرة كبرى أدت الى تضارب قوي بين المتظاهرين والفرنسيين في باب بجر وأبعد فيها بعض علماء الزيتونة ونفي بجهات مختلفة كالشيخ العربي القروي من علماء الزيتونة.<sup>4</sup>

- الاحتفالات الخمسينية بتونس سنة 1931م وعليه فان تونس قد أخذت العبرة من الجزائر فجندت الصحافة الرأي العام ضد هذا الحدث واعتبرته في صالح المعمرين بالوطن التونسي.<sup>5</sup>

- المؤتمر الأفخارستي سنة 1930م حيث قررت الكنيسة بدعم من سلطة الحماية تنظيم مؤتمر كاثوليكي بتونس لمسح الهوية الثقافية التونسية وقد نظم هذا المؤتمر بين 7 و13 ماي 1930 باشراف من السلطة الاستعمارية<sup>6</sup>، وقد فشل هذا المؤتمر في تحقيق أهدافه ويرجع الفضل الى الحملات الصحفية التي قادها المثقفون التونسيون وفي طليعتهم أبناء الزيتونة، وقد التقى الزيتونيون مع المؤتمرين وأفهموه أنه لا جدوى من محاربة الذاتية التونسية والقضاء على مقومات البلاد.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج1، ص287.

<sup>2</sup> - هيريو ادوارد، 1872-1957 ولد في ترويس، ابن ضابط عسكري انضم للحزب الراديكالي في ريعان شبابه، تقلد منصب عضو بلدية ليون ثم رئيسا ثم عضو برلمان، ما بين 1911-1919 ثم رئيس الحزب الراديكالي 1919، ثم رئيس لجنة الشؤون الخارجية بعد فوز اليسار سنة 1924. تقلد العديد من المناصب. أنظر: محمد طيبي: دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية 1900-1930، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص ص99-100.

<sup>3</sup> - يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص176.

<sup>4</sup> - علال الفاسي، المصدر السابق، ص74.

<sup>5</sup> - حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص311.

<sup>6</sup> - خولة لعرج، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1964، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2008، ص78.

<sup>7</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص222.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

### الزيتونيون وقضية التجنيس

لقد وظف الزعماء الدستوريون صدور قانون التجنيس الصادر في 20 ديسمبر 1923 لشن حملة صحفية ضد السلطات الاستعمارية وبالتالي ادخال حركية جديدة في صفوف حزهم وتجلت هذه الحملة من خلال ما كتب في الصحافة حول هذا القانون (الأمة، مرشد الأمة، جحجوح، النديم، العصر الجديد... ) مبينين أن مشروع التجنيس يمس هوية التونسي وقد تألق الطاهر الحداد في هذه الحملة مثال ذلك ما كتبه بجريدة "الأمة" بعنوان "الدين والجنسية ومسألة اليوم" في 14 أكتوبر 1923، و"التجنيس نكت للعهد" في 13 نوفمبر 1923م.<sup>1</sup>

- وعندما تجددت مسألة التجنيس مرة أخرى في فترة الثلاثينات وقد تكلمنا عنها بالتفصيل سابقا في الجانب الديني، ففي سنة 1932 التف الطلبة الزيتونيون وعلمائهم بقيادة الحزب الحر الدستوري التونسي القديم في مناهضة قانون التجنيس الذي أصدرته الحكومة الفرنسية قصد فرنسة التونسيين وساهموا مساهمة قوية في دحض وتعطيل هذا المشروع،<sup>2</sup> وفي سنة 1933 م قام الطلبة الزيتونيون باحتجاجات واضرابات بسبب مشروع فتوى التجنيس.<sup>3</sup>

- وفي أبريل 1938 م ساهم طلبة الزيتونة مساهمة مجيدة في مظاهرات ذلك اليوم وأستشهد عدد كبير منهم برصاص القوات الاستعمارية.<sup>4</sup>

ويرجع السبب لهاته الأحداث كما ذكرها محمد الفاضل بن عاشور أنه الحكم الاستعماري تضايق تضايقا شديدا. من هذا التعاضم والانتشار الوطني فبدأ يعمل على قتل الحركة السياسية بالمصادمة والعنف والارهاب، من جمادى الثانية سنة 1353هـ/ سبتمبر 1934، فلم تزد الحركة الوطنية بذلك الا اشتداد واتسعت دائرة المظاهرات والمصادمات فضيقت حرية الصحافة وعطلت صحف كثيرة منها الارادة والعمل التونسي وحلت الأحزاب فرادت حركة التمرد الشعبي شدة وغليان ونزل الطلبة الزيتونيون والصادقيون الى ميدان العمل السياسي، واتسعت دائرة النشاط السياسي خرجت عن حدود النظام الحزبي، وحاولت الحكومة الفرنسية العدول عن خطتها فقامت في ذي الحجة 1355 هـ/ فبراير 1937 بابدال المقيم العام واعلان العفو عن المبعدين واطلاق الصحف المعطلة والاعتراف بالأحزاب ولكن حزب المعمرين الفرنسيين بتونس ثار في وجه هذه التجربة، حتى قضى عليها بالخفاق فعادت الحركة الوطنية الى سبيل القطيعة والتمرد والتصميم على التضحية وعلى تحرير الوطن التونسي بأيدي التونسيين ودمائهم وانطلق الشبان من طلبة المعهد الزيتوني والصادقي يعملون منادين لتطبيق الخطة التي انعقد عليها مؤتمر الحزب الدستوري الجديد في شوال سنة 1350 هـ/ نوفمبر 1937 فدخلت بذلك الحركة في طور العصيان المدني والتصادم مع السلطة وساد الاضطراب في الطلبة وأصبحت الصادقية مركز توجيه حركات الشباب بقيادة الأستاذ علي البهلوان وتوجهت الادارة الى هذا الأستاذ بالتهديد ثم قررت فصله فأعلن الطلبة الاضراب وأغلقت الحكومة المعهد، وأضرب طلبة جامع الزيتونة تضامنا مع طلبة الصادقية وأضربت البلاد اضرابا عاما وتظاهرت الجماهير أمام دار السفارة في 08 أبريل 1938 ودعي الأستاذ البهلوان من الغد الى دار

<sup>1</sup> - خليفة الشاطر وآخرون: تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2005، ص92.

<sup>2</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص222.

<sup>3</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص143.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص143.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

المحكمة الفرنسية ليعتقل وتظاهر الطلبة أمام المحكمة فاصطدموا بأعوان الأمن اصطداما مدبرا، كون المقتلة التاريخية الكبرى مقتلة 9 أبريل 1938 التي سقط فيها من الطلبة المتظاهرين نحو المائة قتيل.<sup>1</sup>

وهكذا فاننا نجد الطلبة الزيتونيين قد ساهموا في الأحداث مع الدستوريين الجدد رغم تراجع نشاط جناحهم المتمثل في الدستوري القديم وكانوا في صدارة الطلائع المتظاهرة والنشطة في الساحة السياسية التونسية.

**وثائق أرشيفية فرنسية تثبت نشاط الزيتونيين في الحزب الحر الدستوري التونسي أثناء الحرب العالمية الثانية:**

وهكذا فان سلطات الاستعمار الفرنسي كانت تتبع تحركات الزيتونيين المنتمين للحزب الدستوري وتعد التقارير والمراسلات بخصوص تحركاتهم وأعمالهم والدليل على ذلك ما وجدناه من وثائق الأرشيف التونسي في تقرير احدى المراقبات المدنية "بقرنالية" بتونس حول الشيخ علي بن ابراهيم بن بوعثمان مؤرخ في 28 أكتوبر 1941 تؤكد أن الشيخ من العناصر النشطة في الحزب الحر الدستوري التونسي وينشط ضمن خلية الحزب بمنزل تميم مكان اقامته وقد حكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر بالتاريخ 2 سبتمبر 1938 بتهمة التحريض على الحقد العنصري وهو حاليا هادئ وقدم لنا اشهادا بعدم العمل السياسي وعدم الانتماء للحزب الدستوري، وعليه فاننا نرى أنه ضمن هذه الشروط فالمرشح غير لائق لتولي هذا المنصب (المقصود بذلك هو التدريس بجامع حمام الأغزاز) وبعد الشكوى التي رفعها الشيخ الى الوزير الأكبر في ديسمبر 1941 وبعد النظر فيها تم تحويله للتدريس لاحدى فروع الجامع الأعظم بمنزل تميم في فيفري 1942.<sup>2</sup>

حيث نجد أيضا في مراسلة مؤرخة في 3 أبريل 1941 بتونس من طرف محافظ الشرطة للدائرة الثالثة بتونس موجهة الى المحافظ المركزي للشرطة بتونس تخبرهم أنه في التاريخ أعلاه وعلى الساعة العاشرة صباحا وجد المفتش "سامو" (Sammot) العامل بالمحافظة في شارع الطرودي درب بن زينة في السكن رقم 1 كتابة بالفحم مكتوبة بالفرنسية فحوها كالنالي ( les juifs et les francais a la porte, vive la tunisie libre ) " اليهود والفرنسيون الى الباب (معناها ارحلوا)، تحيا تونس حرة " وقام المفتش "سامو" في حينها بمسح تلك العبارة.<sup>3</sup>

- وفي وثيقة أرشيفية أخرى مؤرخة بتاريخ 03 جانفي 1941 رقم T15، تتكلم عن اجتماع للشباب الدستوري بتاريخ 31 ديسمبر 1940 على الساعة 45 دقيقة مساء بمدارس السكنى العاشورية شارع عاشور في غرفة طالب زيتوني بالجامع الأعظم المدعو "خليفة الحامي" وكان الحاضرين في هذا الاجتماع هم : محمد صدوق كرمه طالب زيتوني بالجامع الأعظم، عامر بن محمد عبيد، طالب صفاقسي، وبالحسن بن بكار حناشي وآخرون حيث قرر الحاضرون في الاجتماع البحث عن أصدقائهم الدستوريين في العاصمة والاتصال بهم من أجل معلومات مهمة لاعطائها لهم.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، صص 181-182.

<sup>2</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، رصيد الفترة الاستعمارية، السلسلة D، حافظة 52، ملف 17، ملف فرعي 05، 1941-1950، ملف اداري لعلبي بن ابراهيم بن بوعثمان المدرس بجامع الأغزاز والذي كان ناشطا بالحزب الدستوري (خلية منزل تميم)، أنظر الملاحق: رقم 13، 14.

<sup>3</sup> - ARCHIVE Nationale Tunisie, mouvement nationale, carton ; 51, dossier 01, nombre de pieces 351, 1941, Notes et rapports concernant l'attenuation des agitations destoriennes pendant la guerre par les mesures d'oppression prise par la gouvernement francais, Voir annexe n°15

<sup>4</sup> - A.N.T, M.N, Carton N° 51, op.cit, Voir annexe n°16

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

- وكان العنصر الزيتوني حاضرا في انتفاضة المرازيق (1943-1944) سواء في التمويل والتسليح أو في المشاركة في العمليات الميدانية.<sup>1</sup>

وهكذا فالزيتونيون من خلال الحزبين الدستوريين كانت لهم مساهمة بارزة في العمل السياسي الا أن هذا النشاط الزيتوني كان يميل نحو التوجه الاستقلالي من خلال العمل والسعي لايجاد كيان مستقل يمثل الزيتونيين الاصلاحيين وقد كانت هناك مساعي حثيثة وتحركات في هذا المجال من خلال الجمعيات الطلابية والعمل على التأثير عليها وتوجيهها.

### المطلب الرابع: النشاط الجمعاوي الاصلاحى للزيتونيين الاصلاحيين

وقد أسس الزيتونيون منذ انشائهم "جمعية تلامذة جامع الزيتونة" أو "الجمعية الزيتونية" عام 1907م ما يصعب احصاؤه من الجمعيات، وقدموا الى الحكومة المطالب من أجل الحصول على رخص العمل العلني لهذه الجمعيات لكن السلطات الاستعمارية ظلت متمسكة بسياسة وحيدة تتمثل في العمل بمختلف السبل لعرقلة قيام جمعيات زيتونية وذلك باهمال الجواب على طلبات الترخيص مددا تصل الى أربعة سنوات أحيانا، قصد تثبيط همم كل من تسول لهم أنفسهم السعي لتأسيس جمعية من أي نوع كانت ثم بفرض الرقابة الأمنية عليهم لترهيبهم والضغط عليهم بشتى الوسائل من أجل ارهاقهم وتشتيت شملهم، قبل رفض الترخيص لجمعياتهم في النهاية ولم تهدأ بذلك الحرب التي أعلنتها السلطات الاستعمارية على العمل الجمعياتي الزيتوني الا لفترة وجيزة خلال الثلاثينات من القرن العشرين.<sup>2</sup>

- على أن المتمعن في تركيبة الساحة الدينية والمنابر الاصلاحية لا يسعه الا أن يسجل تصاعدا في نشاط العلماء الاصلاحيين بداية من الثلاثينات وطوال الأربعينات وبداية الخمسينات، وهو ما نجد له مؤشرات في الحياة الجمعياتية والساحة الثقافية، فعلى المستوى الأول برزت "جمعية الشبان المسلمين"، بعد استقلالها عن الجمعية الخلدونية جاعلة من أهدافها تثقيف الشباب وتربيته تربية اسلامية ومكافحة الأفات الاجتماعية، حيث نشطت هذه الجمعية تحت اشراف عدد من العلماء الشبان منهم المشائخ محمد الصالح النيفر، والشاذلي النيفر، والصادق بسيس،<sup>3</sup> وجمعية بعض قادة الصادقية وتألفت قاعدتها من طلاب الزيتونة في البداية ثم اتسعت لتلامذة الصادقية وغيرهم، كما حظيت بتأييد عدد من القضاة الشرعيين وعمال الأقاليم وأفراد من العائلة المالكة وتوزعت أنشطتها العملية بين تثقيف الشبان وتكوينهم عن طريق الرحلات الكشفية وتنظيم المسابقات في حفظ القرآن مع تشجيع الانتاج الأدبي وتنظيم الاحتفالات بالمناسبات الدينية وترسيخ الثقافة العربية الاسلامية، اضافة الى تعبئة الشباب في شأن القضايا الوطنية ومن المؤشرات على الطابع الحركي لهذه الجمعية أيضا أنها لم تضع حدا لأنشطتها في أثناء الحرب العالمية الثانية،<sup>4</sup> ولجأت الى المساجد لمواصلة عملها في

<sup>1</sup> - علي الزيدي، الزيتونة ودورها، مجلة الحوار المتوسطي، المرجع السابق، ص149.

<sup>2</sup> - علي الزيدي، المرجع نفسه، ص143.

<sup>3</sup> - الصادق بسيس: 1914-1978م من أعلام الثقافة الاسلامية بتونس خريج الخلدونية ثم الزيتونية، وعنصر في الحزب الحر الدستوري التونسي، له عدة مؤلفات مثل شكيب أرسلان وحملاته بالمغرب العربي، مكانة الاجتهاد في الإسلام، عرف بتأثره برجال الحركة الاصلاحية المشرقية كرشيد رضا وأرسلان. أنظر: حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب، المرجع السابق، ص76.

<sup>4</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص183.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

السرية كما حققت انتشارا وطنيا بلغ عدد فروعها (46) فرعا عند العودة الى النشاط العلني،<sup>1</sup> ما يلفت أن هذه الجمعية لم تحصر اهتمامها في العنصر الرجالي بل وجهت جزءا من نشاطها نحو الفتاة لتعليمها والمرأة للاحاطة بها وهو أمر له دلالاته بعد المواجهات الحادة في منعطف الثلاثينات بين القلة الداعية لتحرير المرأة وفي مقدمتها الطاهر الحداد،<sup>2</sup> وغالبية النخبة فضلا عن الرأي العام حيث جرت الأمور وكأن علماء الدين الصلاحيين سعوا الى ترسيم حدود للنهوض بوضع المرأة وترقيتها أي تحديد شروط "الإصلاح القويم" وفي هذا الاطار كان تأسيس "مدرسة البنت المسلمة" التي أدارها محمد الصالح النيفر وهو من أبرز مناهضي مشروع الحداد.<sup>3</sup>

- اذا كانت جمعية الشبان المسلمين قد اختارت تنويع أنشطتها فان بعض الزيتونيين فضل التركيز، بل الاقتصار على البعد الديني من ذلك مبادرة الشيخ عبد العزيز الباوندي<sup>4</sup> بعث لجان قرآنية هدفها تحفيظ القرآن بطريقة الاملاء، وقام بتنشيطها عدد من طلاب الجامع الأعظم وقدماء الزيتونيين واتخذت أسماء مختلفة بحسب المناطق مثل "جمعية المحافظة على القرآن الكريم" وغيرها.<sup>5</sup>

- وظلت سلطات الحماية ترمق بعين الريبة المفرطة أي مسعى تنظيمي زيتوني مهما كان نوعه ولعل حالة الفرع التي أثارها تأسيس جمعية المدرسين الزيتونيين أو "هيئة علماء الجامع الأعظم" عامي 1932 و 1937 من أحسن الأمثلة على ذلك.<sup>6</sup>

و تأتي هاته المحاولة للعناصر الحركية ضمن مدرسي الزيتونة ايجاد تنظيم خاص بهم وسعيهم الى تكوين جمعية للعلماء وذلك بتشجيع من رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ابن باديس<sup>7</sup>، والواقع أن بعضا من سوء التفاهم كان يحيط بالأهداف التي يمكن أن تخدمها جمعية كهذه بسبب من تشابه الاسم مع الجمعية الجزائرية فأوضاع فئة العلماء كانت مختلفة جذريا في القطرين، في حين كانت جمعية العلماء في الجزائر جماعة علمية وثقافية أسست لمحاربة الفرنسية والحق المؤسسة الدينية بادرارة الاحتلال فان الجمعية التونسية كانت عبارة عن نقابة للدفاع عن المصالح الأدبية والمادية للمدرسين على كل حال اصطدم مطلب تكوين الجمعية برفض الحكومة.<sup>8</sup>

- كان من نتائج تلك السياسة حرمان الزيتونيين لفترة طويلة من الزمن من التنظيم في جمعيات خاصة بهم معترف بها، لكن غياب مثل هذه الجمعيات لم يمنع الزيتونيين من النشاط فشاركوا بمختلف طبقاتهم في كل الجمعيات التي ظهرت على الساحة التونسية سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو سياسية أو نقابية، وبرزت عناصر زيتونية بنشاطات مهمة

<sup>1</sup> - مختار العياشي، المرجع السابق، صص 132-135.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 184.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 184.

<sup>4</sup> - عبد العزيز الباوندي: تخرج من جامع الازهر، وأقام مدة طويلة بالحجاز، ثم تولى التدريس بجامع الزيتونة بصفة معاون على التدريس. أنظر: علي الزيدي، الزيتونيون ودورهم، المرجع السابق، ص 98.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 184.

<sup>6</sup> - علي الزيدي، الزيتونة ودورها، مجلة الحوار المتوسطي، المرجع السابق، ص 143.

<sup>7</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 184.

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص 185.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

ومتنوعة في صلب تلك الجمعيات وتسلم عدد منهم اعلى المسؤوليات في بعضها فترأس كل من عبد الرحمان الكعكع والشيخ محمد الفاضل بن عاشور أقدم جمعية تونسية ونعني بها جمعية الخلدونية.<sup>1</sup> وسيوضح جليا الدور الطلابي وتزعم أقطاب الاصلاح الزيتوني للحركة الطلابية ونشاطها من خلال "لجنة صوت الطالب الزيتوني" وأيضا المساهمات الجادة للفاضل بن عاشور وطلبة وعلماء الزيتونة في الحزب الدستوري الجديد والحركة النقابية خلال فترة الخمسينات من القرن العشرين، وهذا ما سنتناوله بشيء من التفصيل في الفصل القادم من خلال تطور العمل السياسي الى العمل الثوري التحرري.

**المبحث الخامس: دراسة مقارنة بين نشاط طلبة وعلماء الحركة الإصلاحية الجزائرية والطلبة والعلماء**

### الزيتونيين التونسيين الإصلاحيين 1920 - 1945

بعد الدراسة العميقة الشاملة والمستفيضة لنشاط طلبة وعلماء الحركة الإصلاحية الجزائرية وطلبة وعلماء الزيتونيين التونسيين الإصلاحيين هذه الدراسة التي تتبعت بالتحليل والاستنتاج كل مراحل تطور نشاط الحركتين والتي مست عدة جوانب. بدءا بالنشاط الديني وموقفها من الطرق الصوفية وكذلك الجانب التعليمي والتربوي والنشاط الصحفي والممارسة السياسية التي ما فتئت تتطور وتأخذ بُعد ثوري تحرري مع تطور الأحداث والمواقف السياسية. وعليه يمكننا عقد مقارنة علمية بين نشاط الحركتين الإصلاحيتين في كل من الجزائر وتونس وفق النقاط التالية.

#### المطلب الأول: أوجه التشابه - نقاط التطابق - بين نشاط الحركتين الديني

##### 1- الجانب الديني ونظرة الإصلاحيين إلى مفهوم الدين الإسلامي

من خلال الدراسة يتبين لنا نفس النظرة لعملية الإصلاح الديني لكلا الحركتين الإصلاحيتين في الجزائر وتونس، حيث لخص الشيخ عبد الحميد بن باديس المذهب الديني الذي كانوا يدعون إليه في نقاط أهمها:

- ✓ الإسلام هو دين الله الذي بعث به الرسل آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم
- ✓ الإسلام دين الإنسانية.
- ✓ القرآن الكريم هو كتاب الله.
- ✓ السنة الحقيقية هي تفسير للقرآن.
- ✓ البدعة هي كل شكل للعبادة التي ليس لها أصل في السنة وان الإسلام هو دين عالمي.<sup>2</sup>

ويقول علي مراد في ذلك عن نظرة إصلاحيي الجزائر إلى مفهوم الإسلام: " .. إذ أن طموح مؤسسي جمعية العلماء هو استعادة طريقة السلف الأولى في التعاطي مع نص الوحي واستلهامه لمجابهة التحديات الحاضرة ولا يكون ذلك إلا بالعودة إلى القرآن وإرشاده والتشبع بالسنة التي تشرحه. هذا هو المبدأ الأساسي لمشروع العلماء الإصلاحيين وأساس

<sup>1</sup> - علي الزيدي، الزيتونة ودورها، مجلة الحوار المتوسطي، المرجع السابق، ص143.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص 397-398.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

البيداغوجية الباديسية<sup>1</sup>. فالمصلح الجزائري لا يقبل من الفرد أو المجتمع بإسلام متحفي أو جغرافي أو حتى عاطفي، إنما يريد أن تكون محبته للإسلام "بحكم العقل والبرهان كما هي بمقتضى الشعور والوجدان"<sup>2</sup>.  
أما نظرة إصلاحبي الزيتونة فهي تكاد تتطابق مع إخوانهم في الجزائر. فأسس الإصلاح الديني التي يتركز عليها الإصلاحيون حسب الثعالبي هي:

- أن مصدر التوجيه هو الدين الإسلامي وأن الدين قوامه العلم والأخلاق ووسيلة نشره الدعوة.. وأن أمر المسلمين قد استمر منتظما طالما كان أهل الدعوة وهم العلماء قائمين بواجبها..<sup>3</sup>.
- تخلص العقلية الإسلامية من شوائب الجهل والأوهام والتعصب. ونشر العلم والتعليم وتأويل القرآن تأويلا صحيحا وحقيقيا<sup>4</sup>.
- ويرى الثعالبي أن الدين الإسلامي رسالة عامة إلى جميع العصور ويجب أن تفهم في كل عصر بما يناسبه ويلائم طريقة التفكير فيه. الأمر الذي يستدعي وجود المجددين والمصلحين الذين يرشدون الإسلامي إلى معرفة ما بين الأصول والفروع من فروق<sup>5</sup>.

ومن خلال هاته الركائز التي وضعها الثعالبي في عملية الإصلاح الديني نجد أن التيار الإصلاحي في عمومها جاء ناقدا لتضخيم العنصر الأسطوري والسحري في الوعي الديني ساعيا إلى إعادة الاعتبار لمكانة العقل ومسؤولية الإنسان.  
كما نجد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي ما انفك يشير بأهمية العقل ويدعو إلى الاعتماد عليه في البحث والفهم والاجتهاد لتحقيق السعادة في الدارين وهذه الدعوة نجدها في مصنفاته. ففي كتابه (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) عقد فصلا عنوانه "في أصول اصلاح الافراد" مبينا أن اصلاح عقل الانسان هو أساس جميع خصاله ويجيء بعده الاشتغال بإصلاح أعماله وعلى هذين الإصلاحيين مدار قوانين المجتمع الإسلامي<sup>6</sup>.

### 2- موقف الإصلاحيين من التنصير والإلحاد وقضية التجنيس

بالنسبة للجزائر فقد حارب العلماء الإصلاحيين الإلحاد بما يثبونه من حقائق عن الدين وما يشرحونه في دروسهم ومحاضراتهم وبما أروشدوا إليه الآباء من رعاية الأبناء والظهور أمامهم بمظهر القدوة الصالحة في الدين والخير والفضيلة<sup>7</sup>.  
أما بالنسبة للتنصير فقد أولوا اهتماما خاصا وبينوا خطرهم وأعمالهم وتارة يتعرضون لمؤتمراتهم ويبيّنون زيفها في خطبهم ودروسهم ومقالاتهم وكانوا لا يفوتون الفرصة على أي مقال صدر أو فكرة طرحت أو ملتقى يعقد يطعن في الإسلام أو يبنز أهله بشيء إلا تكلموا عنه أو ردوا عليه بطريقة أو بأخرى<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> -Ali MERAD, op.cit, p 245.

<sup>2</sup> - عبد الطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 299.

<sup>3</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 138.

<sup>4</sup> - مسعودة مسعود بو الخضرة، المرجع السابق، ص 121.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 121.

<sup>6</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 434.

<sup>7</sup> - محمد المليي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، صص 327-328.

### الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وقد حارب العلماء الجزائريون الإصلاحيون لسياستي الاستعمار التجنيسية والإدماجية، وقد هاجم العلماء بقوة محاولة فرض تجنيس وإدماج الشعب الجزائري، وانطلقت جرائدهم تنذر المواطنين بالخطر الداهم. وجاء في مقال لأحمد توفيق المدني في جريدة الشهاب "نحن بين الموت والحياة" حذر الشبيبة الجزائرية من سلوك سبيل التجنيس الذي يؤدي حتما إلى التخلي عن الوطنية واللغة والتاريخ والشريعة الإسلامية<sup>2</sup>.

بينما أفتى الشيخ عبد الحميد بن باديس بالكفر والرّدة لكل من يسعى للتجنيس من المسلمين الجزائريين كما حاولت جمعية العلماء قطع الطريق أما "جماعة النخبة" لتمنعها من الاندماج الكامل في المجتمع الفرنسي، حيث يقول ابن باديس "أن تتعلم بغير تعليمك وتعش في غير مجتمعتك وتنظر بغير بصرك وتدرك بغير عقلك فهل أنت موجود"<sup>3</sup>.

وعلى هذا المسار فقد حارب طلبة وعلماء الزيتونة حملات التنصير التي حاولت فرنسا القيام بها في تونس كالمؤتمر الأفخارستي سنة 1930 وهو مؤتمر كاثوليكي بتونس لمسح الهوية الثقافية التونسية. وقد فشل هذا المؤتمر في تحقيق أهدافه، ويرجع الفضل إلى الحملات الصحفية التي قادها الزيتونيون، وقد التقى الزيتونيون مع المؤتمرين وأفهموهم أنه لا جدوى من محاربة الذاتية التونسية والقضاء على مقومات البلاد<sup>4</sup>.

وبالنسبة لقضية التجنيس قد رأت العناصر الوطنية أن في الأمر خطرا داهما وأن الهوية مهددة بالذوبان فاعتبرت المتجنس متخليا عن المجموعة فارا من الأحكام الإسلامية واعتبرت القائم بهذا الفعل مرتدا عن الإسلام يعامل كما يعامل المسلم المرتد ولا يُدفن في مقابر المسلمين.

إلا أن لبسا قد حدث في قضية التجنيس في تونس وهو عدم فهم وتوضيح فتوى المجلس الشرعي الذي يتأسسه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في قضية توبة المتجنس رغم أن المجلس الشرعي قيدها بعدة شروط إلا أن عناصر قيادية شابة من الحزب الدستوري الجديد استغلت هاته الثغرة لتؤلب الرأي العام وتحرضه ضد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور<sup>5</sup>.

وقد بينا براءة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من هاته التهمة الباطلة في معرض حديثنا عن فتوى التجنيس في مبحث النشاط الديني.

### 3- نشاط التأليف وأشهر شيوخ الإصلاح الديني

رغم انشغال العلماء الإصلاحيين الجزائريين بالتربية ونشر الفكر الإصلاحية في ربوع الجزائر فإن ذلك لم يمنعهم من الكتابة والتأليف فنجد مؤلفاتهم في الجانب الديني والعقدي مثل: "كتاب المجالس التذكير في تفسير كلام العليم الخبير" وهو عبارة عن سلسلة من المحاضرات والدروس ألقاها الشيخ عبد الحميد بن باديس في تفسير القرآن الكريم لأكثر من عشرين سنة، وقد نشرت مجلة الشهاب هذه السلسلة من الدروس<sup>6</sup>. وكتاب "الدعاية إلى سبيل المؤمنين" تأليف إبراهيم

1- عبد الرؤوف قرنا، المرجع السابق، ص163.

2- أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص239.

3- محمد الحسن الفضلاء، المرجع السابق، ص205.

4- الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص222.

5- مختار العياشي، البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص221.

6- محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص85.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

أطفيش<sup>1</sup>. وكتاب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" تأليف محمد السعيد الزاهري، وكتاب "رسالة الشرك ومظاهره" لمبارك الملي، وكتاب "الإسلام الصحيح" لأبي يعلى الزواوي. وكانت أغلب هاته المؤلفات الدينية تتكلم عن الإسلام الصحيح الذي جاء به السلف الصالح من مصادره الثابتة" الكتاب والسنة وهي لتمكين العقيدة السلفية الإصلاحية. أما علماء الزيتونة الإصلاحيين نجد على رأسهم شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور الذي اتصل برموز كثيرة مثل الشيخ محمد عبده والشيخ العالم بوحاجب وخاض مجالات عديدة في عملية الإصلاح تزخر بها مؤلفاته العديدة ومن أهم مؤلفاته تفسيره للقرآن العظيم وقد سَمَّاه "التحرير والتنوير" يقع في 30 جزء وقد حوى التحليل اللغوية الدقيقة والاجتهادات المعمّقة والترجيحات القيّمة.

وفي جانب الحديث النبوي احتل منزلة بارزة فيه منها كتاب "النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح" وكتاب "كشف التخطي من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ" وهذا دلالة على تمكن الشيخ من علم الحديث ونقدها نقدا لعارف بأصول المصطلح<sup>2</sup>. ومن أشهر كتبه التي دلت على باعه الطويل في الاجتهاد كتابه "مقاصد الشريعة" وقد عملت جل الجامعات الإسلامية على اعتماده<sup>3</sup>. ومن أشهر كتبه أيضا "أليس الصبح بقريب" حيث انتقد فيه التعصب للمذهب والتمسك بأقوال إمام المذهب وتلاميذه، وقد حال هذا التقوقع في المذهب دون النظر في الفقه وتطوره بما في ذلك السياسة الشرعية والأحكام السلطانية<sup>4</sup>.

كما نجد الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي من أشهر مؤلفاته كتابه "روح التحرر في القرآن" الذي صدر في باريس سنة 1905، وجاءت فيه جملة من الأفكار الإصلاحية التي دعا إليها زعماء الإصلاح كمحمد بن عبد الوهاب والأفغاني والشيخ محمد عبده، ويمكن حصر هاته الأفكار في فكرتين أساسيتين:

- تخلص العقيدة الإسلامية مما خالفها من الأوهام وخرافات أصحاب الفرق الصوفية.
- فكرة تحرير المرأة المسلمة مما كانت تعانيه من أوضاع مزرية كالإقصاء والتهميش والجهل باسم الدين والتفسيرات الخاطئة لنصوصه الشرعية<sup>5</sup>.

ومن خصائص علماء الزيتونة عدم ميل أكثرهم للتأليف والكتابة، ففي دروسهم تسمع منهم العجب العجاب فعالمهم دائرة معارف متنقلة ولهم اطلاع واسع على مختلف العلوم والفنون، قديمها وحديثها، ولكنهم لا يكتبون إلا قليلا، نعم لهم مجلة زيتونية شهرية يصدرونها هي "المجلة الزيتونية" ومن أَلّف منهم كان تأليفه مفيدا ممتعا وفي مقدمتهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور -الذي ذكرناه سابقا- والذي له تأليف كثيرة<sup>6</sup>. ومن الذين لهم كفاءة علمية تؤهلهم للتأليف

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج7، ص167.

<sup>2</sup> - بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص11.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص11.

<sup>4</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص ص444-445.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص541.

<sup>6</sup> - منير رويس، المرجع السابق، ص285.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

المفيد الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، فقد كان يُلقب المحاضرات في تونس والمغرب، ومن حسن الحظ أن تلاميذه كتبوا بعض محاضراته وجمعت في كتب وصدرت باسم شيخهم ولو لم يقع ذلك لضاع علمه الغزير<sup>1</sup>.

ولعل هذا التشابه في قضية التأليف بين علماء الإصلاح في الجزائر وتونس كما قال الشيخ عبد الحميد بن باديس ذات مرة عندما سُئل لماذا يؤلف كتباً تنفع بها الأمة حيث قال: "شغلنا عن التأليف بتأليف الرجال"، ولعل السبب في ذلك هو المعركة المصيرية الحاسمة التي كان يخوضها علماء الإصلاح في البلدين من كثرة الأعمال والمشاكل واللقاءات مع الطلبة ومع الناس لإيصال الفكرة الإصلاحية وترسيخها وتربية الأجيال عليها، وهو ما جعل أوقاتهم ضيقة لا تتسع للتفرغ للتأليف والكتابات المطولة حيث كان أغلبهم يكتفي بإيصال فكرته ورأيه أو الرد على خصومهم في مقال صحفي وجيز.

### 4- الموقف من الطرق الصوفية والتعامل معها

قبل أن نتطرق إلى أوجه التشابه في تعامل الإصلاحيين الجزائريين والتونسيين مع الطرق الصوفية على حد سواء، يجدر بنا أن نبين مسألة مهمة قبل عقد المقارنة بالنسبة للإصلاحيين الزيتونيين في تونس، حيث نجد أن هذا التيار قد انقسم إلى قسمين في مسألة التجديد الديني فنجد:

أ. تيار ينادي بالإصلاح الديني أي تجديد المفاهيم الدينية التي تضمنها القرآن والسنة على ضوء العقل ومراعاة مقاصد الشريعة وفتح باب الاجتهاد وتقويض أركان التقليد ودافع على قدرة الإسلام على مواكبة العصر ومجارته للتمدن الحديث ولتحقيق هذا الغرض نادى بإصلاح التعليم الزيتوني وإنشاء جيل جديد يمكن أن ينهض بالبلاد ويخلصها من الاستعمار ويمثل هذا التيار الشيخ محمد الحضر حسين ومحمد النخلي وأشهرهم دفاعاً عن هذا التيار الشيخ محمد الطاهر بن عاشور<sup>2</sup>.

ب. تيار يدعو إلى الإصلاح الديني والسياسي معاً والدعوة إلى استقلال البلاد التونسية ضمن إطار الجامعة الإسلامية ووحدة المغرب العربي ويمثل هذا التيار الثعالبي<sup>3</sup>.

وقد أطلق الهرماسي على هذا التيار الثاني اسم "المصلح التحديثي المتجدد" حيث يقول عنه: "يمثل هذا النموذج الذي ظهر في العشرينات وتصدّر حركة الإصلاح في منعطف الثلاثينات سليل المثقف السلفي الذي دفع بالفكر الإصلاحي إلى أبعد حدوده حيث تحوّل إلى فكر ثوري لا يجرؤ أغلب الإصلاحيين على ركوب موجته، أخذ عن المثقف السلفي الجديد وعن العالم الإصلاحي مبادئ الدعوة إلى تحقيق التوافق بين الإسلام والحضارة الحديثة ومعالجة العلل المزمنة للمجتمع المسلم بفضل الاجتهاد والتجديد كما تشبّع بمواقفهما النقدية تجاه التقاليد والأعراف والمعتقدات الأكثر تعارضاً مع مسلّمات الفكر الحديث والتوجّهات العقلانية"<sup>4</sup>.

وعليه فقد حارب التيار الإصلاحي الزيتوني ممثلاً في الشيخ الثعالبي والشيخ محمد شاکر طغيان التديّن السحري وأنكر الاعتقاد في قدرة الأولياء على النفع والضرر والتوسّل إليهم ووعدهم بالدبائح بوصفها أوهاماً وممارسات مُخلّة

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 285.

<sup>2</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 408.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 408.

<sup>4</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 202.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

بالعقيدة ومتعارضة مع العقل والشرع. يقول الثعالبي: "فالخرافات والأوهام تُفسد الأرواح وتغالط الأفكار وتوجه الإرادة البشرية في طريق الضلال.. كما أن الأوهام تمثل عائقا في وجه العلم"<sup>1</sup>. وهذا التيار كان له نشاط ومواقف ضد الطرق الصوفية ومشائخها، كنشاط ومواقف الشيخ محمد شاعر التي ذكرناها سابقا.

أما بالنسبة للإصلاحيين الجزائريين فيُلحَّص الشيخ عبد الحميد بن باديس السبب في محاربتها فيقول: "أن هذا التدهور الذي وصلت إليه الجزائر، بسبب الطُرقين الذين أصبحوا يأتون بالبدع والخرافات والأفكار غير إسلامية، فتفشي الجهل وانتشار الفقر وتفرق الأمة، فالطُرق الصوفية كانت تعاني الجمود وتلاشي الثقافة العربية والإدارة الفرنسية كانت تستغل ثروات الجزائر عن طريق الطرق لهذه الأسباب جمعية العلماء حاربت الطرق الصوفية"<sup>2</sup>.

ولم يكن إصلاحيين الجزائريين بالإدانة المبدئية لتلك التصورات والمعتقدات بل انبروا لمقاومتها عمليا في إطار حملات التقويم العقيدة والأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان معترضين على رفع الأصوات وإنشاد البردة في الجنائز أو إقامة الحضرة الصوفية وما يمكن أن يحصل فيها من قرع للبطول ونفخ المزامير.. إلخ<sup>3</sup>.

ومن خلال بعض الوثائق الأرشيفية الفرنسية تبين لنا تعاطف ومساندة ودعم السلطة الاستعمارية الفرنسية لشيخو الزوايا في صراعهم مع الإصلاحيين واتهامهم بممارسة العنف ضد مشائخ الطرق مثل أحمد بن عليوة شيخ الزاوية العليوية<sup>4</sup>. وكان موقف إصلاحيين الجزائر صارما ضد الطرق الصوفية لقول الإبراهيمي "إن هذه الطرق المتبعة في الإسلام سبب تفرق المسلمين"<sup>5</sup>.

ومن هنا يتبين لنا التطابق في نظرة ومعاملة الطرق الصوفية بين التيار الإصلاحي الذي يمثله الثعالبي ومجموعة من طلبة وعلماء الزيتونة والتيار الإصلاحي الجزائري الممثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والذي لم يعتره الانقسام في مجال التجديد الديني والتعامل، بل ومحاربة الطرق الصوفية.

### المطلب الثاني: أوجه التشابه في النشاط التعليمي التربوي

إن أوجه التشابه بين النشاطين في كِلا البلدين تكاد تكون مماثلة من حيث الوسائل والغاية من التعليم والتربية ولكن جوهر الخلاف كان في الأولويات التي كان يراها كل تيار في بلده وعليه سنقتصر على أوجه التشابه في هذا المطلب، ونُرجى أوجه الخلاف إلى موضوعها.

### 1- الجمعيات التربوية والنوادي الثقافية

حيث نجد الحركة الإصلاحية الجزائرية بذلت جهدا معتبرا في إنشاء الجمعيات التعليمية والثقافية والتربوية لمساندة عملية التعليم والتربية الكبرى مثل: جمعية التربية والتعليم الإسلامية سنة 1930 التي أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة.

<sup>1</sup> - عبد العزيز الثعالبي، روح التحرر في القرآن، المصدر السابق، ص85.

<sup>2</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، صص270-271.

<sup>3</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص320.

<sup>4</sup> - C.A.O.M, S.L.N.A, C.G.A, op.cit (tentative d' union), P:11.

<sup>5</sup> - سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصدر السابق، ص186.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

- مدرسة التربية والتعليم الإسلامية فرع باتنة تأسست أوائل سنة 1937.
  - مدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة، تولى تسييرها الشيخ العربي التبسي سنة 1934.
- وغيرها من الجمعيات التربوية والثقافية في ربوع الوطن<sup>1</sup>. يقول علي مراد: "كان الدور المنوط بالنوادي الثقافية الإصلاحية مابيننا لدور المدارس العربية من نفس النزعة فهدفها لم يقدّم تحديداً على إعطاء الشبان تكويناً إسلامياً بل تزويدهم بإطار اجتماعي يجدون فيه جواً ثقافياً وأخلاقياً مفعماً بالإسلام والعروبة"<sup>2</sup>. حيث قام المصلحون بإنشاء عدد كبير من النوادي تربعت على كافة القطر الجزائري. ومن أهمها نادي "التقوي" الذي أسس سنة 1927<sup>3</sup>. حيث كانت هاته النوادي من أهم الوسائل في نشر ثقافة الوعي الوطني خلال العشرينات من القرن الماضي<sup>4</sup>. بالإضافة إلى نادي الترقّي كانت هناك نوادي أخرى كنادي السعادة الذي تأسس سنة 1925 ونادي الاتحاد ونادي الإرشاد وكلها مؤسسات تهذيبية<sup>5</sup>.

كما كان تأسيس الكشافة الإسلامية بإيعاز من رجال جمعية العلماء الإصلاحيين وخاصة الشيخ عبد الحميد بن باديس، إن لم يكن بأوامر منهم كون مؤسس الكشافة الإسلامية الشهيد محمد بوراس قد تلقى تكوينه العلمي والديني والسياسي على أيدي رجال الإصلاح، حيث يقول علي مراد: "لقد خدمت الكشافة الإسلامية غايات الإصلاحيين بتمكينهم من القيام في جو من الشرعية بتكوين نخبة خاصة يمكن أن ينظر إليها مواطنوهم كملتح أولي لما سيكون عليه الجيش الوطني المستقبلي"<sup>6</sup>.

كما أسس نخبة بنو ميزاب جمعيات تعليمية مثل؛ جمعية الإصلاح بغرداية سنة 1928 وجمعية النهضة بالعطف سنة 1945 وجمعية النور ببويرة سنة 1945 وجمعية الاستقامة ببني يزغن سنة 1945<sup>7</sup>. وفي هذا المجال سار أيضاً إصلاحيو الزيتونة، ولعل أقدم عمل إصلاحي عرفته الزيتونة هو إنشاء معهد الخلدونية ليكون تابعا لها ومتعاوناً معها على تحقيق نخبة ثقافية أحسن بالبلاد، فكان للخلدونية معهد ثانوي مستقل يدرس فيه طلبة الزيتونة العلوم العصرية من طبيعة وكيمياء ورياضيات وتاريخ وجغرافيا ولغات أجنبية تنتهي بالإحراز على شهادة البكالوريا التي تهيء الطلبة للالتحاق بالجامعات العربية في المشرق للتخرج في هذه المواد، ومن ثم يكن إمداد جامع الزيتونة بمدرسين قادرين على تحقيق الإصلاح المنشود بالزيتونة<sup>8</sup>. ولعل الطرق العصرية التي تنتهجها الخلدونية في التدريس مثّلت

1- محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ص 97.

2- علي مراد، المرجع السابق، ص 378.

3- هارون الرشيد بن موسى، المرجع السابق، ص 21.

4- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، صص 162-163.

5- أسعد الهلالي، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 68.

6- علي مراد، المرجع السابق، ص 381.

7- محمد علي دبوبز، المصدر السابق، ص 229.

8- الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 221.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

إسهاما في تكوين الفكر النقدي لديهم وتمكينهم من التفتح على العالم العصري وبذلك يتقلص الفرق بين عقلية الزيتونيين وعقلية الصادقين<sup>1</sup>.

وقد أسس الزيتونيين أيضا عدة جمعيات على غرار "جمعية تلامذة جامع الزيتونة" أو "الجمعية الزيتونية" عام 1907، وقدموا عدة مطالب للترخيص لهم بإنشاء جمعيات لكن السلطات الاستعمارية عرقلت كل مساعيهم لإنشاء جمعيات خاصة بهم<sup>2</sup>، ومن أبرز جمعياتهم "جمعية الشبان المسلمين" بعد استقلالها عن الجمعية الخلدونية وكانت تحت إشراف المشايخ محمد الصالح النيفر والشاذلي النيفر والصادق بسيس. وتنوعت أنشطتها العلمية بين تثقيف الشبان وتكوينهم عن طريق الرحلات الكشفية، وتنظيم الاحتفالات بالمناسبات الدينية وترسيخ الثقافة العربية الإسلامية. ومن المؤشرات على الطابع الحركي لهاته الجمعية أنها لم تتوقف عن النشاط حتى أثناء الحرب العالمية الثانية<sup>3</sup>، ولجأت إلى المساجد لمواصلة عملها في السرية وتأسست لها 46 فرع عند العودة إلى النشاط العلني<sup>4</sup>. كما أسست مدرسة البنات المسلمة وأدارها محمد الصالح النيفر وهو من مناهضي مشروع الطاهر الحداد<sup>5</sup>. أيضا نشاط إصلاحيو الزيتونة في جمعيات تحفيظ القرآن التي أطلقها الشيخ عبد العزيز الباوندي.

### 2- تعليم المرأة ونظرة الإصلاحيين لها

كانت نظرة ابن باديس والإصلاحيين إلى المرأة نظرة داعية إلى تعليمها وجعلها في دائرة المثل الدينية والقومية والأخلاقية، ولا ينظر لها من زاوية ربة بيت بل هي مربية أجيال<sup>6</sup>، ويقول العمودي: "بأن التعليم مهم للمرأة المسلمة مع الاحتياط والتحفّظ الحقيقي بما يلائم عاداتنا وتقاليدنا وأخلاقنا الخاصة بنا.

ولم يكن الوسط الفكري والثقافي الزيتوني بمعزل عن الحركات التحررية وموقوفاتها في مجال حقوق المرأة وأن تغييب المرأة وتهميشها تحريف لمقتضى جوهر الدين الإسلامي وهم مختلفون في أهدافهم ومرجعياتهم ودرجة محافظتهم وحدائهم ولكنهم متفقون على ضرورة الرقي بشأن المرأة المهمّش<sup>7</sup>، فقد ألف الشيخ محمد السنوسي رسالة "تفتق الأكمام" وكتب الشيخ محمد النخلي رسالته المختصرة في "المرأة المسلمة" وكان الثعالبي يرى بأن تعليمها شرط من شروط النهوض الاجتماعي<sup>8</sup>.

### المطلب الثالث: أوجه التشابه في النشاط الصحفي

1- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص131.

2- علي الزيدي، الزيتونة ودورها، المرجع السابق، ص143.

3- عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص183.

4- مختار العياشي، البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص135.

5- عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص184.

6- رابع تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة، المرجع السابق، ص175.

7- فتحي بوعجيلة، ثورة النخبة الإصلاحية، المرجع السابق، ص124.

8- عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص76.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

استخدمت الحركة الإصلاحية الجزائرية لمواجهة مكائد الاستعمار وتبليغ الدعوة إلى سائر المواطنين كل أسلحة البلاغ والإعلان من خطابات ومحاضرات ودروس وصحافة. وكان لهاته الأخيرة دور في محاربة الأوضاع الفاسدة وأثر كبير في تبليغ الدعوة أحس الاستعمار الفرنسي بخطورته فحاربه بشتى الوسائل ولكن صوت الحق يرتفع دائما<sup>1</sup>.

وفي المقابل برز الزيتونيون في المجال الصحفي وكانوا رواده الأوائل منذ تأسيس جريدة "الرائد التونسي" سنة 1860، وكان من بينهم كبار الصحفيين أمثال محمد السنوسي وابنه زين العابدين وعبد الرحمن الصنادلي ومحمد الجعايبي الملقب بعميد الصحافة التونسية، والطيب بن عيسى وحسين الجزيري وغيرهم<sup>2</sup>. وفي هذا الإطار كانت الصحافة المتنفس الوحيد لطلبة الزيتونة حيث يعبرون من خلالها عما يجيش بدواخلهم من آراء ومواقف تهم مصير البلاد و الشعب التونسي<sup>3</sup>.

أما البدايات الأولى لإنشاء الصحف الإصلاحية بالنسبة للبلدين فكانت متزامنة ومرافقة للعملية الإصلاحية منذ بداياتها الأولى وهذا لإدراك التيار الإصلاحي مدى أهمية وتأثير الصحافة في نشر الأفكار الإصلاحية حيث نجد في الجزائر إنشاء وإصدار ابن باديس سنة 1925 جريدة عربية أسبوعية باسم "المنتقد" ولم يظهر منها سوى 18 عددا قبل أن تمنعها السلطات الفرنسية ومن بين المساهمين فيها المؤرخ مبارك الملي وأيضاً الطيب العقبي، ثم أصدر ابن باديس "الشهاب" والتي كانت من أكبر المجلات الجزائرية خلال عقدين من الزمن. وكانت ميدانا لكل المهتمين بالإصلاح الاجتماعي في الجزائر<sup>4</sup>. وكتب فيها نخبة من الإصلاحيين أمثال المدني والزهري، حتى توقفها سنة 1939<sup>5</sup>. ثم صدرت جريدة "السنة النبوية" عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت إشراف ابن باديس ويرأسها في التحرير كل من العقبي والزهري، وصدر العدد الأول منها سنة 1933، وتوقفت في نفس السنة<sup>6</sup>. وبعد توقفها صدرت جريدة "الشريعة المحمدية" وهي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت رئاسة ابن باديس صدر العدد الأول منها في 1933/07/07 وصدورت في 28 أوت 1933<sup>7</sup>، وبعدها صدرت جريدة "الصراف" في سبتمبر 1933 وعُطِّلت في جانفي 1934، وهاته الجرائد أوقفتها الحكومة الفرنسية تباعا وبعدها صدرت جريدة "البصائر" تحت إشراف العقبي والزهري في ديسمبر 1935 واستمر صدورها حتى قيام جمعية العلماء بوقف جميع صحفها واجتماعاتها قبل الحرب العالمية الثانية، وتعدُّ البصائر السلسلة الأولى<sup>8</sup>، ثم صدرت سلسلة البصائر الثانية بعد الحرب العالمية الثانية تحت إشراف الإبراهيمي إلى غاية سنة 1956<sup>9</sup>.

1- محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج2، ص91.

2- علي الزيدي، الزيتونة دورها، المرجع السابق، ص142.

3- حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص98.

4- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المصدر السابق، ج2، ص399.

5- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص141.

6- محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج2، ص91.

7- المصدر نفسه، ص91.

8- المصدر نفسه، ص92.

9- المصدر نفسه، ص92.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وفي تونس فمن شهر أوت 1920 أصدر الثعالبي مجلة "الفجر" للتعبير عن آرائه حول ما يراه من تغييرات ينبغي إدخالها على العقليات وعلى المجتمع التونسي<sup>1</sup>. وقد حاول الزيتونيون تكوين جمعية لإصدار مجلة تخصهم إلا أن الحكومة امتنعت عن ذلك فتسلموا مجلة من صاحب امتيازها تسمى مجلة "البدر" وجعلوها مجلة جمعيتهم التي سمّوها "الجامعة الزيتونية" فكان الشيخ محمد مناشو المشرف عليها، وكانت ذات أسلوب علمي راقى ومواضيع تاريخية وأدبية عميقة تسودها الروح الدينية والأسلوب العلمي<sup>2</sup>، وبعد سفر الثعالبي للمشرق توقفت المجلة وبرز شاب زيتوني هو زين العابدين وانشأ مطبعة من ماله الخاص وأخذ في إصدار مجلة سمّاها "العرب" فمنعت الحكومة رواجها من العدد الرابع، فاستمر ينتحل لكل عدد اسما يدل على ثباته في إصداره مجلة "العرب" التي لم يرخص فيها، فكانت أسماء الأجزاء تختلف بين "المقالات"، "مقالات العرب"، "لطائف العرب" واستمرت الحكومة تلاحقه وهو يراوغها على هذا النحو حتى سنة 1926<sup>3</sup> وفي هاته الفترة صدرت عدة صحف أخرى لأصحابها الزيتونيون أمثال جريدة "أبو نواس" لصاحبها سليمان الجادوي وهي فكاهية، وجريدة "ولد بلادي" للمرحوم السيد البشير الفورتي.. إلخ<sup>4</sup>.

وما نلاحظه هو الملاحقات والتوقيفات التي صاحبت إصدار الجرائد والصحف الإصلاحية في كلا البلدين، وأيضا إصرار الكتاب الصحفيين على الصمود وعدم الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع وسنلاحظ هاته المقاومة مستمرة في كلا التيارين الإصلاحيين في الجزائر وتونس دون هوادة.

### 1- مجهودات بعض مشائخ الإصلاح في الجانب الصحفي

لقد كانت الجهود في هذا المجال تقريبا متشابهة ومتطابقة لإنجاح العملية الصحفية وأيضا لتطور الوعي لدى النخبة الإصلاحية، لذلك نجدهم بذلوا كل ما في وسعهم في هذا المجال، وسنكتفي بذكر أهم المشايخ الذين نشطوا في المجال الصحفي بكثافة في كلا التيارين الإصلاحيين في الجزائر وتونس.

ففي الجزائر برز الشيخ محمد السعيد الزاهري، ويُعدّ واحدا من رواد الحركة الصحفية الحديثة في الجزائر بل (شيخ الأدب والصحافة للجزائر المعاصرة)<sup>5</sup>. حيث أصدر عدة صحف مثل "الجزائر للجزائريين" و"البرق"، كما شارك في صحف جمعية العلماء، وهاجم فيها الطرقية وكشف سلوك شيوخها<sup>6</sup>. أيضا الشيخ العربي التبسي، حيث نشر عدة مقالات في جريدة "النجاح" ثم في "الشهاب" وهو بعد طالب بالأزهر وتنوعت مقالاته بين الحرب على الطرقية والدعوة الى التمسك بقيم الدين، وكان لا يكتب الا في المواضيع الهامة التي تشغل بال الأمة وإلا في قضايا الإصلاح..<sup>7</sup> كذلك نجد الأمين العمودي الذي كتب بالفرنسية وأنشأ صحيفة "الدفاع" La Défense<sup>8</sup> ومبارك الملي الذي كان كاتباً في

1- احمد القصاب، المرجع السابق، ص339.

2- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص124.

3- المصدر نفسه، صص 125-126.

4- محمد الطيب رزوق، المرجع السابق، ص32.

5- عبد الكريم طيبش، المرجع السابق، ص38.

6- المرجع نفسه، ص41.

7- محمد علي دبور، أعلام الإصلاح، المصدر السابق، ج2، ص55.

8- علي مراد، المرجع السابق، ص131.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

أغلب صحف جمعية العلماء، وترأس العديد منها. كما لا ننسى النشاط المكثف للميزابيين الإصلاحيين في الجانب الصحفي، حيث نشروا عدة صحف مثل "وادي ميزاب" سنة 1926، وكان أشهرهم أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى الذي نشر عدة صحف متتابعة أوقفها الاستعمار مثل "ميزاب، المغرب، النور، البستان، والنبراس، الأمة، الفرقان"<sup>1</sup>. وهذا الإصرار على تحدي الإدارة الاستعمارية ومواصلة النضال الصحفي لدى النخبة الإصلاحية الميزابية كان لإدراكها أيضا مدى أهمية الجانب الصحفي في العمل الإصلاحي الدعوي.

كما برز عدد معتبر من الزيتونيين الإصلاحيين، وكانت مساهمتهم فعالة وواضحة في أغلب الصحف، فكانت مساهمة البشير صفر والشيخ سالم بوحاجب ومحمد السنوسي في "الحاضرة" سنة 1888 مساهمة قوية وفعالة. ويذكر الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور أبرز الزيتونيين الإصلاحيين الذين كان لهم صيت وباع كبيرين في تنشيط الصحافة الوطنية التونسية أمثال:

- سليمان الجادوي: صاحب جريدة "مرشد الأمة" وكانت روح كتاباته حماسية إسلامية وطنية، وأكثر مقالاته نقد رجال الحكم وتصرفاتهم وكان من فرسان الدفاع في سبيل الفكرة الدستورية.
- أحمد توفيق المدني وكان ذو ثقافة مزدوجة حيث اتصل بالمعهد الزيتوني فصقل فيه فطرته على الأدب العربي الصحيح وكان ينشر مقالاته باسم مستعار "المنصور"<sup>2</sup>.
- المنصف المنستيري: تكوّن على المنهج الزيتوني منهج التحليل والبحث فكان في روحه وفكره عالما زيتونيا بالمعنى الكامل.
- محي الدين القليبي: عالج الكتابة الصحفية حتى تخرّج فيها، وكتب في أغلب الصحف التونسية ثم اختص برئاسة تحرير جريدة "الأمة" 1921م، فكانت اللسان الشبه الرسمي للحزب الدستوري، وكانت توجهاته ذات أثر بعيدا في حياة الحزب<sup>3</sup>.
- كما اصدر الزيتونيون جريدة "صبرة" خلال الفترة 1937 - 1939، ورئيس تحريرها هو محمد العربي ذو التكوين الزيتوني والتي تكلمت عن الواقع الزيتوني وناقشت مسألة إصلاح التعليم الزيتوني وأيضا إضراب الطلبة الزيتونيين وموقفهم من حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية<sup>4</sup>.
- ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية تعطلت أغلب الصحف التونسية وحلت محلها الإذاعة التونسية<sup>5</sup>.
- وبعد الحرب العالمية الثانية تمركز الإنتاج الأدبي حول مجلة "الثريا" التي كان يكتب فيها محمد الفاضل بن عاشور والشيخ محمد الشاذلي النيفر<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - غازي الشمري، المرجع السابق، ص100.

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص133.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص134.

<sup>4</sup> - عليّة العلاني، المرجع السابق، ص345.

<sup>5</sup> - احمد القصاب، المرجع السابق، ص355.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص356.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

ومايلفت انتباهنا هو توقف الصحف الإصلاحية أو التي كان يكتب فيها الإصلاحيون عند اندلاع الحرب العالمية الثانية لعدة أسباب قد وضّحناها سابقا. ككثرة العناوين وذلك لكثرة الغلق والإيقاف.

### 2- نماذج لأهم الصحف التي أصدرها الإصلاحيون وأهم المواضيع التي تناولتها

لقد عملت النخبة الإصلاحية من خلال الصحافة على دفع الأمة إلى الاستفاقة من سباتها والوعي بواجباتها في زمن الاستعمار الذي كان قل من يؤمن بهذه الأفكار<sup>1</sup>. كما واجهت هذه الصحافة الإدارة الاستعمارية وكشفت مخططاتها وخفايا مشاريعها مما كلفها الغلق والمنع والمتابعة.

- فالمواضيع التي تطرقت لها جريدة "المنتقد" كانت موجهة لمحاربة الطريقة التي تستغل الناس وتجمد عقولهم وتقتل شعورهم وهمهم<sup>2</sup>، وعالجت أيضا مشاكل التربية والتعليم.

- أما المواضيع التي اهتمت بها "الشهاب" فقد تعرّضت في مقالاتها عند مجموعة من المشكلات التي تعرّض لها المجتمع الجزائري ووضع الحلول المواتية لها وكتبت عن المرأة المسلمة وأيضا قضية الاستقلال ردّا على غلاة المستعمرين وردت على الاندماجين وأثبتت كيان الشخصية الجزائرية كأمة لها تاريخها ودينها وعاداتها وتقاليدها.. " فوجدنا أمة إسلامية جزائرية تكوّنت ووجدت كما تكوّنت ووجدت جميع أمم الأرض.."<sup>3</sup>.

- أما البصائر اتخذت عدة أبعاد منها: الوطنية، الإقليمية، الدولية وشملت جميع الميادين الأدبية والفكرية والدينية والثقافية والسياسية والقضايا العربية.<sup>4</sup>

- أما النخبة الإصلاحية التونسية فكانت أهم صحفها التي نشرها الزيتونيون بأنفسهم وكتبوا فيها، وكانت لسان حال أفكارهم فهي:

أ. المجلة الزيتونية: كانت أهم الصحف التي صدرت سنة 1937 من حيث طول المدة التي صدرت خلالها وعدد ونوعية المحررين وأكثرهم مواظبة المشابخ محمد الطاهر بن عاشور ومحمد الشاذلي بن القاضي ومحمد الهادي بن القاضي والمختار بن محمود، كما ساهم فيها محمد العزيز جعيّط ومحمد البشير النيفر، ومحمد العربي الكبادي وسالم بن حميد، وكانت لسان حال العلماء الإصلاحيين<sup>5</sup>.

يقول عنها محمد الفاضل بن عاشور: "المجلة الزيتونية التي كوّنتها نخبة من أساتذة الجامعة الزيتونية يديرها الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي ويرأس تحريرها محمد المختار بن محمود، اشتغلت بالمباحث الراقية والتحريرات النفيسة في العلوم

<sup>1</sup>- ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص172.

<sup>2</sup>- محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص56.

<sup>3</sup>- كلمة صريحة، الشهاب، مج12، ج1، السنة12، أبريل 1936، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ط1، ص350.

<sup>4</sup>- محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج2، صص106-107.

<sup>5</sup>- عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص185.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الإسلامية والأدب العربي والتاريخ التونسي، وعملت على إشاعة روح الجامعة الزيتونية التي هي روح المحافظة على الدين ولغته وتقوية الشعور بوحدة العالم الإسلامي واعتبار الإسلام والعروبة أصل ذاتية الوطني التونسي<sup>1</sup>.

ب. جريدة الإرادة: ظهر أول عدد منها في 08 جانفي 1934 وهي جريدة سياسية إخبارية وهي لسان حال الأحرار الدستوريين وأسندت إلى السيد محمد المنصف المنستيري<sup>2</sup>. وكانت جريدة متابعة للأحداث اليومية لسلطة الحماية وكانت متابعة لتحركات منافسي الحزب من أعضاء الدستور الجديد، ونشر أهم أحداث المغرب العربي، وكانت تحمل صورا فوتوغرافية للشيخ الثعالبي وأحمد الصافي وصور بعض نشاطات الحزب<sup>3</sup>.

وقد تعرضت للتوقيف عدة مرات منذ صدورها سنة 1944 إلى غاية توقفها نهائيا سنة 1955 واستطاع المنستيري أن يثبت إزاء هاته الهزات إلى أن لاحت بشائر الاستقلال<sup>4</sup>. وكانت تنشر على صفحاتها التحليل والآراء والمواقف وتحدث عن السياسة الاستعمارية وتنتقدها أشد الانتقاد وتصدر مواقف الحزب الدستوري القديم من سياسات الإصلاح والتشريعات الجديدة<sup>5</sup>.

وقد تعرضت هذه الجريدة جزاء مواقفها الجريئة إلى حملة عنف مع أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم من طرف أنصار الدستور الجديد<sup>6</sup> واهتمت كثيرا بما كان يتعرض له جامع الزيتونة من مضايقات من طرف إدارة الحماية<sup>7</sup>.

ومن خلال أهم الصحف والمواضيع التي تطرقنا إليها نجد تطابق وتشابه بين مجلة الشهاب والمجلة الزيتونية من عدة نواحي، أولها طول المدة الزمنية وهما من المجالات القلائل التي نجت من مقصلة التوقيف والمنع، كذلك تقارب المواضيع التي تنشرهما خاصة في مجال الإصلاح الديني والتربوي، كما كانت كلتا المجلتين غنية بأقلام صحفية إصلاحية لها باع في مجال الكتابة الصحفية والمقدرة على التحرير والتنوير.

كذلك نجد تقارب بين البصائر والإرادة أيضا في طول المدة الزمنية وكانت كلتاها ناطقة باسم هيئة سياسية ذات توجه إصلاحية، فالأولى كانت لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر، والثانية كانت لسان حال الحزب الدستوري "القديم" ذو التوجه الإسلامي الإصلاحي، وغلبت على مواضيعهما رغم تنوعها الجانب السياسي.

### المطلب الرابع: أوجه التشابه في ممارسة العمل السياسي من سنة 1920 - 1945

#### 1- الإرهاصات الأولى للنشاط السياسي

1- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، صص 163-164.

2- محمد الطيب رزوق، المرجع السابق، ص 16.

3- المرجع نفسه، ص 24.

4- المرجع نفسه، ص 26.

5- المرجع نفسه، ص 27.

6- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 157.

7- محمد الطيب رزوق، المرجع السابق، ص 30.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

رغم وصف الإصلاحيين بأنهم لا يمارسون السياسة ويهتمون بالإصلاح الديني والاجتماعي إلا أن هذا الكلام هو بعيد كل البعد عن الحقيقة. فالسياسة من صميم عملهم وفي هذا يقول ابن باديس: "كلامنا اليوم عن العلم والسياسة معا وقد يرى البعض أن هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة، مع أنه لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد..."<sup>1</sup>

وهذه التبريرات لدخول الإصلاحيين ميدان العمل السياسي إلى جانب الوطنيين من المنتمين إلى الأحزاب الأخرى لم تكن جديدة عليهم، وإنما مهّد لها ابن باديس وإخوانه منذ عودتهم من المشرق في بداية العشرينات من القرن الماضي. لقد كان نشاط العلماء من 1919 إلى غاية 1930 متنوع وشامل وعمل يُهيء الأرضية لانطلاق عمل جماعي ومنظم وشمولي فيما بعد 1931، كما ذكرنا ذلك سابقا من إنشاء النوادي والجمعيات الثقافية بالإضافة إلى الهجرة للدراسة، وفي ميدان الدين إنشاء المساجد بأموال الأمة في المدن والقرى وفي النطاق النفسي كان هناك تفكير جاد ومباشر وثقة لدى الجزائريين بالإضافة إلى اعتقاد راسخ بوجود "الأمة" وفي الحياة السياسية كان هناك شعور خاص نحو الإسلام واللغة العربية. وبناء على رأي العلماء فإن هذه التطورات قد جعلت خلق جمعيتهم ممكنا وضروريا لأن الفكرة كانت ناضجة والأمة كانت مستعدة<sup>2</sup>.

فمثلا نجد الشعار الذي كان على غلاف الشهاب في الثلاثينات هو "الحق، العدل، المؤاخاة في إعطاء الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات" وكان هذا الشعار في أعوام 1929، 1930، 1931، تعبيرا عن اهتمامات مرحلة معينة من مراحل الكفاح السياسي كان اهتمام السياسيين فيها منصرفا إلى الحصول على جميع الحقوق المدنية والسياسية وإلغاء الفروق التي تجعل من الجزائري مواطنا من الدرجة الثانية<sup>3</sup>. وفي هذا يقول ابن باديس في المنتقد العدد الأول سنة 1925 ما يلي: "من المستحيل أن تكون الظروف دائما ملائمة لنا ومساعدة على القيام بمقاصدنا.. فاغتنامها إذا ساعدت والتكيف بها إلى حد ما إذا عاكست شرط العمل والفوز في هاته الحياة"<sup>4</sup>. وهذا الكلام يدل دلالة قطعية على التوجه المرحلي الذي سار عليه العلماء في تطوّرهم نحو العمل السياسي.

لقد كان عبد الحميد بن باديس يؤمن بالعمل الجماعي والتشاور والتحاور، فرصد جهده لتكوين جماعة منظمة تفكّر وتدبّر وتتأزر وتنهض بالمسلمين. وهذا من صميم الفكر السياسي الثوري الذي يعتمد على العمل الجماعي<sup>5</sup>. وفي عام 1927 دعى الشيخ ابن باديس الطلاب العائدين من الزيتونة والمشرق العربي إلى ندوة يدرسون فيها أوضاع الجزائر وما يمكن عمله. ولّى الدعوة الإبراهيمي ومبارك المليبي والشيخ العربي التبسي وسعيد الزاهري ومحمد خير الدين واتفقوا على خطة عمل تقضي بإنشاء المدارس الحرة ونشر الدعوة في المساجد الحرة واستخدام الصحافة والنوادي والكشافة

<sup>1</sup> - عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ج4، ص331.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص390.

<sup>3</sup> - محمد يحيى الدين سالم، المرجع السابق، ص57.

<sup>4</sup> - عبد الحميد بن باديس: خواطر، المنتقد، العدد: 01، الخميس 11 ذي الحجة 1343هـ/02 جويلية 1925، المصدر السابق، ص20.

<sup>5</sup> - عبد العزيز فيلاي، الشيخ عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص28.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

الإسلامية للشباب هادفين من ذلك كله "اذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية والخنوع للأجنبي"<sup>1</sup>.

أما بالنسبة للتيار الإصلاحى الزيتوني فقد كانت المؤسسة الزيتونية منذ نهاية القرن التاسع عشر ميلادي وفي كل الأزمات السياسية الهامة تلعب الدور الأساسي في الأحداث والتحركات الاجتماعية<sup>2</sup>.

حيث نلمس هذا النشاط السياسي المبكر في تحركات وأقوال وكتابات الشيخ عبد العزيز الثعالبي، حيث كانت دوافعه إلى مقاومة المد الاستعماري الغاشم والتيار التغريبي المتعدد الوجوه والبرامج ذات اتجاهين:

اتجاه سياسي حركي نضالي، واتجاه ثقافي مؤسس على منزع إسلامي لمواجهة الغزو الثقافي وللإصلاح والإيقاظ من أجل استرجاع المكانة التي كانت للحضارة العربية الإسلامية في الماضي، كما يبيّن ذلك هو نفسه في الخطاب الذي ألقاه في افتتاح المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس في 07 ديسمبر 1931م<sup>3</sup>.

ويعتبر كتابه "تونس الشهيدة" الصادر بفرنسا في أوائل جانفي سنة 1920 الأثر الأبرز في الحراك النضالي للثعالبي<sup>4</sup>. حيث عرف النشاط السياسي بتونس انتعاشا غداة الحرب العالمية الأولى، مقارنة بما كان عليه هذا النشاط في فترة الحرب كنتيجة لمستجدات على الساحة الوطنية من ناحية وعلى المحيط العربي والإسلامي والساحة الدولية عامة من ناحية أخرى.

حيث نشط الزيتونيون وعلى رأسهم البشير الفوري والشاذلي المورالي والطيب بن عيسى إثر احتلال جيوش دول التحالف يوم 10 مارس 1920 استانبول وقاموا بمظاهرات مدعمة من الطلبة الزيتونيين أمام الإقامة العامة<sup>5</sup>.

وأثناء تحركات الثعالبي السياسية فقد وصف لنا أحمد توفيق المدني الجو النضالي الشعبي الذي ميّز الفترة وأهمية دور الزيتونيين، حيث تحمّس الشعب التونسي لتقديم الثعالبي خلال شهر أفريل من سنة 1919 عريضة للرئيس ويلسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حررها الثعالبي وهي تطلب الاعتراف بحق تونس في الحرية والاستقلال<sup>6</sup>.

وظل النشاط السياسي للإصلاحي للطلبة والعلماء الزيتونيين أمثال محمد الصادق النيفر والشيخ محمد مناشو ويساندهم الشباب المتطلع للتغيير من أبناء الزيتونة أمثال؛ المدني والقليبي وزين العابدين السنوسي والطاهر الحداد وغيرهم<sup>7</sup>. إلى غاية أن أسسوا الحزب الدستوري سنة 1920.

لقد كان هذا التشابه والتطابق في العمل السياسي بين التيارين هو إيمان التيار الإصلاحى بوجود التغيير عن طريق العمل السياسي الذي هو المحطة الأخيرة في مرحلة التغيير الإصلاحى ومكمل له، لذلك كان التيار الإصلاحى في الجزائر

<sup>1</sup> - مازن المطبقاتي، المرجع السابق، ص 71.

<sup>2</sup> - محمد مسعود إدريس، المرجع السابق، ص 331.

<sup>3</sup> - فتحي بوعجيلة، المرجع السابق، ص 183.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 183.

<sup>5</sup> - علي الزيدي، الزيتونيون دورهم، المرجع السابق، ص 257.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 267.

<sup>7</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 138.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

يهيء الأرضية ويرتي الجليل الذي سيحمل المشعل ويتولى عملية التغيير السياسي بينما كان الإصلاحيون السياسيون التونسيون قد انطلقوا فعلا في المشاركة والنشاط السياسي نظرا لاعتبارات وأولويات سنتكلم عنها في موضوع الاختلاف.

### 2- تأسيس الأحزاب السياسية والمشاركة في نشاطاتها

إن الخراط الزيتونيين في الحزب الحر الدستوري الذي يعتبر حزبا سلفيا إسلاميا ووحيدويا عربيا إسلاميا داعيا ومجاهدا مُصر على أن تبقى تونس مرتبطة بحضارتها وبأشقيائها العرب والمسلمين وبناء دولة ترفع راية الإسلام<sup>1</sup>. فلقد كان جل شيوخ وتلامذة الزيتونة دستوريين حتى أن سلطة الحماية اعتبرت جامع الزيتونة معقلا للوطنية وكان له الأثر البالغ في صقل الشعور الوطني وكان شأنه مع الحزب الحر الدستوري التونسي شأن جامع الأزهر مع الحزب الوطني<sup>2</sup>.

لقد تأسس الحزب تحت قيادة الثعالبي في مارس 1920 وعند تأسيس الحزب سعى قادة الحزب إلى شرح مقصودهم فصّح محي الدين القليبي قائلا: "إن فكرة الدستوريين ليست ضد فرنسا ولا ضد مصالحها أو مشاريعها التمدينية وإنما ضد مصالح المستبددين بالنفوذ في هذه البلاد الذين يريدون أن يكونوا ملوكها المطلقين. فهم يرون في فكرة الدستور خطرا على استبدادهم وما تعودوه من ظلم وجور"<sup>3</sup>. ولعل هاته التصريحات من المواربة والتورية تشبه تصريحات الإصلاحيين في الجزائر عندما أسسوا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك لكيلا يصطدموا بالمستعمر الفرنسي في بداية مشوارهم السياسي ويفوتوا الفرصة على المتربصين. وأنتخب الثعالبي غيايبا على رأس الحزب وأيضا نجد قيادته من النخبة الزيتونية مثل أحمد الصافي الأمين العام ومحمد الصالح ختاش والمنصف المنستيري ومحي الدين القليبي وأحمد توفيق المدني والشاذلي خزندار<sup>4</sup>.

وقام الحزب الدستوري على مبادئ تقضي بإنقاذ تونس من نير العبودية وإنهاء هذا الوضع على الشعب التونسي من أجل تكريس حقه في التحرر والمطالبة بنظام دستوري وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب باعتبار أن تونس لها دستور معلن منذ سنة 1861 فطلبوا بالعودة والعمل به واعتمد على اتفاقية باردو 1881 بأن يسير التونسيون بلدهم بمعونة فرنسا لا بانفرادها في التسيير<sup>5</sup>. وحسب الثعالبي فإن مصدر التشريع الملائم للبلاد العربية هو تراثها العربي الإسلامي<sup>6</sup>.

1- يوسف مناصرية، الصراع الإيديولوجي، المرجع السابق، صص 11-23.

2- يوسف مناصرية، دور النخبة، المرجع السابق، ص 113.

3- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 29.

4- يوسف مناصرية، الحزب الدستوري، المرجع السابق، ص 66.

5- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص 31.

6- الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 55.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وفي نادي الترقى في 5 ماي 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ويقول الإبراهيمي: "دعونا فقهاء الوطن كلهم وكانت الدعوة التي وجهناها إليهم صادرة باسم الأمة كلها.. فاستجابوا جميعا واجتمعوا في يومها المقرر... وانتخبوا ابن باديس رئيسا في غيابه"<sup>1</sup>.

أيضا نجد التشابه في غياب الرئيسين أثناء الانتخاب وهذا لضمان الأصوات وعدم التأثير على الحاضرين كي يكون الانتخاب أكثر مصداقية، وتكوّن مجلس إداري من الإبراهيمي وابن باديس والعمودي والعقبي والميلي ويوض. وكانت أهم مواد القانون الأساسي لجمعية العلماء التي جاءت في الفصل الثالث من القسم الأول "لا يسوغ لجمعية العلماء مجال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية". وقد أثارت المادة الخاصة بامتناع الجمعية عن الخوض أو التدخل في المسائل السياسية الكثير من النقاش سواء لدى الكُتاب المسلمين أو غير المسلمين<sup>2</sup>.

حيث نجد الدكتور رابح تركي يقول حول هاته النقطة: "إعلان الجمعية بأنها ليست سياسية هو تجنب المصير الذي تلقته معظم الحركات السياسية والوطنية في الجزائر.. وتحت ستار العمل الديني ونشر التعليم والتهديب ودروس الوعظ كانت الجمعية تخوض في المسائل السياسية وتوجّه الشعب توجيهها عربيا إسلاميا يتناقض مع سياسة الاحتلال"<sup>3</sup>.

وهذا ما ذهب إليه أيضا أبو القاسم سعد الله، حيث يقول: "نعتمد أن طلب الجمعية كان سيفرض لا محالة لو سلكت الجمعية طريق الدعوة الصريحة للاستقلال الوطني ووضعت لذلك برنامجا سياسيا فهل كانت الإدارة ستقف منها موقف المتفرّج؟ إن أبسط ما كانت الإدارة ستفعله عندئذ هو حل الجمعية والزج بعناصرها البارزة في السجن والقضاء على مدارسها وصحفها على الأقل، هكذا كان موقف الإدارة من التجمعات الأخرى خلال العشرينات"<sup>4</sup>.

وهذا الطرح كما قلنا هو مشابه لتصريحات الإصلاحيين التونسيين عند تأسيس الحزب الدستوري وذلك بعدم الإعلان عن أهدافهم الحقيقية وغاياتهم بشكل صريح وواضح لأنهم لم يكونوا في حالة سلم بل هم مدركون أنهم في حالة حرب مع عدو غاشم محتل ظالم يتربص بهم الدوائر.

لذلك فإن السلطات الفرنسية لم تتأخر في منح الترخيص الرسمي ونشر هذا الترخيص في الجريدة الرسمية يوم 1931/05/13 لاعتقاد الإدارة الفرنسية أن العلماء الجزائريين لا يشكّلون خطرا حيث كانت دوائر الشرطة تهتم بالنشاط المتزايد للشيوعية وبأن نشاط ابن باديس ليس له أبعاد سياسية وهو لا يتعدى حدود النظريات<sup>5</sup>.

ويتبين لنا عزم الإصلاحيين في الجزائر وتونس على تأسيس والمشاركة في جمعيات وتنظيمات سياسية تلي رغبتهم وتخدم توجهاتهم، فالإصلاحيين السياسيين في تونس من طلبة وعلماء الزيتونة نجدهم قد تكتلوا في الحزب الحر الدستوري الذي أسسه الثعالبي، لأنه حزب كما قلنا يخدم توجهات الزيتونيين وإن لم يكن حزبا زيتونيا خالصا لهم.

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص281.

<sup>2</sup> - مازن المطبقاتي، المرجع السابق، ص84.

<sup>3</sup> - رابح تركي، الصراع بين، المرجع السابق، ص57.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، المرجع السابق، ج4، ص144.

<sup>5</sup> - مازن المطبقاتي، المرجع السابق، ص92.

### الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

أما الإصلاحيين الجزائريين فقد أسسوا جمعيتهم وتنظيمهم الذي يخدم أهدافهم المرورية والمستقبلية بعد أن هيؤوا الأرضية لذلك واغتموا أول فرصة وسارعوا لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

كما أن الزيتونيين حاولوا تأسيس جمعية تكون خالصة لهم على غرار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحاولوا تسميتها "هيئة علماء الجامع الأعظم" وكانت هاته المحاولات سنة 1932 وتكررت سنة 1937 وذلك بتشجيع من رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ابن باديس<sup>1</sup>.

#### 3- أهم النشاطات السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والإصلاحيين الزيتونيين إلى غاية 1945

لم تمض سنة على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حتى بدأ الصراع بين الإصلاحيين والمحافظين الذين يمثلهم مولود الحافظي والذين رفضوا أن تكون لهم أدوارا ثانوية في قيادة الجمعية، وكانت تضم هذه الأقلية أنصار الزوايا وبعض المستقلين حيث دعوا إلى جمعية عامة لتغيير قيادة الجمعية ولكن ابن باديس ومن معه تفتنوا لهم وفوتوا عليهم الفرصة ونتج عن ذلك جمعيتان؛ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجمعية علماء السنة الجزائريين، وكانت الغلبة في النهاية للتيار الإصلاحي وظهر ذلك جليا في مؤتمرها العام سنة 1935 الذي كان من أقوى مؤتمرات الجمعية<sup>2</sup>.

أيضا نجد أن الحزب الدستوري قد واجه أزمة داخلية مماثلة لما حصل داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ ربط الحزب الدستوري نضاله السياسي وإيديولوجيته الفكرية بالحركة الوطنية بالمشرق العربي والجامعة الإسلامية وهو أمر لم يرق للتيار التغريبي الذي درس أعضاؤه في أوروبا وتأثروا بأفكارها ومناهج فكرها في التنظيم والتقنين، فانشقوا عن الحزب وأسسوا في 2 مارس 1934 بمؤتمر قصر هلال الحزب الدستوري الجديد، مستغلين غياب الشيخ عبد العزيز الثعالبي في المشرق من جهة والفتور الذي أصاب الحزب من جهة أخرى فانشطر الحزب إلى جناحين الحزب الدستوري القديم ذي التوجه العربي الإسلامي، والحزب الدستوري الجديد ذي التوجه التغريبي<sup>3</sup>.

ورغم انشطار الحزب إلى جناحين فإن ذلك لم يؤثر على نشاط الزيتونيين، حيث نجد الطلبة الزيتونيين قد ساهموا مساهمة فعالة في مظاهرات أبريل 1938 واستشهد ذلك اليوم عدد كبير منهم برصاص القوات الاستعمارية<sup>4</sup>. وأيضا نشاط طلبة وعلماء الزيتونة السياسي أثناء الحرب العالمية الثانية لم يتوقف بل كان تحت رقابة المصالح الأمنية الاستعمارية الفرنسية حيث من خلالوثائق المراقبة المدنية نجد مثلا نشاط الشيخ علي بن إبراهيم بن بوعثمان بأنه أحد العناصر النشيطة في الحزب الدستوري الحر وينشط ضمن خلية منزل تميم أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد حُكِم عليه قبل ذلك

<sup>1</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص184.

<sup>2</sup> - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص318.

<sup>3</sup> - علال الفاسي، المصدر السابق، ص76.

<sup>4</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص143.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

بالسجن سنة 1938 بتهمة التحريض على الحقد العنصري،<sup>1</sup> ووثيقة أخرى تتكلم عن اجتماع للدستوريين في غرفة طالب زيتوني بالجامع الأعظم.<sup>2</sup>

أما الإصلاحيين الجزائريين فكانوا رغم إظهارهم في موثيقهم عدم الاشتغال بالسياسة إلا إنهم كانوا متواجدين في قلب الأحداث السياسية ويمارسون العمل السياسي بشكل أو بآخر.

حيث تدخلت جمعية العلماء عن طريق رئيسها بان باديس لإطفاء نار الفتنة بين المسلمين واليهود التي اشتعلت بمدينة قسنطينة سنة 1934 وأثبت الشيخ ابن باديس بأنه شخصية وطنية بأتم معنى الكلمة، حيث تحكّم في جموع المسلمين وقوّت الفرصة على اليهود والإدارة الاستعمارية.

كما كان لها تأثير سياسي وفكري على المنظمات الطلابية التي تبنت أفكار ومبادئ العلماء مثل جمعية طلبة شمال إفريقيا بفرنسا والتي تأسست سنة 1927، حيث اتخذت مواقف من التجنيس واللغة والتعليم العربي جديرة بالتأمل والدرس ورفضوا المتجنسين في صفوفهم ورحّب العلماء بهذه الخطوة واعتبروها انتصارا لهم.<sup>3</sup> وقد احتضن العلماء مؤتمرهم الثاني سنة 1932 بنادي الترقّي وكانت قرارات المؤتمر وتوصياته تنسجم تماما مع روح جمعية العلماء وأهدافها.<sup>4</sup> وساهموا في تأسيس جمعية الجزائريين الزيتونيين بتونس سنة 1933، حيث بلغ عددهم سنة 1936 حوالي 200 طالب بسبب الدعوة الإصلاحية التي نهضت بها جمعية العلماء في القطر الجزائري.<sup>5</sup>

أما أهم نشاط سياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي مساهمتها الفعالة في انعقاد المؤتمر الإسلامي سنة 1936 حيث برزت أهدافها السياسية من خلال مطالبها في لوائح المؤتمر الإسلامي وأيضا بروز جهدها وعملها الفعال في جمع كل الأحزاب السياسية الوطنية الجزائرية في هذا المؤتمر وأيضا مشاركتها في الوفد السياسي للمؤتمر للمطالبة بحقوق الشعب الجزائري.

ويبدو أن فكرة مؤتمر إسلامي يضم كل التيارات السياسية الجزائرية خطرت على ذهن عبد الحميد بن باديس منذ مطلع الثلاثينات كما تدل على ذلك الدعوات إلى تجمّع واتحاد الوطنيين والإصلاحيين التي صدرت في مجلة الشهاب فيما بين سنوات 1930 و1936.<sup>6</sup>

رغم أن المؤتمر الإسلامي لم يحقق أي نتيجة تذكر بل وجهت ضربة للجمعية من خلال قتل المفتي كحول واتهام العقبي وانسحاب ابن جلول من المؤتمر وهذا يدل على مدى وقوف السلطات الفرنسية بالمرصاد للحركة الوطنية ونشاط العلماء بصفة خاصة.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، المصدر السابق.

<sup>2</sup> - A.N.T, M.N, Carton N° :51, Op.cit.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص107.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص110.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص90.

<sup>6</sup> - محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص386.

<sup>7</sup> - مازن المطلقاتي، المرجع السابق، ص178.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وفي المحصلة أن الجمعية بقيادة ابن باديس من خلال هذا المؤتمر قد أقامت الحجة السياسية على فرنسا وأثبتت أن وعودها مجرد حبر على ورق لا تتجسد فعليا. وكان هدف ابن باديس أبعد من ذلك بكثير وهو تكوين جبهة سياسية موحدة لكل الجزائريين تكون كبداية أولى لانطلاق كفاح سياسي يحقق الاستقلال التام، ورغم مؤاخذات البعض كمالك بن نبي وابن العقون إلا أنها تعتبر وجهات نظر لا تفت في عضد جمعية العلماء ولا في مسيرتها نحو تحقيق أهدافها.

وكان موقف جمعية المسلمين الجزائريين من مساندة فرنسا في الحرب العالمية الثانية مبني على خلفيات الصراع السياسي حيث رفضت جمعية العلماء وابن باديس يدها من فرنسا، ففي مقال بعنوان "آن أو أن اليأس من فرنسا" بتاريخ 09 أوت 1937 يؤكد فيه أن السياسات المتبعة من طرف الحكومة الفرنسية لن تنجح في دفع الجماهير وطلاتها لليأس والاستسلام صريح كل الصراحة في استخلاص النتيجة الوحيدة اللازمة وهي الدعوة إلى الكفاح ودفع الناس إلى التفكير في وسائل أخرى للمقاومة غير تلك التي انتهجتها الجمعية حتى ذلك الحين<sup>1</sup>.

ورفض المجلس الإداري للجمعية سنة 1938 الإعلان عن تأييد فرنسا في صورة ما إذا نشبت الحرب بين فرنسا وألمانيا<sup>2</sup>، وقد اعتقلت فرنسا بعض أعضاء الجمعية وعلى رأسهم الشيخ الإبراهيمي ونائب رئيس الجمعية، حيث نفي إلى آفلو بالجنوب الجزائري وفرضت الإقامة الجبرية على ابن باديس<sup>3</sup>.

وكان موقف الجمعية مع الأحزاب الوطنية، حيث دعت الجمعية ومنذ عهد ابن باديس الأحزاب الوطنية إلى التوحد من خلال دعوتها الصريحة في جريدة البصائر: "إن قوتكم في الاتحاد فاتحدوا يا قادة الأحزاب..". وبعد انتخاب الإبراهيمي على رأس جمعية العلماء كان للجمعية نشاطات سياسية وتحركات عديدة من انتخاب الإبراهيمي في 07 نوفمبر 1940 رغم أنه كان تحت الإقامة الجبرية بآفلو<sup>4</sup>.

كما شاركوا في إعداد بيان فيفري 1943 مع الأحزاب الوطنية الجزائرية الذي ضم مطالب وطنية كرسمية اللغة العربية وفصل الدين عن الدولة وسلّموا البيان إلى الحاكم العام بالجزائر وممثلي الحلفاء والجنرال ديغول. وقد رفضت فرنسا مطالب البيان وهددت أعضاؤه بالقوة.

وعلى إثر ذلك شارك العلماء أيضا في جمعية أحباب البيان والحرية سنة 1944 ردا على أمرية ديغول الصادرة في 07 مارس 1944 والتي لم يرد فيها شيء جديد سوى ما يرضي دعاة الإدماج وفرنسا<sup>5</sup>. حيث استطاعت جمعية أحباب البيان أن تجمع القوى الوطنية الفاعلة في الجزائر من جهة أخرى وصل عدد المنخرطين إلى مليون منخرط<sup>6</sup>.

وعلى إثر حوادث 08 ماي 1945 التي وقعت فيها مجازر رهيبية أصدرت الجمعية بيانات ومقالات احتجاج حيث تم اعتقال الإبراهيمي ومجموعة أعضاء الجمعية، وقد وضعت الإدارة الفرنسية جمعية العلماء في قفص الاتهام بمعادة

1- محمد الميلي، المؤتمر الإسلامي، المرجع السابق، ص 427-428.

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ج3، ص88.

3- مازن المطبقاتي، المرجع السابق، ص234.

4- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص310.

5- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص234.

6- شارل اندري جوليان، إفريقيا الشمالية، المرجع السابق، ص329.



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

فرنسا وإثارة حوادث 08 ماي 1945<sup>1</sup>. حيث جاء في تقرير توبر Tubert الذي كلف بالتحقيق في الحوادث: أن الجمعية لعبت دورا في التحضير النفسي لقيامها من خلال نشاطاتها الجماهيرية<sup>2</sup>.

لقد كان نشاط الإصلاحيين سواء في الجزائر أو تونس خاصة النشاط السياسي ثري ومتعدد الجوانب، فالإصلاحيين سواء علماء وطلبة الزيتونة أو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانوا حاضرين وبقوة في أغلب المواقف الوطنية التي كانت تستدعي حضورهم وإثبات تواجدهم، أيضا ساهموا مع جميع الأحزاب الوطنية حتى التي لا تتوافق مع توجهاتهم الإيديولوجية في مواجهة المشاريع الاستعمارية، كما فعل طلبة وعلماء الزيتونة مع الحزب الدستوري الجديد في عدة مواقف منذ تأسيسه سنة 1934 إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية، وكما فعل أعضاء جمعية العلماء في الجزائر مع أعضاء النخبة والحزب الشيوعي في المؤتمر الإسلامي سنة 1936 وجمعية أحباب البيان والحرية 1944.

### المطلب الخامس: أوجه الاختلاف في الجانب الديني ومحاربة الطرق الصوفية

كما كان هناك تشابه وتطابق بين التيارين الإصلاحيين في الجزائر وتونس من حيث النظرة الإصلاحية في مجال التجديد الديني في أغلب الأمور والقضايا الدينية، إلا أنه كما قلنا هناك تيار ثاني من الإصلاحيين الزيتونيين اختلف في عدة مسائل دينية مع التيار الإصلاحي الجزائري، لكن هذا الاختلاف لم يرق إلى درجة أن يكون خلافا جوهريا أو تنافرا بين التيارين بل كان خلاف بحكم البيئة والوضعية الاجتماعية وطبيعة الحكم وطبيعة الاستعمار في حد ذاته وأيضا في سلم الأولويات كما أسلفنا سابقا.

وعليه فأغلب رواد الحركة الإصلاحية الجزائرية رجعوا من المشرق ومن البلدان الإسلامية بعد أن أكملوا تعلمهم الديني، كالشيخ عبد الحميد بن باديس الذي درس بالزيتونة والشيخ الإبراهيمي الذي كان في الحجاز وأيضا الشيخ العقبي والشيخ العربي التبسي الذي درس بالزيتونة والأزهر، وهذا راجع إلى انعدام المعاهد والجامعات الإسلامية التي تعطي دراسات عليا في الجزائر بحكم أن الاستعمار الفرنسي حاول القضاء على كل مكونات الشخصية الإسلامية قضاء مبرما. نجد في المقابل أن نشاط الحركة الإصلاحية التونسية كان سابقا في هذا الميدان منذ إصلاحات الوزير خير الدين باشا والشيخ قبادو وأيضا أغلب علماء الحركة الإصلاحية التونسية طبعاً كانوا من خريجي جامع الزيتونة أي تكوينهم العلمي كان تكويننا ذاتيا مستمدا من مكونات الشخصية الإسلامية التونسية التي بقيت محافظة على كيانها وتواجدها أمام الاستعمار الفرنسي، كما وجدنا أيضا تعامل الإصلاحيين الجزائريين مع الإخوة الإباضيين في بني ميزاب وهو مذهب يختلف عن المذهب المالكي السني في الجزائر، فالإصلاحيون الجزائريون بحكم مرجعيتهم السلفية الحديثة أمكنهم تجاوز التعصب المذهبي كما وجدوا في صرامة التوحيد ما يدعو إلى التقارب مع الإباضيين وتجسد التقاء الطائفتين في مشاركة إبراهيم اليقظان والشيخ بيوض في إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج3، ص255.

<sup>2</sup> - AHMED SARRI, Op.cit, P 81.

<sup>3</sup> - عبد الرؤوف قرنا، المرجع السابق، ص163.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

بينما الاختلاف الطائفي لم يكن مطروحا عند الإصلاحيين التونسيين بحكم أن أغلبية الشعب التونسي على المذهب المالكي السني، ما عدا بعض العائلات القليلة التي تنتمي إلى الأسرة الحسينية الحاكمة كانت على المذهب الحنفي، وقد حدث خلاف بين العلماء الإصلاحيين الزيتونيين وعلماء الإصلاح في الجزائر، مثلا حول فتوى قراءة القرآن عند تشييع الجنازة أثارت ضجة أكثر وأقوى في الجزائر على صفحات جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فعندما سُئِلَ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في ذلك قال أن الصمت والسكوت في هاته المواضع هو السنة وهذا الجزء من الفتوى كان محل اتفاق بين الشيخ ابن باديس والشيخ ابن عاشور، بيد أن ابن عاشور أضاف شرحا أدى به إلى استنتاج ونصه: "وحيث أن تكون القراءة القرآن في تلك المواطن مكروهة وإما مباحة غير سنة تكون مندوبة في جميعها وإما مندوبة في بعضها دون البعض"، واعتبر ابن باديس هذا الاستنتاج لا دليل عليه وعدّه مقاومة للسنة وتأييدا لبدعة قراءة القرآن على الميت<sup>1</sup>.

والمسألة الخلافية الثانية والتي في رأينا نراها مهمة وهو ان، الفريق الثاني من علماء الإصلاح الزيتونيين الذين لم يسكتوا أيضا على المعتقدات والممارسات التي هاجمها المثقف السلفي العقلاني إلا أنهم لم يجعلوا منها محورا رئيسا لمساعهم الإصلاحي وكانوا معتدلين في هذه المسألة ما يعكس اختلافا جزئيا في الموقف من العقائد الشعبية واختلاف أكبر في طريقة التعامل معها<sup>2</sup>.

وهذه الأولويات في عملية التغيير الإصلاحي كانت تراها الحركة الإصلاحية الزيتونية -المعتدلة إن صح التعبير- تختلف عن تلك الأولويات التي سطرّها الحركة الإصلاحية في الجزائر، إذ أننا نجد الشيخ محمد الخضر حسين من القلائل الذين أعلنوا موقفا صريحا عندما وازن بين الوظائف الإيجابية للطرق والزوايا وسلباتها التي دعا إلى معالجتها وذكر من جهة أنه: "كان لمشائخ الطرق قبل هذا العصر فوائد لا يصح إنكارها كاتخاذ الزوايا لتعليم القرآن وتلقي جوانب من مبادئ الدين والأحكام الفقهية والإرشاد إلى بعض الأخلاق الفاضلة والمحافظة على العادات وترك المنكرات"<sup>3</sup>.

ويذكر الشواشي أيضا: "أن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور تجنّب الخوض في موضوع الطرق الصوفية أيضا لأنه كان يرى بأنه صراع سياسي تغذيه عدة أطراف وليس صراع علمي محض وربما هذا الموقف هو الذي دفعه إلى عدم الحديث عن علم التصوّف في كتابه (أليس الصبح بقريب)"، لأنه سيضطر إلى بيان الفساد الذي طرأ عليه وفي ذلك إثارة لشيوخ الطرق<sup>4</sup>. فالشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومن معه من الإصلاحيين الزيتونيين لم ينساقوا وراء المنحى المعادي للمعتقدات الشعبية الذي أعطاه رشيد رضا للسلفية الجديدة<sup>5</sup>. حيث جاء ليؤكد حدود تأثره بالسلفية الجديدة واهتمامه بعدم إثارة الرأي العام والعلماء لمحافظين وهنا نضع الإصبع على أحد العوامل الذي تجاوز مفعوله شخص ابن عاشور ليشمل أغلبية العلماء المصلحين في تونس باختلافهم، فهؤلاء ينتمون إلى موروث ثقافي وديني قام على التعايش بين

<sup>1</sup> - بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص 136.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 291.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 291.

<sup>4</sup> - سليمان الشواشي، المرجع السابق، ص 459.

<sup>5</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 201.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

العقيدة السنية والإسلام الشعبي الطرقي إلى حد أن دعوة الوهابية لم تجد مناصرين عند ورودها على تونس بل كانت موضع استهجان من العلماء والرأي العام<sup>1</sup>.

والدليل على ما حدث للثعالبي عندما هاجم الطريقة في بداياته حيث تم سجنه ومحاصرته من طرف العلماء المحافظين الزيتونيين وكذا الشيخ محمد شاکر وغيرهم من أنصار التيار الإصلاحي السياسي.

إذا فالاختلاف واضح بين التيار الإصلاحي في الجزائر وتيار الإصلاحيين الزيتونيين في تونس بشأن أهمية المعركة ضد الإسلام الطرقي والمعتقدات الشعبية وبشأن أسلوب إدارتها أيضا. وأيضاً تباين في سلم الاهتمامات العقائدية والفقهية، أيضاً لم تعرف الإصلاحية في تونس أنموذج المصلح الوهابي المكافح كما لم تعرف الإصلاحية الإسلامية الجزائرية أنموذج المصلح التحديثي المتجذر على نمط الطاهر الحداد، أو لنقل أن هذا المثقف لقي اعتراضاً أو صداقياً في تونس، في حين تعذر في الجزائر وجود هذا النموذج أصلاً.

### المطلب السادس: أوجه الاختلاف في النشاط التعليمي والتربوي

لئن أتاح نظام الحماية على هشاشة ضماناته لحركة الإصلاح التونسية أن توجه جهدها نحو إصلاح المؤسسات العلمية والشرعية وعلى رأسها جامع الزيتونة مع الحفاظ على كيانها، الأمر الذي جعل الإصلاح الديني والتصدي الثقافي يأتیان في الدرجة الثانية من الاهتمامات، فإن طبيعة وحجم الكارثة التي شكلها الاستعمار في الجزائر من خلال تدمير معالمها ومؤسساتها الدينية والتربوية والثقافية وتهجير أو نفي علمائها وإخضاع ما بقي من هيئاتها العلمية والشرعية لإدارة الاحتلال والعمل على فرنسة البلاد والثقافة واللغة، كل ذلك يُفسّر اختلاف سلم الأولويات وحجم الرهانات في صف حركة الإصلاح الإسلامي الجزائرية<sup>2</sup>.

### 1- اختلاف في الجهود المبذولة في مجال التربية والتعليم

حيث نجد العلماء الإصلاحيين في الجزائر منذ البداية انصبّ جهدهم الأكبر وتركيزهم على العلمية الإصلاحية التعليمية والتربوية، فلقد كانت أبرز سمة من سمات الشيخ عبد الحميد بن باديس هي مجهوداته التعليمية التي أخذت معظم نشاطاته إذ بدأ حياته العلمية معلماً في تعليم النشء، وكان يبدأ دروسه بعد صلاة الفجر إلى غاية منتصف الليل من مسجد سيدي قموش إلى المسجد الأخضر بقسنطينة يعلّم الصغار والكبار دون كلل ولا ملل، وكان يركّز على اللغة العربية، فيقول "اللغة هي القوة" ولعله يُفصح هنا عن خطته الرامية إلى إعداد الأجيال من الشباب المثقف ثقافة عربية حتى يواجه بهم سياسة فرنسا الرامية إلى تذويب الشخصية العربية الإسلامية في الجزائر الفرنسية<sup>3</sup>.

وأثناء ترأسه لجمعية العلماء نجد سنة 1935 أنه عمل على تأسيس حوالي 70 مدرسة يدرس بها حوالي 30000 تلميذاً<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 201.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، صص 295-296.

<sup>3</sup> - محمد يحي الدين سالم، المرجع السابق، ص 105.

<sup>4</sup> - مركز الدراسات والبحوث، المرجع السابق، ص 131.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

كما نجد اغلب نشاطات علماء الإصلاح الجزائريين تصب في نفس المنحى الذي سار عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس من أن المعركة التعليمية والتربوية هي أولى الأولويات وهي معركة مصيرية.

كما كانت جهود إخوانه العلماء الإصلاحيين تصب في نفس الاتجاه، حيث نجد مجهودات الشيخ الإبراهيمي مكتملة ومدعمة لنفس التوجه، حيث قام بجهود كبيرة، فقد ألقى دروسا بالمسجد الكبير وألقى محاضرات بنادي الشباب الأدبي بمعسكر وكذلك في مدينة سيدي بلعباس وفي سنة 1936 تركّز نشاطه بالمدرسة الحرة بتلمسان التي قامت بعمل تعليمي كبير<sup>1</sup>. كما أنشأ دار الحديث بتلمسان سنة 1937.

كذلك نجد الشيخ مبارك المليي حيث انتقل بين المدن والقرى شمالا وجنوبا شرقا وغربا في سبيل نشر اللغة والدين ومقاومة الطريقة والبدع وتربية النشء وتأسيس المدارس وبتث الوعي في الأجيال وتحريضهم على الارتحال للدراسة بالزيتونة<sup>2</sup>. حيث استقر بقسنطينة وعمل معلما بمدرسة قرآنية سنة 1925<sup>3</sup>. وقام بابتكار نظام دراسي جديد جعل الدراسة أكثر تنظيما ووفّر الوقت المناسب لتطبيق أساليب التعليم وتطويرها، كما اجتهد في استعمال وسائل التعليم ومنها استعمال الكتاب المدرسي<sup>4</sup>. ثم انتقل إلى مدينة الأغواط في حدود سنة 1927 حيث درّس بمدرسة الشيبية بالأغواط مدة سبعة سنوات تخرّج على يديه علماء درّسوا في الزيتونة<sup>5</sup>.

وارتبط الشيخ العربي التبسي المثقف ذو التكوين الزيتوني والأزهري بفريق الشهاب ابتداء من جانفي 1927 وابتداء من عام 1929 أقام بتبسة حيث شرع ي تعليم ذو نزعة إصلاحية كان محل إعجاب ابن باديس<sup>6</sup>. وإثر نشاطه التعليمي التربوي بسبق عاد إلى تبسة ليدرس بمدرسة التهذيب سنة 1934 التي أسسها أعيانها ليستقدموه إلى تبسة، ثم انتقل بعدها إلى المعهد الباديسي مديرا ومدرسا حيث شمل نشاطه التعليمي الجزائر من شرقها إلى غربها<sup>7</sup>.

وكذلك النشاط التربوي والتعليمي عند إصلاحيين بني ميزاب، فقد انخرطت النخبة في ميزاب في المشروع الإصلاحي الوطني والذي كانت ركيزته الأساسية "الإصلاح التربوي" لإنقاذ أبناء المسلمين من الوقوع في الاستلاب الثقافي والجهل<sup>8</sup>. وقد جلب التعليم العصري مختلف الطبقات وقد برزت خصوصا مع منهج القطب الشيخ أطفيش وشيخه عبد العزيز الثميني من خلال معهد القطب الذي أسسه في حدود 1850 بمدينة يزقن. وأسسوا المدارس والمعاهد العصرية لاسيما معهد "الحياة" بمدينة القرارة سنة 1925<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - خالد مرزوق، المرجع السابق، ص 166.

<sup>2</sup> - سليم مزهود، المرجع السابق، ص 96.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 96.

<sup>4</sup> - عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 504.

<sup>5</sup> - محمد الصالح الجابري، مبارك المليي، المرجع السابق.

<sup>6</sup> - علي مراد، المرجع السابق، ص 134.

<sup>7</sup> - خالد أقيس، المرجع السابق، صص 68-69.

<sup>8</sup> - ناصر بلحاج، موقف النخب، المرجع السابق، ص 63.

<sup>9</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج 3، ص 264.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

ولعل أكثر نشاط أثار مخاوف إدارة الاحتلال هي البعثات الطلابية التي كان بنو ميزاب يرسلونها إلى تونس حيث كانت أول بعثة طلابية سنة 1914م بقيادة الشيخ إبراهيم بن الحاج عيسى أبو اليقظان والحاج عمر العنق وتوالت بعدها البعثات<sup>1</sup>.

ومن ناحية أخرى كانت جهود الإصلاحيين الزيتونيين تركز على إصلاح التعليم الزيتوني كأولوية، حيث شكلت أزمة مؤسسة الزيتونة وسُبل حلها أحد مراكز اهتمام النخب والرأي العام إلى حدود السنوات الأخيرة من الاحتلال وليس ثمة ما يثير الاستغراب في ذلك باعتبار أن الجامع الأعظم احتل منذ العهد الحفصي مكانة كبرى في إعادة إنتاج الموروث الثقافي. ومد المؤسسات الإسلامية بالكفاءات اللازمة للضبط الاجتماعي وكان من الحتمي إزاء التحولات المرافقة لغزو الحداثة والسيطرة الاستعمارية أن يثير مستقبلها التساؤلات وأن يثور الجدل في كيفية استمرار وظيفتها وسبل تكيفها مع الوضع الجديد<sup>2</sup>.

وكان رجال الإصلاح الديني يتفقون مع دعاة التحديث على ضرورة فتح المؤسسة على علوم الدنيوية من تاريخ وجغرافيا وحساب وهندسة وغيرها من المواد التعليمية وعلى تجديد مناهجها حيث بادروا إلى إنشاء أول جمعية زيتونية في مطلع القرن العشرين ميلادي وأدوا دورهم في عملية تحسيس الطلبة بأهمية تطوير التعليم ومثلهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في أشغال لجان الإصلاح<sup>3</sup>.

وقد تحالف التيار الإصلاحي المطالب بالتجديد بقيادة محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد العزيز بن جعيط مع المدرسين نصرة للإصلاح الزيتوني وتحلى ذلك في مؤتمر طلبة شمالي إفريقيا المسلمين الذي انعقد بتونس لأول مرة تحت إشراف الخلدونية سنة 1931، حيث عقدت فيه جلسة خاصة بإصلاح التعليم الزيتوني<sup>4</sup>.

وتوالت الإضرابات والاحتجاجات إلى غاية استقلال الوزير الأكبر في مارس 1932 ثم استقالة شيخ الإسلام ثم تسمية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخا للجامع الأعظم وفروعه في سبتمبر 1932 وانتهى عهد النظارة العلمية وعُدّ ذلك انتصارا للحركة الإصلاحية<sup>5</sup>.

وقد بدأ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بمساعدة ثلة من الأنصار الأوفياء في تخطيط مراحل الإصلاح وتطبيق النظم التي يراها كفيلة بتحقيق الهدف الذي يصبو إليه إلا أن الشيخ اضطر إلى تقديم استقالته في سبتمبر 1933 بسبب الدسائس التي ترمي إلى معارضته - من بينها موقف قضية التجنيس - وكانت ذريعة للمحافظين من أعيان الزيتونة المناهضين لبرنامج بن عاشور الإصلاحي<sup>6</sup>.

1- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون، المرجع السابق، ص 209.

2- عبد اللطيف الهرماسي، المرجع السابق، ص 252.

3- المرجع نفسه، ص ص 254-255.

4- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 154.

5- المصدر نفسه، ص 154.

6- محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 122.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

وفي صائفة 1944 عقد مؤتمر للمدرسين سمو رئيس هيئته الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي وأمينها العام محمد الصالح النيفر وانتهى إلى وضع برنامج مفصل لخطط إصلاح التعليم واتفقوا على مطالبة مشيخة الجامع والحكومة بالشروع في تنفيذه وعقدت الحكومة مجلس للنظر في برنامج الإصلاح في نوفمبر 1944 وتعطلت بسبب العراقيل الإدارية<sup>1</sup>.

وفي ربيع الأول 1364هـ/ فبراير 1945 سُمي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخا للجامع الأعظم وفروعه، وابتدأ من تلك السنة الدراسية في تطبيق الإصلاحات وكانت الإدارة الفرنسية تنظر لذلك العزم بعين الإنكار وقد ساندته نخبة الزيتونة، وكانت جمعية الخلدونية أسبق الجمعيات إلى مساندة الحركة الزيتونية<sup>2</sup>، ومما قام به الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أنه جعل الفروع الزيتونية تحت مراقبة إدارة مشيخة الجامع رأسا، ثم نظم لها إمكانية تنظيم امتحان الأهلية، وأيضا زاد من عدد الفروع الزيتونية الذي ارتقى في مدة سبعة سنوات (1949-1956) من (8 إلى 25 فرعا)، وامتد نشاطه إلى تحسين الوضعية المادية للطلبة الزيتونيين<sup>3</sup>.

وبالتالي نلاحظ الاختلاف الواضح في سلّم الأولويات برغم أن الزيتونيين اهتموا بجانب التربية والتعليم إلا أن جهدهم الأكبر كان منصبًا حول إصلاح التعليم الزيتوني، عكس التيار الإصلاحية في الجزائر الذي بدأ مشوار ومعاركة التعليم والتربية من الأساس -إن صح القول-.

### المطلب السابع: أوجه الاختلاف في النشاط الصحفي

إن أوجه الاختلاف في النشاط الصحفي لدى الإصلاحيين التونسيين والجزائريين تتجلى في خاصية الانتماء، فبالنسبة للزيتونيين أن ما لاحظناه أن الزيتونيين لم يشعروا في أي وقت من الأوقات أنهم "فئة" متميزة عن بقية المجتمع التونسي ولو أن نوع التعليم الذي كان يتلقاه أولئك الزيتونيين والقائم بالأساس على علوم الدينية الإسلامية واللغوية العربية كان يؤثر كثيرا أو قليلا في تعميق الخلفية العربية الإسلامية الموجودة بالفعل في كل تونسي بفعل نشأته في أسرة عربية مسلمة ضمن مجتمع عربي مسلم، وقد ظل المجتمع التونسي متمسكا بعرويته وإسلامه<sup>4</sup>. حيث لم تمنع ثقافة الزيتونيين هؤلاء من التفاعل مع كل التيارات الفكرية والانتماء إلى مختلف الحركات السياسية<sup>5</sup>.

وبالتالي نجد الإصلاحيين الزيتونيين قد كتبوا وساهموا في أغلب الصحف الوطنية التي صدرت دون استثناء، بالرغم أنهم كانت لهم المجلة الزيتونية وكذا جريدة الإرادة إلا أنهم كانوا يمثلون أغلبية في "مجتمع" المتعلمين والمثقفين وقد كان البعض من الصحفيين الزيتونيين أمثال "محمد الجعايبي" مدير "الصواب" والطيب بن عيسى مدير "الوزير" والشاذلي المورالي مديرا "المنير" أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري وهم بهذه الصفة ملزمون بالدفاع عن المطالب الدستورية

<sup>1</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص202.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص204.

<sup>3</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص123.

<sup>4</sup> - علي الزيدي، الزيتونة ودورها، المرجع السابق، ص152.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص152.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

في صحفهم<sup>1</sup>. وأيضا من الصحافة الفرنسية نذكر جريدة "صدى الصحافة L'échos de la presse" التي أسسها الشيخ الثعالبي في مارس 1923 وقد دافعت بشدة عن القضية التونسية، كما نجد صحيفة "صوت التونسي La voix du tunisien" التي شارك فيها أحمد الصافي<sup>2</sup>. حيث حاربت هذه الصحيفة إحياء سلطات الاحتلال الذكري الخمسينية لانتصاب الاحتلال وكان هدفها مقاومة غطرسة المتفوقين والسلطات الاستعمارية، وقد كان في مجلس إدارتها وهيئة تحريرها محي الدين القليبي<sup>3</sup>.

كما نسب أشهر ما راج من صحف سرية في ظل الرقابة خلال الفترة التي تلت حوادث أبريل 1938 واستمرت إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية من قبيل "الهلال" و"الهلال الأسود" إلى طلبة زيتونيين بالأساس من أمثال محمد المرزوقي ومحمد بسباس ونصر المرزوقي وعبد السلام الفارسي وعبد القادر الفقيه وغيرهم بحيث يمكن القول أن الصحافة التونسية كانت تقوم بالأساس على الزيتونيين فهم أهم من كان يُصدرها ويُحررها وأغلب من كان يقرأها وبدونهم لم تكن تلك الصحافة شيئا يُذكر<sup>4</sup>، في المقابل نجد أغلب الإصلاحيين الجزائريين قد اكتفوا بالكتابة في جرائدهم التي أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس الشهاب والمنتقد أو التي أصدرتها الجمعية العلماء بعد تأسيسها سنة 1931 والتي كانت أهمها البصائر ولم نجد لهم كتابات حسبما اطلعنا عليه في جرائد وصحف حزب نجم شمال أفريقيا كجريدة الإقدام التي عادت إلى الظهور سنة 1926 والتي استغلها النجم للدفاع عن أفكاره<sup>5</sup>. وأيضا جريدة "الأمة" التي صدرت سنة 1930 خلفا لجريدة الإقدام وواصلت التعريف بأفكار الحركة ومبادئها الوطنية الاستقلالية إلى أن توقفت سنة 1939<sup>6</sup>. وكانت هاته الجريدة تصدر في باريس باللغة الفرنسية وكانت الجريدة الوحيدة التي عارضت قرارات المؤتمر الإسلامي المنعقد في 7 جوان 1936، حيث وصلت إلى حد المطالبة بالوقوف ضد مطالب المؤتمر والالتفاف جميعا حول فكرة الاستقلال<sup>7</sup>. وحتى الجرائد التي صدرت خلال الحرب العالمية الثانية بعد أن أوقفت الجمعية كافة نشاطاتها بما فيها إصدار الصحف نجد هناك جريدتين ظلنا تصدران ويشرف عليها أيضا رجال الحركة الإصلاحية وهما جريدة "الإصلاح" التي أعاد إصدارها الشيخ الطيب العقي بعد انسحابه من الجمعية سنة 1938<sup>8</sup>. وجريدة "الوفاق" التي كان يصدرها الشيخ الزاهري<sup>9</sup>.

### المطلب الثامن: أوجه الاختلاف في النشاط السياسي

- 1- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 273.
- 2- يوسف مناصرية، الحزب الحر الدستوري، المرجع السابق، ص 69.
- 3- علي المحجوبي، جذور الحركة، المرجع السابق، ص 501.
- 4- علي الزيدي، الزيتونة دورها، المرجع السابق، ص 142.
- 5- عبد القادر كرليل: تطور الصحافة الوطنية 1919-1939، مجلة المصادر، العدد 13، السداسي الأول، 2016، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 107.
- 6- المرجع نفسه، ص 107.
- 7- المرجع نفسه، ص 108.
- 8- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 145.
- 9- المرجع نفسه، ص 145.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

إن أهم اختلاف تبين لنا من خلال دراستنا لمسار التيارين الإصلاحيين في ممارسة العمل السياسي وتطوره هو وضعية الاستعمار في البلدين، والتي أثّرت على العمل السياسي وتوجيهه لكل فريق فوضع تونس كان مع الاستعمار على شكل حماية - وكما أسلفنا سابقا- فقد حافظت تونس على أغلب مكوناتها الشخصية على الأقل في مجال المؤسسات الدينية والتعليمية وعلى رأسها جامع الزيتونة الذي أسهم بشكل كبير في الحفاظ على الموروث الثقافي وتوفير نوع من الحماية الدينية والثقافية للشعب التونسي، وبالتالي فأسبقية ممارسة العمل السياسي والمشاركة فيه من طرف الإصلاحيين الزيتونيين لم يكن يشكّل عائق لهم بل كان مترادفا مع نشاطهم التعليمي والديني، ولذلك لاحظنا من خلال دراستنا للنشاط السياسي للزيتونيين الإصلاحيين أن بداياته كانت بفضلهم وأهم كانوا مساهمين في أغلب التحركات السياسية والوطنية منذ 1885 عندما ساند الطلبة والعلماء الزيتونيين احتجاج أهالي العاصمة ضد التراتيب البلدية الجديدة سنة 1885 وهي القضية المعروفة بالنازلة التونسية<sup>1</sup>.

والتفافهم المبكر حول الثعالبي سنة 1901 حيث أسس جريدة "سبيل الرشاد" وأيضا حول علي بوشوشة وجريدة الحاضرة وكلهم أعضاء في العروة الوثقى سنة 1905 وكان ذلك الإرهاص الأول لميلاد الحركة الوطنية التونسية ببعث شعور الاعتزاز بالإسلام وتنمية روابط القطر التونسي بحركة الجامعة الإسلامية<sup>2</sup>.

وفي سنة 1907 تأسست حركة تونس الفتاة من طرف عبد العزيز الثعالبي وعلي باش حامية وقد لعبت الحركة الوطنية دورا قويا في دفع طريق النضال إلى الأمام وبذلك خابت أماني فرنسا في الاتجاه المفرنس حيث أصبح هذا الاتجاه الذي يرأسه باش حامية يطالب بالهوية الإسلامية<sup>3</sup>. وهذا بفضل تأثير الزيتونيين الإصلاحيين وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي. وعندما حاولت السلطات البلدية الاستعمارية ترسيم مقبرة الزلاج في السجل العقاري وكانت تعتبر مقاما ذا صبغة دينية كان معقل الاحتجاجات جامع الزيتونة وكان له دور في تنظيم المظاهرات الشعبية سنة 1911<sup>4</sup>.

وأيضا لعب الشيخ الثعالبي وباش حامية دورا كبيرا في تأطير مقاطعة الترامواي عام 1912 وأشارت التقارير الفرنسية إلى أن بشير الفوريي ينتمي إلى مجموعة وطنية بمدينة تونس كل أعضائها من الزيتونيين<sup>5</sup>.

أيضا نشاطهم بقيادة إسماعيل الصفائحي وصالح الشريف بإنشاء اللجنة الجزائرية التونسية لتحرير المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى والمطالبة بالاستقلال، كما نجد نشاط المدني وزملاؤه الذين خططوا لدفع قبائل الجنوب التونسي للانتفاض على فرنسا بمساعدة العثمانيين في طرابلس وتم القبض على أعيان قبيلة بني زيد وأيضا المدني<sup>6</sup>.

وكان نشاطهم متنوع خلال فترة الحرب العالمية الأولى من تعليق المناشير على جدران الجامع الأعظم والمدينة العتيقة بشكل حيّر السلطات الاستعمارية سنة 1915<sup>1</sup>.

1- محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص157.

2- غلال الفاسي، المصدر السابق، ص58-59.

3- الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص26.

4- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج1، ص43.

5- حفيظ الطباي، صراع الهوية، المرجع السابق، ص497.

6- علي الزيدي، جامع الزيتونة، المرجع السابق، ص397، وأيضا أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص85-105..



## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

في المقابل نجد أن الإصلاحيين الجزائريين ما زال أغلبهم خارج الجزائر في هاته الفترة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وبالتالي فترة أسبقية النشاط السياسي كانت لصالح الإصلاحيين الزيتونيين، بل إن الإصلاحيين الجزائريين ما زالوا في هاته الفترة يفكرون في كيفية بدء العملية الإصلاحية ورسم الخطط لإنشاء تنظيم يخصهم ويمثلهم عندما يباشرون نشاطهم داخل الجزائر، وتذكر المصادر أن التفكير في العمل الإصلاحي المنظم يعود على وجه التحديد سنة 1913 حين التقى ابن باديس والإبراهيمي بالمدينة المنورة ومكثا ثلاثة أشهر يلتقيان كل ليلة بعد صلاة العشاء حتى الفجر يدرسان ما يمكن عمله إذا عادا إلى الجزائر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى<sup>2</sup>. والشاهد في ذلك قول ابن باديس: "وأشهد الله على أن تلك الليالي من سنة 1913 هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا سنة 1931"<sup>3</sup>.

ولعل هذا التخطيط والتفكير كانت له ثمارا إيجابية ونتائج طيبة إذ كان السبب في جمع وتوحيد صف العلماء الإصلاحيين في الجزائر في تنظيم خاص بهم، وأيضا فالأولوية بالنسبة للحركة الإصلاحية الجزائرية في البدايات لم تكن مركزة على العمل والنشاط السياسي بحكم ظروف الاستعمار في الجزائر التي كانت تختلف عن تونس، فالمستعمر الفرنسي في الجزائر - كما ذكرنا سابقا - قد قضى على كل مكونات ومقومات الشخصية الجزائرية الإسلامية وعلى جميع المؤسسات الدينية والثقافية والتعليمية وبالتالي كان الإصلاحيون الجزائريون مضطرين ومجبرين على البدء في العملية الإصلاحية الدينية والتعليمية التربوية كأولوية في العمل، وهذا في رأينا ليس اختيارا لأن الشعب الجاهل لا يمكن أن يمارس النشاط السياسي ولا أن يطالب بحقوقه السياسية، وبالتالي "تكوين أجيال تعمل على بعث النهضة في الجزائر ولذلك يجب على الجزائريين أن يحرروا عقولهم حتى يستطيعوا تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي"<sup>4</sup>.

أيضا الاختلاف بدا واضحا في الإطار الذي مارس فيه الإصلاحيين في البلدين العمل والنشاط السياسي، فالجزائريون كانوا ينشطون تحت تنظيمهم ألا وهو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسسوها سنة 1931 وهي التنظيم الوحيد في الجزائر الذي مثل الطلبة والعلماء الإصلاحيين سياسيا، وقد لاحظنا ذلك في مختلف النشاطات السياسية التي ساهموا فيها إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945.

أما الإطار الذي مارس فيه طلبة وعلماء الزيتونة نشاطهم السياسي فلم يكن خاصا بهم فهم في البداية انخرطوا في الحزب الدستوري التونسي الذي أسسه الشيخ الثعالبي وبعد ذلك كانوا متواجدين في أغلب الأحزاب السياسية والوطنية بل حتى في الحزب الدستوري الجديد، - كما سنرى ذلك - بعد الحرب العالمية الثانية، حيث لم يشعر الزيتونيين أنهم "فئة" مستهدفة لإسلامها أو عروبتها ليتمتروا خلف هاتين الخصوصيتين فالمتجمع في تونس عرب ومسلمين ولا مبرر للتمييز بين

<sup>1</sup> - علي الزيدي، جامع الزيتونة، المرجع السابق، ص 376.

<sup>2</sup> - مازن مطبقاتي، المرجع السابق، ص 69.

<sup>3</sup> - مركز الدراسات والبحوث، المرجع السابق، ص 146.

<sup>4</sup> - رابع تركي عامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باحث، المرجع السابق، ص 91.

### الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

العروبة والإسلام كما أن الكل يستند إلى المرجعية الدينية الإسلامية، فشعار الحزب الدستوري الجديد نفسه "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"<sup>1</sup>.

ثم أن الزيتونيين كانوا دائما يمثلون أغلبية في "مجتمع" المتعلمين والمثقفين، وكذلك فكل الحركات بما فيها الحزب الدستوري الجديد، الذي كانت قيادته "الصادقية" في غالبيتها لا تظهر للزيتونيين غير الود. وقد ظل الزيتونيين في الحزب الدستوري الجديد يمثلون دائما القواعد والقيادات الدنيا، فلم يتجاوز منهم حد عضوية المجلس الملي إلى الديوان السياسي إلا القليل<sup>2</sup>. ورغم هذا فإن الزيتونيين طلبة وعلماء قد حاولوا هم أيضا تأسيس جمعية خاصة بهم غير أنها باءت بالفشل. وعليه فأوجه الاختلاف في النشاط السياسي بين التيارين كانت مقتصرة على الوضعية الاستعمارية التي أفرزت مبدأ الأولويات في نشاط التيار الإصلاحي في الجزائر وتونس، وكذا إشكالية الإطار السياسي الذي ينشطون من خلاله ويبرزون مواقفهم وآراءهم السياسية، ورغم ذلك فكلا التياران كانت لهما بصمة واضحة ومؤثرة في مجال العمل السياسي خلال هاته الفترة وذلك بالحضور والعمل في إطار الحركة الوطنية السياسية.

<sup>1</sup> - سورة التوبة، الآية: 105.

<sup>2</sup> - علي الزيدي، الزيتونة دورها، المرجع السابق، ص 152.

## الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

ومن خلال دراستنا لهذا الفصل نستنتج ما يلي:

- لقد تمثل نشاط الحركة الإصلاحية في تونس في عدة جوانب هامة في عملية الإصلاح والنهوض بالأمة التونسية، فنشاطهم الديني تمثل في تقديم صورة الإسلام الصحيح الذي كانت تقدمه الزيتونة حيث أن التيار الإصلاحي الزيتوني جاء ناقدا لتضخيم العنصر الأسطوري والسحري في الوعي الديني، ساعيا الى إعادة الاعتبار لمكانة العقل ومسؤولية الانسان، إلا أن الصيغة نفسها لدى المثقفين المشدودين الى التقليد السني وأولئك الذين ذهبوا شوطا في التحرر منه لذلك نجد هناك انقساما في التيار الزيتوني في التجديد الديني.
- كما ساهم مشائخ الزيتونة بقسط وافر من أوقاتهم في مجال التجديد الديني وأيضا بمؤلفات دينية وهامة كمؤلفات الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، إلا أن علماء الزيتونة اهتم أغلبهم بالتدريس والمحاضرات ولم يكن لهم وقت للتأليف والتفرغ، ولو أنهم فعلوا لأجادوا.
- كان لانقسام التيار الإصلاحي الزيتوني في مجال التجديد الديني أثر واضح في عدة قضايا دينية من بينها قراءة القرآن على الميت، وأيضا فتوى التجنيس التي وقع فيها خلاف وجدل كبير.
- أيضا تعاملهم مع الطرق الصوفية فالتيار الإصلاحي السياسي حاربها دون هوادة، والتيار الإصلاحي العقلاني تحفظ في ذلك وحاول أن يتجاوزها دون الاصطدام معها في صراع سياسي.
- أما الجانب التربوي والتعليمي فانصبت جهود طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين حول مسألة اصلاح التعليم الزيتوني كأولوية بالنسبة لهم وبدلوا في ذلك جهودا معتبرة خلال النصف الأول من القرن العشرين، كما كانت مساعي وجهود محمد الطاهر بن عاشور في ذلك بارزة وواضحة للعيان، وأيضا مساهمة الجمعية الخلدونية في ترقية وتطوير التعليم الزيتوني، وكانت نظرة الإصلاحيين الزيتونيين لتعليم المرأة تدخل في اطار نظرة الاصلاحيين الإسلاميين المتحررين أو المحافظين الا ان بعض الزيتونيين المتحررين قد بالغ في نظرته لتحرير المرأة أمثال الطاهر الحداد، وتجاوز في ذلك حتى تحفظات زملائه الإصلاحيين، وكان رد الزيتونيين عليه بالحجة والبرهان في الصحف وفي منتديات الخطابة لأنه طرح لم يعد اصلاحي بل صار تعرييبا.
- لقد برز الزيتونيون الإصلاحيون في مجال الصحافة وكانوا روادا فيه منذ أن تأسست جريدة الرائد التونسي سنة 1860، وكان منهم نخبة كانت لهم قدم راسخة في مجال الكتابة الصحفية أمثال محمد السنوسي وابنه زين العابدين، وعبد الرحمن الصنادلي، محمد الجعايبي، وحسين الجزيري، وغيرهم كما أصدر الثعالبي جريدة الفجر سنة 1920.
- ساهم الزيتونيون بالكتابة في الصحف الوطنية حيث كانوا العمود الفقري لصحافة الحزب الحر الدستوري كجريدة الصواب وجريدة الوزير والمنير، كما أنشؤوا صحفا خاصة بهم ومن تسييرهم كالمجلة الزيتونية وجريدة الإرادة، التي جعلوها لسان الحزب الدستوري وتناولوا الاخبار السياسية والتعليق عليها.
- اما النشاط السياسي لطلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين، فالحياة السياسية قد اعتمدت على المد السياسي الزيتوني وبشكل متفاوت كل الحركات الاجتماعية والسياسية ابتداء من حركة الشباب التونسي الى الحركة السياسية

### الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945

للديوان السياسي مرورا بنشأة الحزب الدستوري ونشاطه خلال العشرينات من القرن الماضي، حيث دافع طلبة وعلماء الزيتونة عن الهوية الوطنية وتصدوا للحماية، وكان عملهم الوطني خلال الحرب العالمية الأولى ضمن خلايا الحركة الوطنية وانخراطهم في الحزب الدستوري التونسي الذي أسسه الثعالبي سنة 1920، وتأطيرهم له وبرزت شخصيات زيتونية تولت قيادة الحزب رفقة الثعالبي أمثال المنستيري، والقلبي، شاركوا من خلاله في مختلف الأحداث الوطنية الى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية 1945.

- اضافة الى النشاط السياسي لطلبة الزيتونة المستمر والذي لم يتوقف وسنرى بروزهم بشكل قوي على الساحة السياسية التونسية الى غاية 1956.

# الفصل الرابع

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

المبحث الأول: النشاطات السياسية لجمعية العلماء من سنة 1946 الى نهاية فترة الأربعينات

المطلب الأول: قضية فصل الدين عن الدولة

المطلب الثاني: السعي لتوحيد الأحزاب السياسية ونقد دستور 1947

المطلب الثالث: تأسيس معهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947

المطلب الرابع: انشاء الهيئة العليا لإعانة فلسطين سنة 1948

المطلب الخامس: رسالة الشيخ الابراهيمي الى رئيس الجمهورية الفرنسية باسم جمعية العلماء سنة 1949م

المبحث الثاني: نشاط جمعية العلماء من بداية الخمسينات الى اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954

المطلب الأول: جمعية العلماء تطرح قضية فصل الدين عن الدولة مجددا سنة 1951

المطلب الثاني: انضمام جمعية العلماء الى جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951

المطلب الثالث: لقاء الشيخ الابراهيمي الوفود العربية والاسلامية في الأمم المتحدة بباريس وخطابه أمامهم سنة 1952

المطلب الرابع: سفر الامام الابراهيمي الى المشرق العربي وأهم نشاطاته قبيل اندلاع الثورة التحريرية

المطلب الخامس: أوضاع الجمعية ونشاطها السياسي منذ سفر الابراهيمي الى المشرق الى غاية اندلاع الثورة التحريرية

1952-1954

المبحث الثالث: الموقف السياسي لجمعية العلماء من الثورة التحريرية سنة 1954

المطلب الأول: اندلاع الثورة التحريرية 1954

المطلب الثاني: المواقف الداخلية والخارجية لجمعية العلماء من الثورة التحريرية بعد اندلاعها سنة 1954

المبحث الرابع: نشاط وأهم اسهامات جمعية العلماء في الثورة التحريرية 1954 - 1956

المطلب الأول: النشاط الخارجي لجمعية العلماء لصالح الثورة التحريرية 1954 - 1956

المطلب الثاني: النشاط الداخلي لجمعية العلماء أثناء الثورة التحريرية 1954 - 1956

المبحث الخامس: نشاط ومساهمة طلبة وعلماء معهد عبد الحميد بن باديس في الثورة التحريرية 1954 - 1956

المطلب الأول: عودة إلى مسألة الاتصالات أثناء الثورة ودور طلبة وعلماء معهد ابن باديس في ذلك

المطلب الثاني: نشاط طلبة وعلماء معهد ابن باديس في التجنيد والعمل في هياكل الثورة

المطلب الثالث: النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الثورة من خلال جريدة البصائر

المبحث السادس: تبلور الفكر الثوري التحرري عند العلماء الاصلاحيين في الجزائر

المطلب الأول: الفكر الثوري التحرري عند ابن باديس

المطلب الثاني: الفكر الثوري التحرري عند البشير الابراهيمي

المبحث السابع: تأثير العامل الديني للعلماء الاصلاحيين في الفكر الثوري التحرري وتجلياته في الثورة التحريرية الجزائرية

المطلب الأول: أثر الفقه الجهادي في الثورة التحريرية

المطلب الثاني: تأثير الفكر الجهادي الاسلامي لجمعية العلماء في مبادئ وأفكار الثورة التحريرية

المطلب الثالث: تأثير الفكر الجهادي الاسلامي لجمعية العلماء في المجاهدين وأبرز قادة الثورة التحريرية

المطلب الرابع: تجليات الفكر الاسلامي الثوري في واقع الثورة التحريرية وسلوك المجاهدين

إن تطور الأحداث السياسية في هاته المرحلة الحاسمة في الجزائر وخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية واجتياح موجة التحرر دول العالم الثالث بما فيها دول المغرب العربي، وطبعا فالجزائر لم تكن بمعزل عن هاته التغيرات السياسية العالمية، حيث تفاعلت معها بكل مكوناتها الوطنية بما فيها الحركات الإصلاحية التي كانت في تلك الفترة في أوج نشاطها حيث سنتطرق إلى تطورها السياسي المطرد وتحوله إلى فكر ثوري تحرري يطالب بالاستقلال والحرية عن طريق تبي وتشجيع العمل الثوري، ومساهمة الحركة الإصلاحية في الجزائر في الثورة والمقاومة وأيضا تأثيراتها على الفكر الثوري التحرري وتحليلاته في واقع الثورة التحريرية.

### المبحث الأول: النشاطات السياسية لجمعية العلماء من سنة 1946 إلى نهاية فترة الأربعينات

إن الحقيقة هي أن جمعية العلماء اهتمت كما يقول الإبراهيمي بـ"باب السياسة" لأن "ديننا يعد السياسة جزءا من العقيدة، ولأن السياسة نوع من الجهاد ونحن مجاهدون بالطبيعة، فنحن سياسيون بالطبيعة"<sup>1</sup>، حيث جاءت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بعدة تطورات وذلك على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي كان لزاما على جمعية العلماء التعامل والتأثر بها ومحاولة التأثير فيها، وذلك باعتبارها جزءا من الحركة الوطنية ونضالها ضد المستعمر الفرنسي، وبما أن الجمعية كانت تحت رئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي سنرى كيف تعامل مع أهم متطلبات المرحلة وكيف سعى لإبداء رأي الجمعية في تلك الأحداث والتطورات.

فعلى الرغم من أن إطارا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد استفادوا جميعهم من قرار العفو الشامل الذي أصدرته الحكومة الفرنسية يوم 16 مارس 1946، فإن الإدارة الاستعمارية لم تطلق سراح البصائر إلا سنة 1947، ومع ظهور العدد الأول بدأ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ينشر البرنامج الإجمالي للحركة وذلك بعد أن مهد له بتقييم إضافي للمراحل المقطوعة قبيل الحرب العالمية الثانية وبعيدها.<sup>2</sup>

وبما أن هاته الفترة كانت فترة حرجة فان جمعية العلماء كانت تتحرك بحذر كي لا يقع الصدام بينها وبين الإدارة الاستعمارية، ففي هذا السياق يقول الشيخ الإبراهيمي "أن وراء السياسة شيئا اسمه الكياسة وهي خلق ضروري للسياسي، وأن السياسي يحترم نفسه ويحترم غيره مهما خالفه في الرأي ومهما كان الخلاف جوهريا، فإذا لزم النقد فلا يكون الباعث عليه الحقد، وليكن موجهها إلى الآراء بالتمحيص لا إلى الأشخاص بالتنقيص".<sup>3</sup>

إن جمعية العلماء المسلمين ترى من واجبها السياسي أن تتصدى للاندماج في جميع مظاهره وتحارب العنصرية التي يغذيها الاستعمار ويستعملها سلاحا حادا لقطع أوصال الشعب الجزائري الواحد وتقف ضد أمرية السابع مارس 1944، لما تنطوي عليه من دسائس ولأنها وسيلة إلى الاندماج وبالإضافة إلى ذلك فان الجمعية تعمل ضمن برنامجها

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج2، ص29.

<sup>2</sup> - العربي الزبيدي: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، القاهرة، 1999، ص203.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص204.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

السياسي على تحرير المساجد والأوقاف ورجال الدين والقضاء الإسلامي والحج والصيام وهي لذلك مستعدة للجهد بكل ما في وسعها من إمكانيات.<sup>1</sup>

ففي 1946/07/21 عقدت جمعية العلماء مؤتمرها التاسع حيث تمت المصادقة على قانون سياسي جديد والمصادقة على لائحة تتعلق بالوظيفة الثقافية والدينية، وأكد المؤتمر الطابع الخاص للجمعية بأنها لا تعترم القيام بعمل سياسي تقليدي.<sup>2</sup>

والمقصود هنا بعدم القيام بعمل سياسي تقليدي هو نبذها للتحزب الذي لمست من خلاله الفرقة وعدم جمع كلمة الشعب الجزائري، ولذلك كانت جمعية العلماء حريصة كل الحرص على جمع ولم شمل كل الأحزاب الوطنية في تكتل أو جبهة وطنية موحدة، وهذا ما سنراه في سعي الجمعية الدؤوب إلى تجسيد هاته الفكرة على أرض الواقع، كما جمعت في سنة 1936 أغلب الحركات الوطنية تحت مظلة المؤتمر الإسلامي الجزائري.

### المطلب الأول: قضية فصل الدين عن الدولة

وتعتبر من أهم القضايا الحساسة والهامة حيث لم تأل الجمعية جهدا في الدعوة إلى تحقيقها بواسطة الإعلام وأثناء الاجتماعات والمحاضرات حيث وبمجرد خروج الشيخ إبراهيم من السجن وجه رسالة إلى وزير الداخلية الفرنسية الذي زار الجزائر سنة 1947 يقول فيها: "أن القضية الجزائرية لا تداوى بإصلاحات... إنما تداوى بحقوق تعطى ورغائب تحقق".<sup>3</sup>

كما ذكره بمطالب جمعية العلماء التي ما زالت تشغل أولوياتها في نضالها وتمثل في "فصل الدين الإسلامي عن الإدارة واستعادة أوقافه ومعابده ومساجده المهضومة وإحياء القضاء الإسلامي وإصلاحه"... حيث يقول "بقيت قضية أخرى تمس إحساس المسلمين وتحز في نفوسهم وهي الدين الإسلامي من أوقافه المهضومة إلى معابده المظلومة إلى تعاليمه المعدومة إلى قضاءه المشوه...".<sup>4</sup>

وبمجرد أن تم انتخاب الجمعية الجزائرية واستقبلت في رحابها ستين نائبا جزائريا مسلما إلى جانب الستين من الفرنسيين المسيحيين واليهود، وجهت جمعية العلماء نداء إلى المسلمين ليطلبوا من الحكومة الفرنسية أحد أمرين: إما أن تدخل الدين المسيحي بكنائسه وأمواله ورجاله والدين اليهودي ببيعه وأحباره وأوقافه تحت سلطتها بحيث لا يجري شيء إلا بأمرها وعلى ما يرضيها، وإما أن تعامل الإسلام كما تعامل الدينين المذكورين خاصة وأن المسلمين ومعابدهم أكثر عددا، ومن الواجب أن يكونوا هم القاعدة في المعاملة والأصل في وضع الأحكام".<sup>5</sup>

وفي بلاغ نشرته الجمعية على جريدة البصائر بعنوان "بلاغ من جمعية العلماء"... "إن جمعية العلماء لا تفهم معنى الاستقلال الديني وحرية المساجد إلا المعنى الصريح الذي تطالب به وهو إعلان الحكومة فصل الدين الإسلامي عن

<sup>1</sup> - العربي الزبيري، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص204.

<sup>2</sup> - علي كافي: مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999، ص49.

<sup>3</sup> - جريدة الإصلاح، عدد 48، الصادرة في ماي 1947.

<sup>4</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ص154.

<sup>5</sup> - العربي الزبيري، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج1، صص204-205.



## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

الدولة وأن تترك المسلمين وشأنهم في تأسيس جمعيات دينية حرة بعيدة عن المؤثرات الحكومية السرية والعلنية، فإذا تم ذلك انتخبت تلك الجمعيات مجلسا إسلاميا يستمد سلطته من الأمة لا من الحكومة وهو الذي يتولى إدارة الأوقاف وإدارة المساجد بسلطة غير مقيدة بشيء".<sup>1</sup>

وللتصدي إلى هذا المسعى وخوفا من أن يجد السند اللازم لدى كل المنتخبين المسلمين جندت الإدارة الاستعمارية عددا ممن يسمون برجال الدين وفي مقدمتهم المفتي الحنفي فأعدوا تقريرا موجها إلى الجمعية الجزائرية يلتصقون فيه عدم الاهتمام بمطالب جمعية العلماء ويزعمون أن تسعة ملايين من المسلمين لا يستطيعون المشاركة في انتخاب الجمعيات الدينية التي قد تتولى بدورها انتخاب المجلس الإسلامي الأعلى طبقا للاقتراح الوارد في مذكرة الجمعية المؤرخة في 4 أوت 1944.<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: السعي لتوحيد الأحزاب السياسية ونقد دستور 1947

وأول ما قام به الشيخ الإبراهيمي هو السعي لتوحيد الأحزاب السياسية ففي سنة 1947 توجه العربي التبسي لمقابلة مصالي الحاج وقال له "أنه يود أن تتحد برامج الأحزاب السياسية الجزائرية في الانتخابات... حتى لا تتشتت الجهود ويفوز الخصوم". لكن الجهود لم تلق الاستجابة بالرغم من الوعد الذي قطعه مصالي الحاج على نفسه الأمر الذي أغضب محمد البشير الإبراهيمي وجعله ينتقد مصالي الحاج علنا.<sup>3</sup> وهذا ما جعل الإبراهيمي يقدم على إقناع فرحات عباس بسحب ترشحه حفاظا على تماسك الجزائريين فسمع للإبراهيمي وانقاد لمشورته.<sup>4</sup>

يقول الشيخ الإبراهيمي في مقال بعنوان "بلاغ إلى الأمة العربية الجزائرية" (من المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين) نشر في جريدة البصائر في 2 مارس 1948 جاء منه "... إن الدستور الذي وضعته الحكومة الفرنسية للجزائر ووافق عليه برلمانها في أكتوبر 1947م هو دستور ناقص من جميع جهاته لم يحقق رغبة واحدة من الرغائب الوطنية للجزائر وآفته أنه فرض عليها فرضا ولم يؤخذ رأيها فيه... والمجلس الجزائري الذي ينفذ ذلك الدستور هو مجلس ناقص أيضا من جهات كثيرة بعضها في أصل وضعه كعدم اعتبار النسبة العددية في السكان وبعضها في وسائل تشكيله كاستبدال الحكومة بتخطيط الدوائر الانتخابية وتدخّلها في توجيه الانتخاب إلى جهتها وضغطها على حرية المنتخبين كما عهدناه منها فيما هو أقل من هذا الانتخاب قيمة وأحط منه اعتبارا..."<sup>5</sup>

ويبين لنا هذا النقد على تطور الفكر السياسي لجمعية العلماء في إبداء رأيها وعدم قبولها بالوضع السياسي الذي تعيشه الجزائر وأن دساتير فرنسا وإصلاحاتها لم تعد كافية ومقنعة للشعب الجزائري ولا لنخبته السياسية.

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج2، صص 160-161.

<sup>2</sup> - عبد الغفور شريف: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر 1954-1956م دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3، 2010/2011، ص131.

<sup>3</sup> - Naroun Amar : Ferhat Abbas ou les chemins de la souveraineté, Edition de Noël, Paris, 1961, pp 13-14.

<sup>4</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص138.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج2، ص190.

### المطلب الثالث: تأسيس معهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947

بعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1940م ألحق تلاميذه بتلاميذ الشيخ العربي التبسي فظل يعلمهم حتى ألقى عليه القبض بتهمة العمل لحساب النازية خلال الحرب العالمية الثانية، ففرق تلاميذه ثم ألقى القبض على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ محمد خير الدين، وبعد الإفراج عنهم يقول الشيخ محمد خير الدين "عدنا إلى مزاولة التعليم وهنا تبلورت فكرة إنشاء معهد ابن باديس في قسنطينة ولم يكن ممكنا أن نعود للتعليم بالجامع الأخضر، فجمعنا التبرعات واشترينا دارا كبيرة كانت ملك أحد أفراد عائلة (ابن الفقون) وأثنا هذه الدار وجهازها بالطاولات والمقاعد ووضعتنا البرامج وعينا المدرسين الأكفاء. وتولى إدارة المعهد الشيخ العربي التبسي وبعد مضي أربعة سنوات طلب مني الشيخ الإبراهيمي أن أنتقل من بسكرة إلى قسنطينة لأتولى منصب مدير المعهد بالنيابة وكانت الشهادة المتحصل عليها تعادل الشهادة الأهلية بتونس".<sup>1</sup>

كما قام الشيخ بربط معهد ابن باديس بجامع الزيتونة من أجل أن يواصل طلبة المعهد دروسهم بهذا الجامع الأعظم وذلك بمكاتبة الشيخ الطاهر بن عاشور المشرف العام على الزيتونة، فوافق على الطلب وقبل بدخول طلبتنا إلى جامع الزيتونة. كما ساهم الشيخ الإبراهيمي مساهمة فعالة في هذه الفترة وذلك بفتح دارا للطلبة تابعة للمعهد تقوم بإسكان الطلبة القادمين من كل أنحاء القطر وبكل ما يتطلب وجودهم فيها من أكل وشرب ونوم، وأقيم بمناسبة افتتاحها حفل حضره كثير من العلماء والوجهاء وألقيت فيه الخطب والقصائد وكان ممن شارك فيه شاعر الجزائر "مفدي زكريا" الذي خص هذا الحفل بقصيدة جاء فيها:

يا دارا أنت على التقوى مؤسسة      مبارك بالظهر مرصوص ومشدود  
يا دارا حملت ألام البلاء ففي      أحشائك اليوم أشبال صنديد<sup>2</sup>

وسنرى الدور البارز في الثورة التحريرية الذي لعبه هذا المعهد وطلبته وعلمائه، خاصة في ربط الاتصال بين الولايات التاريخية للثورة وتشكيل خلايا الدعم والإسناد إلى غاية إغلاقه من طرف السلطات الاستعمارية.

### المطلب الرابع: إنشاء الهيئة العليا لإعانة فلسطين سنة 1948

كانت جمعية العلماء رغم جهادها الداخلي في الجزائر غير غافلة عن القضايا العربية والإسلامية وعلى رأسها القضية الفلسطينية، حيث ساهمت في إنشاء الهيئة العليا لإعانة فلسطين وفي نفس الوقت دعوة الجزائريين للاتحاد وحرص الصفوف، ففي مقال في البصائر تقول "... وكانت هذه الجريدة تكرر دعوة الأحزاب إلى الاتحاد في الشؤون الداخلية ومنها الانتخابات، ليتخذوا من ذلك ذريعة إلى القيام بعمل جليل مشترك في إعانة فلسطين... وكان مدير هذه الجريدة وإخوانه العلماء بذلوا من الجهد العملي في سبيل الاتحاد ما تفرضه عليهم عروبتهم ودينهم ووطنيتهم... واتخذنا من قضية فلسطين وسيلة جديدة للاتحاد عسى أن يجتمع عليها ما تشتت من القلوب النافرة وكان للأخ الشيخ الطيب العقي مساعي محمودة في هذا السبيل... ولكن رجال حركة الانتصار للحريات الديمقراطية لم يكونوا ديمقراطيين فبعد أن قبلوا

<sup>1</sup> - محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج1، ص170.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص201.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

الدعوة وحضر ممثلهم لا يحمل قيادا ولا يشترط شرطا أفهمنا في اليوم الثاني باسم حزبه أنهم لا يرضون الا بأن يكون كل شيء تحت رئاستهم وانه اذا لم يكن ذلك فلا يكون شيء<sup>1</sup>.

وهنا يتبين لنا مما لا يدع مجالا للشك سعي جمعية العلماء وقيادتها في كل مناسبة تتاح لهم إلى جمع ولم تشمل الجزائريين في جبهة موحدة، ويتبين لنا في كل مرة تعنت وتعصب أنصار حزب الشعب الجزائري تحت قيادة مصالي الحاج وتنصلهم من كل التزام يجمع الوطنيين، وارانهم في التفرد والتحزب الضيق واحتكار الوطنية لهم وحدهم، ومهما يكن من أمر فان الهيئة العليا تشكلت من أربعة أعضاء على الصورة الآتية:

- محمد البشير الإبراهيمي؛ رئيس

- عباس فرحات؛ كاتب عام

- الطيب العقبي؛ أمين المال

- ابراهيم بيوض؛ نائبه

ثم تألفت لجنة تنفيذية بالعاصمة من رجال العلم والثقافة ورجال الأعمال والاقتصاد وشباب العمل وبدأت الهيئة العليا بإرسال برقية تأييد لسعادة عبد الرحمان عزام باشا، الأمين العام لجامعة الدول العربية وبرقيات احتجاج واستنكار للحكومات المسؤولة<sup>2</sup>.

حيث قامت اللجنة المالية بجمع الهبات والتبرعات تحت إشراف الإبراهيمي حيث جمعت تسعة ملايين فرنك قديم، وسلمت إلى السفير المصري أحمد عبد الخالق ثروت في باريس ليقوم بتسليمها إلى جامعة الدول العربية، وقامت بنشاط واسع لصالح القضية الفلسطينية وبعثت نحو مائة مجاهد ليشاركوا إخوانهم المجاهدين في فلسطين ولعل أهم شيء استطاع أن يهبه الشيخ الإبراهيمي لفلسطين الجريحة مكتبته المتواضعة قائلاً "ولكني أملك من هذه الدنيا مكتبة متواضعة هي كل ما يرث الوارث عني، وإنني أضعها خالصا مخلصا بكتبها وخزائنها تحت تصرف اللجنة التي تشكل لإمداد فلسطين"<sup>3</sup>.

وكتب الإبراهيمي مقالات نارية رائعة في نصرة الفلسطينيين نشرها في مجلة البصائر عام 1948م، فضحت اليهود والصهيونية ونددت بتخاذل العرب تجاهها، وحضر الإبراهيمي المؤتمر الإسلامي في القدس ممثلاً للجزائر وكان ضمن اللجنة التي شكلها المؤتمر برئاسة الشيخ علي طنطاوي، من أجل الدعاية لفلسطين وكلفت اللجنة بالطواف على العالم الإسلامي لتعريف المسلمين بالقضية الفلسطينية ودعوتهم إلى دعمها ماديا ومعنويا، وقد حمل الشيخ الإبراهيمي العرب مسؤولية ضياع فلسطين ورماهم بالتخاذل والخيانة والغفلة والانصياع إلى ما يمليه عليهم الغرب<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج2، ص210.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص211.

<sup>3</sup> - نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، صص129-130.

<sup>4</sup> - شهرة شغري: الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة مقارنة بين الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، رسالة ماجستير في الدعوة الإسلامية، جامعة الحاج لخضر 1، باتنة، 2009/2008، ص159.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وقد حمل الشيخ الإبراهيمي أيضا فرنسا مسؤولية الموافقة على قرار تقسيم فلسطين عام 1948م كأحد أعضاء هيئة الأمم المتحدة<sup>1</sup>، والحق أنه قلما عالج قلم عربي قضية فلسطين بالصرحة والواقعية التي عاجلها بها قلم محمد البشير الإبراهيمي واعترافا بذلك تلقى الشيخ رسالة من مفتي فلسطين محمد الأمين الحسيني<sup>2</sup> عام 1948م أثنى فيها على جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>3</sup>.

ان جمعية العلماء وباهتمامها بقضايا العالم الإسلامي وخاصة القضية الفلسطينية كانت تؤكد انتماء الجزائر الإسلامي وأن المعركة هي معركة كل البلاد الإسلامية ضد الاستعمار وأنها معركة واحدة، وهذا كله ساهم في زيادة وعي شعب الجزائر بعدم انتمائه إلا للإسلام والعروبة وليس فرنسا والحضارة الأوروبية.<sup>4</sup>

**المطلب الخامس: رسالة الشيخ الإبراهيمي إلى رئيس الجمهورية الفرنسية باسم جمعية العلماء سنة**

**1949م**

وفي سنة 1949م وجه الشيخ الإبراهيمي رسالة قوية إلى رئيس الجمهورية الفرنسية حيث أكد له فيها أن الشعب الجزائري "أصبح لا يؤمن إلا بأركان حياته الأربعة ذاتية الجزائر، وجنسيته، ولغته العربية، ودينه الإسلامي، لا يستنزل عنها.... ولا ينبغي عنها حولا ولا بها بديلا"<sup>5</sup>.  
ومما جاء في هاته الرسالة أيضا:

- أن الجزائر وطن تسعة أعشار من فيه رقيق زراعي وخدم صناعي مفروض عليه الحرمان من كل حق، وعشرة العاشر سادة مفروض لهم التمتع بكل حق، وبين الفريقين فريق انفصل عن الأول ولم يصل إلى الثاني وهو الذي ترونه.
- ان الدين الإسلامي مملوك للإدارة تحتكر التصرف في مساجده ورجاله وأوقافه وقضائه.
- التعليم في هذا الوطن المسلم معطل بتعطيل المساجد ومئات الآلاف من شباب المسلمين تشوق إليه، والتعليم العربي في هذا الوطن العربي جريمة يعاقب مرتكبها بما يعاقب به المجرم من تغريم وتغريب وسجن، ومدارسه تعاني من التضيق والتعطيل ألوانا متجددة ورجاله عرضة في كل حين للمحاكمات في المحاكم التي تتسم بوسمكم.
- ان الشعب الجزائري مريض يتطلع للشفاء وجاهل متوثب للعلم، وبائس متشوق إلى النعيم، ومنهوك من الظلم، مستشرف للعدالة، ومستعبد ينشد الحرية، ومهضوم الحق يطلب حقه في الحياة، وديمقراطي الفطرة والدين يحن إلى الديمقراطية الطبيعية، ولكنه ليس كما يقال عنه جائع يطلب الخبز فإن وجدته سكت.

<sup>1</sup> - نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 130.

<sup>2</sup> - محمد الأمين الحسيني: 1897-1974م ولد بفلسطين ودرس بها ثم التحق بالأزهر، ثم كلية الآداب في الجامعة المصرية، كان مفتي فلسطين، طاف بعدة بلدان. أنظر: مسعودة مسعود بواخضرة، المرجع السابق، ص 98.

<sup>3</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 357.

<sup>4</sup> - شهرة شغري، المرجع السابق، ص 159-160.

<sup>5</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج 2، ص 30.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

- لا يسوغ منطق ولا عقل كيف تكون الوحدة بين سيد وبين مسود، وكيف تتصور بين حاكم مزهو بعصبية جنسية تظاهرها عصبية دينية وبين محكوم؟ وكيف تتفق في وطن ساكنوه صنفان وقوانينه صنفان؟ وكيف تتم في بلد كنيسته حرة وبيعته حرة ومسجده مستعبد؟<sup>1</sup>

وهذه الرسالة تبين لنا بشكل واضح تطور الفكر السياسي لدى جمعية العلماء بحيث لم تعد تقبل أي مشروع أو إصلاح من الحكومة الفرنسية، لأنه من خلال تجاربها السياسية مع هذا المستعمر لا يمكن أن يكون هناك تعايش في نفس البلد وتحت نفس مظلة الحكم، إلا الانفصال والحرية التي أصبحت مطلب شرعي عند الشعب الجزائري.

### المبحث الثاني: نشاط جمعية العلماء من بداية الخمسينات إلى اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954

من عوامل نجاح أية حركة هو أن ترتب مراحلها وتضبط أطوارها بحيث لا تسبق مرحلة مرحلة ولا يجاوز طوراً طوراً، ولا تستعجل نهاية فترة قبل أن تستوفي أمدها ويحين أجلها، ولا تحترق سنن الله في النمو الطبيعي لأي كائن، وكذلك كانت جمعية العلماء، فقد أعطت لكل مرحلة حقها ولم تطلب منها ما لا تحتمله ظروفها الاجتماعية وأحوالها النفسية وأوضاعها السياسية، فلم تتجاوز مرحلة إلى التي بعدها إلا بعد الاطمئنان إلى تمام المرحلة السابقة، فأقامت كيانها طبقاً عن طبق وأعلت بنياها سافاً بعد ساف، مما جعلها تسلم من الانتكاس وتنجو من الارتكاس، بلغت الجمعية - بعد عشرين سنة من تأسيسها - أشدها واستوت على سوقها واستغلظ عودها وتجدرت مبادئها في عقول الجزائريين ورسخت في قلوبهم بعد أن رأوا بأعينهم وأدركوا ببصائرهم حجم التغيير النفسي والتطور العلمي والوعي السياسي الذي أحدثته فعلقوا عليها أمالهم.<sup>2</sup>

وإذا كان الذين درسوا أوائل الخمسينات قد لاحظوا العناء والتمزق الذي أصبح عليه حزب الشعب الجزائري نتيجة اكتشاف المنظمة السرية وإبعاد زعيمه ومهزلة الانتخابات الإدارية والمسألة البربرية والصراع بين جيلين من أعضائه، فإن عليهم أيضاً أن يذكروا إنصافاً للتاريخ، أن جمعية العلماء كانت تقريباً هي الهيئة الوحيدة الفاعلة في المجتمع الجزائري عندئذ، ولعلمهم سيجدون أن أنصارها تكاثروا نتيجة الأزمة التي مر بها حزب الشعب الجزائري منذ 1949 وخصوصاً منذ سنة 1953 لأن الشعب قد تزعزعت ثقته في الأحزاب السياسية عموماً،<sup>3</sup> وفي هذا الصدد يقول شاعر العلماء مفدي زكريا:

جمعية العلماء المسلمين ومن      للمسلمين سواك اليوم منشود  
خاب الرجا في سواك اليوم، فاضطلعي      بالعبء مذفر دجال ورعديد  
أمانة الشعب قد شدت بعاتقكم      فما لغيركم تلقى المقاليد<sup>4</sup>

مع بداية سنة 1950 سنلاحظ نشاطاً مميزاً وكثيفاً للجمعية حيث خصص الشيخ إبراهيمي سنة 1950 كلها لتعميم ايديولوجية جمعية العلماء التي يمكن تلخيص منطلقاتها في العمل على تحرير المجتمع الجزائري من آثار الغزو

<sup>1</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص 132، نقلا عن جريدة البصائر، العدد 81، بتاريخ 30 ماي 1949 م، ص 1.

<sup>2</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج 4، ص 9-10.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، المرجع السابق، ج 4، ص 147.

<sup>4</sup> - مفدي زكريا: ديوان اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 286.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

الاستعماري الذي جند أربعة وسائل لتقويض أركان الدولة الجزائرية التي كانت قائمة قبل اتفاقية الخامس جويلية سنة 1830م.

حيث تتمثل الوسيلة الأولى التي عمد اليها الاستعمار لإلغاء الدولة الجزائرية وحذفها من رقعة الخلافة الاسلامية في الجندي الذي يعبر عن القوة العسكرية التي تعتبر أخف الأسلحة فتكا وأقصرها مدى، أما الوسيلة الثانية فهي الطبيب الاستعماري الذي جيء به إلى الجزائر ليداوي علة بعلل ويقتل جرثومة ويخلق جراثيم ويجرب معلوماته في أبناء الجزائر، كما يجربها في الأرناب، ويمثل المعلم الاستعماري الوسيلة الثالثة التي اعتمدها فرنسا لتفسد على أبناء المسلمين عقولهم وتستنزهم عن لغتهم وأدابهم وتشوه لهم تاريخهم وتقلل سلفهم في أعينهم وتزهدهم في دينهم، ثم تأتي الوسيلة الرابعة ممثلة في الراهب يفتن المسلمين في عقائدهم ويشككهم بتثليته في توحيدهم".<sup>1</sup>

ولكي تتصدى جمعية العلماء للنتائج المتوخاة من استعمال كل هذه الوسائل فإنها جندت جميع امكانياتها المادية والبشرية لتمنع الاستعمار الفرنسي من تكوين الانسان الجزائري مقطوع الأسباب من جميع المسلمين ومن تكوين سلك للراهبنة يمتنون لتوظيف الدين من أجل تأييد الاستعمار.<sup>2</sup>

هكذا أصبح نشاط جمعية العلماء ملموسا في مجالين السياسة والاصلاح بشقيه التربوي والديني، ولقد جندت لذلك كل ما لديها من امكانيات بدءا بأعمدة الصحافة وانتهاء بالمسجد والنادي والمدرسة مرورا بالمناسبات الاجتماعية والأعياد الدينية والوطنية.<sup>3</sup>

### المطلب الأول: جمعية العلماء تطرح قضية فصل الدين عن الدولة مجددا سنة 1951

أمام الحاح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورغبة من الحاكم العام في اضعاف طابع الشرعية على سيطرة الادارة الاستعمارية على الدين الاسلامي بواسطة من وصفهم أوغستين بارك مدير الشؤون الأهلية "موظفين دينيين يسيطر عليهم الجهل المركب والطمع وعدم التهذيب ولاحد لرغباتهم في أن يحمدا بما لم يفعلوا... فعدم الكفاءة والمبالغة في الخضوع والانقياد هي الشهادات الوحيدة التي يمكن لهم أن يعتزوا بها".<sup>4</sup>

حيث تناول الشيخ الإبراهيمي قضية فصل الدين عن الحكومة وبرهن في مقالاته أنه لاحق لفرنسا في الاشراف على الدين الاسلامي لأنها دولة نصرانية في الجوهر، لائكية في المظهر، وفي كلتا الحالتين لا يحق لها الاشراف على الدين الاسلامي.<sup>5</sup> حيث نشر في هذا الموضوع عدة مقالات بعنوان "فصل الدين عن الحكومة" و"قضية فصل الدين".<sup>6</sup>

أحيلت مسألة فصل الدين عن الحكومة أمام الجمعية الجزائرية في تشكيلتها الجديدة التي أسفرت عنها انتخابات 1951/06/01، ولقد توجهت جمعية العلماء إلى أعضاء الجمعية الجزائرية تحذرهم من أن يكونوا في يد الحاكم العام

<sup>1</sup> - العربي الزبيدي، المرجع السابق، ج1، ص207.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص207.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص208.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص211.

<sup>5</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص26.

<sup>6</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص137، أنظر: جريدة البصائر السلسلة الثانية، وكذلك الجزء الثالث من آثار الإبراهيمي.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

الذي يريد أن يكون رفض الفصل صادرا عن المنتخبين المسلمين أنفسهم وعلى الرغم من أن الشيخ الإبراهيمي لم يكن يعترف لأولئك المنتخبين بحقهم في تمثيل الشعب الجزائري بسبب ما كانت تمتاز به الانتخابات من تزوير وتزييف فان النداء الموجه اليهم قد كان صريحا وواضحا.<sup>1</sup>

وجاء في ختامه: "ان اقواما قبلكم وصلوا إلى ما وصلتكم اليه، وارتقوا على أكتاف الأمة إلى كراسي النيابة ولكنهم خانوا العهد وأضاعوا الحقوق، فسجل عليهم التاريخ خزي الأبد، فحذار حذاري أن تكونوا مثلهم".<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: انضمام جمعية العلماء إلى جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951

مع بداية الخمسينات أصبح الاستعمار الفرنسي متحكما في كل الأمور تحكما جيدا، زور الانتخابات، عطل القوانين التي سنها للجزائر، أفقر الشعب الجزائري وأرهبه بشرطته ورجال الدرك، الذين ظلوا يلاحقون مناضلي الحركة الوطنية خاصة حركة انتصار الحريات الديمقراطية. وتعد هذه الفترة من تاريخ الجزائر من أصعب الفترات لأن وضعها العام أشبه بالعصور الوسطى، فقر وجهل ومرض<sup>3</sup>

وعندما جرت الانتخابات في فيفري 1951م لتجديد نصف أعضاء المجلس الجزائري لم يشارك فيها حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ولكنه اشترك في انتخابات 17 جوان 1951م التشريعية وخسر أربعة مقاعد كما خسر الاتحاد الديمقراطي مقعدا واحدا، ثم فقد الحزبان معا كل مقاعدهما في البرلمان الفرنسي ومجلس الشيوخ في الانتخابات التي جرت في نفس الشهر<sup>4</sup>، ولقد كانت الإدارة الاستعمارية تهدف من وراء التزوير إلى تعميق الشقة بين الهيئات والأحزاب الوطنية ومنع إقامة وحدة وطنية حتى لا يقوى عليها الخطر وتشتد المقاومة ضدها، وأدرك ساسة الأحزاب ذلك خاصة وأن سنوات الأربعينات اشتد فيها الإرهاب الاستعماري بشكل فظيع وأصبح الشعب يتعرض للمزيد من التكتل والتقتيل دون سبب الا المبالغة في الاهانة ودوس قيم الإنسان الجزائري<sup>5</sup>.

في نهاية جويلية 1951 نشرت جريدة المنار بلاغا صادرا عن العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، مفاده أن التشكيلات المذكورة قد أنشأت لجنة تحضيرية لتكوين جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، وذلك بهدف الوصول إلى النتائج التالية:<sup>6</sup>

- إلغاء الانتخابات التشريعية التي جرت في 17 جوان 1951 والتي تولت الإدارة الاستعمارية خلالها تعيين أشخاص لا يمثلون الشعب الجزائري.

<sup>1</sup> - العربي الزبيدي، المرجع السابق، ج1، ص211.

<sup>2</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص188.

<sup>3</sup> - عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة (1899-2000)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2009، ص287.

<sup>4</sup> - يحي بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص166.

<sup>5</sup> - يحي بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، ص166-167.

<sup>6</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص135، نقلا عن المنار: عدد 06، الصادر بتاريخ: 1951/07/30، أما الموقعون على البلاغ، فهم الشيخ العربي النيسي، والشيخ محمد خير الدين عن جمعية العلماء والدكتور أحمد فرنسيس والأستاذ قدور ساطور عن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، أحمد مزغنة ومصطفى فروخي عن الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، أحمد محمودي وبول كابليرو عن الحزب الشيوعي الجزائري.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

- احترام حرية التصويت في المجموعة الانتخابية الثانية.
- احترام حرية الضمير، حرية الفكر، حرية الصحافة، وحرية الاجتماع.
- محاربة القمع بجميع أنواعه والعمل على تحرير المعتقلين السياسيين وإلغاء الإجراءات التعسفية المتخذة ضد مصالي الحاج.

- إنهاء تدخل الإدارة الفرنسية في شؤون الدين الإسلامي.<sup>1</sup>

لقد تأسست الجبهة رسمياً يوم 1951/08/05 وتم الإعلان عن ذلك في قاعة سينما دنيا زاد بالعاصمة بتلك المناسبة ألقى الشيخ العربي التبسي خطاباً جاء فيه على الخصوص "هذه جبهة لا تسأل أحداً إن كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً إنما تسأله هل هو مناضل في سبيل الحق مكافح في سبيل الحرية... ولو كانت لنا حكومة إسلامية بقطر الجزائر لما وجدت بيننا فروق ولما وقع التباين بين أحمد وموريس ولا بين فاطمة وماري".<sup>2</sup>

وقد عين الشيخ العربي التبسي رئيساً لهاته الجبهة، كما تم تشكيل مكتبها الدائم من عشرة أشخاص.<sup>3</sup>

### 1- النشاط السياسي للعلماء من خلال جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها

كانت البداية بعد أسبوعين من تاريخ التأسيس حيث دعت رئاسة الجبهة إلى مهرجان شعبي انعقد في الملعب البلدي بحسين داي يوم 19 أوت 1951م وحضره آلاف الجزائريين،<sup>4</sup> وتلك المناسبة ركز الشيخ العربي التبسي وهو يخاطب الجماهير الشعبية على ضرورة فصل الدين عن الحكومة واستنكر على الإدارة الفرنسية معاملتها الشاذة للإسلام والمسلمين ومما جاء في خطابه "أيها المأ الكريم؛ مضى قرن وبعض قرن والحكومة معتدية على الديمقراطية في شخص الديانة الإسلامية ساخرة بأصولها، عابثة بمقدساتها، مستخفة بأصولها وفروعها".<sup>5</sup>

ولقد تجاوز اهتمام الجبهة الإطار المحلي، ليشمل البلدان المغاربية، حيث شارك الشيخ خير الدين في ارسال بقرقيات الاحتجاج والتضامن مع الشعب التونسي أثناء الأحداث الدامية التي تسببت فيها السلطات الفرنسية في مطلع سنة 1952م حين اعتقلت عدداً كبيراً من الزعماء السياسيين وعلى رأسهم الحبيب بورقيبة وسليم المنجي وقامت بتوجيه رسائل للهيئات الفرنسية وهيئة الأمم المتحدة وتصدر أحمد توفيق المدني اجتماعاً بالعاصمة في 8 جانفي 1952 تأكيداً لهذا التضامن.

<sup>1</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج2، ص 403.

<sup>2</sup> - العربي الزبيري، المرجع السابق، ج1، ص209.

<sup>3</sup> - العربي التبسي، محمد خير الدين، أحمد مزغنة، عبد الرحمان كيوان، أحمد بومنجل، قدور ساطور، توفيق المدني، مندوز (غابنا)، كاباليرو، وكوشي يونس، أنظر: علي كافي، المصدر السابق، ص53.

<sup>4</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص136، نقلاً عن جريدة المنار، العدد 08، بتاريخ 31 أوت 1951، ص01.

<sup>5</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص136، نقلاً عن جريدة المنار، المصدر نفسه، ص02.



## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

لقد استوقف نشاط الجبهة المتتبعين للساحة الوطنية في مطلع الخمسينات وتم رصد المجهودات الكبيرة التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين في اطار هذا المولود الجديد وان لم يعمر طويلا فقد استطاعت لم شمل اتجاهات متناقضة أحيانا وجمعتها حول برنامج محدد وهو يشكل نقطة تحول هامة.<sup>1</sup>

كما ساهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تعبئة جماهير الشعب حول مطلب تقرير المصير وشاركت في كثير من المهام التي لها علاقة مباشرة بحماية حقوق المواطنين ومصالحهم، ويأتي في مقدمتها العمل الجماعي الذي أنجزه وفد الجمعية الذي انتقل إلى أريس من أجل التحقيق في أعمال العنف والارهاب التي تعرض لها سكان القرى المكونة للناحية بسبب معارضتهم لمحاولات التزييف التي قامت بها الادارة الاستعمارية بمناسبة انتخابات 17 جون 1951.<sup>2</sup>

استمرت حملة الانتقادات من الأطراف الفرنسية والأوروبية واستمر معها نشاط الجبهة فقد أعلن الشيخ خير الدين إلى جانب أعضاء مكتبها الدائم رفضهم المشاركة في الانتخابات العمالية التي ستجري في شهر أكتوبر 1951م رغم تسجيل موافقة الحزب الشيوعي بالمشاركة، الا أنها أكدت على قرارها.

لقد أدت تحركات أعضائها إلى تخوف كبير لدى الفرنسيين والأوروبيين الذي حملوا السلطة الفرنسية المسؤولية وراحوا يشنون حربا شعواء، من خلال صحافتهم حيث أكدوا من خلالها أن تلك الجبهة خطر على النظام الاستعماري.<sup>3</sup>

ان المدة التي عاشتها هاته الجبهة قصيرة، حيث كان ممكنا لها أن تؤدي خدمات جليلة للوطن وتدفع بالحركة الوطنية إلى الأمام خطوات موفقة وناجحة لو قدر لها أن تبقى وتدوم طويلا، ولكن للأسف سرعان ما انحلت وتشتت لأن الأحزاب التي كانت تتألف منها كانت ذات اتجاهات متنافرة ومتعارضة.<sup>4</sup>

**المطلب الثالث: لقاء الشيخ الإبراهيمي الوفود العربية والاسلامية في الأمم المتحدة بباريس وخطابه**

### أمامهم سنة 1952

وفي المجال السياسي انتقل الشيخ البشير الإبراهيمي إلى باريس في مستهل شهر ديسمبر 1951 للمشاركة مع قادة التشكيلات الوطنية في الاتصال بالوفود العربية والاسلامية التي تحضر أعمال هيئة الأمم المتحدة، ولقد كان لوجود رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تأثير بالغ الأهمية في تحسيس كثير من الشخصيات العربية والاسلامية كما أنه اغتنم فرصة تواجده بالعاصمة الفرنسية ليكتشف الاتصالات مع أبناء الجالية الجزائرية، وكان لوفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نشاط حثيث في المساعي الرامية إلى اقامة حفلة كبيرة احتفاء بالوفود العربية والاسلامية في يوم 1951/12/08م ولقد كان في الحسبان أن يحضر هذه الحفلة ما يربو عن خمسين ألف (50) جزائري<sup>5</sup>، لكن الحكومة

<sup>1</sup> - أسعد الهلالي: الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902-1993، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2006/2005، ص139.

<sup>2</sup> - العربي الزبيري، المرجع السابق، ج1، صص 209-210.

<sup>3</sup> - أسعد الهلالي، الشيخ محمد خير الدين، المرجع السابق، ص140.

<sup>4</sup> - يحي بوعزيز، سياسة التسلط، المصدر السابق، صص 167-168.

<sup>5</sup> - العربي الزبيري، المرجع السابق، ج1، ص211.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

الحكومة الفرنسية قررت منع الحفل وأمرت بإلقاء القبض على ما يزيد عن ستة آلاف من الجزائريين وهو الأمر الذي جعل الشيخ العربي التبسي - بصفته رئيسا للجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها - يرسل برقية استنكار إلى رئيس الوزارة الفرنسية جاء فيها خاصة "ان الجبهة تستنكر بشدة منع الحكومة الفرنسية للحفلة... وتحتج ضد القرار الجائر الذي يمس من كرامة الديبلوماسيين العرب والمسلمين وتبدي عواطفها نحو هذه الوفود التي أثبتت تضامنها مع الشعب الجزائري".<sup>1</sup>

وفي مساء يوم الثلاثاء 29 جانفي 1952 أقامت شعبة جمعية العلماء بباريس مأدبة عشاء بنزل "العالمين" (دوموند) في شارع الأوبرا على شرف الوفود العربية والاسلامية في منظمة الأمم المتحدة وقد أقيمت في هذا الحفل ثلاث خطب الأولى للأستاذ عبد الرحمان عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية، والثانية للأستاذ محمد البشير الإبراهيمي، والثالثة للأستاذ فارس الخوري رئيس الوفد السوري، وقد ألقى الأستاذ الإبراهيمي خطبته ارتجالا ومن أهم ما قال فيها "... ها هو الشرق رمى باريس بأفلاذ كبده، يدافعون عن حماه بالحق ويجادلون عن حقه بالمنطق وما منهم الا سيف مضاء، والسيل اندفاعا. وان وراءهم لشبابا سينطق يوم يسكتون وسيتكلم بما يخرس الاستعمار ويسوءه، وان بعد اللسان لخطيبا صامتا هو السنان، واننا لرجال، واننا لأبناء رجال، واننا لأحفاد رجال، وان فينا لقطرات من دماء أولئك الحدود وان فينا لبقايا مدخرة سيحليها الله إلى حين... ان أول من يجب عليه أن يؤذن بهذا الصوت جهيرا مدويا هم علماء الاسلام، فكل عالم مسلم لا يدعو إلى اتحاد المسلمين وإلى احياء حقائق الاسلام العالية وإلى اسعاد الشرق بما فهو خائن لدينه ولأمانة الله عنده، وان العالم المسلم الذي يسكت عن كلمة الحق في حينها والذي لا يعمل لإقامة الحق ولا يرضى أن يموت في سبيل الحق جبان والجبن والايمن لا يلتقيان في قلب مؤمن...".<sup>2</sup>

ومما تجدر الاشارة اليه أن مصالي الحاج - رئيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية - أقام هو الآخر مأدبة لتلك الوفود وألقى كلمة طلب فيها من الفرنسيين "أن يعيدوا لنا حريتنا ويعاملونا على قدم المساواة والأخوة"<sup>3</sup>، والمفارقة هي أن الجمعية المتهمه زورا بأنها لم تعمل للاستقلال ولم تؤمن بالكفاح المسلح يدعو رئيسها إلى عدم الثقة في الاستعمار ويهدده في عقر داره بأن الشباب الجزائري سينطق بما يخرسه وأن دماء أباؤنا فينا سيحليها الله ويحرض على تقليد أظافر الاستعمار وهتم أنيابه وأن حزب حركة الانتصار الذي يحاول بعض مناضليه احتكار الوطنية ويدعون أنهم الوحيدون الذين عملوا للاستقلال يدعو رئيسه الفرنسيين إلى "أن يعيدوا لنا حريتنا ويعاملونا على قدم المساواة والأخوة".<sup>4</sup>

لقد كان لخطاب الامام الإبراهيمي أثر قوي في عقول تلك الصفوة من رجال العرب والمسلمين الذين لم يتعودوا أن يسمعوا من علماء الدين مثل الذي سمعوه من الامام الإبراهيمي فصاحة لسان، وقوة بيان واهتماما بما يحدث ومتابعة لما يجري وتفطنا لمكائد الأعداء، وادراكا لوسائلتهم، وظهر تأثرهم فيما علقوا به على ذلك الخطاب حيث قال الزعيم التونسي محي الدين القليبي واصفا الامام الإبراهيمي بأنه "امام هذا الزمان، المصلح المحدد مفخرة علماء الاسلام"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - العربي الزبيري، المرجع السابق، ج1، ص211.

<sup>2</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج2، ص ص464-472.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص31.

<sup>4</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج2، ص31.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص31.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وقال الزعيم فارس الخوري رئيس الوفد السوري "أنا وقفت لأداء شهادة، فقد سمعت كثيرا من الخطباء في هيئة الأمم المتحدة وهم - لا شك - النخبة المختارة في دولهم للتأثير على السامع وغيرهم كثير ولكن أشهد - فثقوا بشهادتي - أنني لم أتأثر مثل تأثري الليلة بكلمة فضيلة الشيخ الإبراهيمي وليس تأثري راجعا إلى فصاحته وبلاغته فقط، وإنما تأثرت بذلك ولكونه يتكلم من عقله وروحه ويخرج الكلام مسوقا لشعوره ومسوقا يصدقه وفضيلته خاطبنا الليلة بنبضات قلبه وفيض من إيمانه وعقيدته".<sup>1</sup>

### المطلب الرابع: سفر الإمام الإبراهيمي إلى المشرق العربي وأهم نشاطاته قبيل اندلاع الثورة التحريرية

غادر الإمام الإبراهيمي الجزائر يوم 7 مارس 1952 موليا وجهة شطر المشرق العربي، وكانت سمعته العلمية والسياسية قد سبقته عن طريق جريدة البصائر التي كان الإمام يحرص على ارسالها إلى شخصيات مرموقة في المشرق وعن طريق الطلاب العرب الذين كانوا يدرسون في فرنسا، كانت سفارة الامام إلى المشرق متعددة المهام متنوعة الجوانب، وقد جرى التركيز - حتى الآن - عند الحديث عن هذه السفارة على الجوانب التربوية والعلمية وأهل الجانب السياسي المحلي والعربي والاسلامي وهو جانب لا يقل أهمية عن الجوانب التربوية والعلمية ان لم يفقها<sup>2</sup>، فليس معقولا أن يلتقي الإمام الإبراهيمي - ذو النظرة الشمولية للقضايا - ملك دولة أو رئيسها مدة ساعة أو أكثر ليقصر في حديثه معه على قبول عدد من الطلبة الجزائريين في معاهد وجامعات بلد ذلك الملك أو الرئيس، كما أنه ليس معقولا أن يقبل الامام أن تطول سفارته حولين كاملين (1952-1954) من أجل الحصول على عدد من المنح مهما كثر لو لم يكن السعي لتحرير الجزائر هو الهدف الحقيقي لرحلته<sup>3</sup>، وقد بين مذكراته الى جامعة الدول العربية ان غاية الجمعية "هي تحرير الشعب الجزائري" و"أنها بدأت بتحرير العقول تمهيدا للتحرير النهائي"<sup>4</sup>، وأنها "تربيته لا على المطالبة بحقه بل أخذ حقه بيده" وذكر هذه الجامعة بأنها "ملزمة - بروح ميثاقها - أن تحرر كل عربي بالمستطاع من وسائلها" وأنها "اذا كانت لا تستطيع تحرير الجزائر عسكريا لاستحالة ذلك في الوقت الحاضر، فلا أقل من أن تعاوننا بالخط الأوفر على تحرير العقول" مع مطالبة "حكوماتنا العربية أن تقف موقف الحزم والصلابة من فرنسا المتعنتة".

وفي هذا الإطار يندرج اجتماعه باللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وطلبه منها أن "تعنى عناية خاصة بالقضية الجزائرية وتساعد الشعب الجزائري على الحصول على حقه في تقرير مصيره"<sup>5</sup>.

ومهما يكن من أمر فان العلماء ربطوا علاقات قوية مع البلدان المغاربية والمشرقية في سنوات الخمسينات، وانطلقت مهمة إرسال الطلبة نحو هاته البلدان ابتداء من سنة 1952م، حيث قامت بربط عدد من الطلبة بالجامعات

<sup>1</sup> - عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي، المصدر السابق، ج3، ص224.

<sup>2</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج4، ص11.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص11.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص12.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص12.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

الإسلامية في البلدان العربية مثل جامع الزيتونة (حيث كان أغلبية أعضاء المجلس الإداري للجمعية في سنوات الخمسينات من حاملي الشهادة الزيتونية مع بعض المتخرجين من القاهرة ودمشق).<sup>1</sup>

حيث كان طلبة جمعية العلماء يسافرون لمتابعة دراستهم في الجامعات التونسية والقاهرة ويسجلون بشكل تقليدي بما يعرف "بطالب العلم" في الشرق الإسلامي ولكن ابتداءً من سنة 1952 المهتمات الطلابية أصبحت تنظم وتمول من طرف جمعية العلماء ويكون السفر بشكل جماعي منظم وليس بشكل فردي وذلك بفضل الشيخ الإبراهيمي الذي استقر بالقاهرة منذ سنة 1952 بعد الرحلة التي قاده إلى باكستان (مارس - ماي 1952) والعراق في جوان 1952، مروراً ببيروت في سبتمبر 1952 لتسهيل المفاوضات التي تنظر في عملية تمويل الطلبة الجزائريين بمصر، والعراق وسوريا والكويت حيث قامت عدد من الحكومات العربية بمساعدة الشيخ الإبراهيمي معنوياً ومادياً في النشاط الذي يقوم به.<sup>2</sup>

وتجدر الإشارة أن الذي ربط العلماء مع الشرق الأوسط منذ سنوات الأربعينات هو شخصية الفضيل الورتلاني (1900-1959) والذي مثل العلماء بمصر والفضيل الورتلاني المعروف أكثر بكونه لديه علاقات جيدة مع الإخوان المسلمين المصريين والذين شاركوا في ثورة 1948 بفلسطين وفي اليمن أيضاً وقبل ذلك كان ممثل العلماء بفرنسا سنة 1936 وذلك لبث أفكار الحركة الإصلاحية للعلماء في أوساط الجالية الجزائرية بالمهجر، وبعد اتهامه من طرف فرنسا بالتعصب الديني والسياسي غادر فرنسا مع بداية الحرب العالمية الثانية نحو مصر حيث انخرط بالجامع الأزهر لإكمال دراسته وذلك ليحتمي من الأنجليز وتخصص في أصول الدين والسير.<sup>3</sup>

وقد أقام الإبراهيمي علاقات وثيقة مع ملوك وساسة العرب والعالم الإسلامي واستفاد من تجربة الفضيل الورتلاني في ربط علاقات مع جماعة الإخوان المسلمين ومع بعض المسؤولين الإيرانيين والباكستانيين وكل ذلك سخره لخدمة القضية الجزائرية.<sup>4</sup>

وكان قد كلف رسمياً من جمعية العلماء بالاستقرار في المشرق العربي والسعي لتحقيق أهداف استراتيجية هي:

- بذل المساعي لدى الحكومات العربية لقبول عدد من الطلاب الجزائريين الذين تخرجوا من معاهد العلماء للدراسة.

- طلب معونة مادية من الحكومات العربية لجمعية العلماء حتى تنهض بعبء رسالتها التعليمية.

- الدعاية لقضية الجزائر التي نجحت الدعاية الفرنسية في تضليل الرأي العام في المشرق بأوضاع المغرب عامة والجزائر بصفة خاصة.<sup>5</sup>

وقد حقق نجاحاً معتبراً في أداء مهامه ونجح في التعريف بالقضية الجزائرية وكسب الدعم والمساندة لها وكذا في الحصول على منح للطلبة الجزائريين، وأظهر الإبراهيمي تفاعله مع مختلف قضايا العالم العربي والإسلامي ومنها قضية

<sup>1</sup> - Charlotte Courreye , opcit , p171.

<sup>2</sup> - Ibid, p 172.

<sup>3</sup> - Ibid, p 176.

<sup>4</sup> - نبيل احمد بلاسي، المرجع السابق، ص ص73-74.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص133.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وحدة واستقلال المغرب العربي والتضامن مع مصر ودعم القضية الفلسطينية، وهكذا يتضح لنا أن الإبراهيمي لم يكن وطنيا جزائريا فحسب بل كان زعيما عربيا إسلاميا وذلك بحكم نشاطه وإسهامه الواسع في هذا الصعيد.

**المطلب الخامس: أوضاع الجمعية ونشاطها السياسي منذ سفر الإبراهيمي إلى المشرق إلى غاية اندلاع**

**الثورة التحريرية (1952 - 1954م)**

حسب الأستاذ أبو القاسم سعد الله أنه خلال أوائل الخمسينات كانت الجمعية تقريبا هي الهيئة الوحيدة الفاعلة في المجتمع الجزائري عندئذ ولعلمهم سيجدون أن أنصارهم قد تكاثروا نتيجة الأزمة التي مر بها حزب الشعب منذ 1949 وخصوصا منذ سنة 1953 م لأن الشعب قد تزعزعت ثقته في الأحزاب السياسية عموما.<sup>1</sup>

بعد خروج رئيس الجمعية البشير الإبراهيمي من الجزائر وسفره إلى المشرق في مارس 1952م، فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصبحت في وضعية محرجة فخرج الإبراهيمي تكون قد فقدت عنصرا أساسيا في توازن قيادتها وتوازنها، لا لأنه كان رئيس الجمعية ورفيق ابن باديس ومن الشخصيات التي ساهمت مباشرة في تكوين الجمعية وادارتها فحسب بل انه كان أيضا يهيمن بمكانته العلمية وفصاحته على مجموع رحاب الجمعية من علماء وطلبة في القمة والقاعدة، كما أن طبعه التفاوضي والمرح وخبرته بخفايا بعض نفوس زملائه جعلته قادرا على امتصاص وإخفاء وتأجيل الخلاف،<sup>2</sup> الذي كان بين الشيخ العربي التبسي وبعض الشيوخ الآخرين: كالشيخ محمد خير الدين كما أن موقفه الموسوم بالحياد اتجاه الأحزاب قد بدأ يتغير، اذ يظهر أن بعض المتعاطفين مع حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري حاولوا جر الجمعية لخدمة هذا الحزب، كما أن الشيخ العربي التبسي وجد الجو مناسباً لتحقيق مطلبه وهو تأسيس جبهة واحدة لجميع الجزائريين تتولى الجمعية الإشراف عليها وإلغاء جميع الأحزاب الأخرى.<sup>3</sup>

### 1- سعي الجمعية إلى اتحاد الجزائريين سنة 1953

وفي مستهل سنة 1953 عندما نظمت جريدة المنار استفتاء واسعا حول مسألة الاتحاد ولماذا لم يتحقق بين كافة القوى الوطنية في الجزائر رغم إيمان الجميع بضرورته من أجل جبهة واحدة ترمي إلى غاية واحدة بوسائل مختلفة قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال أعضائها البارزين بدور أساسي في تغذية العملية وتوفير أسباب نجاحها.

أما الشيخ العربي التبسي فقد اغتنم الفرصة ليقول "ان الحالة بالجزائر لا تبرر تعدد الأحزاب فبقاء الأحزاب فيها إطالة لعمر الاستعمار والاتحاد الشعبي هو الذي يستطيع أن يغير الحال في البلاد..."<sup>4</sup> وأما الشيخ أحمد رضا حوحو<sup>4</sup> فإنه

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، المرجع السابق، ج4، ص147.

<sup>2</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص138.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص138.

<sup>4</sup> - أحمد رضا حوحو: 1911-1956م ولد بسيدي عقبة قرب مدينة بسكرة، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم بقسنطينة، انتقل إلى الحجاز سنة 1934، لم يعد إلى الجزائر الا بعد سنة 1945، تولى الكتابة العامة بمعهد ابن باديس، كان أول من ألقى عليه القبض من رجال جمعية العلماء، استشهد بعد سنتين من اندلاع الثورة التحريرية في ظروف غامضة. أنظر: احمد حداد: الشيخ أحمد حماني ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية 1333هـ-1419هـ/1915م-1998م، تق: الدكتور عبد العزيز فيلاي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2014، ص122.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

سار في نفس الاتجاه لكنه يضيف على الاقتراح طابع العملية والمنهجية الصحيحة اذ يخلص بعد تحليل مطول إلى أن الاتحاد الحقيقي هو الذي يبنى على أساس شعبي متين تتقدمه دعاية واسعة يعتبر الاستفتاء فاتحتها.

بعد ذلك يعقد مؤتمر شعبي يعيد الأحزاب إلى جادة الصواب الذي يعبر عنه قائلا "لقد أنشئت المبادئ لخدمة الأحزاب وأنشئت الأحزاب لخدمة الوطن لكن القضية انعكست عندنا فالأحزاب أسست لخدمة مبادئها والوطن يستغل لخدمة هذه الأحزاب، لقد أردنا أن تكون هذه الأحزاب وسائل فأصبحت غايات وأردناها خادمة فأصبحت مخدومة، فضيق المبادئ الحزبية في ضيق النفوس كونت كلها أكبر عراقيل في سبيل الاتحاد".<sup>1</sup>

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن جمعية العلماء كانت صاحبة فكرة الجبهة الموحدة التي تضم كل الأحزاب والتيارات الوطنية بل وذهبت إلى أبعد من ذلك حيث اعتبرت هذه الجبهة هي جبهة شعبية تكون عن طريق استفتاء شعبي وتلغى من خلالها كل الأحزاب والتشكيلات السياسية التي أصبحت لا جدوى منها، فمطلب الاستقلال والتحرير لا يمكن أن يتبناه حزب أو هيئة سياسية واحدة بل هو مطلب وطني شعبي لا بد من أن تتكاتف كل الجهود وتتوحد كل القوى حول هذا المطلب الجوهري ولا يتم ذلك إلا من خلال اتحاد وطني وجبهة موحدة ولعمري فان جمعية العلماء وقادتها كانت ترسم معالم الطريق نحو المستقبل حيث بعد عام من هذا المطلب تأسست فعلا جبهة التحرير الوطني والتي ضمت كل الشعب وكل القوى السياسية تحت لوائها.

### 2- تطور الصراع الخفي داخل الجمعية قبيل اندلاع الثورة الجزائرية

بعد مطلب الوحدة الذي تقدم به الشيخ العربي التبسي تأجج الخلاف واسعا بين التبسي وبعض أعضاء المكتب الإداري الذين لم يعجبهم وجود التبسي على رأس الجمعية اذ لم يكن التبسي يتمتع بحنكة الإبراهيمي ولباقته وتجربته وقدرته على التوفيق بين المتخالفين في حين كان له حظ وافر من الشدة والصلابة والاعتزاز بالنفس مما جعل مخالفيه يرمونه بالدكتاتورية ولم يكن فارق السن والعلم كبيرا بينه وبينهم، ولهذا لم يتخرجوا في معارضته ومنافسته.<sup>2</sup>

وتذكر التقارير الفرنسية أن العلماء الذين احتفلوا بتدشين دار الطلبة بقسنطينة عام 1953م قد اطمئنوا إلى مستقبل مدارسهم ومعهدهم وأصبحوا في مركز قوة بعد أن شاهدوا عظمة ذلك الاجتماع وتكاتف الأمة واجتماعها حول الجمعية ولذلك ركنوا إلى مسالمة وتلطيف العلاقات مع حركة الانتصار التي بدأت في الانحصار الاعلامي على الأقل بفعل الأزمة التي ضربتها.<sup>3</sup>

وخلال سفر الشيخ العربي التبسي إلى المشرق بنية الحج وزيارة الرئيس وكذلك بنية التكفل بأمر الطلبة هناك وهو ما رفضه بعض زملائه في المكتب الاداري واعتبروه تجاوز لمكانة رئيس الجمعية البشير الإبراهيمي،<sup>4</sup> واغتنموا فرصة غيابه ليقدموا على أمر سيكون له أثر كبير في الجمعية وسيرها لو لم تفاجئهم الثورة بعد أقل من شهرين من ذلك التاريخ، ذلك

<sup>1</sup> - العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 213-214.

<sup>2</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص 138.

<sup>3</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص 139.

<sup>4</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج 2، ص 20.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

هو التغيير الذي حاولوا اجراؤه على الجمعية في الاجتماع العام لمكتب الجمعية في سبتمبر 1954، وقد خرج هذا الاجتماع بعدة قرارات مهمة:

- مطالبة الرئيس الإبراهيمي والورتلاني بالعودة إلى أرض الوطن والمشاركة في إصدار قانون أساسي جديد لجمعية العلماء<sup>1</sup>، رغم أن القانون الأساسي الأخير لم تمر عليه الا مدة ثلاثة أعوام حيث عدل عام 1951 في الاجتماع العام، وتجدر الإشارة إلى أن التبسي لا يوجد ضمن الأشخاص المقترحين لصياغة هذا القانون بالإضافة إلى الإبراهيمي والورتلاني نجد كل من خير الدين وتوفيق المدني ضمن القائمة.<sup>2</sup>

وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن جمعية العلماء بدأت تغير من أسلوب مطالبتها كمسألة حرية واستقلال الدين الإسلامي والتي أصبحت تنظر إليها على أنها جزء لا يتجزأ من القضية الوطنية أو بالأحرى أنه لا يمكن أن تضمن استقلال الدين الإسلامي ومعاله الا باستقلال الجزائر نفسها،<sup>3</sup> فانه يمكننا القول بأن جمعية العلماء كانت على أهبة الاستعداد لتغيير جذري ربما يمس حتى مسألة تعاطيها للسياسة، وهو ما يفسر اشتراك كل من الورتلاني والمدني ضمن القائمة المقترحة لتحديد طبيعة الجمعية الذي يفصح عنها القانون الأساسي، اذ لا يخفى نشاطها السياسي في الجزائر وخارجها، فهل هي محاولة لجعل جمعية العلماء حزبا سياسيا مع الاحتفاظ بمهمتها الأولى واستغلال وضع حركة الانتصار لنجاح هذه الخطة؟ يظهر أن هذا بعيد نسبيا طالما أن التبسي صاحب الفكرة كان غائبا بل مقصودا بهذا التغيير، مما يجعلنا نقول بأن العناصر المتعاطفة أو المنضمة إلى حزب البيان ربما كان بواسطة هذا التغيير أن تجعل من الجمعية حليفا دائما وسندا سياسيا مباشرا لهذا الحزب.<sup>4</sup>

ومهما يكن من أمر فان محمد خير الدين وجناحه قد رتب أموره جيدا قبل أن يعود الشيخ التبسي من حجه في أكتوبر 1954م ولاشك أن هذه القرارات كانت ستزيد من حدة الخلافات بين الجناحين<sup>5</sup>، ولكن يظهر أن الكفة كانت لصالح محمد خير الدين وجناحه المعتدل وتكمن أهمية توضيحنا لهذه الوضعية للجمعية في أن موقفها في الداخل من الثورة سيكون متأثرا بهذه الوضعية.

ان هذه المسألة تقودنا إلى الحديث عن طبيعة العلاقة بين شيوخ الجمعية وشبانها، حيث يرى بعض الباحثين أن هذا الخلاف الذي مس الجمعية كان في بعض وجوهه صراعا بين جيلين (جيل الشيوخ وجيل الشباب ممن تتلمذوا وتخرجوا على أيديهم) فمحمد المليبي ابن مبارك المليبي الذي كان من الشباب الأوفياء في الجمعية يرى أن تيار الشباب يتكون من بعض معلمي الجمعية الذين تخرجوا حديثا والذين كانوا يميلون سياسيا إلى طروحات حزب الشعب، ويعبر عنهم في طبقة الشيوخ كل من التبسي والياجوري وحوحو، مع تلميحه بأنه ليس كل شباب الجمعية ومعلميها الجدد كانوا

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، المرجع السابق، ج4، ص84.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ج4، ص84.

<sup>3</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص142، نقلا عن جريدة البصائر، العدد 28، بتاريخ: 1954/10/02، ص1.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص142.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص142.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

مع هذه الفئة ويؤيده في هذه النظرة كثير من الباحثين<sup>1</sup>، ويمكن أن نؤكد هنا على أن الخلاف لم يصل إلى درجة يتشكل هناك تياران واضحان ومنفصلان في المنهج أو الوسائل أو حتى في الطبقة أو الجيل ويمكننا أن نوفق بين النظرتين لنصل إلى القول بأن شباب الجمعية قادهم حماسهم واندفاعهم إلى مناصرة حركة الانتصار ووجدوا أن الشيخ العربي التبسي بأفكاره وسلوكه خير رمز يستعينون به بينما وجد بعض شباب الجمعية من جهة أخرى في محمد خير الدين ورفيقه أحسن منظم وأقدر شخصية على ترقية الجمعية وعصرنتها لتلائم روح العصر الذي تشبع به هؤلاء.<sup>2</sup>

يظهر جليا أن جمعية العلماء لم تعصف بها الأزمة السابقة كما عصفت بحركة انتصار الحريات الديمقراطية وهذا ما عزز مكائنتها أكثر، فقد حاولت أن تفرض نفسها على أساس أنها تعبر عن آمال الشعب وطموحاته في تحقيق المطالب الرئيسية المتمثلة في الاستقلال الوطني وهذه دعوة صريحة لخوض الجمعية مجال السياسة فقد جاء في مقررات مجلس الجمعية: "ان الأمة الجزائرية يجب عليها في الساعة الحاضرة وفي مستقبل الأيام أن تتجه بكليتها لمحاولة حل قضيتها العامة حلا عادلا يتناسب مع التطور العالمي الحديث ومع هذا فإنه من الصعب القول أن جمعية العلماء تلقت أزمة منافستها حركة انتصار الحريات بابتهاج وفرح لأننا وجدناها قد تأملت لذلك ورأته اضعاء للجهد والمال وللعمل الوطني وهو زيادة على ذلك عرقلة جديدة لمسعى الوحدة الذي كانت تباركه جمعية العلماء بين مختلف الأحزاب، فكيف به على مستوى الحزب الواحد ومن الصعوبة القول بأنها كانت تنتظر انهيار الحزب لتستولي على قاعدته".<sup>3</sup>

لقد عانت الجمعية من وصول النضال السياسي إلى مرحلة متقدمة من النضج أدى إلى تعارض جيل الشباب المتعطش للعمل الثوري وجيل الشيوخ المتحفظ والمتخوف من العمل الثوري المسلح، وأصبحت جمعية العلماء تعيش أزمة حقيقية على رأس قيادتها اذ غاب عنها رئيسها والمعارضة التي لقيها نائبه العربي التبسي من طلبة الجمعية وبعض روادها، لتلتحق بالتيارات السياسية التي عانت من أزمة ما قبل الثورة مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية، واذ لم تصل هذه الخلافات إلى القاعدة وفي خضم هذا كله فاجأ أول نوفمبر الجميع وفرض العمل الثوري المسلح على الجميع تحت غطاء حزب جديد تحت اسم جبهة التحرير الوطني، ويمكن القول أن الثورة أنقذت الجميع فالخلافات بين تيارات الحركة الوطنية وصلت إلى وضع متردي وكما أن الجمعية لم تسلم من هذا الأمر حسب أبو القاسم سعد الله حيث يقول: "وانصافا للتاريخ أيضا نقول أنه لولا أولئك الفتية الذين آمنوا برهم ووطنهم وكونوا أنفسهم في الخفاء واجتمعوا وتجاوبوا وقرروا الثورة لكانت الجزائر بدون جمعية العلماء كريشة في مهب الريح سنة 1954م وهي الريح التي أخذت تهب أيضا حتى على جمعية العلماء".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص142.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص143.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص146، نقلا عن جريدة البصائر، العدد 286، أكتوبر 1954، ص1.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، المرجع السابق، ج4، ص147.



### المبحث الثالث: الموقف السياسي لجمعية العلماء من الثورة التحريرية سنة 1954

لم تكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على علم بتوقيت اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م كغيرها من التيارات السياسية في الجزائر، كما أنها لم تعلم من كان يقف وراءها ولكي نتعرف على موقفها من اندلاعها وكذا مساهمة تطور هذا الموقف بعد تطور الأحداث وتوسعا عبر كامل التراب الجزائري، ولأن الثورة جاءت في فترة زمنية حرجة في تاريخ الجزائر والذي عرف أزمة داخلية في الحركة الوطنية بسبب اختلاف الرؤى فيما بينها حول أولوية العمل المسلح وفي ظل جو مشحون ميز العلاقات الدولية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية ما يعرف بالحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي حول من يقود العالم وكسب ولاء الدول، لذلك فانه من الصعب فهم المواقف المتضاربة تجاه الثورة الجزائرية الا بعد الاطلاع على خلفية الأحداث وتوجهات صناعات الحدث من مختلف التيارات وطبيعة العلاقة التي كانت تربطهم.

ومن المهم جدا ضمن هذه السياق التاريخي الوطني والدولي التطرق إلى أهم الأحداث التي رافقت مسيرة الثورة الجزائرية بداية منذ انطلاقة شرارتها الأولى إلى غاية أحداث 20 أوت 1955 والتي شكلت المنعرج الحاسم في نجاح الثورة وتجنيد مختلف التيارات الوطنية للالتحاق بركب الثورة بالإضافة إلى الاطلاع على المشهد الاعلامي والسياسي ابان الثورة وأيضا ابراز دور رجال جمعية العلماء ونشاطاتهم الداعمة للثورة في اشارة إلى أهمية الكفاح السياسي والثقافي والفكري بواسطة الأقاليم الصحفية وتوظيف فن الخطابة التعبوية وكذا العمل الدبلوماسي لتدويل القضية الجزائرية وحشد التأييد لها لدى مختلف دول العالم من أجل تحقيق هدف الشعب الجزائري في نيل الحرية والاستقلال.

### المطلب الأول: اندلاع الثورة التحريرية 1954

لقد اندلعت الثورة التحريرية الجزائرية في وقت وصل فيه النضال السياسي السلمي مرحلة اليأس من أمل حصول الجزائريين على حقوقهم المشروعة من المستعمر الفرنسي بالعيش الكريم والتمتع بالمواطنة الكاملة بعيدا عن عقلية الأهالي والتزوير الانتخابي، اذ يعتبر عام 1954 منعطف جديد في مسيرة الحركة الوطنية الجزائرية على صعيد العمل السياسي وفي أسلوب الكفاح الوطني فقد انتقلت حركة التحرر بشكل عام منذ هذه الفترة من "التعددية" الحزبية إلى نظام "الحزب القائد" الذي تجمعت من خلاله مختلف القوى الوطنية سواء على صعيد "الفكر" و"الأسلوب" في الكفاح الوطني الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي تحت "قيادة جبهة التحرير الوطني" التي سارت وفق نظرية سياسية وعسكرية واضحة قائمة على "الاستقلال الوطني التام" واعتماد أسلوب "الكفاح المسلح" فكيف تم هذا التجمع الذي توحدت في عقده كل التشكيلات السياسية؟

### 1- التحضيرات الأولى للثورة التحريرية

لم يكن أسلوب العمل المسلح ضد الاحتلال الفرنسي فكرة طرحت في سنة 1954 بل يرجع تبني هذه الفكرة إلى سنة 1947م حيث عقد حزب الشعب اجتماع سري تحت التسمية الجديدة "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" يومي 15-16 فيفري 1947.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - عمار هلال: الحركة الوطنية بين العمل السياسي والفعل الثوري 1947-1954، مجلة الذاكرة، العدد 03، 1995، ص 364.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

حيث تقرر إنشاء منظمة شبه عسكرية تحت إشراف الحزب تحضر للعمل الثوري المستقبلي.<sup>1</sup> وقد كلف بتسيير هذه المنظمة محمد بلوزداد<sup>2</sup> إلى غاية سنة 1949، وقد بدأت المنظمة التحضيرات للعمل المسلح بصورة جدية استعدادا للعمل الميداني، وكانت المنظمة الخاصة تشكل تنظيما مغلقا ذات عدد محدود يتراوح بين 1000 - 1500 مناضل، وفي أواخر سنة 1949 كانت المنظمة الخاصة قد انتهى تكوينها<sup>3</sup>، وفي 18 مارس 1950 في مدينة تبسة حدث ما أدى إلى كشف سرها للإدارة الفرنسية<sup>4</sup>، بعد انكشاف أمر المنظمة الخاصة وتعرف الشرطة الفرنسية على عدد هام من مناضليها ومنهم من ألقى عليه القبض ومنهم من نجا وفر إما إلى الجبال وإما إلى الحياة السرية والتنكر بالبطاقات المزيفة.<sup>5</sup>

اثر ذلك دخلت حركة انتصار الحريات في أزمة سياسية عميقة وتطور الخلاف الأمر الذي دفع بالكتلتين "المصاليين والمركزيين" إلى عقد مؤتمرين أحدهما في بلجيكا ودعا إليه مصالي الحاج في "أورني" من 13 إلى 15 جويلية سنة 1954م، وانتهى المؤتمر بإدانة السياسة العامة للمركزيين التي بدأت تظهر سنة 1953م ومنح الثقة المطلقة لمصالي.<sup>6</sup> وتم إعادة هيكلة الحزب بطرد بعض المسيرين وتثبيت آخرين فرد عليه المركزيون في مؤتمريهم إلى انعقد في الجزائر من 13 إلى 16 أوت 1954 بإلغاء منصب رئيس الحزب.<sup>7</sup>

لقد كان انقسام الحزب في هذه الظروف ضربة قاسية للحركة الثورية بحيث كادت مسألة الانشقاق أن تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه لولا الفريق الحيادي المتكون من قدماء المناضلين في المنظمة الخاصة الذين سعوا إلى التوفيق بينها على أساس العمل والثورة في إطار "اللجنة الثورية للوحدة والعمل CRUA" وذلك في 23 مارس 1954م وتشكلت هذه اللجنة من محمد بوضياف<sup>8</sup> ولحول حسين وسيد علي عبد الحميد ومصطفى بن بولعيد<sup>9</sup> ومن المركزيين بشير دخلي

<sup>1</sup> - محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د.ت)، ط3، ص279.

<sup>2</sup> - محمد بلوزداد ولد في 3 نوفمبر 1924 اشتغل في مناصب إدارية، وفي سنة 1943 انخرط في حزب الشعب، أصبح عضوا في المكتب السياسي لحركة الانتصار، تزعم هيئة أركان المنظمة الخاصة، توفي بفرنسا في 14 جانفي 1952 بسبب مرض السل. أنظر: الطاهر جبلي: دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية، 1956-1962، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص40.

<sup>3</sup> - عمار ملاح: محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص34.

<sup>4</sup> - يحي بوعزير، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1930-1954)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص51.

<sup>5</sup> - محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص244.

<sup>6</sup> - أزغيد محمد لحسن: مؤتمر الصومام وتطور عمل الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص50.

<sup>7</sup> - عمار هلال، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص93.

<sup>8</sup> - محمد بوضياف: ولد في 23 جوان 1919 بالمسيلة ناضل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وأصبح مسؤول الشمال القسنطيني في المنظمة الخاصة، شارك في اجتماع 22، وعين ممثل جبهة التحرير الوطني في فرنسا، قتل في 29 جوان 1992. أنظر: محمد الشريف ولد الحسين: من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال 1830-1962، دار القصة للنشر، 2010، الجزائر، ص57.

<sup>9</sup> - مصطفى بن بولعيد: من مواليد 1917 بأريس أين تلقى تعليمه الأول ثم درس بمدرسة الأهالي بباتنة، أدى الخدمة العسكرية الإلزامية سنة 1939، انضم إلى حزب الشعب في الأربعينات، أنفق من ماله لتكوين شبان المنظمة الخاصة سياسيا وعسكريا، لعب دورا كبيرا في التكفل بمناضلي الحزب المطارد بعد انكشاف المنظمة الخاصة، شارك في تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وفي اجتماع 22 التاريخي وهو أحد القادة الست قاد الثورة بالأوراس، استشهد يوم 22 مارس 1956. أنظر: الطاهر جبلي: الإمداد بالسلاح خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، دار الأمة، الجزائر، د.ت، ص551-552.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ورمضان بوشوبية<sup>1</sup> وقبيل أن تنتقل اللجنة الثورية إلى مرحلة التحضير والإعداد للثورة دعت الطرفين المتصارعين إلى التفاهم للدخول موحدين إلى المرحلة الجديدة، وكان موقف المركزيين الاشتراط للقيام بالثورة وجود مساندة من الخارج<sup>2</sup>. أما المصاليون اعتبروا إعلان الثورة من قبل تلك اللجنة خروجاً عن الطاعة وتمرداً على قانون الحزب وعصياناً.

### 2- التحضير السياسي والعسكري للثورة التحريرية

اجتماع مجموعة "22" وانعقد هذا الاجتماع ما بين 25 جوان و5 جويلية 1954م بدار الياس دريش بالمدينة<sup>3</sup> واشتمل جدول الأعمال على ثلاثة نقاط:

1- اتخاذ القرار بإعلان الثورة.

2- كيفية إعلان الثورة.

3- أهداف الثورة ومن بينها استرجاع الاستقلال الوطني.

ولقد حضر هذا الاجتماع اثنان وعشرون "22" شخصية ممثلين من كل ناحية من البلاد برئاسة مصطفى بن بولعيد وقبل نهاية الاجتماع أنتخب محمد بوضياف كمسؤول وتعيين قيادة جماعية تسهر على تطبيق القرارات المصادق عليها.

وتشكلت اللجنة من محمد بوضياف رئيساً ومصطفى بن بولعيد وديدوش مراد<sup>4</sup> والعربي بن مهيدي<sup>5</sup> ورايح بيطاط<sup>6</sup> كأعضاء<sup>7</sup>.

وانظم إلى اللجنة الحماسية فيما بعد في أوت 1954 كريم بلقاسم<sup>8</sup> وأطلق عليها اسم لجنة الستة.

<sup>1</sup> - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص335.

<sup>2</sup> - أحسن بومالي: التحضيرات المادية والبشرية لاندلاع الثورة المسلحة، مجلة الذاكرة، العدد 03، 1989، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص104.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص109.

<sup>4</sup> - ديدوش مراد: 1927-1955م الملقب بسي عبد القادر، ولد بحي المرادية بالعاصمة، تحصل على الشهادة الابتدائية سنة 1939 ثم واصل دراسته الثانوية حتى 1942، انخرط في حزب الشعب سنة 1943، ثم حركة الانتصار، ثم من أبرز قادة المنظمة الخاصة، وهو من أعضاء لجنة 22 تاريخية ثم لجنة الستة، كما كان أحد محرري بيان 1 نوفمبر، تولى قيادة منطقة الشمال القسنطيني عند اندلاع الثورة، استشهد في 18 جانفي 1955. أنظر: الطاهر جبلي، دور القاعدة، المرجع السابق، ص293-294.

<sup>5</sup> - محمد العربي بن مهيدي: 1923-1957م في دوار الكواهي بناحية عين مليلة تحصل على شهادة التعليم الابتدائي في باتنة، انضم إلى صفوف الكشافة الإسلامية ببسكرة، وفي سنة 1942 انضم إلى حزب الشعب الجزائري، أصبح من أبرز عناصر المنظمة الخاصة سنة 1950، حضر اجتماع 22 وعضو في لجنة الستة، وأصبح أول قائد للمنطقة الخامسة (وهران)، قاد معركة الجزائر بداية من سنة 1956 ونهاية 1957، استشهد تحت التعذيب ليلة 3 إلى 4 مارس 1957 بعد أن أعطى درساً في البطولة والصبر لجلاديه. أنظر: الطاهر جبلي، دور القاعدة، المرجع السابق، ص274-275.

<sup>6</sup> - رايح بيطاط: 1925-2000م، عضو مؤسس لجهة التحرير الوطني، ولد بقسنطينة، ناضل في حزب الشعب الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، ثم المنظمة الخاصة، حكم عليه بعشر سنوات سجنًا غيابياً سنة 1951، عند انطلاق الثورة عين مسؤول الولاية الرابعة، تم أسره يوم 16 مارس 1955 بالعاصمة ليطلق سراحه سنة 1962. أنظر: عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص103-104.

<sup>7</sup> - أحسن بومالي، المرجع السابق، ص116.

<sup>8</sup> - كريم بلقاسم: 1924-1970م من مواليد 14 ديسمبر 1924 بقرية تيزرا نعيصي قرب ذراع الميزان ولاية تيزي وزو، انضم إلى مدرسة ساروي Sarroy ونال منها شهادة الدراسة الابتدائية، عرف النضال مبكراً، التحق بحزب الشعب سنة 1945، كان أحد مفجري الثورة التحريرية وأحد قادة جبهة التحرير منذ النشأة، عضو مجموعة الستة، أصبح قائد المنطقة الثالثة (القبائل)، قاد العمليات الأولى ضد المراكز والقوات الفرنسية في منطقة القبائل، شارك في مؤتمر الصومام =

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وفي نفس الشهر أصبحت لجنة الستة تسمى بلجنة التسعة على اثر لقاء "لوزان" بسويسرا الذي جمع لجنة الستة وأعضاء الوفد الخارجي أحمد بن بلة<sup>1</sup> ومحمد خيضر<sup>2</sup> وحسين أيت أحمد<sup>3</sup>.

وتم تقسيم المهام داخل لجنة التسعة بشكل يجعلها أول قيادة سياسية وعسكرية للثورة قبيل انطلاقها حيث عين خمسة منهم على رأس المناطق الخمسة وهي:

— المنطقة الأولى: الأوراس بقيادة مصطفى بن بولعيد.

— المنطقة الثانية: الشمال القسنطيني بقيادة ديدوش مراد.

— المنطقة الثالثة: القبائل بقيادة كريم بلقاسم.

— المنطقة الرابعة: العاصمة بقيادة رباح بيطاط.

— المنطقة الخامسة: وهران بقيادة العربي بن مهيدي.

ومنسق وطني هو محمد بوضياف ومجموعة الدعم الخارجي وهم أحمد بن بلة ومحمد خيضر وحسين أيت أحمد<sup>4</sup>. وفي اجتماع 23 أكتوبر 1954 التقت لجنة الستة واتفقوا على مضمون نص بيان أول نوفمبر بعد مراجعته والتأكيد بصفة نهائية على الساعة الصفر من ليلة الاثنين 1 نوفمبر 1954 كموعدا لانطلاق الثورة مع الالتزام بالسرية التامة لهذا القرار، وتمت عملية التحضير لتفجير الثورة بالعمل الشاق والمتواصل الذي ميزته السرية التامة والإيمان بحتمية النصر اذ خططوا وعملوا بكل دقة على أن يكون تفجير الثورة بالداخل وفي الوقت نفسه يتم الإعلان عنها في الخارج<sup>5</sup>. وقد تميزت ليلة الفاتح من نوفمبر سنة 1954 بتنظيم محكم يدل دلالة واضحة على وجود مخطط مدروس يتسم بالجدية والعزم، فعند الساعة الواحدة من صبيحة أول نوفمبر، نفذت عمليات عسكرية عبر كامل التراب الوطني كما وزع

---

= 1956، وصار عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ، وبعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية شغل منصب وزير القوات المسلحة في التشكيلة الأولى، ثم وزير الشؤون الخارجية في الثانية، ووزير الداخلية في الثالثة، شارك في مفاوضات إيفيان وكان من بعد الموقعين عليها، اغتيل بعد الاستقلال في أكتوبر 1970 بألمانيا. أنظر: عاشور شرقي، قاموس الثورة، المرجع السابق، ص 283-284.

<sup>1</sup> - أحمد بن بلة: ولد في 25 ديسمبر 1916 بمدينة مغنية واصل تعليمه الثانوي بمدينة تلمسان، أدى الخدمة العسكرية سنة 1937، انضم إلى حزب الشعب الجزائري، وأنتخب سنة 1947 مستشارا بلديا مغنية بتلمسان ثم مسؤول المنظمة الخاصة، ألقى عليه القبض في العاصمة سنة 1950، وهرب من السجن سنة 1952، ليلتحق في القاهرة بأيت أحمد ومحمد خيضر ليكونوا فيما بعد الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، أعتقل في سنة 1956 خلال عملية قرصنة الطائرة، أطلق سراحه سنة 1962 ليصبح رئيسا للجمهورية الجزائرية إلى غاية جوان 1965 حيث تم الانقلاب عليه، توفي بالجزائر في 11 أبريل 2012م، أنظر: خلوفي بغداد: نشاط الحركة الطلابية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية 1954 - 1962، دار المجاهد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 198.

<sup>2</sup> - محمد خيضر: ولد في 13 مارس 1912 ببسكرة، انخرط في حزب نجم شمال إفريقيا ثم بحزب الشعب الجزائري، مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالقاهرة، وعضو بجهة تحرير المغرب العربي، سجن مع بن بلة ورفاقه في 22 أكتوبر 1956 (عملية اختطاف الطائرة)، أطلق سراحه في 19 مارس 1962، توفي سنة 1967 تم اغتياله. أنظر: محمد الشريف ولد الحسين، المرجع السابق، ص 58.

<sup>3</sup> - حسين أيت أحمد: ولد في 26 أوت 1926 بعين الحمام، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري، ترأس المنظمة الخاصة بعد وفاة محمد بلوزداد، التحق بمصر كممثل لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، سنة 1951، شارك في مؤتمر باندونغ 1955، عين وزير دولة في تشكيلات الحكومة المؤقتة الثلاث، اعتقل مع أحمد بن بلة في 22 أكتوبر 1956 (حادثة اختطاف الطائرة). أنظر: محمد الشريف ولد الحسين، المرجع السابق، ص 56.

<sup>4</sup> - أزغيد محمد لحسن، المرجع السابق، ص 69.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 62.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

في نفس الوقت منشور بيان أول نوفمبر باللغتين العربية والفرنسية إذانا ببدء الكفاح المسلح الذي طالما انتظرته الجماهير العمال والفلاحين للخلاص من أبشع استعمار عرفه العالم الحديث.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: المواقف الداخلية والخارجية لجمعية العلماء من الثورة التحريرية بعد اندلاعها سنة 1954

في الحقيقة لقد أثير الكثير من الجدل حول موقف الجمعية من الثورة فالأستاذ أحمد توفيق المدني،<sup>2</sup> مثلا أورد أنه قبل اندلاع الثورة بقليل تم عقد اجتماع للمجلس الإداري للجمعية في غياب نائب الرئيس الشيخ العربي التبسي و برئاسة محمد خير الدين تمت فيه مناقشة قضايا عادية تخص جمعية العلماء إضافة إلى موقفها من الثورة، ويضيف المدني أنه وبعد نقاش طويل تم الاتفاق على تأييد الثورة وضرورة الانضمام إليها بسرعة، وأنه سارع شخصيا إلى مراسلة الإبراهيمي في القاهرة ليعلمه بالثورة وأهدافها ويطلب منه أن يبارك الثورة وبمجدها وقد التزم بذلك فأصدر بيان 2 نوفمبر 1954 الذي سنتكلم عنه.

وقد ذكر الأستاذ عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون في مذكراته أن الانضمام الرسمي لجمعية العلماء إلى صف الثورة التحريرية كان لاشك في أواخر سنة 1955م وهذا كان كأفراد شأنها في ذلك شأن بقية الأحزاب الوطنية وهو الشرط الذي اشترطته جبهة التحرير الوطنية، ثم أضاف أن رئيس الجمعية الشيخ الإبراهيمي قد أيد في البداية مصالي الحاج فلما منه أنه هو من فجر الثورة حسب ما تطرق إلى ذهنه بسبب برقية وردت إليه منه لكنه أصلح من خطأه وأيد جبهة التحرير الوطني بإعلانه الانضمام إليها.<sup>3</sup>

ويرى الدكتور العربي الزبيري<sup>4</sup> أن الجمعية هي الأخرى على غرار بقية الأحزاب الوطنية وحتى المواطنين قد تفاجأت باندلاع الثورة بسبب السرية التامة التي حرص عليها القادة الذين أعدوا للثورة، حيث أصيب الجميع بالحيرة، وتمكن الشك من نفوس الكثيرين.

ثم يضيف الزبيري أن أول خطأ ارتكبه جمعية العلماء هو معارضتها لبيان أول نوفمبر 1954 بصفة عفوية ولا شعورية، ثم يضيف أن أعضاءها لم يتمثلوا للإنداز الذي وجهته لهم جبهة التحرير الوطني للانضمام الجماعي إلى الثورة، حيث قابلوه باللامبالاة رغم المفاوضات التي جرت بين الطرفين والتي لم تؤدي إلى نتائج إيجابية.

ولم يتراجع العلماء حسب الزبيري دائما عن معارضتهم للثورة أو من أعضاء حركة أحباب البيان والحريّة، وقد نفذت بعض الأحكام فعلا وتحت تأثير ذلك أصدر المجلس الإداري للجمعية بيان 7 جانفي 1956 الذي يعتبر بداية لانضمامها بصفة رسمية إلى الثورة، ويخلص الزبيري أن العلماء أيدوا الثورة إلى غاية نهاية سنة 1955م بصفة فردية وبعدد محدود على رأسهم الشيخ الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي الذي أعتيل لموقفه الايجابي من الثورة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - محمد الزبيري، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 89.

<sup>2</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج 3، ص 23.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن بن العقون، المصدر السابق، ج 3، ص 511.

<sup>4</sup> - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، قسنطينة، 1984، ط 1، ص 181.

<sup>5</sup> - أحمد حماني، المصدر السابق، ص 179.

### 1-ردود حول موقف الجمعية من الثورة وآراء الذين همشوا موقفها وقللوا من دورها

يتبين لنا من كلام ابن العقون والدكتور الزيري أنهما قللا من دور جمعية العلماء في الثورة التحريرية، سوى من جانب الموقف الأولي إثر اندلاع الثورة وحتى عامها الأول ولا نعرف هل غابت عنهم الوثائق التي تثبت بالحجة والبرهان والدليل الساطع مواقف الجمعية المشرفة إزاء الثورة أم أنهما تغافلا عمدا عن ذكر تلك المواقف والاسهامات، وهذا نظرا لأنهما لا ينتميان إلى تيار جمعية العلماء؟ وعليه نقول: أنه عندما اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954 لم تتبين الجمعية كتنظيم - شأنها شأن الأحزاب الأخرى - الجهة التي فجرت الثورة لذلك لم تسارع إلى الدعوة للانخراط في جبهة التحرير الوطني، ومن الإنصاف أن نقول أن هناك فرقا بين تبني الثورة والدعوة لها... وبين الانضمام لجبهة التحرير والالتزام بشرعيتها، والذي يدرس تطور الأحداث خلال خريف وشتاء 1954 يدرك أن اللجنة التي كونت جبهة التحرير وأعلنت الثورة لم تكن معروفة حتى عند زعماء الحزب الذي خرجت منه، فما بالك بقيادة التنظيمات الأخرى ولاسيما من كان منهم بالخارج مثل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.<sup>1</sup>

وقد اعترف الباحثون الفرنسيون بالدور الهام الذي لعبته الجمعية في عملية التحرر الوطني واستقلال الجزائر، حيث قال أحدهم عام 1962 "اننا نستطيع أن نكتب دون خطأ بأن الجزائر المستقلة بوصفها مجموعة وطنية عربية إسلامية تعتبر من بعض الوجوه من عمل هؤلاء العلماء الذين ما فتئوا منذ ثلاثين سنة وعبر عشرات المدارس المنبثة في كامل التراب الذي يشكل ثلاث محافظات فرنسية، يعملون ويؤكدون رغم المضايقات البوليسية والمصاعب الإدارية أن الجزائر أمة عربية وإسلامية".<sup>2</sup>

ويؤكد المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان أن حركة العلماء اتخذت مواقف سياسية تتعارض بصورة مطلقة مع النفوذ الفرنسي، فقد حاربت بصراحة التفرنس وخاصة بتطوير صحافة عربية وتعليم يلحق باللغة العربية ومن كل ذلك فان تأثيرها في ميلاد الوطنية الجزائرية وانتشارها كان حاسما.<sup>3</sup>

وعليه فموقف الجمعية إزاء الثورة كان موقفا مبررا وحكيما اذ انقسم إلى موقفين يتبين لنا أنهما لا يتعارضان وانما يتعاقدان ويكمل كل منهما الآخر، موقف خارجي مثلته قيادة جمعية العلماء بالقاهرة وعلى رأسها الشيخ الرئيس محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني، وموقف داخلي مثلته قيادة الجمعية في الداخل وعلى رأسها نائب الرئيس الشيخ العربي التبسي والشيخ المدني وأيضا الشيخ محمد خير الدين.

### 2- الموقف الداخلي للجمعية إزاء الثورة ومبرراته

يقول الأستاذ توفيق المدني أثناء اجتماع المجلس الإداري للجمعية برئاسة الشيخ محمد خير الدين حيث تم عرض منهج إصلاحي كامل يضمن للجمعية السير في الطريق المستقيم وينظم أموالها دخلا وصرفا ويضع طبقات المعلمين والمديرين وأيضا قضية مرتباتهم إلى غير ذلك.

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، 1997، ط1، ص6.

<sup>2</sup> - محمد الميلي: ذكريات زمن البراءة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2012، صص 405-406.

<sup>3</sup> - شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية، المصدر السابق، صص 135-139.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

يقول: "فوجئ الجماعة بما نقلته الأنباء عن اشتعال الثورة وكان لابد من تداول هذا الأمر بحكم أن أعضاء الجمعية هم طليعة الأمة المجاهدة في سبيل دينها ولغتها وفي سبيل المحافظة على التقاليد الإسلامية الصحيحة"<sup>1</sup>.... "ونجحت الجمعية بنجاح والحمد لله ملحوظا في معمماتها الإصلاحية وذلك بإحياء فريضة الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المساجد والنوادي والاجتماعات الخاصة والعامة وبث الوعي الاجتماعي في كل طبقات الشعب الجزائري ومحاربة التفرقة والعنصرية والطائفية باعتبار أن الإسلام الحنيف دين وحدة عامة أوجدت أخوة جديدة في الدنيا وهي أخوة الإسلام فالله عز وجل يقول إنما المؤمنون أخوة"<sup>2</sup>.

وهكذا كان سير الجمعية إلى ذلك اليوم، فكيف يكون موقف الجمعية من الثورة المعلنة والذين أعلنوها هم قسم من الحزب المذكور (حزب الشعب) نعم ان منشور الثورة يقول بنص صريح انها ثورة شعبية لا حزبية وأن قيادتها جماعية لا فردية وأنها تدعو الأمة الجزائرية قاطبة للمشاركة ببذل الدم والسخاء بالأرواح من أجل تحقيق الاستقلال الوطني الذي يعيد لكل ذي حق حقه<sup>3</sup>.

ويقول المدني "...وهناك قضية معهد عبد الحميد بن باديس ودار طلبته الفارغة التي أسستها الأمة بفيض مالها كي تكون اقامة للطلاب، وأيضا حالة أخرى وهي تلك المدارس الابتدائية التي أسستها الأمة رغم أنف الاستعمار والتي ناهز عددها 170 مدرسة يؤوي اليها من أبناء الأمة قرابة 50 ألف تلميذ يقف على تعليمهم ما يزيد عن 700 معلم، فهل تغتنم الحكومة الجائرة هذه الفرصة للقضاء نهائيا على الجمعية وتعطيل سيرها العلمي المنهجي بضربة قلم قاهر؟ وبعد مذاكرات طويلة ومفاهيم خاصة وعامة رأينا أننا مع الثورة ومن الثورة ولا يمكن اطلاقا أن لا نكون مع الثورة مع الحذر التام من أجل ذلك<sup>4</sup>، فنحن نهيئ بكل سرعة بكل رجالنا وطلبتنا ومنظمتنا أن يعملوا ما استطاعوا مع الثورة ويبدلوا في سبيل نصرتها كل نفس ونفيس مع وجوب المحافظة التامة على مكتسبات الأمة الجزائرية التي هي المعهد والمدارس الابتدائية على أن تعلن الجمعية موقفها في اجتماع عام<sup>5</sup>.

وأقول للأمانة واعترافا بالحق أن الشيخ العربي التبسي رحمه الله قد سار سيرا موفقا وتدرج مع الثورة الى الذروة وكتب له الله الشهادة، ويقول المدني "... وبعد انتهاء اجتماع الجمعية راسلت البشير الإبراهيمي ومما قلت له... وهكذا أيها الشيخ الجليل استجابت الأمة لدعوة الجهاد التي نشرناها مدى عشرين عاما، وأعلنتها ثورة عامرة على الغاصبين وأسندت قيادتها لجبهة التحرير الوطني، لا لحزب ولا لفرد وانما هي قيادة جماعية على قاعدة سعد زغلول رحمه الله في ميدان التضحية متسع للجميع، أما اذا انضمنا نحن للثورة بقضنا وقضيضنا وسارت مواكب من شبابنا وشيوخنا تتصدر المعركة أو تتوسطها فترجوك أستاذي الجليل أن تفجر من ينبوع فكرك الصافي موردا عذبا يشفي غلة الأمة الصادئة وأن

<sup>1</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص38.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص39.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص40.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص41.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص41.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

تنشر باسمك وبصفتك رئيسا للعلماء المسلمين الجزائريين منشورا يبارك الثورة ويمجدها ويدعو الأمة للمشاركة فيها روحا وبدنا ومالا فالساعة حاسمة والمسؤولية جسيمة ومن تأخر عن كفاح اليوم فلن يتقدم بعدها لكفاح اطلاقا".<sup>1</sup>

وهذا الموقف الداخلي لجمعية العلماء ازاء الثورة التحريرية ينم على بصيرة وحكمة، وهو موقف عملي أكثر منه موقف كلامي تصريحي نظرا لأنهم واقعون تحت قبضة ورحمة الاستعمار الفرنسي في الداخل وبالتالي فهو موقف حذر، ولكن في السر نلاحظ وسنتكلم عن مساندة الثورة التحريرية بشكل عملي وملموس من خلال مواقف ونشاط قادة الجمعية في الداخل أمثال الشيخ العربي التبسي والشيخ أحمد حماني والشيخ عبد اللطيف سلطاني، وأيضا نشاط والمساهمة الفعالة لطلبة وأساتذة معهد عبد الحميد بن باديس في الثورة، والنشاط الصحفي والدعائي لجريدة البصائر تحت اشراف الشيخ توفيق المدني وهذا ما سنتكلم عنه ونبينه بشكل مفصل لاحقا.

### 3-الموقف الخارجي لجمعية العلماء ازاء الثورة التحريرية

لقد كان الموقف الخارجي لجمعية العلماء في الخارج والمتمثل في قيادته الرسمية الشيخ الرئيس محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الفضيل الورتلاني موقفًا صريحًا وداعمًا وواضحًا لا لبس فيه ولا مراوغة أو إبهام حيث كان موقف الشيخ الإبراهيمي دقيقًا وذلك بحكم منصبه وتواجده بالقاهرة إلى جانب قادة الوفد الخارجي للثورة حيث جاء تأييده لاندلاع الثورة واضحًا وذلك من خلال بيان:

- 2 نوفمبر 1954 الذي صدر عن مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة ووزع على الصحافة المصرية ووكالات الأنباء العالمية ونشر في كتاب "الجزائر الثائرة" للفضيل الورتلاني<sup>2</sup> جاء فيه على الخصوص.... "أما نحن المغتربين عن الجزائر فو الله لكأنما حملت إلينا الرياح الغربية - حين سمعنا الخبر - روائح الدم الزكية، فشارك الشم الذي نشق السمع الذي سمع والبصر الذي قرأ فيتألق من ذلك احساس مشبوب يصبرنا - ونحن في القاهرة - وكأننا في مواقع النار من خنشلة وباتنة... وهذه عواقب السياسة البليدة التي تسوس بها فرنسا شمال افريقيا في هذا الزمن الذي تحرك فيه حتى الحجر وثار في كل الشعوب المظلومة تنتصر لنفسها من ظلم الطغاة..."<sup>3</sup>، ويطلب البيان صراحة من حكومات الشرق العربي أن تشجع حركات التحرر في المغرب العربي بالامداد والمساندة.<sup>4</sup>

- ثم تلاه بيان 3 نوفمبر 1954 والمعنون ب"الى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر والمغرب العربي، اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء"<sup>5</sup>، والذي جاء تأكيده على اتحاد الجميع ومشاركتهم في الثورة التحريرية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص42.

<sup>2</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص37.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص38.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص39.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص47، أنظر الملحق رقم 17.

<sup>6</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص39-40.



## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

- وتلاه بيان آخر يوم 11 نوفمبر 1954 حمل عنوان "أوسع المعلومات عن بداية الثورة في الجزائر"<sup>1</sup>، حاولوا من خلاله التعريف بالثورة وأهدافها والرد على دعاية المستعمر المناوئة<sup>2</sup>، وفي الوقت ذاته وجه الشيخ الإبراهيمي رسائل إلى الرأي العام وبعض الشخصيات ومنها شيخ الأزهر الذي دعاه إلى اعلان مشروعية الجهاد في الجزائر.<sup>3</sup>

- وفي 15 نوفمبر 1954 أصدر الشيخ الإبراهيمي بيان أذاعه من صوت العرب وحمل عنوان "نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد"، نعيذكم بالله أن تتراجعوا...<sup>4</sup>، دعا فيه الى الاستماتة في الجهاد وعدم التراجع عنه وأكد فيه حق الشعب الجزائري في نيل استقلاله<sup>5</sup>، وذكره بغدر فرنسا وأياديه البيضاء عليها ونكرانها الجميل، " فلم تبق لكم ديننا ولا دنيا" وحذر فيه الجزائريين من النكوص والتراجع وأكد لهم أن فرنسا "تنظر اليكم مسلمين أو تائرين نظرة واحدة، وهي العدائية عدو لكم، وأنكم عدو لها، ووالله لو سألتموها ألف سنة لما تغيرت نظريتها العدائية لكم وهي بذلك مصممة على محوكم ومحو دينكم وعروبتكم وجميع مقوماتكم" ثم يدعوهم جميعا "الى الكفاح المسلح.... فهو الذي يسقط علينا الواجب، ويدفع عنا وعن ديننا العار".<sup>6</sup>

لقد أزعجت هذه البيانات الذين في صدورهم مرض، وفي قلوبهم غل لجمعية العلماء ولرئيسها الإمام محمد البشير الإبراهيمي، لذلك فان بعض من كتبوا عن ثورة الشعب الجزائري أهملوا الاشارة إلى هذه البيانات وموقف الإمام الإبراهيمي من جهاد شعبه ومنهم من فرق بين موقف الإمام الإبراهيمي وبياناته وبين موقف الجمعية فقالوا إن هذه البيانات تعبير عن موقف شخصي للإمام الإبراهيمي الذي كان بالقاهرة وبالتالي فهي لا تعبر عن موقف الجمعية، ولنسأل هؤلاء الجناة على الحقيقة التاريخية: إذا كان الإمام يتكلم باسمه الشخصي وليس باسم جمعية العلماء، فلماذا يوقع تلك البيانات بصفته رئيس جمعية العلماء؟ ولماذا يصر على ذكر مصدر تلك البيانات وهو مكتب جمعية العلماء بالقاهرة؟ ولنسألهم مرة أخرى لو لم تكن تلك البيانات باسم جمعية العلماء، فلماذا سكنت عنها هؤلاء العلماء؟ ولماذا لم يستنكروها؟ أو يتبرأوا منها؟ أو يشجبوا موقف الامام؟<sup>7</sup>

ان الحقيقة التي يؤمن بها هؤلاء المزورون للتاريخ وتصديقها أنفسهم ولا تنطق بها ألسنتهم ولا تسطرها أقلامهم هي أنه كبر عليهم أن تعبر الجمعية ورئيسها في وجوههم وتحوز الجمعية ورئيسها بالسبق تفضيلا فتحضن جهاد الشعب الجزائري وتتركهم في ضلال مبين، رغم ادعائهم التحليل العميق والتنبؤ الدقيق.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، صص 40-44. أنظر الملحق رقم 18.

<sup>2</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، صص 29-35.

<sup>3</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص 21.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 33، أنظر الملحق رقم 19.

<sup>5</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، المصدر السابق، ص 22.

<sup>6</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص 21.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 22.

<sup>8</sup> - المصدر نفسه، ص 22.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ويقول الميللي في هذا الصدد "ان توجه جمعية العلماء كما يروج له لم يكن إصلاحيا بالمعنى السياسي للكلمة كما شاع استعماله في الغرب حيث مصطلح الإصلاح (Reforme) يصنف في مقابل كلمة الثورة ولكن الإصلاح لدى جمعية العلماء بالمفهوم الإسلامي للكلمة ينطبق على مصطلح الثورة بكل ما يحمله من تجديد ونهضة ونضال وجهاد".<sup>1</sup> اذن بعد كل هذه الأدلة على الموقف الايجابي لرئيس الجمعية من العمل المسلح والذي غرسه في تلامذته الذين كانوا وقود الثورة التحريرية، "فهل يعقل أن يقعد رجالنا عن الثورة وخوض غمارها عندما يشعل فتيلها، وكان فيمن أشعلها من هم من صميم أبناءها أمثال مصطفى بن بولعيد رئيس من رؤساء مدارسها والعربي بن مهيدي أحد تلاميذ هؤلاء الرجال وزعيم الكشافة، التي هي من ثمارها ومن فرقها الرجاء والصباح الموجه إليهما الخطاب الذي يوصي شرا بالظالمين والخائنين وعميروش<sup>2</sup> رئيس شعبتها بفرنسا"<sup>3</sup>، إذن السجون، والمعتقلات ساحات الفداء والشرف وميادين الجهاد شاهدة بالمشاركة والتضحية التي قدمتها جمعية العلماء، فكل من حزب الشعب والجمعية لهما امتدادات في الأوساط الشعبية الجزائرية وكل طرف يكمل الآخر.<sup>4</sup>

### المبحث الرابع: نشاط وأهم إسهامات جمعية العلماء في الثورة التحريرية 1954 - 1956

لقد كان نشاط طلبة وعلماء الجمعية وقادتها خلال هاته الفترة من تاريخ الثورة التحريرية وقبل الالتحاق الرسمي بالثورة في مارس 1956 نشاطا مجيدا وقد بذل رجال الإصلاح جهدهم ووسعهم في نصرة الثورة ودعمها وتأييدها والمشاركة فيها وأيضا فهذا النشاط انقسم إلى قسمين نشاط خارجي لنصرة الثورة وحشد التأييد العربي والإسلامي والعالمي لصالح الثورة ونصرتها والتعريف بالقضية الجزائرية وجلب الدعم المالي والعسكري لقادة الثورة هذا النشاط الخارجي قاده بصفة خاصة كل من أعضاء وقادة جمعية العلماء بقيادة الشيخ الإبراهيمي والفضيل الورتلاني على مستوى مكتب القاهرة، ونشاط داخلي قاده طلبة وعلماء الجمعية تمثل في عدة جوانب من الدعم اللوجستيكي وتسهيل مهمة الاتصال وحث الشعب على نصرة الثورة واحتضان الثوار إلى المساهمة الفعلية بالالتحاق بالثورة لدعم صفوف المجاهدين والقتال أيضا بالسلاح الذي كان قبله الجهاد بالقلم من خلال صفحات جريدة البصائر الغراء.

### المطلب الأول: النشاط الخارجي لجمعية العلماء لصالح الثورة التحريرية 1954 - 1956

لقد كان بإمكان الامام الشيخ الإبراهيمي أن يلتزم الصمت وينتظر تطور الأوضاع كما فعل بعض السياسيين المحترفين، أو أنه يندد "بالإرهاب" ويستنكر "العنف" كما فعل الشيوعيون أدعياء الثورة، أو أن يصدر البيانات باسمه الشخصي ليجنب الجمعية التي يرأسها ويقودها السوء ولكنه أدرك بحسه العميق وتحليله الدقيق أن هذا الذي وقع في أول

<sup>1</sup> - محمد الميللي، ذكريات من زمن البراءة، المصدر السابق، ص407.

<sup>2</sup> - عميروش آيت حمودة: قائد الولاية الثالثة أثناء الثورة، ولد في 31 أكتوبر 1927 بقرية تاسفت بلدة اقمون بضواحي تيزي وزو، انخرط في حزب الشعب، ثم في المنظمة الخاصة، أُلقي عليه القبض سنة 1950، ومنع من الإقامة بالعاصمة، سافر إلى فرنسا سنة 1954 حيث واصل نضاله هناك في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التحق بالثورة وفي سنة 1957 تولى قيادة الولاية الثالثة، استشهد يوم 29 مارس 1959 قرب بوسعادة. أنظر: مقلاتي عبد الله، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، د.ن، الجزائر، 2009، ط1، صص391-392.

<sup>3</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، صص18-19.

<sup>4</sup> - أحمد حداد، المرجع السابق، ص132.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

نوفمبر 1954 بالجزائر هو: "ثورة" وليست "فورة" وأن هذه الثورة تتميز "بجسنة التدبير والنظام والاحكام وأن الثورة شعبية غير متأثرة بالتأثيرات الحزبية، وأن طابعها عسكري،. حازم عارف بمواقع التأثير".<sup>1</sup>

من أجل ذلك فهذه الثورة في أمس الحاجة إلى مساندة هيئة ذات مصداقية لدى الشعب الجزائري وتزكية شخصية موثوق بها لديه، ليحتضن الثورة ويمدها بأمواله وبنيه.<sup>2</sup>

وتشكل الثورة التحريرية في فكر الشيخ الإبراهيمي محور متميز، فلا تكاد تكون له كتابات في هذه الفترة (1954-1956)، الا عن الثورة وفلسفتها والدعوة اليها وسبل انجاحها، ولكن من سلبيات الكتابة عن الثورة وفلسفتها اعتبار الثوريين هم الذين حملوا السلاح فقط كما يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله، لأنه هناك من كان ثوريا ولم يحمل السلاح ولكنه كان اللسان الناطق لمن حملوه ولولاهم ل بقي الثوار في حصار مادي ومعنوي قاتل.<sup>3</sup>

لقد كان الشيخ بعيدا عن معركة السلاح لكنه كان في معامع المعركة بفكره وقلمه فكان أحد الذين تحدثوا باسم الثورة وأيدوها ودافعوا عنها ونادوا إلى نصرتها في الداخل والخارج وحثوا على الحفاظ على منجزاتها إيمانا منه أن الوسيلة التي يفهمها الاستعمار، وقد عمل جاهدا قبل الثورة على أن يعي الجزائريون هذه الحقيقة.<sup>4</sup>

وهذا مما يدل على إيمانه وإيمان الجمعية العلماء بضرورة الثورة منذ الأيام والسنوات الأولى من تأسيسها، لكن الشيخ الإبراهيمي كان يرى ضرورة توعية الجزائريين بضرورة الثورة قبل الشروع فيها وأن تحرير الأرواح والعقول هو أساس تحرير الأبدان والأوطان، فكان قلما ثوريا لامعا إلى أن أعتبر من أوائل الزعماء الذين احتضنوا الثورة حينما اندلعت وحثوا الشعب على الالتفاف حولها وهو لم يعرف بعد الهيئة المشرفة على الثورة "جبهة التحرير الوطني".<sup>5</sup>

لقد تحرك الوفد الخارجي لجمعية العلماء بالقاهرة في دعم الثورة والبحث عن مواطن السند والنصرة حتى قبل اندلاعها، حيث نشرت البصائر في العدد 290 الصادر يوم 20 أكتوبر 1954م، حيث استقبل الزعيم جمال عبد الناصر<sup>6</sup> وفد العلماء المتكون من البشير الإبراهيمي الرئيس الأول والشيخ العربي التبسي الرئيس الثاني والفضيل الورتلاني المعتمد وأحمد بوشمال<sup>7</sup> العضو الإداري، ورغم انشغالات الرئيس المصري الداخلية والخارجية الا أنه استقبل وفد العلماء مدة ساعة ونصف وتمحور اللقاء حول قضايا تمم العالم الاسلامي والمغرب العربي والجزائر خاصة وأكد الرئيس أن مصر

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، صص 22-23.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص23.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص06.

<sup>4</sup> - مرزوق العمري: الوطنية في فكر الشيخ الإبراهيمي، مجلة المعيار، كلية علوم أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 06، قسنطينة، الجزائر، جوان 2003، ص183.

<sup>5</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص17.

<sup>6</sup> - جمال عبد الناصر: 1918-1970م هو ثاني رؤساء مصر، تولى السلطة من سنة 1956 إلى غاية وفاته، وهو أحد قادة ثورة 23 يوليو 1952، التي أطاحت بالملك فاروق. أنظر: عبد الفتاح عصام: الزعيم من أيام الانتصار إلى سنوات الانكسار، كنوز للنشر والتوزيع، مصر، 2012، صص 40-46.

<sup>7</sup> - أحمد بوشمال: 1899-1958م عالم ومصلح ومقاوم جزائري. أنظر: محمد حسين فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2000، ص71.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

مستعدة لبذل العون وأن حكومة مصر بالاشتراك مع الحكومات العربية الأخرى ستعمل للمحافظة على عروبة الأوطان ونشر الثقافة العربية وتوسيع للوحدة العربية.<sup>1</sup>

وفي شهر نوفمبر 1954 أرسل الشيخ الإبراهيمي والورتلاني رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر والوزير محمد أنور السادات<sup>2</sup>، حيث تقدموا باسم الجمعية لشكر الرئيس جمال عبد الناصر عن تصريحاته في جريدة "كارفور" الاستعمارية - المساندة للثورة الجزائرية ونضال المغاربة وفي تهجم فرنسا على شخص الرئيس المصري، وشكر القائم قام محمد أنور السادات سكرتير المؤتمر الاسلامي العام بالقاهرة عن تصريحه في جريدة الجمهورية حول كفاح الجزائر وفرنسا المستعمرة.<sup>3</sup>

### 1- نشاط ودور الإبراهيمي ضمن جبهة تحرير الجزائر 1955

وقد بذل الإبراهيمي جهودا معتبرة لتوحيد الأحزاب الوطنية إلى أن تمت المصادقة على ميثاق "جبهة تحرير الجزائر" يوم 17 فيفري 1955 وقد وقع على الميثاق ممثلون عن جمعية العلماء ومصالي الحاج واللجنة المركزية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وجبهة التحرير الوطني، ونص على انطواء جميع الهيئات السياسية تحت لواء جبهة التحرير الوطني والعمل بكل الوسائل لتحقيق أهدافها.<sup>4</sup>

ان أثر الامام الإبراهيمي في ذلك الميثاق ليظهر جليا وان حقيقة الجزائر لتبرز فيه بروزا قويا حيث وصفت "بالعربية المسلمة" ونص البند الرابع على أن "الجزائر عربية الجنس، مسلمة العقيدة، فهي بالإسلام والعروبة كانت وهي للإسلام والعروبة تعيش" وان المرء ليتساءل عن تغييب هذا الميثاق من أدبيات الثورة الجزائرية ووثائقها ونصوصها.<sup>5</sup>

وبعد الاتفاق على ميثاق "جبهة تحرير الجزائر" طلب منه المساهمة في نشاط جبهة التحرير الوطني وخاصة في الجانب الاعلامي والتعبوي حيث خصص جهدا لتقديم كلمة عبر صوت العرب ومنها كلمته بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ في ماي 1955 والتي دعا فيها الدول الاسلامية للمشاركة في المؤتمر دعم القضايا الاسلامية ومنها تحرير المغرب العربي وحثها على "العمل على قتل الاستعمار الغربي ومحوه من افريقيا وأسيا حتى لا يبقى له فيها أصل ولا فرع..."<sup>6</sup>، ولكن مناسبة مؤتمر باندونغ وضعت حدا لتحالف هيئة تحرير الجزائر فان كان الإبراهيمي ظل ملتزما بمبادئها فان جماعة مصالي خالفتها من خلال سفر الشاذلي المكّي بصفة فردية لتمثيل مصالي في المؤتمر كما أن الفضيل الورتلاني المحسوب على جماعة الاخوان المسلمين المصريين ظل يتسبب في مشاكل للإبراهيمي بسبب حساسية موقف السلطات المصرية منه وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى التحفظ على شخص الإبراهيمي.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص 50-51.

<sup>2</sup> - محمد أنور السادات: 1918-1981م ثالث رئيس لجمهورية مصر العربية، حكم مصر في الفترة الممتدة من 28 سبتمبر 1970 إلى غاية 6 أكتوبر 1981. أنظر: [www.boe.es/boe/dias/1977/04/07/pdfs/0775.pdf](http://www.boe.es/boe/dias/1977/04/07/pdfs/0775.pdf) تاريخ الزيارة 15.15 2021/05/22.

<sup>3</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص44.

<sup>4</sup> - مقالاتي عبد الله وأكرم بوجمعة: دور الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في دعم الثورة الجزائرية (1954-1962م)، مجلة قضايا تاريخية، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، العدد 02، السنة 2016، ص 168-169.

<sup>5</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص24. أنظر الملحق 20.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 80-85.

<sup>7</sup> - مقالاتي عبد الله وأخرون، دور الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ص169.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

### 2- نشاطات وتحركات وفد جمعية العلماء في الوطن العربي والإسلامي لحشد الدعم والتأييد للثورة التحريرية

لقد استمر الشيخ الإبراهيمي في خدمة الثورة التحريرية ودعمها على الرغم مما كان يكدر علاقته بقيادة الجبهة في القاهرة وان كانت بعض الأطراف في جبهة التحرير وعلى رأسهم أحمد بن بلة ذكر في مناسبات مختلفة أن مواقف الإبراهيمي هذه تحسب له.<sup>1</sup>

ومن بين المهام الأساسية التي أداها الإبراهيمي بعد فترة تعكر العلاقات المشار إليها ربط الاتصالات مع معارفه من ملوك ورؤساء ووزراء وطلب دعم الجزائر ماديا ومعنويا والتعريف بالقضية الجزائرية والتنديد بسياسة فرنسا في القاهرة استمرت علاقته مع عدة أطراف ومنها الجامعة العربية ومصر والسعودية والكويت وسوريا والعراق.<sup>2</sup>

لقد شرع الإبراهيمي في توفير السند للثورة انطلاقا من القاهرة التي كانت مقرا للجامعة العربية ومركز لنشاط الزعماء العرب، فاتصل بأمين عام الجامعة العربية ومساعدوه وبمحمد بن عبد الكريم الخطابي<sup>3</sup> وجماعة الإخوان المسلمين وبالرئيس المصري جمال عبد الناصر حيث زاره الإبراهيمي على رأس وفد للجمعية ضم الورتلاني وأحمد بوشمال، وطلب منه دعم الثورة الجزائرية بالمال والسلاح وتلقى منه إجابة صريحة بأن مصر على استعداد تام لذلك وهو ما جعل الإبراهيمي يرسل برقية شكر وامتنان على هذا الموقف خلال نوفمبر 1954.<sup>4</sup>

وفي أواخر عام 1954 حل الإبراهيمي بالسعودية لمقابلة ملكها سعود بن عبد العزيز وحادثه بخصوص القضية الجزائرية عارضا عليه تقديم مساعدة عسكرية طلبتها جبهة التحرير الوطني، وطرح القضية الجزائرية في الأمم المتحدة وكان رده ايجابيا حيث قدم شحنة من السلاح وقبل تموين شراء صفقة سلاح من الخارج.<sup>5</sup>

وقد بلغ اندفاع الإبراهيمي في الدعوة إلى مساندة وطنه والعمل على دعم جهاده إلى درجة قد يعتبرها بعض الناس تجاوزا للحدود، وعدم مراعاة اللياقات، حيث بعث برقية إلى الملك سعود يقترح عليه تكليف الأستاذين أحمد الشقيري وعبد الرحمان عزام أو أحدهما "بالاستعداد لمتابعة قضايا الجزائر والدفاع عنها".<sup>6</sup> وكان الإمام عندما لا تسمح له ظروفه الصحية أو التزاماته بالتنقل - يزود مبعوثي الثورة إلى بعض البلدان العربية برسائل إلى علمائها من ذوي التأثير المعنوي والكلمة المسموعة، ليسهلوا لدى سلطات بلدانهم مهمة أولئك المبعوثين.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - مقالاتي عبد الله وأخرون، دور الشيخ، المرجع السابق، ص 170.

<sup>2</sup> - نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 129.

<sup>3</sup> - محمد بن عبد الكريم الخطابي: الذي يلقب بأسد الريف، ولد في أغادير المغربية سنة 1882، وتوفي في القاهرة سنة 1963، رجل سياسي وقائد عسكري مغربي من منطقة الريف، قاد المقاومة الريفية ضد الاستعمارين الفرنسي والاسباني للمغرب، أسس لجنة تحرير المغرب العربي في سنة 1947. محمد علي داهش: صفحات من الجهاد المغربي ضد الاستعمار، الدار العربية للموسوعات، 2013، ص 98.

<sup>4</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج 3، ص 31.

<sup>5</sup> - نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 135-136.

<sup>6</sup> - وقد عين الملك سعود الأستاذ أحمد الشقيري مندوبا للسعودية في الأمم المتحدة، وألقى خطابا رائعا في الدفاع عن القضية الجزائرية، وقد جمعت تلك الخطب ونشرتها دار العودة ببيروت تحت عنوان "قصة الثورة الجزائرية". أنظر: محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج 5، ص 51.

<sup>7</sup> - أنظر رسالته إلى الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ وإلى الشيخ عمر بن حسن، أنظر: محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج 5، ص 221-224.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

أما في العراق فقد طلب الشيخ الإبراهيمي مساعدة محمد فاضل الجمالي وزير الخارجية العراقي واستجاب لذلك حيث ساهمت الحكومة العراقية في توفير الدعم السياسي والعسكري للثورة منذ عام 1955، وتعددت زيارات وفود جبهة التحرير الوطني إلى العراق كان أهمها زيارة الشيخ الإبراهيمي والمدني عام 1956.<sup>1</sup>

وفي سوريا أرسل وفد هام في أوت 1956 لحضور أسبوع التضامن مع الجزائر ولقاء السلطات السورية.<sup>2</sup>

أما في مصر أيضا فقد كانت أحاديث الإبراهيمي عبر أمواج إذاعة صوت العرب تصل إلى المسامع بلهجة مؤثرة وبصورة منتظمة، أما مقالاته فكانت تتوارد على كبريات المجلات الفكرية آنذاك كمجلة "الرسالة" للأستاذ الزيات ومجلة "المسلمون" التي كان الكاتب الإسلامي سعيد رمضان رئيس تحريرها وغيرها، وقد أحرزت تلك الأحاديث والمقالات نجاحا كبيرا تمثل في كون القضية الجزائرية قد أصبحت من اهتمامات وسائل الإعلام العربية والإسلامية المختلفة، وقد ساعده على هذا النجاح علمه الواسع وقلمه البليغ وحجته القوية ولسانه الفصيح وحديثه اللبق مع مستمعيه مهما كانت مستوياتهم الثقافية والاجتماعية فأصبح يلقب بإمام المغرب العربي تارة وبعلامة المغرب العربي تارة أخرى.<sup>3</sup>

كما كان الشيخ الإبراهيمي ووفد العلماء المرافق له بالقاهرة يحرصون على احياء ذكرى اندلاع الثورة التحريرية كل عام فيحضرون التجمعات ويلقون الخطب ويحثون على دعم الثورة والتضامن معها، واستمر الشيخ الإبراهيمي في مكاتبة الملوك والرؤساء والشخصيات البارزة بقصد تذكيرها بواجب مساعدة الجزائر وتأييد الثورة الجزائرية.<sup>4</sup>

وهكذا يتضح لنا أن الشيخ الإبراهيمي ومن معه من العلماء في الخارج وقفوا موقفا مشرفا من دعم الثورة التحريرية وذلك رغم بعض الخلافات مع مسؤولي جبهة التحرير الوطني وكانت مساهمتهم فيها ثرية ومفيدة شملت العمل الدبلوماسي والتعبوي والإعلامي.

### المطلب الثاني: النشاط الداخلي لجمعية العلماء أثناء الثورة التحريرية 1954 - 1956

لقد ساهم طلبة وعلماء الإصلاح الجزائريين في الثورة التحريرية داخليا منذ الوهلة الأولى لانطلاقتها وتمثل هذا النشاط في عدة جوانب لعل أبرزها هو تفاعل أعضاء وقادة جمعية العلماء مع الثورة تفاعلا كاملا ثم مساهمة ودور طلبة وعلماء معهد ابن باديس في الثورة ولا ننسى دور جريدة البصائر التي كانت اللسان الشبه الرسمي للثورة خاصة في الفترة من 1954 إلى غاية حلها من طرف المستعمر الفرنسي سنة 1956.

لقد كان النشاط الرسمي الداخلي للعلماء من خلال بريقيات وبيانات تساند الثورة وتدعو إلى التماسك والوحدة وهي بيانات دعمت الثوار وجبهة التحرير الوطني.

#### 1- بيانات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بخصوص الثورة

برقية الجمعية لمسؤولي فرنسا خلال شهر أكتوبر سنة 1955 دارت في مجلس الأمة الفرنسي مناقشات حول المشكل الجزائري وأدلت كل الأحزاب بدلوها وكان رأي جمعية العلماء ما يلي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ترى من

<sup>1</sup> - مقالاتي عبد الله وأخرون، دور الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص 170.

<sup>2</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج 3، ص 299-301.

<sup>3</sup> - رابع تركي: الشيخ البشير الإبراهيمي في المشرق العربي، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 87، ص 228.

<sup>4</sup> - مقالاتي عبد الله وأخرون، دور الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ص 171-172.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

واجبها إعلامكم قبل تصويت المجلس الوطني على القضية الجزائرية أن سياسة الإصلاحات غير مجدية وقد تعدتها الحوادث بصفة واضحة وأيضا رفضت سياسة الامتزاج (الإدماج) وأن المفاهمة مع ممثلي الشعب الجزائري الحقيقيين (جبهة التحرير الوطني)، عن الجمعية نائب الرئيس العربي التبسي الأمين العام أحمد توفيق المدني، نائب الرئيس محمد خير الدين.<sup>1</sup>

**بيان الجمعية الأول** خلال شهر جانفي من سنة 1955 نشرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بيانا للشعب الجزائري حررته وقدمته للمجلس فصادق عليه ونشر في جريدة البصائر عدد 304، فحواه "أن الجمعية لا تقبل أي إصلاحات صورية وإنما تطالب بتغييرات أصولية أساسية مع ممثلي الشعب الحقيقيين بمفاوضات حقيقية وإطلاق السجناء والتوقف عن سياسة العنف والقمع وتوجه كلمة إلى غلاة الاستعمار أن يكفوا عن أعمالهم الشنيعة التي لا تغتفر والى الشعب الجزائري بالوحدة والتماسك حتى تحقيق أهدافه ومطالبه وبلوغ الغاية الكبرى".<sup>2</sup>

**بيان الجمعية الحاسم** وفي شهر جانفي 1956م اشتدت المعركة وحمى الوطيس ودخل الشعب الجزائري في معركة التحرير، اتفق الشيخ توفيق المدني مع كل من الشيوخ محمد خير الدين والعباس بن الشيخ الحسين<sup>3</sup> وعبد اللطيف سلطاني<sup>4</sup> ونعيم النعيمي<sup>5</sup>، على وجوب عقد اجتماع للجمعية بأسرع ما يمكن لتقول الجمعية كلمتها الحاسمة وليعلم الخاص والعام موقفها من الثورة، وقد صادق الشيخ العربي التبسي على البيان وقال بداهة من لم يوافق عليه فليس بمسلم، وانعقد الاجتماع العام بمركز الجمعية وكان يشمل 230 من الأعضاء والعاملين الصادقين ونشر البيان في العدد 350 من البصائر وتم طبع 35000 (خمسة وثلاثون ألف) نسخة خطف الناس جلها وصادرت فرنسا 3000 نسخة، وكان البيان كما يلي "بمناسبة الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد يوم السبت 7 يناير 1956 بعاصمة الجزائر قرر المجتمعون بالإجماع البيان التالي حيث حمل البيان الاستعمار مسؤولية كل المآسي والمصائب وذلك بما أحدثته سياسته الجائرة في جميع المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وندد ونحتج على أعمال العنف والبطش في جميع جهات البلاد بحجة اتحاد الثورة، وأيضا ما وقع لمدارس الجمعية من غلق وإبعاد المعلمين وسجنهم وتغريمهم، والترحم على

<sup>1</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص ص51-52.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص ص53-54.

<sup>3</sup> - الشيخ العباس بن الشيخ الحسين: ولد سنة 1913 بسيدي خليفة بالقرب من مدينة ميله، من أسرة متدينة، تعلم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى جامع القرويين بالمغرب تحصل منه على العالمية، عاد إلى الجزائر واتصل بالشيخ ابن باديس الذي أرسله إلى عنابة ليقود حركة الإصلاح هناك، أصبح عضو في المجلس الإداري لجمعية العلماء سنة 1940، وأستاذا في معهد ابن باديس، بعد اندلاع الثورة عين ممثلا لجبهة التحرير الوطني في المملكة العربية السعودية، بعد الاستقلال عين سفيراً للجزائر في السعودية، ثم أصبح عميد مسجد باريس، توفي سنة 1989. أنظر: اسعد الهاللي، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص ص133-134.

<sup>4</sup> - عبد اللطيف سلطاني: بن علي بن احمد القنطري الجزائري 1902-1984م، حفظ القرآن الكريم في طولقة بسكرة، التحق بجامعة الزيتونة سنة 1922، تحصل على شهادة التطويع سنة 1929، أصبح عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء سنة 1936، ومدرسا في معهد ابن باديس إلى غاية 1956، وأصبح امين المال في جمعية العلماء، تولى جمع الأموال للثورة، وقد حرر مقرر مؤتمر الصومام المشهور بمنزله، بعد الاستقلال أصبح امام مسجد كتشاوة. أنظر: عبد اللطيف سلطاني: سهام الإسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص144.

<sup>5</sup> - نعيم النعيمي: ولد سنة 1909 بسيدي خالد بسكرة تعلم في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى تونس سنة 1924، ثم أستاذ بمعهد ابن باديس وعضو اداري بجمعية العلماء منذ سنة 1951 وبعد اندلاع الثورة التحق بجيش التحرير الوطني وقد كلف بمهمة القضاء وفي سنة 1957 أصيب في إحدى المعارك فبعثته جبهة التحرير للعلاج في تونس لتوكل اليه القيام بمهمة التوجيه والإرشاد على الحدود التونسية الجزائرية، بعد الاستقلال شغل منصب التفيتش العام بوزارة الشؤون الدينية، توفي في 18 جوان 1973، أنظر: محمد حسن فضلاء: من أعلام الإصلاح، المرجع السابق، ص158 وما بعدها.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

الشهداء ودعوة الأمة للتكفل بعائلاتهم، وحمل مؤازرة للرجال المسجونين وأهم طليعة الأمة وأيضا للصحف والحكومات العالمية التي أيدت الجزائر في نضالها، وأن الإصلاحات الفرنسية الآن هي عبث وغير مقبولة وأنه لا يمكن حل القضية الجزائرية الا بالاعتراف العلي الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحرة ولا يمكن وضع حد لحالة الحرب القائمة الا بالتفاهم مع ممثلي الشعب الحقيقيين الذين أظهرهم الكفاح الجزائري وأخيرا نوصي الأمة بالتكاتف والاتحاد لتحقيق الغاية".<sup>1</sup>

**ردود الفعل حول البيان** أحدث هذا البيان دويا وصراخا واشتغل الناس كافة بدراسته وتحليله داخل الجزائر وخارجها علما أن توفيق المدني عرض هذا البيان سرا على قيادة الثورة العاملة بمدينة الجزائر فابتهجت به وأقرته،<sup>2</sup> وقامت قيادة الحكومة الفرنسية وفرضت رقابة صارمة على جريدة البصائر وحجزت ما تبقى من أعدادها التي ورد فيها البيان.<sup>3</sup> ونشر أحمد توفيق المدني في البصائر في عددها 351 ما يلي: مقال رد فيه على كذب وتدليس ومغالطة الحكومة الفرنسية في مذياعها حيث أولت بيان الجمعية وأحدثت بلبله خاصة في أفكار الذين لا يقرؤون النصوص من جمهرة الأميين الذين يبلغون 90% من القطر الجزائري ودعا القراء إلى نشر فحوى البيان الصحيح فيما حوالهم، حيث كذب المستعمر في نشر فحوى البيان بأن العلماء يوصون الأمة بالخضوع للقانون العام والنظام الحاضر.<sup>4</sup>

وقد خصت الصحف الكبرى البيان بعناية بالغة فجريدة "لوموند الفرنسية" أفسحت عمودين لنشر أهم فقرات البلاغ ولكن أحد محرريها ذيل العمودين بأن جمعية العلماء الإصلاحيين كانت قبل اليوم تتجنب خوض المعامع السياسية وكانت حذرة ولكنها اليوم استعملت حجج شديدة وقاسية بجهلها للتاريخ بأن فرنسا منذ سنة 1830م رأس البلاء، ولا ينكر عاقل الأعمال الصالحة التي أقامتها فرنسا<sup>5</sup>، وعلقت جريدة "الاكسبريس الباريسية" بأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين النقية الورعة التي تتحاشى السياسة وتهم بالدين لا نستطيع أن نفهم بلاغها بما فيه من شدة وعنف.<sup>6</sup> لقد أعطى انضمام جمعية العلماء للثورة دفع للقضية الجزائرية بالنظر إلى مكانتها الدينية في أوساط الجزائريين وبالتالي قوت نفوذ جبهة التحرير، كما أن نظرة الحكومة الفرنسية إليها تغيرت جذريا لأنها فقدت هدفها الذي كان يرتكز على خلق قوة ثالثة في مفاوضاتها ومن ثمة اضعاف جبهة التحرير الوطني ونهاية الاتصالات والمفاوضات السياسية مع "سوستيل" وفقدت بذلك فرنسا ورقة التفاوض مع غير قيادة الثورة وأصبحت لا تجد من يقبل المفاوضات معها.<sup>7</sup>

### 2-تفاعل أعضاء وقادة جمعية العلماء مع الثورة 1954 – 1956

لقد ساهم قادة وأعضاء جمعية العلماء في الداخل بقسط وافر ونشاط ملموس في دعم الثورة وخاصة مسألة الاتصالات التي كانت تشكل هاجسا لقادة الثورة آنذاك.

<sup>1</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص 56-58. أنظر الملحق رقم 21.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 59.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 59.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 60-61.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 62-63.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ص 63.

<sup>7</sup> - أسعد الهالالي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية، 1954 - 1962، بيت الحكمة، الجزائر، 2015، ط1، ص 177.



### أ- بخصوص الاتصالات التي تقوم بها الثورة بين الولايات

أجرى أعضاء جمعية العلماء العديد من الاتصالات السياسية مع جبهة وجيش التحرير الوطني للعمل المشترك سواء بمبادرة أعضاء الجمعية أو من الجبهة أو الجيش وقد أسفرت تلك الاتصالات على تنسيق وتعاون لخدمة القضية الجزائرية ومساهمة أعضاء الجمعية في العمل الثوري بجانبه السياسي والعسكري من ذلك مثلا قيام شيحاني بشير،<sup>1</sup> بالاتصال بحامد رواجية بعد معركة الجرف سنة 1955م وتكليفه بمهمة قادته إلى العاصمة وفي سنة 1956 كلفه عبان رمضان<sup>2</sup> بمهمة بتونس رفقة المناضل أيت أحمد الحسين.<sup>3</sup>

ويقول المدني "أصبحنا منذ إعلان الثورة إلى مغادرتي الجزائر بأمر جبهة التحرير الوطني (مارس 1956) مركز بريد الجبهة الداخلي ووسيلة الاتصال بين مركز القيادة بالعاصمة وبقية جهات المعركة والقيادات الفرعية، فالسيد ساطور الخياط بناحية بلكور كان يفد إلى مركز الجمعية يأتي لي برسائل الجبهة وأنا أوزعها عبر الأخوة الشيخ حمزة بوكوشة والشيخ أحمد سحنون والشيخ الجليلي الفارسي والشيخ مصباح الحويذيق وهم رجال الجمعية الأمناء يبلغون الرسائل ويعودون بالردود عبر كافة أرجاء القطر"<sup>4</sup>.

وستكلم عن مسألة الاتصالات بين الثورة وجهات المعركة بمزيد من التفصيل في دور طلبة وعلماء معهد ابن باديس في الثورة.

### ب- الجانب التعليمي والثقافي للعلماء أثناء الثورة

والحق أن نشاط جمعية العلماء التعليمي والثقافي لم يتوقف أثناء فترة الثورة التحريرية فقد تحول نشاطها التعليمي والديني إلى مهاجمة الاستعمار مباشرة والدعوة إلى الكفاح وتأييد الثورة سواء في الداخل أو الخارج، فقد تحرك مجموعة من معلمي التعليم العربي الحر التابعة لجمعية العلماء وذلك بتوجيه نداءين الأول إلى الضمير الفرنسي يوم 16 فيفري 1955م والثاني إلى الشعب الجزائري يوم 11 مارس 1955م ومما جاء في النداء الموجه إلى الضمير الفرنسي<sup>5</sup> "هذا نداء

<sup>1</sup> - شيحاني بشير: ولد بالخروب بقرنسطينة بتاريخ 22 أبريل 1929م أبوه رمضان شيحاني دخل المدرسة الفرنسية بالخروب تلقى تعليمه المتوسط بالعربية بزاوية "سيدي حمزة" بالناحية أنهى تعليمه المتوسط سنة 1949-1952، كان بجانب مصطفى بن بولعيد ليلة اعلان الثورة وقد عينه نائبا له مع عجول وعباس لغور، ولما سافر بن بولعيد إلى ليبيا خلال شهر فيفري 1955 عينه مكانه على قيادة المنطقة الأولى الأوراس، استمر في تلك المهمة إلى غاية استشهاده بعد معركة جبل الجرف، أنظر: محمد الصغير هلايلي: مذكرات شاهد على الثورة في الأوراس، دار القدس العربي، وهران، 2013، ط1، ص172.

<sup>2</sup> - عبان رمضان: ولد في 20 جوان 1920 قرب الاربعاء ناث ايراثن (تيزي وزو) وسط عائلة ميسورة الحال واصل دراسته الثانوية بمدينة البليدة وتحصل على البكالوريا عام 1941 شغل وظيفة كاتب عام ببلدية شلغوم العيد، وأثناء الحرب العالمية الثانية جند في الجيش الفرنسي، انخرط في صفوف حزب الشعب وأصبح عضوا في المنظمة الخاصة، وسجن مدة 6 سنوات أطلق سراحه في جانفي 1955 التحق مباشرة بالثورة بعد اتصاله مع العقيد عمر أوعمران، لعب دورا أساسيا في اعداد مؤتمر الصومام، صاحب فكرة أولوية الداخل على الخارج، وأولوية السياسي على العسكري، أشرف على اصدار الأعداد الأولى من جريدة المجاهد، وصار عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ، التحق بتونس وأظهر معارضة لبعض العسكريين أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، وأستشهد يوم 26 ديسمبر 1957 بالمغرب ولا زالت ظروف استشهاده غامضة. أنظر: خالفة معمري: عبان رمضان، تر: زينب زحروف، مؤسسة تالة، الجزائر، 2007.

<sup>3</sup> - بشير سعدوني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة الجزائرية (1954-1962)، حوليات جامعة الجزائر 01، العدد 31، الجزء الأول، د.ت، ص282.

<sup>4</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص66.

<sup>5</sup> - اسعد الهلالي، جمعية العلماء المسلمين، المرجع السابق، ص193.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

نداء قيم جليل أصدرته نخبة من رجال سلك التعليم العربي بقطر الجزائر وأرسلت به إلى سائر ممثلي الفكر العام الفرنسي من رجال الصحافة والسياسة والعلم والأدب... أن الضمير الفرنسي... لا يمكنه أن يبقى جاهلا هذه الولايات، وهذه الجرائم المنكرة التي تقترب باسمه ويرتكبها نظام استعماري جائر فظيع"، أما النداء الثاني الموجه إلى الشعب الجزائري<sup>1</sup> ومما جاء فيه "انك شعب كسائر الشعوب الكريمة لك تاريخك وحضارتك بالأمس ولك من وعيك ونضجك اليوم ما يحول لك أن تعمل على نيل حريتك وكرامتك مثلما تعمل الأمم والشعوب، نعم انه من حقل أيها الشعب".

فمن خلال هذين النداءين اللذين أمضاها حوالي 300 معلم يتبين دور المعلمين في التعريف والتأكيد على أن هناك ثورة فالنداء الأول موجه إلى كل الفرنسيين والعالم الخارجي ويبدو أن المعلمين أرادوا إيصال فكرة وجود النخبة المتعلمة مع الثورة ونفي دعاية السلطة الفرنسية والتي مفادها أن الذين قاموا بالأعمال التخريبية على حد تعبيرهم لا يمثلون الشعب الجزائري أما النداء الموجه إلى الشعب الجزائري فكان يهدف تأكيد مباركة المعلمين للثورة وأن العلماء معها.<sup>2</sup>

ومهما يكن من أمر فقد اهتم قادة جيش التحرير الوطني الجزائري بتعليم الشعب والجنود فقد كانت مراكز الولايات الستة داخل الجبهة تضم لجانا فرعية عامة في كل قسم من أقسام الوطن تشتغل برعاية النواحي التعليمية والتوعية الدينية والحياة الصحية كما حدث أن اتصل القائد عميروش بصفته قائدا للولاية الثالثة (القبائل الكبرى) - بأحمد حماني<sup>3</sup> نائب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين - وطلب منه ارسال الجنود من المعلمين لبث الوعي الديني والاتجاه العربي بين صفوف الجنود، وقد بعث اليه حماني بالدعاة السياسيين الذين لعبوا دورا فعالا في تعميق الوعي السياسي لدى جنود جبهة التحرير، كما استغل العلماء فترة اعتقالهم في السجون وأفلحوا في بث أفكارهم العربية والاسلامية بين السجناء ودليلنا على ذلك قول حماني "ولما دخلت السجن نظمت التعليم العربي والاسلامي في السجون التي مررت بها مثل سجون قسنطينة، تازولت قرب باتنة وهو من أعظم سجون الجزائر وأقطعها وتسرب هذه النظم التعليمية إلى بقية السجون من خلال تنقل المسجونين والأوامر بتلقينهم التعليم كانت تأتينا من جيش التحرير وكان منظما في المعتقلات والسجون حيث كان رجال جمعية العلماء في كثير منها".<sup>4</sup>

وبذلك باشر العلماء نفس مهامهم التعليمية وسط معركة التحرير ولكن بصورة أخرى أكثر اثارة تمثلت في الدعوة إلى الجهاد والحث على الكفاح حتى الحصول على الاستقلال. والحق أن عددا كبيرا من معلمي جمعية العلماء قد قاموا في الأرياف بمهمة مؤثرة في التوعية وحث الناس على الالتحاق بالثورة وتقديم المشورة<sup>5</sup>، وقد امتد نشاطهم إلى غاية الحدود خاصة مع تونس لبث ارشاداتهم الدينية للجنود المقاتلين وللجزائريين الذين فروا من ديارهم جراء عمليات القمع الفرنسية

<sup>1</sup> - اسعد الهلالي، جمعية العلماء المسلمين، المرجع السابق، ص193.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص194.

<sup>3</sup> - الشيخ أحمد حماني: ولد في 1 سبتمبر 1915 بدوار تمنجر بلدية العنصر دائرة الميلية تلمذ على يد والده الشيخ حماني الفقه والتوحيد، ثم انتقل رفقة أخيه محمود حماني إلى قسنطينة في سنة 1931، وبعدها انتقل سنة 1934 إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة، وعين أستاذا بمعهد ابن باديس الذي أنشئ عام 1947 وأسندت اليه لجنة التعليم من 1955-1957، أنظر: أحمد حماني، المصدر السابق، ص ص287-300.

<sup>4</sup> - نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص159.

<sup>5</sup> - أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2007، ط1، ص170.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

إلى الحدود الشرقية التونسية، وكانوا يقومون بندوات في عدة مناطق وكل منطقة أعطيت لها أرقام عديدة مثل المنطقة الأولى والمنطقة الثانية، فالمنطقة الرابعة مثلا أوكلها جيش التحرير الوطني للشيخ النعيم النعيمي. وقد تركزت ارشاداته على أعمال الثورة وتاريخ الجزائري وواجبات المناضل نحو الثورة والخلافات العنصرية وغيرها في أوساط اللاجئين والتعاون بين الجزائر وتونس، وكانت هذه الندوات تجرى في مناطق أخرى مثل: مجاز الباب، باجة، بنزرت وغيرها.<sup>1</sup>

### 3- نماذج عن نشاط ومساهمة قادة وأعضاء جمعية العلماء في الثورة

لقد كان لعدة شخصيات بارزة في جمعية العلماء الأثر الفعال والدور البارز في النشاط الثوري الداخلي ونكتفي بذكر بعض النماذج لهؤلاء العلماء وذلك للدلالة على مدى إسهامهم واندماجهم في العمل الثوري التحرري.

#### أ- الشيخ العربي التبسي ودوره في مساندة الثورة التحريرية

منذ أن عاد الشيخ العربي التبسي إلى الجزائر كانت نيته الأساسية بعد الرجوع مقارعة الاستعمار الفرنسي وتوعية الشعب الجزائري الجاهل، الذي ران عليه ليل الاستعمار المظلم والمتتبع لنشاطات الشيخ منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر سنة 1927م إلى تاريخ استشهاده سنة 1957م يتبين هذه النية دوغما صعوبة ويعد الشيخ العربي التبسي من أول الدعاة إلى الثورة التحريرية المسلحة من رجال جمعية العلماء بعد الشيخ عبد الحميد بن باديس.<sup>2</sup> وعند اندلاع الثورة التحريرية المباركة في الفاتح من نوفمبر 1954 كان الشيخ العربي التبسي أحد أبرز العلماء الذين أيدوها وناصروها كما شجع أبناء جمعية العلماء على الانضمام إلى صفوفها<sup>3</sup>، وكان يقوم بدعمها ماديا ومعنويا من خلال خطبه التي أزعجت كثيرا سلطات الاحتلال بالإضافة إلى كل ذلك فقد كانت للشيخ - كرئيس لجمعية العلماء داخل الجزائر - علاقات تنسيق وعمل وثيقة مع بعض قيادات الثورة أنداك أمثال زيغود يوسف وعبان رمضان وشيخاني بشير وغيرهم.<sup>4</sup>

وكان يتولى رئاسة الجمعية عندما نشبت الثورة نظرا لأن رئيس الجمعية وهو الشيخ البشير الإبراهيمي كان مقيما في القاهرة في ذلك التاريخ ابتداء من عام 1952 إلى غاية سنة 1962م، وبالتالي كانت كل مواقف الجمعية وبياناتها الرسمية المنشورة في جريدة الجمعية "البصائر" اللسان المركزي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حول الثورة والمقالات التي تنشرها تأييدا ومساندة للثورة التحريرية المباركة ودعوة الشعب الجزائري إلى الالتحاق بالثورة كانت جميعها تصدر تحت مسؤوليته المباشرة بالإضافة إلى رئيس تحرير الجريدة الأستاذ أحمد توفيق المدني الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - نبيل احمد بلاسي، المرجع السابق، ص ص159-160.

<sup>2</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص178.

<sup>3</sup> - محمد عباس: رواد الوطنية، دار هومة، الجزائر، 2004، ص376.

<sup>4</sup> - محمد عباس، المرجع السابق، ص377.

<sup>5</sup> - تركي رابح، جمعية العلماء المسلمين التاريخية ورؤساؤها الثلاثة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004، ط1، ص245.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وقد قام الشيخ التبسي باتخاذ قرار سري داخلي فرض بمقتضاه اقتطاع نسبة 10% من رواتب معلمي مدارس الجمعية لتنفق على أسر المجاهدين والشهداء والمعتقلين.<sup>1</sup>

وقد أرسل إلى الولاية الثالثة - حسب شهادة الشيخ حماني الذي كان الواسطة بينه وبين العقيد عميروش - آلات الطبع والكتابة والسحب والأموال والمحافظين السياسيين والمعلمين<sup>2</sup>، ولما أرسل القائد عميروش رسولا إلى الشيخ التبسي يستوصيه لم يستطع الشيخ أن يكتب له أي رسالة نظرا لحالة التضييق والقمع والوحشية التي تمارسها السلطات الاستعمارية ضد الجزائريين مما أضطر الشيخ إلى أن يرسل مصحفا صغيرا وقال للرسول "بلغه سلامي ودعواتي وابتهاجي العظيم بجهادكم وانتصاركم وقل له: هذا المصحف الشريف هو وصيتي له".

يقول الدكتور أحمد عيساوي "أخبرني العديد من مجاهدي المنطقة الخامسة والسادسة (تبسة) في الولاية التاريخية الأولى، أن الشيخ العربي كان يرسل المساعدات المختلفة وعلى رأسها المال إلى عائلات الشهداء والمبعدة والفاشرين والمسجونين المجاهدين تحت كثير من الحجج والأسباب، كأن يقول لمن يرسل له المال بأن الشيخ استدان من أبيكم أو من أخيكم هذا المال قبيل استشهاده".<sup>3</sup>

هنا يتبين لنا موقف الشيخ العربي التبسي المشرف من الثورة التحريرية كعالم فذ وليس كعضو في جمعية العلماء فقط، وحسبما يذكر الحسين مبعوث عبان رمضان إلى التبسي أنه "حينما فاتحه (ويقصد العربي التبسي) في الموضوع الذي جئت من أجله قال لي بأنه مستعد لتنفيذ كل ما تأمر به الجبهة وأنه مؤمن بالكفاح المسلح هو أسلم وأقصر طريق للتخلص من الاستعمار".<sup>4</sup>

ويروي أحد من عاصروا التبسي وهو "ساملي الثغراوي" أحد رجال الجمعية قائلا "أرسلت السلطات الفرنسية مبعوثا يقترح على الجمعية أن فرنسا تريد اقرار مبدأ فصل الدين الإسلامي عن السلطات الفرنسية وتولى أمره جمعية العلماء المسلمين"، فرد عليه التبسي قائلا "ان جمعية العلماء لم ترد فصل الدين الإسلامي عن السلطات الفرنسية وانما تريد فصل الجزائر عن فرنسا". فرد عليه ساملي قائلا "فقلت له يا أستاذ ان هذه الكلمة لا شك أنها لقاتلتك.... فأخرج من الجزائر" فرد عليه التبسي "ان خرجت أنا فمن يبقى في الجزائر".<sup>5</sup>

### - موقفه من المفاوضات:

طلب المقيم العام في الجزائر روبرت لاکوست<sup>6</sup> Robert Lacoste من الشيخ العربي التبسي أن يتدخل ليهدئ من غضب الشعب الجزائري بحكم شعبيته ومرجعيته وتأثيره على الشعب، فما كان من الشيخ العربي إلا أن رفض

<sup>1</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص 179.

<sup>2</sup> - أحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، المصدر السابق، ص 299.

<sup>3</sup> - أحمد عيساوي، الشيخ العربي بلقاسم مصلحا، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2001، ص 375.

<sup>4</sup> - محمد العربي الزبيري، الثورة في عامها الأول، المرجع السابق، ص 190.

<sup>5</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص 181.

<sup>6</sup> - روبرت لاکوست: من مواليد 1898 بأزيرا متحصل على الليسانس في الحقوق، أسس حركة تحرير الشمال أثناء الاحتلال الألماني، عين وزير في حكومة ديغول 1944-1945، كما عين وزيرا مقيما بالجزائر من قبل غي موليني في 9 فيفري 1956، استغل كل ما بوسعه لقمع الثورة. أنظر عاشور شرقي، المرجع السابق، ص 288.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

دعوى لاكوست قائلاً له "اني صادق منذ نعومة أظفاري وأنا الآن شيخ كاهل وتريدون مني ان أكذب على الشعب الجزائري كلا لن أتحدث"<sup>1</sup>، وقد حاولت الإدارة الاستعمارية الاتصال به العديد من المرات ولكنه رفض أسلوب الحوار والتفاوض معهم، ودفع بهم للتفاوض مع الثوار، وقد عبر عن هذه الحقيقة التاريخية الناصعة الأستاذ علي مرحوم في ندائه الذي نشره بعد اختطاف الشيخ العربي التبسي حيث جاء فيه "وقد حاولت الإدارة الاستعمارية المتمثلة في شخص الولاية العامة الاتصال بالشيخ لعلهم يجدون منه رجلا يساعدهم على تحجيم الثورة وكبح جماحها ولعله يكون المفاوض الصالح المؤثر على الشعب وعلى رجال جيش وجبهة التحرير الوطني ولهذا المهمة أرسلت له الولاية العامة وجنرالات الحرب (ماسو) و(بيجار) في شهر نوفمبر 1956م مفاوضهم مسيو (كومان) كاتب الحزب الاشتراكي فلم يستطع أن ينال من الشيخ شيئاً ومازاد الشيخ الا أن أخبره قائلاً "إني لا أستطيع أن أفعل شيئاً وأن المفاوضات الذي يستطيع فعل كل شيء هو جيش جبهة التحرير الوطني أو من تعينونه لكم"<sup>2</sup>.

والحق أن الشيخ العربي التبسي كما تجمع كل الشهادات والوثائق والحقائق التاريخية، كان رافضاً لكل أساليب التفاوض منذ اندلاع الثورة وقبلها لإيمانه المطلق بقيمة الكفاح المسلح كوسيلة ناجحة لطرد الاستعمار الفرنسي واسترجاع العزة والكرامة المفقودة والتعجيل بالحرية وتحقيق الاستقلال ومن هنا جن جنون "لاغيارد" الذي قرر تصفية الشيخ العربي التبسي بالقتل، لما تحين الفرصة المناسبة بعد أخذ موافقة الحاكم العام "روبيرت لاكوست" وجنرالات الحرب "ماسو" و"بيجار" الذين وافقوا على تصفيته منذ أن رفض الدخول معهم في المفاوضات الوهمية باسم الثوار وأضاع أملهم في الاحتفاظ بالجزائر، ولما يئست سلطة الاحتلال من جره إلى معسكرها في هذه القضية الخطيرة ورأت عزمه وصلابته وصموده أمام أساليب الترغيب والترهيب وأدركت خطورة وجوده وبقاء مثل تلك الشخصية العلمية البارزة إلى جانب الثورة، قررت تصفيته والتخلص منه، ففي الساعة الحادية عشرة ليلاً من اليوم الرابع من رمضان الموافق لليوم الرابع من شهر أبريل 1957م اقتحمت مجموعة إرهابية من الفرنسيين التابعين لفرق المظلات ويقال على يد شردمة من المجموعات الإرهابية "اليد الحمراء" مسكن الشيخ العربي التبسي بلكور بعاصمة الجزائر واقتادته إلى مصير مجهول مستغلين رفضه العديد من المرات قبول الخروج مع الثوار هرباً من الجزائر.<sup>3</sup>

### ب- أحمد توفيق المدني ودوره الداخلي في الثورة التحريرية 1954 - 1956

ظل أحمد توفيق المدني ولفترة طويلة من الزمن في جهاد فكري وقلمي ولساني إلى أن أنتخب أميناً عاماً للجمعية وأشرف على نظامها وتنسيق التعليم العربي والإسلامي في مدارسها ومعاهدها بين سنتي 1951-1956، وتوليه رئاسة تحرير "البصائر" لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكان ينشر مقالاته الأسبوعية تحت اسم "أبو محمد" ومنذ اندلاع الثورة إلى غاية مغادرة المدني الجزائر - بأمر من الجبهة - شغل المدني سنة 1956م عدة مهام منها ربط الاتصال بين مركز القيادة بالعاصمة وبقية جهات المعركة والقيادات الفرعية، فكان يستعمل في مهمته العديد من المجاهدين أمثال

<sup>1</sup> - نبيل احمد بلاسي، المرجع السابق، ص158.

<sup>2</sup> - أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص428.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص430.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

حمزة بوكوشة، أحمد سحنون، الجيلالي الفارسي، مصباح الحويذق وغيرهم من رجالات الجمعية بالإضافة إلى ساطور الحياط الذي كان يزودهم بالرسائل السرية ضمن بدلات وألبسة مختلفة.<sup>1</sup>

وإثر إعلان بيان الجمعية الخاص بالثورة كان للصحافة المحلية والدولية ردة فعل قوية خاصة حول المدني فهو الممضي أسفله إلى جانب رئيس الجمعية العربي التبسي لكن المدني صرح للصحافة العالمية "أنني من الجبهة ككل جزائري لكنني لست أنا الجبهة ولست ممثلاً عنها فان أردتم الاتصال بأداة الجبهة فابحثوا عن الطريق الذي يوصلكم إليها".<sup>2</sup>

ان مواقف المدني وقيادة الجمعية في الداخل وتفاعلها مع خط الثورة لم تكن بمعزل عن توجيهات الرئيس المتواجد بالقاهرة، فالاتصالات لم تنفك تنقطع، فقد تلقى "المدني" العديد من الرسائل التي يشيد فيها الشيخ الإبراهيمي بأعمال الجمعية ومواقف أمينها العام "المدني" والذي أورد العديد من هذه الرسائل في مذكراته، وجاء في إحدى الرسائل المؤرخة بالقاهرة في يوم 22 أوت 1955 قول الإبراهيمي<sup>3</sup>: "أذكر فضلكم ومواقفكم، ورفعكم لقيمة البصائر في هذه النزاع مما يحمدكم لكم كل منصف، ويحسدكم عليه كل متعسف لكن حسبكم الله ورضائي عنكم".

والحقيقة أن الشيخ المدني، وان لم تشر الكتابات التاريخية على قيامه بأي شكل من أشكال الاتصال بالفرنسيين بما يخالف توجهات ومبادئ جبهة التحرير الوطني ومع ذلك فقد ضمن في مذكراته أن الفرنسيين اتصلوا به مرتين الأولى عن طريق الأستاذ "ريمون هارون" والثانية خلال زيارة رئيس الحكومة الفرنسية "غي مولي" Guy Moullet للجزائر الذي رغب مقابلته الا أن شيئاً من ذلك لم يحدث استجابة لمعارضة جبهة التحرير لذلك، ولم يحدد الشيخ المدني في مذكراته تاريخ المحاولتين لكنه ذكر أنهما كانتا في فترة لاحقة لإصدار البيان التاريخي للجمعية في مطلع جانفي 1956.<sup>4</sup>

- **تنسيق العمل مع جبهة التحرير الوطني وسفره إلى القاهرة سنة 1956** ومع تزايد نشاط الثورة في الداخل، وتأكيد شعبيتها لاسيما بعد هجومات 20 أوت 1955م بالشمال القسنطيني، أضحت الحاجة ملحة إلى تجنيد كل الفئات الوطنية وهي استراتيجية تبنتها جبهة التحرير الوطني حيث دعت الجميع إلى الانضواء تحت لواءها طوعاً أو كرهاً، وكان لزاماً على القيادة تدعيم صفوفها بكفاءات سياسية وفكرية بما يمكنها من مخاطبة العالم والتعريف أكثر بالقضية الجزائرية وفي هذا الإطار تلقى الشيخ أحمد توفيق المدني دعوة جبهة التحرير الوطني للالتحاق بوفدها الخارجي العامل بالقاهرة، عن الاتصالات التي جرت بين الشيخ المدني وقيادة جبهة التحرير بالجزائر، ذكر أن الشهيد عبان رمضان اتصل به في أوائل عام 1956 ليعلمه بقرار الجبهة اعتماده ليكون ضمن الوفد الخارجي بالقاهرة، موضحاً أن "عبان رمضان" خاطبه بالقول<sup>5</sup>: "اننا لنشعر بنقص كبير بين صفوف وفدنا الخارجي، فسر إليهم بأسرع ما يمكن، ولتعمر ذلك الفراغ وأعلم أن حظك في الجهاد هنالك يعادل أو يفوق حظك لو أنك عمدت إلى جبل وحملت بين إخوانك السلاح".

<sup>1</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص 183.

<sup>2</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج 3، ص 43.

<sup>3</sup> - عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 188.

<sup>4</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج 3، ص 43-47.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 105.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وعن الأجواء المحيطة باللقاء أكد المدني أن المقابلة جرت في منزل المجاهد "عباس التركي" ليتصل به بعد مدة الشيخ العباس بن الشيخ الحسين العائد من القاهرة ويبلغه بانتظار الوفد له لذلك قام بإبلاغ رئاسة الجمعية العلماء ممثلة في الشيخ العربي التبسي، الذي بارك الخطوة رفقة النائب الثاني محمد خير الدين.<sup>1</sup>

ومهما يكن من أمر فان الشيخ المدني قد استجاب لدعوة الجبهة فاستعمل حيلة لمغادرة الجزائر دون إثارة انتباه السلطات الاستعمارية الفرنسية والتحق بباريس يوم 16 مارس 1956،<sup>2</sup> والظاهر أن المدني غادر باريس في 12 أبريل 1956 والتقى بجنيف السويسرية في طريقه إلى القاهرة رفقة زميله في النضال "العباس بن الشيخ الحسين" بالسيد فرحات عباس وأحمد فرنسيس وقدور ساطور الذين كانوا يتأهبون للسفر إلى القاهرة أيضا للانضمام إلى الوفد الخارجي.<sup>3</sup>

### ج- الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر

كان للشيخ بيوض دور هام وجوهري في مقاومة الاحتلال الفرنسي اذ يعد من أشد المعارضين والمقاومين لسياسته الاستبدادية، فله مواقف شجاعة في فضح دسائس الاستعمار ومؤامراته الماكرة، كما كانت له مشاركة فعالة في الثورة التحريرية، حيث قدم خدمات جليلة لقضية الصحراء الجزائرية، وخلال الثورة التحريرية كان على اتصال وثيق بالمراسلات السرية بينه وبين قادة جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في المهجر بواسطة تلاميذه واخوانه.<sup>4</sup> أما المسألة التي برز فيها الشيخ بيوض كسياسي محنك، ومفاوض جاد، ووطني ثائر موقفه ازاء قضية الصحراء، ولما رأت فرنسا وجودها على أرض الوطن مؤقت فهي عائدة لا محالة إلى ديارها حيث حاولت أن تمكر بالجزائريين، وأن تطبق مشروعها المتعلق بتجزئة التراب الوطني من خلال المشروع الذي طرحته الحكومة الفرنسية والذي يقضي بفضل الصحراء عن الشمال وربطها رأسا بفرنسا.<sup>5</sup>

لقد ركزت فرنسا على منطقة الصحراء لما تكتنزه من خيرات عظيمة ومجال حيوي فهي بالنسبة لها ذات أهمية سياسية واقتصادية هامة، اذ تعد المستودع البترولي الذي يضمن لفرنسا استقلالها الاقتصادي عن الولايات المتحدة الأمريكية وهي أيضا ميدانا للتجارب النووية الفرنسية ومركز للاتصالات المستقبلية، لأن غرداية تعتبر بوابة الدخول إلى افريقيا بالنسبة لفرنسا وبالنسبة للقوى الأوروبية الأخرى.<sup>6</sup>

وقد كان للشيخ بيوض موقفا معارضا لهذا المقترح فرغم الإغراءات والتهديدات التي لاحقته الا أنه بقي صامدا فإليه يعود الفضل في الإبقاء على وحدة التراب الوطني<sup>7</sup>، وفي هذا الصدد يقول بن طوبال بأن الفضل يعود إلى الشيخ

<sup>1</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص106.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص ص106-108.

<sup>3</sup> - Benjamin Stora, Zakya Daoud : Ferhat Abbas une autre Algérie? Edition casbah, Alger, 1995, p268.

<sup>4</sup> - بن رحال أمينة: الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، العدد 11، ديسمبر 2016، ص ص187-188.

<sup>5</sup> - بن رحال أمينة، المرجع السابق، ص188.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص188.

<sup>7</sup> - بن رحال بمينة: مذكرات الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض وأهميتها في كتابة تاريخ بني ميزاب، مجلة تاريخ العلوم، مجلد 5، عدد 13، جوان 2020، ص61.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

بيوض في إنقاذ وحدة التراب وبقاء الصحراء بكل خيراتها جزائرية وبدونه كان يمكن أن تستمر الثورة عقداً آخر ومرة أخرى أقول ان دور غرداية (المنطقة) هو الذي كان حاسماً في الموضوع وغرداية تعني الشيخ بيوض.<sup>1</sup> وكانت إسهامات الشيخ بيوض في الثورة كثيرة، حيث شارك بأعمال عديدة فكان محورا للنشاط الثوري في ميزاب عامة والقرارة خاصة، وذلك من خلال تموين المجاهدين بالمال والعتاد واللباس وكان يقوم بذلك رفقة أبناءه الشباب وتلاميذه.<sup>2</sup>

### د- الربيع بوشامة

بدأ الربيع بوشامة<sup>3</sup> اتصالاته في مطلع الثورة التحريرية بقيادة المنطقة الثالثة (القبائل) وكانت الاتصالات تتم بينه وبين قيادة المنطقة بواسطة الرسائل، وفي 13 ماي 1956 توجه إلى قرية بني عباس في جبال البيان أين اجتمع بالعقيد عميروش وقد دار الحديث بينهما حول مختلف قضايا الثورة.

وفي مطلع 1957 غادر الربيع بوشامة العاصمة للاتصال بقيادة الثورة للقيام بمهمة خاصة لصالح الثورة ودام غيابه شهرا كاملا ثم عاد إلى منزله، وبعد مدة قام برحلة إلى سطيف وبعض مدن الشرق الجزائري مستخدما بطاقته المهنية كمفتش لمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا حتى يتسنى له تأدية المهام التي كلفته بها الثورة في وقتها المعين قبل أن يعود إلى العاصمة ليواصل عمله النضالي على مستوى مدينة الجزائر في اطار خلايا جبهة التحرير الوطني.<sup>4</sup> وقد أعد له عميروش ليذهب إلى الخارج ولكنه لم يكن يرغب في الخروج وقال لزوجته اذا فعلت ذلك وذهبت إلى الخارج فمن يبقى هناك لخدمة جيش التحرير الوطني والثورة، واستمر الربيع بوشامة في عمله لصالح الثورة واتصاله بقيادة جيش التحرير الوطني طوال عامي 1957 و1958 وكانت آخر رسالة تلقاها من عميروش في مطلع عام 1959م، وفي صبيحة يوم 16 جانفي 1959 تم القاء القبض على الربيع بوشامة في مدرسة الثبات بالحراش بتهمة تمزيق العلم الفرنسي الذي كان منتصبا وسط ساحة المدرسة واقتيد إلى مقر قيادة الدرك بحي بلفور بالحراش<sup>5</sup> وظل حتى شهر ماي 1959 تحت التعذيب إلى أن أعلن رجال الدرك عن استشهاده.<sup>6</sup>

وقد يطول الحديث عن أعضاء وقادة الجمعية الذين ساهموا في الثورة خاصة بعد فترة الدراسة سنة 1956 لذلك فقد اكتفينا ببعض هاته النماذج نظرا لكثرة الأحداث والنشاطات بعد سنة 1956 إلى غاية الاستقلال الوطني.

<sup>1</sup> - بن رحال أمينة، الشيخ إبراهيم بن عمر، المرجع السابق، ص189.

<sup>2</sup> - بن رحال أمينة، مذكرات الشيخ إبراهيم، المرجع السابق، ص61.

<sup>3</sup> - الربيع بوشامة: 1916-1959م من نشطاء مجلة الشهاب، عضو بارز في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نشط مع الفضيل الورتلاني في فرنسا، ثم عاد إلى الجزائر ودرّس في مدارس الجمعية في خراطة، ثم معلما ومديرا في مدرسة الحراش سنة 1948، كان على اتصال بالعقيد عميروش أثناء الثورة، ويتولى مهمة الاتصالات إلى أن ألقى عليه القبض في 16 جانفي 1959 من قبل القوات الفرنسية بتهمة تمزيق العلم الفرنسي، في 14 ماي 1959 استشهد تحت التعذيب. أنظر: السعيد بورنان: نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956، دار هومة، الجزائر، 2012، صص186-195.

<sup>4</sup> - يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، د.ت، ص225.

<sup>5</sup> - يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة، المصدر السابق، ص226.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص227.



## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

### المبحث الخامس: نشاط ومساهمة طلبة وعلماء معهد عبد الحميد بن باديس في الثورة التحريرية 1954-1956

لقد كان لمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة دور متميز في التعليم باللغة العربية وتدرّس العلوم الدينية وفي الحفاظ على أسس الشخصية الجزائرية، افتتح نهاية عام 1947م كما ذكرنا سابقا، وخرج عدة دفعات إلى غاية اغلاقه في سبتمبر 1957، اثر اكتشاف السلطات الفرنسية لتورطه في دعم الثورة والثوار وكان لشيوخته وطلبته دور هام في مد الثورة بالجنود والإطارات وفي انجاح مشروعها التحرري وهو ما يؤكد لنا أن دور جمعية العلماء غير المباشر كان فاعلا في دعم الثورة في أشهرها الأولى، حيث كان الشيخ العربي التبسي رحمه الله و ابراهيم مزهودي<sup>1</sup> ومصطفى بوغابة<sup>2</sup> يدفعون بأفواج الطلبة للالتحاق بالجبل وأدى طلبة المعهد أدوارا مختلفة خلال الثورة.<sup>3</sup>

وبسبب ذلك وضع حد نهائي لنشاط المعهد عام 1957، ففي ظل الأحكام العرفية أغلق هذا المعهد من قبل السلطات الفرنسية. وفي يوم 24 سبتمبر من نفس العام ظهر على أعمدة جريدة البرقية القسنطينية " la dépêche de constantine" مقالا بعنوان: "معهد ابن باديس كان دعامة للثوار في الشرق الجزائري" جاء فيه "ان العلماء لم يقتنعوا قط بالعمل الديني المحض بل جعلوا من التعليم الذي يديرونه مجالا للدعاية في صالح الثوار".<sup>4</sup>

وكانت السلطات الولائية قد قررت بمقتضى المرسوم رقم 372/572، وبتاريخ الثالث سبتمبر 1957 أغلق معهد ابن باديس وفي يوم 16 أكتوبر سنة 1957 قدم رئيس مصلحة المخابرات الفرنسية تقريرا للأمين العام للحكومة جاء فيه "ان جمعية العلماء التي تظهر بمظهر الحذر والتجديد تحمل أهدافا غير معلنة تخفي من ورائها قوتها...".<sup>5</sup>

### المطلب الأول: عودة إلى مسألة الاتصالات أثناء الثورة ودور طلبة وعلماء معهد ابن باديس في ذلك

تعتبر مسألة الاتصالات سوى بين قادة الولايات أو بين قادة الثورة والخلايا السرية وربط الاتصالات من أهم وأعقد المسائل التي صادفت الثورة خلال أعوامها الأولى، وبالتالي فقد كان لطلبة وعلماء معهد ابن باديس الدور الحاسم والهام في هاته المسألة.

فعندما انعقد الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة عام 1984 بإشراف جبهة التحرير الوطني تدخل الشيخ أحمد حماني، حيث أورد شهادته الخاصة حول مساهمة معهد ابن باديس - الذي كان يشرف عليه والتابع للجمعية - في الثورة

<sup>1</sup> - ابراهيم مزهودي: ولد في سنة 1922م ببلدية بوكوس لبيان (بلدية الحمامات الحالية بتبسة) درس في مسجد القرية القرآن في سن الخامسة وهاجر إلى تبسة في سن العاشرة عندما فتحت مدرسة تهذيب البنين للشيخ العربي التبسي وأكمل دراسته فيها، انتقل إلى الزيتونة عام 1938م حيث نال شهادة التحصيل ثم عاد إلى تبسة ودرس بها سنتين، في عام 1946 سافر مع الشيخ العربي التبسي إلى الجزائر لتجديد جمعية العلماء، وهناك تعرف بالشيخ الإبراهيمي ثم سافر إلى تونس ثم إلى فرنسا، ولما رجع إلى الجزائر عين مفتشا لمدارس جمعية العلماء، وبعد اندلاع الثورة ساهم في خلق اتصالات بين قادة الثورة ومختلف المناطق خاصة المنطقة الأولى والثانية، وأسس الكثير من الخلايا السرية داخل مدارس جمعية العلماء ولما أكتشف أمره التحق بجيش التحرير الوطني في بداية 1956 وعينه زيغود يوسف نائبا له. أنظر، أسعد هلال، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص116.

<sup>2</sup> - مصطفى بوغابة ولد في 23 ديسمبر 1926 بقسنطينة تعلم بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة في سنة 1936م، تتلمذ على يد الشيخ محمد الغسيري والشيخ محمد الصالح رمضان ومحمد بالعباد السماتي، التحق بالزيتونة في موسم 1944-1945، ودرس فيها سبع سنوات، وفي سنة 1955 عمل أستاذا بمعهد ابن باديس ومدارس الجمعية إلى غاية شهر نوفمبر 1956، وقد التحق بالثورة سرا منذ 1955، أنظر أسعد هلال، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص127.

<sup>3</sup> - عبد الله مقلاتي، اسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس وطلابه في الثورة التحريرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2014، صص 20-21.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص21.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص21.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وخطب الحاضرين بصوت جهوري قائلاً "وأذكر موقفاً آخر لا يزال سرا وأعلنه اليوم في هذا المجمع لأنني ربما لا ألقاكم بعد يومي هذا من عام 1955 تحملت مسؤولية جمعية العلماء في الاتصال بالولايات، وقد شهد الكولونيل ابن طوبال<sup>1</sup>، أن الانقطاع قد تم تقريباً عاماً كاملاً حتى أعاده ابراهيم مزهودي والشهيد رشيد عمارة<sup>2</sup>، وكان الانطلاق لهذا الاتصال هو معهد عبد الحميد بن باديس رحمه الله في قسنطينة من هناك كان الاتصال بين الولايات، وقد نظمنا جهازاً كاملاً للاتصال يتولاه في قسنطينة بوغابة، وفي عنابة سي الذيب، وفي شاطودان (شलगوم العيد حالياً) سليمان بشنول، وفي سطيف باقي بوعلام، وفي برج بوعرييج العربي سعدوني، وفي الجزائر أحمد حماني وهؤلاء كلهم كانوا يباشرون العمل بين 1955 و1956 وأمين مال الجمعية الشيخ عبد اللطيف سلطاني رحمه الله.

كان في الجزائر وقد عقدت اجتماعات على المستوى العالي لقيادة الجبهة في داره وذلك أن الاتصال لما جاء من المغرب لأول مرة أمرنا أن نكون مسؤولين عن الاتصال الذي يجمع الشهيد عبان رمضان وقادة الحركة في الجزائر وبين عبد الحميد بن أشنهو الذي جاء من المغرب وألزمونا بتدبير المكان فذهبت إلى الشيخ عبد اللطيف رحمه الله وذكرت له فالتزم وصارت الاجتماعات تعقد في دار أمين مال الجمعية الشيخ عبد اللطيف سلطاني رحمه الله<sup>3</sup>.

إن هذه الشهادة تؤكد على الدور الهام لمعهد ابن باديس وشيوخ جمعية العلماء في دعم الثورة مبكراً وذلك انطلاقاً من توجيهات العربي التبسي ومزهودي وبوغابة المشرفون على خلية المعهد<sup>4</sup>.

كما أن طالبة معهد ابن باديس هم من ربط الاتصال بالأوراس بواسطة الشيخ سرحاني<sup>5</sup>، وكذلك علي بلقاسم وحمادي الهاشمي وقد كان شيحاني بشير الذي يسكن في الخروب بقسنطينة يبعث علي بلقاسم ليأتي بالمعلومات لأن منزله بمخنة كان مركزاً للأخبار وبهذه الاتصالات تم تجنيد عدد معتبر من طلاب المعهد ومعلميه الذين التحقوا بجيش التحرير الوطني في الجبال والذين تركوا الدراسة والتحقوا بالثورة منهم محمد كشود والهاشمي هجرس وغيرهم ولكن بعد جانفي 1956 سيلتحق عدد كبير منهم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - لخضر بن طوبال: واسمه الحقيقي سليمان بن طوبال 1923-2010م، ولد في ميلة، بدأ العمل السياسي في حزب الشعب خلال الحرب العالمية الثانية، كان أحد أعضاء المنظمة الخاصة البارزين، حضر اجتماع 22 التاريخي بالعاصمة، أصبح أحد قادة الولاية الثانية التاريخية، شارك في هجومات الشمال القسنطيني 20 اوت 1955، وحضر مؤتمر الصومام، تولى بعد ذلك عدة مسؤوليات خلال الثورة أبرزها عضو في الحكومة الجزائرية المؤقتة، كان ضمن وفد مفاوضات ايفيان التي أفضت إلى استقلال الجزائر، أنظر: الطاهر جبلي، دور القاعدة، المرجع السابق، ص 272-273.

<sup>2</sup> - رشيد عمارة: ولد بجزيرة سنة 1934 أكمل دراسته الثانوية في العاصمة ودخل جامعة الجزائر، عرف بنشاطه السياسي والطلافي المبكر، حيث ساهم في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، سخر نفسه وماله لخدمة الثورة فكانت قيادة الثورة تعقد اجتماعاتها في بيته، وتكفل بمهام التنسيق والتموين، عمل طبيباً بالمنطقة الرابعة، إلى أن سقط شهيداً يوم 13 جويلية 1956. أنظر: عبد الله مقلاتي، اسهام شيوخ، المرجع السابق، ص 55.

<sup>3</sup> - عبد الله مقلاتي، اسهام شيوخ، المرجع السابق، ص 22-23.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 24.

<sup>5</sup> - الشيخ سرحاني: ولد الشيخ أحمد تيملقين "السرحاني" بمنطقة كيميل باتنة بتاريخ 20 أكتوبر 1912م بدأ تعليمه في حفظ القرآن الكريم عن الشيخ مصطفى بن محمد المالكي، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ صادق بلحاج ثم واصل تعليمه في خنقة سيدي ناجي على يد الشيخصادق بلمكي وأخيراً أكمل تعليمه بمعهد عبد الحميد بن باديس. أنظر: محمد الصغير هلايلي، مذكرات شاهد، المصدر السابق، ص 28.

<sup>6</sup> - أسعد لهلايلي، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 184.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

لقد تسلم مزهوي مهمته منذ أبريل 1955، حيث بدأ عبان رمضان ينشط بالعاصمة وظل يؤدي مهمته السرية في ربط الاتصالات بين قادة الثورة نحو عام كامل وفي فيفري 1956 أكتشف أمره، حيث علم عبان عن طريق عيونه في الإدارة العامة الفرنسية أن رأس مزهودي مطلوب في قسنطينة وبعد مشاورات بين عبان والتبسي ومزهودي تقرر التحاق هذا الأخير بقيادة زيغود يوسف في أوائل مارس 1956م.<sup>1</sup>

وقد كانت الخلية الأم تضم في عضويتها كل من بوغابة مصطفى ومحمد الميلي، وقد أنشأت فروع تابعة لها في مدن الشرق الجزائري، وكانت تنسق عملها مع خلايا الفداء المشكلة بمدينة قسنطينة ومنها الخلايا التي يتولاها كل من مصطفى عواطي وصالح بوذراع ومسعود بوجريو

ولما التحق مزهوي بالجبل استخلف بوغابة في تولي مسؤولية الخلية المعهد، وفي بداية نوفمبر 1956 اضطر بوغابة للالتحاق بالجبل اثر محاولة اعتقاله وترك المسؤولية لطاهر سعدي حراث الأستاذ بالمعهد وذلك إلى غاية جوان 1957، حيث انتقل مختفيا إلى تونس واستخلف الشيخ الصادق مخلوف في قيادة الخلية فواصل مهمته إلى غاية اعتقاله اثر أسر مساعده أحمد حماني متلبسا في أواسط أوت 1957 وفي الوقت ذاته أسر مساعده حمادي الهاشمي وتمكن محمد كحلوش من الفرار إلى الجبل.<sup>2</sup>

وقد كان التبسي يتعهد نشاط هذه الخلية ويؤدي بعض المهمات والرسائل التي يكلفه بها عبان، وقد بدأ يظهر للعيان حماس التبسي في دعم الثورة وعندما نفذت خلايا الثورة حكم الاعدام على محافظ الشرطة المركزية بالمدينة المسمى "سان مرسيلى" في مارس 1956م، فقد اتجهت الأنظار أولا إلى قادة الجمعية وشيوخ المعهد، ووضع غلاة المستوطنين قائمة من خمسين شخصا يطالهم الاعدام انتقاما من مقتل المحافظ، كان الشيخ التبسي على رأس القائمة.<sup>3</sup> ومن بين الأعمال التي قامت بها خلية مزهودي نقل مرسولي عبان، عمارة رشيد وسعد دحلب<sup>4</sup> إلى قيادة الشمال الشمال القسنطيني حيث زيغود يوسف ويذكر مصطفى بوغابة الظروف الصعبة التي تمت فيها هاته العملية، كما كان لهاته الخلية نشاط واسع وثرى وكان أهمه ربط الاتصال بين قيادة الثورة في العاصمة والمناطق الأولى والثانية والثالثة.<sup>5</sup>

### المطلب الثاني: نشاط طلبة وعلماء معهد ابن باديس في التجنيد والعمل في هياكل الثورة

لقد ارتبط طلبة وعلماء معهد ابن باديس بالثورة التحريرية في وقت مبكر قبل الاضراب العام للطلاب في 19 ماي 1956، وكان لهم مساهمات وأدوار فاعلة في دعم الثورة التحريرية مساندتها، امتدت من التجنيد في صفوفها والدعوة للتضامن معها ومن تولي مختلف المسؤوليات السياسية والعسكرية إلى قيادة أجهزة الثورة.

<sup>1</sup> - محمد الميلي، ذكريات زمن، المصدر السابق، ص 397.

<sup>2</sup> - عبد الله مقلاتي، اسهام شيوخ، المرجع السابق، ص 54-55.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 53.

<sup>4</sup> - سعد دحلب: 1919-2001م وزير الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة 1961-1962، مناضل في حزب الشعب ثم في حركة الانتصار، اعتقل في 22 ديسمبر 1954، وانضم أوائل 1955 بجمعية بن يوسف بن خدة إلى جبهة التحرير الوطني. أنظر: عاشور شرقي، المرجع السابق، ص 164.

<sup>5</sup> - عبد الله مقلاتي، اسهام شيوخ، المرجع السابق، ص 55-56.

### 1-عمليات التجنيد والالتحاق بالثورة

ليس غريبا أن يكون طلبة المعهد محط أنظار الحركات الثورية حيث يروي الوردى قتال<sup>1</sup> في شهادته أن أحد المناضلين المرتبطين مع الفلاحة التونسيين وهو محمد المعافي من خنشلة زارهم في المعهد عام 1953م وكانت مهمته هي تحسيس طلبة المعهد بقضية محاربة الاستعمار، وعلق على ذلك بأن بعض الطلبة لم يولوا كثير اهتمام برسالة الناشر المعافي وقد عاود الاتصال بهم في بداية موسم 1954-1955 ونجح في إثارة اهتمامهم وانتهى اجتماعهم بترتيب لقاء لهم مع القائد شبحاني بشير الذي التقاهم وهو متنكر في هيئة بائع عطور، ويبدو أن هذا النشاط قام به عشية اندلاع الثورة وبعد اندلاعها، وقد كان على الطلاب أن ينشروا دعوتهم بين الطلاب بكل حذر ولكنهم لم ينتبهوا إلى ذلك فانكشف أمر بعض طلبة المعهد مع بداية اندلاع ثورة نوفمبر 1954، وكان عليهم أن يبادروا سريعا للالتحاق بالثورة وهكذا خرج الوردى قتال وأربعة طلاب من قسنطينة باتجاه الجبل في ديسمبر 1954 حيث اتصلوا بشبحاني في منطقة القلعة ورأى شبحاني بعد الحديث معهم أن يعيد اثنين منهم إلى المعهد وهما بلقاسم عالية والهاشمي حمادي، وأما الوردى قتال ومحمود بوالطمين وأحمد عثمانى فاستبقاهم معه وكلفهم في الحين بنسخ المناشير وسحبها وكانت موجهة لردع الخونة والتعريف بالثورة في أوساط الشعب، كان شبحاني السياسي المثقف يدرك أن الاعلام والدعاية يساعدان في انجاح الثورة وقد خاض هؤلاء الطلبة عدة معارك في شرق الأوراس وكلف شبحاني المجاهد الطالب محمود بوالطمين في مهمة لربط الاتصال بمنطقة الشمال القسنطيني لكنه أستشهد في الطريق وعين الوردى قتال في مسؤولية قيادة منطقة سوق أهراس عشية معركة الجرف الشهيرة وسوف يصبح من بين قادة الثورة المعروفين.<sup>2</sup>

وقد قال عمار بوحوش أنه "عندما كنا نواصل دراستنا بمعهد عبد الحميد بن باديس لاحظنا أن عددا من زملائنا قد اختفوا عن الأعين ولم يعودوا يأتون لمواصلة دراستهم وبمرور الوقت بدأنا نكتشف أسباب انقطاعهم عن الدراسة فعند ما كان الشيخ أحمد حماني يبدأ بالمناداة على الطلبة ليعرف من حضر ومن غاب عن درسه استوقفه أحد الطلبة وأخبره أن الطالب "عاطف" قد انقطع عن الدراسة، و"طلع" والمقصود بذلك طلع إلى الجبل، فكان الشيخ أحمد حماني يبتسم ثم تلاه طلبة آخرون إلى أن تم توقيف التدريس بمعهد بن باديس بقرار من السلطات الفرنسية التي تفتنت للموضوع حيث اكتشفت ان الأساتذة والطلبة بالمعهد يدعون سرا وعلاوية لجيش وجبهة التحرير الوطني الجزائري".<sup>3</sup>

وقد ركز هؤلاء الطلاب في أول أمرهم على بلوغ هدف واحد تمثل في عزل الاستعمار الفرنسي وتحديد مواقف الطلبة منه وهذا لن يتم بالكلام المسموع ولا المكتوب وإنما يتم بالحركة والفعل.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - الوردى قتال: ولد 1925 بدوار سطح قنتيس - تبسة من أوائل المجاهدين بناحية تبسة حضر لقاء شبحاني بشير بمجاهدي وأعيان المنطقة برأس الطرفة الجرف، شارك في عدة معارك منها معركة الجرف سبتمبر 1956، ومعركة أرغو جوان 1956، عينه شبحاني قائدا على ناحية سوق أهراس في سبتمبر 1955، عاد في جوان 1956 إلى ناحية تبسة تعرض في سبتمبر 1956 إلى مؤامرة دبرتها للقادة النمامشة بتونس، أبعده على إثرها إلى القاهرة، بعد الاستقلال تفرغ لشؤونه الخاصة وترك العمل السياسي. انظر: محمد عباس: فرسان الحرية، ج9، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص607.

<sup>2</sup> - عبد الله مقلاتي، اسهام شيوخ، المرجع السابق، ص94-95.

<sup>3</sup> - عمار بوحوش: شاهد على مشاركة طلبة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في ثورة تحرير الجزائر 1954 - 1962، مجلة المصادر، العدد 16، 2005، ص137.

<sup>4</sup> - هلال عمار: الجزائريين ابان حرب التحرير 1954، دار هومة، الجزائر، 2009، ط3، ص52.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ومن شهادة عمار بوحوش على ذلك أنه ذات يوم فاجأه الأخ علي بوداود (من بون داي يسير، أو بني سكران حاليا بنواحي تلسمان) بأن اليهودي الذي يملك محلا مقابلا لبازار غلوب (من الناحية السفلى) سينفذ فيه حكم الإعدام خلال 24 ساعة، وبالفعل فقد أطلق عليه فدائي النار وأرداه قتيلا في اليوم الثاني وأنداك عرف أن سي علي بوداود جاء إلى قسنطينة لينخرط في جيش التحرير وليس لطلب العلم.

وتسارعت الأحداث وعرف منه أن هناك خلية تنشيطية في دار الطلبة من المتطوعين ستلتحق بجيش التحرير الوطني، واستنتج من كلامه أن الخلية تتكون من زملائه الطلبة في المعهد وهم: بوساعة عبد الرحمان، الهاشمي هجرس، محمد الصالح يحيوي، عبد المجيد تاغيت، عمار بن جامع، وعندما تقرر إرسالهم إلى ناحية قالمة للالتحاق بجيش التحرير الوطني الجزائري عرف أن القائد الذي أرسلهم إلى الجبل هو الأستاذ ابراهيم مزهودي وكان معه الأستاذ مصطفى بوغابة.<sup>1</sup>

### 2- المهام المنوطة بهم والمسؤوليات في هياكل الثورة

بحكم تكوينهم العلمي ودورهم الاجتماعي كأئمة ومدرسين اعتمدتهم قادة الثورة في تأدية مهمة التعبئة والتوعية السياسية لصالح الثورة، حيث كانت خدماتهم مهمة في هذه المرحلة الحاسمة للتعريف بالثورة وغرس أفكارها ومبادئها. وهذا ما أدركه كل من زيغود يوسف ومصطفى بن بولعيد واهتم عاجل عجول<sup>2</sup> المتخرج من المعهد بتجنيد رفاقه من طلبة المعهد كما استعان شيخاني بشير السياسي المثقف بخدمات المتخرجين من معهد ابن باديس وهو ما أكده الوردى قتال في شهادته السابقة الذكر.

وكذا الدكتور يوسف مناصرية حيث يقول "التف الكثير من طلبة معهد ابن باديس بقسنطينة حول الشهيد القائد شيخاني بشير وساعده على كتابة البرقيات والمناشير وإيصالها إلى أصحابها والاتصال بالأئمة والمدرسين وكلفهم بالقضاء وفك النزاعات بين أفراد الشعب وفق الشرع الاسلامي، مما أودى بحياة الكثير منهم.

وذكرت الكثير من شهادات المجاهدين الأوائل أن فرنسا قامت في يوم واحد بجمع أربعين امام (قضاة الثورة سنة 1955) وأعدمتهم كإنذار لغيرهم كي لا يمنعوا الشعب من التقاضي إلى الإدارة الفرنسية وكان ذلك دون جدوى بل زاد من التفاف الشعب حول الثورة".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عمار بوحوش، شاهد على، المرجع السابق، ص138.

<sup>2</sup> - عاجل عجول: من مواليد 1923 بكيمل، تعلم بمسقط رأسه، انضم سنة 1948 لحركة الانتصار، بعد انطلاق الثورة وسفر بن بولعيد إلى الشرق كلف رفقة عباس لغرور بمساعدة شيخاني بشير في قيادة المنطقة الأولى، عارض بن بولعيد بعد فراره من السجن، حكمت عليه اللجنة المفودة من مؤتمر الصومام بالإعدام، نجا من الموت بأعجوبة وسلم نفسه للعدو. أنظر: عثمان مسعود: الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، دار الهدى، عين مليلة، 2012، ص89.

<sup>3</sup> - يوسف مناصرية، القضاء في الثورة من خلال بعض النصوص، أعمال الملتقى الوطني الأول حول القضاء ابان الثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص112-113.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ومن بين هؤلاء الذين تولوا مهام ثورية وأيضاً مهمة القضاء<sup>1</sup>، الشيخ أحمد بن الطيب باشا<sup>2</sup> في الناحية الأولى للمنطقة الخامسة الولاية الأولى وكان رئيس اللجنة الشرعية، ويذكر أيضاً شهادة مهمة حيث يقول الشيخ أحمد باشا<sup>3</sup> "كنا ندرس قبل 1956 عدة مواد الصرف والنحو والبلاغة، الحساب والتفسير وتحفيظ القرآن، حيث كان الشوار حاضرين معنا في كل مكان وكنا نجتمع الاشتراكات للثورة ونوفر المأوى لعائلات الشهداء، وكانت الثورة تدفع لنا أجور لتدريس الأبناء وخاصة في سنة 1960م كانت الأجور محددة وواضحة".<sup>4</sup>

ويذكر أيضاً أن الشيخ العربي التبسي والشيخ العيد مطروح كان يشجعان الشباب على الالتحاق بالثورة ويذكر أنه كان هناك طالبان من طلبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استشهدا في الثورة "خرشي الطيب" الذي أستشهد في سطيف وهو من مدينة مرسط وأيضاً "خرشي صالح" المدعو أونيس من مرسط وهو طالب زيتوني أستشهد أيضاً في الثورة<sup>5</sup>. وكما ساهم الشيخ أحمد باشا إضافة إلى القضاء في الثورة في مهمة جمع الأخبار والقيام بالدعاية لصالح الثورة وإرسال البريد.<sup>6</sup>

أيضاً من المهام الأساسية التي تقلدها طلبة معهد ابن باديس خصوصاً والطلبة المثقفين عموماً، منها مهمة "المحافظ السياسي" الذي يتولى القيام بعدة أعمال ومن المهام التي يقوم بها "التوعية الثورية وسط المواطنين في القرى والنواحي والتكوين وبث روح التضحية، والطاعة والحفاظ على الأخلاق الإسلامية وسط المجاهدين... والدعاية للثورة وتعبئة الجماهير لاحتضان ثورتهم"<sup>7</sup>، ويعتبر المحافظ السياسي همزة الوصل بين الثورة وجمهورها، أو هو الواجهة الإدارية لجيش التحرير نحو الشعب وكانت هذه المهمة لمكانتها لا تسند إلا لذوي الكفاءات في الميدان السياسي والتسيير.<sup>8</sup>

ولم يقتصر دور المحافظ السياسي على الجانب الدعائي وتحفيز المواطنين للالتحاق بالثورة بل كان أيضاً يتصدى لادعاءات الاستعمار إضافة إلى القيام بمهمة التعليم واختيار من يقوم بها وكان ثمرة هذا العمل المزدوج بين التوعية الثورية وتشجيع التعليم ورفع مستواه والتحام الشعب بالمجاهدين<sup>9</sup>، وكما ذكرنا ذلك في مثال الشيخ أحمد بن الطيب باشا.

<sup>1</sup> - أنظر الملحق رقم 22: شهادة الاعتماد كقاضي من طرف الثورة.

<sup>2</sup> - الشيخ أحمد بن الطيب باشا: من مواليد ديسمبر 1932 بمرسط ضواحي تبسة، بدأ تعلم القرآن على مشايخ مرسط ثم انتقل إلى سيدي بن سعيد بتبسة، حيث علمه والده الطيب باشا الذي كان من مشايخ الزيتونة والذي كان هو أيضاً عضو في جمعية العلماء، حيث كان قبل انتمائه للجمعية من أتباع الطريقة الرحمانية، وعمل قاضياً في سوسة ثم في العاصمة التونسية ثم انتقل إلى الفرع الزيتوني بالكاف إلى غاية الخمسينات، أما أحمد باشا فقد درس بالمدرسة الفرنسية وتحصل على شهادة الأهلية باللغة الفرنسية ودرس بالمدارس الحرة لجمعية العلماء 1954-1956 ثم عمل قاضياً بالثورة، وبعد الاستقلال عمل في سلك التربية والتعليم وهو متقاعد حالياً وإمام متطوع في مساجد تبسة. مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد بن الطيب باشا في منزله بتبسة بتاريخ: 2019/03/10م.

<sup>3</sup> - شهادة الشيخ أحمد بن الطيب باشا، مقابلة شخصية في منزله بتبسة بتاريخ: 2019/03/10م.

<sup>4</sup> - شهادة الشيخ أحمد بن الطيب باشا، مقابلة شخصية في منزله بتبسة، بتاريخ: 2019/03/10م، أنظر أيضاً الملحق رقم 23: جمع الاشتراكات المالية وتوفير المأوى لعائلات الشهداء.

<sup>5</sup> - شهادة الشيخ أحمد بن الطيب باشا، مقابلة شخصية في منزله بتبسة، بتاريخ: 2019/03/10م.

<sup>6</sup> - أنظر الملحق رقم 24: شهادة إثبات وتقدير من طرف قيادة جيش التحرير الوطني على جهوده في القيام بالدعاية لفائدة الثورة وجمع الأخبار والمعلومات.

<sup>7</sup> - محمد السعيد عقيب: الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في الثورة 1955-1962، الشاطبية للنشر والتوزيع، 2012، ط1، ص117.

<sup>8</sup> - عبد الحفيظ أمقران: مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة، الجزائر، 1997، ط1، ص44.

<sup>9</sup> - محمد السعيد عقيب، الاتحاد العام، المرجع السابق، ص118.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ومن هنا نلاحظ أن جل قادة الثورة العسكريين منهم والسياسيين، أو الذين يجمعون بين الأمرين أنهم يختارون مساعديهم عندما يتمكنون من ذلك من بين فئة الطلاب الجزائريين، ومن خلال الأعمال التي أوكلت إلى من يتقلد منصب المحافظ السياسي يتبين لنا أنه لم يكن من السهل على أي شخص تقلده من جهة ومن جهة أخرى فانه من الضروري أن يملك صاحبه مؤهلات علمية وهذا لا يتوفر الا في العناصر الطلابية التي التحقت بالثورة.<sup>1</sup>

وحسب رواية مصطفى بوعابة فانه أخرج عناصر من معهد ابن باديس ليعملوا كمحافظين سياسيين منهم الهاشمي هجرس، عمار بن جامع (القل)، ومحيوت بوساحة من برج منايل ومن الطلبة الذين استعملهم مزهودي للاتصال بالأوراس من معهد ابن باديس، وخاصة ناحية تبسة قتال الوردية، وبلقاسم عالية للاتصال بالمنطقة الثانية.<sup>2</sup> كما نجد أيضا المجاهد السعيد عبادو<sup>3</sup> وهو من طلبة المعهد تقلد منصب محافظ سياسي لجبهة التحرير الوطني في عدة ولايات.<sup>4</sup> أما الأعضاء الذين تقلدوا مسؤوليات قيادية في الداخل منها قيادة الولايات من طلبة معهد ابن باديس والذي تحصل هذا المنصب محمد شعباني<sup>5</sup>، الذي التحق بالثورة وأصبح قائدا للولاية السادسة "الصحراء" منذ شهر جويلية 1959، وذلك بعد استشهاد العقيد سي الحواس في معركة جبل ثامر رفقة العقيد عميروش في 29 مارس 1959م، ولقد كانت حنكته واضحة في ميدان القتال اذ اعتمد استراتيجية عسكرية فقام بتكثيف الهجمات على مراكز العدو ومنشأته خاصة الاقتصادية وزرع الألغام ونصب الكمائن.<sup>6</sup>

كما نجد محمد الصالح يحيايوي<sup>7</sup>، كعضو في مجلس الولاية الأولى في جانفي 1962م والذي شارك في العديد من المجاهبات مع العدو منذ التحاقه بالثورة في 03 مارس 1956م وترقى في جانفي 1962 إلى رتبة رائد جيش التحرير

<sup>1</sup> - محمد السعيد عقيب، الاتحاد العام، المرجع السابق، ص 119.

<sup>2</sup> - أسعد لهلاي، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 180.

<sup>3</sup> - السعيد عبادو: من مواليد 1936 ببرج بن عزوز ببسكرة، درس بمعهد ابن باديس بقسنطينة انخرط في الثورة سنة 1956م، تقلد عدة مهام في الثورة عاصر شعباني، وكان مسؤول مكتب المنطقة ثم مسؤول في غرداية، أعتقل في أزمة شعباني سنة 1964. أنظر: الهادي أحمد درواز: العقيد محمد شعباني، الأمل والألم، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 35.

<sup>4</sup> - الهادي أحمد درواز، المرجع نفسه، ص 36.

<sup>5</sup> - محمد شعباني: ولد في 04 سبتمبر 1934، في أوماش بسكرة بعد التعليم الابتدائي في بسكرة درس في معهد الشيخ ابن باديس، شارك في أولى العمليات عند اندلاع الثورة ثم أصبح كاتباً مساعداً لسي الحواس في منطقة الصحراء ترقى إلى رتبة ملازم وفي أبريل 1958، أصبح ضابط أول سياسي وفي سنة 1959م عين قائدا للمنطقة الثالثة من الولاية السادسة ثم قائدا للولاية السادسة كان لهدور في توسيع العمليات العسكرية في الجنوب الكبير توفي يوم 3 سبتمبر 1964م، أنظر: خلوفي بغداد، المرجع السابق، ص 192.

<sup>6</sup> - محمد العيد مطمر: العقيد محمد شعباني وجوانب من الثورة التحريرية الكبرى، دار الهدى، الجزائر، 1999، ص 154.

<sup>7</sup> - محمد الصالح يحيايوي: (1937-2018) من مواليد بلدية عين الخضر (بريكة ولاية باتنة سابقا) ولاية المسيلة حاليا، من عائلة محافظة التحق بمدارس جمعية العلماء فتلقى تكويناً عربياً إسلامياً، اذ كان والده مديراً وإماماً، التحق بالثورة بالولاية الأولى متنازلاً عن بعثة تعليمية نحو المشرق، فكان من الضباط الأوائل لجيش التحرير الوطني عام 1956م، يحمل وسام أكبر جريح في الثورة لكثرة إصاباته أحرها كانت في جانفي 1962، عين عضواً في قيادة هيئة الأركان ومجلس الثورة، وكان قائدا للناحية العسكرية الثالثة 1964-1969 ثم قائد المدرسة العسكرية لمختلف الأسلحة بشرشال 1969-1977، وعين في أكتوبر 1977 مسؤولاً ومنسقا لجهاز الحزب وكلف بمهمة إعادة هيكلة الحزب وتنظيمه وتنشيط المنظمات الجماهيرية، حيث حصل على تأييد اليسار الجزائري المؤيد للخط الاشتراكي التقدمي، حيث أصبح المرشح الأوفر حظا لخلافة الرئيس الراحل هواري بومدين لكنه لم يحترم مبدأ السياسي على العسكري وفي ماي 1980م تم

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

الوطني وأصبح عضوا في مجلس الولاية.<sup>1</sup> أيضا الشيخ ابراهيم مزهودي، أصبح عضو في مجلس الولاية الثانية برتبة (رائد) والتي أعطيت له في مؤتمر الصومام وكان واحدا من النواب الثلاثة لزيغود يوسف، وقد كلف بمهمة اصلاح أوضاع الولاية الأولى (أوراس النمامشة).<sup>2</sup>

ولا ننسى البطل المجاهد الوردى قتال الذي ارتبط اسمه بأسماء العظماء الكبار الخالدين ونال بسرعة ثقتهم من أمثال مصطفى بن بولعيد وشيخاني بشير وعباس لغرور وعاجل عجول حيث تقلد أخطر المناصب فتكفل أولا بالإعلام والدعاية الحربية والحرب النفسية فهو من كان يكتب المناشير التوجيهية لأبناء الجزائر يحثهم على الالتفاف حول الثورة بأسلوب مؤثر فعال، وهو من تقلد زمام القضاء والتحقيق في المنازعات وفك الخلافات واطفاء نار الفتنة ويعقد الاجتماعات بين الأعراس لتسوية أوضاعهم وفق مبادئ الشريعة الاسلامية، لقد كلفه الشهيد شيخاني بكل ذلك ووضع ثقته فيه ونال بذلك ثقة البقية من قادة الثورة الكبار.

كما خاض معارك فاصلة كمعركة الجرف الشهيرة، وبعدها اتجه قائدا على منطقة سوق أهراس حيث واصل القائد قتال نشاطه بكل الامكانيات المادية والمعنوية والعمل على قطع الصلة بالإدارة الاستعمارية في جميع الميادين ومواجهة مخططاتها وتخطيط مشاريعها العسكرية والاقتصادية والعمل على التفاف الشعب حول ثورته المباركة وهيكله المدن والأرياف في عمل فدائي واستخباراتي محكم، وفي سبتمبر 1956 اثر حادثة تونس والتي نجى منها الوردى قتال، توجه بعدها إلى القاهرة حيث ظل هناك حتى الاستقلال.<sup>3</sup>

أما هلايلي محمد الصغير<sup>4</sup>، فقد تقلد العديد من المهام والمسؤوليات خلال الثورة منها مهمة كاتب عام في البداية لفرع كيمل العسكري في جيش التحرير بقيادة كعباشي عثمان والصالح شنخلو في ذلك خلال سنة 1955م كما عين عضوا في خلية النشر والطبع والتوثيق التي تنحصر مهمتها في طباعة ما يحول إليها من القيادة العليا من وثائق وتعليمات وأوامر عسكرية وسياسية ليتم طبعها ثم تعاد للقيادة العامة.

أصبح كاتب خاص مع عاجل عجول بعدما أستدعي من طرفه، بعد محاولة اغتيال عجول التحق بالناحية الثانية "شلية" تقلد فيها عدة مهام أولها كاتب عام للناحية المذكورة.

---

ابعاده نهائيا = = من الحزب والدولة ليعود إلى عضوية اللجنة المركزية عام 1998 م، توفي عن عمرناهر 81 سنة، أنظر: علجية عيش: محمد الصالح بجاوي رجل بوزن أمة، دراسة تاريخية، دار الأوطان للثقافة والإبداع، الجزائر، 2017، ص ص19-21.

<sup>1</sup> - أسعد الهلالي، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص189.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص189.

<sup>3</sup> - الطيب عبادلية: مذكرات المجاهد القائد الميداني الوردى قتال، دار الأملية، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص ص12-18.

<sup>4</sup> - هلايلي محمد الصغير: ولد بتاريخ 03 ماي 1934 من الأب الشيخ عمر بن بلقاسم وسط عرش كيمل واصل تعليمه الابتدائي بكيمل والثانوي بمعهد ابن باديس ومنه التحق بجامع الزيتونة بتونس ومجرد إعلان الثورة قاطع التعليم والتحق بها مبكرا للمساهمة في تحرير البلاد. أنظر: محمد الصغير هلايلي، المصدر السابق، ص ص19-25.



## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

قام الرائد علي سوايعي<sup>1</sup> بتعيينه عضوا في مجلس الناحية الأولى "أريس" برتبة ملازم أول مكلف بمهمة الاتصال والأخبار.

خلال حملة شال 1960 عين قائدا عاما برتبة ملازم ثاني على الناحية الرابعة "كيمل" وذلك بعد استشهاد قائدها عبد الحميد شعبان، وبعد ترقية يجياوي لمجلس الولاية عوضه كمسؤول عن المنطقة الثانية بالنيابة ثم قائدا عاما عنها برتبة ضابط ثاني إلى غاية توقيف القتال.<sup>2</sup>

وكما يذكر اللواء محمد علاق وهو من طلبة معهد ابن باديس أن أغلب الذين التحقوا بالثورة هم من أبناء المدارس والمعهد، وقد قررت لجنة التنسيق والتنفيذ إرسال دفعات من طلبة المعهد لتلقي تكوين عسكري في كليات الشعوب الشقيقة والرجوع إلى صفوف الجيش الوطني لمواصلة الكفاح.<sup>3</sup>

ويمكن القول أن عناصر معهد ابن باديس رغم قلتهم في هياكل الثورة خاصة قيادة الولايات والقيادة السياسية والعسكرية إلا أن دورهم كان فعالا وأعطوا دفعا مهما لمسيرة الثورة.

### المطلب الثاني: النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الثورة من خلال جريدة البصائر

والحق أن المتتبع لجريدة البصائر في مختلف أعدادها التي تزامنت مع اندلاع الثورة التحريرية أي طيلة حوالي 18 شهرا من العدد 292 إلى العدد 361، وهو آخر عدد لصحيفة البصائر حيث أوقفتها الإدارة الفرنسية نهائيا، يلاحظ مدى اهتمام البصائر بالحوادث، فمنذ اندلاع الثورة خصصت البصائر عدة صفحات يغطيها عمود (يوميات الأزمة الجزائرية) وفيه يتم سرد أخبار الثورة وقد بدأ مع العدد 298 ليوم 27 ديسمبر 1954 والأخبار كانت تنقلها من الصحف والاذاعات الفرنسية والعالمية فبعد اندلاع الثورة بأربعة أيام كتبت<sup>4</sup> "فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث ما يزيد عن الثلاثين ما بين الحدود التونسية وشرقي عمالة وهران الا أن عمالة قسنطينة وخاصة جهاتها الجنوبية... اننا إلى حد هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث وأسبابها وليس بين أيدينا الا ما تناقلته الصحف وشركات الأخبار، فلا نستطيع أن نعلق عليها أدنى تعليق"، فقد حددت الاطار الزمني والمكاني للأحداث بتفاصيل دقيقة من الشرق إلى الغرب وحسب العملات قسنطينة، الجزائر، وهران.<sup>5</sup>

ويقول توفيق المدني في ذلك "أنه وضع البصائر منذ اليوم الأول وباتفاق العلماء في صميم المعركة" حيث يقول "توليت تحرير افتتاحيتها وكان علي أولا أن أتولى النضال عن حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال وفضح الأساليب الاستعمارية القذرة وكان عليا ثانيا أن أتجنب في مقالتي ما تتخذ منه الحكومة ذريعة للإيقاع بالبصائر وضرب جمعية العلماء فكنت أزن كل كلمة أخطها وأن أتحرى دون أن يصاب الموضوع بأذى، وكان عليا ثالثا أن أعرض كل مقال

<sup>1</sup> - علي سوايعي: 1932-1961م مجاهد جزائري قائد الولاية الأولى التاريخية خلال الثورة الجزائرية من افريل 1960-الى غاية استشهاده في فيفري 1961.

أنظر: [www.memoria.dz/chef/23](http://www.memoria.dz/chef/23) تاريخ الزيارة 2/05/2021 14.30.

<sup>2</sup> - محمد الصغير هلايلي، المصدر السابق، صص 26-27.

<sup>3</sup> - محمد علاق: التعليم الحر أثناء الثورة معهد ابن باديس نموذجا، البصائر، العدد 683، 165 ديسمبر 2007، صص 16.

<sup>4</sup> - اسعد الهلالي، جمعية العلماء، المرجع السابق، صص 161، نقلا عن جريدة البصائر: حوادث الليلة الليلية، العدد 292، يوم 05 نوفمبر 1954، صص 01.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، صص 161.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

افتتاحي بصفة سرية بجثة على المكلف من طرف قيادة الثورة بالاشراف على العمل"، وكان يكتب مع بقية أعضاء لجنة البصائر وهم: عبد اللطيف سلطاني والشيخ أحمد سحنون<sup>1</sup> والشيخ حمزة بوكوشة والشيخ باعزير بن عمر<sup>2</sup>، وهذا الكلام من توفيق المدني تعتبر شهادة بحق بأن البصائر كانت تكتب بموافقة الثورة وتحت إشرافها منذ الوهلة الأولى، وإذا ما تتبعنا البصائر سنلاحظ أن هناك حالة ثورة حقيقية من خلال عمود (يوميات الأزمة الجزائرية) في الصفحة الثامنة من كل عدد وهي سرد للحوادث العسكرية والعمليات التحريرية مع تتبع النشاط السياسي والدبلوماسي لممثلي الثوار وجبهة التحرير الوطني، ففي جانفي 1955 تذكر البصائر أن معركة وقعت على الحدود التونسية أسفرت عن مقتل ثلاثة من الثائرين وجرح خمسة منهم وأسر أربعة ومن جهة السلطة قتل واحد وجرح ثلاثة... الخ.<sup>4</sup>

ونجد البصائر تدافع عن الثوار وتعطي دعما إعلاميا ونفسيا للثوار نافية ما ترددته الحكومة الفرنسية على أساس أنها ستقضي على تلك العصابات، فتذكر أن العملية العسكرية الكبيرة التي تقوم بها السلطة الفرنسية لبلاد الأوراس لم تأت بنتائج فتقول<sup>5</sup> "إن الوحدات الجنديّة الحكومية قد أنهكها التعب ونال منها الإعياء نظرا لصعوبة الأرض التي تجري بها العمليات فلم تتمكن من الوصول إلى الأهداف التي حددت لها في هذا اليوم ويمكن القول من الآن أن هذه العمليات لم تحرز الا على مقدار ضعيف من النتائج الايجابية".

أما بخصوص حوادث 20 أوت 1955 فقد تصدرت أخبار جريدة البصائر وكتبت مطولا عن الهجوم التي قام بها الثائرون ومدى فعالية ذلك... ونلاحظ أن البصائر شجعت وأيدت الثائرين المصممين على تحقيق مطالبهم فتقول<sup>6</sup> "ولعل الكثير من الخصوم كانوا يعتقدون أن أمر هذه الثورة قد آل إلى الزوال وانها تسير نحو نهايتها... فاذا بوثة يوم العشرين أوت تمزق عن أعينهم تلك الغشاوة الوهمية وتريهم رأي العين أن هذه الحوادث لم تقع الا من أجل شيء، وانها لن تنتهي الا بشيء".

<sup>1</sup> - الشيخ أحمد سحنون: 1907-2003م ولد ببلدة ليشانة بسكرة، حفظ القرآن الكريم وعمره 12 سنة، وفي سنة 1936 التقى لأول مرة مع الشيخ ابن باديس، اشترك في المجلس الإداري لجمعية العلماء سنة 1947، عينته الجمعية معلما في مدرسة التهذيب الحرة ببولوجين، ويشهد الجميع للشيخ بقوة بلاغته وخطابته، وكان قد كون تنظيما فدائيا سريا في مسجد الأمة سنة 1953، وبعد اندلاع الثورة التحريرية لم يتردد في مساندتها مما أدى إلى سجنه سنة 1956، حكم عليه بالإعدام، ثم أطلق سراحه بعد 3 سنوات لأسباب صحية، التحق بالثورة إلى غاية الاستقلال. أنظر:

www.aljazeera.net/php=index8 تاريخ الزيارة 2020/03/06 20.30

<sup>2</sup> - باعزير بن عمر: 1906-1977م ولد في قرية آيت حماد ضواحي ازفون بمنطقة القبائل الكبرى، درس في زاوية سيدي عبد الرحمن البالوي حيث اتم حفظ القرآن هناك، تعرف على الامام ابن باديس سنة 1928، كان مدرسا في عدة مدارس حرة تابعة للجمعية، أهمها مدرسة الشبيبة خلف جامع كتشاوة بالعاصمة، كان يكتب في صحف الجمعية، تعرض لمحاولة اغتيال من طرف منظمة الجيش السري اثناء الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال واصل مسيرته الإصلاحية إلى غاية وفاته. أنظر: باعزير بن عمر: من ذكرياتي عن الامامين الرئيسيين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الابراهيمي، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ط2، ص 9-16.

<sup>3</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص ص 92-93.

<sup>4</sup> - أسعد لهاللي، جمعية العلماء المسلمين، المرجع السابق، ص 162، نقلا عن جريدة البصائر: يوميات الأزمة الجزائرية، العدد 301، 07 جانفي 1955، ص 08.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 163.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص ص 163-164.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

نلاحظ أن ما كتبه البصائر وبتكريز هو مناصرة للثورة ولو أنه لم يكن مباشرة حتى أن أحد أعضاء جمعية العلماء يذهب إلى أن البصائر كانت منذ اندلاع الثورة، مرآة تعكس المسيرة الجهادية بصدق ومثابرة ويجعل منها لسان الثورة "الشبه الرسمي".<sup>1</sup>

وقد كتب توفيق المدني في افتتاحيات البصائر عدة مقالات تطالب بحق الشعب في تقرير مصيره والاعتراف بجهة التحرير الوطني كمثل وحيد للشعب والثورة وتندد بمجازر الاستعمار في حق الشعب الجزائري.

يقول المدني فقد كتبت في البصائر العدد 297 الصادر يوم 17 ديسمبر 1954 بعنوان "الجزائر فوق كف عفريت" أن "هاته الحالة لا يمكن أن تدوم ولا بد من وضع حد للاستعمار والاستجابة لرغائب الشعب المشروعة".<sup>2</sup>

وفي العدد 313 تحت عنوان "جابهوا الحقيقة بشجاعة وحزم" يقول في خلاصته أن الحل ومعالجة قضايا الشعب الجزائري ومعالجة الحالة المزعجة في القطر الجزائري لا تكون الا بمفاوضات صريحة عميقة واسعة النطاق مع الرجال الذين يمثلون الأمة تمثيلا صحيحا هذه هي الحقيقة الوحيدة فجاهبوا بشجاعة.<sup>3</sup>

وفي مقال بالعدد 327 الصادر يوم 15 جويلية 1955 تحت عنوان "أليس فيكم رجل رشيد" ويتكلم فيها عن الأعمال الارهابية والفظائع التي يرتكبها المستعمر الفرنسي ضد السكان الامنين في القرى والمداشر والجبال حيث يتحصن المجاهدون، حيث يقتلون وتحرق مساكنهم وأرزاقهم بمجرد الظن أنهم أووا الثائرين وأن مجازر 8 ماي 1945 مازالت إلى اليوم ترتكب في حق الشعب الجزائري وأن هاته الشنائع والفظائع لا تزيد الثورة الا تعمقا وقوة في أوساط الشعب.<sup>4</sup>

لقد كانت ثقة جبهة التحرير الوطني بالبصائر جلية، فكانت حقا مرآة عاكسة للثورة خاصة مع نقصان ن لم نقل انعدام الصحافة، ولم يتأتى ذلك الا بعد صدور المقاومة الجزائرية في نهاية 1955م بباريس والمجاهد التي ظهرت لأول مرة كنشرة للثورة في جوان 1956<sup>5</sup> في العاصمة، اذن بالبصائر كانت لها مكانة مهمة لدى جبهة التحرير الوطني والدليل هو نشرها للحوار الذي دار بين بعض قادة جبهة التحرير الذين لم تذكر أسماءهم مع أحد محرري جريدة "فرانس أبسرفاتور" بعنوان "رأي جبهة التحرير الوطني في حل القضية الجزائرية" وكان الحوار عبارة عن سؤال وجواب ومن خلال نشر هذا الحوار يتضح أن الجمعية أرادت أن تمر رسالة إلى الرأي العام الجزائري والفرنسي لأن المحرر عندما طرح سؤالاً يخص شروط وقف اطلاق النار، فكان الجواب بإعلان استقلال الجزائر واطلاق سراح السياسيين منذ سنة 1930م ووقف كل العمليات العسكرية الفرنسية المتعلقة بالوطنيين الجزائريين وأخيرا اعلان العفو عام يشمل كل الذين حوكموا غيايبا من أجل أعمال سياسية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - عبد الرحمان شيبان، حقائق وأباطيل، المصدر السابق، ص263.

<sup>2</sup> - احمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص93.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص103.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص115-117.

<sup>5</sup> - المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954: الاعلام ومهامه أثناء الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الأول حول الاعلام والاعلام المضاد، منشورات القصة، الجزائر، 1998، صص372-373.

<sup>6</sup> - اسعد لهلال، جمعية العلماء، المرجع السابق، صص172-173.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ومما يدل على موافقة قيادة جمعية العلماء على طرح البصائر وأنها منسجمة مع قيادة الداخل في النظرة والتعامل مع الثورة نجد الشيخ الإبراهيمي يرسل رسالة إلى توفيق المدني يشكره فيها على مواقف البصائر "أشكركم على هذا النشاط الذي أفاضه الله عليكم وعلى هذه المواقف المشرفة من قلمكم، فأنا راضي تمام الرضى بالبصائر ومواقفه وما يضرك ما صنعت بعد اليوم، وفقك الله إلى الاستمرار والدوام فلا أفضل لك من هذا وأنت في هذه الحقبة من العمر"<sup>1</sup>.  
لقد استمرت البصائر في الدعاية للثورة وسرد كل أخبار الثورة عسكريا سياسيا واعلاميا وثقافيا، وقد كتبت في عددها الأخير 361 ليوم 06 أبريل 1956 ما يلي<sup>2</sup>: "البصائر... سائرة إلى الأمام في خوض هذه المعركة الحاسمة التي يخوضها الشعب الجزائري المكافح لكسر قيوده وأغلاله واسترداد حريته واستقلاله ولن تحيد البصائر عن طريقها ولن ترجع قيدشعره عما عاهدت الله عليه حتى تفوز بإحدى الحسينيين حسنى السيادة أو حسنى الشهادة"، لكن السلطة الفرنسية قامت بتوقيفها نهائيا في أبريل 1956 نظرا للدور الذي قامت به فكانت حقا كما قال الشيخ عبد الرحمان شيبان اللسان الشبه الرسمي للثورة الجزائرية.<sup>3</sup>

### المبحث السادس: تبلور الفكر الثوري التحرري عند العلماء الاصلاحيين في الجزائر

لقد كان العلماء ثوريون من حيث الأهداف أما في الوسائل فلا يستخدمون الا ما تسمح به عقلية الاستعمار، ولهذا انصرفت الجمعية في نشاطها الدعوي إلى بناء قوة عقائدية مقاتلة مؤمنة بقضيتها الدينية والوطنية عن طريق الاهتمام بالمدارس والتدريس الديني والعام، مدركة حاجة السياسة والقتال إلى سبيل مختلف في التعبئة وبناء الكادر ولذلك خصت مسألة التربية والتكوين باعتبار مميز وكان له شديد التعويل عليها في بناء جيل الرسالة الدينية والوطنية.  
لقد كانت غاية التربية عند رجال الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر المنضوين تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تهدف إلى تكوين جيل قائد في الجزائر، أما كيفية تعليم هذا الجيل فيشرحها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الفقرات التالية "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا في المدينة المنورة في عام 1913م في تربية النشء هي أن لا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة، ولو مع علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعدناه من تلامذتنا".<sup>4</sup>

لقد كان تخطيط قادة جمعية العلماء منذ البدء لهدف سامي بعيد المدى الا أنه كما قلنا سارت الجمعية وعلماءها على ضوء سياسة المراحل حتى وصلت إلى منتهاها، وكما رأينا تطور فكرها السياسي مع تطور الأحداث والوقائع حتى تبلور هذا الفكري الإصلاحي إلى فكر ثوري تحرري نلمسه في أدبيات وطرح قادتها وزعمائها وأيضا نتلمسه في واقع الثورة التحريرية ونتلمس تجلياته بكل وضوح من خلال تجسيد هذا الفكر إلى واقع ملموس ومحسوس وتحقيق الثورة التحريرية من خلال الوصول إلى أهدافها التي هي أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلمائها وطلبها والتفاف وتوحيد الشعب الجزائري للوصول إلى هدف واحد ووحيد هو استقلال الجزائر وخروجها من نير وريقة الاستعمار الفرنسي.

<sup>1</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، ص128.

<sup>2</sup> - اسعد الهلالي، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص173.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص174.

<sup>4</sup> - عبد الغفور شريف، مرجع سابق، ص88.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ان توجه جمعية العلماء كما يروج لم يكن إصلاحيا بالمعنى السياسي للكلمة كما شاع استعماله في الغرب حيث مصطلح الإصلاح (Reforme) يصنف في مقابل كلمة "الثورة" لكن الإصلاح لدى الجمعية بالمفهوم الإسلامي للكلمة ينطبق على مصطلح "الثورة" بكل ما يحمله من تجديد ونهضة ونضال وجهاد".<sup>1</sup>

ان مشروع الثورة في تصور جمعية العلماء يبدأ بتحضير الظروف المناسبة عبر أنشطة سياسية واجتماعية ودينية وثقافية وحجر الزاوية في ذلك اعداد جيل مهيب ومقتنع بالثورة ولهذا تم التركيز على التعليم العربي الحر، وحده الكفيل بإعداد شبان نافعين يشعرون بهويتهم المستقلة ويشكلون كيانهم المتميز داخل الدولة الفرنسية ويستطيعون حمل مشعل الثورة.<sup>2</sup> ولنبين هذا التوجه الثوري التحرري نحاول أن نستعرض أفكار وطروحات قادة ومؤسسي التيار الإصلاحي في الجزائر والذي يؤكد هذا التوجه وذلك من خلال خطبهم وكتاباتهم ودروسهم لتلاميذهم وسنركز على الخصوص على فكر الشيخ عبد الحميد ابن باديس مؤسس الجمعية ورفيق دربه في النضال ونائبه البشير الإبراهيمي في ذلك.

### المطلب الأول: الفكر الثوري التحرري عند ابن باديس

لقد كان ابن باديس مؤمنا بالحرية واعتبرها حقا شرعيا للإنسان وبدونها تنعدم وتزول إنسانيته، فحق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة، كما أكد الشيخ ابن باديس على أن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا ولم يكن من الذين يدعون علم الغيب مع الله تعالى، ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم للأبد، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ، فمن الممكن أن تزداد تقلبا وتصبح الأمة الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا تعتمد عليه فرنسا اعتماد الحر على الحر.<sup>3</sup>

لم يكن ابن باديس من النوع الذي يؤثر القول على الفعل بل كان من النوع الذي يقرن الأقوال بالأفعال، فكما أنه علم جماهير الأمة ونفض غبار الجهل عنها وصقل روحها العامة، فانه كذلك وصل ليله بنهاره من أجل أن تنعم بلاده بالحرية، حيث كان يسأل تلاميذه ان كانوا قد أدوا الخدمة العسكرية فمن أداها منهم ميزه عن زملائه وأشار إلى أنه سيحتاجهم يوما.<sup>4</sup>

لقد كانت نظرة الإمام ابن باديس العميقة والبعيدة لمبدأ الاستقلال، تتمثل في أنه لا يمكن أن يتحقق من غير تحرير الشعب من القابلية للاستعمار، المتجذرة فيه وفي هذا يقول "الاستعمار ما مكن لنفسه في بلاد المسلمين الا بقوة المسلمين، فلو أنهم قطعوا عنه قوتهم لانكمش وانقلب إلى أهله مذموما مدحورا"<sup>5</sup>

ولذلك - وكأمر استراتيجي عملي - جعل الإمام كل اهتمامه منصبا ومحصورا في العناية بالتعليم، وتفريغ كامل جهوده - وجهود إخوانه علماء وأساتذة - فيه، وكان يقول "أنا أحارب الاستعمار لأني أعلم وأهدب، ومتى انتشر التعليم والتهذيب في أرض، أجذبت على الاستعمار وشعر بالنهاية بسوء المصير".

<sup>1</sup> - محمد الميلي، زمن البراءة، المصدر السابق، ص 407.

<sup>2</sup> - عبد الله مقلاتي، دور الشيخ، المرجع السابق، ص 166-167.

<sup>3</sup> - فراس حمد فرسوي: الفكر التحرري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمان، الأردن، 2009، ص 60.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 60.

<sup>5</sup> - عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1999، ط 1، ص 158.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

لأنه بالتعليم يتغير الإنسان، ويبدأ يحس بحريته وكرامته وبجدارته في أخذ قسطه من الحياة الحرة الكريمة والتي فطره الله عليها "فاذا حررنا أرواحنا وعقولنا فقد حررنا كل شيء"<sup>1</sup>. ولا يمكن أن يتحرر شعب من رقة الاستعمار ويصير جديرا بالحرية وحياة الكرامة، "الا بتحول نفسي يصبح معه الفرد شيئا فشيئا، قادرا على القيام بوظيفته الاجتماعية جديرا بأن تحترم كرامته وحينئذ يرتفع عنه طابع (القابلية للاستعمار) وبالتالي لن يقبل حكومة استعمارية تنهب ماله وتمتص دمه فكأنه بتغيير نفسه قد غير وضع حاكميه تلقائيا، إلى الوضع الذي يرتضيه"<sup>2</sup>، وبذلك وحده يتمكن ابن باديس - مع مرور الزمن - من خلال عمل وفاعلية حركته الإصلاحية الجهادية الفردية والجماعية من تحقيق شرطي التغيير النفسي والاجتماعي للمجتمع الجزائري مما يؤهله إلى أن يخوض به ثورة مسلحة - فيما بعد - ينتزع بها حريته واستقلاله الكاملين، وهكذا كان الإمام حريصا على العمل على انضاج الثورة "على نار هادئة، وهذه النار الهادئة، هي تطوير الفكر الثوري بالعلم والمعرفة، حتى لا تضيع التضحيات سدى وحتى لا تسيل الدماء هدرا"<sup>3</sup>.

ولذلك لم يكن ليشغل نفسه، ويضيع وقته ويبدد جهده وجهود إخوانه في التغني بشعارات فارغة من محتواها ومضمونها الحقيقي، وكان موقفه "تكتيكا لا يطالب بالاستقلال التام وقد يثير فرنسا فتحكم قبضتها في وقت بدأت تنكشف فيه نذر الصراع العالمي لكن يجعل مطالبه في الحفاظ على الشخصية الجزائرية الإسلامية العربية، ما يكفل تفرغ الاستعمار من محتواه ومعناه، حتى يأتي أوان سقوط الشكل، كما فرغ المضمون"<sup>4</sup>.

وبهذه الصورة يتحقق الانجاز التاريخي، الذي يتجاوز بمنهجه العملي التغيير العيني البطولي سريع الزوال، لأن تحرير الجزائر طريقه طويل وعمر، لابد أن تتظافر عليه الجهود، وتتابع الأجيال، "وإنما تبلغ المسيرة غايتها حين يقوم جيش من الشباب يحمل فكرة الجمعية وعقيدة الإسلام، وأن يكون تلاميذ ابن باديس نقاط جذب لمئات الآلاف، أنصاف الفكرة، حملة العقيدة ممن يجمعهم إيمان واحد وفكرة واحدة"<sup>5</sup>.

### من أقوال وتصريحات ابن باديس الداعية للثورة على الاستعمار

بعد أن أعد ابن باديس وإخوانه العلماء جيشا من الطلبة والمؤيدين المتحررين من نير الاستعباد الاستعماري وبعد أن تأكد الشيخ الامام بأن المستعمر لا تنفع معه السياسة ولا المهادنة أخذ يدعو إلى الثورة ويحث عليها ويسعى في ذلك، فعندما كانت بؤادر الحرب العالمية الثانية في الأفق، وتجدد فرحات عباس مع الجيش الفرنسي كطبيب، كان ابن باديس يشعر بالأسى والألم لذلك، وصرح لبعض تلاميذه: "لو استشاروني، واستمعوا إلي وعملوا بقولي لأشرت عليهم بصعودنا جميعا إلى جبال الأوراس، وإعلان الثورة المسلحة، ولو وجدت عشرة من عقلاء الأمة الجزائريين وافقوني على إعلان الثورة لأعلنتها"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس، المرجع السابق، ص158.

<sup>2</sup> - مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص122.

<sup>3</sup> - بسام العسلي: عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، 1982، ط1، ص124.

<sup>4</sup> - عبد الرشيد زروقة، المرجع السابق، ص159.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص159.

<sup>6</sup> - عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المصدر السابق، ص214.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ولم ينتظر الإمام وجود هؤلاء العشرة بل باشر العمل مع من حوله ممن يوافقونه على الفكرة، وحدد تاريخ إعلانها بدخول إيطاليا الحرب بجانب ألمانيا على فرنسا مما يحقق هزيمة فرنسا السريعة لكن المنية أعجلته قبل أن يدرك مراده ببضعة وخمسين يوماً فقد توفي في 16 أبريل 1940 بينما دخلت إيطاليا الحرب في 10 جوان 1940.<sup>1</sup>

ورغم هذا الالتزام بمنهجية العمل والحركة تصورا وتطبيقا وباحترام الإجراءات المرحلية في مواجهة الأعداء واحدا واحدا فان نفسية الإمام وأشواقه الروحية كانت تواقه إلى التضحية في سبيل هذه الأمة بالنفس والروح بعد أن قدم لها حياته وعمره وأوقفهما على إصلاح أوضاعها وتغييرها وجهاد أعدائها، يذكر الأستاذ إبراهيم الكتاني أنه كان في خريف سنة 1937م في تلمسان بمناسبة تدشين مدرسة (دار الحديث)، وقد رافق الامام ابن باديس الوفد إلى حيث أطلال مسجد المنصورة، حيث حرر نداء يدعو فيه الأمة الجزائرية للصيام وملازمة المساجد، بمناسبة ذكرى مرور مائة سنة على احتلال قسنطينة، ولما قرأه على الوفد جعل أحد تلامذته يثبط عزيمته ويحذر مغبة نشره، فغضب ابن باديس وقال "يا أبنائي انكم تعلمون أي لم أطلب أي شيء لنفسي، ولكنني اليوم أطلب لنفسي شيئا واحدا وهو أن تسمحوا لي أن أكون أول ضحية في سبيل الجزائر، عندما يحين الوقت للتضحية في سبيلها".<sup>2</sup>

ويقول الشيخ ابن باديس "أننا نربي ونعلم ونهيمى الأمة، لتصير جديرة بالحرية وقادرة على أخذها بالقوة لأن الاستقلال لا يطلب بالكلام، أو بالشعارات" بل يتنزع بالقوة وبذل الدماء ويوجه الدعوة للعمل الاعدادي لذلك يقول "فلنوحد الصفوف ونجمع الأمة على كلمة واحدة، فتصبح في منعة من بطش عدوها ونكون المجاهدين فيصبحوا قادرين على الجهاد، ثم نتجه بعد ذلك إلى تحقيق الاستقلال ولا نكون من الخياليين الذين عناهم الشاعر العربي بقوله:

لنا الأمل نبيها قصورا  
على عمد الكلام فهل تقام؟<sup>3</sup>

وهذا الكلام الذي قاله لتلاميذه قاله أيضا لمصالي الحاج الذي كان يطالب بالاستقلال بنص "وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل، أن يتركه بدون سقف، وما غايتنا من عملنا الا تحقيق الاستقلال".<sup>4</sup>

كما كان ابن باديس كلما سأله اخوانه وتلاميذه "كيف يمكن خلاص الجزائر من قبضة الاستعمار؟ فكان يشير إلى الجبال قائلا: هناك سيكون الخلاص".<sup>5</sup>

ويقول الشيخ أحمد حماني وقد سمعت من الشيخ محمد الصالح بن عتيق، أنه انفلت من الرقابة الاستعمارية - ابن باديس - المضروبة عليه بقسنطينة، وزار الميلية خفية وسأله عن درجة استعداد الأمة، فأجاب: ان رجال الميلية سيجدهم (رجال البارود)، ودعاه إلى النزول فاعتذر بأن الزيارة قصيرة لا تسمح له بطول الإقامة".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - فراس حمد فرسوني، المرجع السابق، ص116.

<sup>2</sup> - محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج1، ص407.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص ص348-349.

<sup>4</sup> - عمار الطالبي، المرجع السابق، ص89.

<sup>5</sup> - عبد الرشيد زروقة، المرجع السابق، ص162.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص163.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وفي سبتمبر 1937 كتب الامام ابن باديس في مجلة الشهاب يوضح منهج العمل لاستعادة الاستقلال، وهو (تكوين جبهة موحدة) وهو المنهج الذي طبق سنة 1954، بتأسيس جبهة وجيش التحرير الوطني، قال الامام ابن باديس مخاطبا الجزائريين عموما والقيادات الفكرية والسياسية خصوصا "كونوا جبهة متحدة لا تكون المفاهمة الا معها"، وهذا ما وقع، اذ عندما كون الجزائريون جبهة متحدة، اضطرت فرنسا إلى مفاوضاتهم والاعتراف بما كانت تنكره عليهم.<sup>1</sup> وأخيرا نقول كما قال الأستاذ محمد الهادي الحسني: قرأ الناس وسمعوا عن الامام عبد الحميد ابن باديس بأنه كان عالما ضليعا ومصلحا كبيرا ومربيا خبيرا وصحافيا قديرا، ولكنهم لم يسمعوا - الا قليل منهم - أنه كان ثوريا، ولهذا قد يستغربون أن يوصف بهذا الوصف، وان سبب هذا الاستغراب هو عدم إلمام أكثرهم بأفكار هذا الإمام، ولأنهم تعودوا على أن هذا الوصف لا يطلق الا على من حمل السلاح وأكثر الصياح.<sup>2</sup>

وبهذا يعتبر فكر ابن باديس الاصلاحية مرحلة هامة لا بد منها لكل ثورة تحريرية مسلحة، حيث لا تنجز الثورة المسلحة الا بتدبير من عقول تحررت من الجهل ومن سواعد كسرت الأغلال وأياد مزقت قيود الاستبداد ومن قلوب تخلصت من الخوف من العدو ومهما كانت قوته ومهما كان نوعه، ومن نفوس أعدت للجهاد والتضحية بالنفس والنفيس من أجل ما هو أنفس، وعليه يمكننا القول بأن "ما لا تتم الثورة به فهو ثورة، بل يعتبر كل ذي عقل سليم وفكر قويم مثورا".<sup>3</sup> وهكذا كان ابن باديس رصينا في عمله واع بدوره في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الجزائر، فلا هو انساق وراء سراب المطالب السياسية في تلك المرحلة المتقدمة (الاستقلال) أو الاستسلام والانصياع إلى حين (الادماج) بالنظر إلى أوضاع الجزائريين بل كان مؤمنا أشد الإيمان "بأن العمل سبقه العلم ومن بدأ بالعمل دون علم لا يأمن على نفسه من الضلال".<sup>4</sup>

ونكتفي بهاته الاقوال والكتابات والمواقف للشيخ عبد الحميد ابن باديس وهي كثيرة والتي تبين بشكل جلي الفكر الثوري التحرري الذي تبناه قائد علماء الجزائر منذ البداية وسار به حتى نهاية حياته، وهو منهج عملي واقعي وما مهادنة الاستعمار والتعامل معه سياسيا سوى لإقامة الحجة عليه واثبات بطلان أقواله.

### المطلب الثاني: الفكر الثوري التحرري عند البشير الإبراهيمي

لقد واصل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نهج سلفه ابن باديس في طرح الفكر الصحيح الاصلاحية الذي في حقيقته فكر ثوري تحرري محض يسعى ويعمل للتحرر من ريقة الاستعمار الفرنسي الذي جنم على الأمة الجزائرية، وتتجلى هذه النظرة التطابقية بين الزعيمين فيما كتبه الشيخ الإبراهيمي الرئيس الثاني لجمعية العلماء في مذكرة تاريخية رفعها - باسم جمعية العلماء - إلى جامعة الدول العربية، نشرتها صحيفة "منبر الشرق" وصحيفة "الدعوة" في أوت 1954 بالقاهرة جاء فيها "مبدأ جمعية العلماء يرمي إلى غاية جلية، فالمبدأ هو العلم والغاية هي تحرير الشعب الجزائري، والتحرير في نظرها قسمان تحرير العقول والأرواح من الأوهام في الدين وفي الدنيا، كان تحرير الأبدان من العبودية

<sup>1</sup> - عبد الرحمان شيبان، حقائق وأباطيل، المصدر السابق، ص 203.

<sup>2</sup> - محمد دراجي: ابن باديس في عيون معاصريه، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ط 1، ص 149.

<sup>3</sup> - محمد دراجي: ابن باديس، المرجع السابق، ص 150.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 151.



## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

والأوطان من الاحتلال متعذرا ومتعسرا، حتى اذا تم منه شيء اليوم، ضاع غدا، انه بناء على غير أساس والمتوهم ليس له أمل فلا يرجى منه عمل لذلك بدأت جمعية العلماء منذ نشأتها بتحرير العقول والأرواح تمهيدا للتحرري النهائي".<sup>1</sup>

ويقول الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله "الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان والشهادة التي يؤديها لوجه الحق حتى رجال الاستعمار هي أن أول صيحة ارتفعت بحرية الجزائر، كانت من لهاة عبد الحميد ابن باديس ولسانه، وأن أول صخرة وضعت في أساس نهضة الجزائر بجميع فروعها من علمية وسياسية واجتماعية وأخلاقية انما وضعتها يداه...".<sup>2</sup>

وللشيخ الإبراهيمي عدة آراء حول الاستعمار تصب كلها في تكريس معاداته والعمل على التخلص منه، "إن الإسلام والاستعمار ضدان لا يلتقيان في مبدأ ولا في غاية، فالإسلام دين الحرية والتحرير، والاستعمار دين العبودية والاستعباد، نستنتج من كل ذلك أن الاستعمار عدو لدود للإسلام وأهله، فوجب في حكم الاسلام اعتبار الاستعمار عدو لدود للإسلام وأهله، أن يطبقوا هذا الحكم وهو معاداة الاستعمار لا موالاة".<sup>3</sup>

ويقول الشيخ أيضا "جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت والاستعمار سل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح"، وكلامنا موجه إلى فرنسا الاستعمارية وإلى آلات الاستعمار من عقول وأفكار ورجال وهيئات، فلا تتجاوز الظنون بنا هذه الدائرة".<sup>4</sup>

وهكذا نجد في كتابات الشيخ الإبراهيمي تركيزا مباشرا لا يميل إلى التلميح أو الترميز لأن الموقف يستوجب الخيار بين أمرين:

- اما الخضوع للسلطة الاستعمارية والحصول على الامتيازات.

- أو التوجه إلى الشعب مما يؤدي إلى غضب السلطة.

فاختار الإبراهيمي الخيار الثاني مما دفعه إلى تبصير الشعب بحقيقة الخطر وإلى تعبئة الغافلين وقهر دعاة الاستعمار وأنصاره قائلا "يا هؤلاء؛ ان الاستعمار شيطان، وأن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وان الاستعمار شر ومحال أن يأتي الشر بالخير، ومحال أن يجنى من الشوك العنب".<sup>5</sup>

ويقول الشيخ البشير الإبراهيمي في تعريف العمل السياسي الحقيقي للجمعية "... (يا حضرة الاستعمار) إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتفهم حقائقه وإحياء أدايه وتاريخه تطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها وتطالبك باستقلال قضائه، وتسمي عدوانك على الإسلام ولسانه ومعابده وقضائه، عدوانا بصريح اللفظ، وتطالبك بحرية التعليم العربي وتدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن وتعمل لإحياء اللغة العربية وأدائها وتاريخها في موطن عربي وبين قوم من العرب وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا، وتعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم. وتذكر المسلمين الذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم وسير

<sup>1</sup> - عبد الرحمان شيبان، حقائق وأباطيل، المصدر السابق، ص200.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص201.

<sup>3</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص68.

<sup>4</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص124.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص125.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

أعمالهم وأجداد تاريخهم. وتعمل لتقوية رابطة العروبة بين العربي والعربي، لأن في ذلك طريق إلى خدمة اللغة والأداب، فاذا كانت هذا الأعمال تعد في فهمك ونظرك سياسة، فنحن سياسيون في العلانية لا في السر، وبالصرحة لا بالجمجمة".<sup>1</sup> ولطالما دعا بفصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية ولكنها كانت دعوة غير مباشرة لفصل الجزائر عن فرنسا.

ونقول هنا أن ثمار تلك الجهود التي قامت بها جمعية العلماء في تربية النشء وتعليمه قد ظهرت مع ثورة أول نوفمبر 1954، حيث أن مناهج التعليم التي كانت تقرر بين تعليم اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي هي التي خلقت ذلك التلاحم الفكري العقائدي أثناء الثورة ولما كانت الدعوة إليها وفق تلك التعاليم التي انتشرت في ربوع الجزائر فقد كان من السهل على الشعب أن يتبنى العمل الثوري ويدخل فيه دون تردد على العكس من ذلك لو كانت الدعوة للثورة من أطراف أخرى، اذ وبعد قيام ثورة أول نوفمبر 1954 أصبح هم أغلبية الجزائريين كيفية التخلص من الاستعمار بصفة نهائية واسترجاع السيادة الوطنية، فانقلبت الأوضاع وأعلن الجهاد باسم الاسلام والقرآن وقام الشعب الجزائري كرجل واحد لمكافحة العدو.<sup>2</sup>

ولعل أحسن ما يعبر عن تبني قادة جمعية العلماء لهذا الفكر الثوري التحرري منذ بداية انطلاقته الأولى والعمل على بث الوعي الوطني التحرري الاستقلالي وتعبئة الطاقات ليوم الخلاص والانعتاق ما كتبه صحيفة "صدى باريس" (L'écho de Paris) لسان حال النخبة الفكرية الفرنسية ونشرته جريدة "البصائر" بالعدد 61، بتاريخ 2 أبريل 1937 جاء فيه "إن الحركة التي يقوم بها العلماء المسلمون في الجزائر، أكثر خطرا من جميع الحركات التي قامت حتى الآن فيها، لأن العلماء المسلمين يرمون من وراء حركتهم هذه إلى هدفين كبيرين: الأول سياسي والثاني ديني.... فهم لا يسعون إلى إدماج الجزائر بفرنسا بل يفتشون في القرآن نفسه عن مبادئ استقلالهم السياسي".<sup>3</sup>

**المبحث السابع: تأثير العامل الديني للعلماء الإصلاحيين في الفكر الثوري التحرري وتجلياته في الثورة التحريرية الجزائرية**

يقودنا الكلام عن تأثير العامل الديني لعلماء الإصلاح في الجزائر في الفكر الثوري التحرري إلى الحديث عن الجهاد في الإسلام وإسقاطه على الفكر الثوري التحرري الذي قامت عليه الثورة الجزائرية ومدى تأثيره في مبادئ وأفكار قادة ورجال الثورة التحريرية وأيضا في تجلياته على مستوى واقع الثورة التحريرية.

### المطلب الأول: أثر الفقه الجهادي في الثورة التحريرية

#### 1-تعريف الجهاد

**لغة:** هو مصدر جاهد، جهاد ومجاهدة، وجاهد فاعل من جهد، إذا بالغ في قتل العدو، ويقال للمريض جهده المرض، إذا بلغ به حد المشقة وهو مأخوذ من مادة (ج.ه.د)، والجهد بالضم هو الطاقة، وبالفتح هو المشقة والجهاد في اللغة يشمل كل جهد يبذله الشخص وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بقتال العدو.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد بشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص62.

<sup>2</sup> - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص322.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان شيبان، حقائق وأباطيل، المصدر السابق، ص202.

<sup>4</sup> - محمد بن يعقوب الفيروز أبادي مجد الدين: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، 2005، ص351.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

اصطلاحاً: يرد الجهاد في التعريف الاصطلاحي على معنيين عام وخاص وسنكتفي بذكر المعنى الخاص والذي هو موضوع بحثنا.

**المعنى الخاص:** وأما المعنى الخاص للجهاد فهو أن الجهاد يراد به قتال الكفار وقد استقر لفظ الجهاد على هذا المعنى، فحينما أطلق في كتب الفقهاء انصرف إليه دون غيره، قال ابن رشد: فكل من أتعب نفسه في ذات الله تعالى فقد جاهد في سبيل الله، إلا أن الجهاد في سبيل الله تعالى إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.<sup>1</sup>

وانطلاقاً من هذا فإن أهم تعريف شامل وجامع للجهاد ويثبت هذا المعنى هو تعريف المالكية: (هو قتال مسلم كافر غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى أو حضوره له أو دخوله في أرضه). وهذا التعريف هو الأقرب والأنسب لتحقيق المقصود من مفهوم الجهاد فهو قد جاء دالاً عليه بألفاظ جامعة مانعة.<sup>2</sup>

وبالنظر إلى هذا التعريف -المختار عندنا - وعند اسقاطه على موضوع البحث نجد أن ألفاظه وعباراته ومعانيه تنطبق بشكل تام على الثورة الجزائرية إذ أن الشعب الجزائري المسلم قاتل المستعمر الفرنسي الكافر الذي ليس له أي عهد وقد كان القتال لإعلاء كلمة الله تعالى، بدليل شعار "الله أكبر"، الذي انطلقت به الثورة، وهي أقوى عبارة لإعلاء كلمة الله تعالى، واسترجاع الأرض التي اغتصبها المحتل عند دخوله إلى هذه الديار، وكان هذا استجابة للفتاوى الشرعية التي أصدرها العلماء.<sup>3</sup>

### 2- أثر الفتاوى الشرعية لعلماء الاصلاح في الفكر الثوري التحرري للثورة التحريية

أما الثورة الجزائرية فقد تجلى فيها الجهاد المقدس في أرقى صورته ومظاهره من قتال للكفار المحاربين الذين اغتصبوا الأرض وانتهكوا العرض، وبهذا اتفقت أقوال العلماء على مباركة الثورة ودعمها بكل الوسائل.<sup>4</sup> وقد كانت الفتاوى الشرعية التي تمثلت في بيانات وتصريحات قادة جمعية العلماء السند الشرعي للثورة التحريية الجزائرية نذكر منها:

**الفتوى الأولى:** صدرت بتاريخ 15 نوفمبر 1954 أي في الأيام الأولى لبدء العمليات العسكرية، فالثورة بدأت في أول نوفمبر وهذا البيان صدر في القاهرة في 15 نوفمبر ووقعه الإبراهيمي والفضيل الورتلاني ومما جاء فيه "أيها المسلمون الجزائريون حياكم الله وأحياكم وأحيى بكم الجزائر وجعل منكم نورا يمشي بين يديها ومن خلفها هذا هو الصوت (يقصد صوت البندقية) الذي يسمع الأذان الصم، وهذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها إلى الأذهان البليدة فهللوا إلى الكفاح"، ولكي يكون النداء فتوى قال بعد ذلك "وأذكروا قبل ذلك كله قوله تعالى وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله وقول الله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - التركي باهي: فقه الثورة الجزائرية، دار الشهاب، باتنة، 2017، ص97.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص98-99.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص101.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص103.

<sup>5</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص35.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

**الفتوى الثانية:** وهي تحريم الفرار والتراجع عن القتال ، وقد ضمنت في البيان السابق نفسه بعبارة "نعيدكم بالله أن تتراجعوا" وفيها قول الامام الإبراهيمي ورفيقه مخاطبا الجزائريين "وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبني فنعيدكم بالله وبالإسلام أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم، ان التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السرمدى" وفي هذا القول ما فيه من تأكيد الحكم الشرعي الوارد في سورة الأنفال "يا أيها اللذين آمنوا، اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار"<sup>1</sup>، كما أنه يذكر بقول النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد "ما كان لنبي اذا لبس لأمته للقتال أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبينهم"<sup>2</sup>.

**الفتوى الثالثة:** وهي لا تقل أهمية نظرا لأن المناورات والمحاورات السياسية ونظريات الادمج والفرنسة... الخ كانت موجودة ولهذا فالفتوى الثالثة كانت مطلوبة لأن الجهاد بدأ، قبل ذلك كان كل واحد يحاور ويجتهد وهو معذور لكن بعد بدء الجهاد ورفع السلاح كان لابد من فتوى بتحريم موالاته العدو الكافر، وقد جاءت هذه الفتوى في كلمة أذيعت من اذاعة "صوت العرب" في القاهرة سنة 1955 بعنوان "موالاته المستعمر خروج عن الاسلام"، وفي ذلك البيان من كلام الامام الإبراهيمي قوله "لا توالوا الاستعمار فان موالاته عداوة لله وخروج عن دينه ولا تعاهدوا فانه لا عهد له ولا تأمنوه فانه لا أمان له ولا ايمان ولا تحالفوه فان من طبعه الحيواني أن يأكل حليفه قبل عدوه"<sup>3</sup>.

**من فتاوي الشيخ العربي التبسي الشرعية لدعم الثورة ومساندتها** حيث كان الشيخ العربي التبسي من الذين استشرفوا ثورة الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ففي كلمة له بعد عودته من المشرق يوم 05 أكتوبر 1954 قال "عما قريب ستنمخض الأيام عن مولود جديد" ومما أضافه قائلاً لمحدثيه "ان القوم يرون وجوب الخيار بين اثنين اما الثورة والكفاح المسلح، واما الاعلان مع الاستعمار بأن الجزائر غريبة ليست عربية ولا اسلامية ثم ان العروبة يأبى لها شممها الخنوع ويستنكف بنوها من الخضوع والحياة تقول "النار ولا العار" ولأن الاسلام تنص آياته الكريمة بالبلاغة الصارخة في سورة النساء: ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا"، وعليه فالثورة هي الحل الوحيد الذي لا اختيار للجزائر في غيرها"<sup>4</sup>.

وهو الذي أفتى المجاهد شريط لزهري<sup>5</sup> صراحة لبياسر عملياته الجهادية المسلحة ضد قادة وحدة الدرك ودورياته بضواحي الشريعة (ولاية تبسة) التي أدت إلى قتله مع ستة من دركبيه يوم 17 أكتوبر 1954.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - سورة الأنفال، الآية 15.

<sup>2</sup> - رواه الامام أحمد في الصحيح.

<sup>3</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص178.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص179.

<sup>5</sup> - شريط لزهري: 1914-1957م ولد بتازينت ضواحي تبسة، أدى الخدمة العسكرية الاجبارية خلال الحرب العالمية الثانية، عاد بعدها إلى ممارسة تجارة الأسلحة والأقمشة بين الجزائر وتونس، في سنة 1953 انتقل إلى تونس وانضم إلى الجيش التونسي كمتطوع، وساهم في جمع الأسلحة لدعم الثورة التونسية، التحق بالثورة التحريرية على مستوى الجبل الأبيض فقام بتشكيل الافواج الأولى، قاد العديد من المعارك، أشهرها معركة أرغو، وقد أصاب ببندقيته القائد الفرنسي بيجار، وكان من معارضي قرارات مؤتمر الصومام وقد كلف ذلك حياته قبل صيف 1957 مع الشهيد عباس لغرور. أنظر: الطاهر جبلي، دور القاعدة، المرجع السابق، ص305.

<sup>6</sup> - أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص423.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وأيضاً فتواه الشرعية حيث أرسل اليه المجاهدون يستفتونه في جواز الافطار في شهر رمضان للمجاهدين، فأجازها للمجاهدين المسافرين فقط، وتوقف عند المجاهدين المقيمين معبراً أن علة الافطار في شهر رمضان السفر، وقال أن استقلال الجزائر على الأبواب فلنقابله بالطهارة والايمان.<sup>1</sup>

وفي الحقيقة فان جمعية العلماء كانت تحظى بشعبية كبيرة في أوساط الشعب الجزائري سواء في الأرياف أو في المدن وكانت في نظر الشعب الجزائري... المرجع الأساسي في المسائل الدينية، بعد أن فقد الثقة في الطرق الصوفية بفعل مواقف بعضهم ودعاية العلماء ضدهم وعلى هذا فان تأييد العلماء للثورة وانضمامهم إليها يعتبر فتوى شرعية لصالح الثورة أضفت عليها طابع الجهاد الإسلامي ولا يخفى تأثير ذلك على الشعب الجزائري وخاصة على الأوساط الريفية، ولعل هذا التأييد دفع أطراف عديدة من عامة الشعب إلى الانخراط في الثورة والعمل لها وذلك عقب انضمام كل من حزب البيان وجمعية العلماء للثورة فهذه التركيبة الدينية والسياسية أعطت للثورة شعبية كبيرة كانت مفتقرة إليها من قبل ذلك، وأصبح أفراد جيش التحرير الوطني وجبهة التحرير يجدون كل التسهيلات والإعانات والخدمات من قبل الشعب كما أشار إلى ذلك أحد الصحفيين الفرنسيين.<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: تأثير الفكر الجهادي الإسلامي لجمعية العلماء في مبادئ وأفكار الثورة التحريرية

ان الدارس لتاريخ الثورة والوسائل التي استخدمتها لا يجد عناء في تقرير التوجه الذي اختاره مفجرو الثورة الذين تبناوا الفقه الجهادي بكل قواعده وأسسها التي نص عليها الفقهاء في مختلف مسائل الجهاد، فقد بدأ واضحاً إن موقف قيادة الثورة كان مبنياً على فقه عميق ومعرفة دقيقة بالأراء والأقوال الفقهية، اذ اعتمد الثوار على الفقه الإسلامي في دلالة صريحة على أنهم قد انطلقوا في عملهم بناء على الخلفية الشرعية وبالنظر إلى الوسائل والشعارات التي استخدمتها قيادة الثورة يمكننا تأكيد هذه الحقيقة بما لا يدع مجالاً للشك.<sup>3</sup>

ويقول الأستاذ المجاهد محمد زروال في كتابه الحياة الروحية في الثورة الجزائرية "لقد نجحت جبهة التحرير الوطني بنجاح كبيراً في تحقيق فكرة "الشعبية في الميدان لمواجهة العدوان"، ولم يكن هذا النجاح ليحالفها لو أنها لم تركز جهودها على عوامل كثيرة هي عامل الاعتقاد الديني، عامل الاعتقاد السياسي في العمل من أجل تجسيد هدف كبير، عامل الوحدة الترابية الوطنية وعامل اللغة، على أن عامل الاعتقاد الديني هو ما تطمئن اليه النفس اطمئناناً باطنياً أكثر من العوامل الأخرى، فالأساس الاعتقاد الديني اذن هو الذي تبنى عليه الحركات الشعبية المؤمنة التي لا يمكن أنتخلخل بسهولة ولا أن تتزعزع بيسر...".<sup>4</sup>

وقد علل الدارسون للثورة الجزائرية هذه الوحدة بأنها شكلت منذ البدء مؤشراً كبيراً من مؤشرات الأسباب المباشرة في تحقيق النصر وتوافر عوامله التي يجب أن ترتبط بعامل الاعتقاد الديني الذي تجدد فيه النفس المؤمنة ملاذها الباطني

<sup>1</sup> - أحمد عيساوي، المرجع السابق، ص 424.

<sup>2</sup> - عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص 185.

<sup>3</sup> - باهي التركي، المرجع السابق، ص 124.

<sup>4</sup> - محمد زروال: الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994، ص 39.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وعالمها الروحاني الخفي الذي لا يفتأ يزودها بهذه الطاقة الملوكية العلوية الهائلة التي تكسبه منعة ذاتية تدفعه دائما إلى طلب الشهادة فيقبل عليها راضيا بما مطمئنا اليها.<sup>1</sup>

ويقول الشيخ محمد الصالح الصديق "ان جمعية العلماء هي التي أعدت الانسان الجزائري عندما اندلعت الثورة أولا كان يميل إلى الثورة وكان يعتقد أن فرنسا هي عدوته لا بد من محاربتها، وكان يعتقد أنه اذا مات فهو شهيد واذا حي فهو مستقل ويتمتع بالاستقلال، إذا الشعب الجزائري هيء تهيئتين تهيئة وطنية وهذا يعود إلى حزب الشعب الجزائري وهناك تهيئة روحية إيمانية ونفسية وتعليمية، مدارس الحزب الوطني لم تكن تعلم الإنسان ماذا يقوم به ولكن تعلم الوطنية الصادقة، نعم عندما يدخل للمعمعة ويقاوم ضد الاستعمار ولكن الذي كان يصنع العقل الجزائري ويصنع الروح الجزائرية والميولات النفسية للجزائر هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".<sup>2</sup>

ويقول أيضا "لو فرضنا أن الجزائر لم تكن فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واندلعت الثورة، اندلاع الثورة شيء طبيعي أم لا؟ فكيف تكون الثورة؟ ستكون ذات طابع لا إنساني، طابع لا عقلائي، طابع لا روحاني، ولكن بوجود جمعية العلماء في الثورة الجزائرية اصطبغت الثورة بالبعد الروحي".<sup>3</sup>

ويظهر الفكر الجهادي الإسلامي للعلماء الإصلاحيين في مبادئ وأفكار قادة الثورة التحريرية في عدة نقاط نذكر أهمها:

### 1- بيان أول نوفمبر 1954

فقد نص في المادة الأولى على أن الهدف من الثورة هو إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية والاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية، وهذا إعلان صريح بأن الصراع مع الفرنسيين قائم على أساس العقيدة والدين فالثورة الجزائرية هي حرب الإسلام على الكفر وهكذا واجه المجاهدون حكام فرنسا بنفس الشعار الذي ظل الجنود الفرنسيون ينادون به وهو إعلانهم بأنها حرب الصليب على الهلال فقد قال القس الذي رافق الحملة الاستعمارية على الجزائر في أول صلاة في جامع كتشاوة بعد تحويله إلى كنيسة وهو يخاطب الجنود الفرنسيين "إنكم جئتم معنا إلى هنا لتفتحو من جديد أبواب النصرانية إلى إفريقيا".<sup>4</sup>

وقد احتوى بيان أول نوفمبر 1954 على جملة من المبادئ والقيم حتى وان كانت ذات طابع إنساني وحضاري إلا أنها مستمدة من روح الإسلام وقيمه فهي نابعة من أصالة المجتمع الجزائري المسلم وأهم هاته المبادئ نذكر منها:  
مبدأ السلم يهدف الدين الإسلامي كعقيدة وشريعة إلى تحقيق السلم والأمن في المجتمع الإنساني، فالسلام من المبادئ التي عمق جذورها الإسلام في نفوس المسلمين فأصبح جزء من كيانهم وعقيدة من عقيدتهم، أما الحرب والقتال

<sup>1</sup> - محمد زروال: الحياة الروحية، المصدر السابق، ص42.

<sup>2</sup> - شهادة محمد الصالح الصديق، لقاء شخصي مع الشيخ في منزله بالقبّة، بالجزائر العاصمة بتاريخ 29 سبتمبر 2019.

<sup>3</sup> - شهادة محمد الصالح الصديق، المصدر نفسه.

<sup>4</sup> - رايح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد، المرجع السابق، ص66.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

أمر طارئ لا يلجأ إليه إلا للدفاع عن المسلمين حينما يكون هناك اعتداء عليهم أو ظلم لهم أو فتنة لهم في دينهم وهو ما ينطبق على الشعب الجزائري الذي تعرض لمسح وطمس هويته<sup>1</sup>.

ورغم ذلك بيان أول نوفمبر 1954 لم يكن دعوة للعنف أو الحرب بل هو دعوة للسلم والأمن إذ نص البيان على "..... وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم وتحديدًا للخسائر البشرية واراقة الدماء فقد أعدنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تحدها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها لنفسها"<sup>2</sup>.

وهي دعوة صريحة للسلم وتفاديا للعنف مصداق لقوله تعالى: "فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا"<sup>3</sup>.

وكذلك قوله تعالى "وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم"<sup>4</sup>.

**مبدأ الوحدة** رفع الإسلام من مكانة الوحدة واعتبرها من الثوابت الأساسية التي يركز عليها المجتمع المسلم، وقد جاءت النصوص القرآنية صريحة وعديدة في هذا الشأن كقوله تعالى "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا"<sup>5</sup>.

وبيان أول نوفمبر يشير إلى مبدأ الوحدة ويدعو له حيث دعا إلى تجاوز الصراعات التي عرفتها الحركة الوطنية قبيل اندلاع الثورة التحريرية إذ نص على "..... ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية أن تنضم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر" وهي دعوة صريحة للاتحاد وتجسيدها فعليا لوحدة الهدف<sup>6</sup>.

**موقف البيان من الطوائف الدينية** لم يكن بيان أول نوفمبر تحريضا ولا عدائيا بدليل أنه دعا إلى حفظ وحماية حقوق الأقليات الدينية حيث نص في أهدافه على "احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني" فسمح بذلك بحرية الاعتقاد الديني داخل الدولة الجزائرية المستقلة المستقبلية، وهو أيضا تطبيق لمبادئ وتعاليم الدين الاسلامي مصداقا لقوله تعالى "لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"<sup>7</sup>، كما أن البيان فيه اقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال وثيقة المدينة التي وضعها النبي بين المسلمين وطوائف المدينة، فقد حاول بيان أول نوفمبر صهر الجميع رغم التنوع العقائدي في مجتمع مدني مكون للدولة الجزائرية المستقلة<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - طاهري فاطمة: تجليات البعد الديني في بيان أول نوفمبر 1954 قراءة في البيان، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، جوان 2016، ص70.

<sup>2</sup> - طاهري فاطمة، المرجع السابق، ص70.

<sup>3</sup> - سورة النساء، الآية 90.

<sup>4</sup> - سورة الأنفال، الآية 61.

<sup>5</sup> - سورة آل عمران، الآية 103.

<sup>6</sup> - فاطمة طاهري، المرجع السابق، ص71.

<sup>7</sup> - سورة البقرة، الآية 256.

<sup>8</sup> - طاهري فاطمة، المرجع السابق، ص74.

## 2-الجريدة التي جعلها الثوار الناطق الرسمي للثورة التحريرية

تم اختيار تسميتها بدقة عالية لتعبر عن المهمة التي أراد الثوار القيام بها من غير لبس ولا غموض فقد جاء تسمية الجريدة ب(المجاهد) وهي أفصح كلمة يمدح بها المسلم المتمرس، أمام العدو المتغطرس، وقد خصصت جريدة المجاهد في عددها الأول صفحتها الأولى لمناقشة قضية الجهاد واعتبرت جوهر الكلمة يدل على ظاهرة حضارية تقوم على الدفاع عن الذات للحفاظ على القيم العليا الضرورية للفرد والجماعة أو لاسترجاعها من المستعمر الفرنسي الغاصب وطرحت الجريدة في الأخير التساؤل التالي أيرى الناس عجباً أن يصطبغ الإسلام بالوعي القومي فيساهم في إظهار الحق على الباطل ويناصر قضية عادلة؟<sup>1</sup>

## 3-الشريعة الإسلامية مصدر لأحكام الثورة

فقد اعتمدت الثورة على الشريعة الإسلامية وجعلتها المصدر الأساسي والوحيد في جميع الأحكام التي تصدرها في القضاء بشقيه المدني والعسكري وفي مختلف الجرائم من جنایات وجنح ومخالفات وفي كافة المجالات دون استثناء، ولم تتأخر الثورة في الدفاع عن حدود الله ومعاقبة كل من يتجاوزها مهما كان موقعه أو مكانته مدنياً أو عسكرياً، وهو أساس نجاح الثورة ومصدر إلهامها.<sup>2</sup>

لقد كان واضحاً من خلال المناشير التي كانت توزعها قيادة الثورة بأن جبهة التحرير الوطني أرادت أن تقود الجماهير بتعاليم الإسلام، التي تدعو إلى العقيدة الصحيحة القائمة على أساس التوحيد وكذا نبذ سائر المحرمات والانحرافات الشرعية مثل شرب الخمر والقمار وحتى شرب الدخان<sup>3</sup>، والتعاون مع الكافرين عن طريق المشاركة في المجالس الفرنسية وما شابه ذلك ومحاربة البدع الشركية كزيارة القبور والزردة والشعوذة وغيرها من الممارسات التي غرستها السلطات الاستعمارية لضرب العقيدة الإسلامية من الداخل.

يقول فرحات عباس "تلقينا منشوراً يمنع من المشاركة في الانتخابات التشريعية ويأمر النواب بالاستقالة من وظائفهم"<sup>4</sup>.

والمأمل في البيانات التي كانت تصدرها جبهة التحرير الوطني يجد أن قيادة الثورة اعتمدت على التعاليم الإسلامية التي تقوي الروح الدينية لدى المواطنين وتجعلهم ينهضون ضد الظلم والطغيان وكل أشكال الاستغلال التي كان يمارسها المستعمر.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - باهي التركي، المرجع السابق، ص 127.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 128.

<sup>3</sup> - سنتكلم لاحقاً على اللقاء الذي دار بين المجاهد الوردی قتال والشهيد القائد مصطفى بن بولعيد حول شرب الدخان ونهي مصطفى بن بولعيد وتحريمه شرب الدخان.

<sup>4</sup> - Ferhat Abbas : autopsy d'une guerre, édition Gamier frères, paris, 1980, p151.

<sup>5</sup> - باهي التركي، المرجع السابق، ص 129.



## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

وبهذا الصدد قررت جبهة التحرير الوطني تنفيذ أشد العقوبات ضد المخالفين لهذا البيان فكانت عقوبة التدخين والشمة هي قطع الأنف وعقوبة الخيانة والتعاون مع العدو هي الإعدام وفعلا فقدتم تنفيذ تلك العقوبات على كثير من المواطنين الذين استهانوا في بداية الأمر بقرارات الثورة.<sup>1</sup>

جاء في بعض الإحصائيات التي نسبت إلى جبهة التحرير الوطني في العام الأول للثورة نقلها فرنسيس جونسون بقوله "ان القتال ضد الجيش الفرنسي لم يجعلنا ننسى الخونة في صفوفنا، لقد قتل أكثر من 500 وسيحمل نحو 100 منهم مدى الحياة علامة الخيانة".<sup>2</sup>

لقد كانت سرعة انتشار الثورة، سببا في الصرامة التي طبقتها قيادة الثورة أثناء تنفيذ تلك العقوبات، ولذلك لا ننكر أن هناك حالات كثيرة كان أصحابها ضحية للتسرع في تنفيذ الأحكام، دون تثبؤ وتحقيق، لما كان يقتضيه الحال في المرحلة الأولى لانطلاق الثورة، من وجوب الحسم في تقوية الثورة والمحافظة عليها.<sup>3</sup>

### 4- شعار المجاهدين وكلمة السر في المعارك

فأما الشعار فقد حددته قيادة الثورة باللفظ الصريح الواضح (الله أكبر) الذي يحسم التوجه الإسلاميبالتقيد التام بقواعد الفقه الجهادي الذي نص عليه الفقهاء، فهو شعار المسلمين الأوائل منذ بدء نزول الوحيوظل المسلمون يقاتلون تحت لوائه طيلة القرون الماضية ويستلهمون منه القوة وقهر الأعداء وهم يطلبون النصر أو الظفر بمنزلة الشهداء.<sup>4</sup> وقد اتخذت الثورة "خالدا، عقبة" ككلمتي سر لها ولعل اتخذ هاتين الكلمتين يدل على تأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس مقاتلي الجبهة، كما استخدمت الثورة الكلمات الآتية للاتصال والتفاهم مثل: "الدين والعمل، الله أكبر، الله محمد، الإسلام ديننا، العربية لغتنا، النظام والعمل، الجهاد، الإخلاص، محمد علي، العلم والعمل، السيف والقلم، الحرب والنصر وغيرها من الكلمات الأخرى".<sup>5</sup>

فعمل الثورة كان جهادا والمقاتل سمي مجاهدا والمقتول شهيدا.

لقد كانت هذه المصطلحات الشرعية المأخوذة حرفيا من باب الجهاد في الفقه الإسلامي تمثل التوجه الراسخ الذي تمسكت به قيادة الثورة، وكان القادة والجنود في جيش التحرير لا يقبلون بغير هذه المصطلحات في صفوفهم فقد كانت هي الدافع الذي جعلهم يتركون الأهل والمال من أجل تحقيق مرضاة الله تعالى ويروي المجاهد الدكتور يحي بوعزيز أن العقيد عميروش غضب على أحد الأطباء الذين التحقوا بالثورة بسبب أنه كتب عبارة (محاربي جيش التحرير) بدل (مجاهدي جيش التحرير)، ولم يسمح له بتغيير المصطلحات الشرعية التي تبنتها قيادة الثورة.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - باهي التركي، المرجع السابق، ص 131.

<sup>2</sup> - Francis Jenson : l'Algérie hors la loi, édition de seuil, paris, s.d, p 300.

<sup>3</sup> - جول جيليني: ثورة الجزائر، تر: عبد الرحمان صدقي أبو طالب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص 148.

<sup>4</sup> - باهي التركي، المرجع السابق، ص 133.

<sup>5</sup> - نبيل احمد بلاسي، المرجع السابق، ص 163-164.

<sup>6</sup> - يحي بوعزيز: الثورة في الولاية الثالثة التاريخية، أول نوفمبر 1954 - 19 مارس 1962، دار الأمة، الجزائر، 2004، ص 321.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ويروي المجاهد محمد لحمير المدعو عبد الجبار أنه جاءهم مفتش يتفقد الجنود الذين كانوا تحت قيادته، فقال له ما هو الشعار الذي يردده المجاهدون معك؟ فقلت له ان هؤلاء المجاهدين يعتقدون ويرددون بأنهم التحقوا بالثورة باسم الجهاد في سبيل الله، فقال المفتش بل علمهم أنهم يجاهدون في سبيل الوطن، فلما سمع المجاهدون بهذا الخبر رموا بنادقهم وقالوا بصوت واحد: اما أن نقاتل العدو باسم الجهاد في سبيل الله تعالى واما رجعنا من حيث أتينا.<sup>1</sup>

ويروي المجاهد محمد زروال، أن قيادة الولاية الأولى كلفت أحدهم بكتابة منشور يبشر بالثورة في الجنوب فكتبه بلغة شيوعية ودعا إلى الدفاع عن الطبقة الكادحة فرفضته القيادة، وكلفت شخصا آخر فجاء بالخطاب وقد ركز في صياغته على الدعوة إلى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالى ووجوب إخراج المستعمر وطرده وإقامة الدولة الجزائرية في إطار المبادئ الإسلامية مهما كانت التضحيات فاطلع عليه القادة فأعجبهم وقالوا هذا ما نريد وأمرنا بنسخه ونشره.<sup>2</sup>

### 5- القضاء الشرعي برهان الثورة وأهم تأثير على التوجه الإسلامي للثورة التحريرية

هدفت الثورة إلى إقامة سلك العدالة للحفاظ على مقومات الوحدة الوطنية وعلى أواصر الوئام والأخوة النابعة من تعاليم الدين الإسلامي.<sup>3</sup>

وقد عرف هذا الجهاز القضائي باللجان العدلية التي كانت تشرف على الفصل في المنازعات والحكم بين الناس وفق أحكام الشريعة الإسلامية وحث الشعب على وجوب التقاضي أمام المحاكم الشرعية وحرمة التقاضي أمام الجهات الفرنسية الكافرة.<sup>4</sup>

وكانت أغلب القضايا تحل عن طريق الصلح لأنه من السمات الأساسية للقضاء الشرعي انطلاقا مما ورد في القرآن الكريم قال الله تعالى "والصلح خير".<sup>5</sup>

وقوله عليه الصلاة والسلام "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال إصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة".<sup>6</sup> وغيرها من النصوص الكثيرة التي تدعو إلى الصلح بين المسلمين.<sup>7</sup> وكانت أحكام تلك اللجان ترضي جميع الأطراف ولا يظهر أي واحد منهم أدنى معارضة أو تفكير في الاستخفاف، لسبب جوهري يتعلق بكون تلك التعاليم صادرة عن عقيدة المتقاضين التي تدعو إلى تربية النفوس وتهذيب الأرواح والابتعاد عن الاختلاف والتنازع قدر الإمكان.<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - باهيالتركي، المرجع السابق، ص 134-135.

<sup>2</sup> - محمد زروال: اللمامشة في الثورة، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 300-301.

<sup>3</sup> - أحسن بومالي، اللغة العربية أداء تواصل بين الثورة والجماهير، مجلة المصادر، العدد 01، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2004، ص 30.

<sup>4</sup> - باهي التركي، المرجع السابق، ص 135-138. أنظر الملحق رقم 25: تعليمات الثورة بخصوص القضاء الى القاضي أحمد باشا، الأرشيف الشخصي للمجاهد أحمد باشا.

<sup>5</sup> - سورة النساء، الآية 128.

<sup>6</sup> - رواه أبو داود.

<sup>7</sup> - باهي التركي، المرجع السابق، ص 140.

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص 140.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

المطلب الثالث: تأثير الفكر الجهادي الإسلامي لجمعية العلماء في المجاهدين وأبرز قادة الثورة التحريرية

يروى المجاهد محمد الصالح الصديق شهادة أحد المجاهدين بقوله "ان المجاهدين الجزائريين وخاصة منهم الأوائل قد فلسفوا الثورة وفهموها فهما عميقا صحيحا، فهموها تلبية لأصوات القرون الأربعة عشر، من التاريخ المشرق بأضواء الجهاد والفتوحات المحررة، فهموها بذلا للروح في ميدان الشرف قربانا لله عز وجل، فهموها موتا من أجل حياة وفناء من أجل بقاء وشقاء من أجل سعادة، وثباتا من أجل تمكين فهم في حمى هذه الروح وهذه العقيدة وهذه القوة يهاجمون الجيوش الجرارة ولا يخشون ويقتحمون الخطر الداهم ولا يباليون ويسقطون في ميدان الشرف وهم يتسمون"<sup>1</sup>.

ويقول الدكتور المجاهد يحي بوعزيز رحمه الله وهو يصف خصائص الثورة بقوله "وهي قبل هذا وبعده ثورة الجهاد والإسلام، اعتمد فيها المخططون والمقاتلون الحافظ الديني الإسلامي، لحفز الناس وحشدهم على الجهاد والمقاومة والاستبسال لتوحيد كلمتهم ضد عدو واحد، شرس طاغ متجبر، ومذل لهم ولعقيدتهم الدينية الإسلامية وبالتأكيد لولا الدين الإسلامي ما كان للجزائريين أن يصنعوا تلك المعجزات، لقد كانت كلمة "الله أكبر" بمثابة السحر والإلهام للمقاومين، الذين سموا بالمجاهدين لنفس الغرض، وبواسطتها يقتحمون المعارك الكبرى ويستقبلون الشهادة بابتسام ويضحون بمصيرهم ومصير عائلاتهم وأملاكهم عن رضا وطواعية، لقد كان الدفاع عن الإسلام هو الهدف الأول للمجاهدين قبل فكرة الدفاع عن الوطن والحرية ولو أنها جزء منه على أي حال"<sup>2</sup>.

ويقول أيضا "ولقد عشت كغيري من أبناء جيلي هذه الثورة كشاهد عيان وعاشت أحداثها عن قرب داخل الجزائر وخارجها وحظيت باللقاء والجلوس والتحدث مع عدد كبير من قادتها العسكريين والسياسيين وتحولت في الجزائر كلها من مغنية غربا إلى القالة شرقا ومن البحر شمالا إلى تمنغاست جنوبا وحاورت المئات من المجاهدين الذين حملوا السلاح وعاشوا في الجبال وكتبت لهم الحياة لما بعد 1962 وأجريت شبه استفتاء معهم وكان السؤال التقليدي الذي أطرحه على كل واحد منهم هو لماذا حملت البندقية وصعدت إلى الجبل؟ فكان جواب الجميع: من أجل الجهاد في سبيل الله تعالى والدفاع عن الإسلام ثم يعطفون على ذلك طرد الاستعمار والحصول على الاستقلال والحرية وهذا حتى مع الطلبة الجامعيين وكبار المثقفين من ذوي الثقافة الغربية الذين قاطعوا الجامعات والمؤسسات والإدارات الاستعمارية"<sup>3</sup>.

وهذه الشهادات لمجاهدين ومؤرخين عاشوا في قلب الثورة وبين المجاهدين وأيضا فقادة الثورة البارزين كانوا متأثرين بأفكار جمعية العلماء فعند سؤالنا للشيخ محمد الصالح الصديق: هناك بعض القيادات الكبيرة في الثورة أمثال عميروش رحمه الله كانوا منتسبين لأفكار الجمعية ومتأثرين بها؟

<sup>1</sup> - محمد الصالح الصديق: صفحات خالدة في جهاد الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1972، ص 56.

<sup>2</sup> - يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2013، ص 152.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص ص 492-493.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

الشيخ "أنا عشت مع عميروش صديقين حميمين لمدة أربعة أشهر في تونس ولم نفترق لحظة، أنا كنت أحرر في جريدة المقاومة وكان معي عبد الرحمان شيبان ووليم بشيشي<sup>1</sup>، مازال حي، في هذه الأثناء جاء عميروش من الجزائر وعندما جاء سأل على أول شخص عليا، لأنه كان على علم أنني في البلاد كنت مسؤول على المالية والسلاح، جاء وعشنا معا هناك، ماذا رأيت فيه؟ أولا: حبه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث أنه كان عضو في الجمعية في فرنسا، فكان دائما يكلمني عن الشيخ عبد الحميد بن باديس ويسألني عليه وكان دائما يتكلم عن عمل الجمعية، كان يجذبها ويتكلم عن الطلبة الذين التحقوا بالثورة وهم من جمعية العلماء هذا كله أشهد عليه، ثم سي عميروش، لتعلقه باللغة العربية، ولكونه فتح ثغرة ينظر منها إلى مستقبل الجزائر الذي لا يمكن أن يقوم الا على العربية فأسس مدرسة في "مولفلورين" بالجزائر العاصمة والتحق بها عدد كبير من الطلبة من الجزائر وأرسل إرساليات إلى تونس، حيث في إحدى المرات أرسل حوالي 40 طالبا إلى تونس فوصل منهم اثنان فقط والباقي أستشهد في الطريق ومن بين هؤلاء الطالبين توفي أحدهم أمس أي (شهر سبتمبر 2019) وهو عبد الرحمان الشابي وكان يزورني دوما في البيت رحمه الله.

إذا عميروش كان يجب جمعية العلماء ويعرف قدرها ويعرف جهادها في الماضي ويعرف أن المستقبل سيقوم عليها، لماذا؟ لأن جمعية العلماء تدعو إلى الدراسات العليا وتعلم العلم وتبند الخرافات، والاستقلال لا يمكن إلا أن يقوم على هذه الأرضية".<sup>2</sup>

ويقول الشيخ محمد الصالح الصديق عن تأثير أفكار جمعية العلماء في قيادات الثورة "مثلا العربي بن مهيدي رحمه الله درس في جمعية العلماء وتشرب في أعماقه حب الجمعية وأراءها، وهذا ما جعله يقف موقف لم يقفه إنسان على وجه الأرض حيث عذبتة فرنسا وبيجار وفي الأخير أدخل سفود أحمر من النار في فمه وهذا التعذيب قاومه الشهيد العربي بن مهيدي لأن أفكار جمعية العلماء حولت هذا الرجل من لحم ودم وعظام ومخ إلى قطع حديدية".<sup>3</sup>

ويقول المجاهد الوردى قتال وهو من قيادات الثورة التحريرية في مذكراته عن اللقاء الذي جرى بينه وبين القائد مصطفى بن بولعيد "... وأثناء تبادلنا للحديث عن مسارات الثورة وتناولنا لكثير من التفاصيل والأحداث التي شهدتها الثورة أثناء غيابه وأسره، بادرنبي القائد مصطفى بن بولعيد بالسؤال انني أسألك وعليك أن تكون صادقا معي في جوابك؟ لقد بلغني أنك تدخن؟ فقلت على الفور ودون تردد أو تفكير انني دائما صادق وصريح وواضح نعم أدخن ولكن ليس دائما كما أنني لا أدخن جهرة وأمام المجاهدين حتى لا أثير حفيظتهم فقد يكون لبعضهم رغبة فيما أنا أفعل، لقد عاهدت شيباني وعاجل ولغور، على ذلك، وعليك أن تعرف يا شيخ أبي لا أدخن دائما إنها حالة تعتريني ورغبة لا أقوى على مقاومتها إن رغبتني في التدخين أثناء خوض المعركة تكون شرهة وعنيفة كما أنني أدخن (البرزيلي) لفافة العرعار، فما كان منه إلا أن أكد علييما أنني ما دمت هكذا، عليك أن تتوقف عن ذلك نهائيا.... ثم قال لي:

<sup>1</sup> - لمين بشيشي: 1927-2020م ولد في سدرانة بولاية سوق أهراس، تتلمذ على يد أعضاء جمعية العلماء، بدأ مسيرته الإعلامية سنة 1956 حيث سافر إلى تونس لإصدار الطبعة الثالثة من جريدة المقاومة الجزائرية، انتقل بعدها للعمل في جريدة المجاهد، ثم إذاعة صوت الجزائر، تم تعيينه مديرا عاما لإذاعة وتلفزيون الجزائر بعد الاستقلال. أنظر: id.loc.gov تاريخ الزيارة 2020/03/20 15.30.

<sup>2</sup> - شهادة الشيخ محمد الصالح الصديق، المصدر السابق.

<sup>3</sup> - شهادة الشيخ محمد الصالح الصديق، المصدر السابق.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

كانه يستشرف طالع المستقبل: الجزائر سوف تستقل، بينما فرنسا تسعى لخراهما وحتفها، ووراء جنونها فهي تخسر مليون فرنك فرنسي يوميا، نحن هنا نقيم في الجزائر وهي تطاردنا فلو أنها حاصرت المدن ومنعت وصولنا للشعب الذي يساندنا ويولنا، لو فعلت ذلك وتركنا في الجبال نعوي كالدئاب، أكيد سوف نتعبها ولكن لن نحقق ما نحن نسعى لتحقيقه... فرنسا سوف تغادر الجزائر، صاغرة ذليلة خاسرة وانني أقول لك بكل وضوح نحن خرجنا في ثورتنا تحت راية: لا اله الا الله محمد رسول الله، والله أكبر... إن الأمة والأرض التي رفعت شهادة التوحيد لا تذلل ولا تقهر هذه الأرض شقتها دماء الشهداء، تبتم فيها أطفال وترملت نساء سوف تنال حريتها واستقلالها، إنني أقول لك أن كل الذين تجاوزوا وتعسفوا وظلموا ومارسوا التعذيب والقتل سيكون لهم نفس المصير وينالون نفس الجزاء كما تدين تدان ومن قتل يقتل".<sup>1</sup>

وهذه الشهادات لفكر ومبادئ أبرز قادة الثورة التحريرية ومفجريها تدل دلالة واضحة على تأثرهم الشديد بالفكر الإسلامي للعلماء الإصلاحيين الجزائريين الذين ينبع من الدين الإسلامي وهو دين كل الشعب الجزائري وتبنيهم له حتى في دقائق الأمور، كما رأينا سؤال الشهيد مصطفى بن بولعيد عن وجوب ترك آفة التدخين وإصراره على ذلك، وهذا إن دل فإنما يدل على التمسك التام بالتعاليم الإسلامية في واقع الثورة ويومياتها وهذا ما سنراه لاحقا في تجلي الفكر الإسلامي الثوري في واقع الثورة وسلوك المجاهدين.

### المطلب الرابع: تجليات الفكر الإسلامي الثوري في واقع الثورة التحريرية وسلوك المجاهدين

نقل المجاهد محمد زروال في كتابه "الحياة الروحية في الثورة الجزائرية" شهادة أحد المجاهدين وهو يبين حقيقة الثورة الجزائرية بقوله "إن الفرق بين الثورة الجزائرية وغيرها من ثورات العالم المعاصر أنها ثورة شعب مؤمن له مقوماته الدينية التي تميزه عن غيره من شعوب العالم الأخرى، انها ثورة دينية روحية استهدفت أغراضا تخدم الدين والوطن في الحياة الدنيا ورمت إلى تحقيق أهداف نبيلة في الحياة الأخرى، وهي نيل الشهادة التي تطهر أصحابها من الذنوب والمعاصي ولقاء الله تعالى، طمعا في رحمته، أما ثورات العالم المعاصر فهي تنظيمات ترمي إلى تحقيق أهداف دنيوية بحتة، تخلو من البعد الروحي الديني وتفتقر إلى الخيط الذهني الذي يربطها بالله تعالى، ربطا يراعي المصلحة العامة في الدنيا كما يراعي متطلبات الحياة الآخرة، لقد كان مما نجحت الثورة الجزائرية منذ البدء في تكوينه أنها وجدت مجتمعا ربانيا عابدا هم إعلاء كلمة الله تعالى بالصدق في العقيدة والعبادة والعدالة في المعاملات بين أفراد المجاهدين من هنا كانت الفيوضات الإلهية التي يختص الله تعالى بها من يشاء من عباده المؤمنين".<sup>2</sup>

### 1- القيم السلوكية والأخلاقية للمجاهد الجزائري

لم يبق التوجه الإسلامي للثورة الجزائرية التحريرية حبيس موثيقها ونصوصها وإنما تم تطبيقه على أرض الواقع والمعركة وفي أخلاقيات مجاهديها وتعاملاتهم مع الأسرى فأضحى المجاهدون يتمتعون بأخلاقيات وقيم دينية إسلامية عليا كانت هي الرصيد الضخم الذي تحلى به المجاهدون في ظل ممارسات الاحتلال الفرنسي غير الأخلاقية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - الطيب عبادلية، المصدر السابق، ص71.

<sup>2</sup> - محمد زروال، الحياة الروحية، المصدر السابق، ص70.

<sup>3</sup> - محمد العربي غراس: الثورة المسلحة 1954-1962 معارك في الطريق إلى الولاية الثالثة، مجلة أول نوفمبر، العدد 10، السنة 1975، ص26.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ومن الأمثلة حول أخلاقيات جيش التحرير يتحدث فرانز فانون<sup>1</sup> عن الجهد الذي بذله أحد أطباء جبهة التحرير لعبور الحدود وقطع الأسلاك الشائكة لأجل جلب الدواء اللازم لإيقاف انتشار مرض أحد الأسرى الفرنسيين، انتهت هذه المهمة باستشهاد عدد من المجاهدين وفي حالات أخرى مماثلة يقوم بعض المجاهدين بشغل أنظار الجنود الفرنسيين يتمكن المجاهدون في الجانب الآخر من إيصال الأسرى إلى مقر القيادة.<sup>2</sup>

توالى الشهادات في أخلاقيات جيش التحرير الوطني، من بينها شهادة تلميذة بمدرسة البنات الثانوية بتلمسان تدعى "ميشلين كوميس" التي وقعت في أسر جيش التحرير فكتبت في رسالة لها حول عملية اختطافها والمعاملة التي حظيت بها من قبل المجاهدين طوال فترة اقامتها بينهم في الجبال تحدثت عن سعيهم للاهتمام براحتها وأكلها والقيام بنزهات لأجل الترفيه عنها مع السماح لها بسماع الموسيقى وختمت رسالتها بقولها "وفي الخلاصة أذكر أن جميع هؤلاء الناس الذين يريدون استقلالهم والذين يكافحون بكيفية قاسية جدا لينالوه، قد كانوا جميعهم دون استثناء على أتم احترام نحو، وإنني لست أسفة على هذه الإقامة الوجيزة بين "الفلاقة" لأن هذه الأيام الثلاثة سمحت لي بأن أتحقق من أن الظن السيئ الذي كنت أظنه "بالفلاقة" كان خاطئا كل الخطأ".<sup>3</sup>

وغير بعيد عن ذلك نجد شهادة الأنسة كيريل بعد الإفراج عنها رفقة خطيبها جان شوفالي، أحد أعوان الحرس الجمهوري الفرنسي، أدلت بتصريح للصحافة عن المعاملة الحسنة التي لاقتها رفقة خطيبها من طرف جيش التحرير الوطني ذكرة في أقوالها: "لم يعاملونا معاملة سيئة في أي وقت من الأوقات بل انهم لم يحاولوا أبدا أن يفصلوني عن خطيبي وهو ما كنت أخشى أن يفعلوه، وعندما نكون متنقلون في الجبال يقدم لنا الثوار ماكلنا كسرة وعسل".<sup>4</sup>

وبدورها تحدثت جريدة المقاومة عن سلسلة الرسائل المبعوثة من الأسرى الفرنسيين لدى جيش التحرير إلى أهاليهم، متضمنة حديث عن حسن المعاملة الطبية وحصولهم على الطعام والسجائر وكل ما يحتاجونه وأحيانا أخرى يتقاسمون معهم حياتهم وطعامهم ومقردهم.<sup>5</sup>

ومن الأمثلة الحية على مدى تأثير الخلق الإسلامي المبني على الاعتقاد الديني في نفوس المجاهدين خلال الثورة التحريرية فإننا نورد بعض الصور الحية عن ذلك.

<sup>1</sup> - فرانز فانون: ولد في سنة 1925 بجزيرة المارتينيك التحق بالقوات الفرنسية للقتال ضد ألمانيا بعد سقوط باريس 1941، بعد الحرب العالمية الثانية واصل دراسته في الطب النفسي، وتأثر بالأفكار الشيوعية، نشر كتابه "بشرة سوداء اقنعة بيضاء" الذي نشر في باريس 1951، انتقل إلى العمل كطبيب نفسي في مستشفى البليلة للأمراض العقلية سنة 1953، التحق بالثورة الجزائرية مع كثير من المثقفين، حيث أنتج عملين فكريين كبيرين أحدهما "الثورة في عامها الخامس"، كانت له تأثيرات فكرية على النخب الحاكمة في الجزائر. أنظر: رابح لونيبي: دراسات حول أيديولوجية وتاريخ الثورة الجزائرية، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2012، ط2، صص 59-76.

<sup>2</sup> - فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، تر: ذوقان قرفوط، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2004، ص 11.

<sup>3</sup> - سميحة دري: القيم الفكرية للثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962) نظريا وممارسة، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019/2018، ص 139.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 139.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 140.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

يقول المجاهد محمد زروال حدثني المجاهد صالح عليا (من مجاهدي نواحي تبسة توفي رحمه الله) في مكتبة بئر خادم عام 1986 قال عندما كان المجاهد "الزهر شريط" ينتظر تنفيذ حكم الإعدام فيه سأله المسؤولون عن تنفيذ هذه العملية ان كان له مطلب أو أي شيء آخر فأجاب "نعم، إن لي طلبا واحدا أرجوكم أن تحققوه" قالوا: "وما هو؟"، قال: "أن تأتوا اليا باستقلال الجزائر على طبق من ذهب".

وفي يوم 07 أكتوبر 1990، حدثني المجاهد محمود الواعي، في مدينة الجزائر قال: "عندما كان المجاهد المرحوم "عباس لغور" <sup>1</sup>، في السجن بمدينة تونس ترجاه بعض أصدقاءه أن يهربه ولكنه رفض ذلك العرض قائلا: "لن أهرب من نظام الثورة ولو كان في ذلك الحكم بإعدامي" <sup>2</sup>.

ويذكر الشيخ محمد الصالح الصديق في إحدى شهاداته عن الاضطباع الروحي للثورة يقول: "قتل شخص في الثورة (أستشهد مجاهد) وكانت الساعة التاسعة صباحا وهو يقاتل وكلما يطلق النار يقتل جندي فرنسي، وفي الأخير تمكنوا من قتله وعندما ذهبوا إليه وجدوا لحيته بيضاء، وذهب الضابط وثلاثة جنود جثا الضابط على ركبتيه وأدخل يده في قلنسوة القشبية فأخرج ثلاثة أشياء، مصحف شريف، ونصف بصلة، وقطعة رغيف يابس مرت عليه أيام ثم دعك الرغيف بيده ليرى مدى يبوسته وقدم ذلك الرغيف وقال لجنوده الشعب الذي يعتمد في إيمانه على مصحف وفي اقتصاده على نصف بصلة ورغيف لن يهزم أبدا" يقول محمد الصالح الصديق تعقيبا على هاته القصة "إذا من أين أتى المصحف؟ من جمعية العلماء، ومن أين أتى هذا الإيمان القوي؟ من جمعة العلماء، وكان واحدا من هؤلاء الجنود الواقفين باع ضميره وخان وطنه وهو جزائري فعندما سمع ذلك الكلام من طرف ذلك الضابط هرب والتحق بالثورة وهو الذي روى هذه الحادثة فيما بعد إلى الشيخ محمد الصالح الصديق" <sup>3</sup>.

### الرؤية الصادقة والكشف الرباني للمجاهدين

إننا إذا رجعنا إلى المجاهدين الذين يعدون المصدر الوحيد في هذا الشأن فإننا نجد الكثير من هذه المواقف حيث ألقى على مسامعنا ورواه لنا المجاهد "مقداد جدي" في 13 ماي 1989م، في إحدى الليالي من عام 1957م كنا متمركزين في المكان المسمى "الحرية" بنواحي الشريعة ولما أصبحت قلت لمن كان معي من المجاهدين "إننا سندخل اليوم في معركة ضارية مع العدو وتكون له فيها الغلبة في البدء ثم نتنصر عليه فنكسب المعركة في آخر المطاف"

فقالوا له "وكيف عرفت ذلك" فقال "كان ذلك في مكاشفة نومية إذا رأيت فيما يرى النائم أننا اشتبكتنا مع العدو، اشتباكا عنيفا اشتدت وطأته علينا في البداية ووجدتني أقرأ قوله تعالى "إذا جاء نصر الله والفتح...." <sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عباس لغور: ولد سنة 1926 بنسيغة خنشلة، درس بالكتاتيب وبالمدرسة الابتدائية الفرنسية بمسقط رأسه، التحق مبكرا بالحركة الوطنية رافق بن بولعيد في التحضيرات للثورة قاد هجومات أول نوفمبر بنجاح بالغ، تولى قيادة أوراس النمامشة بعد استشهاد شبحاني بشير، قائد مخنك وسياسي حكيم، ألحق الهزائم بالعدو بعدة معارك أهمها معركة الجرف، الزاوية، تفاسور، استشهد في جويلية 1957. أنظر: عبد الله مقلاتي، قاموس أعلام، المرجع السابق، ص 448-449.

<sup>2</sup> - محمد زروال، الحياة الروحية، المصدر السابق، ص 131-133.

<sup>3</sup> - شهادة الشيخ محمد الصالح الصديق، المصدر السابق.

<sup>4</sup> - سورة النصر.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

قال وفعلا ما كادت الساعة الخامسة صباحا تدق حتى رأينا العدو يحاصرنا من جميع النواحي وعلى الساعة الثامنة بدأت المعركة كأشد وأعنف ما تكون فدارت الدائرة علينا في البدء ولكن سرعان ما تبدل الموقف فأخذت فلول العدو تنسحب تاركة وراءها قتلى كثيرين ومغانم أكثر، وقد جرت تلك الرؤية على الصورة التي حصلت في واقع المعركة.<sup>1</sup>

أما المجاهد الوردي قتال قال في هذا الموضوع "كان ذلك قبل معركة الجرف بأربعة أيام عندما كنت أنام القيلولة سمعت صوتا يأمرني بالنهوض من النوم وكرر ذلك ثلاثة مرات، فنهضت لعلني أرى أحدا فرجعت إلى النوم مرة ثالثة فجاءني هاته المرة وقال لي "انهض وأزح الصخرة من مكانها" قال فنهضت من نومي وجمعت عددا من المجاهدين وتعاونوا جميعا على اقتلاع تلك الصخرة من مكانها فكانت صخرة عظيمة احتमित بها في الأيام الثلاثة الأولى في معركة الجرف فلم يلحقني أي شر ولم يصبني أي مكروه من العدو، وفي اليوم الرابع حيث أخليت مكاني حيث تلك الصخرة فقد أصابني العدو ببعض الجروح".<sup>2</sup>

### 2- ممارسة الشعائر الدينية

#### أ- الصلاة

من ناحية التزام المجاهدين بالصلاة، دأبت الثورة التحريرية على تقديم مواعظ ودروس للمجاهدين للمحافظة على قراءة القرآن، وأداء الصلاة الجماعية مع عقوبات صارمة على تاركي الصلاة والمتهاونين في أدائها.<sup>3</sup>

وتمثلت هذه العقوبات في فرض غرامات مالية للمتخلفين عن أداء الصلاة جماعة في المسجد واختلفت قيمتها المالية حسب وقت الصلاة ففرضت غرامة 100 سنتيم لمن تخلف عن صلاة الصبح و25 سنتيم لباقي الصلوات الأخرى في حالة اذا كانوا متواجدين بالمكان وتخلفوا عن أدائها وحرص المجاهدون على أداء هذه الشعيرة الدينية حتى داخل السجون والمعتقلات.<sup>4</sup>

ويروي الشيخ محمد الشبوكي<sup>5</sup> عن ظروف الاعتقال في معتقل الجرف نواحي المسيلة في رمضان 1957م حيث يقول وبعد تناول طعام الإفطار المتواضع كنا نجتمع في حلقة خاصة بهذه الكثرة من المصلين المعتقلين فينتقدم أحدنا بإلقاء درس في الوعظ والإرشاد يلقيه أساتذة أفاضل وعلماء أجلاء: أمثال الشيخ محمد الصالح بنعتيق والشيخ أحمد سحنون، والمرحوم الشيخ السعيد صالح.

<sup>1</sup> - محمد زروال، الحياة الروحية، المصدر السابق، ص138.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص ص138-139.

<sup>3</sup> - سميحة دري، المرجع السابق، ص141.

<sup>4</sup> - يحي بوعزيز، الثورة في الولاية، المصدر السابق، ص55.

<sup>5</sup> - محمد الشبوكي: 1916-2005م ولد بمنطقة ثليجان ولاية تبسة، حفظ القرآن وتعلم على يد الشيخ العربي التبسي أصول اللغة والفقه، انتقل عام 1934 إلى جامع الزيتونة ليحصل شهادة التحصيل 1942، انضم إلى سلك التعليم في المدارس الحرة تحت اشراف جمعية العلماء، التحق بالثورة عمليا عام 1955، وكلف بالتوجيه والاعلام والدعاية للثورة، سجن في فبراير 1956، وأطلق سراحه في 13 مارس 1962، عادة إلى مهنة التعليم كأستاذ في الثانوية. أنظر: مجموعة أساتذة من جامعة منتوري: موسوعة الشعر الجزائري، ج1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص560.



## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

والشيخ عبد القادر الباجوري<sup>1</sup>، (كلهم أعضاء سابقون في جمعية العلماء) إلى غير هؤلاء من المشايخ الكثيرين الذين كنا نستفيد كثيرا من علمهم الواسع ونستلهم منهم الصبر في المواقف والثبات من أجل الدفاع عن المبادئ التي فرغنا أنفسنا لخدمتها ووقفناها للدفاع عنها بمهجنا وأرواحنا وبعد انتهاء الدرس كان يؤمنا الشيخ مصباح ونؤدي صلاة التراويح ويقول الشيخ "لقد سمونا بأنفسنا إلى عالم الملكوت فأضفى الله علينا فيوضه المباركة طاقة قدسية كنا نستمد منها القوة كلما أنسنا من نفوسنا ضعفا ونقوي بها ساعدنا ونلقن العدو دروسنا في الميدان لن يجد لها مثيلا الا في تلك التضحية الفذة التي تعلمها من أبناء الجزائر".<sup>2</sup>

وفي شهادة المجاهد بوبكر بوفنجي وهو أحد المجاهدين المحكوم عليهم بالإعدام سجين سرکاجي، تحدث عن التزام المجاهدين بالصلاة خاصة صلاة الفجر التي يتحرونها بعد منتصف الليل مع أدائها جماعة ومعاقبة المتخلف عنها وفي شهادة المجاهد - شكاوي مختار - من المعتقلين الأوائل عشية الثورة - أن الصلاة كانت مفروضة على جميع المساجين اما المتخلف عنها فكان يعطى له فترة زمنية لمراجعة نفسه وفي حالة إصراره على ترك الصلاة فانه يعاقب ثم يجبر على أدائها طوعا أو كرها.<sup>3</sup>

ومن نماذج الالتزام بالشعائر الدينية صدرت تعليمات عن الولاية السادسة موقعه باسم الضابط الأول محمد بن بولعيد مسؤول المنطقة الرابعة مؤرخة بتاريخ: 1960/03/01 متعلقة بمسألة الانضباط فرضت هذه التعليمات على المجاهدين بضرورة الالتزام بممارسة الشعائر الدينية ومما احتوته بخصوص هذا الجانب ما يلي "يجب على كل مجاهد أن يؤدي الشعائر الإسلامية المستطاعة ولا عذر في ترك الصلوات الخمس وأن يتخلق بالأخلاق الكريمة لتحسين سيرته لأن سمعة المجاهد تقوي هيبة الجيش... يجب على كل مجاهد أن يحفظ على الأقل خمس سور من القرآن الكريم...."<sup>4</sup>

### ب-الصيام

تعتبر شعيرة الصيام من الشعائر الأخرى المقدسة عند الجزائريين فقد حرص المجاهدون على صيام شهر رمضان على الرغم من التعليمات الصادرة من قيادة الثورة رخصت لهم الإفطار نهار رمضان (حالة الجهاد) هذا القرار لم يكن إجباريا بل خيرتهم بين الصوم والإفطار مع تقديم الرخص الشرعية من القرآن الكريم وسنة نبيه التي لا تجبر المجاهدين على الصوم في حالة الجهاد، الا أن المجاهدين فضلوا الصوم على الإفطار.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - عبد القادر الباجوري: من رحلات الإصلاح والتعليم في الجزائر، من مواليد قمار بواد سوف سنة 1904، درس القرآن الكريم على يد والده، التحق بجامع الزيتونة وبقي حوالي تسع سنوات، تعرف سنة 1934 في قسنطينة على الشيخ ابن باديس أصبح فاعلا في جمعية العلماء، ألقى عليه القبض 13 مرة، حتى يقال أنه قضى نصف حياته في السجون، بعد الاستقلال شغل العديد من المناصب الحكومية بوزارة الأوقاف والتعليم الأصلي. توفي سنة 1991. أنظر: [bu.umc.erdz.dz/opacar/theses/aben2013.pdf](http://bu.umc.erdz.dz/opacar/theses/aben2013.pdf)، تاريخ الزيارة 2020/01/26، ص 15.30

<sup>2</sup> - محمد زروال، الحياة الروحية، المصدر السابق، ص 102-103.

<sup>3</sup> - سميحة دري، المرجع السابق، ص 141.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 142.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 142.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الإصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

لقد كان المجاهدون في الثورة يفضلون الصيام على الإفطار لأنهم يؤمنون بمآته الخيرية التي أشار الله إليها في قوله تعالى "وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون"<sup>1</sup>، وبسبب هذه القوة الروحية النادرة كان المجاهدون أقوياء على العدو مهما كان هذا العدو قويا، فقد اجتمعت لهذا الأخير قوة الحلف الأطلسي.<sup>2</sup>

وقد كان أول صيام شرعي صادف المجاهدين الجزائريين وهم يؤدون فريضة الجهاد هو رمضان عام 1955م، وقد أصدرت قيادة المجاهدين تعليمات إليهم تأمرهم فيها بوجوب الإفطار ولكن الكثير منهم فضل الصيام.<sup>3</sup>

ويقول الشيخ محمد الصالح الصديق "خلاصة القول أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي التي أعدت الجزائري والجزائرية للثورة التحريرية ماذا أعدت؟ أعدت الروح وأعدت النفس وأعدت ميول الإنسان، أي توجيه الإنسان، فأصبح الإنسان الجزائري يحب وطنه ويفكر في الشهادة، فجمعية العلماء هي التي كانت تقول إذا عاش الإنسان إلى الاستقلال فإنه يتمتع بالاستقلال وإذا مات فإنه يدخل الجنة ويعتبر شهيدا، فهاته المعاني لم تكن الأحزاب الوطنية تنادي بها وتستعملها هناك رئيس حكومة سابق اسمه مالك رضا مات، سمعته بأذني يقول "من يقول أن الاستقلال جاء بالإيمان وجاء بالله أكبر فهو مخطئ"... أنظر هناك شيء مهم شعار الثورة هو "الله أكبر" وأنا عشت مع المجاهدين عندما يقومون ليلبسوا ثيابهم ليدخلوا إلى أرض المعركة يقولون "الله أكبر" من علمهم "الله أكبر" الحزب الوطني؟ "لا"، إنما جمعية العلماء، لأن كلمة "الله أكبر" تضمنت النصر وتضمنت الاعتقاد بأن الله أكبر من فرنسا يعني أن المسلم الجزائري فهم من قوله "الله أكبر" أن الله أكبر من مدافع فرنسا ومن فرنسا نفسها ومن كل شيء، فإذا كان الله أكبر من كل شيء فإن المسلم الجزائري باعتماده على هذا الكبير وهو الله عز وجل وبربطه الأسباب بالمسببات، فهو يمسك السلاح ويدخل المعركة ومع كل ذلك يعتمد على الله..."<sup>4</sup> ويقول أيضا "لقد كتبت عن الثورة التحريرية سبعة عشرة كتابا (17) وذكرت الجانب الإنساني للثورة، أنا أو من بما أقول، أنا أو من أمام الله والتاريخ بأن جمعية العلماء هي التي مهدت للفكر الجزائري حتى نزل إلى الثورة مهدت له روحيا وفكريا، وهكذا لولا جمعية العلماء لما دخل للثورة كثير من الناس، فالجانب الروحي إذا نزعنا معناه الإنسان إذا مات لن يذهب إلى الجنة، إذا فالكثير من الناس لن يشاركوا في الثورة، هناك كثير من الناس يشاركون في الثورة لاعتقادهم إذا لم يموتوا وانتصروا فأنتصروا بالاعتقاد بالاستقلال وإذا ماتوا فإنهم يدخلون الجنة، هذا الفكر هو فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".<sup>5</sup> أما بعد فهل يبقى مع هذه الحجج الدامغة ما يحتاج إلى مزيد من بيان في أن "العلماء الإصلاحيين" كانوا ثوريين، بأعمالهم وأقوالهم وسلوكاتهم، ثوريين قبل الثورة وأثناء الثورة، صادقين مع ربهم مخلصين لشعبهم محبين لكل من ضحى أو جاهد أو أستشهد في سبيل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة وتحت راية القرآن وسنة من أنزل عليه القرآن صلوات الله وسلامه عليه.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - سورة البقرة، الآية 184.

<sup>2</sup> - محمد زروال، الحياة الروحية، المصدر السابق، ص113.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص115.

<sup>4</sup> - شهادة محمد الصالح الصديق، المصدر السابق.

<sup>5</sup> - شهادة محمد الصالح الصديق، المصدر السابق.

<sup>6</sup> - عبد الرحمان شيبان، حقائق وأباطيل، المصدر السابق، ص240.

## الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956

ومما سبق نستنتج:

- لقد كانت هذه الفترة بحق فترة العمل والنشاط السياسي لطلبة وعلماء الإصلاح الجزائريين من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث بعد نهاية الحرب العالمية الثانية تحركت الجمعية في عدة مجالات سياسية، كطرحها لقضية فصل الدين عن الدولة، ونقدها لدستور 1947، والسعي لتوحيد الأحزاب السياسية الوطنية، وأيضا إنشاء الهيئة العليا إعانة فلسطين سنة 1948، ومحاولتها من خلالها تجميع القوى السياسية الوطنية الجزائرية.
- أما نشاطها السياسي في فترة الخمسينات إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية فكان مكثفا من خلال انضمامها إلى جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951، ولقاء الشيخ الإبراهيمي بالوفود العربية والإسلامية بباريس سنة 1952، والذي أعلن من خلاله أن ساعة الحسم والتحرير قد اقتربت، وبعدها سافر الإبراهيمي إلى القاهرة للقيام بالدعاية للجمعية وبعث الطلبة وأيضا التعريف بالقضية الوطنية وتململت أوضاع الجمعية الداخلية في تلك الفترة حتى اندلاع الثورة.
- وباندلاع الثورة التحريرية ساندت الجمعية قيام الثورة خارجيا من خلال بيانات حاسمة، تحركات على مستوى الدول العربية والإسلامية، وداخليا بانضمام طلبة الجمعية، والدور المحوري لأعضائها، في عملية الاتصال والتجنيد والتمويل حتى الالتحاق النهائي بالثورة التحريرية سنة 1956.
- كما كان لتبلور الفكر الثوري التحرري عند قادة العلماء أمثال ابن باديس والإبراهيمي تأثيره على مستوى الثورة وواقعها، وعلى قادة الثورة التحريرية من خلال تبنيهم الفكر الجهادي الإسلامي والعمل به خلال الثورة، حيث اصطبغت الثورة التحريرية بصبغة ثورة إسلامية.

# الفصل الخامس

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

المبحث الأول: النشاط والتطور السياسي للطلبة وعلماء الزيتونة بعد الحرب العالمية الثانية (1945-1951)

المطلب الأول: نشاط الزيتونيين وتأثيرهم في مؤتمر ليلة القدر 1946

المطلب الثاني: نشاط الزيتونيين ضمن الاتحاد التونسي للشغل وتأثيرهم في توجهاته الفكرية

المطلب الثالث: النشاط السياسي الوطني لطلبة وعلماء الزيتونة بعد مؤتمر ليلة القدر 1946 إلى غاية سنة 1949

المطلب الرابع: بداية صراع الزيتونيين مع الدستور الجديد والتجدر في اختلاف المواقف 1949-1951

المطلب الخامس: رد فعل الاحتلال الفرنسي ضد نشاط طلبة وعلماء الزيتونة

المبحث الثاني: المقاومة التونسية المسلحة ومساهمة طلبة وعلماء الزيتونة فيها (1952-1954)

المطلب الأول: فشل المفاوضات التونسية الفرنسية والإرهاصات الأولى للمقاومة التونسية المسلحة

المطلب الثاني: ظروف وحيثيات المقاومة المسلحة بين سنتي 1952-1954

المطلب الثالث: مساهمة طلبة وعلماء الزيتونة في المقاومة التونسية المسلحة 1952-1954

المطلب الرابع: التأثير الفكري الزيتوني الإسلامي على المقاومة المسلحة التونسية 1952-1954

المبحث الثالث: تبلور الفكر الثوري التحرري عند القادة السياسيين الزيتونيين

المطلب الأول: تبلور الفكر الثوري التحرري عند الشيخ عبد العزيز النعالي

المطلب الثاني: تبلور الفكري الثوري عند الشيخ محمد الفاضل بن عاشور

المطلب الثالث: تبلور الفكر الثوري التحرري عند لجنة صوت الطالب الزيتوني

المبحث الرابع: مرحلة المفاوضات الأخيرة والصراع الزيتوني الدستوري (1954-1956)

المطلب الأول: المفاوضات من 1954-1955 ومعارضة اتفاقية الاستقلال

المطلب الثاني: الصراع الزيتوني الدستوري 1955-1956

المبحث الخامس: دراسة مقارنة بين طلبة وعلماء الجزائر وطلبة وعلماء الزيتونة التونسيين من خلال التطور السياسي والتأثير

الفكري التحرري من 1945-1956

المطلب الأول: أوجه التشابه في التطور السياسي بين تيارتي الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس

المطلب الثاني: أوجه التشابه في المساهمة في الثورة المسلحة والتأثير الفكري الثوري التحرري

المطلب الثالث: أوجه الاختلاف في التطور السياسي بين تيارتي الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس.

اعتباراً من سنة 1945 على وجه الخصوص دخل طلبة وعلماء الزيتونة رسمياً عهد النضال السياسي بقيادة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، فالفراغ الذي أحدثه اعتقال وإبعاد قادة الحركة الوطنية عزز دور المساجد في عملية التأطير عن طريق تحفيظ القرآن الكريم وإعطاء دروس للقراءة والكتابة وعرض الأفلام التوثيقية وإلقاء المحاضرات وتنظيم المهرجانات في العاصمة والمدن الكبرى وقد لعبت "جمعية الشبان المسلمين" ورئيسها محمد الصالح النيفر دوراً هاماً في هذا المجال، فكان ذلك من العوامل الهامة في تعاضد دور جامع الزيتونة في الأوساط الشعبية فقد زاد سلطان الحياة الزيتونية على الروح الشعبية مكانة ورسوخاً فأصبحت الجامعة الزيتونية محل اعتناء العناصر الشعبية كلها تعمل على مناصرتها وتبرز إلى الجمهور تحت اسمها"<sup>1</sup>.

كما أن الذي عزز من موقع المدرسين الزيتونيين في نظر طلبتهم وفي الأوساط الشعبية أنهم خاضوا أول مواجهة مع سلطات الاحتلال بعد إعادة احتلال تونس في السنة الدراسية 1943-1944، رغم سريان الأحكام العرفية العسكرية فكان ذلك "أول مظهر لانبعث الكفاح الشعبي متأثراً بالروح الزيتونية..."<sup>2</sup> وهو ما حدى بالصحف الوطنية إلى اعتبار "العنصر الزيتوني في المجتمع التونسي العنصر القومي النير والمسؤول عن العمل والتوجيه.. فصارت جميع الندوات السياسية والوفود لا تتعقد ولا تسير إلا بهم والمظاهر لا تخرج إلا وهم في مقدمة قادتها"<sup>3</sup>.

على أن نهاية الحرب العالمية الثانية المتزامنة، مع تأسيس الجامعة العربية قد شهد نمو نشاط ثقافي قومي ذي صبغة عربية إسلامية وبرزت شخصية محمد الفاضل بن عاشور متزعم التيار العروبي الإسلامي الذي كسب شعبية كبيرة في الأوساط الطلابية والشعبية وأصبح منافساً للدستور الجديد الذي لا يقاسمه ولا يشاطره نفس التوجهات<sup>4</sup>. فقد كان له دور هام في تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل وساهم بالإضافة إلى زيتونيين آخرين في انعقاد "مؤتمر الاستقلال أو مؤتمر ليلة القدر" سنة 1946.

كما ساهم الزيتونيون في حث الجماهير على المطالبة بالاستقلال التام، وكان لهم دور مهم في الحركة المنصفية للمطالبة بعودة المنصف باي وأيضاً دعم القضية الفلسطينية بجمع التبرعات وتجنيد المتطوعين وتكوين لجان الدفاع عن عروبة فلسطين وإلقاء المحاضرات.

وعندما بدأت تلوح بوادر فشل التجربة التفاوضية لحكومة محمد شنيق<sup>5</sup> 1950-1952 وجد الطلبة الزيتونيون أنفسهم في خندق واحد في مواجهة السياسة الاستعمارية مع الدستور الجديد الذي بارك تلك التجربة وشارك فيها، بينما

<sup>1</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص220.

<sup>2</sup> - حفيظ الطباي، البناء الوطني وتحديات الاستقلال، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2011، ط1، ص102.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص102.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص102.

<sup>5</sup> - محمد شنيق، كان رئيس حكومة التفاوض سنة 1951، ثم أُقيل وعُوِّض بصلاح الدين البكوش الموالي لفرنسا. أنظر عبد الكريم عزيز: نضال شعب أبي تونس 1884-1956، مركز النشر الجامعي، 2001، ص333.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

عارضها الزيتونيون وبعض العناصر القيادية في ذلك الحزب أمثال يوسف الرويسي<sup>1</sup> - ذي التكوين الزيتوني - التي اعتبرها تراجعاً عن خطة النضال المغربي الموحد وتتكبر للمبادئ الاستقلالية والمواثيق القومية، هذه التجربة ستعيد الأنفاس للقوى الاستعمارية الفرنسية - على حد قوله - في وقت تندحر فيه جيوشها وتتحطم قوتها العسكرية بالهند الصينية وتخشى اندلاع ثورة لاهبة في شمال أفريقيا<sup>2</sup>.

فرغم الخلافات في التوجهات بين التيار الزيتوني والحزب الدستوري الجديد ورغم المواجهات الدامية أحياناً التي طبعت العلاقة بين الفريقين أثناء حكومة محمد شنيق مواجهات دامية بين "لجنة صوت الطالب الزيتوني" والكتلة فقد تحلى الطلبة الزيتونيون على مطالبهم الإصلاحية التي كانت تعتبر مستعجلة ولا تتحمل الانتظار واعتبار القضية الزيتونية جزءاً من القضية الوطنية الشاملة، فقد ساهم الطلبة الزيتونيون من جانفي 1952 إلى صيف 1954 بدور هام في المقاومة العنيفة زيادة على ما كانوا يقومون به من مقاومة ثقافية<sup>3</sup>.

وكان من ثمار هذه الجبهة الوطنية ركون سلطات الاحتلال إلى الاعتراف باستقلال تونس الداخلي ودخول الحزب الدستوري الجديد في تجربة تفاوضية جديدة لإنجاز هذه المرحلة، سياسة لا تخلو من مخاطر، حيث عورض هذا النهج من قبل عديد القيادات الدستورية مثل يوسف الرويسي كما هو متوقع، وكذلك صالح بن يوسف<sup>4</sup> الرجل الثاني في الحزب الدستوري الجديد الذي بدأ يتبني خطاباً عربياً إسلامياً ويدعو إلى توحيد النضال في إطار المغرب العربي خصوصاً وأن المعطيات الإقليمية والعربية والدولية قد تغيرت لصالح حركات التحرر الوطني بقيام ثورة 23 جويلية 1952 بمصر واندلاع الثورة المسلحة الجزائرية في 01 نوفمبر 1954، وهزيمة فرنسا في معركة ديان بيان فو الفيتنامية وانعقاد مؤتمر بانديونغ في أبريل 1955، وهو الذي اعتبر اتفاقيات الاستقلال الداخلي خطوة إلى الوراء، هذه المستجدات إضافة إلى ثوابت الحركة الزيتونية جعلها تراهن في هذه المرحلة على الشق الراديكالي داخل الحزب الدستوري الجديد وهذا ما جعلها تدخل في صدام آخر مع الشق الذي سيؤسس للدولة الوطنية، والانعكاسات السلبية على الزيتونة والزيتونيين لاحقاً<sup>5</sup>.

حيث سنتطرق إلى كل هاته المحطات المهمة في تاريخ الزيتونيين الإصلاحيين في مباحث هذا الفصل إضافة إلى التطرق إلى تبلور الفكر الثوري التحرري عند القادة السياسيين الزيتونيين، غير أن القراءات السابقة للحركات الوطنية التونسية كانت تقلل وتخط عن قصد أو دون قصد من شأن الزيتونيين وإسهامهم في الحركة الوطنية التحريرية ودورهم

<sup>1</sup> - يوسف الرويسي: 1907-1980م ولد ببلدة دقاش، درس بجامع الزيتونة وانتمى للحزب الدستوري حوالي 1924، ناصر حركة محمد علي الحامي، وكان من مؤسسي الحزب الدستوري الجديد عام 1934، كان من أوائل من نفوا إلى الصحراء ببرج القصر عام 1934 وأوائل من اعتقلوا عقب مظاهرات 1938، بقي في السجن 5 سنوات معظمها في جنوب فرنسا فأعادته المحور إلى تونس عام 1943 ثم سرعان ما هاجر إلى برلين فحكمت عليه المحكمة العسكرية الفرنسية غيائياً بالإعدام. أنظر علي الزيدي، الزيتونيون ودورهم، المرجع السابق، ص 407.

<sup>2</sup> - ABDELMAOULA Mahmoud : L'université Zaytounienne et la société tunisienne, Tunis, 1984, P 165.

<sup>3</sup> - حفيظ الطباي، البناء الوطني، المرجع السابق، ص 103.

<sup>4</sup> - صالح بن يوسف: 1910-1961م سياسي تونسي من زعماء الحزب الدستوري الجديد، أمين عام الحزب منذ 1948، وفي عام 1950 عين وزيراً للعدل في حكومة شنيق، أعلن معارضته للاتفاقية الموقعة بين تونس وفرنسا، لجأ إلى طرابلس حيث حكم عليه بالإعدام غيائياً في تونس أصبح لاحقاً في مصر، تمت تصفيته في 14 أوت 1961 في فرانكفورت بألمانيا. أنظر: العايب معمر: مؤتمر طنجة المغربي دراسة تحليلية تقييمية، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص 44.

<sup>5</sup> - حفيظ الطباي، البناء الوطني، المرجع السابق، ص 104.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

البارز في معركة الهوية، وإنه من الإنصاف والموضوعية إعادة الاعتبار للزيتونة والزيتونيين في معركة الهوية والدفاع عن الذاتية التونسية في مجالها الحضاري العربي الإسلامي.

### المبحث الأول: النشاط والتطور السياسي لطلبة وعلماء الزيتونة بعد الحرب العالمية الثانية 1945-1951

إن هاته الفترة تعتبر من الفترات الحاسمة في بروز الزيتونيين كقطب سياسي على الساحة الوطنية التونسية وتأثيرهم في مجرى الأحداث السياسية من خلال بروزهم في مؤتمر ليلة القدر الذي طالب بالاستقلال التام، وكان ذلك بسبب تأثيرهم على جناحي الحزب الدستوري القديم والجديد في تبني مطلب الاستقلال التام وأيضا المساهمة الفعالة والتأثير القوي في ظهور الاتحاد العام التونسي للشغل كمنظمة نقابية قومية مستقلة عن التأثيرات الأجنبية خاصة الشيوعية وتبني الفكر الوطني العربي الإسلامي كإيديولوجيا فكرية، بالإضافة إلى نشاطات سياسية أخرى كمشاركتهم في الحركة المنصفية ودعم القضية الفلسطينية والعمل الطلابي والسياسي الوطني إلى غاية الاستقلال.

### المطلب الأول: نشاط الزيتونيين وتأثيرهم في مؤتمر ليلة القدر 1946

#### 1- الوضع العام ونشاط الزيتونيين السياسي قبيل انعقاد مؤتمر ليلة القدر 1945-1946

كانت البلاد التونسية عند انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1945 تضم العديد من التشكيلات السياسية ومن القوى التي لا يمكن تحديدها، والتي لئن كان غرضها الاستقلال الذاتي، أو تحرير البلاد فإنها كانت تتقدم بهذا الطلب الخاص أو ذلك، فعلاوة على الحزب الدستوري الجديد الذي بقي أهم تشكيلة بفضل ما له من فروع داخل البلاد وبفضل ماضيه كان نمة أيضا الحزب الدستوري القديم الذي كان يضم تحت لوائه نخبة من قدماء المناضلين والمؤسسين، للعمل الوطني التونسي، وكذلك الحزب الشيوعي الذي كان يتوجه إلى الطبقات الكادحة التونسية منها والفرنسية، وهناك أيضا الشبيبة الزيتونية تضم طلبة الجامع الأعظم وكذلك القدامى منهم، وكانت حركة منظمة ونشطة خاصة بفضل حماس محمد الفاضل بن عاشور.<sup>1</sup>

ولكن في هاته الفترة يقول علي الزبيدي "هناك جملة من العوامل كانت قد تضافرت لتؤدي إلى إضعاف الحزب الدستوري الجديد، الذي كان يمثل أهم تنظيم سياسي على الساحة التونسية خلال ثلاثينات القرن العشرين، وأول تلك العوامل الضربة الشديدة التي تعرّض لها هذا الحزب إثر حوادث 9 أبريل 1938 الدامية وقرار الحظر الذي أُتخذ ضده، وثانيها الملاحقات التي استهدفت مناضليه وعناصره القيادية بدعوى تواطفهم مع النازيين، وثالثهما صعود قوى سياسية جديدة أصبحت تطمح -غداة الحرب العالمية الثانية- لانتزاع قيادة الحركة الوطنية من هذا الحزب، وهذه القوى هي الحزب الشيوعي بالقطر التونسي وحركة الزيتونيين بقيادة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الأستاذ بجامع الزيتونة الأعظم".<sup>2</sup> وقد وصف سليمان بن سليمان، أحد الأعضاء القياديين في الحزب الدستوري الجديد الموكب الذي شارك فيه الزيتونيون في الاحتفال بانتصار الحلفاء يوم 8 ماي 1945 فقال "لقد عجبت لمدى تنظيم هذا الموكب وعدد المشاركين فيه لقد كان -بالنسبة لي - قوة جديدة ظهرت على الساحة السياسية التونسية، ومن المعتقد أن الأساتذة الذين كانوا

<sup>1</sup> - محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد الشاوش، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ط3، ص130.

<sup>2</sup> - علي الزبيدي: الزيتونيون ودورهم، المرجع السابق، ص540.



## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

فيما مضى غير مبالين بالسياسة قد أصبحوا قادة لهذه القوة وقد كسبوا ورقة رابحة عندما وضعوا الطلبة ضمن حركتهم وتحت قيادتهم، في الماضي كان طلبة الجامع الأعظم طلائع الحركة الوطنية وكان أساتذتهم في معظمهم موالين لسلطات الحماية، ما عدا البعض منهم وهم يعدّون على الأصابع من أمثال الشاذلي بن القاضي وغيره. وهذا التحالف بين الطلبة وأساتذتهم ستكون له آثار غير منتظرة على المستقبل وستنتهي إلى وضع الطلبة تحت نفوذ أساتذة لم يكونوا دائما أحسن منهم".<sup>1</sup>

إن كلام القيادي سليمان بن سليمان يدخل في مجال الحرب على الاستحواذ على قوة الطلبة الزيتونيين بين الحزب الدستوري الجديد ومشائخ وعلماء الزيتونة، حيث لا يتورّع في وصف أغلب مشائخ الزيتونة بأنهم موالين لسلطات الحماية ولعمري هذا هو الكيل بمكيالين حيث يجيز لنفسه ما يجرّمه على غيره، بحيث سينقلب الوضع فيما بعد عندما هرع قادة الدستور للمفاوضات مع سلطات الحماية بمطالب زهيدة على رأسها الاستقلال الداخلي وكيف كان موقف الزيتونيين طلبة وعلماء ضد هذا الموقف الذي اعتبروه خرقا لمطالب الحركة الوطنية، وفي هذا الشأن يقول الحبيب نوييرة<sup>2</sup> أحد قياديي الطلبة الزيتونيين "لم يكن نشاط الطلبة الزيتونيين الكثيري العدد يثير تخوف السلطات الفرنسية الحاكمة فحسب، بل كان أيضا مصدر تخوف بعض زعماء الحركة الوطنية من الحزب الدستوري الجديد، رغم أن الزيتونيين لم يجاهروا الحزب بالعداء أبدا بل كانوا في أغلبهم منضمين إلى صفوفه... وقد قتل البعض منهم ودخل السجن كثيرون عندما قاموا بمظاهراتهم الكبرى يوم 9 أبريل 1938 احتجاجا على سجن الزعيم الصادقي علي البهلوان.. غير أن كل ذلك لم يحل دون عزم بعض قادة الحزب الدستوري الجديد على احتواء الطلبة الزيتونيين وفرض سيطرتهم عليهم..".

ويقول "لم يكن للطلبة الزيتونيين بالعاصمة هيكل يجمعهم وكان للمدرسين "جمعية قدماء الصادقية" ثم "جمعية الشبيبة المدرسية" وكما كان الأمر من قبل عند تأسيس تلك الجمعية في مطلع الثلاثينيات، انعقد اجتماع في مقر قدماء الصادقية بنهج دار الجلد يوم الأحد 27 يناير 1946 شارك فيه ممثلو مختلف المعاهد التونسية، وكنت ممن حضرة من الزيتونيين وتكوّنت هيئة جديدة للشبيبة المدرسية وفوجئت بإسناد رئاستها إليّ وقد ضمت كُلا من السادة عبد الحكيم عبد الجواد، محمود المعموري، عبد المجيد عطية، الطيب بن لطيفة والصادق بن خليفة".<sup>3</sup> وهذا الكلام يدل على تواجد الزيتونيين في مختلف الجمعيات الطلابية وعلى مدى تأثيرهم في التحركات السياسية والوطنية والتقدير الذي يحظون به. لقد كان الطلبة الزيتونيون نشطين جدا فأعدادهم الكثيرة وروحهم الإسلامية واستعدادهم للتضحية في سبيل ما يؤمنون به جعلت منهم قوة يُسعى للاستحواذ عليها أو تنميرها، ففي كل مدينة أو قرية من القطر التونسي كانت توجد جمعية أدبية للطلبة غالبيتها من الزيتونيين فكانت لهم القيادة، والحالة تلك الأمر الذي لم يكن ليرتاح له المدرسيون<sup>4</sup> على وجه العموم.

<sup>1</sup> - علي الزيدي، الزيتونيون ودورهم، المرجع السابق، ص541.

<sup>2</sup> - الحبيب نوييرة: ولد في سنة 1925، زاول تعلمه الابتدائي بمسقط رأسه ثم التحق بالجامعة الزيتونية حيث تحصل على شهادة العالمية سنة 1950، تحصل

على إجازة في التاريخ، درس في الزيتونة، من أعضاء لجنة صوت الطالب الزيتوني. أنظر: الحبيب نوييرة، ذكريات عصفت بي، دار سراس للنشر، تونس، 1992

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص92.

<sup>4</sup> - المدرسيون: المقصود بهم طلبة وتلاميذ المدرسة الصادقية أو الذين درسوا في المدارس التونسية ولم يكن لهم انتماء إلى جامع الزيتونة، وغالبيتهم كانوا عناصر قيادية في الحزب الحر الدستوري الجديد.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وقد حصلنا على تقارير فرنسية كانت ترصدها مصالح الاستعلامات العامة للحماية الفرنسية بتونس من الأرشيف الوطني التونسي كانت تترصد تحركات الوطنيين التونسيين قبل مؤتمر ليلة القدر بما في ذلك التحركات الزيتونية والتنسيق مع الدستوريين.

حيث جاء في تقرير رقم 1899 الصادر عن الاستعلامات العامة بتونس بتاريخ 13 أوت 1946 حول اجتماع سياسي بمسجد الصفصاف بالمرسى بالعاصمة تونس، وكان هذا الاجتماع بعد صلاة التراويح.<sup>1</sup>  
وأيضاً في تقرير رقم 1677 الصادر عن الاستعلامات العامة بتونس العاصمة بتاريخ 09/07/1946 يتحدث عن لقاء نظّمه الإخوة الورتاني في يوم الأحد بعد الظهر بالمرسى مع شباب الدستور الجديد والشيخ الفاضل بن عاشور والشاذلي النيفر وبعض الأمراء المنصفين الذين تم الاتصال بهم.<sup>2</sup>

كما نجد في التقرير رقم 1655 الصادر أيضاً عن الاستعلامات العامة بتاريخ: 04/07/1946 بخصوص احتفال بالخلدونية، حيث جاء فيه "قبل الأمس تم تنظيم حفل بالجمعية الخلدونية بمناسبة انتهاء الدروس حضره الفاضل بن عاشور وعلي البهلوان والشاعر أحمد خير الدين وتناولوا الكلمة بالتناوب حيث استعملوا مصطلحات تحريضية ضد الاستعمار الفرنسي، وطالبوا باستقلال تونس التي هي قطعة ترابية من الرابطة المغربية وألقوا أناشيد متنوعة فيها تعريف بالبلدان الإسلامية في نهاية الحفل، وكان الحضور حوالي 200 أغلبهم من طلبة وشيوخ الزيتونة ومن بين الحضور والوجوه الوطنية سي عابد المزالي المدير المساعد للتعليم".<sup>3</sup>

ويتبين لنا جلياً من خلال هاته التقارير الفرنسية الاستعلاماتية أن سلطات الاحتلال الفرنسية كانت تتابع باهتمام تحركات الوطنيين التونسيين وخاصة الزيتونيين طلبة وعلماء وعلى رأسهم الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الذي أثار انتباههم بشدة وتم التركيز عليه في أغلب التقارير والوثائق الفرنسية، وهذا ما أدى إلى عزله وتحييده فيما بعد من الحياة السياسية كلياً. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية وتحديداً في شهر أكتوبر 1945، اتصل علي البهلوان بصالح فرحات<sup>4</sup> - أمين عام الحزب الدستوري القديم - في منزله ببلدة الكرم موفداً من الديوان السياسي، وبعد الاتصالات تألفت لجنة مشتركة بين الدستوريين الجديد والقديم عُرفت بلجنة "التنسيق المزدوجة" وكانت ذات ثمانية أعضاء نصفهم من اللجنة التنفيذية ونصفهم الآخر من الديوان السياسي،<sup>5</sup> واجتمعت اللجنة وكانت أغلب اجتماعاتها في مكتب صالح فرحات والبعض الآخر في منزله بالكرم، وفي أول اجتماع للجنة وقع خلاف سياسي بين الجانبين، ذلك أن جانب الديوان السياسي يرى أن أساس المطالب التونسية ينبغي أن يكون الاستقلال الداخلي ويتمسك في هذا الصدد بوثيقة الاستقلال

<sup>1</sup> - A.N.T, M.N, carton: 54, dossier: 04 du 1946, objet: Notes d'information recueillies par le service des renseignements généraux, note N°:1899 du:13/08/1946, Voir annexe n:26.

<sup>2</sup> - A.N.T, M.N, Op.cit, note N: 1677 du: 09/07/1946, Voir annexe n:27.

<sup>3</sup> - A.N.T, M.N, Op.cit, note N: 1655 du: 04/07/1946, Voir annexe n:28.

<sup>4</sup> - صالح فرحات: 1890-1977 درس الحقوق وامتحن المحاماة، من الوجوه الدستوري البارزة، كان على رأس اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم في الأربعينات من القرن العشرين. أنظر: محمد السعيد عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص32.

<sup>5</sup> - أعضاء هذه اللجنة هم: من الدستور القديم: صالح فرحات، الشاذلي الخلافي، المنصف المنستيري، محمد الحبيب شلي، أما عن الدستور الجديد فهم: صالح بن يوسف، المنجي سليم، الهادي نويرة، علي البهلوان، أنظر: محمد السعيد عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص265.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

الداخلي التي صادق عليها مؤتمر الثمانية لكن الدستور القديم المقيد والملتزم بقرار المؤتمر السري المنعقد في سبتمبر 1944، يرد عليه بأن تلك الوثيقة ذات صبغة ظرفية وقد تحفظ عليها صالح فرحات في حينها بعبارات صريحة في هذا الشأن. وقد تكررت اجتماعات اللجنة عدة شهور وبعدها وافق الدستور الجديد على مطلب الاستقلال التام.<sup>1</sup> وفي غمرة الخلاف بين الطرفين بادرت مجموعة من مدرسي جامع الزيتونة مؤلفة من المشائخ محمد الفاضل بن عاشور، الشاذلي بن القاضي، الطيب التليلي، الحبيب بن خوجة والمختار بن محمود، بعمل سياسي جريء مواز لنشاط لجنة الثمانية تمثل في تحرير عرائض تتضمن مطالبة الشعب التونسي بالاستقلال التام والطواف على مختلف فئات الشعب للتوقيع عليها فوجدت تلك المبادرة إقبالا كبيرا، فكان لذلك العمل أثر على دفع لجنة التنسيق المذكورة سابقا بين الحزبين الدستوريين، نحو الاتفاق على المطالبة بالاستقلال التام أيضا ميلا مع تلك الرغبة الشعبية، وتوصلت إلى صياغة النص النهائي لوثيقة الاستقلال واتخاذ قرار بتنظيم مؤتمر شعبي يُعقد في سرية تامة نظرا لكون حالة الحصار وما تفرضه من منع الاجتماعات العامة مازالت قائمة.<sup>2</sup>

### 2- مؤتمر ليلة القدر 27 رمضان 1365هـ الموافق لـ 23 أوت 1946م ونتائجه

بعد أن حصل التوافق في وجهات النظر بين الدستوريين القدامى والجدد والذي يبدو أنه لم يتم بسهولة، بل أجبرت الظروف الدستوريين الجدد على تبني طرح الاستقلال التام ولو من قبيل الإظهار لذلك دون قناعة راسخة، فمن غير المقبول أن يعارض الحزب ذلك المطلب الذي يعد المطلب الأساسي الذي أسس من أجله الحزب في سنة 1920 وعقب هذه الخطوة أصبح الجو مهيبا من طرف كل المقتنعين بعقد مؤتمر وإعلان ذلك إلا أن الظروف التي كانت تعيشها تونس فرضت على الأطراف المعدّة له والتي ستشارك في ذلك أن تلجأ للسرية في العمل بل وحتى في عقد المؤتمر خوفا من إجهاض المشروع من طرف سلطات الحماية.<sup>3</sup>

انعقد المؤتمر في الليلة الفاصلة بين 23 و 24 أوت 1946 ليلة 27 رمضان 1365هـ بالعاصمة التونسية برئاسة العروسي الحداد وهو مؤتمر وطني ضم زهاء 200 شخصية من كامل البلاد يمثلون المجتمع المدني وكل الفئات الاجتماعية والأحزاب السياسية شارك فيه الحزب الدستوري القديم ممثلا في شخص صالح فرحات، والاتحاد العام التونسي للشغل ومشائخ جامع الزيتونة وهم: الشيخ محمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي اللذين قاما بعمل كبير في إعداد المؤتمر والموظفون وأرباب الصناعة والتجارة والفلاحة والأطباء والصيدلة والمحامون والأساتذة والمعلمون وبعض الوزراء في عهد المنصف باي مثل محمد شنيق، وهذا ما يُفسّر قيمة وأهمية ذلك المؤتمر إلى جانب ما يمثله الاتفاق بين أعضاء الحزبين الدستوريين القديم ممثلا في صالح فرحات والجديد ممثلا في صالح بن يوسف وسليمان بن سليمان ومحمود المطري والهادي نويّة والباهي الادغم واتفاقهم على إتباع سياسة موحّدة في أعقاب التوجه العربي الجديد لبورقيبة، وهذا ولأول مرة تتكون جبهة وطنية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد السعيد عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص 265.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 265.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 266.

<sup>4</sup> - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 360.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وهكذا حل المؤتمر في بيت السيد محمد بن جراد زنقة الذهبي عدد 4 على الساعة التاسعة ليلا، وافتتح الجلسة السيد العروسي الحداد رئيس قسم التعقيب بالمحكمة التونسية وأسند الكلمة بعده لصالح فرحات فبين مراحل الجهاد السياسي وما آل إليه وتلاه صالح بن يوسف فشرح اللائحة التي تقرر عرضها على المؤتمرين،<sup>1</sup> فوافق المؤتمرين بالإجماع على ميثاق وطني أعلنوا فيه بطلان الحماية وطالبوا بالاستقلال التام والانضمام إلى جامعة الدول العربية، وقبل انفضاض المؤتمرين هاجمت القوات الفرنسية مكان الاجتماع وألقت القبض على أربعين من الحاضرين، فعمّ البلاد جو من الاضطرابات الخطيرة وقامت المظاهرات وأضرب الناس على أعمالهم واحتجبت جميع الصحف العربية كما احتج العالم العربي على هذا التصرف وردد صدى هذه الحادثة الرأي العام العالمي وخشيت السلطة الفرنسية اندلاع الثورة في البلاد فأطلقت سبيل المعتقلين بعد أن قضوا شهرا في السجن.<sup>2</sup>

يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عن ليلة المؤتمر "كان العنصر الزيتوني بارزا بين مكوّني المؤتمر، وزاد بروزا حين اعتقلت طائفة من المؤتمرين بتهمة التآمر على أمن الدولة الداخلي والخارجي، فكان فيهم ممثل الزيتونة وقامت المملكة كلها احتجاجا في وجه ذلك الاعتقال بالإضرابات التي شملت جميع التجار والصنّاع والعمال والموظفين وإعلان الامتناع عن اتخاذ مظاهر الزينة يوم عيد الفطر، وامتناع جلالة الملك من عقد الموكب الرسمي تضامنا مع الأمة في إعلان أسفها".<sup>3</sup> وجاء في البيان الذي بعثه ممثل الحزب الدستوري بمكتب المغرب العربي من القاهرة إلى جريدة الأهرام عرض للأحداث التي واكبت المؤتمر والتي تلتها وقد حرّر المؤتمرين عريضة أعلنوا فيها وجوب إنهاء الحماية الفرنسية مدعّمين قرارهم هذا بجيشيات قانونية ومطالبين بالاستقلال التام والانضمام إلى الجامعة العربية والأمم المتحدة والمشاركة في المؤتمر الدولي للسلام الذي انعقد إثر الحرب العالمية الثانية.<sup>4</sup>

ولقد تم في 31 أوت 1946 الإفراج عن خمسة عشرة سجيناً منهم محمد بالفاضل بن عاشور، وخرجت مسيرة طويلة وصامتة ضمت حوالي 10 آلاف تونسي أمام بيت الفاضل وتوالت الإضرابات ولم يبق إلى غاية يوم 7 سبتمبر إلا اثنا عشرة<sup>5</sup> زعيما مسجوناً من بينهم صالح فرحات وأحمد بن ميلاد وعلي البهلوان والباهي الادغم والمنحجي سليم وصالح بن يوسف وغيرهم،<sup>5</sup> وفي الوقت الذي استمر فيه سجن القادة الأخيرين، لم تهدأ الأحزاب التونسية وظلت الدعاية السرية تنتقل بواسطة عرائض تنشر وترّوج داخل جميع أنحاء البلاد وتحتوي على العديد من التوقعات، وكانت الاقتراحات الأكثر ابتكاراً هي تلك التي تقدّم بها ممثلو العائلة الحسينية وأعضاء المجالس البلدية وأعضاء من أساتذة المسجد الكبير جامع الزيتونة وتهدف هذه العرائض لتأكيد التقدم لجامعة الدول العربية وأعضاء منظمة الأمم المتحدة للتعبير عن إرادة الشعب التونسي في التصرف بنفسه بطلب الاستقلال.

<sup>1</sup>- محمد السعيد عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص 267.

<sup>2</sup>- الحبيب ثامر: هذه تونس، مطبعة الرسالة، د.ت، صص 106-107.

<sup>3</sup>- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 205.

<sup>4</sup>- عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 360.

<sup>5</sup>- محمد السعيد عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص 272.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وفي 23 سبتمبر 1946 تم الإفراج عن المساجين المتبقين ونج عن ذلك مظاهرة تعاطف تم خلالها تقديم الزعماء المفرج عنهم لتصريحات وخطابات تم فيها الرد على المندوب السامي من باريس وذلك عبر إذاعة تونس والتي أشار من خلاله أن الإصلاحات المقررة هي لصالح التونسيين، كما تزامنت مع تلك المظاهرات مظاهرات أخرى للتعاطف مع المفرج عنهم.<sup>1</sup>

واستمر العمل والتنسيق بين مختلف الأطراف لضمان المواصلة من أجل تحقيق هدف الاستقلال، فقد اجتمع ما يقارب 150 مدعوا يوم 25 سبتمبر 1946 بسيدي بوسعيد في دعوة لوليمة على شرف ضحايا 23 أوت، وترأس هذا الاجتماع محمد الفاضل بن عاشور، وضمّ الدستوريين والأمراء المنصفين والمتقفين والعلمانيين ورجال الدين وقد تمت فيه خطابات.<sup>2</sup>

ومما يشد الانتباه أن الشيخ محمد الفاضل بن عاشور قد تعاون في نشاطه السياسي الوطني مع الحزب الدستوري الجديد بما لم يفعله مع الحزب الدستوري القديم رغم أن المنطلقات الإيديولوجية العربية الإسلامية التي يستند إليها الشيخ في عمله السياسي تجعله أقرب لقادة اللجنة التنفيذية منه لقادة الديوان السياسي. فالشيخ محمد الفاضل لما دخل المعترك السياسي كان زعيم الحركة الإسلامية الشيخ عبد العزيز الثعالبي قد شاخ ثم ما لبث أن مرض وتوفي، وأن الحزب الدستوري القديم كان قد فقد جانبا مهمًا من جاذبيته كإطار سياسي للنضال الجماهيري.<sup>3</sup>

إضافة إلى شخصية محمد الفاضل بن عاشور، كان الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي، من أبرز علماء هذا التيار الزيتوني المناضل يدافع من أجل مبادئه بالقلم في المجلة الزيتونية التي أسسها سنة 1355هـ/1936م، وبالنزول إلى الميدان بالمشاركة الفعّالة في العمل السياسي فكان من العاملين البارزين في "مؤتمر ليلة القدر" سنة 1946 الذي اجتمعت فيه كل القوى الوطنية وطالبت فيه بالاستقلال.<sup>4</sup>

وكانت هاته التحركات الزيتونية قبل وأثناء مؤتمر ليلة القدر سنة 1946 قد زادت في أهمية التيار الزيتوني على الساحة الوطنية وكانت وراء إلحاق كل من محمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي بالديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد.<sup>5</sup>

إن ميل بعض الزيتونيين للبروز كقوة مستقلة على الساحة التونسية بدا واضحا، وقد كان مثال "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" يستثيرهم، لكن قادة الحزب الدستوري الجديد أدركوا جيدا ذلك الميل فعملوا من أجل استيعاب هذا "الخطر" بضم الشيخين محمد الفاضل بن عاشور والشيخ الشاذلي بن القاضي إلى الديوان السياسي بعد مؤتمر ليلة القدر المذكور.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - محمد السعيد عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص273.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص272.

<sup>3</sup> - علي الزيدي: الشيخ محمد الفاضل بن عاشور والحركة الوطنية من 1943 إلى 1953، ج2، جريدة الشعب، تونس، يوم 2009/12/26.

<sup>4</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص139.

<sup>5</sup> - الحبيب نويرة، المصدر السابق، ص105.

<sup>6</sup> - علي الزيدي، الزيتونية دورها، المرجع السابق، صص152-153.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وكان هذا الانضمام للشيخين بمبادرة من صالح بن يوسف الذي طرح الفكرة على الباهي الأدغم وهما في السجن على إثر اعتقالات مؤتمر ليلة القدر وعرضها للمناقشة على الديوان السياسي الموسع للحزب أثناء اجتماع المنعقد يوم 23 سبتمبر 1946، وقد حضر ذلك الاجتماع كل من المهادي نوية والمنجي سليم، وعلي البهلوان، والباهي الادغم، ومحمود المسعدي وسليمان بن سليمان، فلم يعترض على ضم الشيخين ابن عاشور وابن القاضي للديوان السياسي إلا ابن سليمان على حد ما جاء في شهادته.<sup>1</sup>

إلا أن الشيخ محمد الفاضل لم يستطع المقام ويركن إلى الهدوء، وما فتئ خطره يتعاظم ضمن الديوان السياسي نفسه بعد الدور الذي لعبه في تأسيس الاتحاد العام للشغل، الأمر الذي قضى بالمواجهة.<sup>2</sup> وعليه يعتبر مؤتمر ليلة القدر حدث مفصلي في تاريخ الحركة الوطنية التونسية بشكل عام وفي مسيرة الحركة الزيتونية -إن جاز التعبير - والذي ستبني عليه مواقف جميع الأطراف في مستقبل تونس السياسي وسيكون مرجعا للطرف الزيتوني السياسي، وأيضا لقسم معتبر من قادة الدستور الجديد الذي عُرف فيما بعد "باليوستيفيين" نسبة للزعيم صالح بن يوسف الذي تحالف مع الزيتونيين ضد أنصار بورقيبة، وهذا الميل للزعيم صالح بن يوسف قد ظهر جليا في اقتراحه ضم شيوخ الزيتونة إلى الديوان السياسي، وعليه فستقوم الصراعات الحزبية والمطلبية على شرط مؤتمر ليلة القدر وهو الاستقلال التام وذلك إلى غاية الاستقلال النهائي لتونس سنة 1956.

### المطلب الثاني: نشاط الزيتونيين ضمن الاتحاد العام التونسي للشغل وتأثيرهم في توجهاته الفكرية

في الأربعينات بدأت معركة على الصعيد النقابي تمثلت في ظهور النقابات التونسية المستقلة في جنوب البلاد أولا ثم بوسطها وشمالها بعد ذلك فيما يُشبه حركة تدريجية لإحياء جامعة عموم العملة التونسية، وقد لعب الزيتونيون عموما أدوارا متميزة في صلب هذه الحركة النقابية بمختلف جهات البلاد، لأن جميع معلمي اللغة العربية في المدارس الحكومية والخاصة والأكثرية الغالبة من موظفي المحاكم الأهلية ونسبة معتبرة من موظفي المصالح الإدارية كانوا من الزيتونيين. وكاد ينحصر المثقفون بالمدن الصغيرة والقرى فيهم، وشارك هؤلاء الزيتونيون بتأسيس نقاباتهم فكانت قوام جامعة الموظفين التونسيين التي شكلت مع النقابات المستقلة للجنوب واتحاد النقابات المستقلة للشمال - الاتحاد التونسي للشغل عام 1946.<sup>3</sup>

وقد شارك هؤلاء الزيتونيون بتأسيس نقاباتهم فتشكلت نقابة المدرسين الزيتونيين سنة 1937 وكانت أهم إنجازاتها المطلبية الإضراب الأول في نوفمبر 1943 وانعقاد المؤتمر العام لإصلاح التعليم الزيتوني في أكتوبر 1944 كما تشكلت نقابة المساعدين على التدريس ونقابة المكلفين بالتعليم في الفروع الزيتونية ونقابة القيمين الزيتونيين ونقابة الإداريين بمشيخة الجامع الأعظم وفروعه.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>-علي الزيدي، الزيتونيون ودورهم، المرجع السابق، ص542.

<sup>2</sup>-علي الزيدي، الزيتونة ودورها، المرجع السابق، ص153.

<sup>3</sup>-المرجع نفسه، ص148.

<sup>4</sup>-إبراهيم بن حسن: الزيتونة في الحقل النقابي في ذكرى مرور ثلاثة عشرة قرن على تأسيس الزيتونة، د.ن، تونس، 1979، ص76.

## 1- مساهمة ونشاط الزيتونيين في تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل سنة 1946

ويظهر لنا أن المشايخ الزيتونيين كان لهم حضور ومشاركة قوية في أعمال المؤتمر التأسيسي لهذه المنظمة العمالية، حيث تولى محمد الفاضل بن عاشور الرئاسة الشرفية للاتحاد وقام بدور مهم في مرحلة الدعاية النقابية بربط العنصر الشعبي ربطا محكما بالتوجه الديني لسد الطريق أما الاشتراكيين والشيوعيين، وقد قام بذلك من خلال ترؤسه اجتماعات عمّالية في مختلف جهات البلاد التونسية لإقناع العمال التونسيين بأن لا سبيل إلى تدعيم كيانهم الاجتماعي إلا بمنظمات مستمدة أصولها من روحهم القومية ومبادئهم الإسلامية وأقنعهم بالانسحاب من الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي والانخراط في الاتحاد العام التونسي للشغل.<sup>1</sup>

لقد لعبت الخلدونية غداة الحرب العالمية الثانية دورا هاما في الحياة الثقافية والاجتماعية إذ احتضنت العديد من المؤتمرات والتظاهرات ومن بينها أول مؤتمر للجامعة العامة للموظفين التونسيين بعد الحرب وقد انعقد في أبريل 1945.<sup>2</sup> وليس من الغريب أن ينعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام التونسي للشغل بعد تسعة أشهر فقط في نفس المكان، وقد لعب العنصر الزيتوني خلال هذا المؤتمر دورا متميزا وبرز خاصة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مدير الخلدونية الذي ألقى بخطاب في الجلسة الافتتاحية مباشرة بعد فرحات حشاد.<sup>3</sup>

ولأهمية ذلك الخطاب تدخل حشاد نفسه ليعلن وجوب إدراجه في السجل الرسمي للاتحاد وفي نفس الجلسة ارتحل الشيخ محمد الصالح النيفر خطابا جليلا في معنى العمل النقابي ومعنى التعاون واستعداد جمعية الشبان المسلمين التي يرأسها التهامي عمار وهو زيتوني أيضا" مستشهدا بعدة أحاديث في الموضوع النقابي" وقد قوبل تدخله بالاستحسان من قبل المؤتمرين.<sup>4</sup>

غير أن العناصر الزيتونية لم تكن بدور المرشد الديني وإنما كان دورها أكثر فعالية وتكفي الإشارة هنا إلى ما قام به محمد الصالح النيفر حيث تدخل خلال النقاش مطالباً بتوسيع النشاط النقابي إلى مناطق التراب العسكري بالجنوب مؤكداً بذلك على المنحى الوطني للمركزية الجديدة كما حرص بعد انتهاء الأشغال على استضافة المؤتمرين، أما محمد الفاضل بن عاشور فقد أشرف على انتخاب الهيئة الإدارية للاتحاد وآلت إليه بعد التصريح بالنتائج رئاسته الشرفية، كما انتخب من بين الزيتونيين التهامي عمار ومحمد الصالح النيفر، وبذلك فإن التمثيل الزيتوني في قيادة المركزية النقابية كان

<sup>1</sup> -أروى النيفر: محمد الصالح النيفر حياته وآثار، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2006، ط1، ص45.

<sup>2</sup> - محمد ضيف الله: بين التجاذب والتنافر الزيتونة والاتحاد العام التونسي للشغل من أواسط الأربعينات إلى أواسط الخمسينات، أعمال الندوة الدولية الحادية عشر، الزيتونة الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي، المرجع السابق، ص245.

<sup>3</sup> -فرحات حشاد: 3 فيفري 1914-5 ديسمبر 1952؛ ولد في قرية العباسية بجزيرة قرنة ولاية صفاقس، وكان أبوه من صيادي الأسماك، تلقى دراسته الابتدائية في المدرسة العربية الفرنسية بقرية الكلابين، فأظهر ذكاء نادرا نال به الإعجاب والإكبار، وفي سنة 1928 تحصل على الشهادة الابتدائية ومن ذلك الوقت انقطع عن الدراسة نظرا لظروف العيش القاسية، كان منخرطا ثم مسؤولا في الجامعة العامة للشغل C.G.T لمدة 8 سنوات كان نقابيا لامعا في سوسة ثم في صفاقس حيث أصبح أمينا عاما للمكتب المحلي، مهنته مستكتب بالشركة التونسية للنقل بالساحل، أسس في مدة تعتبر قصيرة 460 نقابة تضم 6000 عاملا، وكان دوما يلقي مساندة من الرابطة العالمية للنقابات الحرة للقيام بعمله الوطني، تمثل في بعث برقيات للسلطة الفرنسية لتأمين سلامة حشاد، لذلك لم يقع اعتقاله في 18 جانفي 1952 مع الزعماء السياسيين والوطنيين، وبقي طليقا يسيّر الاتحاد ويدعم الوطنيين والمقاومة حتى وقع اغتياله في 05/12/1952 من طرف البد الحمراء الفرنسية. أنظر: عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص363-364.

<sup>4</sup> - محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر، المرجع السابق، ص245.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

مكتّفا.<sup>1</sup> وأظهرت النشاطات النقابية وخاصة للشيخ الفاضل بن عاشور ومشاركته الهامة داخل الاتحاد لعام التونسي للشغل ما بين سنتي 1946-1947م، من أحصص سنوات التحرك السياسي والاجتماعي والثقافي في حياة محمد الفاضل كمثل للمجموعة الزيتونية خاصة والمجتمع التونسي عامة ومشاركاته الكبيرة في المؤسسات التالية: الجامعة العامة للنقابات الفلاحية، جمعية الدفاع عن طلبة شمال إفريقيا. وأسس لاتحاد الجمعيات الزيتونية، وهذا النشاط المتنوع للشيخ الفاضل داخل النقابات الزيتونية لا يمكن أن يغفل عنه الزعيم النقابي فرحات حشاد بعد انفصاله من النقابات ذات التوجه الشيوعي والأجنبي والائتلاف مع الفاضل لتأسيس اتحاد نقابي تونسي.<sup>2</sup>

وبالإضافة إلى الخطب النقابية التي ألقاها الفاضل في اجتماعات كثيرة كان ينشر بعض المقالات النقابية في الصحافة منها مقال بجريدة الزهرة يوم 27 جويلية 1946، ويبدو جليا في الوثائق السياسية والإدارية والأمنية المتعلقة بسنتي 1946-1947 أن القوى السياسية من الأحزاب على مختلف مشاربها والمنظمات الاجتماعية والنقابية إضافة إلى السلطات الاستعمارية والتونسية بقصر الباي كانت تعتمد أساليب الاتهامات والدعاية والتشويه ضد أي شخصية بارزة أو منظمة نقابية قائمة ومنها إقصاء الفاضل بن عاشور واتهامه.<sup>3</sup>

لقد امتد نضال الشيخ من موقع رئاسة الاتحاد ثلاثة وعشرين 23 شهرا أي إلى حدود المؤتمر الثاني للاتحاد الذي انعقد بيوم 19/12/1947 بصفاقس والذي ألغى منصب رئيس الاتحاد من هيكلته.

حيث وبعد مضي أقل من ثلاثة أشهر على تأسيس الاتحاد أي في مارس 1946 تحوّل الشيخ الفاضل إلى مدينة صفاقس حيث عاين التقدم الحاصل في استكمال بناء هياكل الاتحاد في تلك الجهة وألقى بالمناسبة خطابا تحريزيا وتعبويا هاما وفي غرة ماي 1946 وكان أول عيد للعمال يحييه الشغالون التونسيون في إطار الاتحاد العام للشغل، شارك الشيخ المناضل في المسيرة العمالية الضخمة التي انتظمت بالمناسبة بمدينة تونس، وكان في طليعتها إلى جانب قادة الاتحاد الآخرين<sup>4</sup>، وهو ما خلّدته صور عديد نشرت الصحف الصادرة في تلك الأيام البعض منه. وخلال شهر ماي من سنة 1947 استقبل الشغالون والنقابيون بجهة قفصة الشيخ المناضل بصفته رئيسا للاتحاد في نادي الاتحاد الجهوي والكائن بمقر جمعية "شباب ابن منظور القفصي" وذلك بمناسبة احتفال الشغالين بمرور سنة على تأسيس الاتحاد الجهوي 05/05/1947 وقد كانت هذه الزيارة مثل تلك التي أداها الشيخ إلى صفاقس قبل أكثر من سنة وتثبت تحمل الشيخ لمسؤولياته في تفقد أحوال الاتحادات الجهوية وخاصة منها ما يبرز بنضالاته وتحدّر أثره في الحياة السياسية العامة وعزم رجاله على مقارعة الاستعمار وأعوانه وقد تم في الاجتماعات التي انعقدت أثناء تلك الزيارة تركيز العديد من النقابات وتكوين هيئاتها كما ألقى الشيخ المناضل كعادته خطابا تعبويا تحريزيا كانت له أصداءه في منطقة بدأت تبرز

<sup>1</sup> - محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر، المرجع السابق، ص 246.

<sup>2</sup> - محمد الهيلة: الشيخ الفاضل بن عاشور ومكانته في الاتحاد العام التونسي للشغل من خلال الوثائق الفرنسية 1946-1947، أشغال الندوة الدولية حول الزيتونة الدين والمجتمع والحركات التحررية في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 64-66.

<sup>3</sup> - محمد الهيلة، المرجع السابق، ص 76-77.

<sup>4</sup> - أنظر الملحق رقم 29، صورة تعبر عن نشاط محمد الفاضل بن عاشور مع العمال في 1 ماي 1946.



## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

فيها بوادر الالتحام النضالي بين إخوة الكفاح الوطني التحرري في كل من الجزائر وتونس وكانت فيها الروح القومية العربية والدعوة إلى وحدة النضال الوطني في المغرب العربي متّقدة.<sup>1</sup>

### 2- تأثير الزيتونيين في التوجه الفكري للاتحاد العام التونسي للشغل

لقد كان تأثير الزيتونيين في التوجه الفكري للاتحاد العام التونسي للشغل واضحا وجليا هذا إن لم نقل بأنهم المؤسسون الفعليون لهذا الاتحاد النقابي التونسي، حيث يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عن هذا التأثير " واتجهت الصحافة الوطنية كلها هذه الوجهة فصارت تعتبر العنصر الزيتوني في المجتمع التونسي العنصر القومي النير المسؤول عن العمل والتوجيه واستحباب الزيتونيين والرأي العام إلى ذلك فصارت جميع الندوات السياسية والوفود لا تتعقد ولا تسير إلا بهم والمظاهرات لا تخرج إلا وهم في مقدمة قادتها، وارتبط العنصر الشعبي من ذلك ارتباطا محكما بالتوجيه الديني فسد بذلك الطريق على الدعوة الاشتراكية والشيوعية التي كانت تتسرّب إلى العمال من باب الحركة النقابية ونفض جميع التونسيين أيديهم من الأمل في تلك المبادئ الأجنبية وآمنوا بأن لا سبيل لتدعيم كيانهم الاجتماعي إلا منظمات مستمدة أصولها من روحهم القومية ومبادئهم المليية، فتكونت الجامعة العامة للموظفين التونسيين منفصلة عن جامعة الموظفين التي كانت تجمع التونسيين وغيرهم على أصول اشتراكية مجافية لروح القومية.. وانعقدت بالخلدونية الجلسة التاريخية الجامعة التي التأمّت فيها جامعة الموظفين مع جامعة نقابات العمال المستقلة تحت اسم "الاتحاد العام التونسي للشغل" على قاعدة الرابطة القومية والأصول الإسلامية، وأصبح الاتحاد العام التونسي للشغل في روحه وتأسيسه ومبادئه العليا وأغلبية عناصر قيادته المركزيين والمحليين، إسلاميا بل زيتونيا وتكونت على مثاله جامعة النقابات الفلاحية ثم اتحاد الصناع وصغار التجار منتسبين كذلك إلى روح التوجيه الزيتوني".<sup>2</sup>

ويدل كلام الشيخ محمد الفاضل بن عاشور دلالة قطعية على عمل الزيتونيين على فصل العمال التونسيين على النقابات التي تتبنى الطرح الاشتراكي الشيوعي أو النقابات التي كانت تحت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية، وذلك لدفع العمل التحرري الوطني من خلال هاته المنظمات تحت التوجه الفكري العربي الإسلامي الذي تبناه التيار الزيتوني وعمل على تجسيده على أرض الواقع.

ويبدو أن مخلفات وتأثير التيار الزيتوني على الاتحاد العام التونسي للشغل لم يقتصر على الموقف من مسألة إصلاح التعليم الزيتوني وإنما يرتبط أيضا برفع مطلب التعريب الذي كان أحد المطالب الأساسية التي تبناها الاتحاد العام التونسي للشغل وهو مطلب ذو بعد قومي بالإضافة إلى بعده الوطني.<sup>3</sup>

لقد شهدت الأربعينات نمو المشاعر القومية العربية مع تأسيس جامعة الدول العربية واستقلال سوريا ولبنان بالإضافة إلى ما أثارته القضية الفلسطينية من تعاطف شعبي كبير على الساحة التونسية، وقد استغل التيار الزيتوني هذا المناخ المواتي ليرفع بمطلب التعريب إلى صدارة المطالب الوطنية، وساهم من موقعه في صلب المركزية النقابية في جعله

<sup>1</sup>-جعفر حسين: محمد الفاضل بن عاشور حياته نشاطه العلمي والدعوي والنقابي، موقع أنفاس.نت، تاريخ الاطلاع 2021/04/12 15.45،

www.anfasse.org

<sup>2</sup>-محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، صص204-205.

<sup>3</sup>-محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر، المرجع السابق، صص253.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

مطلباً نقابياً، إذ رُفِعَ هذا المطلب منذ ظهور الاتحاد حيث أن من الشروط التي وضعتها القيادة النقابية القبول بالوحدة مع الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي هو أن تكون اللغة العربية اللغة الرسمية للمنظمة الجديدة،<sup>1</sup> وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى استبعاد العناصر النقابية الفرنسية وتصبح اللغة العربية حينئذ سلاح مقاومة ونضال ضد الحضور الفرنسي.<sup>2</sup>

ولا شك أن انضمام العناصر الزيتونية ونشاطهم ضمن أطر الاتحاد العام التونسي للشغل كان له أثر واضح في زيادة عدد منخرطيه بحيث ارتفع عدد المنخرطين في الاتحاد العام UGTT من عشرين ألفاً 20000 سنة 1946 إلى حوالي مائة ألف 100000 سنة 1950، ويعني ذلك أن دوره في الكفاح الوطني وفي حياة البلاد ما انفك يتأكد.<sup>3</sup>

أيضاً من أهم التأثيرات الزيتونية على توجيه الفكر السياسي للحركة النقابية التونسية أن الاتحاد العام التونسي للشغل لم يغفل عن القضية الوطنية، بل جعلها من صلب اهتماماته حيث أعلن المؤتمر الرابع للاتحاد عام 1951 عن أهداف سياسية؛ النضال من أجل الديمقراطية ومن أجل التحرر الوطني، كما قام بتنظيم عدة إضرابات ذات صبغة سياسية وطنية منها إضراب 29 نوفمبر 1951 الذي جاء كرد فعل على الجواب السلبي للحكومة الفرنسية عن المطالب الوطنية التونسية، ومنها إضراب 19 جانفي 1952 الذي كان الشرارة الأولى للثورة، وأصبح الاتحاد هو القوة الرئيسية الموجهة للعمل الوطني والناطق الرسمي باسم كل الحركة الوطنية التونسية كما كان له علاقة بالمقاومة المسلحة فلاقة المدن.

وبهذا النشاط دفع زعيمه فرحات حشاد ضريبة غالية وهي دمه من أجل أن تعيش تونس حرة مستقلة حيث قامت اليد الحمراء بعملية اغتياله في 05 ديسمبر 1952، ولكن الاتحاد واصل نشاطه بالإضرابات والمظاهرات حتى قبول فرنسا بمفاوضات الاستقلال الذاتي.<sup>4</sup>

فليس عبثاً إذا أن يكون اختيار الخلدونية لتكون مقراً لانعقاد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام التونسي للشغل، أكثر من مغزى واحد فلقد سعى المؤتمرون وأغلب عناصرهم القيادية من الزيتونة على التركيز على مدى ارتباط "المولود الجديد" بالقيم والمبادئ الروحية والحضارية النابعة من صميم الأمة العربية وصفاء الإسلام، وكان في ذلك تحدي للقوى الاستعمارية الفرنسية وتحذير للنقابات الفرنسية من مغبة التمسك بموقفهم المصير على إبقاء العمال التونسيين تحت سيطرتها لتستمر في استغلالها البشع كما كان فيه تطمين للشعب وللقوى الوطنية بالبلاد بأن العمال سوف يعملون على تمكين الصلة بأمتهم وتقوية الروابط التي تشدهم إلى قيمها الروحية الخالدة، كما أنهم يلتزمون بالعمل على إحياء مجدها والمساهمة في النضال من أجل حرّيتها وكرامتها.<sup>5</sup>

### 3- إزاحة الفاضل بن عاشور وتراجع التيار الزيتوني داخل قيادة الاتحاد:

لكن العلاقة بين التيارين النقابي والزيتوني لم تكن سهلة، ومن المؤشرات على ذلك أن الشيخ محمد الفاضل بن عاشور أُبعد عن الرئاسة الشرفية للاتحاد بعد أقل من سنتين أي خلال المؤتمر الثاني المنعقد في ديسمبر 1947، بالرغم

<sup>1</sup> - محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر، المرجع السابق، ص 253.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 254.

<sup>3</sup> - محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، صص 130-131.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 133.

<sup>5</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 224.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

من أن الشيخ كان مرشحا للعب دور فعلي خلال ذلك المؤتمر بالذات، ويبدو أن مقترحا كان يعرض لإسناد الرئاسة الفعلية له مقابل التقليص من مكانة فرحات حشاد بتعيينه أمينا عاما للعمال والصُّحبي فرحات أمينا عاما للموظفين غير أن هذا المقترح باء بالفشل وآل الدور الأول في الأخير إلى فرحات حشاد.<sup>1</sup>

بقطع النظر عما قد يكون للاعتبارات الشخصية من دور في إبعاد محمد الفاضل بن عاشور عن القيادة النقابية فمن الأكيد أنه استوفى المهمة التي أُسندت إليه حيث حقق الاتحاد منذ سنته الأولى الانتشار المرجو إذ التفّ حوله العمال وامتد تنظيمه على كامل مناطق البلاد، بل إن إبعاد الفاضل بن عاشور يؤشر على عملية فرز محدودة داخل المركزية النقابية بما يعطي الأولوية للخط العمالي دون أن يصل ذلك إلى قطيعة بين الزيتونيين والاتحاد. إذ استمروا يقومون بدور هام داخله من خلال النقابات التي تمثلهم، من جهة أخرى يبدو أن الضغوط الخارجية ساهمت بدورها في التضحية بالفاضل بن عاشور إذ أصبحت عقبة أمام تحقيق الوحدة النقابية وبالتالي الانضمام إلى الجامعة النقابية العالمية وأصبح استبعاده ضروريا لتفويت الفرصة على أولئك الذين يتهمون الاتحاد بالتعصّب الوطني والديني.<sup>2</sup>

حيث لم يسلم الشيخ الفاضل من تكالب النقابات التي لا تنتمي للاتحاد العام التونسي للشغل بل حتى الفدرالية العالمية للشغل، اعتبرت وجوده في الاتحاد مانعا ومؤثرا لاعتراض الفدرالية بهذا الاتحاد في مؤتمره ببراغ Prague حيث طُلب من الاتحاد أن يراجع موقفه وخاصة موقع الشيخ الفاضل الذي يوصف عندهم بكونه رجل دين لا ينتمي للعمل.<sup>3</sup> وهو الأمر الذي أجاب عنه فرحات حشاد في رسالة متأخرة نسبيا فيقول لهم متحدثا باسم الاتحاد العام التونسي للشغل "لسنا منظمة دينية، والدين ليس له أي مكان في عملنا ولا في خطاباتنا ولا في مناقشاتنا" .. ويُشير إلى وجود الزيتونيين في الاتحاد قائلا كذلك "فهؤلاء الأشخاص هم أجراء الدولة وانتماءؤهم شبيه بانتماء بعض موظفي الكنيسة إلى النقابات المسيحية التابعة لجامعتكم".<sup>4</sup>

ولكن كل ذلك ينهار بين يدي الشيخ الفاضل عندما يقع الاختلاف بينه وبين الهيئة المديرية للاتحاد العام التونسي للشغل، فيلاحظ تغييرا في الانتماءات السياسية وتغيرا في المواقف وخضوعا للأمين باي وحاشيته بعد أن كان الاتحاد يعف عن التعامل مع ملك ليست له شرعية وإنما نصّب الفرنسيون في حركة قمع الأمة التونسية، وأمام هذا الانقلاب الكبير الذي حدث في الاتحاد لجأ الشيخ الفاضل إلى تسجيل رأيه وإبدائه من خلال رسالة وجهها إلى فرحات حشاد.<sup>5</sup> وأهم ما تحتويه الرسالة انتقاد قوي لفرحات حشاد والاتحاد في تعاملهم مع الأمين باي ولقائه إثر حوادث صفاقس في أوت 1947 وأن مؤتمر ليلة القدر 1946 يؤكد عدم شرعية الملك الأمين باي.. إلخ.<sup>6</sup>

<sup>1</sup>- محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر، المرجع السابق، ص 249.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 249.

<sup>3</sup>- محمد الهيلة، المرجع السابق، ص 104.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص 105.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص 106.

<sup>6</sup>- المرجع نفسه، ص 109.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

ولعل من أقوى المؤثرات التي دفعت الاتحاد إلى التخلص من الشيخ الفاضل هو سعي صالح بن يوسف إلى إبعاده عن قيادة الاتحاد.<sup>1</sup>

وهذا يدخل في صراع الحزب الدستوري الجديد مع الشيوخ الزيتونيين وهذا الصراع الذي سيمتد إلى غاية استقلال تونس في جميع المواقع السياسية والأطر التنظيمية، وفعلا انعقد مؤتمر الاتحاد العام التونسي للشغل فيما بين 19-22 ديسمبر 1947 بحضور 590 مؤتمرا نقابيا دون حضور الرئيس الشرقي "مدى الحياة" ولم يُذكر اسمه فيه ولو مرة واحدة وهو ما يؤكد غياب الشيخ الفاضل من الساحة السياسية كما يقول المقيم العام مونس Mons في رسالته إلى بيدو Bidault وزير الخارجية الفرنسية، وفي هذا المؤتمر حضر صالح بن يوسف وعلي البهلوان وخطبا في النقابيين وصفق الحاضرون على تسمية صالح بن يوسف عضوا شرفيا في الاتحاد العام التونسي للشغل، وظهرت هيئة الاتحاد تضم 21 منتخبا ليس بينها من وجوه الزيتونيين من يمكن أن يُذكر اسمه وبعد أسبوع من ذلك أقصي الصحي فرحات.<sup>2</sup>

ومهما يكن من أمر فإن إزاحته من القيادة النقابية تعتبر أحد المؤشرات على بداية تراجع التيار الزيتوني وربما توسعت رقعة ذلك التراجع تدريجيا إلى أن كاد هذا التيار يهيمش تماما، وقد أرجع الفاضل بن عاشور نفسه ذلك إلى أواخر الأربعينات عندما فشل مؤتمر الثقافة الإسلامية المنعقد في سبتمبر 1949 والذي كانت مواكبه الباهرة كما يقول توديعا لذلك العهد السعيد من التفاف الأمة حول نهضة الثقافة الإسلامية.<sup>3</sup>

ولكن رغم تراجع دور التيار الزيتوني على الساحة الوطنية وفي علاقته مع المركزية النقابية وفي هياكلها فإن بصماته بقيت بادية للعيان في الخطاب النقابي المتصل خاصة بإصلاح التعليم الزيتوني ومسألة التعريب.<sup>4</sup>

وهكذا فإن الحركة العمالية والاجتماعية بتونس كانت في نواتها زيتونية ثم إنها وجدت من أبناء الزيتونة من الرعاية ما مكّنها من الاستمرار في السير في طريقها الوطني الصحيح ومن تحمل أعباء النضال النقابي والوطني ضد القوى الاستعمارية العاشمة وواجه أعضاؤها بقوة المؤمن وصبره وجلده التهديد والإرهاب وحتى الاختطاف والاعتقال وما ضعفوا وما استكانوا...<sup>5</sup>

**المطلب الثالث: النشاط السياسي الوطني لطلبة وعلماء الزيتونة بعد مؤتمر ليلة القدر 1946 إلى غاية سنة**

**1949**

لقد ازداد النشاط السياسي الوطني لطلبة وعلماء الزيتونة في هاته الفترة بشكل ملحوظ وذلك بقيادة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، الذي سطع نجمه السياسي وزاد رصيده الشعبي خاصة بعد النجاح في توحيد القوى الوطنية في مؤتمر ليلة القدر المشهود وكانت نشاطات الزيتونيين متعددة ومكثفة من خلال تواجدهم في الحركة المنصفية ودعم القضية

<sup>1</sup>- محمد الهيلة، المرجع السابق، ص 109.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 109.

<sup>3</sup>- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 225.

<sup>4</sup>- محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر، المرجع السابق، ص 250.

<sup>5</sup>- الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 225.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

الفلسطينية وعقد التجمعات الشعبية والكتابات السياسية في الصحف الوطنية لترسيخ مبدأ المطالبة بالاستقلال التام ورفع الوعي الوطني التحرري لدى الشعب التونسي.

### 1- نشاطات سياسية مختلفة لطلبة وعلماء الزيتونة بقيادة محمد الفاضل بن عاشور

إن النشاطات السياسية الوطنية المكثفة التي قادها ونظمها طلبة وعلماء الزيتونة بقيادة الشيخ الفاضل بن عاشور لا يمكن حصرها والتطرق إليها بشكل مفصل وسنكتفي بأهمها والتي تصبُّ في المجال السياسي الوطني. حيث حضر في 9 سبتمبر 1946 اجتماعا نسائيا انتظم بجامع الصفصاف في المرسى ألفت فيه عائشة بنت عمار إحدى خريجات جامعة باريس محاضرة حول نشاط الطلبة بباريس ثم خطب الشيخ مبرزا دور التربية الجهادية في الإسلام. وفي 4 فيفري 1947 صرَّح الشيخ من على منبر جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية وسط عدد غفير من الحاضرين أن تونس دخلت في مناخ سياسي جديد وأن الشباب المثقف هو رهان المستقبل بالنسبة لهذا الاستقلال. وزار الشيخ كُلا من مدينة الكاف في 5 فيفري 1947 وسوسة والمنستير والمكنين في 6 فيفري والقلعة الكبرى في 7 فيفري فعقد الاجتماعات في المساجد وألقى بها المحاضرات الدينية والوطنية وفي 11 فيفري ألقى الشيخ محاضرة بقاعة حديقة "بلفدير" في تونس العاصمة أمام مئات الحاضرين حول قضية الاستقلال الوطني واجتمع الشيخ في 17 جويلية بجمعية الشيخ محمد الصالح النيفر والشاذلي بن القاضي ومحمود بن طاهر بحوالي 300 إلى 400 شاب زيتوني وخطب فيهم مبرزا منزلة الجهاد في الإسلام ودوره في تحرير الشعوب مقارنة هؤلاء الشبان بالمجاهدين الذين هم مستعدون لفداء الوطن بأرواحهم لأجل تحقيق نصر الإسلام والعروبة.<sup>1</sup>

وتزعم الشيخ محمد الفاضل التيار القومي العربي الناشئ بالبلاد التونسية، فأسهم في 22 مارس 1947 في احتفال الحزب الدستوري الجديد بالذكرى الثانية لتأسيس جامعة الدولة العربية المعروف بعيد العروبة الثاني الذي انتظم بالملعب البلدي (ملعب الشاذلي زويتن اليوم) إلى جانب كل من صالح بن يوسف والعروسي الحداد وعلي البهلوان والصحبي فرحات وأحمد توفيق المدني، فكان يوما مشهودا تألق فيه الشيخ محمد الفاضل وأبرز لجماهير الحاضرين الذين قُدِّرت أعدادهم بعشرات الآلاف انتسأهم إلى أمة عظيمة هي أمة الإسلام والعروبة، فكان لذلك أثر عظيم في نفوس الشباب التونسي جعلهم ينظمون بنفس الملعب احتفالا ثانيا في 7 أبريل 1947 دعا إليه الاتحاد الإسلامي لمنظمات الشباب التونسي بمناسبة الذكرى الثانية للعيد العالمي للشباب شارك فيه ما يزيد عن 40 جمعية شبابية، فكان ذلك مناسبة جديدة لتوثيق الصلة بين الفئات الشبابية وإذكاء الشعور الوطني العربي الإسلامي والتفافها حول شخص الشيخ محمد الفاضل بن عاشور وقد ظهرت آثار هذا الحدث على أعمدة الصحافة التي نعتت الشيخ الفاضل بالزعيم الشاب.<sup>2</sup> كما أشرف الشيخ محمد الفاضل في العام التالي 1948 على الاحتفال الذي نظمته جمعية الإخوان الزيتونيون في قاعة النورماندي بالذكرى الثالثة لتأسيس جامعة الدول العربية، حيث أحجم الديوان السياسي عن الاحتفال بهذه الذكرى ربما نتيجة تعليمات وردت إليه من بورقيبة المقيم آنذاك بالقاهرة والذي يبدو أنه قد نفص يديه من العرب

<sup>1</sup> -شلي محمد الحبيب: خلفيات مؤتمر الاستقلال 26 رمضان 1365هـ/23 أوت 1946م، المجلة التاريخية المغربية، عدد23-24، تونس، نوفمبر 1981، صص326-330.

<sup>2</sup> -علي الزبيدي، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق، ج2.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

والعروبة، ومع ذلك فقد غاصت قاعة الاحتفال في النورماندي بمئات الزيتونيين والشباب المدرسين وغيرهم وكان ذلك كله مقاومة لفكرة عزل تونس عن أشقاءها في الأقطار العربية وتحد للحزب الدستوري الجديد.<sup>1</sup>

### 2- دور ومساهمة طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة المنصفية والقضية الفلسطينية

أ- لقد كانت مساهمة طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة المنصفية نسبة للمنصف باي الذي يوصف بالباي الوطني الذي تم خلعه ونفيه إلى الجزائر ثم سجنه في مدينة "بو" الفرنسية، حيث وجه الطلاب الزيتونيون آنذاك رسالة إلى الجنرال ديغول في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 1943 يطالبون بإصلاح الغلطة الفادحة التي ارتكبتها الإدارة العسكرية الفرنسية والسماح للمنصف باي بالرجوع إلى تونس<sup>2</sup>، فعالة إذ عبر المجتمع التونسي والمجتمع المدني عن غضبه على قرار الحكومة الفرنسية، وذلك بتنظيم المظاهرات والإضرابات وعقد الاجتماعات وإصدار اللوائح والكتابات في الصحف، وتواصل نشاط الحركة المنصفية في تونس وخارجها بإتفاق كل التيارات السياسية والمنظمات الوطنية، وذلك بتنسيق بين الحركة الزيتونية والحزبين الدستوريين القديم والجديد من سنة 1944 إلى 1947 للمطالبة بإعادة المنصف باي إلى عرشه.<sup>3</sup>

كما وقّع الشيخ محمد الفاضل في سنة 1946 باعتباره أحد خمسة شخصيات ممثلة للشعب التونسي في ذاته وهم محمد شنيق الوزير الأكبر السابق، محمد العزيز الجلولي وزير الأوقاف سابقا، محمد بدرية مدير الحجرية التجارية سابق، وعبد العزيز حسين المستشار لدى جامعة الدول العربية، مع ستة عشرة<sup>4</sup> أميرا من أمراء البيت الحسيني، على كتاب باللغة الفرنسية أصدرته لجنة الدفاع عن المنصف باي خلال تلك السنة بتونس بعنوان "الكتاب الأبيض" لتسليط الأضواء على الأحداث التي سبقت خلعه المنصف باي والمطالبة بإرجاعه إلى العرش.<sup>4</sup>

ب- كما تحرك التيار الزيتوني وبرز خاصة في القضايا العربية وأساسا منها القضية الفلسطينية التي هزّت الرأي العام العربي منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية، وقد أبدى الزيتونيون حماسا كبيرا لهذه القضية خاصة بعد صدور قرار التقسيم في نوفمبر 1947، وشكلوا هيئة مساندة ودعم سُميت "لجنة الدفاع عن فلسطين العربية" التي أبدت حركية ممتازة، حيث قام أعضائها بجولات داخل البلاد من أجل التحريض على مساندة القضية الفلسطينية بجمع التبرعات والتشجيع على اللحاق بجبهات القتال<sup>5</sup>، كما انخرط في هذه المساندة الطلبة الزيتونيون حيث تطوّع العشرات من بينهم للذهاب إلى فلسطين.<sup>6</sup>

وكان من أبرز الزيتونيين الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي المعروف بنزعته السياسية الإسلامية العربية وبتضامنه مع القضايا العربية وبخاصة القضية الفلسطينية تضامنا فعليا، فهو المتسبب في إنشاء العريضة التي وجهها مدرسو جامع

<sup>1</sup> - علي الزيدي، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق، ج2.

<sup>2</sup> - مختار العياشي، البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص179.

<sup>3</sup> - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص333.

<sup>4</sup> - علي الزيدي، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق، ج2.

<sup>5</sup> - محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر، المرجع السابق، ص244.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص244.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

الزيتونة للباي في هذا المجال سنة 1364هـ/1945م، وهو الذي قام بحملات تنظيم وفود المتطوعين للقتال في فلسطين وجمع الأموال لإعانة المجاهدين العرب في الأرض المحتلة.<sup>1</sup>

وقد كان الاتجاه العام هو التركيز على معاضدة الجهود الحربية العربي الرسمي عامة والتطوعي بصفة خاصة، وذلك بتنظيم إرسال المتطوعين وتيسير توجههم إلى جبهة القتال وتنظيم حملات التبرع، ومنذ شهر ديسمبر من سنة 1947 شارك الاتحاد العام التونسي للشغل وأعضاء من الحزب الحر الدستوري والاتحاد التونسي للصناعة والتجارة والاتحاد العام للفلاحين في تكوين لجنة تنظيم عمليات المساندة للمقاومين العرب الفلسطينيين في تصديدهم لقوات لغزو الصهيوني وهو ما أثمر تكوين العديد من اللجان الجهوية كان الاتحاد التونسي للشغل يحتضن أغلبها فقد كوّن عدد من المناضلين "لجنة جهوية للمساعدة" في مدينة قفصة مثلا خلال شهر جوان 1948 كان من بين مكوثيها العديد من المسؤولين النقابيين منهم أحمد التليلي حيث نظمت جمع الأموال، وقد تبرّع أحد المواطنين ويدعى عبد الرحمن تاج بخمسين ألف فرنك 50000 كان ثمن بيع منزله قدامها كاملة لأمين مال اللجنة، كما أن العديد من النسوة كنّ يجمعن قطعاً من الحلبي في حملات جماعية منظمة فضلا عن توديع أبنائهن المتطوعين بالزغاريذ لحثهم على الاستبسال في القتال على الجبهة ضد الصهاينة الغاصبين ودفاعاً عن فلسطين.<sup>2</sup>

وانسجاماً مع انتمائه العربي الإسلامي فقد خدم الشيخ محمد الفاضل القضية الفلسطينية وألقى عدة محاضرات للتعريف بهذه القضية داخل معهد البحوث الإسلامية التابع للجمعية الخلدونية، وخارجه، كما أسهم بنشاط ملحوظ في جهود جمعية الشبان المسلمين لفائدة القضية نفسها ضمن "لجنة الدفاع عن فلسطين العربية" و"فرع للمؤتمر الإسلامي بتونس لحماية القدس الشريف" اللذين تمّ تأسيسهما من قبل تلك الجمعية، وقد شملت جهودها مدينة تونس ومختلف المدن والقرى في عموم البلاد التونسية، وذلك بإلقاء الخطب في المساجد ونشر المقالات الصحفية وجمع التبرعات المالية وفتح المكاتب لتسجيل المتطوعين للقتال ضد الصهاينة في فلسطين عام 1948.<sup>3</sup>

### المطلب الرابع: بداية صراع الزيتونيين مع الدستور الجديد والتجذّر في اختلاف المواقف 1949-1951

الحقيقة أن الصراع مع الدستور الجديد كان قبل سنة 1949 وذلك من خلال إزاحة وتحييد الشيخ الفاضل بن عاشور ومن معه من الساحة السياسية ومن مواقع التأثير وصنع الرأي العام وتوجيهه كما سبق. وإن تكلمنا عنه من خلال إقصائه من الاتحاد العام التونسي للشغل وكما سنرى من خلال فصله من الديوان السياسي والحملة الشرسة التي خاضها الدستوريين الجدد ضد شخصه وشخص والده محمد الطاهر بن عاشور، وأيضاً هاته الفترة القصيرة شهدت تراجع الحزب الحر الدستوري الجديد عن ما تم الاتفاق عليه من مبادئ وعلى رأسها مبدأ الاستقلال التام ودخوله في مرحلة تفاوضية مع الاحتلال الفرنسي، وأيضاً ستشهد هاته الفترة بروز تشكيلة طلابية زيتونية تعوّض الفراغ الذي تركه الشيخ الفاضل بن عاشور وتقود دقة الكفاح والنضال السياسي الوطني إلى غاية الاستقلال الوطني.

<sup>1</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 139.

<sup>2</sup> - جعفر حسين، المرجع السابق، موقع أنفاس.نت، [www.anfasse.org](http://www.anfasse.org)

<sup>3</sup> - الهادي التيمومي: النشاط الصهيوني بتونس بين 1897 و 1948، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، تونس، 1982، ص 192.

## 1- التخوف من شخصية محمد الفاضل بن عاشور والعمل على تحييده من الساحة الوطنية

في جوٍّ مفعم بالمهاترات والاتهامات التي كانت تظال كل ناشط من كل حزب سياسي أو حركة اجتماعية كان من الطبيعي أن تلجأ القوى المناوئة للشيخ الفاضل إلى نفس الأساليب والسلاح لمحاربة هذا الرجل الذي ظهر في الساحة السياسية بسرعة ونال إعجاب الجماهير بسرعة، خاصة وقد طالت نشاطاته السياسية العديد من الفضائات كما بيّنا سابقاً.<sup>1</sup>

وقد تنبّه السياسيون في الإقامة العامة بتونس لذلك فنّبّهوا في تقاريرهم الشهرية ومراسلات المقيم العام لوزير الخارجية الفرنسية إلى الأسباب التي أثارت قلق الأحزاب والقوى السياسية التونسية من ظهور هذا الرجل السياسي الذي بلغ تأثيره في التونسيين إلى المدى البعيد. كما عبّرت كتابتهم عن قلق الفرنسيين من ذلك.<sup>2</sup>

ففي إحدى التقارير الشهرية الصادرة عن الإقامة العامة المؤرخ بشهر أكتوبر 1946 ورد ما نصه "إن المناضلين الدستوريين من القدماء والجدد يحتلفون دائماً حول مسائل شخصية ويبدو أنهم اتفقوا على العمل لمنع الشيخ محمد الفاضل من أن يصبح زعيماً وطنياً تونسياً، فالشيخ الفاضل يزعج القادة الدستوريين لأنه يمثل في نفس الوقت الجامع الأعظم والاتحاد العام التونسي للشغل الذي أصبح تأثيره فيه كبيراً بسبب الجانب الديني الذي يمنحه تأثيراً متنامياً على الجماهير".<sup>3</sup>

ويتبين لنا من هذا التقرير المهم أن أغلب الأطراف السياسية الفاعلة آنذاك في الحركة الوطنية التونسية سوى الدستور القديم أو الدستور الجديد والحركة النقابية أصبحت تتضايق من شهرة الشيخ الفاضل وتصدّره الطليعة، وبالتالي عمل الجميع على إزاحته بشتى الوسائل من الساحة السياسية التونسية خوفاً على مكانتهم من الاندثار وللأسف فهاته الأغراض الشخصية والأمراض النفسية التي في قلوب الكثير من رجال الحركة الوطنية التونسية عملت عملها وعرقلت بروز شخصية عظيمة مثل الفاضل بن عاشور كان لها ما لها، وعندما كلّف الحزب الشيخ محمد الفاضل بالالتحاق بالقاهرة في نهاية 1947 ليكون ممثل تونس لدى الجامعة العربية أدرك الشيخ أن الغاية من هذا التكليف هي إبعاده عن ميدان العمل السياسي بتونس ورفض الاستجابة لهذا الأمر، وكانت النتيجة أن رفته الحزب وحاض حملة لتشويه موقفه وذلك باتهامه ووالده الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بالعمالة والتزلف للسلطة الاستعمارية، فتأثر الشيخ محمد الفاضل وتوجه باللوم والنقد علناً في خطاب سياسي عقد بمدينة صفاقس إلى قادة كل من الحزب والاتحاد، مما جعل الحبيب بورقيبة يراسله من القاهرة ويواسيه ويطيّب خاطره وقد روى الأستاذ حسن المناعي عن محمود شرشور وهو زيتوني دستوري أن بورقيبة بعد عودته من القاهرة في شهر سبتمبر 1949 قد سأله عن الأسباب الحقيقية لمعاداة الشيخ محمد الفاضل فأجابته شرشور بما يفيد أن جماعة الديوان السياسي غاروا من الشيخ وحسدوه فردّ بورقيبة بأنه كان على يقين من ذلك وأنهم لو تركوه لأكلهم".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد الهيلة، المرجع السابق، ص 80.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 81.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 81.

<sup>4</sup> - علي الزيدي، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور والحركة الوطنية، المرجع السابق، ج 2.



## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

ولكن المسألة في نظرنا أعمق وأبعد من مجرد غيرة وحسد إنّ إقصاء الشيخ الفاضل ومن معه هي مسألة إقصاء توجهه فكري وسياسي بأكمله في إطار الصراع الإيديولوجي بين الحركة الإصلاحية الثورية التحررية الزيتونية ذات البعد العربي الإسلامي والمدرسين التغريبيين الذين تبنوا النموذج العلماني الغربي في العمل السياسي الوطني.

وفي هذا المجال يُحسن ذكر ما جاء في كتاب "الحبيب بورقيبة مؤسس الدولة الجديدة" الجزء الأول من سنة 1956 إلى سنة 1958 طبع دار العمل صفحة 397 تحت عنوان "رسالة بورقيبة إلى صالح بن يوسف" القاهرة في 24 مايو 1951 أقتطف منها الفقرات الآتية "إن مسألة الطاهر بن عاشور، والفاضل بن عاشور والجامع الأعظم جامع الزيتونة، هي مسألة أدخلت علي الحيرة نظرا لكونها تزداد كل يوم تشعبا، ويُخشى أن تكون السبب في انقسام الشباب إلى صفتين متعارضين لا يمكن الجمع بينهما.. وإذا عارض المقيم العام في عزل الشيخ ابن عاشور فيجب رفع النقاب عن المناورة وللقيام بذلك هناك وسيلة واحدة وهي أن يطرده الباي علانية وأن يعين مكانه غيره... فاجتهد في دعوة الديوان السياسي إلى عقد جلسة، وفي مناقشة الحل الذي أعرضه عليكم مناقشة جدية وإلا سوف ندخل في معركة نكون فيها معوقين بهذا الدم في الظهر الذي سوف تزيد الظروف تعقنا... إن الحوادث الدامية التي وسمت يوم 15 ماي لم تبقى مجالا لاستصغار الأخطار الجسيمة التي تكونها تلك الجماعة... وإذا ما اتضح أن الحل المشرف غير ممكن مع آل بن عاشور، والحال أنه من واجبكم أن تحاولوا إيجادا فإن ذاك يتعين مجابهة المصاعب مباشرة، والإقدام بحزم على وضع سلطة الوزارة وسلطة سمو الباي في الميزان..."<sup>1</sup>

وقد عملت الحكومة والحزب على إقناع الباي بإبعاد الطاهر بن عاشور عن مشيخة الجامع الأعظم (الزيتونة) وتحميله مسؤولية عدم ضبط أمور الطلبة وتم لهم ذلك بإحالة الشيخ على عدم المباشرة ابتداء من غرة أكتوبر 1951 بعد أن تم تجديد السن الأقصى لتولي خطة مشيخة الجامع بسبعين سنة 70 سنة أواخر سنة 1951.<sup>2</sup>

وهنا من خلال هاته الرسالة يتبين لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الإقصاء لا يطال أشخاص بحد ذاتهم وإنما هو توجه سياسي ديني وطني يتم العمل على إبعاده من الساحة السياسية الوطنية عن قصد وعمد الأمر الذي دفع الشيخ محمد الفاضل بن عاشور وجماعة من علماء الزيتونة لليأس من صلاحية الحزب الدستوري الجديد والاتحاد العام التونسي للشغل كإطار للعمل السياسي الوطني، إلى التفكير بتكوين جمعية أو حزب سياسي سنة 1948 يعبر عن مواقفهم أطلقوا عليه اسم "الاتحاد الدستوري الإسلامي" غير أن هذا المشروع لم يكتب له الدخول إلى ساحة الفعل السياسي.<sup>3</sup>

وقد كشفت مصالح الأمن الاستعمارية أمر هذا التنظيم... وأشارت إلى محمد الشاذلي بن القاضي صديق الشيخ محمد الفاضل باعتباره أحد مؤسسيه، ولم يتوصل إلى اليوم أحد إلى كشف أسماء بقية أعضائه. لكن الأستاذ حسن المناعي أفاد أنه وقف على مسودات الوثيقة الجامعة للقانون الأساسي لذلك التنظيم بخط الشيخ محمد الفاضل نفسه.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- الحبيب نويوة، المصدر السابق، ص 106.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 106-107.

<sup>3</sup>- محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر، المرجع السابق، ص 244.

<sup>4</sup>- علي الزيدي، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق، ج 2.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

ونحن نلاحظ من خلال تأملنا في الوثيقة المعنية أنها تضمنت النواحي القانونية للجانب التنظيمي لجمعية سرية أُطلق عليها اسم "الاتحاد الدستوري الإسلامي" وكذلك الجانب الدستوري لمشروع دولة إسلامية كان مؤسسو الجمعية المذكورة يحملون بتحقيقه في تونس ليكون بديلا معاصرا قادرا على أن يعم البلاد الإسلامية كلها، ابتداء بالأقطار المغاربية وصولا إلى قيام الجامعة الإسلامية التي تعم العالم الإسلامي كله.<sup>1</sup>

وإثر تعرُّض الشيخ محمد الفاضل للاعتداء بالضرب والسلب مساء يوم 15 فيفري 1951 بينما كان مارا بنهج جامع الزيتونة المسمى نهج الكنيسة آنذاك وهو في طريقه إلى باب بحر مصحوبا بالشيخ محمد المختار بن محمود كاهية شيخ الإسلام الحنفي، وتم إبعاد والده الشيخ محمد الطاهر من إدارة الجامع الأعظم وفروعه في نهاية السنة الدراسية وكانت تلك الإدارة تابعة حينئذ للوزارة الكبرى. وإزاء هذه التطورات تبين للشيخ محمد الفاضل البون الشاسع الذي يفصل بينه وبين أبرز قادة الدستوري الجديد، هو بمبادئه الأخلاقية التي آمن بها وتربى عليها وهم بقناعاتهم الميكيفيلية التي تقود عملهم السياسي والتي تجعلهم لا يتورعون عن سلوك كل السبل المتاحة قصد تحقيق غاياتهم فتعفف الشيخ وترفع عن مجارة القوم وفضل اعتزال السياسة والتفرغ لنشاطه الفكري رغبة في الحفاظ على الوحدة الوطنية وتجنيد البلاد الدخول في صراعات داخلية لا يستفيد منها إلا عدو الجميع وهو الاستعمار الأجنبي، وقد ساعد الشيخ محمد الفاضل على اتخاذ هذا القرار عدة معطيات تمثلت بالخصوص في فشل التجربة التفاوضية التي خاضتها حكومة شنيق بصدور مذكرة 15 ديسمبر 1951 وعودة الحزب الحر الدستوري الجديد للمعارضة مما عرّض عددا من قادته للسجن والتشريد وقواعده للقمع على يد السلطات الاستعمارية فضلا عن حصول شيء من التقارب أو بالأحرى هدنة مؤقتة بين "لجنة صوت الطالب الزيتوني" وهذا الحزب مع دخول البلاد في المواجهة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي خلال جانفي 1952<sup>2</sup> وهذا ما سنتطرق إليه فيما يأتي من البحث.

### 2- تأسيس لجنة صوت الطالب الزيتوني سنة 1950 والصراع مع الدستوري الجديد

لقد أسهم تولى الطاهر بن عاشور إدارة جامع الزيتونة في عام 1945 في إنتشار الفروع الزيتونية في المناطق الشبه المنعزلة فرأت فرنسا في هذا خطرا عليها ووجهت الدعوة لعقد مجلس الإصلاح المنعقد في 4 فيفري 1950 وكانت تركيبته والظروف توحى بالتراجع فأحس الطلبة الزيتونيون بالخطر وأسسوا في 19 فيفري 1950 "لجنة صوت الطالب الزيتوني".<sup>3</sup>

وفي هذا الصدد يقول الحبيب نويرة وهو أحد مؤسسي "لجنة صوت الطالب الزيتوني" اجتمعت نخبة من الطلبة الزيتونيين من المرحلة الثانوية والعالية مساء يوم الخميس 16/02/1950 بالمدرسة الباشية وقررت إنشاء هيئة طالبية تدافع عن مصالحنا وطموحاتنا أطلقنا عليها اسم "صوت الطالب الزيتوني" وكنت عضوا فيها مكلف بالصحافة والإعلام، ولم نجعل لنا رئيسا ولا كاتباً عاما...<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - علي الزيدي، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، ج2.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ج2.

<sup>3</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص211.

<sup>4</sup> - الحبيب نويرة، المصدر السابق، ص98.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وكان من بين مؤسسي هذا التنظيم الطلابي؛ عبد العزيز العكرمي، محمد البدوي،<sup>1</sup> عبد الكريم قمحة، عبد الرحمن الهيلة، العجمي السايب، الحبيب نويرة، وتقدمت هذه اللجنة للدوائر المسؤولة بـ16 مطلباً سميت بـ"الدستور الزيتوني الجامع" تضمنت المطالبة بالاعتراف بالشهادات الزيتونية وإصلاح التعليم الزيتوني، تدريس اللغات الأجنبية بناء الكليات والمعاهد وغيرها.<sup>2</sup> وقامت "لجنة صوت الطالب الزيتوني" في 9 مارس 1950 بأول إضراب إنداري وعبأت الوسط الطلابي الزيتوني بالحاضرة وداخل البلاد ونظمت أول مظاهرة في 14 مارس 1950 قابلت على إثرها الوزير مصطفى الكعك، وساند الحزب الدستوري الجديد بواسطة بورقيبة هذه المطالب وتطور إلى التنسيق المشترك، وقررت الدخول في إضراب لا نهائي عن الدروس يوم 11 أبريل 1950 تبعه إضراب عن الدروس في كافة الفروع الزيتونية يوم 20-21 أبريل 1950 للمطالبة بعصرنة التعليم الزيتوني واستطاعت تعبئة الفئات الشعبية والسياسية والنقابية والاجتماعية.<sup>3</sup>

أما الصراع بين لجنة صوت الطالب والحزب الدستوري الجديد فقد ظهرت بوادره بمناسبة اجتماع ممثلي المنظمات السياسية الوطنية بجامع الزيتونة في 20 و21 و22 أبريل 1950 لتأييد وتشجيع الطلبة القائمين بإضراب الجوع الذي تقرر شنه في نطاق إضراب لا نهائي، وذلك لما صرح محمد البدوي باسم لجنة صوت الطالب الزيتوني، برفض الحركة الطلابية الخضوع إلى أي منظمة سياسية، معلنا عزم اللجنة على الدفاع عن كيانها وحرية تصرفها والتصدي بدون هوادة لكل المساعي الرامية للنبيل من استقلال الحركة الطلابية لفائدة حزب أو شخصية، وكان ذلك ردا على ما صرح به الزعيم صالح بن يوسف في تلك المناسبة من أن الحركة الطلابية ليست إلا خلية من خلايا النضال السياسي الوطني، وقد تفاقم هذا الصراع في أوت 1950 عند تشكيل وزارة محمد شنيق ومشاركة بعض زعماء الحزب ومنهم صالح بن يوسف فيها، وإصرار الطلبة على مواصلة نضالهم في سبيل تحقيق مطالبهم فأثار ذلك غضب القيادة الحزبية التي كانت تنادي وقتئذ بإخماد الاحتجاجات الوطنية والحرص على استقرار الهدوء حتى تتوفر لسياساتها التفاوضية أسباب النجاح وأمام هذا الوضع بادر الحزب بالتصدي لتلك القوة غير الخاضعة لتوجيهاته وأوامره والتي بدأت تقترب فكريا وسياسيا من منافسه الحزب الدستوري الأول أو القديم.<sup>4</sup> فشنّ الحزب الدستوري الجديد في صحفه ومناشيريه الهجمات العنيفة والاتهامات الباطلة ضد زعماء الحركة الطلابية وسعى الحزب إلى توفير أسباب التفرقة في صفوف حركة صوت الطالب حتى آل ذلك إلى خروج العديد من مناضليها وانتظامهم سنة 1951 في جمعية خاضعة للحزب الدستور الجديد أطلق عليها اسم "كتلة الدفاع عن المطالب الزيتونية". كما استعمل الحزب وسائل الإرهاب بشن الهجمات على مدارس سكنى الطلبة والاعتداء بمختلف أنواع العنف.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - محمد البدوي المرزوقي ولد بدوز سنة 1912 وتوفي سنة 1987، هو سياسي وصحفي ومحامي، وهو أيضا والد الرئيس التونسي السابق المنصف المرزوقي، والسياسي كان من مؤيدي الحركة اليوسفية لصالح بن يوسف، ونفي بأمر من رئيس الجمهورية الحبيب بورقيبة. أنظر: <https://ar.wikipedia.org/>، تاريخ الاطلاع 2021/06/15، 17.30

<sup>2</sup> - الحبيب نويرة، المصدر السابق، ص98

<sup>3</sup> - محمد ضيف الله: المدرج والكرسي بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والستينيات، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2003، ط1، ص 23-26.

<sup>4</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص146.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص146.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وحدثت قطيعة بين لجنة صوت الطالب الزيتوني والدستوريين الذين حاولوا الضغط على محمد الطاهر بن عاشور لطرده بعض العناصر الطلابية، إلا أنه امتنع عن ذلك فشاع خبر فصله من منصبه ديسمبر 1950، وتبتهت جريدة صوت الطالب الزيتوني إلى الدسائس التي يقوم بها المتآمرون ضد جامع الزيتونة لقتل عملية الإصلاح، وأظهر هذا الموقف أن الزيتونة تقف في مواجهة الحزب الدستوري الجديد ورفعت اللجنة الزيتونية عريضة موجهة إلى الباي حذرت فيها فصل ابن عاشور من المشيخة.<sup>1</sup>

ويذكر العضو المؤسس الحبيب نويرة قائلاً "لقد حارب الحزب الدستوري الجديد تنظيمنا هذا بشتى الطرق وأذكر أن جريدة الزهرة الموالية له قد كتبت شيئاً ضدنا فذهبت صحبة الصديق الجليلي بن الحاج يحيى إلى رئيس تحريرها طالبين نشر تصحيح لما كتب، فامتنع من ذلك ووقعت بيننا وبينه مشادة عنيفة، أما جريدة النهضة فكانت تنشر لنا ما نريده وهكذا حملت لجنة صوت الطالب الزيتوني حملاً على أن تكون في صف المعارضين وبدأت الدسائس تأخذ مجراها.."<sup>2</sup> ويستمر هذا الصراع بين لجنة صوت الطالب الزيتوني والحزب الدستوري الجديد خلال المرحلة التفاوضية الأولى دون هوادة إلى غاية جانفي 1952 حيث تتغير المواقف مؤقتاً من أجل الاتحاد والمقاومة ضد المستعمر الفرنسي.

### 3- اختلاف المواقف السياسية بين طلبة وعلماء الزيتونة والحزب الدستوري الجديد بخصوص الحكومة التفاوضية الأولى 1949-1951م

في هاته الفترة بالذات تراجع الحزب الحر الدستوري الجديد على ما اتفق عليه في مؤتمر ليلة القدر أو ما يسمى بمؤتمر الاستقلال سنة 1946، حيث نجد أنه في عام 1949 ظهر تحول جديد في سياسة الحزب الدستوري الجديد إذ أعلن الحبيب بورقيبة بعد عودته من مصر إلى تونس بالتخلي عن هدف الاستقلال التام وإتباع سياسة المراحل، أو ما يسمى بسياسة التفاهم، إذ أكد للسفير الفرنسي بمصر أن فرنسا لن تفقده كصديق حتى وإن اختلفت مطالبه عن مصالح فرنسا، كما صرح في فرنسا عام 1950 أنه يود أن يكون استقلال تونس باتفاق مع فرنسا ويكون لفائدتها وفائدة تونس.

واستجابة لهذا الموقف صرح وزير الخارجية الفرنسي روبرت شومان في 15 جوان 1950 عن نية فرنسا منح تونس الاستقلال الذاتي وفتح باب المفاوضات فتشكلت حكومة جديدة في 17 أوت 1950 برئاسة محمد شنيق ليتولى إدارة المفاوضات وقد شارك الحزب الدستوري الجديد في هذه الحكومة.<sup>3</sup>

يقول يونس درمونة في ذلك "وعلى إثر ذلك فتحت مفاوضات بين القاهرة وباريس كان الأستاذ بورقيبة طرفاً فيها رجع على إثرها إلى تونس وأخذ يعقد الاجتماعات العامة.. وكان خلاصة الخطب التي يلقيها على الجموع هي وجوب التفاهم مع فرنسا رأساً دون تدخل الجامعة العربية ولا الأمم المتحدة.. ثم إنه صرح في هذه الاجتماعات بأنه إنما يطالب بإصلاحات لأن احتلال فرنسا لتونس واجب لا غنى عنه لضعف البلاد عن حماية نفسها"<sup>4</sup>، وعارض هذا التوجه كل من

<sup>1</sup> - محمد ضيف الله، المدرج والكرسي، المرجع السابق، صص 30-31.

<sup>2</sup> - الحبيب نويرة، المصدر السابق، ص 100.

<sup>3</sup> - الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص 68.

<sup>4</sup> - يونس درمونة: تونس بين الاتجاهات، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت، ص 64.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

الحزب الدستوري القديم ولجنة صوت الطالب الزيتوني، وقد أدان عبد الكريم الخطابي ويوسف رويسى مشاركة الحزب الدستوري الجديد في الحكومة المزدوجة واعتبروها خيانة للأهداف الاستقلالية، وأن الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين يعد تنكراً لميثاق العمل الوطني الصادر بالقاهرة سنة 1947 الذي اتفقت عليه جميع الأحزاب والتي ينص على أن لا مفاوضة قبل الجلاء، وبذلك ساءت العلاقة بين لجنة تحرير المغرب العربي وبين الحبيب بورقيبة، وفي الأخير لم تنته المفاوضات إلى النتيجة التي تُرضي الشعب التونسي، وهذا لتراجع فرنسا عن الحد الأدنى للحقوق التونسية، حيث أسفرت المفاوضات عن إصلاحات 8 فيفري 1951 التي لم تمس بمبدأ السيادة المزدوجة وبذلك لم يسع الحبيب بورقيبة إلا أن يساير التيار الشعبي،<sup>1</sup> أما التيار الزيتوني ممثلاً في علمائه وطلبته، فلم يكن غائبا عن الساحة السياسية والوطنية التونسية، بل كان مشاركا فيها بفعالية، حيث نددوا بسياسة بورقيبة التفاوضية مع فرنسا عام 1950 وبتخليه عن مبدأ الاستقلال التام،<sup>2</sup> وتطور النزاع مع الطلبة الزيتونيين في إطار تنظيمهم الطالبي ألا وهو "لجنة صوت الطالب الزيتوني" مع الحزب الدستوري الجديد إلى حد أوشكت أن تشتعل في البلاد معه فتنة داخلية وقاتل عنيف بين الوطنيين أنفسهم. وقد ابتدأت فعلا هذه الفتنة لولا أن تدارك الله الأمة التونسية برحمته وأنقذها منها وحوّل تيارها للاستعمار الفرنسي الذي هاجم الحركة الوطنية بهذه الثورة الجاحمة.<sup>3</sup>

وأعلن الحزب الدستوري الجديد لأتباعه وجوب مقاومة معهد العلوم الدينية (جامعة الزيتونة) في ثقافته وطلابه وشيوخه، وأذن بتشكيل عصابات للاعتداء على الطلبة إذا رجعوا إلى بلدانهم في الراحة الصيفية خشية أن يقوموا بين أهاليهم وذويهم بالدعاية ضده،<sup>4</sup> وابتدأ الصراع بين عصابات الحزب الجديد والطلبة ومن يناصرهم من هيئات المعارضة وتكاثرت المصادمات التي كانت مسلحة في بعض الأحيان وكان موقف الحكومة الفرنسية التي بيدها قوات حفظ الأمن موقف المتفرج الذي يريد اتساع نطاق هذه الفتنة وتكاثرت الاعتداءات على الطلبة في بلدانهم وفي بيوتهم وفي محلات سكنهم وحتى في الشوارع والطرق. وعملت الوزارة على تغيير موظفي إدارة الجامع الأعظم ومدارس سكنى الطلبة بأن أزالت الأشخاص الذين هم محل ثقة شيخ الجامع والذين لهم عطف على الطلبة واستبدلتهم بغيرهم من رجال العصابات التي شكلتها للانتقام من الطلبة. وهنا تجلّى للعيان استعمال السلطة الحكومية من طرف الوزارة في الأغراض الحزبية وفي الانتقام من المخالفين لها ولحزبها في الرأي، وحدث بمجرد إزاحة شيخ مدارس سكنى الطلبة القديم وتعويضه بأخر عُرف بتحزبه لحزب الدستور الجديد أن وقع اصطدام بينه وبين الطلبة الذين رفضوا أن يتولوا هذا أمر مدارس سكناهم ولكنه احتل الإدارة بإعانة وحماية عصابات الحزب التي اشتبكت مع الطلبة في معارك عنيفة ومن الغد أعلنت الصحف التونسية عن وقوع حادث تسمم أصيب به نحو مائة 100 طالب إثر تناولهم طعام الغداء وأخذوا حالا إلى المستشفيات وبادر الأطباء بعلاجهم وإسعافهم وتحت تأثير الحكومة القائمة لهم يتقدم التحقيق في هذه القضية الخطيرة خطوة واحدة كما

<sup>1</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 77، وأيضا: أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 618.

<sup>2</sup> - أحمد القصاب، المرجع نفسه، ص 619.

<sup>3</sup> - يونس درمونة، المصدر السابق، ص 66.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 67.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وقع في كثير من القضايا الأخرى التي اعتدي فيها على الطلبة اعتداء مسلحا أطلق فيه الرصاص، ووجدت بأيدي المعتدين أسلحة إلا أنه أخلي سبيلهم وحُفظت قضاياهم لتتوالى اعتداءاتهم.<sup>1</sup>

يتبين لنا جليا استغلال الحزب الدستوري الجديد السلطة الحكومية لفرض توجهاته مهما كان الثمن وأيضا أنه لا يتورع عن استعمال العنف والدهاء السياسي للتخلص من خصومه وعلى رأسهم طلبة وشيوخ الزيتونة الذين عارضوا تبنيه للمفاوضات وقبوله لفكرة الاستقلال الداخلي وجأهروا بمعارضته في تجمعاتهم وخطبهم و مقالاتهم، وهذا إذ دل على شيء فإنما يدل على ثبات خط التيار الزيتوني الإصلاحية الذي تبني النهج الثوري التحرري الاستقلالي منذ تأسيس الحزب الدستوري سنة 1920.

وقد بلغ العنف أشده يومي 14-15 ماي 1951 بين الزيتونيين والدستوريين وأسفر عنه عديد الجرحى في استعراض طلابي بمناسبة الاحتفالات بعيد العرش،<sup>2</sup> واقترب الزيتونيين (لجنة صوت الطالب الزيتوني) مع الشيوعيين والتيار الدستوري القديم في اجتماع يوم 8 نوفمبر 1951 وانتقادهم للحزب الدستوري الجديد والتجربة التفاوضية مع فرنسا ورُفعت قضية الاستقلال التام وطالبوا باستقلالية إدارة الجامع الأعظم عن السلطة وإطلاق سراح الموقوفين من الطلبة وإيقاف الملاحقات ضد لجنة صوت الطالب الزيتوني وبدأت تلوح بوادر تراجع الحزب الدستوري عن التجربة التفاوضية مما أدى إلى التقارب الزيتوني الدستوري الجديد، وتكرر نفس الشيء أواخر ديسمبر 1951.

وفي اجتماع 11 جانفي 1952 حضره الطلبة الزيتونيين، حيث دعا بورقيبة إلى وجوب التآلف والتآخي وإلى إلغاء المصالح الخاصة والذاتية في سبيل مصلحة الأمة والوطن والتقى الطرفان موضوعيا عند اشتداد القمع الاستعماري بداية من نصف جانفي 1952.<sup>3</sup>

رغم هذا التقارب بين الزيتونيين والدستوريين الجدد وذلك للاتحاد لمواجهة القمع الاستعماري الفرنسي، ورغم أن تراجع الدستوريين الجدد ما هو إلا تراجع تكتيكي بعد فشل التجربة التفاوضية الأولى ومحاوله كسبه للزيتونيين مؤقتا ريثما تحين الفرصة لاستئناف المفاوضات الثانية كما سلاحظ ذلك فيما يأتي. إلا أن التيار الزيتوني ممثلا في طلبته وعلمائه كان دوما يقدم المصلحة الوطنية العامة على أي مصلحة ذاتية. فهو تيار غير متحزب ولا ينتمي إلى أي تنظيم سياسي، وبالتالي سنجد التيار الزيتوني يتكامل ويتحالف مع كل هيئة أو تنظيم أو أشخاص يتبنون مبادئه وأفكاره خصوصا المطلب الرئيسي الذي قلنا عنه أنه هو محور الخلاف والصراع في القضية التونسية وهو مطلب الاستقلال التام.

وهذا ما سيجعل الطلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين يساندون صالح بن يوسف فيما بعد رغم أنه كان من أشد الأعداء والخصوم الذين عملوا على إقصاء التيار الزيتوني من الساحة الوطنية، ورغم ذلك فالزيتونيين كانوا لا يتحالفون مع الأشخاص في حد ذاتهم وإنما يساندون الأفكار الحرة الاستقلالية التي نادوا بها منذ سنة 1946 وقبلها وتناسوا الضغائن والأحقاد من أجل المصلحة الوطنية العليا.

<sup>1</sup>-المصدر نفسه، ص68.

<sup>2</sup>-محمد ضيف الله، المدرج والكرسي، المرجع السابق، ص152.

<sup>3</sup>-محمد ضيف الله، المدرج والكرسي، المرجع السابق، ص156-158.

### المطلب الخامس: رد فعل الاحتلال الفرنسي ضد نشاط طلبة وعلماء الزيتونة

لم يكن الصراع الذي يخوضه الزيتونيون في تحقيق المطالب السياسية التي آمنوا بها وأيضاً دفاعهم عن الهوية الإسلامية للذاتية التونسية واستمرارهم في المطالبة بترقية وإصلاح التعليم الزيتوني، وهذا الذي يعتبر من أهم النضالات الوطنية على الساحة الزيتونية خاصة والتونسية عامة، فإن الاستعمار الفرنسي لم يبق مكتوف الأيدي بل قام بعرقلة التعليم الزيتوني وهشم الزيتونيين وحاصر الطلبة وعلماء الزيتونة واضطهدهم خصوصاً في هذه الفترة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حيث تكالب الأعداء على طلبة وعلماء الزيتونة.

#### 1- عرقلة التعليم الزيتوني وتهميش الزيتونيين

إن السلطات الفرنسية وقفت في وجه حركة الإصلاح الزيتوني منذ إعلانها الحماية على تونس، حيث اعتمدت في سياستها على منع تطوير الثقافة الإسلامية واللغة العربية حتى لا تكون أداة للنهضة، وربط تونس بالثقافة الفرنسية، كما قامت سلطة الاحتلال بمنع الزيتونيين من تقلد الوظائف الإدارية باعتبارهم لا ينتمون إلى الثقافة العربية الإسلامية وليست لديهم أي ثقافة عصرية أي ثقافة فرنسية، وحتى تضع سلطات الاحتلال حداً لتلك الإضرابات التي كان يقوم بها الطلبة في جامع الزيتونة للمطالبة بالإصلاح قامت بمعاملتهم معاملة سيئة وغالبا ما كانت تنتهي بالنفي والزج في السجون<sup>1</sup>، كما ضايقت سلطة الحماية حرجي جامع الزيتونة إذ لم تخصص مالية من أموال الدولة للتعليم العربي أو تعليم اللغة العربية بما في ذلك التعليم الزيتوني، كما أن الشهادات التي كان يقدمها جامع الزيتونة لم يكن معترفاً بها باستثناء العمل في الجامع الأزهر أو جامع الزيتونة نفسه، فالجامعات الأخرى الشرقية والغربية لا تعترف بهذه الشهادات<sup>2</sup>.

#### 2- محاصرة طلبة وعلماء الزيتونة واضطهادهم

وحتى تضع السلطات الفرنسية حداً للنشاط الطلابي ويتم القضاء عليه اعتمدت مجموعة من الأساليب المتنوعة من أجل القضاء على ذلك النشاط وردت عليه بالمحاكمات القضائية وزجهم في السجون والمعتقلات وإصدار قرارات تتضمن طرد الطلبة من الجامع الأعظم ومن السكنات الطلابية ووضع البعض منهم تحت الرقابة الأمنية<sup>3</sup>. حيث نجد في إحدى وثائق الأرشيف التونسي رسالة مؤرخة في 30 أفريل 1949 من إدارة عمل مجاز الباب إلى الوزير الأول مصطفى الكعك تعلمه أنه تم اتخاذ الاحتياطات والإجراءات المناسبة لمنع عقد الاجتماعات ذات الصبغة السياسية بالمساجد والمعاهد الدينية حسب المنشور الخاص بذلك<sup>4</sup>. وكذلك في رسالة أخرى من عمل عين دراهم إلى الوزير الأكبر مصطفى الكعك يعلمونه بأنهم اتخذوا نفس الاحتياطات والإجراءات لمنع الاجتماعات السياسية في المساجد والمعاهد الدينية والرسالة مؤرخة في 14 أفريل 1949 حسب منشور فيفري 1949<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - علي المحجوبي: النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر لماذا فشلت مصر وتونس ونجحت اليابان، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982، ص 116.

<sup>2</sup> - رابح فلاح، المرجع السابق، ص 111.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 111.

<sup>4</sup> - A.N.T, Fond Période Coloniale, Série D, Carton 70, Dossier 20, 1949, Réunions et discours politiques dans les mosquées, Voir l'Annexe n°30.

<sup>5</sup> - A.N.T, F.P.C, Série D, Carton 70, Dossier 20, 1949, Op cit, Voir l'Annexe n°31.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وعليه فهاته الوثائق الأرشيفية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن طلبة وعلماء الزيتونة كانوا ينشطون سياسياً على مستوى مساجد وجوامع الأيالة مما جعل حكومة الحماية تشدد من إجراءات الرقابة ومنع التجمعات واللقاءات السياسية في المساجد وذلك من أجل الحد من نشاط الزيتونيين.

أيضاً نجد إن الاستعمار الفرنسي قد سلط عقوبة أقسى من السجن على الطلبة الزيتونيين ألا وهي الإبعاد والنفي، وهي عقاب بدني ونفسي أشد وأقسى، والظاهر أن الاستعمار الفرنسي قد جرب هذا النوع الأخير من العقاب، وأدرك مفعوله على الطلبة الزيتونيين خاصة، لذلك نراه كثيراً ما يسلط عليهم أثناء نضالاتهم المطالبة والوطنية في الفترة ما بين 1910-1955، وذلك أن الأغلبية الساحقة من طلبة جامع الزيتونة كانوا من أبناء الطبقات الشعبية الفقيرة الذين أوصد النظام الاستعماري في وجوههم كل الأبواب ولم يبق لهم من أمل في تحسين وضعهم الاجتماعي إلا من خلال التعليم الزيتوني<sup>1</sup>.

لقد كانت هذه الفترة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والتي برز فيها الزيتونيون طلبة وعلماء بشكل قوي وملفت من خلال مشاركتهم الفعالة في مؤتمر ليلة القدر 1946 ومساهماتهم في تأسيس ونشاط الاتحاد العام التونسي للشغل وتأثيرهم في توجيهه الفكري والإيديولوجي مما سبب لهم انتباه الأطراف المنافسة لهم خاصة الاستعمار الفرنسي والحزب الدستوري الجديد الذين عملوا على إزاحة محمد الفاضل بن عاشور من الاتحاد والديوان السياسي ودخولهم بعد ذلك في صراع حاد مع الدستور الجديد بسبب المفاوضات الجزئية التونسية واضطهاد الاستعمار الفرنسي ومحاصرته للطلبة الزيتونيين.

### المبحث الثاني: المقاومة التونسية المسلحة ومساهمة طلبة وعلماء الزيتونة فيها 1952-1954

سنتطرق في هذا المبحث إلى أسباب فشل المفاوضات الأولى بين الدستوريين والحماية الفرنسية واندلاع المقاومة المسلحة التونسية في جانفي 1952 وبرز دور ومشاركة طلبة وعلماء الزيتونة في المقاومة التونسية المسلحة خلال هاته الفترة 1952-1954.

#### المطلب الأول: فشل المفاوضات التونسية الفرنسية والإرهاصات الأولى للمقاومة التونسية المسلحة

لقد كانت الحكومة التفاوضية التي يرأسها محمد شنيق والتي كان ضمن أعضائها صالح بن يوسف الكاتب العام للحزب الدستوري الجديد، أن تتفاوض في "التحويلات التي ينبغي أن تقود البلاد التونسية على مراحل نحو الاستقلال الذاتي" ولكن تحالف بعض المصالح في فرنسا كما في تونس ضد مجرى السياسة الفرنسية كان قويا جدا. وكانت الظروف العالمية تتميز بتفاقم أمر الحرب الباردة ممثلة في اندلاع حرب كوريا واشتداد المعارك في الهند الصينية ولم تكن هي الأخرى مواتية وفي تونس نفسها كان الجو العام مشحونا بالتوتر بسبب سوء نية كبار الموظفين الفرنسيين.<sup>2</sup> فبمناسبة إضراب العمال الفلاحين في ضيعات النفيضة يوم 20 نوفمبر 1950 مثلاً لم يتردد المسؤولون الفرنسيون أمام إراقة الدماء. ولكن المفاوضات ظلت متواصلة حتى أفضت إلى إصلاحات 08 فيفري 1951 المخيبة

<sup>1</sup> - علي الزيدي، الزيتونة ودورها، مجلة الحوار المتوسطي، المرجع السابق، ص 389.

<sup>2</sup> - محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 133-134.



## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

للآمال فقد أسندت إلى التونسيين نصيباً أوفر في الوزارات والإدارات ولكنها كانت تُبقي دائماً على المراقبة الفرنسية وترفض حق المواطنين في اختيار من يمثلهم تمثيلاً حقيقياً وتُنكر عليهم حق الاضطلاع بالمسؤوليات مما جعل الحبيب بورقيبة، يعلن دخول المعركة استعداداً للمرحلة الثانية.<sup>1</sup>

أما الأمين باي فقد تبنى هو أيضاً مطالب الوطنيين وذلك يوم 15 ماي 1951 وهي إقامة سلطة تنفيذية وبرلمان تونسيين، فأعلنت فرنسا معارضتها أو أنها على الأصح وضعت شروطاً مسبقاً لإدخال هذه الإصلاحات الجديدة ومفاده أن يقبل التونسيون تمثيل المعمرين الفرنسيين ضمن المنظمات المنتخبة وهو ما كان سيؤول إلى تكريس مبدأ السياسة المزدوجة التي رفضها الوطنيون.

وبعد مزايدات شتى بلغت مذكرة 15 ديسمبر 1951 التي أرسلتها مصالح الوزارة الخارجية الفرنسية إلى الوزير شنيق، تؤكد تأكيداً صارماً على ذلك المبدأ مبدأ السياسة المزدوجة، كما تؤكد على إبقاء نوع من المراقبة الفرنسية على الحياة السياسية بالبلاد وكان ذلك إيذاناً بانقطاع المفاوضات.<sup>2</sup>

وفي جانفي 1952 وصل إلى تونس المقيم العام الجديد "جون دو هوتكلوك" Jean de Hauteclouque<sup>3</sup> في ظروف متوترة وفي إطار السياسة التي عزم المقيم الجديد على اتباعها اقترح على وزير الخارجية إبعاد العديد من قيادي الحركة الوطنية لاعتقاده بأنه إجراء سيحد من قدرة وفعالية هذه الحركة ويوقف الاضطرابات التي بدأت تشهدها تونس. فلم تعترض وزارة الخارجية على ذلك وسلم المقيم العام يوم 15 جانفي 1952 رسالة شديدة اللهجة للباي تطالبه فيها الوزارة بدعوة وزرائه للعودة من باريس وسحب الشكاوى المقدمة للأمم المتحدة وإصدار نداء يدعو التونسيين إلى التوقف عن الاضطرابات والشغب.<sup>4</sup>

وقد قامت سلطات الحماية عند انعقاد مؤتمر الحزب الدستوري الجديد يوم 18 جانفي 1952 بإيقاف ونفي عدد من قيادي الحزب على رأسهم الحبيب بورقيبة لاتهمهم بالتحريض على الفوضى واعتقل عدداً من النقابيين التونسيين في تونس وماطر التي احتجز بها حوالي 2000 متظاهر بشكنة الجندرمة-الدرك- وتكرر الأمر نفسه في مسان ومكنين وجمال ونابل من تظاهر واعتقال.<sup>5</sup> واثراً شيوخ خبر الاعتقالات والإبعاد لعدد من زعماء الدستور الجديد وحتى الشيوعيين ووجهت التشكيلات الحزبية والنقابية نداءاً للتونسيين بالإضراب العام في مختلف مناطق العمل فأدى ذلك إلى تأزم الوضع واتجاهه إلى العنف بين سلطات الحماية والتونسيين فانتشرت المظاهرات وعمت الاضطرابات التي أدخلت البلاد التونسية في مرحلة تصاعدت معها أساليب المواجهة بين الطرفين مرة أخرى.

<sup>1</sup> - محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 134.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 135.

<sup>3</sup> - جون دو هوتكلوك: ولد جون ماري فرانسوا دي هوتكلوك في 1893م وتحصل على شهادة البكالوريا وساهم في الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب عين في 01 سبتمبر 1919 ملحقاً بالسفارة الفرنسية بريودي جانيزو ومنها انتقل إلى الأرجنتين وبعد الحرب العالمية الثانية مثل فرنسا كسفير في بروكسل بداية من ديسمبر 1947 ومنها دعي إلى تعويض المقيم العام بتونس لويس برلييه في المجلس الوزاري المنعقد يوم 24 ديسمبر 1951 ليحل بتونس في 13 جانفي 1952 وظل في منصب المقيم العام بها حتى 02/09/1953. أنظر: محمد السعيد عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص 312.

<sup>4</sup> - محمد السعيد عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص 312.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 313.

## المطلب الثاني: ظروف وحيثيات المقاومة المسلحة بين سنتي 1952-1954

وقد وجدت المقاومة عقلها المدبّر عندما رجع الحبيب ثامر<sup>1</sup> من فرنسا أخذ قيادتها ونظم الحركة الوطنية خفية وشكّل شعباً سرية للحزب واقتنع الحبيب بورقيبة أن قضية تونس لن تعرف ولن يُعتنى بها ما لم يضطرب الأمن بصفة واضحة فالمعركة تحتاج إلى سند الكفاح بمختلف أشكاله. وهكذا استعد الحزب الدستوري الجديد إلى الكفاح وتكونت الجمعيات السرية التي بدأت تدعو إلى المقاومة العنيفة وقد أعد الحبيب بورقيبة بالتشاور مع مناضلي الحزب بالقاهرة الطيب سليم والرشيدي إدريس ومراد بوخريص والناصر بلوزة الخطة التحريرية قبيل رجوعه إلى تونس، وكانت خطة الدفاع تقتضي الاستفادة من رصيد المتطوعين التونسيين في حرب فلسطين وقد التحق بعضهم بالجيش المصري واللبنانية والسورية حيث تدريبوا على العمل العسكري، وقد التحق بالجبال فريق من المتطوعين الذين جنّدهم أحمد التليلي وباشر تدريبهم في جهة قفصة. وكانت تونس تمر بفترة صعبة منذ جانفي 1952 وقد عرفت هذه الفترة ظهور حرب عصابات كاسحة في المدن والأرياف وحوادث اغتيالات وعمليات تخريب وأعمال انتقامية دموية.<sup>2</sup>

بدأت المقاومة المسلحة بأعمال فردية اعتمدت على وضع القنابل صنع محلي والاعتقالات سواء الفردية أو ضمن مجموعات صغيرة. وهكذا تواصلت المقاومة واتخذت أشكالاً متنوعة حسب تطور الظروف في الداخل وسرعان ما تحولت المقاومة من إضرابات ومظاهرات وحرب عصابات إلى مقاومة مسلحة في المدن والأرياف.<sup>3</sup>

وكان رد فعل السلطات الاستعمارية متمثلاً في تنظيم حركة إرهابية مضادة بواسطة منظمة تدعى "اليد الحمراء" وقد عمدت إلى اغتيال عدد كبير من القادة والمناضلين الوطنيين في مقدمتهم الزعيم النقابي فرحات حشّاد، الذي اغتالته يوم 05 ديسمبر 1952.<sup>4</sup> وإثر هذه الأعمال اشتد غليان الشعب التونسي واشتدت معه حركة المقاومة المسلحة. حيث بدأ التحاق أفواج من المناضلين بالمجاهدين المعتصمين بالجبال وعملوا على تنظيم قواتهم وانبثق عن هذا التنظيم جيش التحرير التونسي سنة 1952 بقيادة الطاهر الأسود.<sup>5</sup>

وقد بلغ عدد المجاهدين سنة 1954 إلى 6000 مجاهد، وقد تزامنت هذه الأعمال مع فتح المفاوضات التونسية الفرنسية. وإثر ذلك خمد لهيب الكفاح بانتظار ما تفرزه المفاوضات المفتوحة. ونتيجة لفشل هذه الأخيرة بسبب مراوغة الطرف الفرنسي نشطت حركة المقاومة وتكتّفت قدوم المدد من معسكر التدريب بطرابلس ودعم الثوار مراكزهم في

<sup>1</sup>- الحبيب ثامر: 1909-1949 زعيم سياسي ومناضل ولد بتونس زاول تعليمه الثانوي بالمدرسة الصادقية ثم سافر إلى باريس والتحق بكلية الطب وتخرج منها متحصلاً على شهادة الدكتوراه في الطب. انتخب بباريس رئيساً لجمعية لطلبة شمال إفريقيا. عاد إلى تونس عام 1938 وإثر اعتقال السلطات الفرنسية لقادة الحركة الوطنية عمل على تنظيم حركة الكفاح السري. أُلقي عليه القبض يوم 18 فيفري 1942 بتهمة التآمر على أمن الدولة. توفي يوم 13 ديسمبر 1949. أنظر: محمد محفوظ: تراجم المؤلفين، المرجع السابق، ص 213.

<sup>2</sup>- الباجي قائد السبسي: الحبيب بورقيبة المهم والأهم، تر: محمد معالي، دار الجنوب، تونس، 2011، ص 37.

<sup>3</sup>- أحمد القصاب، المرجع السابق، ص 674.

<sup>4</sup>- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 173.

<sup>5</sup>- الطاهر الأسود: ولد سنة 1911 من الرعيل الأول من المجاهدين رفقة الأزهر شرايطي وآخرين، عارض هو أيضاً اتفاقية الاستقلال الذاتي واستمر في الكفاح المسلح نسق أعماله مع بن بلة والدكتور الخطيب من المغرب، ساهم بدور كبير في تموين وتسريب السلاح عبر الجنوب التونسي إلى الثورة الجزائرية، خاض العديد من المعارك التي استشهد فيها العديد من التونسيين والجزائريين. أنظر: عميرة عليّة الصغير، تونسيون في الثورة الجزائرية 1954-1957، أعمال الملتقى الدولي حول معركة الجرف، المركز الجامعي العربي التبسي، 27-28 أكتوبر 2002، منشورات وزارة المجاهدين، 2008، ص 91.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

الجنوب من جبال مطماطة إلى الجريد وجهة قفصة وأخذوا يتقدمون نحو الشمال من السباسب العليا قرب القصرين إلى الكاف ومكثروا وقد كان لانتشار فرق المقاومة المسلحة واتجاهها للشمال يندرج وفق خطة سياسية تمنح الأولوية لتهديد المصالح الاستعمارية وعرقلة النشاط الفلاحي للمعمرين.<sup>1</sup>

وكان الجنوب التونسي يعتبر أهم مقر لقيادات المقاومة المسلحة ومسرح عملياتها ونشاطهم وكان السلاح الذي يستعملونه من مخلفات الحرب العالمية الثانية وبعض الأسلحة التي يتم الاستيلاء عليها من عند القوات الفرنسية وكان رد فعل الفرنسيين عن ذلك باعتقال الهادي نوييرة وامتدت الاعتقالات إلى خارج تونس ونشطت الاغتيالات التي تنفذها اليد الحمراء ضد الوطنيين فتم اغتيال الهادي شاكر بعد اختطافه يوم 13 سبتمبر 1953.<sup>2</sup>

واستمرت عمليات الاغتيال حتى مست الأمير عز الدين المعروف بميوله للفرنسيين وإثرها أذاع الحزب الدستوري الجديد بلاغا استنكر فيه العملية وأعرب من خلاله استعداده لاستئناف المفاوضات في دائرة احترام الأمان القومي للأمة التونسية.<sup>3</sup>

وعندما أدركت الحكومة الفرنسية عدم قدرتها القضاء على الروح المقاومة لدى الشعب التونسي صرّحت بإظهار استعدادها مرّة أخرى للتفاوض بتعيين مقيما عاما جديدا بدلا عن المقيم دي هوتكلوك وهو "بيار فوازار"<sup>4</sup> في بداية شهر سبتمبر 1953 وقد بدأ هذا المقيم خطواته الأولى بمحاولة التخفيف من حدة التوتر وذلك باتباع طرق وإجراءات مختلفة عن سابقه وقام بتشكيل وزارة جديدة تحت رئاسة محمد الصالح مزالي وأوكل إليها إصلاحات 4 مارس 1954 وإطلاق سراح بعض السياسيين وإلغاء المحتشدات ولكن في المقابل استمر في التشديد على الوطنيين المحكوم عليهم بالإعدام بتخفيف هذا الحكم وقام بنقل رئيس الحزب الدستوري الجديد من منفاه إلى فرنسا وذلك في 20 ماي 1954<sup>5</sup> ومع ذلك تواصلت المفاوضات ودخولها في مرحلة حاسمة طالبت الحكومة الفرنسية في جويلية 1954 من بورقيبة تحرير نداء الى التونسيين التونسية بطلب منهم إيقاف الأعمال القتالية لكنه رفض لعدم مرافقته لقرارات سياسية حاسمة.

ونجحت المقاومة بحسب تكييفها مع متطلبات الفترة وقد نشرت الصحافة بتونس يوم 23 جويلية 1954 أن المقاومة التونسية قامت بحوالي 150 عملية أثناء أربعة أشهر (02 مارس/20 جويلية 1954 وتواصلت المفاوضات التونسية الفرنسية وتجنبنا للمواجهة ابتعد المقاومون عن المدن والجهات الساحلية حسب تعليمات الحركة الوطنية في انتظار حسم الأمر في المناطق الجبلية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> -عروسية التركي: الحركة اليوسفية في تونس 1955-1956، مكتبة علاء الدين، تونس، 2011، ط1، ص277.

<sup>2</sup> -محمد السعيد عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص325-326.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص326.

<sup>4</sup> -بيار فوازار Pierre VOIZARD : تولى الإقامة العامة في تونس خلال المدة 02 سبتمبر 1953 حتى 05 نوفمبر 1954. أنظر: محمد السعيد

عقيب، الحزب الحر، المرجع السابق، ص326.

<sup>5</sup> -الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص109.

<sup>6</sup> -عروسية التركي، المرجع السابق، ص277.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

لكن القوات الفرنسية واصلت ملاحقتهم فتواصلت المعارك طيلة شهري أكتوبر ونوفمبر ويذكر الباجي قائد السبسي<sup>1</sup> "أنه في شهر نوفمبر 1954 دعا منداس فرانس الحبيب بورقيبة للاتفاق معه على إنهاء أجواء العنف الذي كان لا يزال يهز الأرياف التونسية. فطرح بورقيبة مبدأ الحصانة القانونية للمقاومين التونسيين وقد أصدر منداس فرانس أمرا للمقيم العام الجنرال "بويري لاتور" تسليم اللجان المكلفة بنزع سلاح المقاومة شهداء الأمان"<sup>2</sup>. وفي 23 نوفمبر 1954 وجّه بورقيبة نداءً رسمياً إلى المقاومين في المدن والأرياف لتسليم أسلحتهم للحكومة التونسية وقد كان الباجي قائد السبسي أحد المكلفين بجمع الأسلحة من منطقة القصيرين<sup>3</sup>.

وقد أحصت اللجان 2713 مقاوما قدموا 2144 بندقية قديمة، مما يبين أن الحركة الوطنية حرصت على إخفاء العتاد العسكري الجديد توقعاً لفشل المفاوضات. ويذكر "أحمد المنستيري" "أنه استجاب لنداء الحزب كل المقاومين باستثناء الطاهر الأسود بسبب دوافع شخصية وسياسية. لقد عمل الساسة الفرنسيون على استدراج الحزب الدستوري الجديد وأخذوا بيده في طريق الإصلاحات ثم التزم بإنجاز استقلال تونس الداخلي<sup>4</sup>.

### المطلب الثالث: مساهمة طلبة وعلماء الزيتونة في المقاومة التونسية المسلحة 1952-1954

بتطور التناقضات بين الحزب الدستوري الجديد ولجنة صوت الطالب الزيتوني وتذبذبها تقلصت خلال فترة 1952-1954 عند اندلاع المقاومة في 18 جانفي 1952 والساحة الزيتونية ساندت الحزب أثناء اعتقال قاداته والقيام بإضرابات في 19 جانفي 1952 أعلنت لجنة صوت الطالب الزيتوني عن إضراب شمل الحاضرة والفروع الداخلية باجة، المنستير، الكاف وأعلنت عن استنكارهم الشديد للموجة القاسية التي تتحاش الشعب التونسي ووجهت بقرقيات احتجاج إلى الباي والوزير الأكبر والأمين العام للأمم المتحدة "تريفلي لي" وطلبت منه إدراج القضية التونسية في جدول أعمال مجلس الأمن وفي 18 مارس 1952 اجتمع البرلمان الزيتوني وممثلي المنظمة الطلابية بالفروع الزيتونية لدراسة حالة الشعب التونسي والشباب الزيتوني ودعوا السلطات كف الاعتداءات<sup>5</sup>.

لم يكتف طلبة وعلماء الزيتونة بالنضال السياسي ضد المستعمر الفرنسي بل أيضاً كانت لهم مشاركة فعالة في العمل المسلح. فمن خلال الوثائق الأرشيفية الموجودة على مستوى الأرشيف الوطني التونسي نجد عدد من مدرسي ومشاخ الزيتونة قد تعرّضوا للاعتقال والطرده من وظائفهم بسبب انتمائهم للمقاومة المسلحة ومساندتهم للدستورين. فمثلاً نجد الشيخ مصطفى بن علي بن محمد الغزي المعين حسب مرسوم 1940 رقم 112 الصادر في 22 أوت 1940 الموافق لـ 19 رجب 1359 هـ المدرس بجامع قليبية بنابل وقد عمل كمدرس من مدرسي الآفاق بجامع حمام الأغزاز إلا أنه تم اعتقاله وعزله من منصبه بتهمة إخفاء سلاح لمساندة المقاومة وحُكم عليه في المحكمة العسكرية في

<sup>1</sup> الباجي قائد السبسي: محمد الباجي بن حسونة قائد السبسي 1926-2019، سياسي ومحامي تونسي وكان الرئيس الخامس في تاريخ الجمهورية التونسية في الفترة الممتدة من 31 ديسمبر 2014 إلى 25 يوليو 2019، تقلد العديد من المناصب في عهد الحبيب بورقيبة. أنظر: [www.mosaiquefm.net/ar/](http://www.mosaiquefm.net/ar/)

تاريخ الزيارة 18.30 2020/07/19

<sup>2</sup> -عروسية التركي، المرجع السابق، صص 272-274.

<sup>3</sup> -الباجي قائد السبسي، المصدر السابق، صص 38-39.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 40.

<sup>5</sup> -محمد ضيف الله، المدرج والكرسي، المرجع السابق، صص 44-45.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

فيفري 1953 بعامين حبس نافذة وغرامة مالية، ورغم نداءات الأهالي ورفعهم لعرائض المساندة في محاولة منهم لدفع التهمة عن الشيخ مصطفى إلى الوزير محمد الطيب بلخيرية إلا أن الشيخ عُزل عن عمله وتم سجنه.<sup>1</sup>

ولم تتوقف نضالات الطلبة الزيتونيين خلال فترة المقاومة المسلحة فقد عرفت سنة 1954 تصاعدا في الحركة النضالية بدأ بالدخول في إضراب إنذاري لمدة ثلاثة أيام انطلق يوم 09 فيفري واستمر إلى يوم 11 من نفس الشهر، سبب ذلك الإضراب هو عدم استجابة الحكومة للمطالب الزيتونية.

أدى نجاح ذلك الإضراب على مواصلة الحركة الاحتجاجية بعد أن قامت لجنة صوت الطالب الزيتوني بإعادة هيكله وتنظيم مختلف لجائها المشرفة وقد تمكنت اللجنة يوم 15 مارس 1954 من تعبئة الطلاب الذين خرجوا بالآلاف في خمسة مسيرات محكمة التنظيم في اتجاه ساحة القصبه مقر الوزارة الكبرى، لكن الإدارة العسكرية الاستعمارية واجهت ذلك التحرك بإطلاق الرصاص على المتظاهرين مما أدى إلى سقوط عدد من الشهداء.

وبالتوازي مع ذلك شنت الإدارة الاستعمارية حملة اعتقالات في صفوف طلبة الزيتونة شملت أعضاء لجنة صوت الطالب الزيتوني ومحركها محمد البدوي.

إلا أن تلك التحركات لم تخمدها الإجراءات القمعية بل كانت مدخلا إلى إعادة تنظيم الاحتجاج الطالب الذي برز هذه المرة في شكل إضراب تلقائي ودام استمر 6 ستة أشهر وانطلق يوم 16 مارس 1954. ومنذ ذلك التاريخ تحول الخطاب الطالب إلى خطاب سياسي محض وتحوّلت لجنة صوت الطالب الزيتوني إلى فصيل فاعل في العمل الوطني.<sup>2</sup>

وقد قرر طلبة الزيتونة مقاطعة الدراسة بالجامع الأعظم بجميع الفروع التابعة له. ثم أخذوا في تصعيد ردود الفعل النضالية كل حسب ما يقدر عليه من موقعه ثم بدؤوا يبحثون عن حيط يصلهم بالثورة، وذكر المجاهد عبد القادر السمعلي كيف كان يبحث عن الشيوخ وغيرهم من المقاومين وكانوا يلاقون صعوبة في الانضمام للثورة بعد تركهم الدراسة في الجامع.<sup>3</sup>

وتعتبر قصة انضمام عبد القادر نموذجا لعشرات أمثاله من الطلبة المقاومين فيقول "في 3 أكتوبر 1953م اتصلت بخلية المقاومة واتصلت بالقائد الطاهر بن سليمان، وعرفته بنفسه وبنشاطي الطلابي ثم استظهرت له بطاقة انخراطي بالحزب الدستوري الجديد للسنة 1949 حيث قيل لي من قبل أن ذلك شرط أساسي لانخراطي في حركة المقاومة المسلحة، كما استظهرت المسدس الذي أحمله وذخيره فقبلي ضمن أفراد خليته.. ثم اتصلت بخلية أخرى واتصلت بالقائد الطاهر الأسود فقبلي ضمن عناصر خليته".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> -الأرشيف الوطني التونسي، رصيد الفترة الاستعمارية، السلسلة D، الحافظة 52، الملف 17، الملف الفرعي 03، ملف تسمية مصطفى بن علي بن محمد الغزي مدرسا بقلبية وإعفاءه من خطئه لانهاءه بالانتماء إلى المقاومة المسلحة 1939-1954. أنظر: الملحق رقم 32.

<sup>2</sup> -ليبض سالم، الهوية الإسلام، العروبة التونسية، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، 2009، ط1، صص 180-101

<sup>3</sup> -عبد القادر السمعلي: مذكرات مقاوم تجرّتي مع جيش التحرير التونسي والمقاومة المسلحة كما عشتها، تح: عبد الجليل الميساوي، دار نحي للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، 2010، صص 213-214.

<sup>4</sup> -المصدر نفسه، صص 219-222.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وتعتبر هاته إحدى الشهادات الهامة من ضمن عدد كبير من الشهادات التي أدلى بها طلبة وعلماء الزيتونة في مساهمتهم الفعالة والجادة أثناء فترة المقاومة المسلحة سنة 1952-1954.

وقد اتصفت هاته المرحلة بارتقاء الحركة الطلابية الزيتونية ارتقاء بلغ بها إلى مرتبة قوة وطنية مستقلة قادرة على مزاحمة الحزب الدستوري الجديد وهو أقوى المنظمات السياسية القائمة لتحرير البلاد<sup>1</sup> إن انصهار لجنة صوت الطالب الزيتوني في إطار النضال الوطني المسلح وتسبيقه على النضال الثقافي لم يكن في رأينا نتاجا لظهور بوادر الإنهاك على اللجنة بل للنضج السياسي الذي بلغته وقدرتها على التأقلم بسرعة في مستوى الشعارات مع الظرفية السياسية المتحوّلة.<sup>2</sup>

### المطلب الرابع: التأثير الفكري الزيتوني الإسلامي على المقاومة المسلحة التونسية 1952-1954

لقد تجسّد الفكر الزيتوني الإصلاحى الثوري التحرري على مستوى واقع يوميات المقاومة التونسية المسلحة وتجسد في عدة مظاهر ابتداء بالهوية أو الإيديولوجية الثورية التونسية وانتهاء إلى المبادئ والسلوك الأخلاقية الإسلامية التي تحلى بها قادة وجنود المقاومة التونسية المسلحة خلال فترة 1952-1954 وحتى الاستقلال.

#### 1- الهوية أو إيديولوجية الثورة

يمثل الإسلام في تونس كما هو معلوم أحد المقومات الرئيسية لهوية شعبها، فكان الدفاع عن الدين هو دفاع عن شخصيته العربية الإسلامية. وتخصينا لها من خطر التغريب والفرنسة والاندماج فكان الإسلام في وعي الاستعمار الفرنسي هو البقاء والملجأ أمام الخطر الدايم.<sup>3</sup> وليس غريبا على هذا الشعب الذي كان على مدار المقاومة للاستعمار أن يرفع لواء الجهاد الذي يُعبّر عنه الشاعر الشعبي بكل عفوية وصدق:

يا أمّة نبينا                      يا من طالب على الجهاد إيجينا  
ضامونا الكفار                      كان خرتوا فينا العيطة للقهار<sup>4</sup>

ولذلك اصطبغت كل التحركات المعادية للاستعمار بطابع ديني، فالدفاع عن الأرض أمام زحف الاستعمار الزراعي وافتكاك أراضي العروش والأحباس، اتخذت الدفاع عن المقدّس. فكانت النخبة المتعلمة والمسيّسة تدافع عن الإسلام كعقيدة وتراث وتاريخ أمام هجمات المغالين من رجال الدين المسيحي، داحضة التهم الملصقة بالإسلام.

<sup>1</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 144.

<sup>2</sup> - سمير البكوش: النضال الزيتوني في الخمسينات من خلال أحداث 15 مارس 1954، أعمال الندوة الدولية الحادية عشر حول الزيتونة، المرجع السابق، ص 373.

<sup>3</sup> - الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص 116.

<sup>4</sup> - عدنان المنصر، عميرة عليّة الصغير: المقاومة المسلحة في تونس 1861-1939، ج 1، منشورات جامعة منوبة، المعهد الأعلى للتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2005، ط 2، ص 30.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وتبرز مركزية الدين في ديناميكية الحركة الوطنية التونسية - كما في غيرها من البلدان الإسلامية - كمشروع للمقاومة التي ترتقي إلى مستوى "الجهاد" ويصبح المقاوم من أجل تحرير الوطن، كالمجاهد من أجل نصرته الإسلام والناشد للشهادة.<sup>1</sup> وسوف نتعرف على ذلك من خلال هوية وإيديولوجية جيش التحرير التونسي والتي عبّر عنها في قانونه الداخلي حيث ورد فيه التأكيد على مطلب الاستقلال الوطني في إطار هويته العربية الإسلامية حيث جاء في الفصل الأول منه ما يلي: "إن جيش التحرير الوطني التونسي تأسس على بركة الله لتحرير الوطن من الاستعمار وأذنا به والمحافظة على عروبة وإسلام هذا الوطن. يفرض على كل من يلتحق بصفوفه من قادة وجنود أن يتقوا الله في كل أعمالهم وأن يتجردوا من حب الذات تجردا تاما وألا يكون لهم أي هدف يسمون إليه سوى الهدف الأسمى الذي من أجله تأسس هذا الجيش ألا وهو الاستقلال التام وجلاء جيش الاحتلال الفرنسي عن أراضيه.."<sup>2</sup>.

وهذا تأكيد واضح وصريح على تبني جيش التحرير التونسي الإيديولوجية الإسلامية في المقاومة المسلحة وتأثير جلي على إيديولوجية الثورة التونسية بفعل العمل السابق للعناصر الزيتونية في تهيئة أرض الجهاد.

### 2- المبادئ الخلقية الإسلامية للثورة التونسية

تزخر الثورة بالمعاني النابعة من عقيدة أهلها مثل لفظ "الجهاد والشهادة والجنة" نجد ذلك يتكرر في معظم الشهادات المسجلة أو المكتوبة أو المراسلات المأخوذة عن قدماء المقاومة في فترة الخمسينات أو قبلها. وما يمكن ملاحظته:

- الاستنجاح بالدين عند تجنيد الأتباع من قبل الأحزاب وحتى عند القيادات غير المعروفة بتدينها الواضح. فمثلا عند الانخراط في الحزب الحر الدستوري كان المترشح يُقسم بالله على الإخلاص للحزب وللوطن ويده على القرآن الكريم.
- بطاقات الانخراط في الأحزاب الوطنية أو في الاتحادات النقابية والمهنية أو الشبابية تحمل نصوصا دينية مستمدة من القرآن الكريم من قبيل "وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ"<sup>3</sup>.
- الاجتماعات والخطب والمراسلات كانت تأتي في صيغة دينية كالبداية بالبسملة وتوحيد الله أو الختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام.

- وتذكر الأحاديث النبوية والآيات عند مخاطبة العامة مثل الآية "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"<sup>4</sup> وقوله تعالى: "إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ"<sup>5</sup> وحتى بورقية الذي عُرف بعد ذلك باستخفافه بالدين كانت مراسلاته تزخر بذلك، مثل رسالته التي وجهها للباي في 02 جانفي 1953 بدأها ب "بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الشهداء والمجاهدين"<sup>6</sup> ويُنتهيها بالآية الكريمة "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا

<sup>1</sup>- الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص 117.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 117.

<sup>3</sup>- سورة التوبة، الآية 105.

<sup>4</sup>- سورة الرعد، الآية 11.

<sup>5</sup>- سورة آل عمران، الآية 160.

<sup>6</sup>- الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص 120.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وَلَمَّا يَا تَيْكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ<sup>1</sup> فإذا كان هذا عند هؤلاء فإن المحافظين في الحزب الدستوري القديم وفي الأوساط الزيتونية يكون بشكل أوسع وأرسخ.<sup>2</sup>

- أن المتطوع في صفوف الثورة وقبل التحاقه بالجمال يُقسِم على القرآن وعلى إخلاص النية والوفاء لوطنه ويُطالب غالبا بأداء الصلاة ويترك المسكرات والمحرمات حتى يكون عوناً لهم على النصر. ولم يمنع هذا أن يكون الذين انخرطوا في الثورة من ذوي السوابق فقد ضمت الثورة بعض اللصوص وقطاع الطرق ونلاحظ هذا من خلال تتبع سيرتهم خلال الخمسينات ولكن الدين والاستقامة والإلزام الذي خطته الثورة جعلهم يتوبون بحشأ علن الشهادة والجنة وتحرير البلاد وأداء واجب الجهاد في سبيل الله.<sup>3</sup>

- الهتافات الدينية أثناء المعارك فكان الثوار يرددون أثناء الاستعداد للمعركة والإحساس بالخطر البيت التالي:

نحن الذين بايعوا محمداً  
على الجهاد ما بقينا أبداً

كما أن بعض الفصائل ولاسيما التي انضم إليها طلاب جامع الزيتونة يرددون آيات الجهاد والتحريض عليه ويحملون مصاحف القرآن الكريم ويتلون على مسامع زملائهم ترسيخاً لإيمانهم وتشجيعاً لهم كما يردد الثوار نشيد "حمية الحمى".<sup>4</sup>

وكل هذه المعاني والصور الحية كانت حاضرة في يوميات الثورة التونسية دلالة على التأثير القوي للتيار الزيتوني الإصلاحية -طلبة وعلماء- وسوف نرى الصراع بين الدستور الجديد وطلبة وعلماء الزيتونة بتجدد بعد انتهاء فترة المقاومة المسلحة ودخول الحزب الدستوري الجديد في مرحلة المفاوضات الأخيرة إلى غاية الاستقلال في مارس 1956 وهذا بعد أن تناول تبلور الفكر الثوري التحرري عند القادة السياسيين الزيتونيين.

### المبحث الثالث: تبلور الفكر الثوري التحرري عند القادة السياسيين الزيتونيين

لقد دعم الاحتلال الفرنسي للبلاد التونسية عوامل الوحدة القومية وإبراز الذاتية التونسية حيث أصبح الإحساس القومي أقوى العوامل الشعورية في إبراز ذاتية الفرد ولذلك تضاءلت عوامل التفرقة والتمييز بين عناصر الأمة سواء ما يرجع منها إلى المنازل الاجتماعية أو ما يرجع إلى المكونات الثقافية ومثلت الزيتونة مركز الضمير الجمعي ورمز الهوية الحضارية العربية الإسلامية للشعب التونسي ذلك أن "أعظم معالم المجد القومي في البلاد التونسية وأجمعها للمعاني التي تمثل عظمة الماضي وضمأن الحاضر والمستقبل هو جامع الزيتونة" لأنه "يمثل قدسية الدين وعراقة المجد" وعظمة الحضارة الإسلامية وسلطان الثقافة العربية".<sup>5</sup>

<sup>1</sup>-سورة البقرة، الآية 214.

<sup>2</sup>-الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص120.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص120.

<sup>4</sup>-عبيد منصور الشرايطي، بشير نصر زيدي: ثورة ثوار وأنصار تاريخ الحركة الوطنية المسلحة التونسية 1952-1954، مطبعة السفير الفني، تونس، 2007، ص50.

<sup>5</sup>-محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، صص25-26.



## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وكان لجامع الزيتونة دور هام في تأطير مختلف شرائح المجتمع ذلك أن النسبة الغالبة في المثقفين آنذاك إنما هي لخريجي جامع الزيتونة أصحاب الثقافة العربية الصرفة. وأثناء الحرب العالمية الثانية وهزيمة فرنسا تراجع دور وتأثير أصحاب التكوين الغربي والثقافة الغربية مقابل تنامي دور وموقع المنتسبين إلى الثقافة الأصلية على حد تعبير محمد الفاضل بن عاشور "وبذلك أصبح اعتبار التعليم الزيتوني أصلا من أصول الروح الوطنية ومظهرها من مظاهر ثورة التونسيين قاطبة في وجه الاستعمار"<sup>1</sup>.

إن كلام محمد الفاضل بن عاشور يبين بشكل جلي كيف تبلور الفكر الثوري التحرري لدى النخبة الزيتونية الإصلاحية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية إذ وجد الزيتونيون أنفسهم في مواجهة عدة تحديات في إطار النضال الوطني والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للبلاد التونسية، وكما لاحظنا دخول عدد من الزيتونيين إلى معترك النضال السياسي في إطار الأحزاب الوطنية كالدستور القديم وأيضا الجديد وصراعهم ضمن لجنة صوت الطالب الزيتوني. كل هاته التحديات جعلت الفكر الإصلاحي لدى نخبة الزيتونيين -طلبة والعلماء- يتبلور إلى فكر ثوري تحرري بل هناك شق من الزيتونيين كما يقول عنهم الطباي بأنهم شق راديكالي ذهب إلى أبعد مدى في تبني الفكر الثوري التحرري والمطالبة بالحقوق الوطنية دون هواده أو مهادنة، إذ يقول الطباي في ذلك "إن التوسع الاستعماري في البلاد العربية الإسلامية ولّد شعورا بالإذلال والثورة وردا على هذا الوضع نشأت نوع من الإيديولوجية الضمنية لدى عامة السكان المسلمين. فأئى مجتمع وأية ثقافة أو فئة اجتماعية تجدد نفسها هدفا لتحدي خارجي تواجهه الوضع بمواقف ثلاثة؛ الإصلاح أو التغيير أو الاستسلام والقبول بالأمر الواقع والتقليد الأعمى، أو الرفض. فحينما ظهر الاتجاه الأول لدى جماعة الشباب التونسي ظهر الاتجاه الثالث لدى الشق الراديكالي من شيوخ الزيتونة"<sup>2</sup>.

وعن هذا الاتجاه الراديكالي من شيوخ الزيتونة يقول الطباي "إن الاتجاه الثالث الذي مثله الشق الراديكالي من شيوخ الزيتونة تم غمطه من قبل المؤرخين التونسيين وغير التونسيين باستثناء حالات معزولة ويندرج ذلك ربما ضمن تلك النظرة أو المواقف المسبقة التي تحط عن قصد أو دون قصد من دور الزيتونة والزيتونيين في معركة الهوية والتحرر الوطني. وعليه فإنه من الإنصاف والموضوعية إعادة الاعتبار للنخبة الزيتونية المشار إليها لتمكين مؤرخي الفترة الاستعمارية من فهم أفضل للدينامكية الاجتماعية والسياسية لهذه النخبة التي لعبت دورا هاما في حركة التحرر الوطني"<sup>3</sup>.

ومن الأكد أن الواقع الاستعماري وما يعينه من استغلال وتمييز وتجاوز وإذلال لا يمكن إلا أن يساعد على انبثاق وعي وطني بتونس، وعليه فإنه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ردود فعل الجامعة الزيتونية التي كانت ولا تزال آنذاك قلب وروح تونس وبلاد المغرب في الدفاع عن القيم الأساسية للهوية العربية الإسلامية أمام محاولات المسخ والتغريب. فقد ساهم محررو الصحافة العربية وأغلبهم من خريجي الزيتونة في إذكاء روح التحرر الوطني والوعي بالانتماء إلى الأمة الإسلامية كما ساهموا إلى حد بعيد في تشكيل رأي عام وبالخصوص في بلورة شعور وطني وقومي إسلامي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> -حفيظ الطباي، صراع الهوية، المرجع السابق، ص423.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص423.

<sup>3</sup> -المرجع نفسه، ص424.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص424.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وقد برزت شخصيات زيتونية سياسية وتكتلات طلابية زيتونية، مثلت وجسدت الفكر الثوري التحرري في خطبهم ومقالاتهم وتحركاتهم النضالية. وكان أبرزهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي والشيخ محمد الفاضل بن عاشور وكذلك هيئة لجنة صوت الطالب الزيتوني.

### المطلب الأول: تبلور الفكر الثوري التحرري عند الشيخ عبد العزيز الثعالبي

إن مقاومة المد الاستعماري عمل شرعي يتماشى مع مبادئ حق الشعوب في تقرير مصيرها وهذا ما طرحه الوطنيين العرب في مؤتمر الصلح 1919 على الهيئة الأممية بعد الحرب العالمية الأولى، فكل شعب له الحق في الحرية والاستقلال والسيادة وتقرير المصير ومقاومة المعتدي. لقد تعلق التونسيون بمبدأ الاستقلال تعلقا شديدا وانعكس ذلك على فكر وعمل الحركة الوطنية التي عرفت صراعات داخلية هامة في ذلك الشأن كما عرفت تحولات كبرى مصدرها تشابك التحولات التي عرفتها البنية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المجتمع التونسي بتأثير تنامي دائرة الاقتصاد الرأسمالي الاستعماري وبروز قوى اجتماعية جديدة ودخولها معترك الصراعات من أجل حقوقها ومصالحها.<sup>1</sup>

لقد عمل الشيخ عبد العزيز الثعالبي في أوت 1919 في باريس أثناء مؤتمر الصلح على التعريف بالقضية التونسية في الأوساط السياسية. فقاد الثعالبي الوفد التونسي المكون من أعيان تونس إلى المؤتمر، وقدم مذكرة شفوية شرح فيها الوضعية السياسية التي آلت إليها تونس بعد فرض الحماية الفرنسية عليها وأشار إلى تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتذكير بالجهود التونسية خلال الحرب العالمية والتضحيات التي قاموا بها.<sup>2</sup>

إن الشيخ عبد العزيز الثعالبي بادر دون وجل ولا تردد إلى تشخيص مواطن الوهن في البلاد التونسية والبلاد لعربية الإسلامية إبان الاحتلال الأجنبي الذي رسخ في مستعمراته عوامل الانحطاط الفكري والاجتماعي وتردي المعيشة والوضع الاقتصادي وكانت دوافع الثعالبي إلى مقاومة المد الاستعماري الغاشم والتيار التغريبي المتعدد الوجوه والبرامج ذات اتجاهين اتجاه سياسي حركي نضالي واتجاه ثقافي مؤسس على منزع إسلامي لمواجهة الغزو الثقافي.<sup>3</sup>

إن الفكر الثوري التحرري عند الثعالبي قد تطور بشكل ملحوظ ولكي تثبت ذلك بأن نظرة الثعالبي تجاه الاستعمار قد تغيرت جذريا ما قاله في كتابه "روح التحرر في القرآن" الصادر في باريس 1905 حيث يقول "أن فرنسا هي التي وضعت مصر على طريق الحضارة والمصريون لم يفهم أبدا أداء واجب الاعتراف بما هم مدينون له بفرنسا".<sup>4</sup>

ويقول أيضا "وما الفرنسيون اليوم إلا أولئك الذين أعلنوا عن مبادئ حقوق الإنسان والمواطن وساعدوا محمد علي على القيام بتطوير المسلمين في الميدان الثقافي..". ويدعو أيضا في كتابه "المسلمين إلى تأويل القرآن تأويلا صحيحا وحقيقيا وإنسانيا واجتماعيا أي باختصار تأويلا مطابقا لمبادئ الثورة الفرنسية التي هي نفس المبادئ التي جاء بها القرآن".<sup>5</sup>

<sup>1</sup>- التكريتي غيلان سمير طه، المرجع السابق، ص186.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص186.

<sup>3</sup>- فتحي بوعجيلة، المرجع السابق، ص183.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص195.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص196.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

ويقول فتحي بوعجيلة "غير أن هذه اللغة العسلية والموادعة الناعمة سرعان ما تحولتا إلى إغلاظ في خطاب الثعالبي لا رأفة فيه وإلى اعتراف مرير بالانخداع الذي جنته على التونسيين المخدوعين السذاجة المهلكة أو إلى إقرار حاد بفشل استراتيجية استدراج فرنسا وخدمتها لاستجلاب المكافأة بمنح التحرير"، يقول الثعالبي "وقد كانت لنا ثقة لا تتزعزع في المصير الطيب الذي كان من المفروض أن يهيئه لنا انتصار الحق والعدل الأُميين وذلك بواسطة مبدأ حرية تقرير مصير الشعوب.. " ويعلن في يأس من الفرنسيين "كل أمل في طيبة الاستعمار الفرنسي أصبح من المستحيل التفكير فيه، وأن المشاركة في ذلك العمل تعتبر خيانة لمصالح الوطن المقدسة".<sup>1</sup>

نجد أن هاته الخيبة في أن الأمل بأن الاستعمار سيعطي للشعب التونسي حقه قد تجسّدت أكثر وتوضّحت في كتاب الثعالبي "تونس الشهيدة" الصادر بفرنسا في أوائل جانفي 1920، الذي يعطينا رغم اختصاره وصفا شاملا للقطر الذي يريخ تحت نير الاستعمار الفرنسي، ومما صدع به الزعيم عبد العزيز الثعالبي قوله "من واجبنا أن نوضح الصفات الحقيقية للاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، إنه صراع حتى الموت وحرب صليبية موجهة ضده مجتمعنا إنه الاغتصاب المنظم لثرواتنا".<sup>2</sup>

ويضيف "إنه يهدف إلى تفجيرنا بانتزاع أراضينا الخصبة وتجميد مؤسساتنا الزراعية وإصدار قوانين تقضي على تجارتنا وصناعتنا وهو يرمي إلى الحط من مستوانا الثقافي والأخلاقي بإبقائنا في حال جهل وهوان وبانعدام المدارس وانتهاج الحكومة لسياسة التمييز المسلطة على تدريس اللغة الوحيدة القادرة على إحيائنا وهو يرمي أيضا إلى استبعادنا بإقصائنا عن إدارة شؤوننا العامة وعن السلطات الاجتماعية. وأخيرا فإن ما تهدف إليه الحكومة بتونس هو انحلال تنظيم اجتماعي عزيز علينا والنزول بنا إلى مستوى الجنس الأسفل".<sup>3</sup>

وكان الثعالبي يحمل في نفسه عداة تاريخيا للاستعمار الفرنسي ولم يفتأ يندد بسياسة الاستبداد الفرنسية المطبقة في تونس ووصل إلى الاقتناع بأنه لا يمكن تصور سلامة تونس بعدما بلغ الاستبداد الاستعماري نزواته إلا في إطار توحيد مصيرها بمصير أشقائها في الجزائر والمغرب الأقصى وليبيا وموريتانيا وتوحيد المغرب العربي من المحيط إلى الحدود المصرية ومن البحر المتوسط إلى أعماق الصحراء.<sup>4</sup>

وعند عودته إلى تونس واستقباله من طرف المقيم العام يوم 13 جويلية 1937 وكان رفقة الدكتور المطايري والحبيب بورقيبة قال الثعالبي مخاطب المقيم العام "إنّ كلاما عن تحرير تونس وبلدان الشمال الإفريقي لا يمكن أن يقلق ممثل قوة تفرض عليها مصالحها وعبقريتها أن تتبع سياسة عدل وتحرر مع شعوب الشمال الإفريقي المسلمة".<sup>5</sup>

وتبين أفكار الشيخ الثعالبي التحررية أكثر فأكثر أثناء قيادته الصراع مع الديوان السياسي حيث نجده يقول في تجمع شعبي في مدينة فير فيل أمام 600 شخص حيث فضح الشيخ الثعالبي تصرفات بورقيبة وأتهمه "بخيانة القضية

<sup>1</sup>- فتحي بوعجيلة، المرجع السابق، ص 197-198.

<sup>2</sup>- عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، المصدر السابق، ص 281.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 282.

<sup>4</sup>- يوسف مناصرية، الصراع الإيديولوجي، المرجع السابق، ص 28.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص 30.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

التونسية بتعامله مع فرنسا". وختم بالدعوة إلى التجمع حول جماعته التي "لا يهدف عملها الأساسي سوى إلى استقلال تونس ورفض جميع البرامج الأخرى التي لا تدعُ إلى التحرير بصفة سريعة وفورية وليست خالية من كل تعاون مع الحكومة"<sup>1</sup>.

ولذلك فإننا نجد الحزب الدستوري القديم قد سار على هذا النهج الذي رسمه الشيخ الثعالبي منذ بدايات التأسيس، حيث ركّز الحزب الدستوري على الشعور الديني والانتماء إلى مجتمع إسلامي وحافظ على وجهه الوطني المتصلب وكان ينظم حملاته الإعلامية حول فكرة "أنه لا يمكن أن ننتظر شيئاً من الحكومة الفرنسية" وهذه هي الفكرة التي تميز الدستور على الديوان السياسي (الحزب الدستوري الجديد) وركز على ديمومة الدولة التونسية التي عليها أن تبحث عن تحررها معتمدة على فكرة الجامعة الإسلامية المستمرة وكان يمثل المحافظة على التقاليد التونسية العريقة وربط تونس بالمشرق العربي وكان يعمل من أجل إحياء الوحدة العربية الإسلامية.<sup>2</sup>

وكان قادة الحزب الدستوري مصممين على انتهاج سياسة تؤدي حتماً إلى استقلال البلاد الكامل وجاء ذلك واضحاً في تصريح الأمين العام للحزب صالح فرحات الذي رفض التعاقد نهائياً مع فرنسا وانتقد إجراءات الحماية وحكومة الجبهة الشعبية التي ركزت فقط على مصالح الاستعمار الفرنسي في تونس.<sup>3</sup>

ويتبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك كيف تطور الفكر الإصلاحي لدى الثعالبي إلى فكر ثوري تحرري والدليل احتدام الصراع مع الديوان السياسي في مسألة مفهوم الاستقلال والتحرر الكامل، وسنجد أن هذا التوجه الفكري الثوري التحرري قد سار على خط مستقيم ولم يعتريه أي تغيير أو تذبذب في المواقف لدى نخبة -طلبة وعلماء- الزيتونة الإصلاحي حيث واصل على نفس المنهج الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، رغم انتمائه سياسياً للحزب الدستوري الجديد وتنظيمياً، وبعده لجنة صوت الطالب الزيتوني فكانت بوصلتهم في كل تحالفاتهم أثناء فترة الاستعمار الفرنسي لتونس هي مسألة الاستقلال التام والتحرر دون قيد أو شرط.

### المطلب الثاني: تبلور الفكري الثوري عند الشيخ محمد الفاضل بن عاشور

ولعل الشخصية الزيتونية الثانية التي برزت بروزاً سياسياً واضحاً بعد الحرب العالمية الثانية ومثلت الجيل الثاني من المناضلين الزيتونيين الدستوريين الذي ساروا على نهج الشيخ عبد العزيز الثعالبي في الفكر التحرري الثوري الإصلاحي الذي يؤمن ويعتقد بأن الإسلام دين متطور وصالح لكل زمان ومكان ويتكيف مع كل الظروف المحيطة به وقد عمل الشيخ الفاضل على ترسيخ هذا المبدأ السامي، فنجد انطلق للعمل الإصلاحي الشامل بكل حماسة وثبات ليثبت أن الزيتونيين الإصلاحيين -طلبة وعلماء- هم أيضاً وطنيون وثوريون ومتحررون لما لديهم من رصيد تاريخي وعقائدي، فلا يمكن أن يفوتوا عنهم معركة الوطن.

فقد بدأ شيخنا محمد الفاضل صلته بفكر النهضة الإسلامية والحركة الوطنية منذ سن مبكرة متأثراً بالوسط العائلي الذي نشأ فيه أولاً فهو الابن الأكبر للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ذلك العلامة المتشعب بفكر الإصلاح الإسلامي

<sup>1</sup> - يوسف مناصرة، الصراع الإيديولوجي، المرجع السابق، ص 42.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 23-24.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 24.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

خريج مدرسة الشيوخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا ومجلته المنار وصاحب كتاب "أليس الصبح بقريب" و"تفسير التحوير والتنوير". وقد خصّ هذا الوالد نجله الأكبر بعناية فائقة وحرص على إعداداته العلمي الممتاز وشحذ ملكاته وتوجيهه لترقية معارفه وإثراء ثقافته العامة ونحن نجد لهذه الإحاطة الأبوية أثرا في قول الشيخ محمد الفاضل "كان نطاق تنقلي بين الجامع والبيت ونظام أوقاتي مضيقا عليهما جدا بمراقبة سيدي الوالد".<sup>1</sup>

وكان لعدد من المشايخ المتشيعين للإصلاح الذين درّسوا الشيخ محمد الفاضل بن عاشور أثرا أيضا في توجيهه تلك الوجهة الإصلاحية الوطنية ونذكر منهم على سبيل المثال الشيخين عثمان بن المكي صاحب كتاب "المرآة لإظهار الضلالات"<sup>2</sup> والشيخ محمد النخلي، كما كان للفترة التي نشأ فيها شيخنا وبدأت شخصيته تكتمل أثر مهم على انخراطه في تيار الحركة الوطنية بمعناها الواسع وهو القائل "كان خروجي من الصبا إلى الشباب مقترنا بانبعث الحركة الوطنية ونشاط الصحافة والحركات الاجتماعية والأدبية، فكنت أتبع تلك الحركات باهتمام وأتعرّف تفاصيلها ورجالها، ومع ذلك لم أتصل مباشرة بأي حركة منها.. فلم أبدأ اتصالاتي المباشرة بالصحف والجمعيات إلا بعد دراستي سنة 1928 ومن يومئذ انغمست بالعمل في الجمعية الخيرية وقدماء الصادقية ولجان الحفلات بالمرسى والمنظمات والنوادي التي أنشأتها أنا وثلة من إخواني الطلبة".<sup>3</sup>

وبالفعل فقد ألقى الشيخ محمدا لفاضل أولى محاضراته على منبر الجمعية الخلدونية وجمعية قدماء تلامذة الصادقية وجمعية الشبان المسلمين والقسم العربي بإذاعة تونس منذ تأسيسها عام 1938 كسلسلة تتالت حلقاتها دون انقطاع على مدى سنين وكان بمحة المحافل الفكرية والاجتماعية والسياسية.<sup>4</sup>

كما نشر الشيخ محمد الفاضل مقالات على صحف ومجلات عديدة مثل "المجلة الزيتونية" منذ صدورها عام 1936 و"الثريا" عام 1943 و"المباحث" عام 1944، وبلغ الحماس بالشيخ محمد الفاضل في أعقاب حوادث أبريل 1938 وما تلاها من قمع استعماري حادا جعله ينظم الأناشيد الوطنية سنة 1939<sup>5</sup>

لقد برز الاتجاه العروبي في تونس في شكله السياسي التحرري، بعد إعادة احتلال تونس من قبل فرنسا في ماي 1943، ومثل هذا الاتجاه المدرسون والطلبة الزيتونيون، وتزعم هذا الاتجاه محمد الفاضل بن عاشور الذي يتصوّر تحرير تونس في إطار يضمن اندماج البلاد في العالم الإسلامي موجهها أنظاره نحو المشرق العربي خلافا لقيادة الدستور الجديد المقبلة وجهها نحو الغرب،<sup>6</sup> حيث يقول محمد الفاضل بن عاشور عن مؤتمر الاستقلال أو "ليلة القدر" الملتئم يوم 23 أوت 1946 "من يومئذ انطبعت الروح الشعبية في تونس بطابع مصوغ من مادة الروح الثقافية للجامعة الزيتونية فهي مادة الرابطة القومية الواسعة، والحرص على الالتئام مع الأمم الإسلامية الشرقية وخاصة الأمة العربية فأصبح الاتجاهان

<sup>1</sup>- أعمار العوي: الإصلاح الاجتماعي والسياسي عند الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، جريدة الصباح، 19/05/1992، تونس، ص8.

<sup>2</sup>- فتد الشيخ فيه قيمة الطرق الصوفية واستقامتها، ونشرته المطبعة التونسية.

<sup>3</sup>- أعمار العوي، المرجع السابق، ص8.

<sup>4</sup>- علي الزيدي، الشيخ محمد الفاضل، المرجع السابق، ج1.

<sup>5</sup>- أعمار المختار بن أحمد: الشيخ محمد الفاضل بن عاشور حياته وأثره الفكري، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص50.

<sup>6</sup>- محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص25.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

السياسي والثقافي يسيران على خطى واحدة وهي خطة طلب الذاتية القومية التونسية ومقوماتها في الاندماج في العالم العربي وأصبحت الجامعة العربية باعتبار ناحيتها الثقافية والسياسة الغاية التي يتجه كل عمل فكري واجتماعي في تونس إلى تحقيقها".<sup>1</sup>

ظلّ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور دائما متميزا بتنوع نشاطاته الفكرية والاجتماعية والسياسية وتوجهاته العربية الإسلامية ونزعتة للاستقلال والمبادرة الحرة، فقد اتخذت الجمعية الخلدونية وجهة جديدة عندما تولى الشيخ رئاستها في 9 ماي 1945 وصيّرَها مركزا مهما للأنشطة الثقافية والسياسية وإحياء المناسبات الوطنية والدينية.<sup>2</sup> وكان نجمه لامعا في جميع الأوساط الشعبية حتى أنه شغل منصب رئيس شرفي لجمعية النادي الإفريقي الرياضية، فتصرف كزعيم وألقى الشيخ محمد الفاضل بقاعة الفتح في باب سويقة في غرة مارس 1946 بمناسبة يوم العلم محاضرة حضرها نحو 500 شخصا داخل القاعة و3000 خارجها انتهت برفع شعارات وطنية وترديد نشيد "حملة الحمى" ومن الغد أعيدت التظاهرة في نفس المكان وخرجت مسيرة وطنية نودي فيها باستقلال البلاد وفي 2 ماي 1946 قاد الشيخ وفدا إلى الباي محمد الأمين بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف احتج لديه على مشاركة الفرنسيين بتونس في الانتخابات التشريعية الفرنسية وفي يوم الجمعة 04 جوان 1946 خطب الشيخ في اجتماع تلامذة المدرسة الصادقية بقاعة أفرح معهد كارنو مؤكدا على عروبة البلاد التونسية وإسلامها، وفي 7 جويلية عقد الشيخ اجتماعا مع صالح فرحات وأحمد بن ميلاد من اللجنة التنفيذية والمنجي سليم وصالح بن يوسف من الديوان السياسي انتهت بالدعوة إلى ضرورة التمسك بالسيادة والاستقلال لأجل تحقيقهما خلال أسابيع لا خلال أشهر.<sup>3</sup>

لقد كان هذا إنجازا مختصرا للفكر الثوري التحرري لدى الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الذي كان يقوم ببثه من خلال عمل شمولي مكثف في جميع الجهات وعلى كل الأصعدة لحث الطبقة السياسية الوطنية التونسية على تبني هذا النهج والعمل في إطار جهوي موحد ومنظم يصعب على الاستعمار اختراقه أو تفريقه، ويكون الطرف الممثل للشعب التونسي في التفاوض مع المستعمر، ولكن كما رأينا تم التحالف من قبل عدة قوى وطنية على هذه الشخصية الفذة فآثر مصلحة الوطن دون الدخول في صراعات بلا جدوى.

### المطلب الثالث: تبلور الفكر الثوري التحرري عند لجنة صوت الطالب الزيتوني

تعتبر تجربة لجنة صوت الطالب الزيتوني التي تأسست يوم 19 فيفري 1950 تجربة قصيرة فهي لم تدم سوى سنوات محدودة حتى أنه بالإمكان تقدير عمرها الحقيقي في حدود خمس أو ستة سنوات، فقد تركزت حركتها حول مسائل الإصلاح التعليمي بالجامع الأعظم وفروعه، ولكن اللجنة خاضت تجربة سياسية ضاهت تجارب بعض الأحزاب السياسية، فقد اهتمت لجنة صوت الطالب بالقضية الوطنية وعلى تلك الأرضية تحددت مواقف اللجنة من الاستعمار

<sup>1</sup> - حفيظ الطباي، البناء الوطني، المرجع السابق، ص 81.

<sup>2</sup> - علي الزيدي، الشيخ محمد الفاضل، المرجع السابق، ج 2.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ج 2.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

الذي يعتبره أحد أبرز رموز اللجنة وهو محمد البدوي العدو المشترك قائلا "إن الأعداء قد سيّروا دواليبنا برسالة تمدنية وما هي إلا نوع من أنواع الشعوذة الأوروبية المخدّرة وعذر من الأعداء التي يتخذونها ذريعة لاستعباد بني البشر.."<sup>1</sup> كما اعتبرت لجنة صوت الطالب أن مطالبها تمثل "الناحية الثقافية في القضية الوطنية الكبرى"<sup>2</sup> وأن "الاستعمار لم يجد منذ انتصابه من يُعرقله لبلوغ مراميه إلا الجامعة الزيتونية باعتبارها تمثل العقليّة الشرقية الإسلامية التي وقفت أمام العقليّة الفرنسيّة متمثلة في نظام الحماية". حتى أن التحركات الاحتجاجية للطلبة الزيتونيين كانت حسب لجنة صوت الطالب الزيتوني رد فعل تجاه "انتصار الاستعمار لثقافته وتعزيز جانبها وشد أزرها" وهي "الثقافة المستوردة من الخارج" و"الأجنبية البحتة في توجيهها وأساليب تفكيرها. ويُقصد بها فيما يُقصد مسخ عقولنا واستعمار أفكارنا".<sup>3</sup> حيث اعتبروا أن المس بالغة العربية مس في الآن نفسه بالدين الإسلامي وأن "القرآن" لا يمكن أن يُقرأ إلا بالغة العربية"<sup>4</sup>.

لقد كان الطلبة الزيتونيون يدركون أن الإستراتيجية الاستعمارية في الهيمنة تقوم على السيطرة الاقتصادية والعسكرية وأيضا ما يمكن تسميته التسرب الثقافي الذي يعتمد مبدأ تغيير الهوية بخلق ازدواجية تبدأ لغة وتنتهي ثقافة ومعتقدا. فقد جاء في الصحافة الطلابية السرية قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية: "أيها الشعب.. إن فرنسا التي جوعتكم وفقرتكم واضطهدتكم وقاومت دينك وتمجمت على لغتك تريد الآن أن تقطع أواصر القرى التي تربطك بالمشرق العربي وتحاول أن تقيم لنا الدليل على أن نقط الاستقطاب ليست مكة المكرمة بل باريس، أيها الشعب إن تونس العربية تدخل مرحلة الكفاح من أجل انتصار العروبة والإسلام".<sup>5</sup>

إذا فلم يكن الموقف من الاستعمار مجرد صراع حول مطالب مادية لتحسين ظروف معينة وإنما هو تمايز في الرؤى والثقافات واحدة شرقية عربية إسلامية وأخرى غربية بمضامينها المسيحية، كما انبثقت عن الممارسة الاستعمارية في لحظات تاريخية فارقة مثل أحداث التجنيس والمؤتمر الأفخارستي، وتجد لجنة صوت الطالب الحل في الحد من الهيمنة الاستعمارية، وفي الالتزام بما تسميه الثقافة الإسلامية الحق".<sup>6</sup>

إن الخلفية الإسلامية لهوية الخطاب الطلابي الزيتوني أمر منبثق من طبيعة المؤسسة التي ينتمي إليها الطلبة الزيتونيون وهو الأمر الذي ينسب على الخلفية العروبية، ذلك أن التكوين الأساسي في التعليم الزيتوني يتضمن مثل تلك المرجعيات في الانتماء فهو تعليم يعطي قدسية كبيرة للإسلام كدين والعربية كلغة وكل العلوم الأخرى مثل التاريخ والحضارة وحتى الجغرافيا، لا بد أن تكون امتدادا وشرحا للمقومين الرئيسيين المذكورين، بل إن التطورات السياسية وما ينجم عنها من مواقف وارتباطات وتحالفات يجب أن تتحدد وفق تلك المعايير لذلك كانت المواقف من الأجنبي المتمثل في الإدارة الاستعمارية جذرية وراдикаلية.

<sup>1</sup>- سالم لبيض: الحركة الطلابية التونسية، النشأة والتأسيس وقضايا الهوية الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت، لبنان، 2014، ص5.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص5.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص5.

<sup>4</sup>- العياشي مختار، البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص163-164.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص186.

<sup>6</sup>- سالم لبيض، الحركة الطلابية، المرجع السابق، ص6.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

جاء في صحافة لجنة صوت الطالب الزيتوني: "إن الحقيقة الصارخة التي كشفتها واقعة 15 مارس 1954 بكل وضوح وجلاء هي أنها ما دام الأجنبي يحتل البلاد فإن سلطته وسيطرته هي التي تسودها وحدها وأما كلمات الاستقلال الداخلي والسيادة الداخلية والحكومة الوطنية والبرلمان التونسي فما هي إلا كلمات جوفاء وخداع أطفال ولا يعترتها إلا البله السذج والخبثاء الماكرون الذي يطمعون في التقاط فئات موائد السلطة الاستعمارية الحاكمة لأنفسهم على حساب الشعب الذي حسبوه غافلا مخدوعاً".<sup>1</sup>

إن تلك الرؤية لاتعكس موقفا من الاحتلال وكيفية مقاومته باعتباره الآخر المختلف والعدو الغادر فحسب، وإنما تحدد رؤية مخالفة لأبرز قوة سياسية في البلاد في كيفية التعامل مع الأجنبي المحتل والمتمثلة في الحزب الدستوري الجديد الذي كان يقوده آنذاك من لا يُخفون تأثرهم بالنموذج الحدائني الغربي الذي هو جالب لاستعمار الشعوب بحسب الرؤية الزيتونية، وضمن هذا الإطار يمكن أن نفهم العلاقة المتوترة بين ذلك الحزب والمنظمة الطلابية الزيتونية، إن موقف هذه المنظمة لا يمكن أن يقبل مشاركة طرف وطني في حكومة تعمل تحت الاحتلال وفي المقابل كان الحزب المذكور يرى في تحركات لجنة صوت الطالب الزيتوني في كثير من الأحيان إجهاض لإستراتيجيته السياسية وما تقتضيه من مرونة وقبول للخيارات الاستعمارية وكثيرا ما أدى ذلك التناقض إلى العنف بين الطرفين.<sup>2</sup> وفي المقابل فإن لجنة صوت الطالب الزيتوني بمثابة المنبث الذي تجري فيه أولى الاختبارات السياسية والدروس الضرورية للالتحاق بالحزب الدستوري القلم ولم يكن التقارب بين الفصيلين سياسيا فقط بل إنه التقاء حول اختيار ثقافي وحضاري إذ أن كليهما له اتجاه عروبي إسلامي ساهمت الزيتونة في نحتها بما "تشعه من نور المعرفة المستقاة من العقلية الإسلامية الصرفة التي وحدها استطاعت المحافظة على مقومات الأمة التونسية من دين ولغة عادات" حسب وصف الصحافة الطلابية الزيتونية.<sup>3</sup>

لقد تحول الصراع الثقافي الإصلاحية الذي خاضته لجنة صوت الطالب الزيتوني إلى قضية وطنية مصيرية من خلال دخولها في المعتزك السياسي وتبني العمل الوطني، مما جعل مواقفها أكثر الراديكالية وهذا تماشيا مع الخط الذي قلنا عنه أنه سطره منذ البداية الشيخ عبد العزيز الثعالبي وسار عليه نخبة الزيتونة -طلبة وعلماء- الذين تبنا هذا النهج والذي استمر حتى نهاية لجنة صوت الطالب الزيتوني في تبلور الفكر الإصلاحية إلى فكر ثوري تحرري يطالب بالاستقلال التام والشامل دون شروط وهذا ما سنبينه في المرحلة الأخيرة من هذا البحث وهي المرحلة التفاوضية الأخيرة من أواخر 1954 إلى غاية الاستقلال 1956 ودخول اللجنة الطلابية الزيتونية في صراع مجدد ومرير مع السلطة الاستعمارية وأيضا الحزب الدستوري الجديد.

### المبحث الرابع: مرحلة المفاوضات الأخيرة والصراع الزيتوني الدستوري 1954-1956

تبدو هذه آخر مرحلة من مراحل النضال الوطني التونسي ضد الاستعمار الفرنسي وفي نفس الوقت آخر مرحلة من مراحل الصراع الزيتوني الدستوري حول قضايا وطنية مصيرية، أفضت في النهاية إلى استقلال تونس سنة 1956 وفرض شروط المنتصر.

<sup>1</sup>- سالم لبيض، الهوية الإسلام، المرجع السابق، ص182.

<sup>2</sup>- محمد ضيف الله، المدرج الكرسي، المرجع السابق، صص31-35.

<sup>3</sup>- سالم لبيض، الهوية الإسلام، المرجع السابق، ص183.



### المطلب الأول: المفاوضات من 1954-1955 ومعارضة اتفاقية الاستقلال الداخلي

عندما أعلن منداس فرانس في 31 جويلية 1954 بقرطاج عن الاستقلال الداخلي، سرعان ما تشكلت وزارة المفاوضات، فكانت تضم ثلاثة أعضاء من الحزب الدستوري الجديد (خاصة المنجي سليم) ومن شخصيات مستقلة مختلفة وكان بورقيبة يحتل الخلفية وغالبا ما كانت تدخلاته حاسمة. وبدأت المفاوضات عسيرة، وزاد في تعقيدها اندلاع الثورة الجزائرية يوم 1 نوفمبر 1954 وتدهور الحالة بالمغرب الأقصى، فظهرت حكومة منداس فرانس -وقد زاد التهجم عليها - بمظهر المفاوضات المتصلب حول عديد من النقاط خاصة حقوق الفرنسيين المقيمين بتونس ومشكلة الأمن، فتولى إدغار فور Edgar Foure الذي خلفه في منصبه في شهر فيفري 1955 إنهاء المرحلة الأولى من المفاوضات والتوقيع على المعاهدة التونسية الفرنسية في 3 جوان 1955، وكانت تنص على نقل أهم السلطات إلى التونسيين باستثناء الأمن الخارجي والتمثيل الدبلوماسي. فقد كانت إذن تكرس الاستقلال الداخلي.<sup>1</sup>

وفي غرة جوان 1955 وقع استقبال الحبيب بورقيبة في ميناء حلق الواد من قبل أنصاره من الدستور الجديد عائدا من باريس وقد كان بورقيبة حريصا على الرجوع إلى تونس لتجسيم تطبيق اتفاقية الاستقلال الداخلي وتحويل السلطة من الفرنسيين إلى التونسيين، وكان الوفد التفاوضي قد عاد قبله إلى تونس في شهر أفريل 1955، وفي ميناء حلق الوادي صرح بورقيبة "بأن اتفاقيات الاستقلال الداخلي هي الموصلة على الاستقلال التام الذي يبقى المطلب الأساسي للشعب التونسي" فالاتفاقية الجديدة وضعت حدا للسياسة المزدوجة ومنعت حق تمثيل الفرنسيين في تونس في السلطة التنفيذية والتشريعية والمجالس البلدية، وتكون ديوان سياسي جديد للحزب حل محل الديوان السياسي السري، وذلك يوم 8 أوت 1955، تولى رئاسته بورقيبة وأعضاءه الطيب المهيري، والمنجي سليم، والصادق المقدم وأحمد التليلي.<sup>2</sup>

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه المفاوضات ظهر داخل الحركة الوطنية اتجاه مناقض لها يدعو إلى مواصلة الكفاح المسلح تمثل في الحزب الدستوري القديم ومنظمة صوت الطالب الزيتوني، مما أدى على حدوث اشتباكات دامية بين جناحي الحزب الدستوري واستعمل الحزب الدستوري الجديد كل أساليب الإرهاب والقتل ضد أعضاء الحزب الدستوري القديم ولجنة صوت الطالب الزيتوني.<sup>3</sup>

وبعودة بورقيبة لتونس في جوان 1955 أعلن صالح بن يوسف الأمين العام للحزب من باندونغ معارضة الاتفاقيات وعاشت تونس فترة انقسام خطيرة تهدد الوحدة الوطنية، وتدعم الاتجاه البورقيبي بتأييد الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد العام للصناعة والتجارة والاتحاد العام لطلبة تونس ودعمه علي البهلوان، الباهي الادغم، الرشيد إدريس والطيب سليم عند رجوعهم لتونس. أما الاتجاه اليوسفي سانده الاتحاد العام للفلاحة، يوسف الرويسي وحسين التريكي<sup>4</sup> أما لجنة صوت الطالب الزيتوني فقد أعلنت سنة 1955 مساندتها لموقف صالح بن يوسف التي كانت عدوة له سابقا.<sup>5</sup>

<sup>1</sup>- محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 137.

<sup>2</sup>- عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، صص 546-547.

<sup>3</sup>- محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 137.

<sup>4</sup>- خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، صص 172-173.

<sup>5</sup>- محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 147.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وقد صرح صالح بن يوسف من باندونغ قائلاً "أن الشعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقعتها تونس مع فرنسا" وقال "إن الحزب باسم شعب تونس العربي قبل الحكم الذاتي كخطوة نحو الاستقلال التام ولذلك فهو يرفض أي اتفاق يقر الوضع.. وأن الاتفاقية تنص على أن فرنسا لها الحق وحدها في التصرف في مصيرنا الخارجي والدفاعي وأن الدولة التونسية تلتزم بأن تسخر لفرنسا البلاد وأهلها وثروتها إذا ما احتاجت فرنسا إلى ذلك بموجب اتفاقاته الدولية كالدخول في حرب طاحنة لا ناقة لها فيها ولا جمل، وهكذا أصبحت البلاد في الوحدة مع فرنسا التي طالما قاومها الشعب التونسي".<sup>1</sup>

وقد عارض هاته الاتفاقية أيضا علال الفاسي<sup>2</sup> رئيس حزب الاستقلال المغربي الذي صرح قائلاً بأن: "الاتفاقية أعظم خيانة وقعت في شمال إفريقيا منذ 250 سنة"<sup>3</sup>.

كما عارضها عبد الكريم الخطابي في تصريحاته وكان في سنة 1949 على خلاف مع الحبيب بورقيبة، عندما كان معه في مكتب المغرب العربي بالقاهرة لأن بورقيبة بدأ باتصالات سرية مع السفارة الفرنسية بالقاهرة وعاد إلى تونس في نفس السنة.<sup>4</sup>

وبعد تجريد بن يوسف من مهامه الحزبية كوّن تنظيمه الجديد "الأمانة العامة للحزب الحر الدستوري التونسي" وأعلنت "لجنة تحرير شمال إفريقيا في القاهرة" برئاسة علال الفاسي الزعيم المغربي، طرد بورقيبة من اللجنة.<sup>5</sup>

وقد نشر الطاهر الأسود قائد جيش التحرير التونسي بيانا في جريدة الصباح موقعا باسمه وباعتباره "قائد المجاهدين في تونس" وعنوانه "فليس مع المتخاذلون" وجاء فيه "إنني لا أقبل الاتفاقيات التي عقدت مع فرنسا لأننا دفعنا مهر الحرية دما عزيزا علينا، دفعنا دم زعمائنا حشاد وشاكر والأخوين حفوز ودم أبطال الكفاح والنضال.. فكيف يمكن أن ننسى أرواحهم الزكية ودمائهم الطاهرة ونقبل مقابلهم هذه الاتفاقية المزيفة، وإني أعلن تأييدي للزعيم للأستاذ صالح بن يوسف لأنه محافظ على أمانة الشعب ورسالته الخالدة وأحذر كل إنسان يريد التعرض لصالح بن يوسف الأمين العام للحزب الحزب الدستوري التونسي".<sup>6</sup>

وبدأت مرحلة خطيرة من التصفيات والدمار والخطف وابتغتيال علي بن إسماعيل سائق سيارة صالح بن يوسف، الذي طلب إليه أن يأتي بصالح بن يوسف وعلي الزليطني لاغتياهما وعندما رفض ذلك أُغتيل.<sup>7</sup>

<sup>1</sup>- الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 114.

<sup>2</sup>- علال الفاسي: علال بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري، 1910-1974م، سياسي وأديب مغربي مؤسس حزب الاستقلال وزعيم الحركة الوطنية المغربية، وأحد أعلام الحركة الإسلامية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين التي دعت إلى نوع من السلفية التجديدية رفقة محمد عبده ورشيد رضا ومحمد الطاهر بن عاشور وغيرهم. أنظر: اسيم القرقرى: علال الفاسي إستراتيجية مقاومة الاستعمار، دار إفريقيا العربية، الدار البيضاء، المغرب، 2010.

<sup>3</sup>- عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 547.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، ص 547.

<sup>5</sup>- الحبيب نويرة، المصدر السابق، ص 122.

<sup>6</sup>- عروسية التركي، المرجع السابق، ص 314.

<sup>7</sup>- الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص 114.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

لقد شكل الصراع البورقيبي واليوسفي صراعا داميا واتخذ طابعا دينيا وثقافيا وحضاريا وهي إفراز لخلاف فكري وطرح سياسي.<sup>1</sup>

إذ لم يكن مجرد صراع سياسي فقط، خصوصا أن صالح بن يوسف كان يدافع عن الهوية العربية المرتبطة بالحركة القومية العربية والمد التحرري العالمي، بالإضافة إلى ذلك تحالفه مع الزيتونيين حيث جعل من جامع الزيتونة مقرا لتنظيم أول لقاء جماهيري ضد بورقيبة، وأعطوا لمعارضتهم طابعا دينيا مستغلين القيمة التراثية للجامع حيث ألقى منه خطابا بيّن فيه أن الاستقلال الذي يضع أمن البلاد وقضائها في أيدي أجنبية ان هو إلا استقلال زائف وخدعة استعمارية.<sup>2</sup>

### المطلب الثاني: الصراع الزيتوني الدستوري 1955-1956

ظهر الاختلاف في وجهات النظر بين بورقيبة الذي يؤمن بسياسة المراحل وبالواقعية وبين نظرة صالح بن يوسف التي تدعو إلى الكل أو اللاشيء، وهذا هو نفس الرأي الذي اعتمده الحزب الدستوري القديم وعارض التفاوض مع فرنسا حول الاستقلال الداخلي، وكذلك عناصر صوت الطالب الزيتوني محمد البدوي وعبد الكريم قمحة لأن ميولهم مع جماعة الحزب الدستوري القديم. وبدأت بوادر الخلاف والانشقاق الذي تحوّل إلى فتنة داخلية ومن حسن حظ تونس أنها كانت لمدة قصيرة ما بين 3 جوان 1955 يوم الإعلان عن الاستقلال الداخلي و20 مارس 1956 يوم الإعلان عن الاستقلال التام.<sup>3</sup>

وفي 13 سبتمبر 1955 عاد الزعيم صالح بن يوسف إلى تونس فاستقبله الحبيب بورقيبة بالمطار وحضرا معا اجتماعا عاما فكان موقف بن يوسف وتصرفاته تنم على أنه لا يزال على رأيه في معارضة الاستقلال الداخلي وما صحبه من شروط، مما كان يُنبئ بقرب حصول أزمة بني الرجلين. وفي 7 سبتمبر 1955 خطب صالح بن يوسف في جامع الزيتونة فهاجم اتفاقيات الاستقلال الداخلي ودعا للعودة إلى الكفاح لتحرير المغرب العربي، وفي يوم 8 أكتوبر 1955 جمع بورقيبة اللجنة الإدارية للحزب الديوان السياسي في غياب صالح بن يوسف وأصرّ على أن يتخذ قرارا في شأن هذا الأخير، فلم يجد الحضور ملجأ من إدانته وجرّده من صفته ككاتب عام للحزب واتفقوا على الدعوة لعقد مؤتمر عام للحزب في 15 نوفمبر 1955 بمدينة صفاقس للنظر في الخلاف والبت فيه.

لقد كان هذا الخطاب بمثابة الشرارة التي ألهبت نيران الخلاف وحوّلتها من مجرد اختلاف في الرأي حول مسألة مصيرية من قضايا الأمة ألا وهي استقلال الوطن وتخليصه من الاستعمار إلى مواجهة حقيقية بين قطبين متضادين من أقطاب الحركة الوطنية التونسية. وفي أيام 13/12/11 نوفمبر 1955 عقد طلبة الزيتونيين مؤتمرا لهم ببنية الحي الزيتوني دعوا لحضوره الزعيم صالح بن يوسف وبعض الشخصيات الوطنية في مقدمتها أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل.. وكان من جملة قرارات هذا المؤتمر تغيير اسم "لجنة صوت الطالب الزيتوني" إلى اسم "صوت الطالب

<sup>1</sup>-عمار السوفي: بني خداش وجيراخما عبر الحركة النضالية من الحركة التمردية إلى الحركة اليوسفية، دن، تونس، 2001، ط1، ص149.

<sup>2</sup>-الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص137.

<sup>3</sup>-عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص548.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

التونسي المسلم" سعيًا منهم في تكوين تجمع لجميع الطلبة التونسيين بعد أن لاحظوا مدى المخافة التي قاسوها من معاداة الحزب لهم والذي أثار عليهم الرأي العام كله.<sup>1</sup>

وكانت لجنة صوت الطالب الزيتوني قد اتخذت موقفا معارضا للمفاوضات وللحبيب بورقيبة ووقفت إلى جانب صالح بن يوسف وكان الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رئيس الجامع يحضر إلى التجمعات التي ينشطها لمواجهة فكرة الاستقلال الداخلي بل إن كثيرا من طلبة جامع الزيتونة انخرطوا في الثورة الثانية وأخذوا ينسّقون العمل مع الحزب الدستوري القديم.<sup>2</sup>

وقد أصدر الطلبة الزيتونيون في مؤتمهم لائحة سياسية تعارض فيها بشدة تجنيد التونسيين لمقاتلة إخوانهم الجزائريين كما أعلنت لجنة صوت الطالب الزيتوني تأييدها لكفاح الطلبة الجزائريين ونضالهم وأصدرت هيئة التدريس بجامع الزيتونة بيانا في 29 مارس 1955 يدعو إلى توقيف العماليات القتالية والإعلان عن حق الجزائر في إقامة دولة جزائرية وهو حق اغتصب من الجزائر.<sup>3</sup>

ولكن يبدو أن الأمور لم تكن في صالح أنصار صالح بن يوسف ولا الزيتونيين، حيث تم إصدار بلاغا من الديوان السياسي بعد مؤتمر صفاقس المنعقد في 15 أكتوبر 1955 بحل الأمانة العامة وبعث لجان رعاية لملاحقة أنصار صالح بن يوسف، فسقطت ضحايا أبرياء من الجانبين نذكر منهم على سبيل المثال حسين بوزيان اغتاله أحد اليوسفيين والكيلاني المطوي من أنصار بورقيبة أيضا قتل في جبل سيدي يعيش بقفصة، وقتل محمد فيلة ومحمد الجلاصي من الأمانة العامة في السوق الأسبوعية بجمال، وكان قد أُطلق النار على الهادي بن عبد السلام فقتل، إثر ذلك فرّ صالح بن يوسف إلى مصر التي استقر فيها<sup>4</sup>، وكانت أهم توصيات المؤتمر إجراء انتخابات عامة لمجلس تأسيسي يضع دستورا للبلاد فصدر بذلك أمر ملكي في 29 ديسمبر 1955 ينص على دعوة الشعب لانتخاب نوابه لـ "مجلس تأسيسي" في 1956/03/25 على أن يجتمع المجلس في 08 أبريل 1956 وفي 1956/01/27 هرب صالح بن يوسف إلى طرابلس وبعدها إلى مصر وحوكم غيايبا بالموت في 1957/01/24 ثم أُغتيل في فرانكفورت بألمانيا في 1961/08/12.<sup>5</sup>

وقد صرّح بورقيبة عند حلوله بباريس يوم 2 فيفري 1956 "لقد واجهنا عند الاستقلال الداخلي أوضاعا مضطربة للغاية كنا في حالة حرب أهلية تمكنا من السيطرة عليها وتمكنا من إقناع الشعب التونسي بعدم الاستماع إلى المهرجين الغوغائيين الذين يؤدون الفتنة ونشر الرعب واللاأمن، ولكن تونس الحديثة العهد بالاستقلال في حاجة متأكدة إلى مساعدة فرنسا اقتصاديا وسياسيا ونفسانياا للتغلب نهائيا على الصعوبات القائمة".<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - الحبيب نويرة، المصدر السابق، ص 124.

<sup>2</sup> - سمير البكوش، المرجع السابق، ص 384.

<sup>3</sup> - حبيب حسن اللولب: التونسيون والثورة الجزائرية، ج 1، دار السبيل، 2009، ط 1، صص 129-131.

<sup>4</sup> - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 552.

<sup>5</sup> - الحبيب نويرة، المصدر السابق، صص 125-126.

<sup>6</sup> - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 553.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وقد اجتمع بورقيبة يومي 4 و6 فيفري 1956 برئيس الحكومة الفرنسية غي مولي وطلب منهم تحديد موعد لإمضاء اتفاقيات الاستقلال التام في مدة قصيرة وتحصل بورقيبة على موافقة مبدئية<sup>1</sup>. وما هذا الإسراع في المفاوضات الفرنسية التونسية وتساهل الطرف الفرنسي هذه المرة يرجع إلى ضغط المقاومة المسلحة التونسية وكذلك الثورة الجزائرية التي كانت على أشدها في ذلك الوقت، حيث باشر جيش الطاهر الأسود عملياته القتالية في جانفي 1956 وهذا بالاصطدام مع القوات الفرنسية بمناطق الجنوب وعلى الحدود التونسية الجزائرية، وبذلك تم التلاحم والتعاون بين المقاومين بل قاد إلى تكوين جيش التحرير الموحد، حيث أعلن الطاهر الأسود من القاهرة في بيان له في فيفري 1956 عن انضمام تونس إلى جيش تحرير المغرب العربي، وقد جاء في هذا البيان ما يلي "تعلم القيادة العامة للجيش الوطني التونسي أنها كوّنت على بركة الله جيش التحرير الوطني التونسي ومهمته تطهير البلاد من الاستعمار وأذنابه وتوحيد النضال مع جيش التحرير الجزائري والمراكشي، وتحث الشعب على القيام بواجبه.. وتندر من يتبع أولئك الذين تنكروا للمبادئ الوطنية والقيم الكفاحية"<sup>2</sup>.

وفي ربيع سنة 1956 أصبح الجنوب التونسي يعج بالأسلحة المتطورة والكومندوس بفعل الدعم العسكري للثورة المصرية<sup>3</sup>.

في هذه الأثناء أعلن كاتب الدولة للشؤون المغاربية الفرنسية ALAIN Savary موافقة الحكومة الفرنسية على التفاوض حول مقترحات بورقيبة رئيس الحزب الدستوري وفي تونس بعد محادثة بين الباي والطاهر بن عمار الوزير الأكبر و ROGER Seydoux صدر بلاغا جاء فيه "أن الباي كلف وزيره الأكبر لإجراء مباحثات في أقرب وقت مع فرنسا تؤدي بالبلاد التونسية إلى الاستقلال التام ولا ترتبط باتحاد فرنسي وتكون مبنية على الصداقة والتضامن بين الدولتين، وفي تلك المدة 15 فيفري 1956 كانت المفاوضات جارية من جهة أخرى بين الملك محمد الخامس<sup>4</sup> والحكومة الخامسة<sup>4</sup> والحكومة الفرنسية حول استقلال المغرب<sup>5</sup>، وقد أعلنت حكومة غي مولي عن استقلال تونس، جاء ذلك في معاهدة الاستقلال التي صدرت في 20 مارس 1956، وقد كان الاستقلال ضربة قوية لجيش تحرير المغرب العربي وهذا باستسلام الطاهر الأسود الذي أمر الثوار بتسليم أسلحتهم للجزائريين من جهة ولضغوط بورقيبة على قيادة الثورة الجزائرية بالكف عن دعم صالح بن يوسف من جهة أخرى<sup>6</sup>.

وكانت ضربة قاضية للجنة صوت الطالب الزيتوني بسبب مساندتها لصالح بن يوسف عدوها بالأمر وما ترتب عنه من نمو التحالف بين الحركة الطلابية الزيتونية والشق اليوسفي للحزب فلما انهزم صالح بن يوسف وأنصاره انهزمت

<sup>1</sup> - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 553.

<sup>2</sup> - الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 129.

<sup>3</sup> - عبد الله مقلاتي: العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة التحريرية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007، ص 124.

<sup>4</sup> - السلطان محمد الخامس: 1911-1961م هو محمد بن يوسف بن الحسن بن عبد الرحمن الحسيني العلوي ولد بفاس وتعلم بها، ثم بالرباط ببيع سنة 1927، في 20 أوت 1953 نفي إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى مدغشقر، عاد من منفاه سنة 1955. أنظر: اسعد الهاللي، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 269.

<sup>5</sup> - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 553-555.

<sup>6</sup> - عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية، المرجع السابق، ص 126.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

لجنة صوت الطالب الزيتوني معهم.<sup>1</sup> ومما لا يجوز نسيانه فإن الحركة الطلابية الزيتونية قدمت تضحيات شبابها الزيتوني من أجل إصلاح وتعصير تعليمهم العربي الإسلامي واستشهاد العديد منهم في الكفاح المسلح من أجل تحرير الوطن ومستقبل أفضل لأبناء تونس ناهيك عن شهداء 8 أبريل 1938 ومظاهرة 15 مارس 1954 التي مات أثناءها برصاص الاستعمار محمد الدهماني حمزة ومحمد بن بلقاسم المرزوقي وإبراهيم بن علي ومحمد المفتي وطالبان آخران.<sup>2</sup>

أيضا فالحركة الطلابية حافظت على حرية تفكيرها السياسي والثقافي وشجاعة قادتها في الدفاع عن مبادئهم ونخص بالذكر منهم محمد البدوي والمرحوم عبد العزيز العكرمي.<sup>3</sup>

### المبحث الخامس: دراسة مقارنة بين طلبة وعلماء الجزائر وطلبة وعلماء الزيتونة التونسيين من خلال التطور السياسي والتأثير الفكري التحرري من 1945-1956

من خلال دراستنا وتبعنا إلى كل مراحل التطور السياسي والتأثير الفكري التحرري منذ سنة 1945-1956 إلى كِلا التيارين الإصلاحيين في الجزائر وتونس حيث كانت هاته الفترة غنية بالأحداث والمواقف السياسية وأيضاً الثورة على الاستعمار في كلا البلدين إلى غاية الاستقلال في تونس 1956 والتحاق تيار الإصلاحيين ممثلاً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالثورة الجزائرية نعقد هاته المقارنة العلمية بين التيارين الإصلاحيين.

#### المطلب الأول: أوجه التشابه في التطور السياسي بين تيارَي الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح النشاط الإصلاحي في كلا البلدين يتجه نحو العمل السياسي كأولوية من الأولويات في عملهم الإصلاحي، هذا التطور السياسي فرضته عدة معطيات ومتغيرات سياسية خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إذ أصبح هذا النشاط السياسي بالنسبة للإصلاحيين في كلا البلدين الهدف الأساسي من ممارسته تحقيق الاستقلال التام والنهائي كغاية وهدف أخير رغم أن الإصلاحيين بقوا يمارسون نشاطهم الإصلاحي من دعوة دينية في المساجد وتعليم وتثقيف في المدارس الحرة والنوادي. إلا أننا في هاته الفترة آثرنا دراسة و التركيز على الجانب السياسي من نشاطاتهم بحكم الاعتبارات التي ذكرناها سابقاً.

#### 1- العمل على توحيد الأحزاب السياسية الوطنية

حيث نجد أن الإصلاحيين في الجزائر وتونس آمنوا بفكرة أصبحت بمرور الزمن وتطور الأحداث والوقائع قناعة سياسية آمنوا بها حيث اعتقدوا وآمنوا أن الوصول إلى الاستقلال والقيام بالثورة والتحرير لا يتم ولا يمر إلا عبر طريق الوحدة بين كافة القوى السياسية الوطنية وقد عملوا على هاته الناحية بكل جهد واستخدموا كل ما لديهم من إمكانيات وطاقات ووسائل مادية ومعنوية ففي الجزائر نجد أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مؤتمرها المنعقد في 21 جويلية 1946 أكدت على أنها لا تعترم القيام بعمل سياسي تقليدي.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 148.

<sup>2</sup> - أنظر الملحق رقم 33. (صور شهداء الطلبة الزيتونيين)

<sup>3</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 148.

<sup>4</sup> - علي كافي، المصدر السابق، ص 49.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

والمقصود هنا بعدم القيام بعمل سياسي تقليدي هو نبذها للتحزُّب التي لمست من خلالها الفرقة وعدم جمع كلمة الشعب الجزائري، ولذلك كانت جمعية العلماء حريصة كل الحرص على جمع ولم شمل كل الأحزاب الوطنية في تكتل أو جبهة وطنية موحدة.

ففي سنة 1947 توجه الشيخ العربي التبسي لمقابلة مصالي الحاج زعيم حزب الشعب الجزائري وقال له "أنه يود أن تتحد برامج الأحزاب السياسية في الانتخابات.. حتى لا تشتت الجهود ويفوز الخصوم". ولكن هاته الجهود التي قام به الشيخ العربي التبسي وجمعية العلماء لم تلق الاستجابة بالرغم من الوعد الذي قطعه مصالي الحاج علناً<sup>1</sup>.

وهذا ما جعل إبراهيمي يُقدِّم على إقناع فرحات عباس بسحب ترشُّحه حفاظاً على تماسك الجزائريين فسمع للإبراهيمي وانقاد إلى مشورته<sup>2</sup>.

وفي نهاية جويلية 1951 نشرت جريدة المنار بلاغا صادرا عن العلماء والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري والحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية مفاده أنّ التشكيلات المذكورة قد أنشأت لجنة تحضيرية لتكوين جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها ذلك بهدف الوصول إلى النتائج التالية<sup>3</sup>:

- إلغاء الانتخابات التشريعية التي جرت في 17 جوان 1951 والتي تولّت الإدارة الاستعمارية خلالها تعيين أشخاص لا يمثلون الشعب الجزائري.

- احترام حرية التصويت واحترام حرية الضمير والفكر وحرية الصحافة وحرية الاجتماع.

- إطلاق المعتقلين السياسيين وإنهاء تدخل الإدارة الفرنسية في شؤون الدين الإسلامي<sup>4</sup>.

لقد استوقف نشاط الجبهة المتبعين للساحة الوطنية في مطلع الخمسينات وتم رصد الجهود الكبيرة التي لعبتها جمعية العلماء في إطار الجبهة حيث لمت شمل اتجاهات متناقضة أحيانا وجمعتها حول برنامج محدد وهو يُشكّل نقطة تحوّل هامة<sup>5</sup>.

وفي سنة 1953 أيضا قام الشيخ العربي التبسي باعتباره الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد انتقال الإبراهيمي إلى القاهرة بمساعي حثيثة إلى اتحاد الجزائريين مبررا ذلك بقوله "إن الحالة بالجزائر لا تبرّر تعدد الأحزاب، فبقاء الأحزاب فيها إطالة لعمر الاستعمار والاتحاد الشعبي هو الذي يستطيع أن يغيّر حال البلاد..". وقد كان حدس العلماء الإصلاحيين في الجزائر في محله إذ أنه لن يتم إخراج المستعمر ولا محاربتة إلا في إطار جبهة موحدة وهو ما حصل بالفعل سنة 1954 في إطار جبهة التحرير الوطني التي وحدت الشعب الجزائري تحت رايته وخاضت حرب التحرير الوطني.

1 - NAROUN AMAR, Op.cit, P: 13-14.

2- محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص138.

3- عبد الغفور شريف، المرجع السابق، ص135.

4- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج2، ص403.

5- أسعد الهلالي، الشيخ محمد، المرجع السابق، ص139.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وعلى هذا المنوال سار الإصلاحيون السياسيون الزيتونيين ففي أكتوبر 1945 تشكلت لجنة مشتركة بين الدستور القديم والجديد ووقع خلاف حول مطالب التونسيين بين الاستقلال الداخلي الذي يؤيده الدستور الجديد ورفضه من قبل أعضاء الدستور القديم وتكررت اجتماعات هاته اللجنة عدة شهور.<sup>1</sup>

في غمرة هذا الخلاف قام الزيتونيين بقيادة الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي والمختار بن محمود بمبادرة وطنية تتمثل في تحرير عرائض تتضمن مطالبة الشعب التونسي بالاستقلال التام مما أثار على اللجنة المزدوجة وقررت عقد مؤتمر سري للمطالبة بالاستقلال التام.<sup>2</sup>

وعليه انعقد مؤتمر ليلة القدر 27 رمضان 1365هـ الموافق لـ 23 أوت 1946 بمشاركة الدستور القديم ممثلا في شخص صالح فرحات والاتحاد العام التونسي للشغل ومشائخ الزيتونة وهم محمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي الذين قاموا بعمل كبير لإعداد المؤتمر ويمثل هذا المؤتمر أهمية كبيرة في كونه لأول مرة تتكون جبهة وطنية.<sup>3</sup>

ووافق المؤتمر بالإجماع على ميثاق وطني أعلنوا فيه بطلان الحماية وطالبوا بالاستقلال التام والانضمام إلى جامعة الدول العربية، وقبل انتهاء المؤتمر اعتقلت القوات الفرنسية أغلب القادة الحاضرين ومن بينهم محمد الفاضل بن عاشور.<sup>4</sup>

وقد برز الشيخ محمد الفاضل بن عاشور بعد الإفراج عنه بشكل ملفت حيث قد تعاون في نشاطه السياسي مع الحزب الدستوري الجديد بما لم يفعله مع الحزب الدستوري القديم رغم أن المنطلقات الإيديولوجية العربية الإسلامية التي يستند إليها الشيخ في عمله السياسي تجعله أقرب لقادة اللجنة التنفيذية منه لقادة الديوان السياسي، فالشيخ محمد الفاضل بن عاشور لما دخل المعتزك السياسي كان زعيم الحركة الإسلامية الشيخ عبد العزيز الثعالبي، قد شاخ ثم ما لبث أن مرض وتوفي. وأن الحزب الدستوري القديم كان قد فقد جانبا مهما من جاذبيته كإطار سياسي للنضال الجماهيري.<sup>5</sup> بالإضافة إلى بروز شخصية الشاذلي بن القاضي في مؤتمر ليلة القدر ومؤسس المجلة الزيتونية سنة 1936.<sup>6</sup>

وكانت هاته التحركات الزيتونية قبل وأثناء مؤتمر ليلة القدر سنة 1946 قد زادت في أهمية التيار الزيتوني على الساحة الوطنية وكانت وراء إلحاق كل من محمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي بالديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد.<sup>7</sup>

وهذا دليل واضح على حب وسعي علماء الزيتونة الإصلاحيين للوحدة ولمّ شمل الأمة من أجل الهدف السامي حتى ولو اضطروهم ذلك إلى التحالف والانضمام إلى هيئات سياسية تختلف معهم إيديولوجيا.

أيضا سعي الزيتونيين بقيادة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور سنة 1946 في توحيد النقابات العمالية التونسية وفصلها عن نقابة الشغل التي لا تتبنى التوجه العربي الإسلامي الذي يمثل الهوية التونسية فقد لعب الزيتونيين عموما أدوارا

<sup>1</sup> - محمد السعيد عقيب، الحزب الدستوري، المرجع السابق، ص 265.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 265.

<sup>3</sup> - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 360.

<sup>4</sup> - الحبيب ثامر، المصدر السابق، صص 106-107.

<sup>5</sup> - علي الزيدي، الشيخ محمد الفاضل، المرجع السابق.

<sup>6</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 139.

<sup>7</sup> - الحبيب نورية، المصدر السابق، ص 105.



## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

متميزة في صلب هذه الحركة النقابية بمختلف جهات البلاد، لأن جميع معلّمي اللغة العربية في المدارس الحكومية والخاصة والأكثرية الغالبة من موظفي المحاكم الأهلية ونسبة معتبرة من موظفي المصالح الإدارية كانوا من زيتونيين، وقد شارك هؤلاء الزيتونيين بتأسيس نقاباتهم، فكانت قوام جامعة الموظفين التونسيين التي شكّلت مع النقابات للجنوب واتحاد النقابات المستقلة للشمال "الاتحاد العام للشغل عام 1946م<sup>1</sup>.

لقد كان لطلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين حضور قوي في أعمال المؤتمر التأسيسي لهذه المنظمة وتولى الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الرئاسة الشرفية وقام بدور مهم في مرحلة الدعاية النقابية وربط العنصر الشعبي ربطاً مُحكما بالتوجه الديني لسد الطريق أما الاشتراكيين والشيوعيين، وأقنع عدد كبير من العمال من خلال تجمعاته وخطبه بالانسحاب من الاتحاد النقابي لعملة القطر التونسي والانخراط في الاتحاد العام التونسي للشغل<sup>2</sup>. وأيضاً كان للخلدونية دور هام في انعقاد المؤتمر بما وذلك للنشاطات المكثفة التي كانت تقوم بها تحت قيادة محمد الفاضل بن عاشور<sup>3</sup>. وكان تواجد الزيتونيين معتبراً في قيادة الاتحاد أمثال محمد الصالح النيفر والتهامي عمار<sup>4</sup>.

وكان نشاط الشيخ الفاضل ضمن الاتحاد من 1946 إلى 1947 من أخصب سنوات التحرك السياسي والاجتماعي والثقافي في حياة الشيخ محمد الفاضل كممثل للمجموعة الزيتونية خاصة والمجتمع التونسي عامة، حيث شارك في الجامعة العامة للنقابات الفلاحية، وجمعية الدفاع عن طلبة شمال إفريقيا وأسس اتحاد الجمعيات الزيتونية<sup>5</sup>. حيث نظم العديد من التجمّعات والتنقلات الجهوية لبناء هياكل الاتحاد على مستوى القطر التونسي، وعليه فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وجدنا التيار الإصلاحي في الجزائر وتونس عمل على توحيد وتجميع القوى الوطنية في جبهة موحّدة، وذلك لمواجهة الاستعمار الفرنسي الذي كان يستعمل سياسة "فرق تسد" في إستراتيجيته الحربية ضد القوى الوطنية وقد تفضّل التيار الإصلاحي في البلدين لهاته الحيلة وعمل على دحضها.

### 2- تشابه النشاط السياسي في القضايا الوطنية والعربية

لقد كانت مواقف التيار الإصلاحي في الجزائر وتونس إزاء بعض القضايا والمسائل السياسية الوطنية وأيضاً العربية تكاد تتطابق بدرجة كبيرة وإن دل على شيء فهو يدل على الخلفية الإيديولوجية التي تنطلق من خلالها الحركة الإصلاحية في إبداء مواقفها ونشاطها السياسي حيث نجد في الجانب الداخلي للنشاطات السياسية للزيتونيين الإصلاحيين، حيث في 9 سبتمبر 1946 حضور تجمّع نسائي وخطب فيه محمد الفاضل بن عاشور مبرزاً دور التربية الجهادية في الإسلام، وزار عدة مدن منها الكاف وسوسة والمنستير والمكنين وألقى خطب وأقام اجتماعات في مساجدها سنة 1947م،

<sup>1</sup> - علي الزيدي، الزيتونة دورها، المرجع السابق، ص 148.

<sup>2</sup> - أروى النيفر، المرجع السابق، ص 45.

<sup>3</sup> - محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر، المرجع السابق، ص 245.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 245.

<sup>5</sup> - محمد الهيلة، المرجع السابق، ص 64-66.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وأيضاً قام بمعية الشيخ محمد الصالح النيفر والشاذلي بن القاضي بتجمّع زيتوني ضخم حول قضية الاستقلال الوطني في جويلية 1947م<sup>1</sup>.

أيضاً دورهم في القضية المنصفية حيث نظّم الزيتونيون الاحتجاجات وأرسلوا الاعتراضات واللوائح وأقاموا الإضرابات وذلك بالتنسيق مع الحزب الدستوري القديم والجديد إلى غاية 1947 للمطالبة برجوع المنصف باي إلى عرشه<sup>2</sup>.

أيضاً فالإصلاحيين في الجزائر بالنسبة للقضايا الوطنية فقد كانت لهم نفس المطالبة السياسية، فقد نقد الشيخ الإبراهيمي ومن خلاله جمعية العلماء دستور سنة 1947 الذي وضعته الحكومة الفرنسية للجزائر فهو دستور ناقص من جميع جهاته ولم يحقق رغبة واحدة من الرغائب الوطنية للجزائر، وأن البرلمان الذي صادق عليه هو مجلس ناقص أيضاً من جهات كثيرة<sup>3</sup>. وهذا النقد هو تطور الفكر السياسي لجمعية العلماء في إبداء رأيها وعدم قبولها بالوضع السياسي وأنّ دساتير فرنسا وإصلاحاتها لم تعد كافية ومقنعة للشعب الجزائري.

في هاته الفترة أيضاً سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفضل جهود رجالها وتكاتف الأمة معها إلى تأسيس معهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947، حيث تولى تسييره الشيخ العربي التبسي بطلب من الشيخ الإبراهيمي وكانت الشهادة المتحصل عليها تعادل "الشهادة الأهلية بتونس"<sup>4</sup>. وتم ربطه بجامع الزيتونة من أجل أن يواصل طلبة المعهد دروسهم بالجامع الأعظم وذلك بمكاتبة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المشرف العام على الزيتونة فوافق على الطلب وقبل بدخول طلبة معهد ابن باديس إلى جامع الزيتونة، وتم فتح دار للطلبة تابعة للمعهد بفضل جهود الشيخ الإبراهيمي تأوي القادمين من كل أنحاء القطر<sup>5</sup>.

ورغم أن هذا المعهد هو معهد تعليمي وتربوي إلا أنه سوف يلعب من خلال طلبته وعلمائه دوراً بارزاً في الثورة التحريرية الجزائرية.

أيضاً في تونس يقابله ترأس محمد الفاضل بن عاشور لمعهد الخلدونية سنة 1945 وإن كان هذان المعهدان ذا صبغة علمية وثقافية إلا أن علماء وطلبة الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس جعلوا منهما مراكزاً للتحركات السياسية والوطنية في إطار المعركة المصيرية بين أمة مغتصبة ومحتلة واستعمار استيطاني غاصب ومحتل.

أما بالنسبة للقضايا العربية والإسلامية فنجد نفس المواقف ونفس النشاط إزاء القضية الفلسطينية سنة 1948، حيث ساهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إنشاء الهيئة العليا لإعانة فلسطين وفي نفس الوقت دعوة الجزائريين للاتحاد ورصّ الصفوف، حيث اتخذ العلماء من قضية فلسطين وسيلة جديدة للاتحاد عسى أن يجتمع عليها ما تشتت من القلوب النافرة وكان للشيخ الطيب العقبي مساعي محمودة في هذا الاتجاه، ولكن رجال "حركة الانتصار للحريات

<sup>1</sup> - شلبي محمد الحبيب، المرجع السابق، صص 326-330.

<sup>2</sup> - عبد الكريم عزيز، المرجع السابق، ص 333.

<sup>3</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج 2، ص 190.

<sup>4</sup> - محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ج 1، ص 170.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 201.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

الديمقراطية"، لم يكونوا ديمقراطيين، فبعد أن قبلوا الدعوة وحضر ممثلهم لا يحمل قيذا ولا شرطا أفهمنا في اليوم الثاني باسم حزبهم أنهم لا يرضون إلا بأن يكون كل شيء تحت رئاستهم، وأنه إذا لم يكن ذلك فلا يكون شيء.<sup>1</sup>

ورغم ذلك تكوّنت الهيئة العليا لإعانة فلسطين، ومن بين أعضائها فرحات عباس وتحت رئاسة الشيخ الإبراهيمي والتف حولهم رجال العلم والثقافة ورجال الأعمال والاقتصاد وأرسلت الهيئة عدة رسائل استنكار واحتجاج للحكومات المسؤولة.<sup>2</sup>

وقامت بجمع الهبات والتبرعات المالية حيث جمعت 9 ملايين فرنك قديم وسلّمتها إلى الجامعة العربية لإعانة فلسطين وقامت بنشاط واسع لصالح القضية الفلسطينية وبعثت نحو 100 مجاهد ليشاركوا إخوانهم الفلسطينيين في الجهاد.<sup>3</sup> وكتب الإبراهيمي مقالات نارية رائعة في نصرة الفلسطينيين نشرها في جريدة البصائر سنة 1948.<sup>4</sup>

أيضا فالزيتونيين شكلوا هيئة مساندة ودعم سُمّيت "لجنة الدفاع عن فلسطين العربية" بعد صدور قرار التقسيم سنة 1947، أبدت حركية ممتازة حيث قام أعضاؤها بجولات داخل البلاد من أجل التحريض على مساندة القضية الفلسطينية بجمع التبرعات والتشجيع على اللحاق بجبهات القتال.<sup>5</sup> كما انخرط في هذه المساندة الطلبة الزيتونيين حيث تطوع العشرات من بينهم للذهاب إلى فلسطين.<sup>6</sup>

وقد برز في ذلك الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي المعروف بنزعتة العربية الإسلامية ومساندة القضية الفلسطينية بجمع التبرعات والمتطوعين لفلسطين.<sup>7</sup>

وقد خدم الشيخ محمد الفاضل القضية الفلسطينية وألقى عدة محاضرات للتعريف بهذه القضية داخل معهد البحوث الإسلامية التابع للجمعية الخلدونية وألقى خطب في المساجد ونشر المقالات الصحفية وجمع التبرعات وفتح مكاتب التسجيل للمتطوعين للقتال ضد الصهاينة في فلسطين عام 1948.<sup>8</sup>

### المطلب الثاني: أوجه التشابه في المساهمة في الثورة المسلحة والتأثير الفكري الثوري التحرري

لقد كانت المواقف السياسية والمساهمة في الثورة المسلحة سوى في الجزائر وتونس تكاد تكون متطابقة، ذلك أن الثورة ضد الاستعمار كانت بالنسبة للإصلاحيين الثوريين آخر مرحلة من مراحل النضال المتدرج وبالتالي ستكون مواقفهم ومساهماتهم تصب في هذا المنحى باعتباره هدفا رئيسا لهم، وقد مهدوا له الطريق من خلال كل أعمالهم التي قاموا بها منذ أن بدؤوا في النشاط الإصلاحي وكذلك تشابه وتتطابق تأثيرهم الإسلامي الفكري الثوري التحرري على الثورة المسلحة في الجزائر وتونس لأكثر دليل على تواجدهم الفعلي المادي والمعنوي في أتون معركة التحرير والمصير.

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج2، ص210.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص211.

<sup>3</sup> - نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي، المرجع السابق، ص129-130.

<sup>4</sup> - شهرة شغري، المرجع السابق، ص159.

<sup>5</sup> - محمد ضيف الله، بين التجاذب والتنافر. المرجع السابق، ص244.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص24.

<sup>7</sup> - محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص139.

<sup>8</sup> - الحبيب نورية، المصدر السابق، ص106-107.

## 1- موقف الإصلاحيين ومساهماتهم في الثورة المسلحة:

لقد انقسم موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بخصوص الثورة التحريرية الى موقفين داخلي وخارجي كلاهما مساند ومؤيد للثورة، حيث قُبل اندلاع الثورة التحريرية بقليل عُقد اجتماع للمجلس الإداري للجمعية، ويقول المدني أنه بعد نقاش طويل تم تأييد الثورة وضرورة الانضمام إليها بسرعة وأنه راسل الإبراهيمي في هذا الشأن والتزم الإبراهيمي بذلك وأصدر بيان يوم 2 نوفمبر 1954 يؤيد الثورة ويحثُّ على الانضمام إليها. وكان الموقف الداخلي حذرا نوعا ما لعدة اعتبارات منها المحافظة على مكتسبات الأمة الجزائرية التي هي المعهد والمدارس الابتدائية<sup>1</sup>.

أما الموقف الخارجي فقد كان واضحا وصريحا ومؤيدا للثورة من خلال عدة بيانات أصدرتها قيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في القاهرة ولا بُس في ذلك، لأن البيانات كانت موقّعة باسم جمعية العلماء وليس باسم الإمام الشخصي<sup>2</sup>.

أما المواقف بالنسبة للإصلاحيين التونسيين فكانت في هاته الفترة يمثلها الطلبة الزيتونيين، فرغم تطور التناقضات بين لجنة صوت الطالب الزيتوني والحزب الدستوري الجديد وتذبذبا تقلصت خلال الفترة من 1952 إلى 1954 وعند اندلاع المقاومة المسلحة في 18 جانفي 1952 فالساحة الزيتونية ساندت الحزب أثناء اعتقال قاداته والقيام بإضرابات مباشرة يوم 19 جانفي 1952 شمل الحاضرة وكل الفروع الزيتونية، وأرسلوا برقيات احتجاج إلى الباي والوزير الأكبر والأمين العام للأمم المتحدة. وفي 18 مارس 1952 اجتمع البرلمان الزيتوني ومثلي المنظمة الطلابية ودعوا السلطات لكفّ الاعتداءات<sup>3</sup>.

إن انصهار لجنة صوت الطالب الزيتوني في إطار النضال الوطني المسلّح وتسبيقه على النضال الثقافي لم يكن في رأينا نتاجا لظهور بوادر الإنهاك على اللجنة بل للنضج السياسي الذي بلغته وقدرتها على التأقلم بسرعة في مستوى الشعارات مع الظرفية السياسية المتحوّلة<sup>4</sup>.

أما جانب المساهمة والمشاركة في الثورة المسلحة فبالنسبة للجزائر فخارجيا تحرك الوفد الخارجي للجمعية بقوة وذلك من خلال لقاءه بالرؤساء والملوك وحشهم على الاعتراف بالثورة ودعمها ماديا ومعنويا وفتح الأبواب أمام أعضاء وفد جبهة التحرير الوطني للولوج إلى أغلب الدول العربية والإسلامية، وأيضا تشكيل "جبهة تحرير الجزائر" سنة 1955 وانضمام جميع الهيئات السياسية تحت لواء جبهة التحرير الوطني والعمل بكل الوسائل لتحقيق أهدافها<sup>5</sup>. وأيضا القيام بنشاط كبير في الجانب الإعلامي والتعبوي من خلال إلقاء كلمات في الإذاعات كإذاعة صوت العرب وإلقاء كلمة في

<sup>1</sup> - احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ج3، ص41.

<sup>2</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، ص22.

<sup>3</sup> - محمد ضيف الله، المدبج والكرسي، المرجع السابق، صص44-45.

<sup>4</sup> - سمير البكوش، النضال الزيتوني، المرجع السابق، ص373.

<sup>5</sup> - مقلاتي عبد الله، أكرم بوجعة، دور الشيخ، المرجع السابق، ص168.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

مؤتمر باندونغ لتحرير دول المغرب العربي<sup>1</sup>. ونشر الإبراهيمي مقالات في كُبريات المجلات الفكرية آنذاك كمجلة "الرسالة ومجلة "المسلمون"..<sup>2</sup>

أما المساهمة الداخلية لأعضاء جمعية العلماء في الثورة التحريرية المسلحة تُمثّل أيضا في بيانات بخصوص الثورة كبرقية الجمعية التي أرسلوها إلى مسؤولي فرنسا في أكتوبر 1955 تطالب بالتفاوض والمفاهمة مع ممثلي الشعب الحقيقيين ألا وهي جبهة التحرير الوطني<sup>3</sup>. وأيضا نفس الشيء في بيان جانفي 1955 وآخرها البيان الحاسم في جانفي 1956 الذي دعا إلى الانضمام للثورة وأن الممثل الحقيقي هم الذين أظهرهم الكفاح الجزائري<sup>4</sup>.

لقد أعطى انضمام جمعية العلماء للثورة دفع للقضية الجزائرية بالنظر إلى مكانتها الدينية في الأوساط الجزائرية وبالتالي قوّت نفوذ جبهة التحرير الوطني وأعطت ضربة قاضية إلى المفاوضات مع سوستيل<sup>5</sup>.

فقد كانت مساهمة طلبة وعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين متعددة الجوانب وبشكل فعّال لدرجة يصعب الإحاطة بجميع جوانبها واكتفينا بذكر أهم وأبرز المساهمات:

أ. ففي الجانب التعليمي التثقيفي أثناء الثورة، حيث ساهم أعضاء جمعية العلماء في تعليم الجنود والشعب الجزائري والقيام بأعمال التوعية في الجبال وخاصة في المعتقلات حيث كان التعليم في السجون منظّما وكان يتواجد في أغلبها عناصر جمعية العلماء<sup>6</sup>.

ب. كما نجد شخصيات قيادية في جمعية العلماء كان لها دور بارز في الثورة على سبيل المثال الشيخ العربي التبسي الذي كانت مواقفه البطولية ودعمه القوي للثورة سببا في استشهاده، وأيضا أحمد توفيق المدني ودوره الداخلي في الثورة التحريرية من سنة 1954-1956 من خلال تحرير جريدة البصائر وأيضا الاشتغال في عملية الاتصال بين الولايات وقيادة الثورة. أيضا دور الشيخ إبراهيم بيوض في الثورة وموقفه المشرف إزاء فصل الصحراء عن الجزائر وربطها رأسا بفرنسا<sup>7</sup>، وكان له دور محوري وجوهري في الجنوب من خلال تموين المجاهدين بالمال والعتاد واللباس هو وتلاميذه<sup>8</sup>. وتلاميذه<sup>8</sup>. وأيضا الشهيد الربيع بوشامة الذي كان عنصرا مهما في عملية الاتصال خاصة على مستوى المنطقة الثالثة "القبائل".

أما نشاط طلبة وعلماء معهد ابن باديس في الثورة التحريرية فكان مميّزا من خلال التحاق أفواج الطلبة بالثورة وأداء أدوار مختلفة خلال الثورة<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج5، صص 80-85.

<sup>2</sup> - رابح تركي، الشيخ البشير، المرجع السابق، ص228.

<sup>3</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج3، صص 51-52.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، صص 56-58.

<sup>5</sup> - أسعد الهلالي، جمعية العلماء، المرجع السابق، ص177.

<sup>6</sup> - نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص159.

<sup>7</sup> - بن رحال أمينة الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، المرجع السابق، ص187.

<sup>8</sup> - بن رحال أمينة، مذكرات الشيخ إبراهيم، المرجع السابق، ص61.

<sup>9</sup> - عبد الله مقلاتي، إسهام شيوخ، المرجع السابق، ص20.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وكانت مسألة ربط الاتصالات من أهم وأعقد المسائل التي صادفت الثورة خلال أعوامها الأولى وبالتالي فقد كان لطلبة وعلماء معهد ابن باديس الدور الحاسم والمهم في هاته المسألة، وقد تولى مجموعة من طلبة معهد ابن باديس مسؤوليات في الثورة كمهمة القضاء ومهمة المحافظ السياسي الذي يقوم بالتوعية الثورية وسط المواطنين في القرى... إلخ<sup>1</sup>.

وأما القيادة فكان العقيد شعباني قائدا للولاية السادسة "الصحراء"<sup>2</sup>. ومحمد الصالح يحيوي عضو مجلس الولاية الأولى وأيضا المجاهد الوردى قتال الذي كان من كبار قادة الأوراس.

أما النشاط الصحفي لجمعية العلماء أثناء الثورة فقد كانت البصائر اللسان شبه الرسمي للثورة في تغطية الأحداث اليومية للثورة وإذا أخذنا شهادة توفيق المدني فإن البصائر كانت تكتب بموافقة قيادة الثورة.

أما مساهمة طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين في المقاومة التونسية فمن خلال وثائق أرشيفية وشهادات مناضلين زيتونيين فقد التحق عدد من الطلبة الزيتونيين بخلايا المقاومة وكان لهم إسهام كبير في مساندة المقاومة وأيضا تم اعتقال عدد كبير منهم بسبب حوزتهم على الأسلحة.

وقد تحوّلت لجنة صوت الطالب في هذه الفترة إلى فصيل فاعل في العمل الوطني<sup>3</sup>. وكان أكبر عمل مساند للمقاومة المسلحة هي الإضرابات والمسيرات الضخمة التي كانت تنطلق من جامع الزيتونة مؤيدة للعمل الوطني الثوري حيث تمكنت لجنة صوت الطالب الزيتوني يوم 15 مارس 1954 من تعبئة الطلاب الذين خرجوا بالآلاف في خسة مسيرات مُحكمة التنظيم في اتجاه ساحة القصبة مقر الوزارة الكبرى لكن الإدارة العسكرية الاستعمارية واجهت ذلك التحرك بإطلاق الرصاص على المتظاهرين مما أدى إلى سقوط عدد من الشهداء. وبالتوازي مع ذلك شنت الإدارة الاستعمارية حملة اعتقالات في صفوف طلبة الزيتونة شملت أعضاء لجنة صوت الطالب الزيتوني ومحركها محمد البدوي، إلا أن تلك التحركات لم تحمدها الإجراءات القمعية بل كانت مدخلا إلى إعادة تنظيم الاحتجاج الطلابي الذي برز هذه المرة في شكل إضراب تلقائي وعام استمر 6 أشهر وانطلق يوم 16 مارس 1954<sup>4</sup>.

### 2- تبلور الفكر الثوري التحرري عند الإصلاحيين في الجزائر وتونس

إن الإصلاحيين السياسيين في الجزائر وتونس قد تشابهوا وتوافقوا في الفكر الثوري التحرري وذلك راجع لسبب بسيط وهي الخلفية الإسلامية التي ينطلقون منها حيث أن فرض الجهاد واجب على كل مسلم أُحتلت أرضه واضطهد في دينه وماله ونفسه وعرضه، إلا أن الإصلاحيين سواء في الجزائر أو في تونس قد أقاموا الحجّة الداحضة على زيف وأكاذيب المستعمر وبأن وعوده في الإصلاحات وعود مزيفة ولا تلبي رغبة الإصلاح ولا رغبة الشعبين الجزائري والتونسي كما رأينا. وسنبيّن هنا أن الفكر الإصلاحي تبلور إلى فكر ثوري تحرري يكاد يكون نفسه عند التيارين الإصلاحيين في الجزائر وفي تونس.

<sup>1</sup> - محمد السعيد عقيب، الاتحاد العام للطلبة المسلمين، المرجع السابق، ص117.

<sup>2</sup> - محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص154.

<sup>3</sup> - سالم لبيض، الهوية الإسلام، المرجع السابق، ص181.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص180-181.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

إن توجه جمعية العلماء كما يروّج له لم يكن إصلاحيا بالمعنى السياسي للكلمة كما شاع استعماله في الغرب حيث مصطلح الإصلاح "Réforme" يُصنف في مقابل كلمة "الثورة" لكن الإصلاح لدى الجمعية بالمفهوم الاسلامي للكلمة ينطبق على مصطلح "الثورة" بكل ما يحمله من تجديد ولنهضة ونضال وجهاد<sup>1</sup>.

إن مشروع الثورة في تصور جمعية العلماء يبدأ بتحضير الظروف المناسبة عبر أنشطة سياسية واجتماعية ودينية وثقافية وحجر الزاوية في ذلك إعداد جيل مهياً ومقتنع بالثورة، ولهذا تم التركيز على التعليم العربي الحر وحده الكفيل بإعداد شبان يافعين يشعرون بهويتهم المستقلة ويشكّلون كيانهم المتميز داخل الدولة الفرنسية ويستطيعون حمل مشعل الثورة، وقد كان قادة جمعية العلماء وزعماء التيار الإصلاحية في الجزائر يحملون الفكر الثوري التحرري ويؤمنون به ويعملون له.

فهذا الشيخ عبد الحميد بن باديس كان مؤمنا بالحرية واعتبرها حقاً شرعياً للإنسان وبدونها تنعدم وتزول إنسانيته، وقد تنبأ بأن الأمة الجزائرية ستصبح مستقلة استقلالاً واسعاً تعتمد عليه فرنسا اعتماد الحرّ على الحرّ<sup>2</sup>. ومن أقواله التحررية "أنا أحارب الاستعمار لأني أعلم وأهدّب ومتى انتشر التعليم والتهذيب في أرض، أجذبت على الاستعمار وشعر بالنهاية ويسوء المصير"<sup>3</sup>. ولهذا يقول مالك بن نبي "لا يمكن أن يتحرر شعب من ربة الاستعمار ويصير جديراً بالحرية وبجياة الكرامة، الا بتحول نفسي يصبح معه الفرد شيئاً فشيئاً قادراً على القيام بوظيفته الاجتماعية جديراً بأن تحترم كرامته وحينئذ يرتفع عنه طابع القابلية للاستعمار وبالتالي لن يقبل حكومة استعمارية تنهب ماله وتمتص دمه فكأنه بتغيير نفسه قد غير وضع حاكميه تلقائياً إلى الوضع الذي يرتضيه"<sup>4</sup>.

وهذه هي فلسفة عبد الحميد بن باديس الثورية في تحقيق عملية التحرر من الاستعمار وكان الشيخ يؤمن إيماناً عميقاً بأن الاستقلال لا يُطلب بالكلام أو بالشعارات بل يُنتزع بالقوة وبذل الدماء، ويوجّه الدعوة للعمل الإعدادي وجمع كلمة الأمة وتكوين المجاهدين وبعد ذلك يأتي الاستقلال<sup>5</sup>.

ونجد رفيق دربه ونائبه الشيخ البشير الإبراهيمي والذي له عدة آراء حول الاستعمار تصب كلها في تكريس معاداته والعمل على التخلص منه فيقول: "إن الإسلام والاستعمار ضدّان لا يلتقيان في مبدأ ولا في غاية.. ووجب على المسلمين أن يطبقوا هذا الحكم وهو معاداة الاستعمار ولا موالاته"<sup>6</sup>.

وهكذا نجد في كتابات الشيخ تركيزاً مباشراً لا يميل إلى التلميح أو الترميز لأن الموقف يستوجب الخيار بين أمرين؛ إما الخضوع للسلطة الاستعمارية والحصول على الامتيازات أو التوجه إلى الشعب مما يؤدي إلى غضب السلطة الاستعمارية وأحسن تعبير عن تبني العلماء الجزائريين للفكر الثوري التحرري ما كتبه صحيفة "صدي باريس

<sup>1</sup> - محمد الميلي، زمن البراءة، المصدر السابق، ص 407.

<sup>2</sup> - فراس حمد فرسوني، المرجع السابق، ص 60.

<sup>3</sup> - عبد الرشيد زروقة، المرجع السابق، ص 158.

<sup>4</sup> - مالك بن نبي، شروط النهضة، المرجع السابق، ص 122.

<sup>5</sup> - محمد خير الدين، مذكرات، المصدر السابق، ص 348.

<sup>6</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج 5، ص 68..

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

L'échodeParis" لسان حال النخبة الفكرية الفرنسية ونشرته جريدة البصائر في سنة 1937: "إن الحركة التي يقوم بها العلماء المسلمون في الجزائر أكثر خطرا من جميع الحركات التي قامت حتى الآن فيها، لأن العلماء المسلمين يرمون من وراء حركتهم هذه إلى هدفين كبيرين؛ الأول سياسي والثاني ديني... فهم لا يسعون إلى إدماج الجزائر بفرنسا بل يُفْتَشُونَ في القرآن نفسه عن مبادئ استقلالهم السياسي"<sup>1</sup>.

أما بالنسبة للزيتونيين الإصلاحيين السياسيين، فلقد مثلت الزيتونة مركز الضمير الجمعي ورمز الهوية الحضارية العربية الإسلامية للشعب التونسي ذلك أن "أعظم معالم المجد القومي في البلاد التونسية وأجمعها للمعاني التي تمثل عظمة الماضي وضمأن الحاضر والمستقبل هو جامع الزيتونة" لأنه "يُمَثِّلُ قدسية الدين وعراقة المجد" و"عظمة الحضارة الإسلامية وسلطان الثقافة العربية"<sup>2</sup>.

وأثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها كما قلنا لعب جامع الزيتونة دور هام في تأطيره مختلف شرائح المجتمع وعلى حد تعبير محمد الفاضل بن عاشور "أصبح اعتبار التعليم الزيتوني أصلا من أصول الروح الوطنية ومظهرا من مظاهر ثورة التونسيين قاطبة في وجه الاستعمار"<sup>3</sup>.

إن كلام محمد الفاضل بن عاشور يُبيِّن بشكل جلي كيف تبلور الفكر الثوري التحرري لدى نخبة الزيتونة الإصلاحية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، إذ وجد الزيتونيين أنفسهم في مواجهة عدة تحديات في إطار النضال الوطني والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للبلاد التونسية وكما لاحظنا دخول عدد من الزيتونيين إلى معترك النضال السياسي في إطار الأحزاب الوطنية كالدستور القديم وأيضا الجديد وصراعهم ضمن لجنة صوت الطالب الزيتوني كل هاته التحديات جعلت الفكر الإصلاحي لدى نخبة الزيتونة -طلبة وعلماء- يتبلور إلى فكر ثوري تحرري بل هناك شق من الزيتونيين كما يقول الطباي بأنه شق راديكالي ذهب إلى أبعد مدى في تبني الفكر الثوري التحرري والمطالبة بالحقوق الوطنية دون هوادة أو مهادنة<sup>4</sup>.

ومن الأكد أن الواقع الاستعماري وما يعنيه من استغلال وتمييز وتجاوزات وإذلال لا يمكن إلا أن يساعد على انبثاق وعي وطني بتونس، وعليه فإنه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ردود فعل الجامعة الزيتونية التي كانت ولا تزال آنذاك قلب وروح تونس وبلاد المغرب في الدفاع عن القيم الأساسية للهوية العربية الإسلامية أمام محاولات المسخ والتغريب، فقد ساهم محررو الصحافة العربية وأغلبهم من خريجي الجامعة الزيتونية في إذكاء روح التحرر الوطني والوعي بالانتماء إلى الأمة الإسلامية كما ساهموا إلى حد بعيد في تشكيل رأي عام وبالخصوص في بلورة شعور وطني وقومي إسلامي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن شبان، حقائق وأباطيل، المصدر السابق، ص202

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، صص25-26.

<sup>3</sup> - حفيظ الطباي، صراع الهوية، المرجع السابق، ص215.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص423.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص424.



## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

ومن بين قادة التيار الإصلاحي الزيتونيين الذين تبلور لديهم الفكر الثوري التحرري نجد الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي عمل في أوت 1919 بباريس على التعريف بالقضية التونسية في الأوساط السياسية أثناء مؤتمر الصلح وشرح الوضعية التونسية بعد الحماية وذكر بالتضحيات خلال الحرب العالمية التي قاموا بها<sup>1</sup>.

وبادر الشيخ إلى تشخيص مواطن الوهن في البلاد التونسية والبلاد العربية والإسلامية إبان الاحتلال الأجنبي الذي رسّخ في مستعمراته عوالم الانحطاط الفكري والاجتماعي وكانت دوافع الثعالبي إلى مقاومة المد الاستعماري الغاشم والتيار التغريبي المتعدد الوجوه والبرامج ذات اتجاهين: اتجاه سياسي حركي نضالي واتجاه ثقافي مؤسس على منزع إسلامي لمواجهة الغزو الثقافي<sup>2</sup>.

إن الفكر الثوري التحرري عند الثعالبي قد تطور بشكل ملحوظ، حيث أن ما قاله في كتابه "روح التحرر في القرآن" الصادر بباريس سنة 1905 حيث يقول أن "فرنسا هي التي وضعت مصر على طريق الحضارة والمصريون لم يفتهم أبدا أداء واجب الاعتراف بما هم مدينون له بفرنسا"<sup>3</sup>، يقول عن ذلك فتحي بوعجيلة: "غير أن هذه اللغة العسيلية والموادعة الناعمة سرعان ما تحولت إلى إغلاظ في خطاب الثعالبي لا رأفة فيه وإلى اعتراف مرير بالانخداع الذي جنته على التونسيين المخدوعين السذاجة المهلكة أو إلى إقرار حاد بالفشل في إستراتيجية استدرج فرنسا وخدمتها لاستجلاب المكافأة بمنح التحرير" ويقول الثعالبي في ذلك: "كل أمل في طيبة الاستعمار الفرنسي أصبح من المستحيل التفكير فيه وأن المشاركة في ذلك العمل تعتبر خيانة لمصالح الوطن المقدسة"<sup>4</sup>.

وفي كتابه تونس الشهيد الصادر بفرنسا في أوائل جانفي 1920 الذي يعطينا رغم اختصاره وصفا شاملا للقطر الذي يزرع تحت نير الاستعمار الفرنسي، ومما صدع به الزعيم الثعالبي قوله: "من واجبنا أن نوضح الصفات الحقيقية للاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية؛ إنه صراع حتى الموت وحرب صليبية موجّهة ضد مجتمعنا، إنه الاغتصاب المنظم لثرواتنا"<sup>5</sup>.

ووصل الاقتناع بالثعالبي بأنه لا يمكن تصور سلامة تونس بعدما بلغ الاستبداد الاستعماري ذروته إلا في إطار توحيد مصيرها بمصير أشقائها في الجزائر والمغرب وليبيا وموريتانيا وتوحيد المغرب العربي من المحيط إلى الحدود المصرية ومن البحر المتوسط إلى أعماق الصحراء<sup>6</sup>.

وفي أواخر خطاباته أثناء صراعه مع الدستوريين الجدد أكد الثعالبي بقوله: "أن جماعته -الحزب الدستوري القديم- لا يهدف عملها الأساسي سوى إلى استقلال تونس ورفض جميع البرامج الأخرى التي لا تدعو إلى التحرير بصفة سريعة وفورية وليست خالية من كل تعاون مع الحكومة"<sup>7</sup>. وسار بعده على هذا النهج أعضاء الحزب الدستوري القديم.

<sup>1</sup> - التكريتي غيلان سمي طه، المرجع السابق، ص186.

<sup>2</sup> - فتحي بوعجيلة، المرجع السابق، ص183.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص195.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، صص197-198.

<sup>5</sup> - الثعالبي، تونس الشهيد، المصدر السابق، ص281.

<sup>6</sup> - يوسف مناصرة، الصراع الإيديولوجي، المرجع السابق، ص28.

<sup>7</sup> - المرجع نفسه، ص42.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

أيضا من القادة الزيتونيين السياسيين الذين تبلور لديهم الفكر الثوري التحرري نجد في المقدمة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، حيث بدأ صلته بفكر النهضة الإسلامية والحركة الوطنية منذ سن مبكرة متأثرا بالوسط العائلي الذي نشأ فيه وبشخصية والده محمد الطاهر المتأثر أيضا بالفكر الإصلاحية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وأيضا شيوخه الذين أثروا في توجيهه تلك الوجهة الإصلاحية الوطنية منهم الشيخين عثمان بن المكي والشيخ محمد النخلي حيث في شبابه انغمس في تيار الحركة الوطنية خطيبا مفوها وكاتباً في الصحف، في أعقاب حوادث أبريل 1938 وما تلاها من قمع استعماري حدا جعله ينظم الأناشيد الوطنية سنة 1939<sup>1</sup>. حيث تزعم الشيخ بعد الحرب العالمية الثانية الاتجاه العروبي الإسلامي في تونس في شكله السياسي التحرري الذي يتصور تحرير تونس في إطار يضمن اندماج البلاد في العالم الإسلامي موجهها أنظاره نحو المشرق العربي خلافا لقيادة الدستور الجديد المقبلة وجهها نحو الغرب<sup>2</sup>.

وقد ظل الشيخ محمد الفاضل دائما متميزا بتنوع نشاطاته الفكرية والاجتماعية والسياسية وتوجهاته العربية الإسلامية ونزعه للاستقلال والمبادرة الحرة، واتخذ الجمعية الخلدونية مركزا للنشاطات الفكرية والوطنية منذ أن ترأسها في 09 ماي 1945<sup>3</sup>. وكانت خطبه تزيد الحماس الوطني وتقوم على إثرها المسيرات الحاشدة تطالب باستقلال البلاد. كذلك تبلور الفكر الثوري عند طلبة ومناضلي "لجنة صوت الطالب الزيتوني" رغم قصر مدتها الزمنية إلا أنّ هاته الحركة الطلابية خاضت تجربة سياسية ضاهت تجارب بعض الأحزاب السياسية فقد اهتمت بالقضية الوطنية التونسية وعلى تلك الأرضية تحددت مواقف اللجنة من الاستعمار الذي يعتبره أحد أبرز رموز اللجنة وهو محمد البدوي؛ العدو المشترك قائلا: "إن الأعداء قد سيروا دولينا برسالة تمدينية وما هي إلا نوع من أنواع الشعوذة الأوروبية المخدرة وعذر من الأعدار التي يتخذونها ذريعة لاستعمار بني البشر<sup>4</sup>."

وحتى أن التحركات الاحتجاجية الطلابية للجنة صوت الطالب الزيتوني ما هي إلا رد فعل تجاه "انتصار الاستعمار لثقافته وتعزيز جانبها وشد أزرها"، وهي: "الثقافة المستوردة من الخارج"<sup>5</sup>.

أيضا بيانات اللجنة في صحافتها السرية تحث الشعب التونسي على الاستفاقة والانتباه لمؤامرات الاستعمار والعمل من أجل الكفاح لتحرير تونس وانتصار العروبة والإسلام<sup>6</sup>.

إنّ خلفية الخطاب عند لجنة صوت الطالب الزيتوني تنبثق من طبيعة المؤسسة التي تنتمي إليها والتي تعطي قدسية كبيرة للعربية كلغة وللإسلام كدين وما ينجم من مواقف وارتباطات وتحالفات يجب أن تتحد وفق تلك المعايير لذلك كانت المواقف من الأجنبي المتمثل في الإدارة الاستعمارية جذرية وراдикаلية وقالت الصحافة الطلابية الزيتونية مؤكدة على

<sup>1</sup> - عمار المختار بن أحمد، المرجع السابق، ص 50.

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 25.

<sup>3</sup> - علي الزيدي، الشيخ محمد الفاضل، المرجع السابق، ج 2.

<sup>4</sup> - سالم لبيض، الحركة الطلابية، المرجع السابق، ص 5.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 5.

<sup>6</sup> - العياشي مختار، البيئة الزيتونية، المرجع السابق، ص 186.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

هذا التوجّه أثناء واقعة 15 مارس 1954 بكل وضوح وجلاء هي أنّها ما دام الأجنبي يحتل البلاد فإن سلطته وسيطرته هي التي تسودها وحدها.

أمّا كلمات الاستقلال الداخلي والسيادة الداخلية والحكومة الوطنية والبرلمان التونسي فما هي إلا كلمات جوفاء وخدع أطفال ولا يعترتها إلا البله السذج والخبثاء الماكرون الذين يطمعون في التقاط فتات موائد السلطة الاستعمارية الحاكمة لأنفسهم على حساب الشعب الذي حسبوه غافلا مخدوعاً<sup>1</sup>.

وهكذا فإن نفس المبدأ سار عليه أغلب قادة الإصلاح السياسي في كلا البلدين مبدأ ثابت لا يتغير مع تغير المعطيات منبثق من خلفية فكرية إسلامية ثابتة.

وعليه فنقبل الفكر الثوري التحرري لدى قادة وزعماء الحركة الإصلاحية له تمثّلات واقعية نجدها تتجسّد في واقع الثورة المسلحة في البلدين.

### 3- تأثير العامل الديني للعلماء الإصلاحيين في الفكر الثوري التحرري وتجلياته في الثورة المسلحة

#### في الجزائر وتونس

فالثورة الجزائرية قد تجلّى فيها الجهاد المقدّس في أرقى صوره ومظاهره من قتال الكفار والمحاربين الذين اغتصبوا الأرض وانتهكوا العِرض، وبهذا اتفقت أقوال العلماء على مباركة الثورة ودعمها بكل الوسائل<sup>2</sup>. وقد كانت الفتاوى الشرعية التي تمثّلت في بيانات وتصريحات قادة جمعية العلماء السند الشرعي للثورة التحريرية الجزائرية. حيث كانت بيانات الإبراهيمي والورتلاني مدعّمة بالنص القرآن الذي يُعطيها الصبغة الشرعية والإلزامية حيث في نهاية بيان 15 نوفمبر 1954: "وذكروا قبل ذلك قوله تعالى: وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله وقوله تعالى: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"<sup>3</sup>.

إنّ الدارس لتاريخ الثورة الجزائرية والوسائل التي استخدمتها لا يجد عناء في تقرير التوجه الذي اختاره مفجرو الثورة الذين تبّنوا الفقه الجهادي بكل قواعده وأسسها فقد اعتمد الثوار على الفقه الإسلامي في دلالة صريحة على أنّهم قد انطلقوا في عملهم بناء على الخلفية الشرعية، وبالنظر إلى الوسائل والشعارات التي استخدمتها الثورة وقيادتها يُمكننا تأكيد هذه الحقيقة بما لا يدع مجالاً للشك، ونجد هذا التأثير واضحاً في:

● بيان أول نوفمبر؛ فقد نص في المادة الأولى على أنّ الهدف من الثورة هو إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية والاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية.

● الجريدة التي جعلوها الناطق الرسمي للثورة التحريرية فسّمّوها "المجاهد".

● الشريعة الإسلامية مصدر لأحكام الثورة، حيث لم تتأخر الثورة في الدفاع عن حدود الله ومعاقبة كل من يتجاوزها مهما كان موقعه أو مكانته مدنياً أو عسكرياً، وهو أساس نجاح الثورة ومصدر إلهامها<sup>4</sup>. وقد كان واضحاً

<sup>1</sup> - سالم لبيض، الهوية الإسلام، المرجع السابق، ص 182.

<sup>2</sup> - التركي باهي، المرجع السابق، ص 103.

<sup>3</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج 5، ص 35.

<sup>4</sup> - التركي باهي، المرجع السابق، ص 128.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

من خلال المناشير التي كانت توزعها قيادة الثورة بأن جبهة التحرير الوطني أرادت أن تقود الجماهير بتعاليم الإسلام التي تدعو إلى العقيدة الصحيحة القائمة على أساس التوحيد، وكذا نبذ سائر المحرمات والانحرافات الشرعية مثل شرب الخمر والقمار وحتى شرب الدخان<sup>1</sup>.

أيضا نجد هذا التأثير متمثلا في شعار المجاهدين في المعارك وأيضا كلمة السر، فالشعار حددته الثورة باللفظ الصريح الواضح "الله أكبر" الذي ظل المسلمون يقاتلون تحت لوائه منذ نزول الوحي ويستلهمون منه القوة وقهر الأعداء<sup>2</sup>. وكانت كلمة السر "خالد، عقبة" وكانت كلمات الاتصال "الدين، العمل، الله أكبر، الله، محمد، الإسلام ديننا.. إلخ<sup>3</sup>.

ويروي الدكتور يحي بوعزيز رحمه الله أن العقيد عميروش غضب على أحد الأطباء الذي التحقوا بالثورة بسبب أنه كتب عبارة محاربي جيش التحرير بدل مجاهدي جيش التحرير ولم يسمح له بتغيير المصطلحات الشرعية التي تبنتها قيادة الثورة<sup>4</sup>.

وأيضا أبرز قيادات الثورة كانوا متأثرين بالفكر الجهادي الإسلامي أمثال عميروش رحمه الله الذي قال عنه الشيخ محمد الصالح الصديق: "لقد كان حبه الشديد لجمعية العلماء وتعلقه بالشيخ عبد الحميد بن باديس وتعلقه باللغة العربية والدين الإسلامي"<sup>5</sup>.

أيضا شهادة المجاهد الوردي قتال حول تأثير الشهيد مصطفى بن بولعيد بالفكر الجهادي الإسلامي حيث قال له: "وإنني أقول بوضوح نحن خرجنا في ثورتنا تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله والله أكبر.. إن الأمة والأرض التي رفعت شهادة التوحيد لا تذلل ولا تُقهر"<sup>6</sup>.

أما تجليات الفكر الإسلامي الثوري في واقع الثورة التحريرية وسلوك المجاهدين فيتبين لنا من خلال:

- القيم السلوكية والأخلاقية للمجاهد الجزائري، لقد أضحى المجاهدون يتمتعون بأخلاقيات وقيم دينية إسلامية غلّيا كانت هي الرصيد الضخم الذي تحلّى به المجاهدون في ظل ممارسات الاحتلال الفرنسي غير الأخلاقية<sup>7</sup>.
- من بينها معاملة الأسرى معاملة إسلامية، وقد وردت عدة شهادات لأسرى أجانب فرنسيين عن المعاملة الحسنة، حيث تحدثت جريدة المقاومة عن سلسلة من الرسائل المبعوثة من الأسرى الفرنسيين لدى جيش التحرير إلى أهاليهم متضمنة حديث عن حسن المعاملة الطيبة وحرصهم على الطعام والسجائر وكل ما يحتاجونه وأحيانا أخرى يتقاسمون معهم حياتهم وطعامهم ومقردهم<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - أنظر الحوار الذي دار بين المجاهد الوردي قتال والشهيد القائد مصطفى بن بولعيد حول شرب الدخان ونهي مصطفى بن بولعيد وتحريمه شرب الدخان.

<sup>2</sup> - التركي باهي، المرجع السابق، ص133.

<sup>3</sup> - نبيل احمد بلاسي، المرجع السابق، ص163.

<sup>4</sup> - يحي بوعزيز، الثورة في الولاية، المرجع السابق، ص321.

<sup>5</sup> - شهادة الشيخ محمد الصالح الصديق، المصدر السابق.

<sup>6</sup> - الطيب عبادلية، المصدر السابق، ص71.

<sup>7</sup> - محمد العربي غراس، المرجع السابق، ص26.

<sup>8</sup> - محمد زروال، الحياة الروحية، المصدر السابق، صص131-133.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

- الالتزام بتنفيذ أوامر الثورة حتى ولو لم تكن في صالحهم كإذعان الشهداء لزهرة شريّط وعباس لغرور لأحكام الثورة القاسية ولم يحاولوا الفرار أو التمرد<sup>1</sup>.
- الرؤية الصادقة والكشف الربّاني للمجاهدين كرؤية المجاهد الوردية قتال قبل معركة الجُرف بالنصر<sup>2</sup>.
- ممارسة الشعائر الدينية منها:
- المحافظة على الصلاة وخاصة الصلاة الجماعية مع فرض عقوبات صارمة على تاركي الصلاة والمتهاونين في أدائها.
- وكذلك الصيام؛ لقد كان المجاهدون في الثورة يفضّلون الصيام على الإفطار لأنهم يؤمنون بهاته الخيرية التي أشار الله إليها في قوله تعالى: "وأن تصوموا خيرا لكم إن كنتم تعلمون"<sup>3</sup>. وكان أول صيام شرعي للمجاهدين الجزائريين وهم يؤدون فريضة الجهاد هو رمضان عام 1955، وقد أصدرت قيادة المجاهدين تعليمات إليهم تأمرهم فيها بوجود الإفطار ولكن الكثير منهم فضّل الصيام<sup>4</sup>.
- وفي المقابل نجد التأثير الفكري الزيتوني الإسلامي على المقاومة المسلحة التونسية من 1952 إلى 1954 فمن حيث:
- 1. الهوية أو إيديولوجية الثورة: لقد اصطبغت كل التحركات المعادية للاستعمار بطابع ديني، فالدفاع عن الأرض أمام زحف الاستعمار الزراعي اتخذ سمة الدفاع المقدس، فكانت النخبة المسيّسة تدافع عن الإسلام كعقيدة وتراث وتاريخ أمام هجومات المغالين من رجال الدين المسيحي. وتبرز الهوية الإسلامية في إيديولوجية جيش التحرير التونسي والتي عبّر عنها في قانونه الداخلي حيث ورد فيها مطلب التأكيد على الاستقلال الوطني في إطار هويته العربية الإسلامية، حيث جاء في الفصل الأول منه؛ "إن جيش التحرير الوطني التونسي تأسس على بركة الله لتحرير الوطن من الاستعمار وأذنابه والمحافظة على عروبة وإسلام هذا الوطن يفرض على كل من يلتحق بصفوفه من قادة وجنود أن يتّقوا الله في كل أعمالهم.."<sup>5</sup>.
- 2. المبادئ الخلقية الإسلامية للثورة التونسية: تزخر الثورة بالمعاني النابعة من عقيدة أهلها مثل "لفظ الجهاد" و"الشهادة" و"الجنة" ونجد ذلك يتردد في معظم الشهادات المسجّلة والمكتوبة أو المراسلات المأخوذة عن قدماء المقاومين في فترة الخمسينات ونلاحظ ما يلي:
- الاستنجد بالدين عند تجنيد الأتباع، فمثلا المترشح للحزب الدستوري يُقسم بالله على الإخلاص للوطن والحزب على القرآن الكريم.

<sup>1</sup> - سمية دري، المرجع السابق، ص141.

<sup>2</sup> - محمد زروال، الحياة الروحية، المصدر السابق، صص138-139.

<sup>3</sup> - سورة البقرة، الآية 184.

<sup>4</sup> - محمد زروال، الحياة الروحية، المصدر السابق، ص115.

<sup>5</sup> - الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص117.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

- بطاقات الانخراط في الأحزاب بالوطنية تحمل آيات قرآن مثل: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون<sup>1</sup>.
- الاجتماعات والخطب والمراسلات كانت تبدأ بالبسملة وتوحيد الله وتُختتم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحتى بورقيبة كان يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية<sup>2</sup>.
- فإذا كان هذا الحال عند هؤلاء فإن المحافظين في الحزب الدستوري القديم وفي الأوساط الزيتونية يكون بشكل أوسع وأرسخ<sup>3</sup>.
- أيضا يُقسم المتطوع للثورة على المصحف الشريف على الإخلاص للوطن ويُطالب غالبا بأداء الصلوات وترك المسكرات والمحرمات حتى يكون عوناً لهم على النصر.
- الهتافات الدينية أثناء المعارك مثل "الله أكبر" وبآيات مثل "نحن الذين بايعوا محمدا.."، وآيات الجهاد والتحريض على القتال وكذلك يحملون مصاحف القرآن الكريم... إلخ<sup>4</sup>.
- كل هذه المعاني والصور الحية كانت حاضرة في يوميات الثورة التونسية دلالة على التأثير القوي للتيار الزيتوني الإصلاحي -طلبة وعلماء- وإن أوجه التشابه في التطور السياسي والتأثير الثوري التحرري خلال هاته الفترة كثيرة ومتعددة ولكننا اقتصرنا على أهمها وأبرزها بين التيارين الإصلاحيين في الجزائر وتونس.

### المطلب الثالث: أوجه الاختلاف في التطور السياسي بين تباري الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس.

كما توافق وتشابه الحركتين في عدة قضايا ومواقف وأعمال سياسية خلال هاته الفترة إلا أنه كانت هناك قضايا اختلفوا فيها، وطبعاً ترجع إلى مسألة الأولويات ووضع الاستعمار في الجزائر وتونس.

### 1- قضية فصل الدين عن الدولة

هاته القضية اختلف فيها التيارين الإصلاحيين بحيث كانت في الجزائر هاجس العلماء الإصلاحيين الذين سعوا بكل ما أوتوا من قوة وإمكانات وبذلوا كل الجهود لفصل الدين الإسلامي عن الإدارة الفرنسية المسيحية وذلك ليتحرر، الدين الإسلامي من ريقه القيود الاستعمارية حيث نجد؛ أنّ جمعية العلماء لم تأل جهداً في الدعوة إلى تحقيقها بواسطة الإعلام وأثناء الاجتماعات والمحاضرات. وفي رسالة وجهها للإبراهيمي إلى وزير الداخلية الفرنسي عندما زار الجزائر سنة 1947 يقول فيها: "بقيت قضية أخرى تمس إحساس المسلمين وتحزُّ في نفوسهم وهي الدين الإسلامي من أوقافه المهضومة إلى معابده المظلومة إلى تعاليمه المعدومة إلى قضاءه المشوّه.."<sup>5</sup>. كما وجهت نداء إلى النواب المسلمين للدفاع عن قضية فصل الدين عن الدولة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - سورة التوبة، الآية 105.

<sup>2</sup> - الطاهر فرحات، المرجع السابق، ص120.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص120.

<sup>4</sup> - عبيد منصور الشرايطي، بشير نصر زبيدي، المرجع السابق، ص50.

<sup>5</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص154.

<sup>6</sup> - العربي الزبيدي، المرجع السابق، ص204.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

وعاودت جمعية العلماء طرح قضية فصل الدين عن الدولة مجددا في بداية الخمسينات، حيث برهن الإبراهيمي مجددا في مقالاته: "أنه لا حق لفرنسا في الإشراف على الدين الإسلامي لأنها دولة نصرانية في الجوهر لائكيه في المظهر وفي كلتا الحالتين لا يحق لها الإشراف على الدين الإسلامي"<sup>1</sup>.

كذلك قامت جمعية العلماء بتوجيه نداء مرة أخرى إلى أعضاء الجمعية الجزائرية في تشكيلتها الجديدة التي أسفرت عنها انتخابات 1 جوان 1951 تحذّره من أن يكونوا في يد الحاكم العام الذي يريد أن يكون رفض الفصل صادرا عن المنتخبين المسلمين.

بينما لم تكن هاته القضية مطروحة في مطالب ومساعي وتحركات النخبة الزيتونية، وذلك لأن المنشآت الإسلامية كالأوقاف والمساجد والمدارس القرآنية بقيت بشكل أو بآخر في يد التونسيين رغم محاولة ماشويل مسؤول إدارة المعارف سابقا أن يضم إلى دائرته جامع الزيتونة وفروعه للإشراف عليه، ولكنه فشل في مسعاه ولم يتمكن من ذلك. وكان في هاته الفترة اعتبارا من 1945 على وجه الخصوص نشاط ملحوظ لطلبة وعلماء الزيتونة بقيادة الشيخ محمد الفاضل بسبب الفراغ الذي أحدثه اعتقال وإبعاد قادة الحركة الوطنية قد عزز دور المساجد في عملية التأثير عن طريق تحفيظ القرآن وإعطاء دروس للقراءة والكتابة وعرض الأفلام التوثيقية وإلقاء المحاضرات وتنظيم المهرجانات في العاصمة والمدن الكبرى، وقد لعبت "جمعية الشبان المسلمين" ورئيسها محمد الصالح النيفر دورا هاما في هذا المجال فتعاطم دور جامع الزيتونة في الأوساط الشعبية "فقد زاد سلطان الحياة الزيتونية على الروح الشعبية مكانة ورسوخا فأصبحت الجامعة الزيتونية محل اعتناء العناصر الشعبية كلها تعمل على مناصرتها وتبرز للجمهور تحت اسمها"<sup>2</sup>.

### 2- إشكالية الإطار التنظيمي في التطور السياسي ومدى أهميته

لقد شكّل الإطار التنظيمي الذي يجمع العناصر الإصلاحية فيتكتل منسجم تتوافق فيه أفكارهم وتتحد جهودهم لتنفيذ الغايات والأهداف التي يسعون إلى تحقيقها والوصول إليها أهم نقطة اختلاف بين تيار الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس في مجال النشاط والتطور السياسي في هاته المرحلة، فبالنسبة إلى تونس نجد أنه رغم استمرار النخبة الزيتونية الإصلاحية في تطورها ونشاطها السياسي من خلال مواقفها وتحالفاتها التي تكلمنا عنها خلال الفترة من 1945 إلى غاية استقلال تونس 1956 فإننا نجد أن الزيتونيين لم يحققوا في نهاية الأمر إثبات وجودهم. وأيضا خسروا عدة معارك جزئية إزاء التيار التغريبي الذي يقوده الحزب الحر الدستوري الجديد. لنرى بداية الصراع سنة 1947 على زعامة ما تمّ إنجازه بالتعاون بين الزيتونيين والمدرسيين، سواء كان بالنسبة للحزب الدستوري الجديد أو الاتحاد العام التونسي للشغل، ثم لنرى الصراع يستفحل سنة 1951 بين الطرفين حول ما إذا كان يجب أن تبقى في الحكومة كيفما كان الوضع، أم نواصل المشوار من أجل إنجاز مطالب الإصلاح الزيتوني المتفق عليها سابقا<sup>3</sup>.

ولم تشهد المرحلة ما بعد ذلك وصولا إلى عام 1956 نشوء حزب سياسي زيتوني سواء كان ذلك الحزب قوميا عربيا أو إسلاميا، وذلك لأسباب منها ما سبق أن أشرنا إليه من أن الزيتونيين لم يكن لهم شعور بأنهم يؤلفون فئة متميزة

<sup>1</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، المصدر السابق، ج3، ص26.

<sup>2</sup> - محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص220.

<sup>3</sup> - علي الزيدي، الزيتونة دورها، المرجع السابق، ص153.

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

عن بقية الشعب التونسي، وكان ولاؤهم للحزب وتونس أقوى منه لجامع الزيتونة بما يُمكن تسميته تجاوزا بالرابطة الزيتونية إن صح التعبير، ومنها أيضا أنه لم يكن ممن تصدّوا لزعامة الحركة الزيتونية -سواء من العلماء أو الطلبة- من كان قادرا على الوقوف أمام زعماء الحزب الدستوري الجديد آنذاك، ولا على مجاراتهم في الأساليب التي يستعملونها لبلوغ غاياتهم وفرض سياساتهم ناهيك أن الشيخ محمد الفاضل بن عاشور اضطر للانسحاب من حلبة الصراع مع صالح بن يوسف بعدما فُصل من الديوان السياسي. وأيضا إزاحته من المكتب التنفيذي للاتحاد العام التونسي للشغل وألصقت به وبوالده أبشع النعوت، ثم تعرّض الشيخ الفاضل للاعتداء عليه مساء يوم 15 فيفري 1951 في نهج جامع الزيتونة<sup>1</sup>.

خلافًا لذلك نجد أن تكتل الإصلاحيين الجزائريين في تنظيم يمثلهم وسيرون في ركابه قد جنبهم التشردم وركّزوا جهودهم على الأهداف التي سطروها وأرادوا الوصول إليها، وما شهدناه سابقا من محاولة بعض الطرفين وأتباع الزوايا من التسلط على القيادة داخل مكتب الجمعية سنة 1932، فقد تم تجاوزه بنجاح وأيضا ما شهدناه من انفصال الطيب العقبي عن جمعية العلماء كونه لم يعد منسجما مع التيار الإصلاحي الذي يؤمن بالفكر الثوري التحرري، إلى غاية سنة 1954 عندما انعقد المجلس الإداري للجمعية خلال سفر الشيخ العربي التبسي للحج وزيارة الرئيس الإبراهيمي فقد حاولا القيام بتغييرات هامّة كالتغيير في القانون الأساسي وطالب الإبراهيمي والورتلاني بالرجوع، وهذه الوضعية التي حدثت داخل الجمعية وإن كانت لم تظهر للعلن بشكل واضح فإنها ستساهم إلى حد كبير في توجهات الجمعية المصرية إبان الثورة وخاصة تيارين تيار متشدد بزعمامة التبسي ومساند للثورة وتيار معتدل بزعمامة خير الدين، ورغم ذلك كله فإنه من خلال الإطار الموحد للإصلاحيين الجزائريين فإنهم قد استطاعوا من خلاله إبراز مواقفهم إزاء عدة قضايا سياسية ووطنية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945 إلى غاية اتخاذهم القرار باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهو الانضمام إلى الثورة التحريرية سنة 1956.

في حين نجد آخر فصل مناضل من الزيتونيين المتمثل في لجنة صوت الطالب الزيتوني يلعب آخر أوراقه السياسية بالتحالف مع صالح بن يوسف الذي ألقى خطابا في جامع الزيتونة بحضور الزيتونيين والمشائخ والطلبة هاجم فيه اتفاقية الاستقلال الداخلي ودعا للعودة إلى الكفاح لتحرير المغرب العربي. وفي 08 أكتوبر 1955 تم عزله من الحزب الدستوري الجديد وفي نوفمبر 1955 عقد الزيتونيين مؤتمرهم وأيضا بحضور صالح بن يوسف وغيّروا اسم المنظمة إلى صوت الطالب التونسي المسلم<sup>2</sup>. وانخرط الطلبة الزيتونيين في الثورة الثانية واخذوا ينسّقون العمل مع الحزب الدستوري القديم، وكان إعلان الاستقلال في 20 مارس 1956 ضربة لأنصار صالح بن يوسف وللجنة صوت الطالب الزيتوني، وعليه فإشكالية الإطار التنظيمي شكّلت عائقا لطلبة وعلماء الزيتونة برغم أنهم تحركوا سياسيا وأدوا واجبهم تجاه القضية الوطنية بشكل جد إيجابي عكس طلبة وعلماء الجزائر الإصلاحيين الذين كانت الجمعية التي أسسوها وقرت لهم نوع من الاستقرار السياسي ومارسوا من خلالها قناعاتهم وتوجهاتهم الفكرية في المجتمع الجزائري وفي مواجهة الخصوم وعلى رأسهم الاستعمار الفرنسي.

<sup>1</sup> - علي الزيدي: دراسات في تاريخ التعليم بالبلاد التونسية في الفترة المعاصرة، منشورات الفارابي للدراسات والبدائل، صفاقس، 2014، ص 181-197.

<sup>2</sup> - الحبيب نورية، المصدر السابق، ص 124.



## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

مما سبق نستنتج أن:

- أن الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية تعتبر من الفترات الحاسمة في بروز الزيتونيين كقطب سياسي على الساحة الوطنية التونسية وتأثيرهم في مجرى الأحداث، حيث تحركوا سياسيا بقيادة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور بعد ترأسه للجمعية الخلدونية التي جعل منها منبرا وطنيا لزعماء الحركة الوطنية التونسية من خلال الاجتماعات والمحاضرات المكثفة تواريا مع نشاط وطلبة الزيتونة الوطني، وظهر ذلك جليا في مبادرة القادة الزيتونيين الشيخ الفاضل والشاذلي بن القاضي في دفع اللجنة المزدوجة المشكلة بين الدستور القديم والجديد على تحديد موعد انعقاد مؤتمر وطني يدعو إلى الاستقلال التام وتحديد مصير البلاد التونسية، وبالفعل انعقد مؤتمر ليلة القدر سنة 1946 وكانت مطالبه المطالبة بالاستقلال التام كأهم مطلب وطني تجمعت حوله كل القوى الوطنية، ورغم الاعتقالات والتضييق إلا أن المؤتمر قد نجح وحقق ما كانت تصبو إليه القوى الوطنية التونسية وكان من نتائجه انضمام الشيخين محمد الفاضل والشاذلي إلى قيادة الديوان السياسي ولذلك أسباب عدة منها احتواء الزيتونيين حتى لا ينفردوا بالزعامة السياسية على الساحة الوطنية التونسية.

- في نفس الوقت سعى الزيتونيون وطلبة وعلماء إلى الإسهام في تأسيس الاتحاد العام التونسي للشغل وإزاحة التيارات الشيوعية والاشتراكية، وكان لهم الفضل الأكبر في التوجه الأيديولوجي الإسلامي العربي لهاته المنظمة، وبرز الفاضل في نشاطات نقابية وسياسية عديدة على مستوى القطر التونسي سنوات 1945-1947 مما جعل القوى المناوئة وعلى رأسها الاستعمار الفرنسي والدستوري الجديد تعمل على مضايقته وإزاحته من الاتحاد العام التونسي للشغل، وأيضا فصله من الديوان السياسي هو والشيخ الشاذلي بن القاضي، ورغم ذلك فقد كان للزيتونيين دور في الحركة المنصفية باعتبار أن الباي محمد المنصف رجل وطني ولا بد من الدفاع عن أحقيته ورجوعه إلى العرش، كذلك تأسيسهم لجنة الدفاع عن فلسطين العربية وعملهم المكثف في جمع الأموال وتجنيد المتطوعين للجهاد في فلسطين.

- لكن قادة الحزب الدستوري الجديد تراجعوا عن فكرة الاستقلال التام وفتحوا قنوات تفاوض مع المستعمر الفرنسي بمطالب لا ترقى لطموحات الحركة الوطنية وعلى رأسهم الزيتونيون مما جعل الزيتونيين يدخلون معهم في صراع مجددا، وقد حاول الزيتونيون إنشاء حزب الدستور الإسلامي سنة 1948 بقيادة الفاضل والشاذلي وأسسوا سنة 1951 لجنة صوت الطالب الزيتوني التي ستقود المعركة الوطنية ضد الحكومة التفاوضية والدستور الجديد إلى غاية اندلاع المقاومة المسلحة سنة 1952، حيث ساهم طلبة الزيتونة في المقاومة المسلحة من سنة 1952-1954 بكل جهودهم حيث التحقوا بالجبال ومن بقي منهم ساند الحزب بالمظاهرات والاحتجاجات، والتي كانت أبرزها مظاهرات مارس 1954 حيث سقط عدد من الشهداء الزيتونيين وكان تأثيرهم الفكري الأيديولوجي واضحا على المقاومة التونسية حيث تبنت المبادئ الإسلامية في معركة التحرير التونسية.

- برجع المفاوضات الأخيرة من سنة 1954 إلى سنة 1956 تجدد الصراع مرة أخرى عندما انفصل صالح بن يوسف عن الحزب الدستوري ورفض مبدأ الاستقلال الداخلي وتحالف مع طلبة الزيتونة وخاضوا معارك سياسية وأيضا

## الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م

أحداث عنف واغتيالات، مما أجبر السلطات الفرنسية على التسليم باستقلال تونس التام سنة 1956 مما قوى جناح بورقيبة وكانت نهاية لجنة صوت الطالب الزيتوني مع نهاية اليوسفيين.

- لكن هذا لا يمنع أن طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين وخاصة الشق السياسي منهم كان له الفضل الأكبر والقسط الأوفر في تحقيق الاستقلال التام الذي طالبوا به منذ سنة 1946، وعملوا على تحقيقه والوصول إليه بفضل ضغوطهم ونضالهم المستمر وكانوا قوة سياسية وطنية على الساحة التونسية لا يستهان بها.

خاتمة

- على إثر كل ما جاء في هذه الأطروحة، توصل هذا البحث إلى عدة نتائج وهي:
- أنّ الاستعمار الفرنسي لكل من الجزائر وتونس اعتمد على سياسة الهيمنة الاستعمارية الاستيطانية بصرف النظر عن كيفية الوجود الفرنسي (غزو عسكري مسلح / غزو وحماية) لكل من الجزائر وتونس على التوالي.
  - أن السياسة الاستعمارية عملت على تقسيم المجتمع الجزائري والتونسي إلى مواطنين فرنسيين لهم كافة الحقوق والواجبات وسكان أصليين عليهم نفس الواجبات أو أكثر وليس لهم نفس الحقوق، حيث صادرت حرية الجزائريين والتونسيين في مجال الفكر والصحافة والسياسة ومحاصرة التعليم العربي ومحاربتة، حيث عملت هذه السياسة الاستعمارية على القضاء على البنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات المغاربية بغية تكوين طبقة برجوازية من الكولون.
  - لم نجد فرقا كبيرا في سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر وتونس وما شعار الحماية إلا مجرد ذريعة لاحتلال تونس في إطار المنافسة الأوروبية على المستعمرات الإفريقية، إلا أن الجانب الديني والتعليمي والثقافي بالنسبة لتونس فقد حافظت عليه مؤسساتها الدينية كجامع الزيتونة الذي أعطاها نوعا من الحماية في الدفاع عن هويتها ومقوماتها الحضارية عكس الجزائر التي حطمت كل مؤسساتها الدينية وحاصرت علمائها وهجرت أغلبهم.
  - إن ظهور حركة الإصلاح في الجزائر كانت بسبب عدة عوامل داخلية وخارجية أهمها رد الفعل إزاء السياسة الاستعمارية وظهور نخبة من العلماء في بداية القرن العشرين والذين درسوا خارج الوطن، وأغلبهم من خريجي الزيتونة والأزهر، والذين شرعوا في محاربة الطرقية والخرافات والبدع كونها أكبر أسباب التخلف والانحطاط، وتواكب ذلك مع ظهور صحافة وطنية سارت في نفس التوجه الفكري والإصلاحي، إضافة إلى الثورة التعليمية التي أحدثتها العلامة المصلح عبد الحميد بن باديس، كما كان للصحافة المشرقية دور في إيقاظ الحس الوطني والشعور بالانتماء للهوية العربية الإسلامية والتي نقلت أفكار الأفغاني وعبد الإصلاحي، إلا أن الفكر الإصلاحي الجزائري أخذ بعين الاعتبار الخصوصية الجزائرية التي تميزها عن المشرق العربي رغم التوافق في تبني العمل المرحلي والتدرج في التغيير الذي نادى به الشيخ محمد عبده.
  - أما الحركة الإصلاحية في تونس التي قادها طلبة وعلماء الزيتونة كانت سابقة عن نظيرتها في الجزائر، فبداية الإصلاح في تونس كانت عبارة عن إصلاح سياسي وهي دعوة إلى إصلاح نظام الحكم، حيث أن أفكار الأفغاني والشيخ محمد عبده تعتبر النفس الجديد الثاني الذي بث روح النهضة والإصلاح بعد النفس الأول الذي بثه الوزير خير الدين باشا والشيخ محمود قبادو، وعليه فالطلبة والعلماء الاصلاحيون في تونس هم الذين تبنا أفكار الوزير خير الدين والتفوا حول حركة العروة الوثقى للسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده.
  - وقد واكب هذا التطور الإصلاحي في تونس ظهور عدد معتبر من الصحف التونسية والنوادي والجمعيات الثقافية والطلابية الزيتونية كان لها الأثر البالغ في عملية الإصلاح.
  - وعليه فمظاهر التواصل الإصلاحي بين الجزائر وتونس تجلت في عدة جوانب كالتواصل الثقافي والمساهمة السياسية المتبادلة للنخب الإصلاحية في الجزائر وتونس.

## الخاتمة

- لقد كان نشاط طلبة وعلماء الإصلاح الجزائريين نشاطا متعدد الجوانب - خاصة منذ تأسيسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - يسعى إلى النهوض بالجزائر باستعمال كل الجهود والإمكانات المتاحة في ظل استعمار استيطاني حيث كانت أول جبهة ركزوا عليها وكانت من أولوياتهم هي الجانب الديني، حيث ركزوا على تقديم الإسلام الصحيح من الكتاب والسنة، وانطلقوا في ذلك من النشاط المسجدي حيث حاربوا كل عوامل مسخ وهدم الشخصية الإسلامية من إلحاد وتنصير وتجنيس، كما لم يتوانوا في محاربة الطرق الصوفية التي اعتبروها من أهم العوامل المساعدة على بقاء الاستعمار، وفي مجال التعليم والتربية والتي كانت من أهدافهم الملحة إصلاح عقلية الجزائريين حيث كانت جهود ابن باديس ومن معه لها بصمتها الواضحة في تربية وتعليم النشء من خلال تأسيس الجمعيات التربوية والمدارس الحرة، كما بذل الاصلاحيون في بني ميزاب مجهودات معتبرة في الجانب التعليمي والتربوي، وكانت المرأة المسلمة محل اهتمام من خلال تعليمها وترقيتها في المجتمع، كما اعتمدوا على النوادي الثقافية وأسسوا فرق الكشافة الإسلامية التي كانت برامجها مستوحاة من أفكار العلماء الإصلاحيين.

- أما نشاط طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين فكان أيضا متعدد الجوانب إلا أن الأولويات تختلف بين الجزائر وتونس، فمن حيث الجانب الديني ركزوا على تقديم صورة الإسلام الصحيح ولكن تيار إصلاحى زيتوني - يعرف بالمعتدل - لم يدخل في صراع مع الطرق الصوفية كما كان لعلماء الزيتونة الإصلاحيين مؤلفات دينية معتبرة ذات شأن كأمثال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ولكنهم في الجانب التعليمي والتربوي كانت أولوية الأولويات بالنسبة لهم هي مسألة إصلاح التعليم الزيتوني، وبذلوا جهودا معتبرة في هذا المجال خلال النصف الأول من القرن العشرين، كما ساهمت الجمعية الخلدونية في ترقية وتطوير التعليم الزيتوني، وكانت نظرهم إلى تعليم المرأة المسلمة التونسية تتطابق مع إخوانهم الإصلاحيين في الجزائر إلا أن بعض الزيتونيين المتحررين قد بالغ في نظرتهم إلى تحرر المرأة التونسية أمثال الطاهر الحداد وتجاوز في ذلك تحفظات زملائه الزيتونيين.

- لقد أدرك الاصلاحيون في الجزائر وتونس مدى أهمية النشاط الصحفي في محاربة الأوضاع الفاسدة وتبليغ الدعوة الإصلاحية ونشرها بين الناس، وكانت أبرز صحف العلماء المصلحين في الجزائر هي "المنتقد" "الشهاب" و"البصائر"، وأيضا صحف الميزابيين التي تزخر بالمواضيع الدينية والتربوية وتقدم وجهة نظر الحركة الإصلاحية السياسية والفكرية، أما طلبة وعلماء الزيتونة الاصلاحيون فكانت منهم نخبة لها قدم راسخة في مجال الكتابة الصحفية أمثال محمد السنوسي وابنه زين العابدين، ومحمد الجعايي، وعبد العزيز الثعالبي وغيرهم وكانت أهم صحفهم "المجلة الزيتونية" و"الإرادة" التي جعلوها لسان الحزب الحر الدستوري التونسي، وقد أحس الاستعمار الفرنسي بخطورتها فحاربها بشتى الوسائل وعطل أغلبها.

- إن النشاط السياسي للعلماء الإصلاحيين من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بات ملحوظا وفعالا على جميع الأصعدة، منذ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث تفاعلت مع أغلب القضايا الوطنية كأحداث قسنطينة 1934 ومجابهة القوانين الفرنسية ضد نشاطها الديني والتعليمي وتأثيرها على المنظمات الطلابية التي تبنت أفكارهم إلى توحيد القوى الوطنية السياسية في الجزائر من خلال المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، ومساهمتها السياسية في أغلب المواقف المطالبة الوطنية.

## الخاتمة

- أما طلبة وعلماء الزيتونة الاصلاحيين فقد كانوا ركيزة ودعامة كل النشاطات السياسية الوطنية التونسية منذ تأسيس الثعالبي للحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920 حيث دافعوا عن الهوية الوطنية، وكانوا قادة للحزب الدستوري ومؤطريه رفقة الثعالبي أمثال القليلي والمنستيري، وشاركوا من خلاله في مختلف الأحداث الوطنية الى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية 1945.
- أن وضعية كل من علماء وطلبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلماء وطلبة الزيتونة بعد الحرب العالمية الثانية ليس كقبلها من حيث التطور والتفاعل السياسي في كل من الجزائر وتونس، حيث كانت لمسة كل من قادة جمعية العلماء وعلى رأسهم ابن باديس والإبراهيمي لها الأثر البالغ في الساحة الوطنية، وهذا ما كان له أثر على بقية القادة والأعضاء والطلبة بعد ابن باديس (1945-1956)، إضافة إلى لمسة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور الذي كان سببا في استماتة الزيتونيين بالمطالب السياسية التحررية 1945-1956.
- أن الفكر الإصلاحي الجزائري بدأ يتبلور إلى الفكر التحرري الثوري ويتضح ذلك أكثر من خلال تفاعلها مع مختلف القضايا السياسية الوطنية وعدم مباركتها لفرنسا عشية الحرب العالمية الثانية ومشاركتها مع أحزاب الحركة الوطنية ضمن أحباب البيان والحرية سنة 1944 ثم مشاركتها في مظاهرات 8 ماي 1945 المطالبة بالاستقلال والحرية، التي تعتبر كآخر اختبار للاستعمار الفرنسي في مسيرة الحركة الوطنية السلمية رغم أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال قادتها ابن باديس والإبراهيمي قد تأكدوا وحسموا أمرهم من أنه لا جدوى من مجارة الاستعمار الفرنسي، وأيضا رفضها لدستور 1947 ثم انحراطها في جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951 لرفض نتائج انتخابات 1951 المزورة، وطرحها لقضية فصل الدين عن الحكومة الفرنسية باعتباره يخص الجزائريين المسلمين وحدهم بالضغط على النواب الجزائريين لطرح القضية على الجمعية الوطنية وتبني مطلب فصل الدين عن الحكومة الفرنسية، وقد نجحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال إستراتيجية كسب واحتواء النواب واستعمالهم في معاركها السياسية ضد الحكومة الفرنسية.
- إن اهتمام الإصلاحيين الجزائريين بالسياسة دعت إليه الحاجة وفق منهجية المرحلية في النضال ضد الاستعمار فهو ليس غاية أو هدفا في حد ذاته بل كان وسيلة قدرتها بقدرها فكانت مناداتها بتحرير العقول بداية لأجل تحرير الأبدان لتصل من خلال التدرج في العمل السياسي إلى النتيجة الحتمية والتي عبر عنها ابن باديس عن قناعة ويقين حيث قال "والله لو وجدت عشرة من عقلاء الجزائر يوافقوني على إعلان الثورة لأعلنتها". ولعل هذه المقولة أكبر دليل على الفكر الثوري التحرري للإصلاحيين الجزائريين.
- لقد عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتحقيق الغاية من النضال السياسي حين نادى بتوحيد الجهود ضد فرنسا إذا ما أراد الشعب إلغاء الهيمنة الاستعمارية، فلما اندلعت الثورة التحريرية أعلنت جمعية العلماء في الخارج موقفها الصريح بتبني الثورة ضد فرنسا على لسان رئيسها الشيخ الإبراهيمي رغم التريث المؤقت في الجزائر إلى غاية جانفي 1956 حين قرر المجلس الإداري للجمعية الإعلان الصريح لمشاركة الجمعية في الثورة التحريرية، فكان أعضاء جمعية العلماء وطلبتها في الداخل والخارج يقومون بأدوار ريادية على المستوى الحربي والدبلوماسي كان له أثر كبير في مساندة الثورة حتى تحقق النصر. وأيضا تجلي تأثيرهم الفكري الإسلامي في مبادئ الثورة وأخلاق قادتها ومجاهديها.

## الخاتمة

- من جهة أخرى فالحركة الإصلاحية بتونس بقيادة الزيتونيين وعلى رأسهم الشيخين محمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي من خلال مواقفهما الريادية على رأس جمعية الخلدونية التي كانت منبرا وطنيا هاما في الحركة الوطنية التونسية على غرار الدستوريين (القديم أو الجديد) حينما دعاهم الزيتونيون إلى عقد مؤتمر وطني للمطالبة بالاستقلال التام عن المستعمر الفرنسي وإلغاء الحماية، فكان مؤتمر ليلة القدر رمضان 1946م بمثابة المنطلق أو المسار الجديد، بالإضافة إلى دور الزيتونيين في إنشاء الاتحاد العام التونسي للشغل بمنح الفاضل بن عاشور الرئاسة الشرفية بداية من 1945.
- لاقى العلماء والطلبة في الجزائر وتونس على حد سواء العراقيل والصعوبات في سيرورتهم النضالية التحررية من خلال بروز تيارات تعريبية على غرار الحزب الدستوري الجديد بزعامة بورقيبة في تونس والاندماجيين والشيوخيين في الجزائر فتم التضيق على الفاضل بن عاشور وفصله من الاتحاد العام التونسي للشغل وأيضا من الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد بجمعية الشاذلي بن القاضي، والتضييق على قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال سن فرنسا القوانين لمحاربة الإصلاح فكان أولها القانون الخاص بالنوادي، ثم قانون شوطان الخاص بالمدارس العربية الحرة، إضافة إلى السجن تارة والإقامة الجبرية تارة أخرى.
- فكان ردّ الزيتونيين على الحزب الدستوري الجديد محاولة تأسيس حزب الدستور الإسلامي في 1948 بقيادة محمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي، كما أسسوا سنة 1951 لجنة صوت الطالب الزيتوني التي كانت لها دور كبير في المقاومة التونسية المسلحة ضد فرنسا بداية من 1952 إلى غاية 1954، فالتفت الكثير منهم بالثورة في الجبال والقرى، والباقي في المدن بإقامة الاحتجاجات والمظاهرات على غرار مظاهرات مارس 1954 التي أُسْتُشْهَد فيها عدد من الطلبة الزيتونيين، وأيضا تجلّى تأثيرهم الفكري الإسلامي في واقع المقاومة المسلحة التونسية ومبادئها وأخلاق رجالها.
- تفاعل طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين مع القضايا السياسية التونسية على غرار قضية محمد المنصف باي تونس الذي تم عزله ونفيه فقد طالب علماء وطلبة الزيتونة بإلغاء النفي وإعادته بصفته الحاكم أو الباي الشرعي لتونس، كما طالبوا بإلغاء الحكم الاستعماري القهري في إطار تحقيق تقرير مصير الشعوب نفسها بنفسها.
- رغم انشغالها بالقضايا الوطنية لكنها لم تتوان بالاهتمام ببعض القضايا العربية الإسلامية وعلى رأسها قضية فلسطين التي عملت على مساندتها ماديا وبشريا ومعنويا، وهذا ما قامت به جمعية العلماء في الجزائر كذلك؛ باعتبارها قضية تتعدى القطر الفلسطيني كونها رمزا مقدسا لدى المسلمين.
- أن الخلاف بين اليوسفيين والبورقيبيين حول قضية الاستقلال الداخلي (الذاتي) كانت تُغذّي الأفكار الزيتونية، فأنحاز الزيتونيون إلى صالح بن يوسف ضد موقف بورقيبة المناادي بالاستقلال الداخلي بين (1954-1956).
- أنّ الصراع السياسي بين قادة الحزبين الدستوري (القديم والجديد) وانضمام الطلبة الزيتونيين إلى صف اليوسفيين كان له أثر من حيث الاغتيالات والاعتقالات، فكانت نهاية لجنة صوت الطالب الزيتوني بنهاية اليوسفيين، إثر استقلال تونس التام سنة 1956 وظهور بورقيبة كبطل قومي تونسي، لكن هذا لا يمنع أن طلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين وخاصة الشق السياسي منهم كان لهم الفضل الأكبر والقسط الأوفر في تحقيق الاستقلال التام الذي طالبوا به منذ

## الخاتمة

1946، وعملوا على تحقيقه والوصول إليه بفضل ضغوطهم ونضالهم المستمر وكانوا قوة سياسية وطنية على الساحة التونسية لا يستهان بها.

- أن الفكر الإصلاحى سواء فى تونس أو فى الجزائر من خلال العلماء والطلبة رغم بعض التباينات فى العمل والواقع الاستعماري فإن أهدافهم وغاياتهم كانت شبه متطابقة بالتفاعل السياسي لأجل تحقيقها خصوصا الحرية والاستقلال سواء بالعمل الجمعي/السياسي أو بالنضال الثوري.

وصفوة القول أن الطلبة والعلماء الإصلاحيين فى الجزائر وتونس يعدون فى رأينا من الماهدين الحقيقيين للعمل الوطني والنضال التحرري وحق علينا إبراز دورهم ونضالهم فى سبيل الدفاع عن المجتمع والأمة الجزائرية/التونسية أمام تسلط القوة الاستعمارية الغاشمة.



الملاحق

الملاحق  
فهرس الملاحق

الصفحة	العنوان
455	الملحق رقم 01: تقرير حول الطريقة الرحمانية
456	الملحق رقم 02: تقرير حول الطريقة التيجانية
457	الملحق رقم 03: تقرير حول الطريقة القادرية
458	الملحق رقم 04: تقرير حول طريقة أولاد الشيخ، والطريقة السنوسية
459	الملحق رقم 05: تقرير حول الصراع بين الإصلاحيين واتباع الطريقة العليوية
460	الملحق رقم 06: قائمة مسيري مدرسة التهذيب التابعة لجمعية العلماء المسلمين بتبسة سنة 1939
462	الملحق رقم 07: المدارس القرآنية في تبسة سنة 1943
463	الملحق رقم 08: تعرض الشيخ محمد شاکر للزوايا
464	الملحق رقم 09: توقيف الشيخ محمد شاکر عن التدريس
465	الملحق رقم 10: حملة ضد الشيخ محمد شاکر لتعرضه للزوايا
466	الملحق رقم 11: مقال محمد الشاذلي بن القاضي حول الجامعة الزيتونة
467	الملحق رقم 12: مقال محمد المختار بن محمود حول جامع الزيتونة
468	الملحق رقم 13: تقرير حول النشاط السياسي للمدرس الشيخ علي بن براهيم بن بوعثمان وانتمائه للحزب الدستوري
469	الملحق رقم 14: قرار تحويل الشيخ علي بن براهيم بن بوعثمان إلى أحد فروع الجامع الأعظم بمنزل تميم
470	الملحق رقم 15: النشاط السياسي للزيتونيين أثناء الحرب العالمية الثانية
471	الملحق رقم 16: اجتماع سري لطلبة زيتونيين أثناء الحرب العالمية الثانية
472	الملحق رقم 17: بيان مكتب جمعية العلماء بالقاهرة 3 نوفمبر 1954
474	الملحق رقم 18: بيان مكتب جمعية العلماء بالقاهرة 11 نوفمبر 1954
476	الملحق رقم 19: بيان مكتب جمعية العلماء بالقاهرة 15 نوفمبر 1954
481	الملحق رقم 20: بيان جبهة تحرير الجزائر سنة 1955
483	الملحق رقم 21: البيان الحاسم لجمعية العلماء لتأييد الثورة جانفي 1956
484	الملحق رقم 22: شهادة الاعتماد كقاضي من طرف الثورة للشيخ أحمد باشا
485	الملحق رقم 23: جمع الاشتراكات المالية وإعانة عائلات شهداء
486	الملحق رقم 24: شهادة إثبات وتقدير من قيادة الثورة للشيخ أحمد باشا لقيامه بالدعاية لصالح الثورة

## الملاحق

487	الملحق رقم 25: تعليمات الثورة بخصوص القضاء إلى القاضي احمد باشا
488	الملحق رقم 26: مراقبة النشاطات السياسية داخل المساجد (مسجد الصفصاف بالمرسى)
489	الملحق رقم 27: مراقبة النشاطات السياسية للزيتونيين
490	الملحق رقم 28: اجتماع سياسي للزيتونيين بالخلدونية
491	الملحق رقم 29: صور لنشاطات سياسية ونقابية للشيخ محمد الفاضل بن عاشور
492	الملحق رقم 30: الإجراءات الأمنية لمنع الاجتماعات السياسية في المساجد (مجاز الباب)
493	الملحق رقم 31: الإجراءات الأمنية لمنع الاجتماعات السياسية في المساجد (عين دراهم)
494	الملحق رقم 32: اتهام الشيخ مصطفى بن علي المدرس بجامع الأغزاز بالانتماء للمقاومة وعزله من منصبه
499	الملحق رقم 33: صور شهداء الطلبة الزيتونيين في مظاهرات مارس 1954

## الملاحق

### الملحق رقم 01: تقرير حول الطريقة الرحمانية

12.-

Deux Cheikhs prétendent au titre de Chef de la confrérie :

- à Guelma, ZOUANI Mohamméd qui groupe quelques centaines d'affiliés

- à Koléa, SOUSSI Bachir qui compte des adeptes dans l'Ouest algérois, l'Oranie et même au Maroc.

Le loyalisme des Ammaria est certain.

#### 3° ) - RAHMANIA

Cette confrérie est la plus importante d'Algérie, avec plus de 200.000 adeptes. Les Rahmania sont surtout nombreux dans les régions où l'élément berbère prédomine, en Kabylie notamment.

La confrérie fut fondée vers 1750 par un Kabyle, SI MOHAMMED BEN ABDERRAHMANE, dit "BOU KOBRINE" ( l'homme aux deux tombeaux ), car, selon la tradition, il inhumé à la fois aux Ait Smail, près de Dra-el-Mizan, et " Cimetière du Marabout " à Alger-Belcourt.

Sa doctrine est l'anéantissement corporel par la purification de l'âme.

Les Rahmania furent jadis les défenseurs de l'indépendance berbère contre les Turcs, puis contre les Français. Le soulèvement de 1871, en liaison avec le Bacha MOKRANI, fut suscité par le Cheikh EL HADDAD, de Seddouk ( vallée de la Soummam ).

L'obéissance absolue au cheikh, un fanatisme exalté, caractérisèrent longtemps la confrérie.

#### Principales Zaouïas :

- Zaouïa d'EL HAMEL ( près de Bou Saada ), 2 tolba. Quelques 43.000 adeptes. (cheikh KASSIMI Mostéfa )

- Zaouïa d'Aïn-el-Ars (C.P.E. Oued Athménia) plus importante du Constantinois (cheikh BELHAMLAOUI Amor)

- Zaouïa du Boulevard Bru à Alger (cheikh : CHEIKH Chérif ). Quelques 15.000 adeptes kabyles.

Nombreuses autres zaouïas réparties dans l'Algérois et le Constantinois, surtout en Kabylie, souvent avec écoles coraniques.

La répartition des adeptes est approximative la suivante:

Département d'Alger	:	70.000
" d'Oran	:	1.500

## الملاحق

### الملحق رقم 02: تقرير حول الطريقة التيجانية

13.-

Département de Constantine : 80.000  
Territoires du Sud : 85.000

#### 4° ) - TIDJANIA

Cette confrérie fut fondée à Aïn-Madhi (près de Laghouat) par le Chérif SI AHMED TIDJANI (1737-1815). Elle est de tendance modérée : peu de cérémonies, rituel simple. Tolérante, elle admet que les infidèles puissent être l'objet de la miséricorde de Dieu; mais elle est intransigeante sur la discipline intérieure.

Les successeurs du Cheikh étendirent l'influence de la confrérie au Maroc, en Afrique Noire, en Arabie, et jusqu'en Turquie. Ils instituèrent, au temps des caravanes, de véritables relais dans leurs zaouïas, qui enrichirent la confrérie.

Deux zaouïas-mères, indépendantes l'une de l'autre, furent créées :

1°/ AIN-MADHI (près de Laghouat) compte 15.000 fidèles seulement; elle rayonne cependant jusqu'au Maroc et en Afrique Noire.

En guerre avec le Dey d'Alger, puis avec l'Emir Abdelkader, les chefs de cette zaouïa accueillirent les Français. Le petit fils du Cheikh AHMED épousa en 1872 Aurélie PICARD, qui fut la première Française à pénétrer au Sahara.

Chef actuel : TIDJANI Tayeb. Khalifa : TIDJANI

Amor.

2°/ TEMACINE, près de Touggourt, (quelque 40.000 adeptes), dont l'influence s'exerce sur les Touareg Ifoghas, facilita notre pénétration au Hoggar à la fin du siècle dernier. Chef actuel : TIDJANI Ahmed, délégué à l'Assemblée Algérienne.

#### 5° ) - DERKAOUA

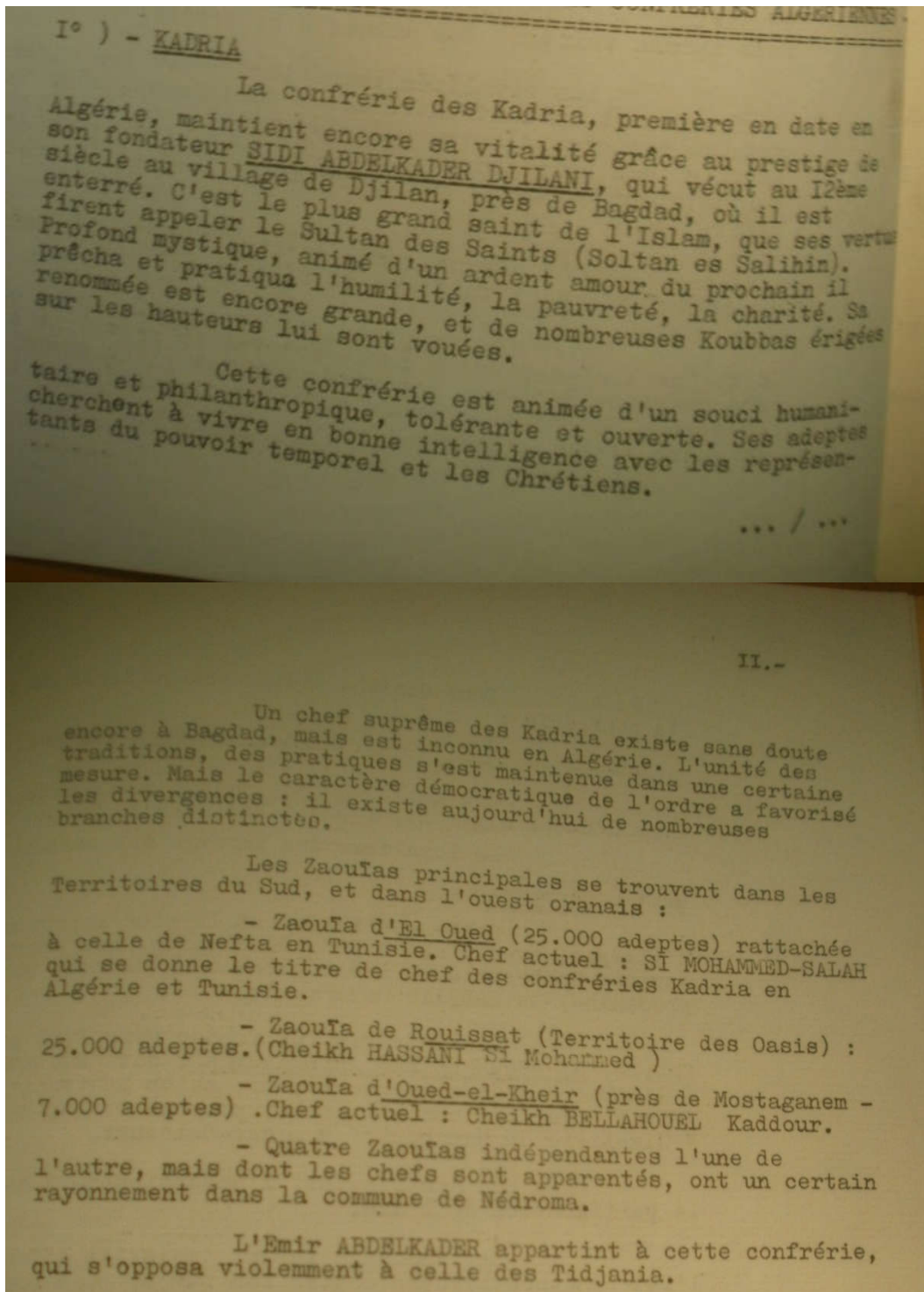
La confrérie des Derkaoua, dérivée de l'ordre des CHADOULIA est très nombreuse au Maroc. Son fondateur MOULAY LARBI DERQAOU, mort en 1827, avait adopté une discipline ascétique, et son influence s'étendit rapidement sur une importante partie de l'Algérie.

Les Derkaoua se sont souvent faits les champions du particularisme berbère, refusant toute autorité étrangère. Ils prêchent l'abandon de l'être à Dieu par des prières à toute heure et en tout lieu. MESSALI fut élève

... / ...

## الملاحق

### الملحق رقم 03: تقرير حول الطريقة القادرية

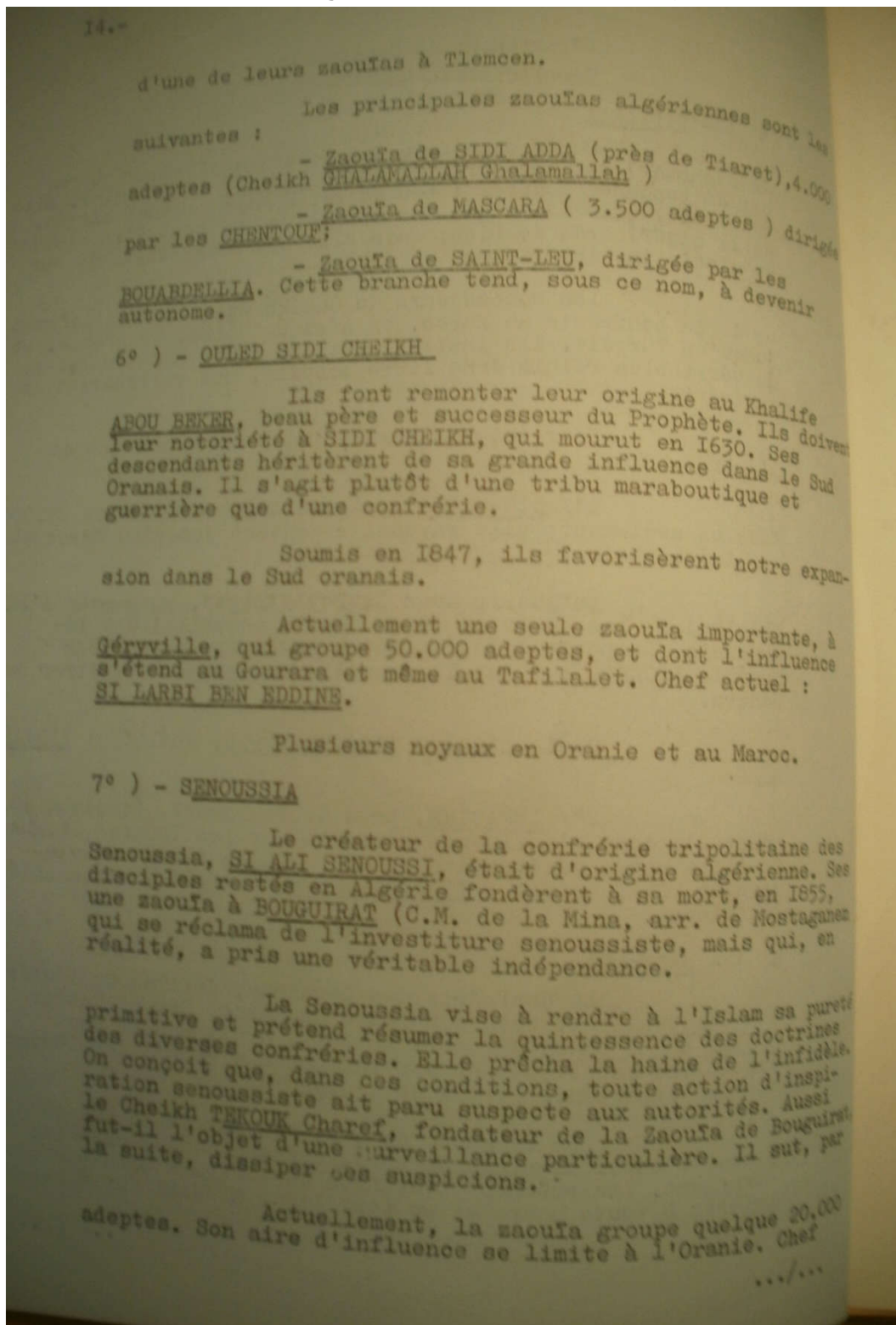


المصدر: C.A.O.M, S.L.N.A, C.G.A, Boite n°93/4491, Op Cit, PP10-11



## الملاحق

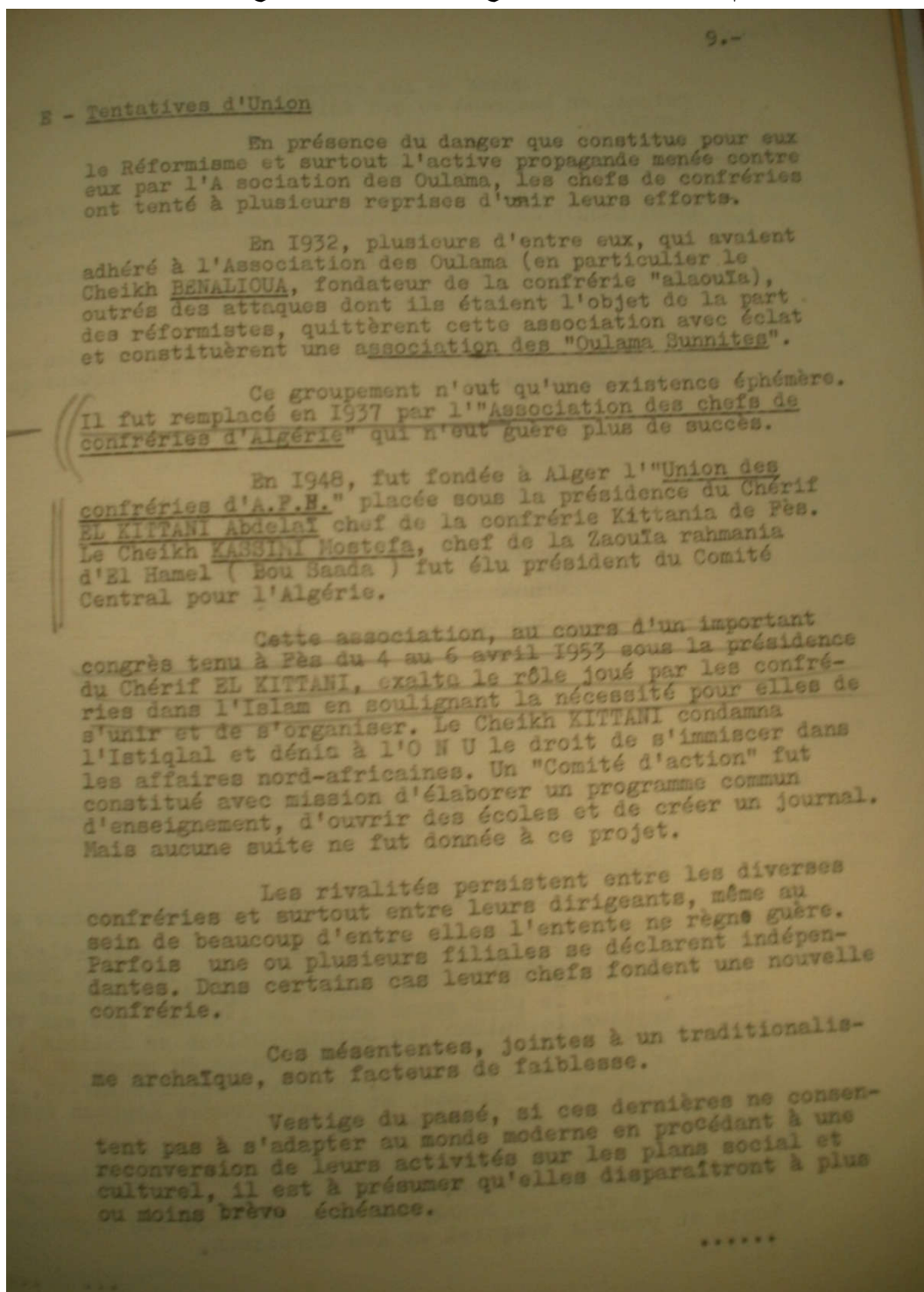
الملحق رقم 04: تقرير حول طريقة أولاد الشيخ، والطريقة السنوسية



المصدر: P14 Op Cit, 93/4491 Boite n° C.G.A, S.L.N.A, C.A.O.M

## الملاحق

الملحق رقم 05: تقرير حول الصراع بين الإصلاحيين وأتباع الطريقة العليوية



المصدر: C.A.O.M, S.L.N.A, C.G.A, Boite n°93/4491, Op Cit, P9



الملاحق

الملحق رقم 06: قائمة مسيري مدرسة التهذيب التابعة لجمعية العلماء المسلمين بتبسة سنة 1939

ALGERIE  
Département de Constantine

REPUBLICQUE FRANÇAISE  
Tébessa, le 15 juin 1939

MAIRIE  
DE  
**TÉBESSA**  
N° 1333

OBJET :  
Ecoles coraniques

Le Maire de la Commune de Tébessa  
à Monsieur le Préfet

Affaires Indigènes

CONSTANTINE

*Mak*

En réponse à votre communication du  
29 mars 1939, N° 3879, j'ai l'honneur de vous adre-  
ser ci-inclus l'état demandé.

Maire,  
*Meliny*



المصدر : Op cit, Boite n11, Archive de Constantine

BULLETIN DES MOUVEMENTS SCOLAIRES COMME RÉSULTAT DU MOUVEMENT DÉPARTÉMENTAL

Centre et nom de l'école	Nom du Directeur	Nombre d'élèves	Date de l'autorisation préfectorale	Situation actuelle Janvier 1939	Observations
<p style="text-align: center;"><u>TEBESSA</u></p> <p>Kedersa</p>	<p>DJADRI Larbi (1)</p> <p>DERBASSI Sadek</p> <p>ALIO Maamar</p> <p>GUERRI Chafai</p>				<p>(1) dit Larbi Tebessa dossiers transmis le 3.6.1935</p>

المصدر: Archive de Constantine, Boite n11, Op cit :

الملاحق

الملحق رقم 07: المدارس القرآنية في تيسة سنة 1943

M. A.

Département de Constantine Tébessa, le 8 décembre 1943

COMMUNE MIXTE  
de  
**TÉBESSA**  
N° 6852

L'Administrateur Principal de la  
Commune Mixte de Tébessa

à Monsieur le Préfet-Affaires Musul-  
manes

CONSTANTINE

OBJET = Ecoles Coraniques

REFERENCE = Votre circulaire dans date ,n°I96I -  
A.M.2.

AMZ

En réponse à votre circulaire citée en  
référence, j'ai l'honneur de vous faire connaître  
qu'à la date de ce jour cinquante six Ecoles Cora-  
niques fonctionnement sur le territoire de ma Commu-  
ne.

L'Administrateur Principal,

IMP. A. MAUGUEN

PRÉFECTURE CONSTANTINE  
ARRIVÉE  
14 DEC 1943  
N°

المصدر: Archive de Constantine, Boite n11, Op cit



## الملاحق

الملحق رقم 08: تعرض الشيخ محمد شاكر للزوايا

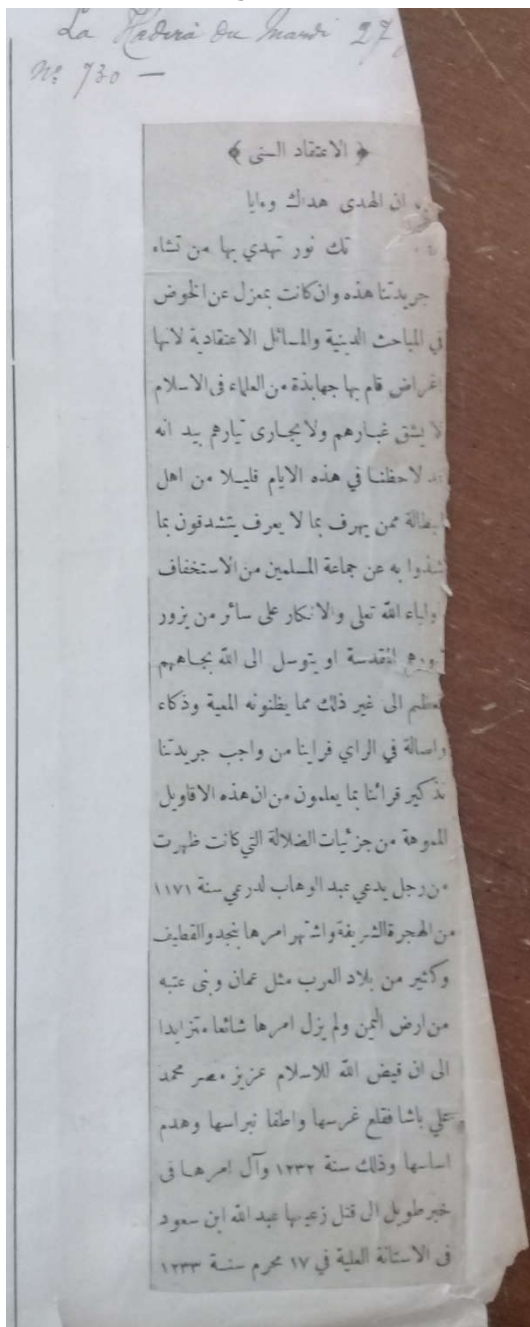
هذا وما التعرب باضحة الاولياء بالذبايح  
فاسمعنا وما راينا من سعي عند الذبح اسم  
ذاك الولي حتى يكون ذلك مما اهل لعير الله  
به وقصارى الامر ان الفاعل لذلك يقصد  
الهدية او الصدقة بذلك اللحم المذكى على من  
يتاب ذلك الضريح من الفقراء وذلك جائز  
بدون امتراء وخلاصة الامر ان هذه الطائفة  
التي قد استنصل الله شافقها رانسى خرافتها  
التبس عليها تميم معنى العبادة والمر الذي  
كلف الله تعالى به عباده قال القاضي ناصر  
الدين البيضاوي والعبادة اقصى غاية  
الخشوع والتذلل ومنه طريق مبدى اي مذل  
وثوب ذو عبده اذا كان في غاية الصفاة ولذلك  
لا تستعمل الا في الخشوع لله تعالى ويتبين من  
كلام غير واحد من العلماء ان العبادة الشرعية  
هي التكاليف التي اشتمت عليها الشريعة كالصلاة  
والحج ونحوهما ومعلوم ان اقصى غاية الخشوع  
لا تكون الا لمن يعتقد فيه التأثير الحقيقي وهو  
الله وحده وما راينا ان زائر الاولياء يخضع  
خشوع الراكع او الساجد هذا لا وجود له  
ولو وجد لا نكره جهلة العامة فضلا عن خاصة  
العلماء والمتسبين الى العلم  
هذه شذرات التقطناها من معادنها على  
وجه من الاختصار لائق بهذه الصحيفة لا  
نقصد به الا ايضاح الحقيقة وان الذي سرى  
لبعض الاوهام في هذه الايام قد كان نبذ  
بالعراء وهو سقيم والله يهدي من يشاء الى  
صراط مستقيم

المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، المحافظة 50، المصدر السابق



## الملاحق

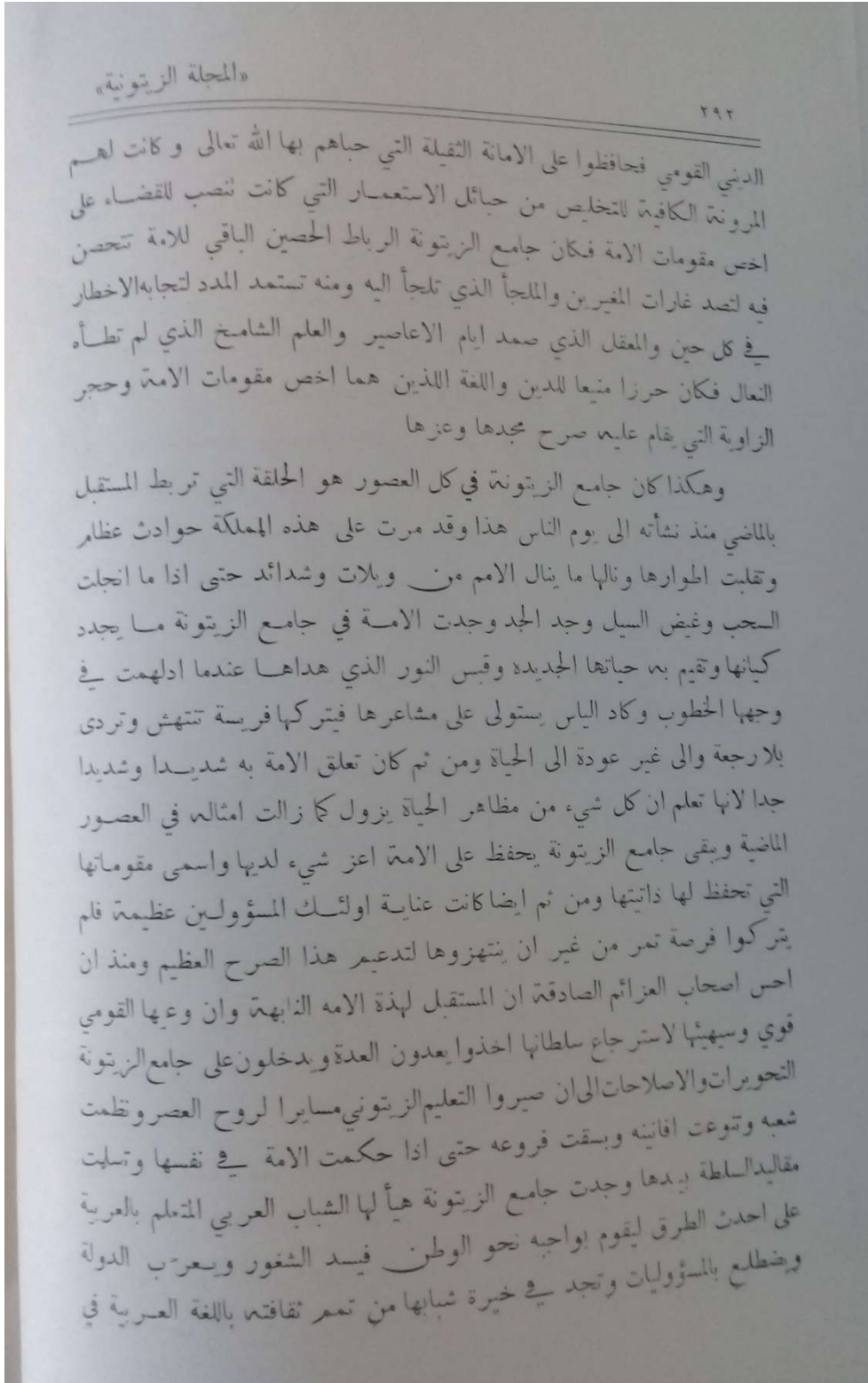
الملحق رقم 10: حملة ضد الشيخ محمد شاکر لتعرضه للزوايا



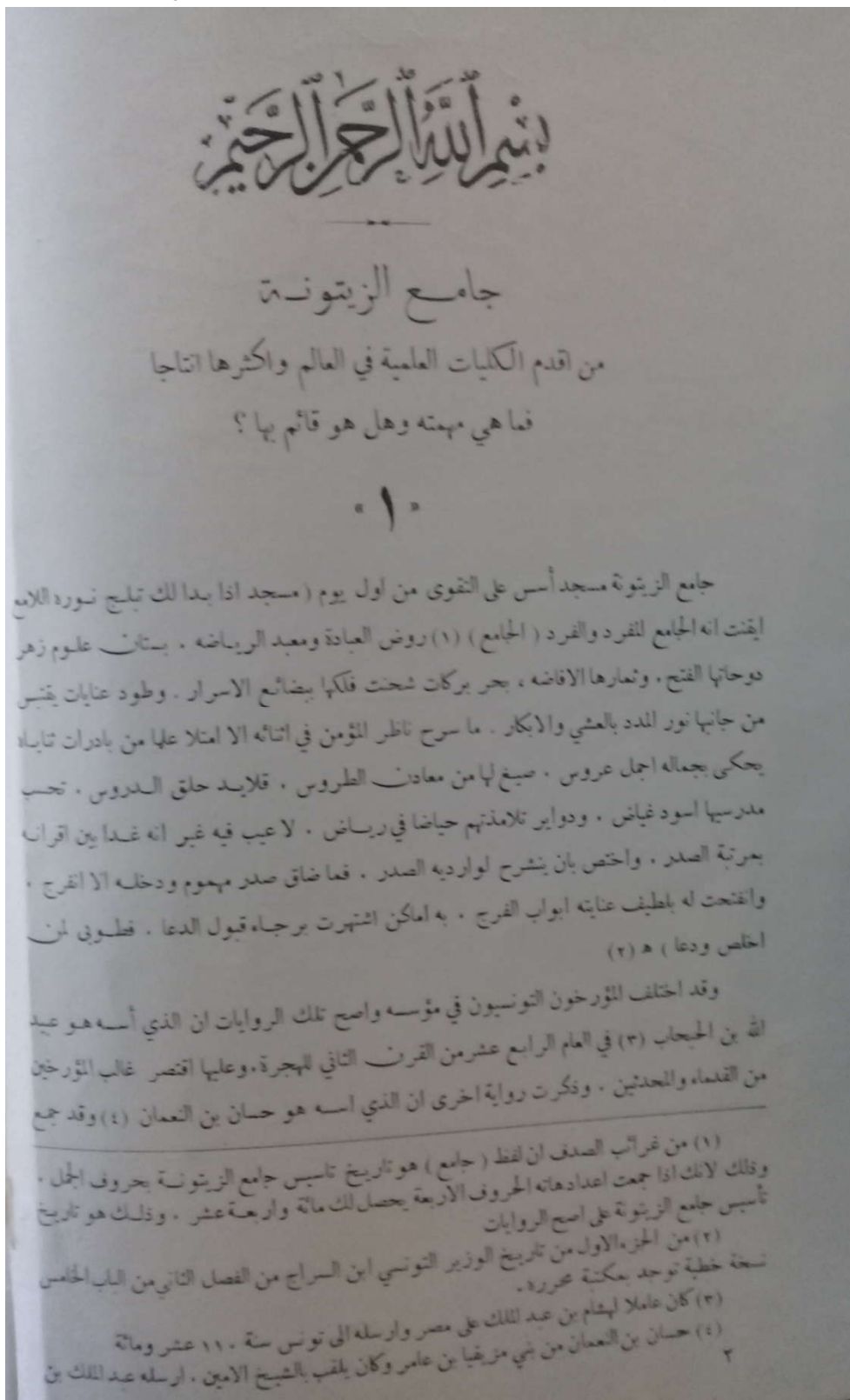
المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة D، المحافظة 50، المصدر السابق

## الملاحق

الملحق رقم 11: مقال محمد الشاذلي بن القاضي حول الجامعة الزيتونة



المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزينة العامة للمحفوظات، دو2، المجلة الزيتونية، ج6، مج9، ص289

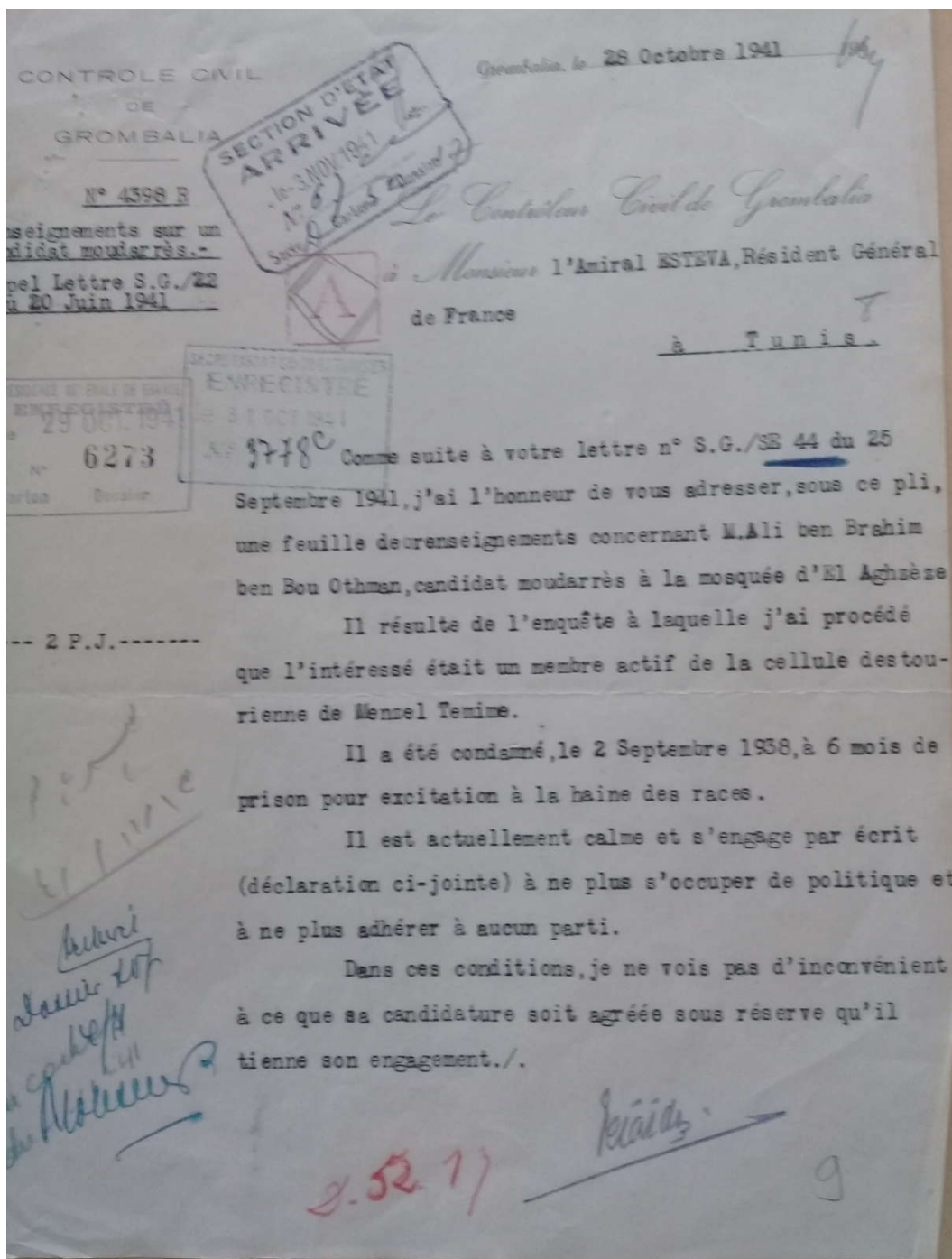


المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزينة العامة للمحفوظات، دو2، المجلة الزيتونية، ج2، مج2، ص250



## الملاحق

الملحق رقم 13: تقرير حول النشاط السياسي للمدرس الشيخ علي بن براهيم بن بوعثمان وانتمائه للحزب الدستوري



المصدر: المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، رصيد الفترة الاستعمارية، السلسلة D، الحافظة 52، المصدر السابق

الملاحق

الملحق رقم 14: قرار تحويل الشيخ علي بن ابراهيم بن بوعثمان الى أحد فروع الجامع الأعظم بمنزل تميم

الحماية الفرنسية  
الحكومة التونسية  
الوزارة الكبرى للكتابة العامة  
دارة جمعية الاوقاف  
عدد 5000  
(1)  
قسم الكتابة

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الشيخ علي بن ابراهيم بن بوعثمان

جناب الصرور السهام الصالح المرحوم امير اوقافنا السيد مصطفى الكفاك الوزير  
الكبير اذ ام الله اجداله وحرس كماله اما بصراحتهم السلطنة الثلاثين بطل الافاق وبفسر  
كان ورد كتاب الجناب ٢٨٠٠ في تاريخ ١٧ ربيع و ١٢ اوتيل ١٩٤٢ في  
الاعلام بولاية الزكور اعملاء مدرسنا بجامع حمام لانغرا من عملنا بل وتسلم  
الجناب ان نائب اوقاف بناهل عمر اخيرا بيان البررس المذكور انفضل  
للتربيس بجامع منزل تميم بموجب رخصة من مشيخة الجامع واعلم  
تصل الجناب نسخة من الرخصة المذكورة صحبة هذا البلاط علىها والاذن  
بارجاعتها مع ضرور اذ ان بما يحتمر في المسألة والديور بر عزمك ومجركم والسلام  
من العفبر الى ربك تصلي امير اوقافنا المشيخي بن خليفه رئيس جمعية اوقاف  
عيسى عند وكتب في ربيع و ١٢ ربيع ١٩٤٨

المصدر: المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، رصيد الفترة الاستعمارية، السلسلة D، الحافظة 52، المصدر السابق

الملاحق

الملحق رقم 15: النشاط السياسي للزيتونيين اثناء الحرب العالمية الثانية

SERVICES DE SECURITE  
Ville de TUNIS.  
Commissariat de Police  
du 3° Arrondissement/  
-:-:-:-:-:-:-:-:-:-

TUNIS, le 3 Avril 1941

Le Commissaire de Police  
du 3° Arrondissement

N° 2420

à Monsieur le Commissaire Central  
à TUNIS.

ARCHIVES GENERALES

J'ai l'honneur de vous rendre compte que ce matin, vers 10 heures, au cours d'une tournée, l'Inspecteur SAMMUT, de mon service, a découvert, Rue Ettroudi, Impasse Ben Zina, sur l'immeuble portant le n° 1, une inscription au charbon, rédigée en français, longue de 1m50, haute de 10cm environ, p Cette inscription mentionnait:

"Les Juifs et les Français à la porte, Vive la TUNISIE libre"

L'inspecteur SAMMUT a effacé lui-même, aussitôt, cette inscription. /.

Commissaire de Police.

**Destinataires:**  
M. le Préfet, Directeur  
des Services de Sécurité  
M. le Général, C.S.T.T.  
(Bureau M.A.)

298 D/A

SOIT TRANSMIS à Monsieur le Préfet, Directeur  
des Services de Sécurité à Tunis (P.A.)

TUNIS, le 3 AVR 1941  
Le Commissaire Central

2  
GR  
PA  
DIRECTION SURETE  
N°  
4 AVR 1941  
PENSEES  
GENERAL  
TUNIS  
COMMISSARIAT DE LA POLICE - 1  
TUNIS  
70  
b

المصدر: المصدر: A.N.T, M.N, Carton 51, Dossier n°1, Op Cit

الملاحق

الملحق رقم 16: اجتماع سري لطلبة زيتونيين أثناء الحرب العالمية الثانية

T.15

Tunis, le 3 Janvier 1941

ARCHIVES GENERALES

Une réunion de la Jeunesse Destourienne a eu lieu le 31 Décembre à 19 h.45 à la Mederssa El Achouria, rue Achour dans la chambre d'un étudiant de la Grande Mosquée, nommé KHALIFA EL HAMMI.

Etaient présents à cette réunion les nommés :  
MOHAMED SADOK KARMA, étudiant à la Grande Mosquée  
AMEUR ben MOHAMED ABID, étudiant originaire de Sfax  
BELHASSIN ben BAKAR HANACHI  
MOHAMED HADI S'DERI  
HADI MAKHLANF, étudiant originaire de Sfax  
BOUBAKER ben BACHIR, Tunis  
ALI ben YOUSSEF, Tunis  
SADOK ben MOHAMED.

Au cours de cette réunion il a été décidé que chaque membre présent devait rechercher leurs amis destouriens de passage dans la capitale afin de prendre contact avec eux et au besoin les retenir à Tunis sous prétexte qu'il y aura des communications importantes à leur donner afin qu'elles soient diffusées par eux dans leurs centres respectifs./.

Signé: TABKA.

ARCHIVES GENERALES

المصدر: المصدر: A.N.T, M.N, Carton 51, Dossier n°1, Op Cit

## إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم

حياة أو موت = بقاء أو فناء

نشر في حينه بالجرائد المصرية وغير المصرية 3 نوفمبر سنة 1954

حياكم الله أيها الثائرون الأبطال، وبارك في جهادكم، وأمدكم بنصره وتوفيقه، وكتب ميتكم في الشهداء الأبرار، وحيثكم في عباده الأحرار.

لقد أثبتتم بثورتكم المقدسة هذه، عدة حقائق:

الأولى: أنكم سفهتم دعوى فرنسا المفترية، التي تزعم أن الجزائر راضية مطمئنة، فأريتموها أن الرضى بالإستعمار كفر، وأن الإطمئنان لحكمه ذل، وأن الثورة على ظلمها فرض.

الثانية: إنكم شددتم عضد إخوانكم المجاهدين في تونس ومراكش، وقويتهم آمالهم في النصر، وثبتتم عزائمهم في الجهاد، وقد كان من حقهم الثابت، أن ينتظروا هذه النجدة منكم، فجئتم بها في وقتها، وكفرتهم عن التقصير في هذه المباغثة المفزعة لعدوكم.

الثالثة: إنكم وصلتم بثورتكم هذه، حلقات الجهاد ضد المعتدين الظالمين، الذي كان طبيعة دائمة في الجزائري منذ كان، وكشفتهم عن حقيقته الرائعة، في إباء الضيم، والموت في سبيل العزة، وجلوتم عن نفسيته الجبارة، ما علق بها في السنين الأخيرة من صدأ الفتور.

المصدر: الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص170



الرابعة: إنكم بيضتم وجوها، وأقررتم عيوننا، وسررتم نفوسنا، مملوءة بحبكم، معجبة بصفحاتكم القديمة، في الجهاد راثية لحالتكم الحاضرة.

### أيها المجاهدون الأحرار:

إن فرنسا لم تترك دينا ولا دنيا، فأوقافكم مصادرة، لم يبق منها أثر ولا عين، ومساجدكم حولت إلى كنائس، ومرافق عامة، وأرضكم الغنية مغضوبة، مستباحة، وكرامتكم مهدورة، وقد أراقت فرنسا من دماء أبنائكم أنهارا، في الحروب الاستعمارية الإجرامية، ولا تزال حتى الآن تطمع في تسخير الملايين منكم، لإذلال الأحرار من أمثالكم، كما فعلت في مدغشقر والهند الصينية، ولا تزال تساوم بكم، وبخيرات أرضكم، الدول الكبرى لمصالحها، كأنكم ضرب من البضاعة، ولقد عرفنا من خبث فرنسا، ما يحملنا على الاعتقاد، بأن ما تنويه من غدر، وما تخفيه من خبث فرنسا، ما يحملنا على الاعتقاد، بأن ما تنويه من غدر، وما تخفيه من حقد، أعظم من أن يوصف، فانتبهوا أشد الإنتباه.

أيها الأحرار الجزائريون - أيها المكافحون في جميع أقطار المغرب العربي.

إعلموا.. أن الجهاد للخلاص من هذا الإستعباد، قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا، فرضه عليكم دينكم، وفرضته قوميتكم، وفرضته رجولتكم، وفرضه ظلم الإستعمار الغاشم الذي شملكم ثم فرضته أخيرا مصلحة بقائكم، لأنكم اليوم أمام أمرين: إما حياة أو موت، إما بقاء كريم أو فناء شريف.

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

الفضيل الورتلاني

### أوسع المعلومات عن بداية الثورة في الجزائر

انفجر بركان الثورة المباركة في الجزائر ليلة اليوم الأول من نوفمبر الحالي، 1954 وقد كنا نحن الجزائريين الموجودين خارج الجزائر، نترقب هذه الثورة ونتوقعها، نترقبها لأنها الأمل الوحيد في تحريرنا من التعسف الفرنسي، الذي لا يعرفه إلا من أبلي به، ونتوقعها لأن هذا هو وقتها، ولأن فرنسا لا تفهم إلا هذه اللغة، ولا يفتح آذانها إلا هذا الصوت.

ومضى على الثورة عشرة أيام، ونحن نحترق شوقاً إلى الإطلاع على حقيقة ما يجري هناك، وكيف ابتدأت الثورة؟ وما هي العناصر التي قامت عليها؟ وبأية صبغة تصطبغ؟ وإلى أي اتجاه تتجه؟ وهل انتشرت في جميع البلاد. حتى نبنى على مقدماتها الصحيحة، نتائج صحيحة. ونستطيع أن نتحدث عليها بالصدق، ونصفها لإخواننا الذين لا يعرفون الجزائر، ونصورها بصورتها الحقيقية من غير مبالغة، نغرمهم بها. ولا تقصير يثبط العزائم، وحتى نغذيها بما نستطيع من وقود روحي أو مادي، إذ لا يستطيع العاقل أن يتحدث عن شيء يجهل تفاصيله، وإن كان يعرف أسبابه.

المصدر: الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص178

لبشنا هذه المدة نتلقى الأخبار من محطات الإذاعة العالمية، ومن الجرائد المحلية المستقاة من وكالات الأنباء، ولكنها لا تشفي غليلا في هذا الباب، وقد توقعنا في التضليل، حينما تذكر أسماء القرى والأماكن محرفة بسبب الترجمة، وأن استنتاجنا نحن الجزائريين العارفين بأجزاء وطننا، لا يكون صحيحا مفيدا، إلا إذا عرفنا أسماء الأماكن والقرى صحيحة الألفاظ، لنستخرج الفائدة من خلال المواقع والمسافات، وما بينها من التشابه في الخصائص، بحيث تكون طابعها التكوينية، تتعاقد على ما ينفع الثورة، ويدفعها إلى الدوام والإنتشار.

### ثورة الجزائر طابعها عسكري حازم

واليوم وصلنا العدد رقم 292 من جريدة «البصائر» لسان حال جمعية العلماء الجزائريين، المؤرخ بيوم الجمعة 9 ربيع الأول سنة 1374 الموافق 5 نوفمبر سنة 1954 وهو أول عدد يصلنا بعد الثورة.

وفي افتتاحيته سرد مرتب للحوادث التي وقعت في ساعة واحدة من الليلة الأولى للثورة، ففهمنا من هذا السرد المجرد من التعليقات أشياء كثيرة، منها أن وقوع عدة حوادث في لحظة واحدة، يشهد بحسن التدبير والنظام والإحكام، ومنها أن الثورة شعبية غير متأثرة بالتأثيرات الحزبية، ومنها أن طابعها عسكري حازم، عارف بمواقع التأثير.

وها نحن أولا ننشر جدول الحوادث التي وقعت في ظرف ست ساعات من ليلة واحدة، نقلا عن العدد المذكور من «البصائر»، وقد استندت فيه إلى شهادة المعاينة، وإلى الرسميات:



نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد..

نعيدكم بالله أن تتراجعوا..

أيها المسلمون الجزائريون:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حياكم الله وأحياكم، وأحيا بكم الجزائر، وجعل منكم نورا يمشي من بين يديها ومن خلفها. هذا هو الصوت الذي يسمع الأذان الصم، وهذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة، وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها إلى الأذهان البليدة، هذا هو المنطق الذي يقوم القلوب الغلف، وهذا هو الشعاع الذي يخترق الحجب والأوهام.

كان العالم يسمع ببلايا الاستعمار الفرنسي لدياركم، فيعجب كيف لم تنوروا وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه، فيعجب كيف تؤثرن هذا الموت البطيء، على الموت العاجل المريح، وكانت تسوق شبابكم إلى المجازر البشرية، في الحروب الإستعمارية، فتموت عشرات الآلاف منكم في غير شرف ولا محمدا، بل في سبيل فرنسا، وتوسيع ممالكها، وحماية ديارها، ولو أن تلك العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا في سبيل تحرير الجزائر، لماتوا شهداء، وكنتم بهم سعداء.

أيها الإخوان الجزائريون:

أذكروا غدر الاستعمار ومماطلته

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع القرن، وشهد لكم التاريخ، بأنكم قاومتوها مقاومة الأبطال، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين، نصف هذه المدة، فما رعت في حربها لكم دينا ولا عهدا، ولا قانونا ولا إنسانية، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية، من تقتيل النساء والأطفال والمرضى، وتخريق القبائل كاملة، بديارها وحيواناتها وقواتها.

ثم حاربتم معها وفي صفها، وفي سبيل بقائها نصف هذه المدة، ففتحت بأبنائكم الأوطان وقهرت بهم أعداءها، ورحمت بهم وطنها الأصلي، فما رعت لكم جميلا، ولا كافأتكم بجميل، بل كانت تنتصر بكم، ثم تخذلكم، وتحيا بأبنائكم، ثم تقتلكم، كما وقع لكم معها في شهر مايو سنة 1945، وما كانت قيمة أبنائكم، الذين ماتوا في سبيلها، وجلبوا لها النصر، إلا أنها نقشت أسماء بعضهم في الأنصاب التذكارية، فهل هذا هو الجزاء؟

طالبتموها بلسان الحق، والعدل والقانون، والإنسانية، من أربعين سنة، بأن ترفق بكم، وتنفس عنكم الخناق قليلا، فما استجابت، ثم طالبتموها، بأن ترد عليكم حقوقكم الآدمية، فما رضيت، ثم طالبتموها بحقوقكم الطبيعي، يقركم عليه كل إنسان، وهو إرجاع أوقافكم ومعابدكم وجميع متعلقات دينكم، فأغلقت أذانها في إصرار وعتو، ثم ساومتهم على حقوقكم السياسية بدماء أبنائكم الغالية التي سالت في سبيل نصرها، فعميت عيونها عن هذا الحق، الذي يقره حتى دستورها، ثم هي في هذه المراحل كلها، سائرة في معاملتكم من فظيع إلى أفظع.

### أيها الإخوة الجزائريين الأبطال:

لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه، أو تدارونها لأجله، ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعللون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها. أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها، لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها، وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا، أسعدكم من يعمل فيها رقيقا، زراعيا يباع معها ويشترى، وحظكم من خيرات بلادكم، النظر بالعين والحسرة في النفس؟ أم تخافون على القصور، وتسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف؟ أم تخافون على الدين؟ ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله، ويا ويل فرنسا من الإسلام، ابتلعت

أوقافه وهدمت مساجده، وأذلت رجاله، واستعبدت أهله، ومحت آثاره من الأرض، وهي تجهد في محو آثاره من النفوس.  
أيها الإخوة المسلمون:

### إن التراجع معناه الفناء

إن فرنسا لم تبق لكم دينا ولا دنيا، وكل إنسان في هذا الوجود البشري، إنما يعيش لدين ويحيا بدنيا، فإذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها.  
وإنها سارت بكم من دركة إلى دركة، حتى أصبحت تتحكم في عقائدكم، وشعائركم، وضمائركم، فالصلاة على هواها لا على هواكم، والحج بيدها لا بأيديكم، والصوم برؤيتها لا برؤيتكم، وقد قرأتم وسمعتم من رجالها المسؤولين، عزمها على إحداث (إسلام جزائري) ومعناه إسلام ممسوخ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وبأهله من الشرقيين.

إن الرضا بسلب الأموال، قد ينافي الهمة والرجولة، أما الرضى بسلب الدين والإعتداء عليه فإنه يخالف الدين، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن.

إنكم في نظر العالم العاقل المنصف، لم تنوروا، وإنما أثارتمكم فرنسا بظلمها الشنيع وعتوها الطاغية، واستعبادها الفظيع لكم قرنا وربع قرن، وامتهانها لشرفكم وكرامتكم، وتعديها المريع على مقدساتكم.

إن أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي، يوجب عليكم الثورة عليه، من زمان بعيد، ولكنكم صبرتم، ورجوتم من الصخرة أن تلين، فطمعتم في المحال، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي فتعيزكم بالله وبالإسلام، أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم، إن التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السرمدى.

إن شريعة فرنسا، أنها تأخذ البريء بذنوب المجرم، وأنها تنظر إليكم مسلمين أو ثائرين نظرة واحدة، وأنها عدو لكم وأنكم عدو لها، والله لو سألتموها ألف سنة، لما تغيرت نظريتها العدائية لكم، وهي بذلك مصممة على محوكم، ومحو دينكم وعروببتكم، وجميع مقوماتكم.

إنكم مع فرنسا، في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختراروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت.

إنكم كتبتم البسملة بالدماء، في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ، وهي إرث العروبة والإسلام فيكم.

ما كان للمسلم أن يخاف الموت، وهو يعلم أنها كتاب مؤجل، وما كان للمسلم أن ييخل بماله أو بمهجته، في سبيل الله، والانتصار لدينه، وهو يعلم أنها قربة إلى الله، وما كان له أن يرضى الدنية في دينه، إذا رضيها في دنياه.

أخلصوا العمل لله وأخلصوا بصائرهم في الله، واذكروا دائما وفي جميع أعمالكم، ما دعاكم إليه القرآن، من الصبر في سبيل الحق، ومن بذل المهج والأموال في سبيل الدين، واذكروا قبل ذلك كله قول الله ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ التوبة: 41. وقول الله: ﴿كَمْ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: 249.

### أيها الإخوة الأحرار: هلموا إلى الكفاح المسلح

إننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون، كلما ذكرنا ذلك احتقرنا أنفسنا واحتقرنا المسلمين، وخجلنا من الله أن يرانا ويراهم، مقصرين في الجهاد لإعلاء كلمته، وكلما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجيها وأزورها في أعناقنا، إنما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب، ويدفع عنا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة

المصدر: الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 177

## الملاحق

الجزائر الثائرة

---

الله، وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح، فهو السبيل الواحد إلى احدى  
الحسينين، إما الموت وراءه الجنة، وإما حياة وراءها العزة والكرامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة

محمد البشير الإبراهيمي

الفضيل الورتلاني

القاهرة 15 نونبر 1954

المصدر: الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص178.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الجزائر العربية المسلمة اليوم، كفاح مسلح خطير، دفع الشعب الجزائري إليه مرغما بسبب الاضطهاد الاستعماري العاشم، الذي لا يريد أن يفتح عينيه على الواقع ليتطور مع الزمن، رغم أن أهل الدنيا كلهم تطوروا، وعرف حتى المستعمرون الأقوياء أنفسهم، من غير الفرنسيين، أن الإستعمار في القرن العشرين لم يعد أسلوبا صالحا للبقاء.

ولقد كان من طبيعة التخصص في الأعمال، وطبيعة إختلاف وجهات النظر، في أساليب العمل، عندما تكون الظروف عادية، كان ذلك يقضي أحيانا بوجود أحزاب وهيئات، فتنحول إلى جيش واحد معاً للكفاح، ويجب أن ترتفع جميع الآراء، أما في ظروف الجهاد التي تقرر مصائر الأمم، وتنتهي بالموت أو الحياة، فيجب أن تذوب أثناءها الأحزاب والهيئات، فتنحول إلى جيش واحد معاً للكفاح، ويجب أن ترتفع جميع الآراء المختلفة، فتنحول إلى رأي واحد موحد، يستهدف إستعمال جميع المواهب للوصول إلى التحرر والنصفة من الظالمين، لذلك اجتمعت الشخصيات المسؤولة والموجودة اليوم في ضيافة مصر الشقيقة، وتدارسوا الأمور بعناية وعمق، فكانت قلوب الجميع، وآراء الجميع متفقة والحمد لله، وكانوا مقتنعين بجميع ما تضمنته هذه المقدمة من المعاني، ثم قرروا بالإجماع وبدون تردد ما يأتي:

1 - يعتبر الشعب الجزائري اليوم على إختلاف أفراده، وجماعاته، وأنواع اختصاصاته فيما يختص بالكفاح القائم، يعتبر ذائبا في كتلة واحدة، اسمها (الشعب الجزائري) ومن شد شد في النار.

2 - يعتبر المغرب العربي بأقطاره الثلاثة: تونس، والجزائر، ومراكش، أمة واحدة يكمل بعضها بعضا، ويجب التعاون بين الجميع، تعاوننا تاما في الحرب والسلم، حتى ينالوا حريتهم جميعا.

3 - تألفت في القاهرة هيئة تحت اسم (جبهة تحرير الجزائر) تمثل إحساسات الأمة الجزائرية ومشاربيها، وذلك لتنظيم الأعمال وتحمل المسؤوليات، وإلا فكل جزائري صالح، يجب أن يعد نفسه عضوا عاملا في هذه المعركة المقدسة الفاصلة.

4 - هذه الهيئة الجزائرية مستعدة من الآن لتذوب في هيئة أجمع وأشمل للأقطار الثلاثة بنظام يوضع، ومسؤوليات تحدد.

5 - تبعث الهيئة بتحياتها العميقة إلى المكافحين في الجزائر، وفي جميع أقطار المغرب العربي، سواء منهم من حمل السلاح، أو من كان عاملا وراء الميدان، وتدعوهم جميعا ليوطنوا أنفسهم على الصبر والتضحية، وجميع القلوب، وتسوية الصفوف، وتبشرهم بأن الأمل في النصر عظيم إن شاء الله، ولكنها تنذرهم بأن العمل شاق وأن الطريق طويل.

6 - تهبب الهيئة بإخوانها العرب والمسلمين، ثم بأحرار الدنيا جميعا، ليشدوا أزر المكافحين في سبيل الحرية والحق، وليؤدوا زكاة الأخوة، وزكاة الإنسانية المقدسة، وليمنعوا ما قد يترتب على هذا الظلم الفرنسي الفادح، من قيام حرب عالمية تهلك الحرث والنسل والعياذ بالله.

### القاهرة في

11 جمادى الأولى 1374

5 يناير سنة 1955

المصدر: الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 219



العدد 216 - الصفحة 25 - ختامى الأولي 1956 - الموافق ليوم 14 جانفي 1956 م - 349 - السنة الثامنة من السلسلة الثانية - لمن السلسلة 2 ف

المدير وصاحب الامتياز الأستاذ  
**أحمد توفيق اللقي**  
 كل ما يتعلق بالتحرير يرسل باسم  
 مستخدم اسم التحرير  
 أحمد توفيق اللقي  
 ص.ب. 111 - الجزائر  
 الهاتف 111 64  
**Abdel Toufik Lakou**  
 111 - Algiers - ALGERIE

كل ما يتعلق بالبريد والاشتراكات يرسل باسم  
 طالب بفتح بن مسعود  
 ص.ب. 111 - الجزائر  
 الهاتف 111 64  
**TALEB BACHIR BEN SAAD**  
 111, Rue Foch - ALGERIE

C.C.P. 339-78 R.C. Alger 7124

# البصائر

رسالة  
 بجمع علماء المسلمين الجزائريين  
 شعارها: الحرية والاسلام  
 اصدره: يوم الجمعة من كل اسبوع  
 «EL-BASSAIR»  
 Bureau de l'Association des Douanes d'Algérie

في هذا العدد :

- بوميات الامة الجزائرية
- عام منسى ومام جديده
- نظرة فثاة حول رحلة القرنيه الاولى
- ثورة العوام
- امير شعراء تونسي خزندار
- نداء كلياتنا من فثاة

## بلاغ من الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، عن المحالسة الحاضرة في القطر الجزائري وموقف الجمعية منها

يعلم بكل صراحة ان النظام الاستعماري الفرنسي يقود السلاح على القطر الجزائري منذ سنة 1830 هو المستوطن الوحيد من كل الناس والمصائب والويلات التي وقعت في القطر الجزائري، وذلك بما أحدثه اليأس من سياسة التفتيش والتجسس والخراب من كل نوع الحياة ، بالنسبة للمستمر الاستعماري وما حارب به الدين الاسلامي في النفس مقدساته، وما أجبرته به على التخليص العربي الفرنسي في كل جهة من جهاته وما تعدته من سفك جسيمة الدماء وسفولة ابتذالها ، وهو كل مقهور من ملامح سيادتها ، وما أعلته مرارا رغم ارادتها ، من الظلم والدمار ، الى ان وصل الامة بكل ذلك الى درجة اليأس فعمدت الى الاعمال التي يوجبها اليأس.

يرفع عقولنا بالاحتجاج الصارخ المشفوع ، على ما ارتكب في مختلف جهات البلاد من اعمال البشع والارهاب والتكثير ، وما وقع من القتل والفساح والتكرات ، يدعو الرجز ويحطو افعال الثورة كما يحق بالاحتجاج الصارخ على ذلك النظام الشرقي القمعي الذي وقعت على مدارس جمعية العلماء ، وما وقع على اهلنا فيها من حيف وجور ، بين سجن وتفتيش وابعاد الى المعتقلات .

ويرجع على التفتيش الاسرار الذين اخبروا جمعية الفصح الامميين القطيع ، ويحذو الامة القيام بواجبها نحو انفسهم وعائلاتهم ، وكفالتهم كافة بواجبها الاسلامي وقرنها الزود والشرقي .

ويعد صادف السود وعلمهم تقديري العاطف ، لسائر رجال الامة الاحقر والارواح البليدة ومنهم ايوب السجون او اقيقت عليهم الاسلاك الشائكة في المعتقلات ، ويشركهم في ذلك الذين الذين تقاطعوا بثقوب واسمعة وسعود رجينة ، وتعلمهم ان الامة الحية الشافعة لن تسي لهم تصديقتهم ، وانهم سيكفون غدا في ظلمة المادام على الشدة الهيكل الوثني العظيم .

ويرفع علم الامتثال والوفاء التقديري لسائر الاحقر في كل القطر العربي ، ولجميع اصحاب المآلة التزيهية ، وسائر الحكومات الفرة التي ايدت الامة الجزائرية في مآلاتها الشريرة ، وخالفت منها وودعت بين الاخوة ليدني الحق والعمل والتحرير ، ويرجع ان يشاؤكم كل شعب حر ، وان

حكومتنا حرة ، وكل ضعيفة زهية ، في هذا لكفاح اليبون ، لثلاثة الحق والعمل والحرية بآراء الجزائر .

ويعد مرة اخرى ، في كل سياسة منسية على رفح النفس ، واجرة الاملاجات على قاعدة التثاق الاستعماري الحالية مودا غير اسمها ، لها هو من السيد القيت والاستعمار ، والامان في الترق بالآلة الجزائرية في مسبق اليأس التي لوحدت الا الانبيار .

وتقول كلمة صريحة طوية ، يرتوي ان يستعيا المستوطنون في باريس ، وان سمعها العالم اجمع ، وهي انه لا يمكن حل القضية الجزائرية بصفة سلمية وسريعة ، الا بالاعتراف العلني بالصريح بظلم الامة الجزائرية الحرة ، ونسبها القاصمة ، وحكومتها القومية ، ونفسها التشرعفي الملقى التصرف ، في فقرة احترام مصالح الجميع ، والمحافظة على حقوق الجميع .

ويؤكد انه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب المعاصرة ، والافهام على بناء النظام لحر الجديد ، الا بواسطة التناغم الصريح

المخلص ، مع سائر الملكتين الحقيقيين للشعب الجزائري ، من رجال العمل والخطاب الذين القروهم التناغم الجزائري .

ويؤسس الامة خاتما باق ، ويوصيها بالسير ويستحقها على العمل الصالح ، والفتن ويوحيد المسلوب ، ونسبان المخلات القديمة ، حتى تستطيع متحدة متظاهرة ، ان تصل قريبا الى القدره الرامية التي اعلمها لها جديدا لتستمر منذ احباب ، وانها تشرق على اصبح في العالمين ضرب لكل ؛ وانها تحاسل بجلال الامم .

وقل انتموا لقسري الله عظيم ورسوله والقانون .

ولينصرون لله من ينصروه ، ان الله اقوي بجزئ .

واسلام على الامة الحية لاجدة ، ورحمة الله .

الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الكاتب العام احمد توفيق اللقي الرئيس العربي الرئيس

### الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ما كانت تدق الساعة الثامنة من صيحة البت ، صباح جانفي الحالي ، حتى كان مركز جسيمة العلماء المسلمين الجزائريين تحسبا بفرسود الاضاء من مختلف درجاتهم ، الذين ابوا ضفوة الاجتماع العام القانوني ، ووسعوا اليه مطبق .

وتولا الموائد الخالية التي تعود سائر جهات القطر الجزائري ، والتي عانت الكثير من رجال الجمعية المايين عن الظهور ، وكان المهرجان عظيما ، تذكرنا باجتماعات الجمعية السالفة ؛ ولوجب على منظمي الاجتماع ان يسبقوه في مسرح من اكرم مسارح العاصمة ، لكن خضوعا للقوى ، قد وقع الاكتفاء هذه السنة بالقل ، ورضا بين الله علينا بخروج الامة الى تسور

الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الكاتب العام احمد توفيق اللقي الرئيس العربي الرئيس

المصدر: اسعد الهاللي ، جمعية العلماء ، المرجع السابق ، ص 297.



الملاحق

الملحق رقم 22: شهادة الاعتماد كقاضي من طرف الثورة للشيخ أحمد باشا

الجمهورية الجزائرية  
الولاية في المنطقة في الناحية في  
بمحافظة الاعتماد  
في 17 أفريل 1962م أحمد باشا بمهامه قائم  
بمركز القضاء بكلمة القصة في  
للناحية في  
عبد الحامد  
الأستاذة في هاتين بمهامه. وأنا بيد  
له يد الثمارة وديا عدوه في جميع  
السياد في كلها. يرت السخ في الجميع  
حرف في تاريخ 9: 4: 61م الأ  
عبد الحامد الناحية في  
محمد عزري في




الملاحق


الملحق رقم 23: جمع الاشتراكات المالية واعانة عائلات شهداء

Armée et Front de Libération Nationale Algérienne  
 Délégation de ...  
 جيش وجهته التحرير الوطني الجزائري  
 لجنة قضاة  
 في ١٢/٦/١٩٦٢

بموجب اللائحة العرفية بالبريد  
 من احمد بن يوسف اهدى اليكم  
 طيفاً غاليه انواني يسعدني ان  
 باد التيب لكم معاتمة الرضالة  
 اخواني الا عنده شطاب منكم تحظير شذبا  
 في الكويكف الى الارجع الفاهه في لم يذويت  
 لانه مضمنا عايزة بشهيدوه مع الوطن فخالصين عامه  
 والسلام من اخيكم والوطن جمع اموالكم  
 والى



الجمهوريون  
 المشهورين  
 المبرزين  
 بيان مالي  
 كتلته من شائف الفسمة له لس الد  
 باشا مبلغ مالي تدره ماله اربعة  
 ومستمرة الد وقتا مئنة وعشرين قرنا  
 ١٤٤٨٤٠ وطذا المبلغ  
 لس الكه كاتب الفسمة له  
 مسعود صكوانه  
 موروفي ١٢ - ٨ - ١٩٦٤  
 Richey 5

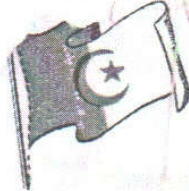


المصدر: الأرشيف الخاص بالشيخ احمد باشا

الملاحق

الملحق رقم 24: شهادة إثبات وتقدير من قيادة الثورة للشيخ أحمد باشا لقيامه بالدعاية لصالح الثورة

Commandement  
Opérationnel Militaire  
ZONE-SUD




جيش و جبهة التحرير  
الوطني الجزائري  
القيادة للعمليات العسكرية

ATTESTATION

L'Asperant Politique responsable de la section des  
Inter-lignes Certifie que le frere Si Ahmed B A C H A  
A SERVI DANS notre organisation comme agent de  
liaisons ,de propagande et de renseignements.  
Il a servi avec fedelité et sincérité.  
A tous les freres responsable de l'aider et de lui  
faciliter sa tache .

Fait , le 25 Fevrier 1961  
P/L'Asperant Politique  
L'Adjudant  
Signé: Tahar Menai



المصدر: الأرشيف الخاص بالشيخ احمد باشا

الملاحق

الملحق رقم 25: تعليمات الثورة بخصوص القضاء إلى القاضي احمد باشا

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

الولاية 1 المنطقة 5 الناحية 6

عدد يوم 20 / 11 / 71

تعليمات

إلى سي أحمد باشا القاضي

الرجاء العمل على ما يأتي :

- 1 منع الدقاهي أمام الإستهمار
- 2 تسجيل عقود الزواج والطلاق
- 3 فك النزاعات بالمحسني بين الناس الذي يتخافوا
- 4 ط لاخبار على كل مخالفة
- 5 منع الناس من شراء الماشية التي سلبها العسكر من الشعب
- 6 سيا تيرك الأحم ابراهيم في عيد الدخانه ترسل معاه البريجه وارسل لنا التفاهير والبريجه

والسلام

من مكارم العيال عن الناحية

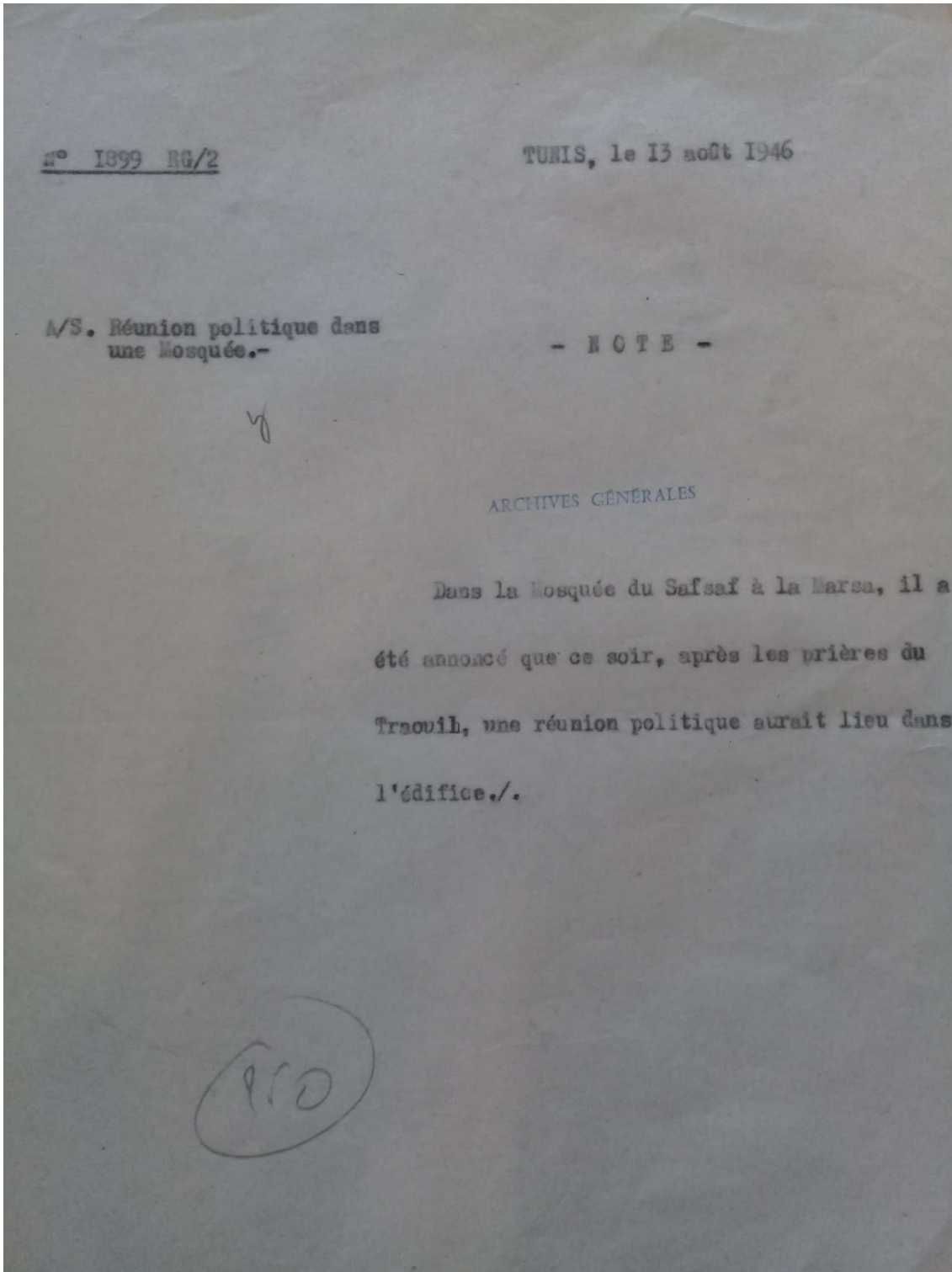
بانتها الطاهر



المصدر: الأرشيف الخاص بالشيخ احمد باشا

الملاحق

الملحق رقم 26: مراقبة النشاطات السياسية داخل المساجد (مسجد الصفصاف بالمرسى)

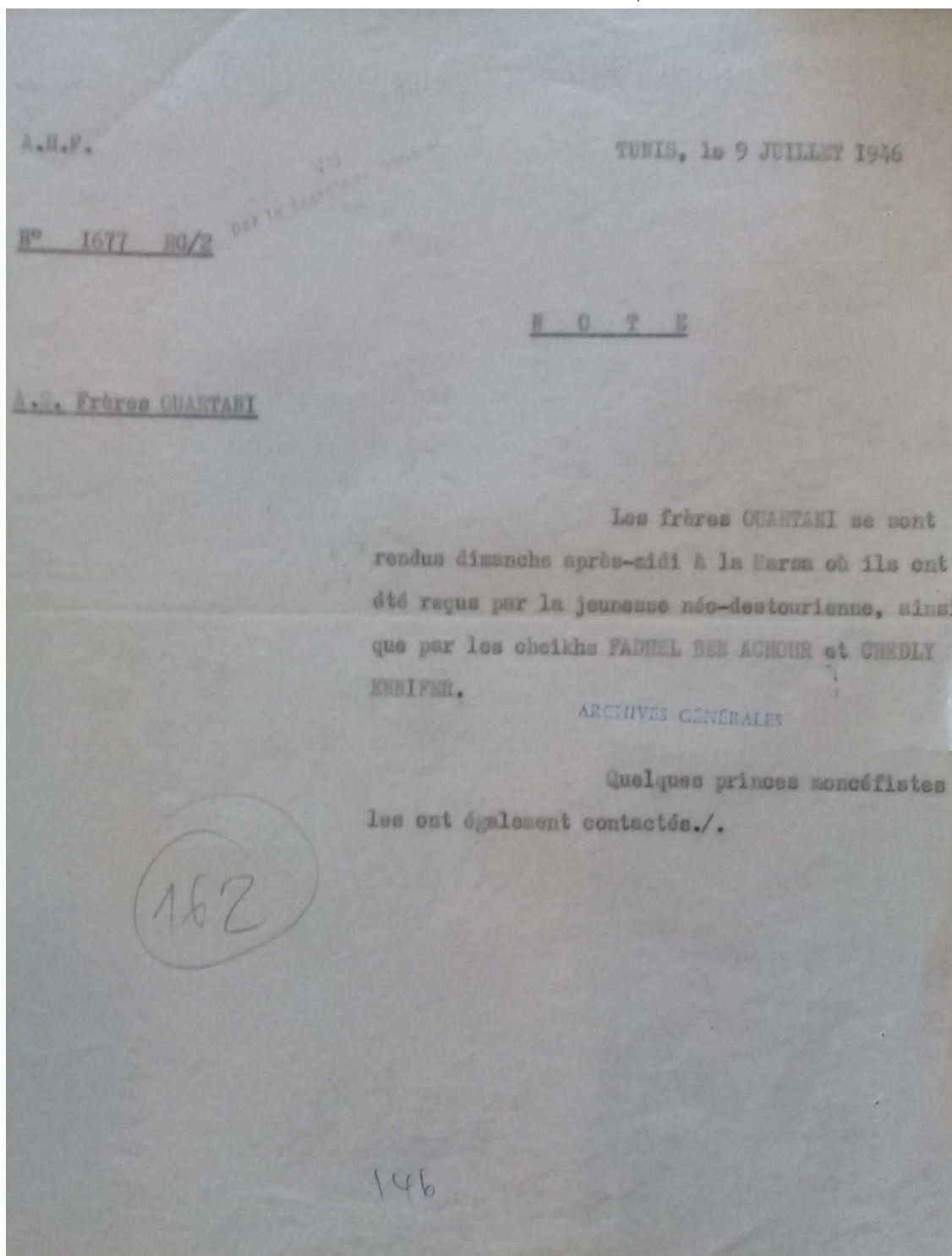


المصدر: A.N.T , M.N, Carton 54, Dossier 4, Note n°1899 du 13/08/1946



الملاحق

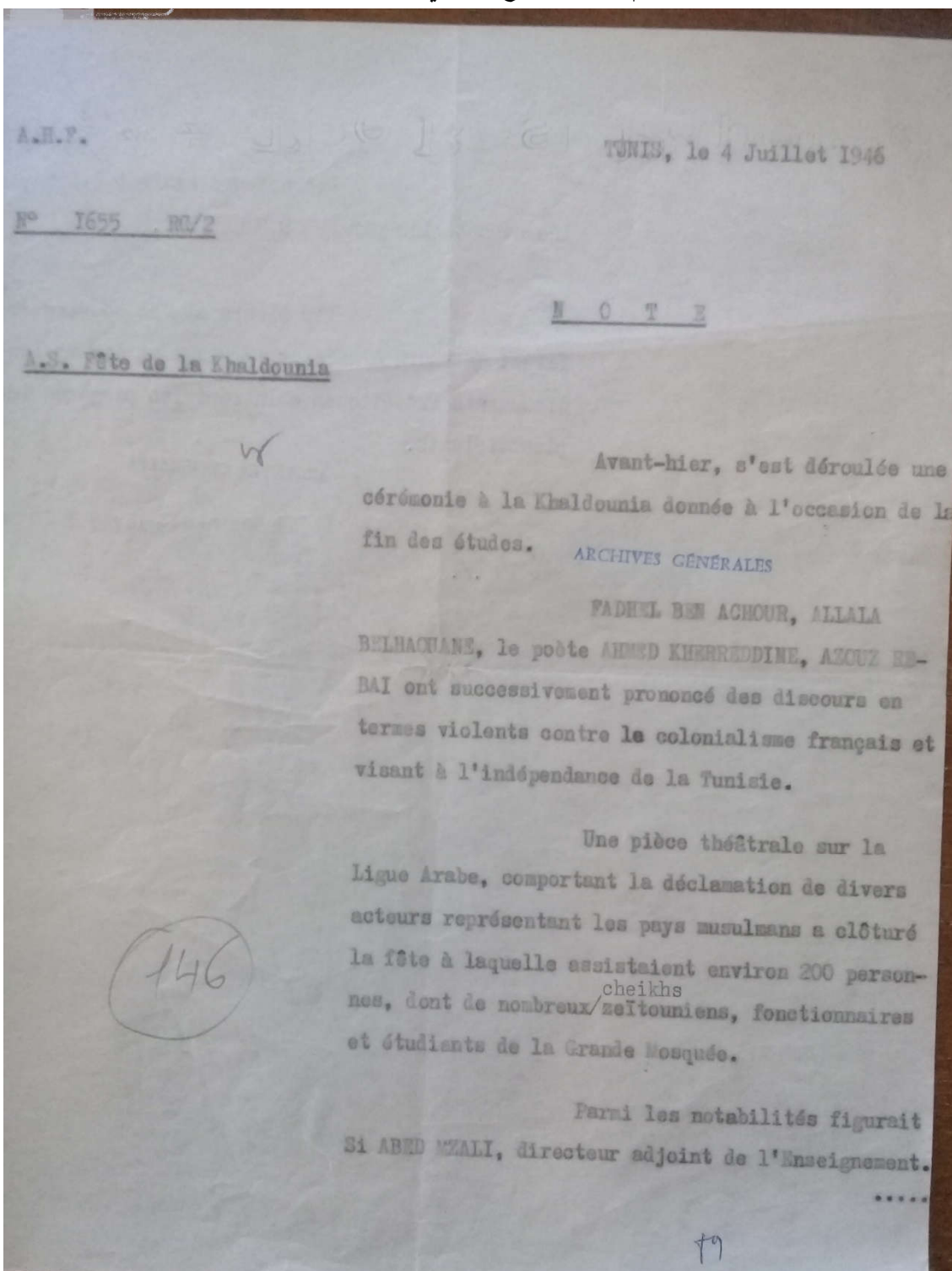
الملحق رقم 27: مراقبة النشاطات السياسية للزيتونيين



المصدر: A.N.T , M.N, Carton 54, Dossier 4, Note n°1655 du 09/07/1946

الملاحق

الملحق رقم 28: اجتماع سياسي للزيتونيين بالخلدونية



المصدر: A.N.T , M.N, Carton 54, Dossier 4, Note n°1655 du 04/07/1946

## الملاحق

الملحق رقم 29: صور لنشاطات سياسية ونقابية للشيخ محمد الفاضل بن عاشور



الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور والزعيم النقابي فرحات حشاد في طليعة استعراض الاتحاد العام التونسي للشغل.



شيخ محمد الفاضل ابن عاشور



الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في اجتماع وطني سنة 1947



مظاهرة 9 اغتيل 1938



الشيخ الشاذل ابن القاضي



الشيخ محمد الصالح البندر

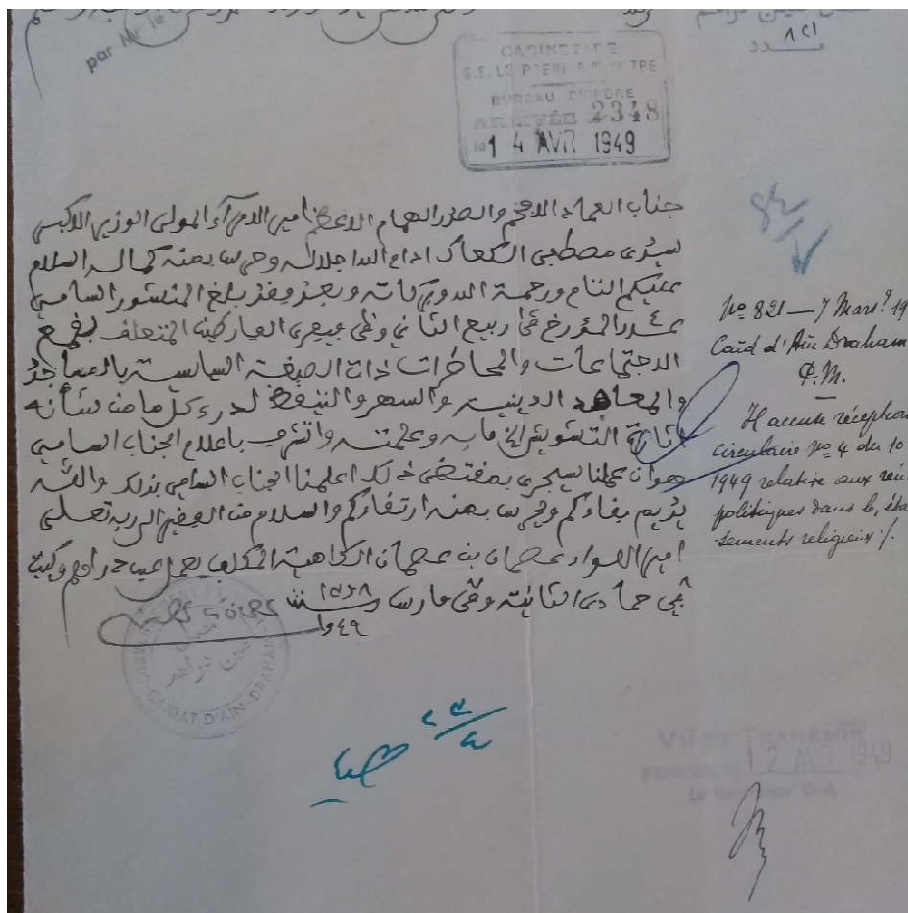
المصدر: محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق





الملاحق

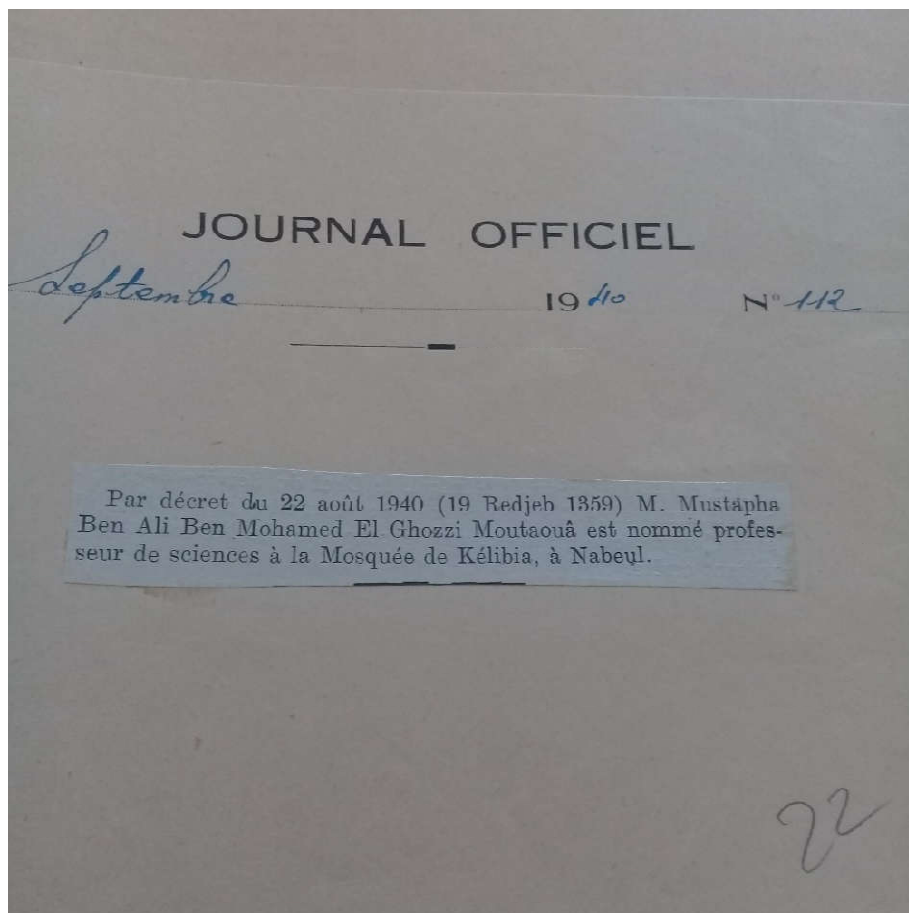
الملحق رقم 31: الإجراءات الأمنية لمنع الاجتماعات السياسية في المساجد (عين دراهم)



المصدر: A.N.T, F.P.C, Serie D, Carton 70, Op cit

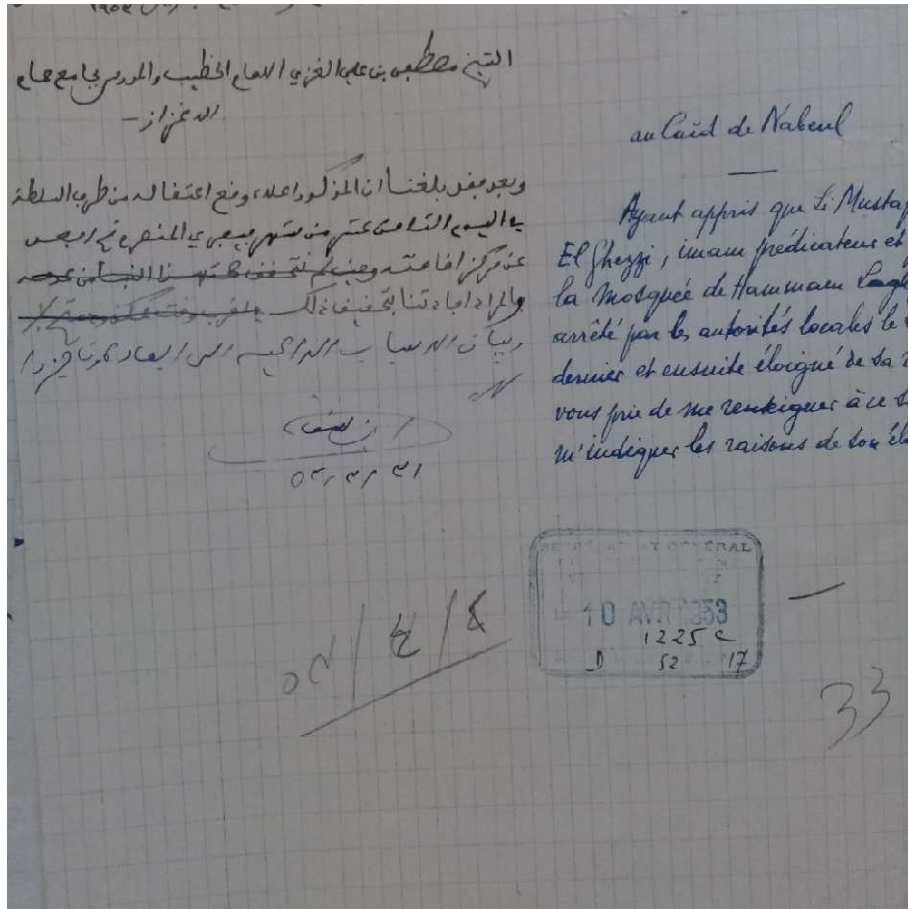
## الملاحق

الملحق رقم 32: اتهام الشيخ مصطفى بن علي المدرس بجامع الأغزاز بالانتماء للمقاومة وعزله من منصبه



المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، رصيد الفترة الاستعماري، السلسلة D، الحافظة 52، المصدر السابق

الملاحق



المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، رصيد الفترة الاستعماري، السلسلة D، المحافظة 52، المصدر السابق







الملاحق

أحمد بن علي بن الحاج عمر  
عبد أحمد بن الحاج رحوم  
ع فرج بن حمد بن الحاج حسن  
محمد بن عبيد  
علاء بن محمد عطار  
علي بن الحاج راحة  
عبد الفتاح بن محمد اللبيري  
عبد كافي بن محمد بن علي  
علي بن الحاج الشيخ بن حمودة  
علي بن محمد بن عبد الرحمن  
علي بن الحاج رحوم  
الحاج بن محمد بن محمد  
محمد بن محمد بن عبد الرحمن  
عز سليمان بن الحاج توفيق  
علي بن الحاج بن محمد

المصدر: الأرشيف الوطني التونسي، رصيد الفترة الاستعماري، السلسلة D، الحافظة 52، المصدر السابق

## الملاحق

الملحق رقم 33: صور شهداء الطلبة الزيتونيين في مظاهرات مارس 1954



الطالب محمد المرزوقي الذي استشهد في مظاهرة 5 مارس 1954



الطالب محمد الدهماني حمزة الذي استشهد في مظاهرة  
5 مارس 1954

المصدر: محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق



قائمة المصادر

والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

### ❖ القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم المدني)

السور القرآنية (البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، الأعراف، الأنفال، التوبة، هود، يوسف، الرعد، طه، الذاريات، النصر)

### أولا- المصادر

#### 1- الوثائق والتقارير الأرشيفية:

##### باللغة العربية:

##### ● الأرشيف الوطني التونسي:

- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة (D)، الحافظة 50، الملف 02، الملف الفرعي 08، 18، (1904 - 1955).

- رصيد الفترة الاستعمارية، السلسلة (D)، الحافظة 52، الملف: 17، الملف الفرعي 03، (1939-1954)

- رصيد الفترة الاستعمارية، السلسلة (D)، الحافظة 52، الملف: 17، الملف الفرعي 05، (1941 - 1950).

- الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزانة العامة للمحفوظات، دو 62، محمد الشاذلي بن القاضي، الجامعة الزيتونية، المجلة الزيتونية، تونس، الجزء السادس، المجلد التاسع، 1955.

- الأرشيف الوطني التونسي، دو 17/05، عبد الحميد زروق: الشيخ مبارك المليلي المؤرخ المصلح الصحافي الكبير، المجلة الزيتونية، العدد 10، مارس 1945

- الأرشيف الوطني التونسي، الوزارة الأولى، الخزانة العامة للمحفوظات، دو 62، محمد المختار بن محمود: جامع الزيتونة من أقدم الكليات العلمية في العالم وأكثرها إنتاجا فما هي مهمته وهل هو قائم بها، المجلة الزيتونية، تونس، ج2، مج2، رمضان المعظم 1356 هـ / نوفمبر 1937 م.

##### ● الأرشيف الشخصي للشيخ أحمد باشا - تبسة

- شهادة الاعتماد كقاضي من طرف الثورة للشيخ أحمد باشا

- جمعية الاشتراكات المالية واعانة عائلات شهداء

- شهادة اثبات وتقدير من قيادة الثورة للشيخ أحمد باشا لقيامه بالدعاية لصالح الثورة

- تعليمات الثورة بخصوص القضاء إلى القاضي احمد باشا

##### الأرشيف التونسي باللغة الفرنسية:

##### ● Archives Nationale Tunisienne :

- A.N.T, M.N, N, 1655 du, 04/07/1946.

- A.N.T, M.N, N, 1677 du, 09/07/1946.

## قائمة المصادر والمراجع

- A.N.T, F.P.C, Série D, Carton 70, Dossier 20, 1949, Réunions et discours politiques dans les mosquées.
- A.N.T, M.N, Carton 51, dossier 01, nombre de pièces 351, 1941, Notes et rapports concernant l'atténuation des agitations destoriennes pendant la guerre par les mesures d'oppression prise par la gouvernement Français.
- A.N.T, M.N, Carton 54, dossier 04 du 1946, objet: Notes d'information recueillies par le service des renseignements généraux, note N°1899 du 13/08/1946.
- **Archive Nationale Algérienne (Archive wilaya de Constantine)**
  - Archive: Wilaya De Constantine, B n° 11, Service De Reformes, Tébessa 15/06/1939.
  - Archives Wilaya de Constantine, B n° 11, Service De Réformes, Commune Mixte, Tébessa 08/12/1943.
- **Archive Français : Archives d'outre-mer (Aix-en-Provence):**
  - C.A.O.M, S.L.N.A, C.G.A, Boite n° 93/4491 expose fait le 23 janvier 1956 par le capitaine Carret Jacques. Du service de la liaison nord-africaine. Cabinet gouvernement général de l'Algérie. Introduction. L'étude du maraboutisme et des confréries religieuses en l'Algérie.

## 2-المقابلات واللقاءات الشخصية:

- شهادة الشيخ أحمد بن الطيب باشا، مقابلة شخصية في منزله بتبسة بتاريخ، 2019/03/10م.
- شهادة محمد الصالح الصديق، لقاء شخصي مع الشيخ بمنزله بالقبة، بالجزائر العاصمة بتاريخ 29 سبتمبر 2019.

## 3-المجلات والجرائد:

- المنتقد، العدد 1، الخميس 11 ذي الحجة 1343هـ 2 جويلية 1925، دار الهدى، عين مليلة، 2012.
- المنتقد، العدد 6، الخميس 16 محرم 1344هـ 06 جويلية 1925، ج 1.
- المنتقد، العدد 18، الخميس 10 ربيع الثاني 1344هـ 29 أكتوبر 1925م.
- السنّة، العدد، 03، 1933.
- السنّة، العدد 05، 08 ماي 1933،

## قائمة المصادر والمراجع

- الشهاب، السنة الأولى، العدد: 04، 03 ديسمبر 1926، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ط1.
- مجلة الشهاب، مج6، ج 11، ديسمبر 1930.
- الشهاب، مج 3، ج9، أوت 1933.
- الشهاب، ج 2، مج 13، صفر 1354 هـ / ماي 1935 م.
- الشهاب، مج12، ج 1 السنة2، أبريل 1936، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003.
- الشهاب، السنة 3، مج 13، ج5، 10 جوان 1937، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ط1.
- الشهاب، السنة 4، العدد: 03، شباط / فبراير، 1938.
- البصائر، السنة الأولى، الأعداد، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، من 24 أبريل 1936 الى 05 جوان 1936.
- البصائر، العدد 23، المؤرخ في 12 جوان 1936.
- البصائر، العدد 81، رجب 1356 هـ/ 17 سبتمبر 1937.
- البصائر، العدد 165 الصادر في 12/05/1939.
- البصائر، عدد 04، 29 أوت 1947.
- البصائر، العدد 10، بتاريخ 13 أكتوبر 1947.
- البصائر، العدد 29، السنة الأولى من السلسلة الثانية، 29 مارس 1948.
- البصائر، العدد 55، في 06 محرم 1368 هـ / 08 نوفمبر 1948 م.
- البصائر، العدد 115، سنة 1950.
- البصائر، العدد 04، السنة الخامسة من السلسلة الثانية، 18 فيفري 1952.
- البصائر، العدد 28، بتاريخ 02/10/1954.
- البصائر، العدد 286، أكتوبر 1954.
- البصائر، العدد 301، 07 جانفي 1955.
- البصائر، العدد 292، يوم 05 نوفمبر 1954.
- البصائر، العدد 304، يوم 04 فيفري 1955.
- البصائر، العدد 307، 25 فيفري 1955.
- البصائر، العدد 309، 11 مارس 1955.
- البصائر، العدد 331، يوم 02 سبتمبر 1955.
- البصائر، العدد 356، يوم 02 مارس 1956.
- البصائر، العدد 357، بتاريخ 09 مارس 1956.
- البصائر، العدد 361، يوم 06 أبريل 1956.

4- الكتب المصدرية:

باللغة العربية

1. الإبراهيمي محمد البشير، الآثار، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
2. الإبراهيمي محمد البشير، في قلب المعركة، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007.
3. ابن ابي الضياف أحمد ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح، محمد شمام، ج4، الدار التونسية للنشر، 1989.
4. ابن الأثير أبو الحسن علي ابن أبي أكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، مج5، دار الكتاب، بيروت، 1963.
5. ابن العقون عبد الرحمن بن ابراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، الفترة الأولى 1920-1936، منشورات السائحي، الجزائر، 2010، ط3.
6. ابن باديس عبد الحميد، آثار ابن باديس، جمع: عمار الطالبي، ج1، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ط1.
7. ابن باديس عبد الحميد، آثار ابن باديس، جمع: عمار الطالبي، ج3، ج4، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997.
8. ابن عاشور محمد الفاضل ، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، تونس، الدار التونسية للنشر، ط3، 1983.
9. ابن محمد الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965.
10. ابن نبي مالك، شروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، دار الفكر، طرابلس، لبنان، د.ت.
11. أمقران عبد الحفيظ، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد ، ط1، دار الأمة ، الجزائر، 1997.
12. البهلوان علي، تونس الثائرة، لجنة تحرير المغرب العربي، المطبعة العالمية، القاهرة، 1954 .
13. بوعزيز يحيى، الثورة في الولاية الثالثة التاريخية، أول نوفمبر 1954 – 19 مارس 1962 ، دار الأمة، 2004.
14. بوعزيز يحيى، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري ( 1930-1954) ، دار الصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009
15. بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1956، ط1.
16. بوعزيز يحيى، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 الى 1954 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009.
17. بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، ج2 ، 2013.
18. بوعزيز يحيى، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2009، الجزائر، طبعة خاصة.

## قائمة المصادر والمراجع

19. الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، تر وتق، سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت، 1975.
20. الثعالبي عبد العزيز، روح التحرر في القرآن، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.
21. جلال يحيى، العالم العربي الحديث، دار المعارف، مصر، 1965.
22. الحبيب نويرة، ذكريات عصفت بي، دار سراس للنشر، تونس، 1992.
23. الحداد الطاهر، التعليم الاسلامي وحركة الاصلاح في جامع الزيتونة تقديم وتحقيق محمد أنور بوسينية، الدار الزيتونية للنشر، تونس، 1981.
24. حسين محمد لخضر، تونس وجامع الزيتونة، جمع وتح: علي الرضا، تونس، 1971.
25. حماني أحمد، صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس، ج 2، دار البحث للنشر، قسنطينة، 1984.
26. خير الدين محمد، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج2، دار دحلب، الجزائر، 1985.
27. دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1965، ط1.
28. رمضان محمد الصالح، فضيل عبد القادر، امام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمم، الجزائر، (د.ت).
29. الزركلي خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1980.
30. زروال محمد، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994.
31. زروال محمد، اللمامشة في الثورة، دار هومة، الجزائر، 2003.
32. زكريا مفدي، ديوان الذهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
33. السجستاني أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، ج4، باب ما يذكر في القرن المائة، رقم، 4291، دار الجيل، بيروت 1408هـ/1988.
34. سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2008.
35. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ج2، ج3، ج4 عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2009.
36. سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830 - 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007.
37. السمعلي عبد القادر، مذكرات مقاوم تجرتي مع جبيش التحرير التونسي والمقاومة المسلحة كما عشتها، تحقيق عبد الجليل الميساوي، دار نهي للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، 2016.
38. سلطاني عبد اللطيف، سهام الاسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
39. السوفي عمار، بني خداش وجيرانهما عبر الحركة النضالية من الحركة التمردية إلى الحركة اليوسفية، ط1، 2001.
40. شيبان عبد الرحمن، حقائق وأباطيل، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2009.
41. الصديق محمد الصالح، شخصيات ومواقف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.

## قائمة المصادر والمراجع

42. الصديق محمد الصالح، صفحات خالدة في جهاد الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1972.
43. عبادلية الطيب، مذكرات المجاهد القائد الميداني الوردى قتال، دار الألفية، للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
44. عبد العزيز الثعالبي، محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
45. عصام عبد الفتاح، الزعيم من أيام الانتصار إلى سنوات الانكسار، كنوز النشر للتوزيع، مصر، 2012.
46. علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط7، دار أبي قراقرز للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2010.
47. الغالي بلقاسم، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وأثاره، دار ابن حزن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
48. فانون فرانز، العام الخامس للثورة الجزائرية، تر: ذوقان قرفوط، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الجزائر، 2004.
49. فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، منشورات الجزائر للكتب، الجزائر، 2011.
50. الفوري البشير، أعلام النهضة الأدبية، تونس، 1952.
51. قائد السبسي الباجي، الحبيب بورقيبة، المهم والأهم، تر: محمد معالي، دار الجنوب، تونس، 2011.
52. قنانش محمد، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.
53. كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946 – 1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999.
54. المدني أحمد توفيق، حياة كفاح (مذكرات)، ج1 ج2 ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1988.
55. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.
56. مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج، 1898 – 1938، تر: محمد المعراجي، منشورات، الجزائر، 2007.
57. ملاح عمار، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954، دار الهدى، الجزائر، 2007.
58. الميللي محمد، ذكريات زمن البراءة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2012.
59. هلايلي محمد الصغير، مذكرات شاهد على الثورة في الأوراس، ط1، دار القدس العربي، وهران، 2013.
60. الورتلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط4، 2009.
61. ولد الحسين محمد الشريف، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال 1830-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 2010.

## باللغة الفرنسية:

- 1- FERHAT Abbas, autopsy d'une guerre, édition gamierfrères, paris, 1980.
- 2- Francis Jeanson, l'Algérie hors la loi, édition de seil, paris.

## قائمة المصادر والمراجع

3- Cherif Benhbilis ، Algérie française vue par un indigène, FANTANA, Alger, 1914

### ثانيا: المراجع

#### 1-الكتب

#### باللغة العربية:

- 1- أباطة نزار، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994.
- 2- ابن أشنهو عبد اللطيف، تكون التخلف في الجزائر محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830-1962، تر: نجبة من الأساتذة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- 3- ابن الخوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق ، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، ط 1 ، 1986.
- 4- ابن حسن إبراهيم، الزيتونة في الحقل النقابي في ذكرى مرور ثلاثة عشرة قرن على تأسيس الزيتونة، دن، تونس، 1979.
- 5- ابن خليف عبد الوهاب، تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار طليطلة، الجزائر، ط1، 2009.
- 6- ابن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج1، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، الجزائر، 2008.
- 7- ابن عاشور محمد العزيز، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس، 1991.
- 8- ابن عيسى حنفي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.
- 9- ابن قفصية عمر، أضواء على تاريخ الصحافة التونسية ( 1860 - 1970 ) ، دار بوسلا للطباعة والنشر ، تونس، 1972.
- 10- أبو لحية نور الدين، الاتجاهات الفكرية لجمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، ط1، 2015، الجزائر.
- 11- أجيرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا، تر: م، حاج مسعود وع، بلعربي، ج1، 1871-1919، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- 12- أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور عمل الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- 13- باهي التركي، فقه الثورة الجزائرية، دار الشهاب، باتنة، 2017.
- 14- برنيان أندري، نوشي أندري، لاكوست إيف، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبولي رابح، منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).
- 15- البستاني صلاح الدين، العروة الوثقى والثورة التحريرية، دار العرب، القاهرة، 1993، ط3.
- 16- بسكر محمد عبد الرحمان، فتح ذي القوة المتين ببيان بعض جهود العلماء المسلمين الجزائريين في المحافظة على



## قائمة المصادر والمراجع

- اللغة العربية والوطن والدين، منشورات تالة، الجزائر، 2015.
- 17- بغداد خلوفي، نشاط الحركة الطلابية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية 1954 - 1962 ، دار المخابر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013.
- 18- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1962، دار المعرفة، الجزائر، 2000.
- 19- بلاسي محمد نبيل، الاتجاه الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990.
- 20- بن أحمد عمار المختار، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور حياته وأثره الفكري، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.
- 21- بهلول حسين، القطاع التقليدي والتناقضات الهيكلية في الزراعة بالجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
- 22- بواخضرة مسعودة مسعود، الشيخ عبد العزيز الثعالبي، ودوره في الإصلاح الإسلامي، المكتبة العصرية، بيروت، 1995 ط1.
- 23- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.
- 24- بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1981، ط1.
- 25- بوعجيلة فتحي، ثورة النخبة الإصلاحية التونسية، واقعتها أفكارها راهنتها، مكتبة علاء الدين ، صفاقس، تونس، ط1، 2014.
- 26- بيضوي جميل وآخرون، تاريخ العرب الحديث، الأردن، مطبعة دار الأمل، 1992، ط1.
- 27- العبوري محمد وآخرون، التقويم الذهبي التونسي، المطبعة التونسية، (1938-1939)، تونس.
- 28- التيمومي الهادي، النشاط الصهيوني بتونس بين 1897 و 1948، التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، تونس، 1982.
- 29- الجابري محمد الصالح، الأدب الجزائري في تونس (1900-1962)، تونس، بيت الحكمة، ج1، 1990.
- 30- الجابري محمد الصالح، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- 31- الجابري محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983.
- 32- جدعان فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010، ط4.
- 33- الجليدي مصدق، المشروع الإصلاحي في فكر الطاهر ابن عاشور، دور القيم والتربية في الإصلاح الاجتماعي من منظور مقاصدي عمراني، بحث عام ، قسم الدراسات الدينية ، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، تونس ، 07 يونيو 2017.

## قائمة المصادر والمراجع

- 34- جوليان شارل أندري، افريقيا الشمالية تسير ، تر: المنجي سليم وآخرون ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، 1978 .
- 35- جوليان شارل أندري، المعمرون الفرنسيون وحركة الشبان التونسيون، تع، محمد مزالي، د.ن، تونس، د.ت.
- 36- جيليني جول، ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمان صدقي أبو طالب، مراجعة راشد البراوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.
- 37- حداد أحمد، الشيخ أحمد حماني ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية 1333هـ - 1419هـ / 1915م - 1998م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2014.
- 38- الحسيني محمد الهادي، محمد دراجي ، ابن باديس في عيون معاصريه ، مؤسسة عالم الأفكار للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008 .
- 39- حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010.
- 40- حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1920-1954 دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2015.
- 41- خشير عبد النور وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 42- حربي صالح، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 43- الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وآثارها الإصلاحية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 44- درمونة يونس، تونس بين الاتجاهات، دار الكتاب العربي، مصر، (د.ت).
- 45- الذواوي زهير ، الوطنية وهاجس التاريخ في فكر الشيخ عبد العزيز الثعالبي، دار سراس للنشر، تونس، 1995.
- 46- رزوق محمد الطيب، البعد المغاربي للحركة الوطنية التونسية من خلال جريدة الارادة 1948 - 1955.
- 47- الرفاعي أحمد الشرفي ، الإمام الشيخ العربي التبسي مقالاته في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، دار البعث، الجزائر، 1981، ط1.
- 48- الرفاعي أحمد الشرفي ، مقالات وأراء علماء جمعية العلماء المسلمين الإمام مبارك بن محمد الميللي، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2011.
- 49- رويس منير، اسهامات الزيتونيين في التراجم والتحقيقات ، مجمع الأطرس للكتاب المختص ، ط1 ، تونس ، 2017.
- 50- الزيري العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1 ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1999.
- 51- الزيري محمد العربي، تاريخ الجزائري المعاصر ( 1954 - 1962 )، ج2، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
- 52- زروقة عبد الرشيد، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، ( 1913 - 1940 ) ، ط1 ، دار

## قائمة المصادر والمراجع

- الشهاب، باتنة، الجزائر، 1999.
- 53- الزميلي الصادق، أعلام تونسيين، تع، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ط1 .
- 54- زوزو عبد الحميد، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919 - 1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 55- الزيدي علي ، الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية من 1904 إلى 1945، تق: عبد الجليل التميم، مكتبة علاء الدين صفاقس، دار نهي، صفاقس، تونس 2007. ط1
- 56- الزيدي علي، دراسات في تاريخ التعليم بالبلاد التونسية في الفترة المعاصرة، منشورات الفارابي للدراسات والبدائل، صفاقس، 2014.
- 57- ساحل عبد الحميد، عمر بن قذور الجزائري رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2016.
- 58- سالم لبيض، الحركة الطلابية التونسية، النشأة والتأسيس وقضايا الهوية، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، بيروت، لبنان، 2014.
- 59- سالم محمد بهي الدين، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1999 .
- 60- السرجاني راغب، قصة تونس من البداية الى ثورة 2011، دار اقليم للنشر، القاهرة، 2011، ط1.
- 61- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2007.
- 62- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996.
- 63- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830 - 1954، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، ج6، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- 64- سعيدوني نصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000، بيروت.
- 65- السعيدني أبو زيان، عثمان الكعاك الرجل والفكر ، سلسلة ذاكرة وايداع، المركز الوطني للاتصال الثقافي ، تونس، 2009.
- 66- السلمى محمد بن صامل، كتاب صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر (صلى الله عليه وسلم)، مكتبة روائع المملكة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1431هـ / 2010.
- 67- شتره خير الدين، اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1931، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ط2.
- 68- الشرائطي عبيد منصور ، زيدي بشير نصر، ثورة ثورا وأنصار تاريخ الحركة الوطنية المسلحة التونسية 1952-1954، مطبعة السفير الفني، تونس، 2007.
- 69- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب محمد الشاوشن، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993،

## قائمة المصادر والمراجع

- 70- شلاي عبد الوهاب ، نظرات فاحصة في تاريخ تبسة وجهاد أهلها في القرن 19م، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2006، ص59.
- 71- الشواشي سليمان، الفكر الإصلاحي عند جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وأثره في الفكر الإصلاحي التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2017، ط1.
- 72- الشيخ أبو عمران وجيجلي محمد، الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)، شركة دار الأمة، الجزائر، 2008.
- 73- صاري أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، 2004.
- 74- صاري الجيلالي وقداش محفوظ ، المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، تر: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
- 75- صالح خرفي، شعراء من الجزائر، ج1، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969.
- 76- الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 .
- 77- ضيف الله محمد، المدرج الكرسي، بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات، تقدم حسين رؤوف حمزة، دار علاء الدين، صفاقس، 2003.
- 78- الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956، منشورات دار المعارف، لطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1990.
- 79- الطاهر عمري، النخبة الجزائرية وقضايا عصرها من بدايات القرن العشرين إلى ما بين الحربين العالميتين، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009.
- 80- الطباي حفيظ، البناء الوطني وتحديات الاستقلال، ط1، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2011.
- 81- طهاري محمد، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ط2.
- 82- عباد صالح، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- 83- عبد الرحمن عواطف، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 84- عبد السلام أحمد، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987، ط1.
- 85- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1981.
- 86- عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي تونسي 1884-1956، مركز النشر الجامعي، 2001.
- 87- عبد الوهاب حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، تح، حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2015.
- 88- عجالي كمال، الفكر الإصلاحي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، الطباعة الشعبية،

## قائمة المصادر والمراجع

الجزائر، 2007.

- 89- العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939) منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1992.
- 90- عدي هواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1832-1920، تر: جوزيف عبد الله، ط1، دار الحدائق، بيروت، 1983.
- 91- عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس 1955-1956، ط1، مكتبة علاء الدين، تونس، 2011.
- 92- العروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، (د.ت).
- 93- العسلي بسام، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط1، دار النفائس، 1982.
- 94- العقاد صلاح، المغرب العربي، مكتب الأجلو المصرية، القاهرة، 1969، ط3.
- 95- عقيب محمد السعيد، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في الثورة 1955 - 1962 ، ط 1 ، الشاطبية للنشر والتوزيع ، 2012.
- 96- عمارة تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ط2 .
- 97- عمارة رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر، الجزائر، 2003، ط2.
- 98- عمارة رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم 1900-1940، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ط1.
- 99- عمارة رابح تركي، جمعية العلماء المسلمين التاريخية ورؤساؤها الثلاثة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، ط1 ، 2004.
- 100- عمارة رابح تركي، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2001م، ط5.
- 101- عميرواي حميدة وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 102- عويمر مولود، التواصل الفكري بين النخبة الإصلاحية في المغرب الكبير، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2016.
- 103- عويمر مولود، مالك بن نبي رجل الحضارة، دار الأمل، الجزائر، 2007.
- 104- العياشي مختار، البيئة الزيتونية 1910 - 1945 ، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية ، تر: حمادي الساحلي، دار التركي، تونس، 1990.
- 105- عيساوي محمد وشريخي نبيل ، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

## قائمة المصادر والمراجع

- 106- عيش علجية، محمد الصالح يجياوي رجل بوزن أمة ، دراسة تاريخية ، دار الأوطان للثقافة والإبداع ، الجزائر ، 2017.
- 107- فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من عصر الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق. م-1962م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- 108- فضلاء أحمد حسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، طبعة دار هومة، الجزائر، 2000.
- 109- فضلاء محمد الحسن، الشذرات من مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس، دون دار نشر، الجزائر، 2001.
- 110- فضلاء محمد الحسن، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر القطاع القسنطيني، ج1، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999 م، ط1.
- 111- فضلاء محمد الطاهر، الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر، د.ن، الجزائر، 2007.
- 112- فيلالى عبد العزيز، الشيخ عبد الحميد ابن باديس وعيه بالاستعمار وبالثقافة الغربية من خلال أرشيف الاستخبارات الفرنسية، دار الهدى، عيد مليلة، الجزائر، 2016.
- 113- القرقرى اسيم، علال الفاسي استراتيجية مقاومة الاستعمار، دار افريقيا العربية، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
- 114- القصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956) تع، حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ط1.
- 115- لرجح خولة، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، / 1881 - 1964 ، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس ، 2008.
- 116- لهلالى أسعد ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية، 1954 - 1962، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2015.
- 117- اللولب حبيب حسن، أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013.
- 118- اللولب حبيب حسن، التونسيون والثورة الجزائرية، دار السبيل، ط1، 2009، ج1.
- 119- لونيسي إبراهيم، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر، 2013.
- 120- المالكي أحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ط1.
- 121- المحجوبي علي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع، عمر بن ضو، دار سراس للنشر، تونس، 1986، ص110.
- 122- المحجوبي علي، جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، تع، عبد الحميد الشابي، دار بيت الحكمة

## قائمة المصادر والمراجع

- للنشر، تونس، 1999، ط1.
- 123- محمد العلوي الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ط3، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، (د.ت).
- 124- مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940م، تر: محمد يجياتن، دار الخلدونية، الجزائر، 2007، طبعة خاصة.
- 125- مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962، ج1، دار هومة للنشر، الجزائر، 2009.
- 126- مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ط2، ص504.
- 127- مرزوق خالد وابن عامر المختار، مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف 1907-1931-1956 وملحق، دار زمورة، الجزائر، 2013، طبعة خاصة.
- 128- المطبقاني مازن صلاح حامد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، دار بني مزعنة، الجزائر، 2015،
- 129- مطمر محمد العيد، العقيد محمد شعباني وجوانب من الثورة التحريرية الكبرى، دار الهدى، الجزائر، 1999.
- 130- معمري خالفة، عبان رمضان، تر: زينب زخروف، مؤسسة تالة، الجزائر، 2007.
- 131- مقالتي عبد الله، اسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس وطلابه في الثورة التحريرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2014.
- 132- مقالتي عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014.
- 133- مناصرية يوسف، الحزب الحر الدستوري التونسي 1919-1934م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ط1.
- 134- مناصرية يوسف، الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2002.
- 135- مناصرية يوسف، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دار هومة، الجزائر، 2013.
- 136- المنصر عدنان، عميرة علية الصغير، المقاومة المسلحة في تونس (1861-1939)، ج1، منشورات جامعة منوبة، المعهد الأعلى للتاريخ الحركة الوطنية، ط2، تونس، 2005.
- 137- منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص315.
- 138- مياسي إبراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار هومة، الجزائر، 2007.

## قائمة المصادر والمراجع

- 139- الميللي محمد، المؤتمر الإسلامي الجزائري، ط1، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2013.
- 140- ناصر محمد بن صالح، الصحف العربية الجزائرية من 1847-1954، ألفا ديزاين للنشر، الجزائر، ط2، 2006.
- 141- نويهض عادل، البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، دار الأبحاث، الجزائر، (د.ت).
- 142- النيفر أروى، محمد الصالح النيفر حياته وآثار، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2006.
- 143- هلال عمار، الجزائريين إبان حرب التحرير 1954، ط3، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 52.
- 144- هلال عمار، العلماء الجزائريون في البلدان الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3-14هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- 145- وادي خيرية عبد الصاحب، الفكر القومي العربي في المغرب العربي، دار الرشيد، بغداد، 1982.
- 146- يسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل 1920-1945، دار الأمل للطباعة، الجزائر، 2012.

## باللغة الفرنسية:

- 1- ABDELMAOULA Mahmoud, L'université Zaytounienne et la société tunisienne, Tunis, 1984.
- 2- AGERON Charles Robert ، Histoire de l'Algérie contemporaine 1830-1879, Que-sais-je ?, 7<sup>e</sup> edition, 1980, Paris.
- 3- ARRUS Rêne ، L'eau en Algérie, O.P.U, P.U.G, 1985.
- 4- JULIEN Charles-André ، l'Afrique du nord en marche Nationalisme musulmans et souveraineté française , l'imprimerie devers, Paris, 1972.
- 5- KADACHE Mahfoud , histoire du nationalisme algérien 1919 – 1951 , s ned , ALGER , 1980 , T1.
- 6- KADACHE Mahfoud, Histoire de nationalisme Algérien 1919-1939, Ed d'Alger, 2<sup>e</sup> edition, 2003.
- 7- KHARCHI Djamel, Colonialisation et politiques d'assimilation en Algérie 1830-1962, Imprimerie Casbah, Alger, 2004.
- 8- MERAD Ali, le Réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, essai d'histoire religieuse et social, les éditions El Hikma, Alger, 1999, 2<sup>e</sup> édition
- 9- NAROUN Amar , FERHAT ABBAS OU LES CHEMINS DE LA



## قائمة المصادر والمراجع

SOUVERAINETE EDITION DENOEK , PARIS , 1961.

10- STORA Benjamin, DAOUD Zakya, Ferhat Abbas une autre Algérie?  
Edition casbah, Alger, 1995.

11- STORA Benjamin, L'histoire de l'Algérie coloniale 1830-1954,  
ENAL Rahma, Alger, 1996.

## 2-الاطروحات والرسائل الجامعية

### ● باللغة العربية

- 1- ابن موسى هارون الرشيد ، المنهج الإصلاحى عند جمعية العلماء المسلمين وعلاقته بالمناهج الإصلاحية الأخرى تأثرا وتأثيرا، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر، 2008/2007.
- 2- أقيس خالد، أثار العربي التبسي دراسة فنية، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة منتوري قسنطينة، 2007.
- 3- بلعجال أحمد، الخطاب الإصلاحى عند الشيخ محمد السعيد، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006.
- 4- بلعيفة أمين، التنشئة السياسية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931-1956، رسالة ماجستير في التنظيم السياسي والاداري، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008/2007.
- 5- بوسعيد سومية، القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البصائر نموذجا، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي الياصب سيدي بلعباس، 2015/2014.
- 6- الجويلي نصر، العامل الديني و أثره في الحركة الإصلاحية في تونس بين عامي 1881 - 1934 ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الزيتونة ، تونس ، 1992 - 1993 .
- 7- حشلاف علي، المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931 - 1939 ، رسالة ماجستير، معهد العلوم والاتصال، جماعة الجزائر، الجزائر، 1994.
- 8- خليف عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899 - 1983 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2006.
- 9- خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2003/2002.
- 10- دري سميحة ، القيم الفكرية للثورة التحريرية الجزائرية ( 1954 - 1962 ) تنظيرا وممارسة ، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة، 2018 / 2019.
- 11- زيبيدي مباركة، الأوضاع الاجتماعية في الجزائر بين (1919-1954) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، الجزائر، 2014/2013.

## قائمة المصادر والمراجع

- 12- شريف عبد الغفور، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954 - 1956م) دراسة وصفية تحليلية، رسالة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر 03، 2010 /2019.
- 13- شفري شهرة، الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة مقارنة بين الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الابراهيمي، رسالة ماجستير في الدعوة الاسلامية، جامعة الحاج لخضر 1، باتنة، 2009/2008.
- 14- طبيش عبد الكريم، أدب المقاومة عند محمد السعيد الزاهري من خلال جريدة البرق، رسالة ماجستير في الأدب العربي الحديث الحركة الوطنية الجزائرية، جامعة منتوري قسنطينة، 2007/ 2006.
- 15- عقيب محمد السعيد، الحزب الحر الدستوري التونسي " القديم " ، 1934 - 1956 ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر 02 ، السنة الجامعية 2009 / 2010.
- 16- عميرة لطيفة، خطاب النهضة عند زعماء الإصلاح في الفكرة الجزائرية الحديث من 1930 إلى 1954، رسالة دكتوراه في الدعوة والإعلام، جامعة باتنة1، 2018/2017.
- 17- عيساوي أحمد، الشيخ العربي بلقاسم مصلحا ، أطروحة دكتوراه دولة ، جامعة الجزائر ، كلية أصول الدين ، 1423هـ/2002م.
- 18- فرحات الطاهر، العامل الديني ودوره في حركة التحرر المغاربية، الجزائر، تونس، المغرب، 1945-1962، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، السنة الجامعية 2013/2014.
- 19- فرسوني فراس حمد، الفكر التحرري عند عبد الحميد بن باديس وأثره في استقلال الجزائر ، رسالة مقدمة الى جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية ، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، عمان، الأردن ، 2009.
- 20- فلاح رابع، جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر (1908-1954)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية، 2008/2007.
- 21- قرنا ب عبد الرؤوف، جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي (1830-1962)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص مقارنة الأديان، جامعة الجزائر 01، السنة الجامعية 2014-2015.
- 22- لهلاي أسعد، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902 - 1993، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005.
- 23- مزهود سليم، مفهوم الخطاب الإصلاحية عند الشيخ مبارك الميلي، رسالة ماجستير: جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2006/2005،
- 24- معزة عز الدين، فرحات عباس والحبيب بروقية ، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة ( 1899-2000 ) ، أطروحة

## قائمة المصادر والمراجع

- دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2010/2009.
- 25- مقالتي عبد الله، العلاقات الجزائرية المغربية، إبان الثورة التحريرية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2008/2007.
- 26- موهوبي عبد العزيز، رجال الإصلاح والطرق الصوفية في الجزائر، 1931م-1954م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2011/2012.
- باللغة الفرنسية

1- COURREYE Charlotte: l'association des oulémas musulmans algériens et la construction de l'état algérien indépendant, fondation héritages, appropriations et antagonismes (1931-1991), Thèse de doctorat en Littératures, Université Sorbonne, Paris, France, 2016

## 3-المقالات:

### باللغة العربية

- 1- إبراهيمي حيدر سعد جواد، مجلة الشهاب الجزائرية وآرائها الإصلاحية (1928-1939)، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد 13، السنة السابعة، 2013، جامعة الكوفة، العراق.
- 2- ابن خرف الله الطاهر، التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للريف الجزائري، مجلة الذاكرة، ع 02، ربيع 1995.
- 3- ابن رحال أمينة، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ونشاطه السياسي والثوري في الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، العدد 11 ، ديسمبر 2016
- 4- ابن رحال أمينة، مذكرات الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وأهميتها في كتابة تاريخ بني ميزاب ، مجلة تاريخ العلوم ، مجلد 05 ، عدد 13 ، جوان 2020
- 5- بلاح بشير، مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من المذاهب الفرنسية الغربية 1345 - 1359 هـ 1925 م - 1940 م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد السادس والعشرون، السداسي الثاني، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 6- بوحوش عمار، شاهد على مشاركة طلبة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في ثورة تحرير الجزائر 1954 - 1962، مجلة المصادر ، العدد 16 ، 2005.
- 7- بومالي أحسن، التحضيرات المادية والبشرية لاندلاع الثورة المسلحة ، مجلة الذاكرة ، العدد 03، 1989، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر.
- 8- بومالي أحسن، اللغة العربية أداء تواصل بين الثورة والجماهير ، مجلة المصادر ، العدد 01 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر ، 2004.

## قائمة المصادر والمراجع

- 9- التكريتي غيلان سمير طه، الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918-19139، مجلة آداب الفراهيدي، العدد، 13، العراق، جانفي 2012.
- 10- التميمي صبري كامل، الشيخ العربي التبسي ودوره التربوي والإصلاحي في الجزائر (1891-1957)، العدد 55، ذي القعدة 1437هـ-أوت 2016.
- 11- الجابري محمد الصالح، مبارك الملي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، العدد 102، سنة 1989.
- 12- الجيلالي عبد الرحمان، من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة والنابعة الشيخ مبارك الملي، مجلة الثقافة، عدد 80،
- 13- الحبيب شلي محمد، خلفيات مؤتمر الاستقلال 26 رمضان 1365هـ / 23 أوت 1946م، المجلة التاريخية المغربية، عدد، 23-24، تونس، نوفمبر 1981.
- 14- ذياب أحمد، الأستاذ مبارك الملي والصحافة، مجلة الأصالة، العدد 68-69، الجزائر، 1979.
- 15- الزيدي علي، اشيخ محمد الفاضل بن عاشور والحركة الوطنية من 1943 إلى 1953، الجزء 02، جريدة الشعب، يوم 2009/12/26، تونس.
- 16- الزيدي علي، الزيتونة ودورها في حركة التحرير الوطنية التونسية، مجلة الحور المتوسطي، العدد (15 - 16)، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2017.
- 17- الزيدي علي، الشيخ محمد الفاضل بن عاشور والحركة الوطنية من 1943 إلى 1953، ج1، جريدة الشعب يوم 2009/12/19، تونس،
- 18- الزيدي علي، جامع الزيتونة أهم ميدان للتحركات السياسية بتونس خلال الحرب العالمية الأولى، المجلة التاريخية المغربية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، السنة الثامنة والعشرون، العدد 104، سبتمبر 2001.
- 19- سعد الله أبو القاسم، المجلة التاريخية المغربية، السنة التاسعة، عدد ديسمبر 1992.
- 20- سعدوني بشير، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة الجزائرية (1954 - 1962)، حوليات جامعة الجزائر 01، العدد 31، الجزء الأول، (د.ت).
- 21- شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1919-1939، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج 21، ع1، 2006.
- 22- طاهري فاطمة، تحليات البعد الديني في بيان أول نوفمبر 1954 - قراءة في البيان - مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 10، جامعة
- 23- علاق محمد، التعليم الحر أثناء الثورة معهد ابن باديس نموذجاً، البصائر، العدد 683، 165 ديسمبر 2007.
- 24- عمامرة تركي رابح، الشيخ البشير الإبراهيمي في المشرق العربي، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 87، ص 228.

## قائمة المصادر والمراجع

- 25- عمامرة رابح تركي، الصراع بين جمعية العلماء وحكومة الاحتلال الفرنسي في الجزائر 1933 - 1939، مجلة التاريخ، عدد 11، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981.
- 26- العمري مرزوق، الوطنية في فكر الشيخ إبراهيمي، مجلة المعيار، كلية علوم أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 06، قسنطينة، الجزائر، جوان 2003.
- 27- غراس محمد العربي، الثورة المسلحة 1954 - 1962، معارك في الطريق الى الولاية الثالثة، مجلة أول نوفمبر، العدد 10، السنة 1975.
- 28- قدارة الشايب، أثر اندلاع الحرب العالمية الثانية على مسار الحركة الوطنية الجزائرية، 1939 - 1942، دراسة تحليلية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 02، العدد 03، 30 جوان 2008.
- 29- كرليل عبد القادر، تطور الصحافة الوطنية 1919-1939، مجلة المصادر، العدد 13، السداسي الأول، 2016، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
- 30- اللولب حبيب حسن، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة وفروعه 1876-1962 التحديات والرهانات، مجلة دراسات وأبحاث، عدد 26 مارس 2017، السنة التاسعة، جامعة الزيتونة، تونس.
- 31- مركز الدراسات والبحوث، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة البيان، العدد 189، الرياض، 1435هـ/2013م.
- 32- مقالتي عبد الله وبوجمعة أكرم، دور الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في دعم الثورة الجزائرية ( 1954-1962م)، مجلة قضايا تاريخية، مخبر الدراسات التاريخية المعاصرة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، العدد 02، السنة 2016.
- 33- مقالتي عبد الله، دور الشهيد زيغود يوسف في الثورة التحريرية، مجلة العلوم الإنسانية، مج 2، العدد 6، المركز الجامعي علي كافي تندوف، سبتمبر 2018.
- 34- مياسي إبراهيم، الاستيطان الفرنسي في الجزائر، مجلة المصادر، ع 05، الجزائر، 2001.
- 35- هلال عمار، الحركة الوطنية بين العمل السياسي والفعل الثوري " 1947 - 1954 "، مجلة الذاكرة، العدد 03، 1995.

## باللغة الفرنسية

1- SARRI Ahmed, l'association des oulémas musulmans algériens et les événements du 08 Mai 1945, revue des sciences humaines, université de Constantine , N ;09 , 1998

## 4-الملتقيات والندوات

### باللغة العربية

1- ابن داهة عدة، الخلفيات الحقيقية للتشريعات العقارية في الجزائر إبان الاحتلال 1830-1870، أعمال الملتقى

## قائمة المصادر والمراجع

- الوطني الأول للعقار في الجزائر، المنعقد بولاية معسكر يومي 20-21 نوفمبر 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- 2- ادريس محمد مسعود، المساهمة الثقافية للزيتونيين من خلال نشاط الجمعيات خلال فترة الحماية ، أعمال الندوة الدولية الحادية عشرة حول الزيتون ، الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي.
- 3- البكوش سمير ، النضال الزيتوني في الخمسينات من خلال أحدا 15 مارس 1954، أعمال الندوة الدولية الحادية عشر حول الزيتون، الدين والمجتمع والحركات الوطنية في جامعة منوبة ، ط1 ، تونس ، 2006
- 4- ناصر بلحاج ، موقف النخب في وادي ميزاب من الاستعمار الفرنسي ثقافيا واعلاميا ودينيا وسياسيا، الملتقى الدولي "النخب الجزائرية والحركة الإصلاحية في النصف الأول من القرن العشرين"، أيام 20-22 أبريل 2015، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2015.
- 5- الشمري غازي، دور الحركة الإصلاحية في مقاومة الاستعمار الفرنسي خلال فترة ما بين الحربين، الملتقى الدولي "النخب الجزائرية والحركة الإصلاحية في النصف الأول من القرن العشرين"، أيام 20-22 أبريل 2015، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2015.
- 6- الطباي حفيظ، صراع الهوية الزيتونة والزيتونيين في معترك النضال الوطني والاجتماعي ، أعمال الندوة الدولية الحادية عشرة حول الزيتون ، الدين والمجتمع والحركات الوطنية في جامعة منوبة ، ط1 ، تونس ، 2006.
- 7- العلاي علي، صدى الواقع الزيتوني من خلال جريدة " صبرة " 1937 - 1939 ، أعمال الندوة الدولية الحادية عشرة حول الزيتون ، الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي ، تونس ، 5 و 6 ماي 2002 ، ط2، 2006.
- 8- العلوي محمد فلاح، التعليم في الزيتون والقرويين بين التقليد والتجديد اواخر القرن 19 وبداية القرن 20، أعمال الندوة الدولية الحادية عشر حول الزيتون الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي، تونس، 5-6 ماي 2002، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2006، ط2.
- 9- محمد الهيلة: الشيخ الفاضل بن عاشر ومكانته في الاتحاد العام التونسي للشغل من خلال الوثائق الفرنسية 1946-1947، أشغال الندوة الدولية حول الزيتون، الدين والمجتمع والحركات التحريرية في المغرب العربي من خلال الوثائق الفرنسية 1946-1947،
- 10- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الإعلام ومهامه أثناء الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الأول حول الإعلام والإعلام المضاد، منشورات القصبية، الجزائر ، 1998.
- 11- مناصرية يوسف ، القضاء في الثورة من خلال بعض النصوص أعمال الملتقى الوطني الأول حول القضاء ابان الثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

باللغة الفرنسية

## قائمة المصادر والمراجع

1- Fromage Julien ، la federation des elus musulmans du departement de constantine a l'est se leve la natabilite (1932 -1943 ) , colloque pour une histoire critique et citoyenne , le cas de l'histoire franco – algerienne , 20-12 juin 2006 , Lyon , ens , lsh , 2007

### ثالثا-القواميس والمعاجم:

#### باللغة العربية

- 1- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال، لسان العرب، ج5، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1997، ط7.
- 2- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ( د.ت ).
- 3- دبوز محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1976، ط1.
- 4- فضلاء محمد حسن، من أعلام الإصلاح في الجزائر ، ج1 ، طبعة دار هومة ، الجزائر ، 2000.
- 5- الفيروز أبادي محمد بن يعقوب مجد الدين ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة، 2005.
- 6- الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).
- 7- محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982.
- 8- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ط2.

#### باللغة الفرنسية

- 1- Le petit Larousse illustré ، Maury, Imprimeur.s.a.mahsheb, Paris, 2007.
- 2- REMAOUN Hassan et autres ، Dictionnaire du passé de l'Algérie de la préhistoire à 1962, DGRSDT/CRASC, Oran.

### رابعا: المواقع الالكترونية

[www.anfasse.org](http://www.anfasse.org)

[ar.wikipedia.org/wiki/](http://ar.wikipedia.org/wiki/)

[www.boe.es/boe/dias/1977/04/07/pdfs/0775.pdf](http://www.boe.es/boe/dias/1977/04/07/pdfs/0775.pdf)

[www.memoria.dz/chef/23](http://www.memoria.dz/chef/23)

[www.aljazeera.net/php=index8](http://www.aljazeera.net/php=index8)

[www.mosaiquefm.net/ar/index/a/contenu/decembreisaisar](http://www.mosaiquefm.net/ar/index/a/contenu/decembreisaisar)

# فهرس المحتويات



## فهرس المحتويات

الصفحة	
	شكر خاص
	شكر وعرفان
	اهداء
	قائمة المختصرات
1	المقدمة
<b>الفصل التمهيدي: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وتونس</b>	
12	المبحث الأول: السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر
12	المطلب الأول: الاحتلال والاستيلاء على الأراضي والاستيطان
26	المطلب الثاني: السياسة الإدارية والقضائية
31	المطلب الثالث: السياسة الاقتصادية والاجتماعية
36	المطلب الرابع: السياسة التعليمية والثقافية والدينية
41	المبحث الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس
42	المطلب الاول: فرض الحماية وسن القوانين السياسية والإدارية
46	المطلب الثاني: السياسة الاقتصادية والحالة الاجتماعية
53	المطلب الثالث: السياسة القضائية والدينية
56	المطلب الرابع: السياسة التعليمية والثقافية في ظل الحماية الفرنسية
<b>الفصل الأول: الجذور التاريخية للحركات الإصلاحية في الجزائر وتونس</b>	
62	المبحث الأول: تعريف ومفهوم الحركة الإصلاحية
62	المطلب الأول: مفهوم الإصلاح
64	المطلب الثاني: تعريف الحركة الإصلاحية
65	المبحث الثالث: الجذور التاريخية للحركة الإصلاحية في الجزائر
65	المطلب الأول: تعريف الحركة الإصلاحية في الجزائر
66	المطلب الثاني: العوامل الداخلية والخارجية لظهور الوعي الإصلاحي في الجزائر
85	المبحث الثالث: الجذور التاريخية للحركة الإصلاحية في تونس
85	المطلب الأول: تعريف الحركة الإصلاحية في تونس
86	المطلب الثاني: العوامل الداخلية والخارجية لظهور الوعي الإصلاحي في تونس

## فهرس المحتويات

103	المبحث الرابع: مظاهر روابط التواصل الإصلاحية بين الجزائر وتونس
103	المطلب الاول: التواصل الثقافي
110	المطلب الثاني: المساهمة السياسية
114	المطلب الثالث: الزيارات وتبادل الرسائل
<b>الفصل الثاني: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في الجزائر 1920-1945</b>	
125	المبحث الاول: الجانب الديني ومحاربة الطرقية
125	المطلب الاول: النشاطات الدينية ومواقف الاصلاحيين
130	المطلب الثاني: محاربة الطرقية
133	المبحث الثاني: النشاط التربوي والتعليمي
134	المطلب الاول: مجهودات ونشاط عبد الحميد بن باديس التعليمية
135	المطلب الثاني: أهم الجمعيات والمدارس التي أنشأتها الحركة الاصلاحية في الجزائر
137	المطلب الثالث: مجهودات بعض مشايخ الاصلاح في الجانب التربوي
142	المطلب الرابع: النشاط التربوي والتعليمي عند اصلاحيي بني ميزاب
144	المطلب الخامس: تعليم المرأة ونظرة الاصلاحيين للحركة السنوية
145	المطلب السادس: النوادي الثقافية
146	المطلب السابع: الكشافة الاسلامية
148	المطلب الثامن: تقديرات النشاط التعليمي
149	المبحث الثالث: النشاط الصحفي
149	المطلب الأول: نبذة عن أهم الصحف الإصلاحية التي أنشأها ابن باديس وجمعية العلماء
151	المطلب الثاني: مجهودات بعض مشايخ الاصلاح في الجانب الصحفي
153	المطلب الثالث: نشاط الميزابيين الاصلاحيين في الجانب الصحفي
155	المطلب الرابع: نماذج من المواضيع التي تناولتها الصحافة الاصلاحية
159	المبحث الرابع: ممارسة وتطوير العمل السياسي 1920 - 1935
160	المطلب الأول: الارهاصات الأولى لتبلور الفكر السياسي الاصلاحية 1920-1931
161	المطلب الثاني: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 م
169	المطلب الثالث: تطور النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1932-1935
178	المبحث الخامس: ممارسة وتطوير العمل السياسي 1936 - 1939

## فهرس المحتويات

178	المطلب الأول: المؤتمر الاسلامي الجزائري 1936
185	المطلب الثاني: العراقل الإدارية الفرنسية وقانون شوطان 1938
187	المطلب الثالث: موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الحرب العالمية الثانية
189	المطلب الرابع: علاقة جمعية العلماء بالأحزاب الوطنية السياسية
196	المبحث السادس: ممارسة وتطوير العمل السياسي 1940-1945
197	المطلب الأول: موقف العلماء من نزول الحلفاء في 8 نوفمبر 1942 ومشاركتهم في بيان فيفري 1943
198	المطلب الثاني: مشاركة العلماء في جمعية أحباب البيان والحرية سنة 1944
200	المطلب الثالث: مجازر الثامن ماي 1945 وموقف جمعية العلماء منها
<b>الفصل الثالث: نشاط الحركة الإصلاحية وتطورها السياسي في تونس 1920-1945</b>	
206	المبحث الأول: الجانب الديني والتعامل مع الطرق الصوفية
206	المطلب الأول: نظرة الاصلاحيين الزيتونيين لعملية الاصلاح الديني والأسس التي يركزون عليها
209	المطلب الثاني: مشاهير مشايخ الزيتونة وأهم مؤلفاتهم الدينية
213	المطلب الثالث: خلاف علماء الزيتونة الاصلاحيين حول بعض القضايا الدينية
217	المطلب الرابع: تعامل العلماء الاصلاحيين الزيتونيين مع الطرق الصوفية
222	المبحث الثاني: الجانب التربوي وجهود الاصلاحيين الزيتونيين في اصلاح التعليم الزيتوني
222	المطلب الأول: نبذة تاريخية عن الجانب التربوي والتعليمي وتطوره في جامع الزيتونة
225	المطلب الثاني: جهود العلماء الاصلاحيين الزيتونيين في اصلاح التعليم الزيتوني
231	المطلب الثالث: تعليم المرأة ونظرة الاصلاحيين الزيتونيين للحركة النسوية
235	المبحث الثالث: النشاط الصحفي لطلبة وعلماء الزيتونة الاصلاحيين
236	المطلب الأول: البدايات الأولى لتعامل الزيتونيين مع النشاط الصحفي
237	المطلب الثاني: مساهمة الزيتونيين الاصلاحيين في الصحف الوطنية التونسية
240	المطلب الثالث: مساهمة الزيتونيين الاصلاحيين في صحف الحزب الحر الدستوري التونسي
242	المطلب الرابع: نماذج لبعض الصحف التونسية التي أنشأها الزيتونيون الاصلاحيون
247	المبحث الرابع: النشاط السياسي لطلبة وعلماء الزيتونة الاصلاحيين في مسيرة النضال الوطني
247	المطلب الأول: دفاع طلبة وعلماء الزيتونة عن الهوية الوطنية والتصدي للحماية الفرنسية من 1881 - الى غاية 1920
251	المطلب الثاني: نشاط طلبة وعلماء الزيتونة في الحركة الوطنية التونسية من سنة 1920 الى غاية سنة 1945

## فهرس المحتويات

258	المطلب الثالث: النشاط السياسي للزيتونيين من خلال الحزب الحر الدستوري من سنة 1920 الى غاية 1945
263	المطلب الرابع: النشاط الجمعاوي الاصلاحى للزيتونيين الاصلاحيين
265	المبحث الخامس: دراسة مقارنة بين نشاط طلبة وعلماء الحركة الإصلاحية الجزائرية والطلبة والعلماء الزيتونيين الإصلاحيين 1920 – 1945
265	المطلب الأول: أوجه التشابه – نقاط التطابق – بين نشاط الحركتين الديني
270	المطلب الثاني: أوج التشابه في النشاط التعليمي التربوي
272	المطلب الثالث: أوجه التشابه في النشاط الصحفي
277	المطلب الرابع: أوجه التشابه في ممارسة العمل السياسي من سنة 1920 – 1945
285	المطلب الخامس: أوجه الاختلاف في الجانب الديني ومحاربة الطرق الصوفية
287	المطلب السادس: أوجه الاختلاف في النشاط التعليمي والتربوي
290	المطلب السابع: أوجه الاختلاف في النشاط الصحفي
291	المطلب الثامن: أوجه الاختلاف في النشاط السياسي
<b>الفصل الرابع: التطور السياسي للحركة الاصلاحية الجزائرية وأثرها في التوجه الثوري التحرري 1945-1956</b>	
298	المبحث الأول: النشاطات السياسية لجمعية العلماء من سنة 1946 الى نهاية فترة الأربعينات
299	المطلب الأول: قضية فصل الدين عن الدولة
300	المطلب الثاني: السعي لتوحيد الأحزاب السياسية ونقد دستور 1947
301	المطلب الثالث: تأسيس معهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947
301	المطلب الرابع: انشاء الهيئة العليا لإعانة فلسطين سنة 1948
304	المطلب الخامس: رسالة الشيخ الابراهيمى الى رئيس الجمهورية الفرنسية باسم جمعية العلماء سنة 1949م
305	المبحث الثاني: نشاط جمعية العلماء من بداية الخمسينات الى اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954
305	المطلب الأول: جمعية العلماء تطرح قضية فصل الدين عن الدولة مجددا سنة 1951
306	المطلب الثاني: انضمام جمعية العلماء الى جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها سنة 1951
308	المطلب الثالث: لقاء الشيخ الابراهيمى الوفود العربية والاسلامية في الأمم المتحدة بباريس وخطابه أمامهم سنة 1952
310	المطلب الرابع: سفر الامام الابراهيمى الى المشرق العربى وأهم نشاطاته قبيل اندلاع الثورة التحريرية
312	المطلب الخامس: أوضاع الجمعية ونشاطها السياسي منذ سفر الابراهيمى الى المشرق الى غاية اندلاع الثورة التحريرية 1952-1954

## فهرس المحتويات

316	المبحث الثالث: الموقف السياسي لجمعية العلماء من الثورة التحريرية سنة 1954
316	المطلب الأول: اندلاع الثورة التحريرية 1954
320	المطلب الثاني: المواقف الداخلية والخارجية لجمعية العلماء من الثورة التحريرية ابان اندلاعها سنة 1954
325	المبحث الرابع: نشاط وأهم اسهامات جمعية العلماء في الثورة التحريرية 1954 – 1956
325	المطلب الأول: النشاط الخارجي لجمعية العلماء لصالح الثورة التحريرية 1954 – 1956
329	المطلب الثاني: النشاط الداخلي لجمعية العلماء أثناء الثورة التحريرية 1954 – 1956
340	المبحث الخامس: نشاط ومساهمة طلبة وعلماء معهد عبد الحميد بن باديس في الثورة التحريرية 1954 – 1956
340	المطلب الأول: عودة الى مسألة الاتصالات أثناء الثورة ودور طلبة وعلماء معهد ابن باديس في ذلك
342	المطلب الثاني: نشاط طلبة وعلماء معهد ابن باديس في التجنيد والعمل في هياكل الثورة
348	المطلب الثالث: النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الثورة من خلال جريدة البصائر
351	المبحث السادس: تبلور الفكر الثوري التحرري عند العلماء الاصلاحيين في الجزائر
352	المطلب الأول: الفكر الثوري التحرري عند ابن باديس
355	المطلب الثاني: الفكر الثوري التحرري عند البشير الابراهيمي
357	المبحث السابع: تأثير العامل الديني للعلماء الاصلاحيين في الفكر الثوري التحرري وتحليلاته في الثورة التحريرية الجزائرية
357	المطلب الأول: أثر الفقه الجهادي في الثورة التحريرية
360	المطلب الثاني: تأثير الفكر الجهادي الاسلامي لجمعية العلماء في مبادئ وأفكار الثورة التحريرية
366	المطلب الثالث: تأثير الفكر الجهادي الاسلامي لجمعية العلماء في المجاهدين وأبرز قادة الثورة التحريرية
368	المطلب الرابع: تحليلات الفكر الاسلامي الثوري في واقع الثورة التحريرية وسلوك المجاهدين
<b>الفصل الخامس: نشاط وتأثير طلبة وعلماء الزيتونة في الفكر الثوري التحرري والمقاومة التونسية 1945-1956م</b>	
379	المبحث الأول: النشاط والتطور السياسي للطلبة وعلماء الزيتونة بعد الحرب العالمية الثانية (1945-1951)
379	المطلب الأول: نشاط الزيتونيين وتأثيرهم في مؤتمر ليلة القدر 1946
385	المطلب الثاني: نشاط الزيتونيين ضمن الاتحاد التونسي للشغل وتأثيرهم في توجهاته الفكرية
391	المطلب الثالث: النشاط السياسي الوطني لطلبة وعلماء الزيتونة بعد مؤتمر ليلة القدر 1946 إلى غاية سنة 1949
394	المطلب الرابع: بداية صراع الزيتونيين مع الدستور الجديد والتجدر في اختلاف المواقف 1949-1951

## فهرس المحتويات

402	المطلب الخامس: رد فعل الاحتلال الفرنسي ضد نشاط طلبة وعلماء الزيتونة
403	المبحث الثاني: المقاومة التونسية المسلحة ومساهمة طلبة وعلماء الزيتونة فيها (1952-1954)
403	المطلب الأول: فشل المفاوضات التونسية الفرنسية والإرهابات الأولى للمقاومة التونسية المسلحة
405	المطلب الثاني: ظروف وحيثيات المقاومة المسلحة بين سنتي 1952-1954
407	المطلب الثالث: مساهمة طلبة وعلماء الزيتونة في المقاومة التونسية المسلحة 1952-1954
409	المطلب الرابع: التأثير الفكري الزيتوني الإسلامي على المقاومة المسلحة التونسية 1952-1954
411	المبحث الثالث: تبلور الفكر الثوري التحرري عند القادة السياسيين الزيتونيين
413	المطلب الأول: تبلور الفكر الثوري التحرري عند الشيخ عبد العزيز الثعالبي
415	المطلب الثاني: تبلور الفكر الثوري عند الشيخ محمد الفاضل بن عاشور
417	المطلب الثالث: تبلور الفكر الثوري التحرري عند لجنة صوت الطالب الزيتوني
419	المبحث الرابع: مرحلة المفاوضات الأخيرة والصراع الزيتوني الدستوري (1954-1956)
420	المطلب الأول: المفاوضات من 1954-1955 ومعارضة اتفاقية الاستقلال
422	المطلب الثاني: الصراع الزيتوني الدستوري 1955-1956
425	المبحث الخامس: دراسة مقارنة بين طلبة وعلماء الجزائر وطلبة وعلماء الزيتونة التونسيين من خلال التطور السياسي والتأثير الفكري التحرري من 1945-1956
425	المطلب الأول: أوجه التشابه في التطور السياسي بين تيارتي الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس
430	المطلب الثاني: أوجه التشابه في المساهمة في الثورة المسلحة والتأثير الفكري الثوري التحرري
441	المطلب الثالث: أوجه الاختلاف في التطور السياسي بين تيارتي الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس.
447	<b>الخاتمة</b>
453	<b>الملاحق</b>
501	<b>قائمة المصادر والمراجع</b>
524	<b>فهرس المحتويات</b>

## ملخص

لقد كان للحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس دور هام في عملية الإصلاح الشامل وتأثير في الفكر الثوري التحرري الذي تحول في كلا البلدين إلى عمل ثوري أدى إلى التحرير والاستقلال، مع بعض الفوارق لخصوصية كل بلد منها، وقد تجلّى هذا التأثير الفكري الثوري التحرري في واقع ملموس في الثورة التحريرية في كلا البلدين، وذلك من خلال تتبع مسارها الإصلاحي وتطورها السياسي من خلال دراسة مقارنة لكل من طلبة وعلماء الجزائر المسلمين الإصلاحيين، وطلبة وعلماء الزيتونة الإصلاحيين التونسيين

## الكلمات المفتاحية:

الحركة الإصلاحية - طلبة وعلماء الجزائر - طلبة وعلماء الزيتونة - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - لجنة صوت الطالب الزيتوني - عبد الحميد بن باديس - محمد البشير الابراهيمي - عبد العزيز الثعالبي - محمد الفاضل بن عاشور - الحزب الدستوري التونسي

## Abstract :

The reformist movement in Algeria and Tunisia had an important role in the comprehensive reform process and an impact on the liberation revolutionary thought, which in both countries turned into a revolutionary action that led to liberation and independence, with some differences due to each nation unicity. This liberation revolutionary intellectual influence was manifested in a concrete reality in the liberation revolution in both countries, by tracking its reform and political development through a comparative study of the students and scientists of Algeria Muslim reformers, and Zaituna students and scientists of the Tunisian reformists

## Key words :

The Reform Movement - Students and Scholars of Algeria - Students and Scholars of Zitouna - Association of Algerian Muslim Scholars - Student Voice Committee of Zitouni - Abdelhamid Benbadis - Mohammed AlBachir AlIbrahimi - Abdelaziz Thaalibi - Mohamed Fadhel Banachour - Tunisian Constitutional Party